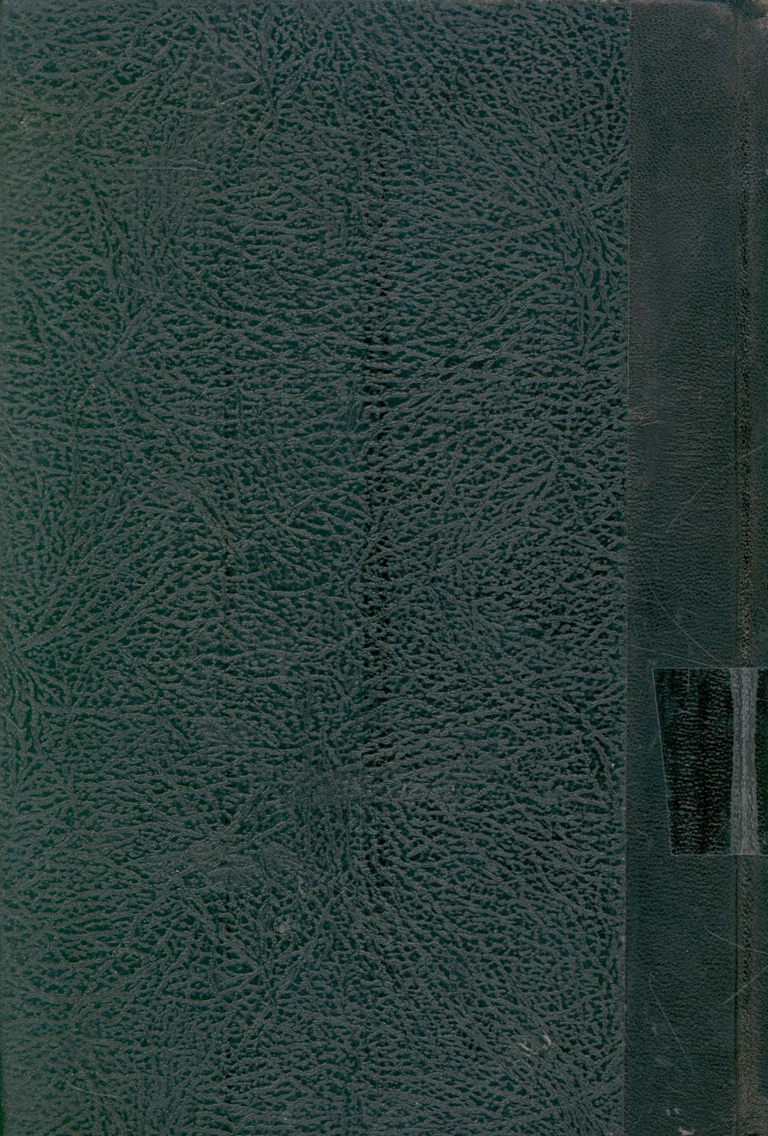


المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين

١ يناير (كانون ٢) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢١ رمضان سنة ١٣١٩

رجال الاعمال والاموال

انتخ كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان تجده كلهُ من اولهِ الى آخر ترجمات رجال الامة الاسلامية والبلاد الشرقية من بدء الاسلام الى ان فرغ المؤلف من تأليفهِ سنة ٦٧٢ للهجرة. وقد قال في مقدمتهِ انهُ لم يذكر فيهِ احدًا من الصحابة ولا من التابعين الاَّ جماعةً يسيرة وكذلك الخلفاء لم يذكر احدًا منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب . ولم يقصر كتابهُ على طائفة مخصوصة مثل العلماء او الملوك او الامراء او الوزراء او الشعراء بل كل من لهُ شهرة بين الناس ويقع السؤَال عنهُ ذكرهُ واتى على احوالهِ وذكر من محاسن كل شخص ما يليق بهِ من مكرمة او نادرة او شعر او رسالة . وقد سمَّاهُ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. ليطابق الاسم المسمَّى

هذا ما قالهُ ابن خلكان في مقدمة كتابهِ . واذا اضفنا اليهِ تاريخ الخلفاء للسيوطي وجب ان يكون الكتابان مرآة الامة وخلاصة تاريخها وعنوان مجدها والدليل الذي يستدل بهِ على احوالها ودرجة عمرانها. اما كتاب السيوطي فواضح من عنوانهِ انهُ خاص بالخلفاء فلا ينتظر ان يُعلَم منهُ شيء كثير عن غيرهم وغير المتصلين بهم رجالاً ونساء. واما وفيات الاعيان فقد نظرنا فيهِ عند كتابة هذه السطور لنرى من هم في عرف مؤلفهِ الاعيان الذين لهم شهرة بين الناس ويقع السؤَال عنهم وقرأنا بعض الترجمات ترجمة ترجمة من اولهِ فوجدنا ما يلي

الاولى	ترجمة	ابرهيم النخعي الفقيه
الثانية	"	ابي ثور الفقيه
الثالثة	"	المرزوي الفقيه
الرابعة	ترجمة	الاسفرايني الفقيه
الخامسة	"	ابي اسحق الشيرازي الفقيه
السادسة	"	الخطيب ابي اسحق العراقي الفقيه

السابعة	ترجمة	ظهير الدين الفقيه	العاشرة	ترجمة	ابرهيم الصولي الشاعر
الثامنة	«	ابرهيم بن المهدي الخليفة	الحادية عشرة	«	نفطويه النحوي
التاسعة	«	ابرهيم الموصلي المغني	الثانية عشرة	«	الزجاج النحوي

وقد نظرنا كذلك في سيرة المئة الاولى من الذين ترجمهم المؤلف رحمهُ الله فوجدناهم ينقسمون حسب شهرتهم كما ترى في هذا الجدول

٣٢	من الفقهاء	٣	من علماء التفسير
٢٩	من الشعراء والادباء	٣	من الزهّاد
١٧	من الملوك والامراء	٢	من المغنيين
٧	من النحاة	٢	من المؤرخين
٣	من علماء اللغة	٢	من اهل المجون والاطباء

هذا تقسيم المئة الاولى ونظن اننا لو استقرينا كل الترجمات التي في هذا الكتاب والتي في غيره من الكتب العربية لوجدناها على هذا النمط وهذه النسبة اي نحو ٣٢ في المئة منهما من الفقهاء ونحو ٢٩ في المئة من الشعراء ونحو ١٧ في المئة من الامراء ونحو ٧ في المئة من النحاة والباقون وهم ١٥ في المئة مفسرون ومؤرخون ومغنون واطباء وزهّاد واهل مجون . هؤلاء كانوا عماد الامة الذين تقوم عليهم وبهم تذكر او كما قال ابن خلكان "الذين لهم شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهم"

أمن هؤلاء وحدهم كان قوام الامم الشرقية . اين ارباب الزراعة اين ارباب الصناعة اين ارباب التجارة . كيف كانت الامة تعيش وتنمو وترتقي . كان العرب قبل الاسلام وقبل النصرانية وفي عهد ابرهيم الخليل واسحق ويعقوب والاسباط اهل زراعة وتجارة. كانت قوافلهم تمرّ بسواحل الشام آتية الى مصر وكانت سفائنهم تمخر البحر الاحمر وبحر العرب وبحر فارس. اما المصريون والفينيقيون والاشوريون وكل الامم الشرقية التي نُشر في بلادها لواء العرب فقولنا انها كانت امّا زراعية صناعية تجارية تحصيل حاصل لانها هي التي اوجدت الزراعة والصناعة والتجارة في الدنيا. وبقي العرب اهل تجارة يطلبون الكسب بالمتاجرة ويضربون في الآفاق تجاراً حتى جاء الاسلام وصاروا يضربون فيها فاتحين . فعلى مَ لا نجد في وفيات الاعيان ولا في غيره من كتب السيَر الا ذكر الفقهاء والشعراء والادباء والامراء والنحاة ونحوهم. أبهؤلاء قوام الامّة لا بغيرهم وهم عنوان مجدها وغيرهم بُهْل هَمَل. ان قال بذلك ابناء العصر الذي كان فيهِ ابن خلكان فهل يقول بهِ ابناء عصرنا هذا. ونحن نرى ارباب الزراعة والصناعة والتجارة ملكوا الخافقين. نرى الملوك يقتنون المزارع والمعامل ويشاركون الشركات التجارية في اعمالها . نرى ميازيب

الثروة تنهال على ابناء الصناع والتجار نرى قصورهم وبيوتهم ومتاحفهم وسفائنهم غاصَّة بكل علق فاخر ثمين ونحن نسل الامراء والفقهاء والشعراء والادباء عاكفون على التفاخر بالعظم الرميم وتفسير الآيات والاحاديث ونظم المدائح والمراثي . ومن حين يشبُّ اولادنا لا يرون امامهم مثالاً يقتدون بهِ ويحيكون على منوالهِ الاَّ ما يقرأُونهُ في كتب السير عن فلان الفقيه وفلان الشاعر وفلان المحدّث

وقد عنَّ لنا ان نستفتح هذا الجزء وهذه السنة بسير اناس ليسوا من الامراء ولا من الفقهاء ولا من الشعراء بل من ارباب الاعمال والاموال الذين نشأُوا في عصر الامن واليهم يُنسب جانب كبير من تقدُّم البلدان الاوربيَّة والاميركيَّة . وسننشر ترجمة واحد او اثنين في كل جزء من الاجزاء التالية واذا وقعت لنا ترجمات رجال من الوطنيين يحقُّ لهم ان يذكروا بين ارباب الاعمال والاموال لم نتأخر عن نشرها لكي تكون انموذجاً يحتذيهِ طالبو النجاح في غير مناهج العلم والامارة . وغنيٌّ عن البيان اننا نضطر احياناً ان نذكر ترجمة بيت كبير لان اعضاءه سائرون في خطة واحدة . واذ قد تمهَّد ذلك نتقدم الى ذكر التراجمات

(١) بيت رتشيلد

بيت رتشيلد اكبر البيوت المالية بلا مشاحَّة ولهُ العلاقة الكبرى بالحكومة المصرية لانها مديونة لهُ بملايين كثيرة من الجنيهات وعلاقتهُ بحكومات اوربا وآسيا اعظم من علاقة اي بيت كان . وكلمةٌ منهُ تكفي لخراب الوف من البيوت المالية ولعمار الوف غيرها وهو عنوان الثروة والنخوة واصالة الرأي

اصل هذا البيت من مدينة فرنكفورت بالمانيا فقد نشأ هناك تاجر صغير منذ ١٥٠ سنة وولد لهُ ولد سماهُ ماير وكان اقصى مرامهِ ان يصيرهُ حاخاماً لكنهُ لم يكن كما رام ابوهُ بل شبَّ ماهرًا في المساومة والمتاجرة فدخل في خدمة بيت اوبنهيم من صيارفة هنوفر واظهر من الحذق والامانة والاقتصاد ما جعلهُ من عداد المديرين في ذلك البيت

ثم ترك بيت اوبنهيم وعاد الى فرنكفورت واخذ يتعاطى الصرافة والتجارة واقتصر اخيرًا على الاعمال المالية : وكان النصارى يكرهون اليهود ويقاطعونهم لكن ماير هذا كان محبباً اليهم لصدقهِ وامانتهِ فلقبوهُ باليهودي الامين فاثرى وصادق امير هس فأتمنهُ على اموالهِ واستدانت منهُ حكومة الدنمارك مبالغ وافرة وكان ذلك سنة ١٨٠٤ فعظم شأنهُ جدًّا

وحدث حينئذٍ ما فتح لهُ ينابيع الثروة وذلك ان اوربا كانت كلها قائمة على بونابرت خوفاً من بطشهِ وحاول امير هس ان ينتفع من قيامها كما انتفع غيرهُ من امراء المانيا وذلك بان يجنّد

رجال بلاده ويؤجرهم للانكليز لكي يحاربوا بهم بونابرت وبلغ بونابرت ما فعل فسيَّر فصيلة من جنده لكي تقبض عليهِ وتنهب بلاده' فلجأ الى الفرار وودع كل امواله عند ماير رتشيلد

ولما دنت الجنود الفرنسوية من فرنكفورت علم رتشيلد انها ستدخل داره' لا محالة وتنهب ما فيها فاخذ اموال الامير وطمرها في قبو تحت بيتهِ واقام في البيت مقام من يحاول الاحتفاظ باموالهِ . ودخلتهُ الجنود الفرنسوية فاخذ يتوسَّل اليهم لكي يعفوا عنهُ وعن جانب من اموالهِ فعفوا عنهُ ولكنهم نهبوا امواله' كلها وكل ما وجدوه' في بيتهِ. ولو اخفى امواله' لبحثوا عنها ووجدوها ووجدوا اموال الامير ايضاً فافتدى اموال الامير باموالهِ . ولما انصرفوا عن المدينة اخرج اموال الامير وارسلها الى ابنهِ في بلاد الانكليز وكان قد ذهب اليها فاستعملها فيها وهي اساس غناه'

ولما عاد الامير الى فرنكفورت اخبره' رتشيلد ان امواله' لم تزل محفوظة له' . ولا بدَّ من ان يكون قد علم كيف افتداها له' باموالهِ فسر بذلك ورد له' ما خسره' وابقى الاموال عنده' ليستعملها بربًا قليل واهدى الى ابنهِ هدايا سنية

واشتهر اسم رتشيلد حينئذٍ وكان الانكليز مضطرين ان يرسلوا النقود الى البلدان الاوربية نفقة للجنود ورشوة للملوك ولم يستطع احد ان يلبي طلبهم مثل ماير رتشيلد فربح بذلك ربحًا وافرًا لان الجزاء على قدر العمل وما فيهِ من الخطر . ويقال انهُ ربح مليون جنيه بارسال النقود الى الجنود الانكليزيَّة وانصارها في اسبانيا في اقل من ثماني سنوات . ولما رأت الحكومة الانكليزية همتهُ ومقدرتهُ عينتهُ لدفع الرواتب التي كانت تدفعها الى ملوك اوربا لكي يبقوا على مقاومتهم لبونابرت. وتوفي سنة ١٨٠٢ بعد ان بلغت ثروتهُ ملايين كثيرة وجمع بنيه الخمسة قبل وفاتهِ واوصاهم قائلاً . "احفظوا شريعة موسى . ابقوا على اتحادكم. شاوروا امكم في كل عمل كبير تريدون عمله' واعتمدوا على رأيها . احفظوا هذه الوصايا الثلاث فلا تلبث الدنيا ان تصير لكم"

وفعل ابناؤُه' حسب وصيتهِ فبقوا على اتحادهم واقتسموا ممالك اوربا فبقي اكبرهم في فرنكفورت وذهب واحد منهم الى فينَّا وواحد الى باريس وواحد الى نابلي وواحد الى لندن. واتفقوا على ان يدير كلٌّ منهم القسم الذي اختصَّ بهِ ويعتمد على اخوتهِ في الاعمال العمومية لتكون مشتركة فصار كلٌّ منهم بمقام خمسة لان كل واحد منهم كان يُعلم اخوتهُ بما يقف عليهِ من الاخبار ويعينهُ ويستعين بهِ في الاعمال فاثبتوا المثل القائل ان الاتحاد قوة

واسم الولد الذي اختار بلاد الانكليز ناثان جاءها في صباه' كما تقدَّم لكي يثري فيها . قيل قال له' بعضهم لما شاخ "عسى ان لا يشبَّ اولادك محبين للمال مثلك ولا اظن انك تودُّ ذلك" فقال "بل انا اودُّه' واودُّ ان لا يكون لهم همٌّ غير توسيع اعمالهم وتثمير اموالهم ولا

لذة للمرء بغير التعب . وجمع المال الكثير يقتضي كثيراً من الجهد والحذر ولكن حفظهُ بعد جمعهِ يقتضي عشرة اضعاف ما اقتضاهُ جمعهُ من المهارة"

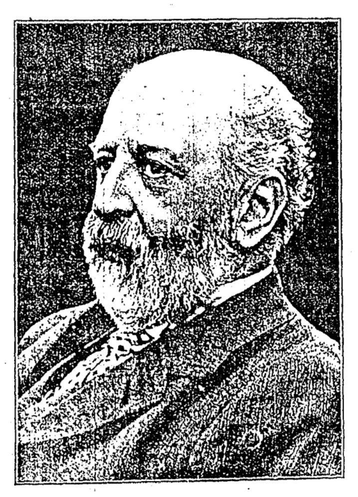
ولما جاء ناثان الى بلاد الانكليز ذهب الى منشستر اولاً لانهُ كان يتاجر بالمنسوجات الانكليزية وجاء فرنكفورت تاجر انكليزي وكأنهُ احتكر البضائع الانكليزية فاغتاظ ناثان منهُ ذات يوم وقام الى منشستر ومعهُ كل ما استطاع ابوهُ ان يعطيهُ من المال ووجد البضائع رخيصة جدًّا فيها فابتاع بكل ما معهُ من النقود وربح ربحاً وافراً . ثم رأى ان ابواب الكسب من تلك البضائع ثلاثة من المتاجرة بالمواد الاصلية كالقطن والصوف ونحوهِ ومن المتاجرة بالاصباغ التي تصبغ بها المنسوجات وتطبع ومن نسجها فقال لاصحاب معامل الغزل والنسج اني اقدم لكم المواد الاصلية والاصباغ وانتم تقدمون لي المنسوجات فنتنأث ربحهُ وكان معهُ عشرون الف جنيه فصارت ستين الفاً في وقت قصير . ثم وردت عليهِ اموال امير هس كما تقدَّم وكانت نحو ستمئة الف جنيه فمضى الى مدينة لندن واقام فيها وكان يثق ان انكلترا ستقهر بونابرت اخيراً فترتفع اوراقها المالية عما انحطت اليهِ حينئذٍ فجعل يشتري كل ما تصل اليهِ يدهُ منها و يساعد الحكومة الانكليزية في نقل الاموال كما تقدَّم . وكان يربي حمام الزاجل لنقل الاخبار اليهِ بسرعة لان التلغراف لم يكن قد اختُرع فعجز الماليون عن مناظرتهِ وكان تحت يدهِ جمهور من السماسرة يبيعون لهُ و يشترون فاذا اراد ان يشتري اوراقاً مالية امر بعضهم ان يبيعوا الفاً منها والبعض الآخر ان يشتروا عشرة آلاف كما يفعل كثيرون من المضاربين وهو عمل قبيح لا نظن ان اولادهُ يفتخرون بهِ او يحاولونهُ

و يروى انهُ لما حدثت واقعة ووترلو التي تم فيها الفوز على بونابرت وأُخذ اسيراً كان ناثان رتشيلد هذا مع الجنود الانكليزية فاسرع الى لندن واشاع ان الفوز كان لبونابرت فهبطت الاوراق المالية كثيراً وابتاعها كلها بواسطة سماسرتهِ ولكن هذه القصة مكذوبة وحقيقتها انهُ كان لهُ وكيل في بروكسل فاسرع الى بلاد الانكليز بعد المعركة واخبرهُ بها قبلما وصل الخبر الى رئيس الوزراء وكانت خزائنهُ مملوءة من الاوراق المالية من غير ان يشتري شيئاً جديداً منها فربح كثيراً لكن ربحهُ الاوفر ومقامهُ السامي لم يكونا من تعاملهِ بالاوراق المالية بل من اقراض الاموال للحكومة الانكليزية وغيرها من الحكومات

وكان داهيةً يتاجر ويضارب ويحتكر ويرابي وخدمهُ السعد لانهُ قام في زمن الحرب وهو زمن الربح للماليين لكنهُ لم يسلم من نغص العيش . قال لهُ بعضهم مرةً هنيئاً لك فقال لهُ من اين الهناء وكثيراً ما يصل اليَّ مكتوب يقول لي فيهِ كاتبهُ اما ان ترسل خمس مئة جنيه الى

المكان الفلاني او اطير دماغك

ومع دهائهِ غلبهُ رجل آخر في الدهاء فان هذا الرجل رآهُ مرةً ذاهباً في المساء الى مكتبهِ مع اثنين آخرين فتبعهم ودخل المكتب وراءهم فجأة ووقع على الارض مغمى عليهِ فقام رتشيلد ورفيقاهُ يحاولون ايقاظهُ وهو لا يبدي حراكاً واخيراً تركوهُ حاسبين انهُ لا يعي على شيء وجعلوا يتذاكرون في الامر الذي جاءوا للمذاكرة فيهِ واتفقوا على شيء وخرجوا واوصوا البوَّاب



(لورد رتشيلد)

ان يعتني بهِ لكن الرجل انتفض بعد خروجهم وهرول الى البورصة واشترى كل الاوراق التي اقرَّ رتشليد على ابتياعها وهو يذاكر ذينك الرجلين

وتوفي ناثان رتشيلد سنة ١٨٣٦ وكان لهُ ثلاثة ابناء اكبرهم ليونل نخلف اباهُ وفاقهُ في اصدار القروض المالية فصار كلما تولى اصدار قرض يُقدِم الماليون على الاشتراك فيهِ حالاً فاذا طلبت حكومة مليون جنيه قرضاً وتكفل رتشيلد باصدار سنداتهِ اقبل الماليون على

ابتياعها ودفع المال المطلوب حتى اذا كانت العمولة من ذلك خمسة في المئة بلغ ربحهُ منها خمسين الف جنيه واذا كان القرض عشرة ملايين بلغ ربحهُ خمس مئة الف جنيه

واشتهر ليونل رتشيلد بانهُ حفظ السلم في اوربا ومنع بنك انكلترا من الافلاس وكان اكبر سند للحكومة الانكليزية وهو الذي اقرضها المال لابتياع اسهم ترعة السويس من الحكومة المصرية واقرض اسمعيل باشا الخديوي الاسبق الاموال التي بذرها في ما يجدي وما لا يجدي فمهد الطريق للاحتلال . وتوفي سنة ١٨٧٩ وخلفهُ ابنهُ لورد رتشيلد الذي اعطي لقب اللوردية سنة ١٨٨٥ وهو المرسوم في الصفحة السابقة

ولبيت رتشيلد مآثر كثيرة شملت ابناء امتهم والبلدان التي استوطنوها وهم من اكبر دعائم الحضارة في هذا الزمان وبهم نفاخر الاوربيين والاميركيين فنقول لهم هؤلاء من الاسرائيليين ابناء فلسطين وقد غالبوكم في بلادكم وغلبوكم ولولا فساد الاحكام الذي استولى على هذا القطر والقطر الشامي منذ الف سنة فاكثر لبقي زمام المال في يد ابناء المشرق

(٢) وليم هنري سمث بائع الجرائد

لا نظن ان قارئاً من قرَّاء المقتطف يقرأ هذا العنوان الاَّ ويستغرب اننا نحشر باعة الجرائد بين ارباب الاموال ويزيد استغرابهُ اذا علم ان صاحب الترجمة ارتقى من بيع الجرائد الى ان صار وزيراً من وزراء الانكليز ورئيساً لمجلس النواب الانكليزي فوق ما جمعهُ من الثروة الطائلة من بيع الجرائد ومات منذ عشر سنوات وترك مليوناً و ٧٧٦ الف جنيه عدا العقارات الكثيرة ولا يزال بيتهُ يبيع الجرائد الى الآن

كان ابوهُ وليم سمث بائع جرائد وورق واقلام وما اشبه مما يطلبهُ الكتاب وكان عالي الهمة لا يكلُّ ولا يملُّ جعل شعارهُ "السابقون السابقون" فكان يستلم الجرائد من المطابع حال صدورها ويوزع بعضها في انحاء المدينة ويرزم البعض الآخر ويرسلهُ الى الجهات البعيدة واستخدم اناساً كان يركبهم خيولاً سريعة العدو لكي يسبقوا غيرهم في ارسال الجرائد الى اصحابها . ولما شبَّ صاحب الترجمة اراد ان ينتظم في سلك خدمة الدين فمنعهُ ابوهُ عن ذلك واشركهُ معهُ في عمله وكان الاب صعب المراس مع ما اتَّصف بهِ من الهمة والانصاف لكن الابن كان من الين الناس عريكة كما كان من اعلاهم همةً واكثرهم اجتهاداً . فكان ينهض كل يوم الساعة الرابعة صباحاً ويلبس ويفطر ويمضي الى مكتبهِ فيكون فيهِ الساعة الخامسة صيفاً وشتاء ويشرع للحال في فرز جرائد الصباح ولفها وارسالها الى حيث يجب ان ترسل واتسع عملهُ بسرعة فائقة واضاف الى بيع الجرائد التزام بيع الكتب في محطات سكك الحديد وكان يبيع فيها الكتب المفيدة

والروايات الادبية لاغير فكان ذلك من افعل الوسائل في اصلاح آداب الامة الانكليزية

ونشبت حرب القرم وبعثت جريدة التيمس مكاتبًا خاصًا اليها وكان التلغراف قد مُدَّ وصارت الاخبار تنقل بهِ فزاد اقبال الناس على قراءتها اضعافًا كثيرة وكان وليم هنري سمث البائع الوحيد لها في البلاد الانكليزية فزاد ربحهُ من ذلك ومن ازدياد سكك الحديد وكثرة محطاتها فصار معدودًا بين ارباب الثروة وانتُخب عضوًا في مجلس النواب سنة ١٨٦٨ وجُعل



(وليم هنري سمث)

وزيرًا للمالية سنة ١٨٧٤ وللبحرية سنة ١٨٧٧ وللحربية سنة ١٨٨٥ واعيد الى وزارة المالية في وزارة سلسبري السابقة وجُعل رئيسًا لمجلس النواب وتوفي وهو في ذلك المنصب . ولما جُعل وزيرًا للبحرية سلَّم اشغالهُ لاناس اكفاء لادارتها واستراح من عنائها . ويعدهُ قومهُ من دعائم بلادهم وحسبهُ فخرًا انهُ ربح من بيع الكتب والجرائد مليونين من الجنيهات ولم يبع قصة مجونية ولا باع جريدة تطبع يوم الاحد لكي لا يخل بعقيدتهِ الدينية

عمران دمشق

« مدارسها »

من طالع فهارس الكتب العربية ودخل دور الكتب الشهيرة يعلم ما كانت عليهِ الامة العربية من التوفر على التأليف في كل فن وعلم ايام اقتعادها غارب العز الاقعس وافتراعها اعراف المجد الاثيل . ومن طاف في بلاد دمشق وضاحيتها وشاهد ما هناك من آثار طامسة ومدارس دارسة يدرك ولا شك ما كان في هذه الحاضرة من صنوف العمران وضروب الحضارة والغضارة ايام كانت سوق العلم نافقة وكلمة العدل نافذة

ولقد ذهب بعض متأخري المؤرخين الى ان المدارس بدمشق كثرت على عهد الدولة الاموية وهو وهم لا دليل عليهِ من التاريخ البتة فقد ظهر بعد البحث ان المدارس في الاسلام على هذا الطرز المعروف لعهدنا لم تكن الاَّ في اواخر القرن الخامس للهجرة . قال السيوطي في محاضراتهِ ان اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتَّب فيها لهم المعاليم من المواجب والارزاق نظام الملك يعني هو اول من بني في العراق . ونظام الملك هو ذاك الوزير الكبير الذي تفتخر بهِ الدولة السلجوقية التركية وهو مؤسس المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩ المعدودة من اعظم كليات المسلمين

ويؤخذ من مطالعة كتب السير ان تاريخ المدارس في هذه الحاضرة يُرَدُّ الى عهد الملك العادل نور الدين الشهيد وحاشيتهِ وذريتهِ فانهُ كان اول من تقرَّب بهذه المآثر وعُني باشادتها على ما سيجيء . وربما خطر لبعض الناس ان هذه المدارس البادية انقاضها للعيان اليوم في سفح قاسيون والشرفين عمرت وسط البساتين والحدائق كما هي الآن والصحيح انها لم تكن الاَّ وسط عمران مسبطرّ من دور وقصور ومصايف وقرى

قال البدري ومن محاسن الشام الصالحية وهي مشحونة بالزوايا والترب والمدارس والقرب تمشي بها بين ترب ومدارس ببناء جميل استولت عليها يد المباشرين والنظار فازالوا منها العين فلم يبقَ سوى الآثار فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح وامست في ظلمة بعد تلك المصابيح وهي تقول اصبحت حاصلاً بعد ما كان ايواني بالقراءة عامرًا آهلاً وهذه تقول اصبحت مربطًا للبهائم بعدما كنت معبدًا للصائم والقائم وهذه تقول اتخذوني مسكنًا وهذه تقول جعلوني متبنًا وهذه تقول هدوني واخذوا سقفي وكشفوني وهذه تقول خربوا جداري وباعوا الباب وجعلوني مأوى للكلاب

هذا ما رأيت بهِ المدارس في القرن التاسع فبمَ ترثي اليوم وقد امسى معظمها مجمعًا للزبلات والخبائث ومستودعًا للقمامات والقاذورات . وما برحت انقاضها تسرق سرًّا وجهرًا واوقافها تضيع بين رجع السماء وصدع الارض وما بقي منها يدعى باسم مدرسة او عمره بعض ارباب النظائر من المتأخرين يؤثر العاقل ان يكون خرابًا يبابًا من ان يشاهدهُ على هذه الصفة حقيرًا بناؤهُ وخيمةً غرفهُ وافنيتهُ مخالة اصول التعليم فيهِ وان شئت التصريح فقل ان دروس العلم اعتيض عنها منذ أُبطل امتحان طلاب العلوم كل عام بالهزل والهذيان وتعطيل الوقت في ما لا يجدي الانسان ولا يرضي الديَّان

وقد كان بدمشق سبع دور للقرآن وثماني عشرة دارًا للحديث وسبع وخمسون مدرسة للشافعيَّة واحدى وخمسون مدرسة للحنفيَّة واربع للمالكيَّة وعشر للحنابلة وثلاث مدارس طبيَّة وهي الدخوارية انشئت سنة ٦٢١ واللبودية انشئت سنة ٦٦٤ والصلاحيَّة انشئت سنة ٦٧٠ وكان بها صيدليَّة منظمة والربيعيَّة غربي البيمارستان النوري . ولا اثر في عهدنا لتلك المدارس الطبيَّة

هذه هي المدارس التي كانت بدمشق فتخرَّج فيها قديمًا العلماء والفقهاء والخطباء والشعراء والاطباء والقضاة والولاة . ويؤخذ من تقويم الحكومة المحلية ان المدارس الباقية هنا الآن ثلاثون مدرسة الآن تقويم المعارف يعدد اكثر من ذلك ويرى ان المدارس العامرة بطلابها ومشايخها هي خمس عشرة مدرسة وهو الصحيح يسكنها والاحناف الشوافعة والمالكية والحنابلة على السواء

ومن المدارس التي انشئت في القرن المنقضي مدرسة المرادية لصاحبها الشيخ مراد المرادي وكانت قبل ذلك خانًا يسكنهُ اهل الفسق والفجور وكذلك بنى مدرسة في دار بجانة سوق ساروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية مع مسجد . ومن المدارس الحديثة مدرسة سليمان باشا العظم اسست في باب البريد سنة ١١٥٠ وهي الآن مكتب للاناث ومدرسة عبد الله باشا العظم في سوق السلاح اسست سنة ١١٩٣ ومدرسة اسماعيل باشا العظم في سوق الخيَّاطين اسست سنة ١١٤١

ولما ارادت الدولة العثمانية بث المعارف بين الرعايا وتربية الناشئة بحيث يصلحون لخدمة افكارها شرعت على عهد السلطان عبد المجيد خان بتأسيس بضعة مكاتب وكتاتيب في العاصمة وبعض الولايات القريبة منها تدرس فيها مبادئ اللغات التركية والفارسية والعربية والافرنسية وبعض العلوم العصرية وزادت النهضة على عهد السلطان عبد العزيز خان لكنها لم تبلغ

دمشق الاّ منذ اثنين وعشرين عاماً في ولاية الوزير مدحت باشا الثانية فأسس مع ما اسس من المشروعات النافعة مدارس ابتدائية للاطفال كما شاد داراً حسنة للصنائع يأوي اليها اليتامى . ومن الغريب ان المدارس التي عُني بانشائها عندنا لم يكثر عددها و يتزايد انتظامها من بعده بل امست قليلة العدد والجدوى. هذا في مدينة دمشق حيث الحاجة اشد ما تكون ماسة الى المدارس العالية فضلاً عن الابتدائية اذ يحل هنا الروس والروم والفرنسيس والانكليز واليهود وغيرهم فيؤسسون ما شاءوا من مدارس وكتاتيب يقبلون فيها ابناء الطوائف كافة فما بالك في الضاحية التي تكاد لا تخلو اهم قراها من مدارس يتولى امرها المرسلون على اختلاف لغاتهم واديانهم و يربون اولاد القرى على المبادي‌ء التي يريدونها

وياليت المعارف تبذل ربع ما تستوفيهِ في سورية من الاعشار باسم السبع والربع ومن الجبايات ستة بالمئة لتصرفهُ على تعليم الناس . مثال ذلك جبل عجلون وفيهِ ماية وخمس قرى فان اهلهُ يؤدون للمعارف زهاء اربعة آلاف ليرة عثمانية سنوياً ثم لا نجد في كل بلادهم على كبر رقعتها وكثرة سكانها سوى اربعة مكاتب ابتدائية حقيرة لا تصرف عليها المعارف ماية وخمسين ليرة في السنة

واكبر مدارس الحكومة اليوم في هذه الحاضرة مكتبان اعداديان الاول عسكري اسس سنة ١٢٦٦ هـ والثاني ملكي اسس في ١٩ آب ١٣٠٤ حساباً شرقياً يكون الاول غربي المدينة في جامع تنكز والثاني في شرقيها في اجمل دور الفيحاء كان لغنيّ اسرائيلي فاحترق فابتاعتهُ جمعية المعارف وجعلتهُ مكتباً ملكياً. و يعد من المكاتب الكبيرة ايضاً المكتب الرشدي العسكري وهو بمثابة المدارس الابتدائية او ارقى منها درجة وتلامذتهُ يتراوحون بين الخمسمائة والستمائة غالباً وقد أُسس في جامع يلبغا سنة ١٢٩٣ هـ . ويؤخذ من احصاء نشرتهُ رئاسة المعارف بدمشق في العام الماضي ان بدمشق سبعة كتاتيب ابتدائية اميرية للذكور فيها ٥٥٤ طالباً وستة مكاتب للاناث فيها ٣٨٤ طالبة وان عدد الكتاتيب الخاصة ٨٥ كتاباً للذكور وكتاتيب الاناث ٨٠ فيها كلها ١٢٨٦٠ طفلاً وطفلة . اما مدارس الاجانب فلم ارَ احصاء بها والحكومة لا تعترف رسمياً الاّ بعدد قليل منها اذ الظاهر انهُ أُسس معظمها بلا استئذان ولكن دعوتها سارية وتعاليمها مبثوثة

ولقد همَّ القوم مراراً لتأسيس مدرسة وطنية في هذه المدينة لكنهم رجعوا على الاعقاب اذ لا يعرفون الطرق المنتجة وكل شعب غير منور لا يجيد القيام على مثل هذه الشؤون ما لم تأخذ حكومتهُ بيدهِ وتدلهُ على سواء السبيل بل كل حكومة ربت شعبها على الخضوع المطلق

وتقديس اعمالها ينبغي به الحال ان لا يعمل عملاً ما قلَّ او جلَّ

خانقاهاتها

كان بدمشق ستة وعشرون خانقاها . والخانقاه كلمة فارسية مركبة اصطلاحية وهي دار للفقراء ومأوى الدراويش . جاء في محاضرة السيوطي ان اول من بنى خانقاهًا للصوفية بمصر من الملوك السلطان صلاح الدين بن يوسف ورتب للفقراء الواردين ارزاقًا معلومة . ومن قبيل ذلك الرباط وهو مسكن الدراويش والفقراء وكان بدمشق اثنان وعشرون رباطًا . ومن قبيله ايضًا الزاوية وكان بها ست وعشرون زاوية

مستشفياتها

اقامة دور للبائسين ومآوي للضعفاء واصحاب العاهات والزمانات من امارات الحضارة ودلائل ارتقاء الانسان. قيل ان اول من اتخذ المستشفيات في صدر الاسلام الوليد بن عبد الملك كما كان اول من اتخذ دار الضيافة للواردين فانهُ اقام في دمشق على ما يروى مستشفى للمجذومين باقرب من الباب الشرقي في محل يسمى الآن بالاعاطلة لما ان في ماء دمشق على ما قالوا سريرة لدفع مرض الجذام عن اهلها فلم يصبهم البتة والغريب المصاب به تكسر عنهُ عاديتهُ اذا نزل بها او يتوقف عنهُ سيرهُ . قال ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم كان يُعطي اكياس الدراهم لتفرَّق على الصالحين وفرض للمجذومين وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مُقعد خادمًا وكل اعمى قائدًا . وروى البلاذري في فتوح البلدان ان عمر بن الخطاب عند مقدمهِ الجابية من ارض دمشق مرَّ بقوم مجذَّمين من النصارى فامر ان يعطوا من الصدقات وان يجري عليهم القوت

كان بدمشق بحسب ما وقفت عليهِ ثلاثة مستشفيات الاول انشأهُ نور الدين الشهيد كما انشأ غيرهُ في البلاد وكان بيمارستان دمشق اعظمها واكثرها خرجًا ودخلاً . قال صاحب الروضتين بلغني في اصل بنائهِ نادرة وهي ان نور الدين رحمهُ الله وقع في اسرهِ بعض اكابر ملوك الفرنج فقطع على نفسهِ في فدائهِ مالاً عظيمًا فشاور نور الدين امراءهُ فكل اشار بعدم اطلاقهِ لما كان فيهِ من الضرر على المسلمين ومال نور الدين الى الفدى بعد ما استخار الله تعالى فاطلقهُ ليلاً فلما بلغ الفرنجي مأمنهُ مات وبلغ نور الدين موت الفرنجي فبني بذلك المال هذا البيمارستان ومنع المال الامراء لانهُ لم يكن عن ارادتهم . تولى بناءهُ كمال الدين بن الشهرزوري وكان في الدولة النورية الحاكم المتحكم بدمشق وهو الذي تولى بناء اسوارها ومن دار العدل لتنفذ احكامهُ بحضرة السلطان فلا يبقى عليهِ مغمز ولا ملمز

ظلَّ هذا المستشفى عامرًا الى سنة ١٣١٧ ﻫ واوقافهُ تكاد تكون دارةً يتولاهُ نخبة من نطس اطباء تلك العصور . وفي ترجمة رشيد الدين بن علي بن خليفة ان الملك العادل ابا بكر بن ايوب لما سمع بسيرتهِ وعلمهِ ولاهُ طب البيمارستانين بدمشق اللذين وقفهما الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وهذا يدل على انهُ كان بدمشق بيمارستانان الاول النوري الكبير المتقدم وصفهُ والثاني بباب البريد . جاء في ترجمة عز الدين بن السويدي انهُ خدم في البيمارستان بباب البريد . وكان ايضًا بيمارستان آخر في الصالحية اسمهُ القيمري انشأهُ الامير ابو الحسن القيمري في القرن السابع ولم يبقَ الاَّ بعض جدرانهِ واصبح بافيهِ حديقة

وفي دمشق لهذا العهد اربعة مستشفيات او بيمارستانات — والبيمارستان كلمة فارسية مركبة معناها محل المرضى — الاول المستشفى العسكري وفيهِ يستشفي ضباط العسكر الخامس السلطاني واجنادهُ . وفي ١١ ذي القعدة ١٣١٥ احتفلت جمعية اسكتلندا الانكليزية بافتتاح المستشفى الذي اسستهُ بارداة سنية في ارض الزينبية على طريق حلب ونوى اللعازريون انشاء مستشفى قبالتهُ مجاراةً لهُ فلم يفتحوهُ حتى الآن لاسباب لا نعلمها على ان للراهبات الافرنسيات مستشفى قرب مدرسة اللعازرية أُنشيء منذ عهد بعيد

ومنذ اعوام شرعت بلدية دمشق بانشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي امام تكية السلطان سليمان خان وجمعت لهُ اعانات من الاهلين والمأمورين وفُرض شيء من المال على المراسح والمتنزهات من ممثلين وممثلات ومغنين ومغنيات وأُخذ مبلغ من واردات البلدية واوقاف المستشفى النوري حتى اذا كان ١٥ ذي القعدة ١٣١٧ احتفل بافتتاح المستشفى الجديد فصدرت الارادة السنية بتسميتهِ بالاسم الحميدي وجعلت بجانبهِ دار المعتوهين ودار للايتام وغيرها مما يتصرف تحت اسم مستشفى . وخُصصت اوقاف المستشفى النوري ومبلغ خمسمائة ليرة تؤخذ مسانهةً من واردات البلدية لتصرف على المستشفى الحميدي اما البيمارستان النوري فقد جعل مدرسة صنائع للاناث . وهكذا خلف المستشفى الحميدي المستشفى النوري وزادهُ رونقًا ورواءً مقبرة الصوفية التي ضمت اليهِ وجعلت حديقة للمستشفى مغروسة باشجار تلطف الهواء وتعدّل المناخ

دور كتبها

مَن يُصدّق الآن ان الكتب العربية كانت في هذه الديار قبل اختراع صناعة الطباعة اكثر عددًا ووفاءً بالحاجة منها في هذه الايام وان الاسفار الحديث تأليفها في المغرب كانت تسير الى المشرق بسرعة ويتعاقب عليها النقل وتتناولها ايدي الاساتذة والتلامذة وتزداد بها

الكتاب الخاصة والعامة خصوصاً على عهد تينك الخلافتين الاموية المغربية والعباسية المشرقية وانهُ كان من انتظام المدارس الدينية في تلك الاعصر ان لكل منها دار كتب لائقة مُسبلة على المراجعة والدرس متوفرة فيها شروط التعلم والاستنساخ

ذُكر في فتاوى التقي السبكي صكُ وقف دار الحديث الاشرفية المعروفة الى الآن فجاء فيهِ هذا : و يُصرف الى الشيخ المحدّث في كل شهر تسعون درهماً (هي نسبية وربما ناهزت الثلاثين ليرة بمعاملة اليوم) وهو ابو عمرو ابن الصلاح ولنسلهِ خمسون درهماً الى ان ينقرض آخرهم. قال ويُصرف الى خازن الكتب ثمانية عشر درهماً في كل شهر وعليهِ الاهتمام بترميم الكتب واعلام الناظر او نائبهِ ليصرف فيهِ من مغل الوقف ما يفي بذلك وكذلك اذا مست الحاجة الى تصحيح كتاب ومقابلتهِ . وجاء فيهِ وجعل جزءًا من الوقف يُصرف على مصالح المدرسة النورية ومن ذلك ان يُصرف في شراء ورق وآلات نسخ من مُركّب (حبر) واقلام ودُويّ ونحو ذلك ما يقع بهِ الكفاية لمن ينسخ في الديوان الكبير او قبالةُ الحديث او شيئاً من علومهِ او القرآن العظيم او تفسيرهُ و يصرف الى من يكتب في مجالس الاملاء والى من يتخذ لنفسهِ كتباً او استجازة ولا يعطى من ذلك الأ لمن ينسخ لنفسهِ لغرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والانتفاع بثمنهِ. قال وللشيخ الناظر ان يستنسخ للوقف او يشتري ما تدعو الحاجة اليهِ من الكتب والاجزاء ثم يقف ذلك اسوة ما في الدار من كتبها . كُتب سنة ستمائة واثنتين وثلاثين اه

قلتُ انها كانت وافية بالحاجة لتعددها وتنوعها . ومما رواهُ العماد الكاتب انهُ كان لبيع الكتب في قصر صلاح الدين يوسف بن ايوب كل اسبوع يومان وخزائنها في القصر مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالمعروف فقيل للامير بهاء الدين قراقوس متولي القصر هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمينها والغث ولا غنى عن تهويتها ونفضها واخراجها من بيوت الخزانة الى ارضها . وهو تركي لاخبرة لهُ بالكتب ولا دربة لهُ باسفار الادب فاخرجت وهي اكثر من مائة الف من اماكنها واختلط ادبيها بنجوميها وشرعيها بمنطقيها وطبيها بهندسيها وتواريخها بتفاسيرها ومجاهيلها بمشاهيرها وكان فيها من الكتب الكبار وتواريخ الامصار ومصنفات الاخبار ما يشتمل كل كتاب خمسين او ستين جزءًا مجلداً . . . .

وذكر المقريزي في الخطط اعاجيب بشأن خزائن كتب الفاطميين بمصر . وفي ترجمة نصير الدين الطوسي الرياضي المشهور المتوفى سنة ٦٧٢ انهُ ابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الارجاء وملأَها من الكتب التي نهبها هولاكو التتري من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على اربعمائة الف مجلد . وهكذا ظلّت اسفارنا تسافر

في البلاد حتى اذا عرا الامة ذلك الجمود العجيب تطاولت الايدي الى نهب الكتب فتمزَّقت شذر مذر وزهد الناس فيها الاّ ما كان منها في فروع الدينيات اللازمة لبعض الشيوخ وبقي العلم عندنا كما كان باوربا في القرون الوسطى مختصاً برؤساء الدين لا يكاد يتعدى جدران الصوامع والجوامع ودهاليز الاديرة والبيع حظ سائر الطبقات حظ العجماوات يأكلون ويشربون وينامون ويتناسلون وحظ سائر علوم البشر الدثور والعفاء

ولقد تدرجت الحال باصحاب الاطماع حتى انتقلوا من نهب المكاتب الخاصة الى العامة بمساعدة قوَّامها حتى اذا كان عام ١٢٩٨ هـ تنبه بعض اهل البصر من حملة العلم وفي مقدمتهم العلاّمة الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري فسعوا بواسطة الحكومة المحلية الى جمع ما تفرَّق في الخزائن العامة من الاسفار وبعد ممانعات شديدة ممن يرومون كتم العلم وابقاء الناس في عماية جملوها في شطر من مدرسة الملك الظاهر بيبرس قبالة العادلية الكبرى ونصبوا عليها قوَّاماً ووضعوا لها شرائط المكاتب في البلاد المتمدنة فجاءت مكتبة مؤلفة من ٢٤٥٣ كتاباً متنوعة عدا الدشت او الكراريس والاوراق المتفرقة . والاصل أُخذ من عشر مكاتب مكتبة المدرسة العمرية بالصالحية وهي قديمة العهد وقفها بعض اهل الخير . ومكتبة مدرسة عبد الله باشا العظم وقفها سنة ١٢١١ وضمَّ اليها كتباً وقفها والده محمد باشا سنة ١١٩٠ . ومكتبة سليمان باشا العظم وقفها سنة ١١٩٦ كانت بمدرسة باب البريد . ومكتبة اعلا عثمان الكردي كانت بمدرسة السليمانية ايضاً . ومكتبة مدرسة الخياطين وقفها اسعد باشا العظم بعد سنة ١١٦٥ وكان مقرُّها بمدرسة والده اسماعيل باشا . ومكتبة المرادية بمدرسة الشيخ مراد المرادي النقشبندي . ومكتبة المدرسة السميساطية وهي قديمة العهد وقفها بعض اهل الخير . ومكتبة الياغوشية كانت موضوعة في مدرسة سياوس باشا بالشاغور . ومكتبة الاوقاف وهي مؤلفة من عدة مكاتب حُفظت بقاياها . ومكتبة بيت الخطابة كانت بحجرة الخطابة بالجامع الاموي . ومن كتب أُخرى موقوفة

ومن الكتب المخطوطة المهمة في هذه الدار الآن كتاب الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي وهو اكثر من مئة وعشرين مجلداً في فن التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والرد على الفلاسفة واسماء الرجال وعلوم شتى والموجود منهُ ٤٢ جزءاً . والغريب في الحديث كثير منها اجوبة الامام احمد عن اسئلة ابي داود السجستاني كتبت سنة مايتين وست وستين . والبحر المحيط في اصول الفقه للبدر الزركشي في خمس مجلدات . والجزء الاول من التذكرة للعلامة اميرك من علماء المعتزلة في علم الكلام . والاشارات الالهية للحكيم المشهور ابي حيَّان التوحيدي

في مخاطبة النفس بابلغ عبارة (الموجود منهُ الجزء الاول) . وشعب الايمان لعبد الجليل الاندلسي في التصوف والاخلاق . والرسالة الجامعة وهي جمع من جمع رسائل اخوان الصفا لمؤلفيها علماء الباطنية تقرأ عندهم بعد الرسائل المعروفة . والاول من سرّ الصناعة لابن جني في اسرار العربية . والصحائف اليونانية في مخاطبة النفس الانسانية . والضوء اللامع للسخاوي في تراجم اهل القرن التاسع خمس مجلدات كبيرة جدًّا . والثاني من مناقب الخلفاء الاربع لابي بكر ابن الطيب الباقلاني . وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الاندلسي والثالث من الجليس والانيس لابي الفرج المعافي بن زكريا . وكتاب الاحكام السلطانية للقاضي ابي يعلي . وتفضيل السلف على الخلف لابراهيم بن هبة الله . ورسالة الجاحظ في التنكيت والتبكيت لبعض من خالفهُ من علماء عصره . وكتاب معاني الشعر للاشناندانى في حلّ بعض الاشعار التي تحتاج الى روية زائدة . وديوان خالد الكاتب . والطب الروحاني لابن الجوزي في علم الاخلاق والاطراق فيما يتعلق بالمحدثين سبع مجلدات للحافظ جمال الدين المزّي . وكتاب الاحوال لابي عبيد بن سلام الازدي . وتاريخ ابن عساكر تام في عشرين مجلدًا . واجزاء من كتاب الامّ للامام الشافعي خامسها هو الخامس عشر منها . والجزء الخامس من الفتاوى المصرية لشيخ الاسلام ابن تيمية وهي في علوم شتى

هذا وفي المكتبة الآن ٢٦٠٠ مجلد مخطوط ويبلغ مجموع المخطوط والمطبوع اربعة آلاف مجلد منها بعض كتب في الفنون والادب أُحضرت حديثًا وهي من مطبوعات اوربا . والانتفاع حاصل بها لان للبلاد حاجة ماسة الى امثال هذه الدور التي قد لا تخلو منها بُليدة في المغرب مهما صغرت وسورية كلها على كبر رقعتها وكثرة مدنها ليس فيها سوى هذه الخزانة

محمد كرد علي

[المقتطف] ولما حُرِق الجامع الاموي حديثًا شاع انهُ وجد في خزانة كتبهِ نسخ قديمة من التوراة والانجيل وان امبراطور المانيا بعث باحد العلماء العارفين باللغة العربية واللغات القديمة الى دمشق للبحث عن هذه النسخ . فكتبنا الى اصدقائنا في بيروت ودمشق ليبحثوا عن ذلك فلم يجدوا للاشاعة صحة وانما وجدوا انهُ كان في خزانة الكتب نسخة قديمة من القرآن مكتوبة على رق الغزال مثل النسخة التي وجدت في جامع عمر بمصر القديمة وهي الآن في المكتبة الخديوية . ويحتمل انهُ كان في تلك الخزانة كتب أُخرى ثمينة وحرقت معما حرق

الطبع والعقل في الشرق والغرب

وطئ الغربُ شامة العلياء   برجالٍ ذوي نهىً وذكاء
قرّبوا بالبخار كلَّ بعيدٍ   وأزالوا الصعابَ بالكهرباء
كلَّ يوم لهم جديد اختراعٍ   واكتشافٍ في جبهة الانباء
ما اكتفوا بالمسير برًّا وبحرًا   كيف شاؤوا بلا اقلِّ عناء
بل سمت فيهمِ العزيمةُ حتى اسـ   تسهلوا السير تحت سطح الماء
وتحرَّوا مع ذي الجناحِ سباقًا   فامتطوا مثلهُ جناح الهواء
ليت شيخ المعرَّة الفيلسوف الـ   فردَ ربَّ القريض والانشاء
يُبعثُ اليوم مبصرًا كي يرى ما   جدَّ في ارضنا من الاشياء
لو رأى ما رأتهُ باريس من سنـ   توس ديمون طائرًا في السماء
لم يؤخر اصلاح صدر شهير   "سر ان اسطعت" قالهُ في الرثاء (١)
وبكى شرقهُ اسيفًا واهل الـ   شرق طرًّا اولى الورى بالبكاء
وأراهم مصداق ما يرتئيهِ   انهُ كان أصدقَ الآراء

ذهب كاتب العرب البليغ وشاعرها المفلق وفيلسوفها الحكيم الشيخ ابو العلاء المعري ان الانسان عرضة لقوَّتين شديدتي الحول عظيمتي الصولة تتنازعانهِ آناء الليل واطراف النهار فتجذبهُ هذه ذات اليمين وتقذفهُ تلك ذات اليسار . وهاتان القوتان هما الطبع والعقل فمن عصى عقلهُ واطاع هواهُ وساير الطبع الى حيث دعاهُ تولاَّهُ الجهل والغرور وتحكمت فيهِ الشهوات الطبيعية والملاذّ الحيوانية واستأثرت بهِ الاوهام والاباطيل واضلَّتهُ سواء السبيل ولم تُبقِ لهُ في خزانةِ قواهُ العقلية شيئًا يميزهُ عن الحيوان الاعجم . ومن استرقَّهُ الهوى واستعبدهُ الوهم فلا يرجى لهُ نموٌّ يتخذ دليلاً على كونهِ حيًّا ولهذا يعدُّ ميتًا وهو بعدُ في قيد الحياة

ومن عصى طبعهُ وأطاع نهاهُ واستعان بقوة عقلهِ على كبح جماح هوى النفس ومشتهى الطبع رأى سلَّم الارتقاء منصوبةً لديهِ من الارض الى السماء فارتقى الى اسمى الذرى ورأى من اسرار الطبيعة ما لا يرى وعني بملاحظة كل ما يحدث حولهُ ويعرض لديهِ ووفَّاهُ حقهُ من التجربة والاختبار وعكف على الاستقراء والاستنتاج رادًّا الحوادث الى مصادرها والمسببات

(١) اشارة الى قولهِ سر ان اسطعت في الهواء رويدًا

الى اسبابها والنتائج الى مقدماتها حتى اخذ بعنان الاستنباط والابداع . وملك ناصية الاكتشاف والاختراع

هذا ما دار في خلد ذلك الفيلسوف العربي منذ نحو تسع مئة عام وهي حقيقة عرضت لهُ في مرآة الخيال فنقصاها بالبحث والاستقراء وعرضها على كير الاختبار والامتحان حتى صفاها من شوائب الغموض وجرّدها من اعراض الخفاء وجلاها على ابناء جيلهِ جوهرةً تدهش الابصار والبصائر ومن دونها اغلى الحلى واكرم الجواهر . وان شئت ان ترى كيف احتفل ذلك الشيخ الحكيم بامرها . وقدرها حق قدرها . فعليك بمراجعة منظوماتهِ ولا سيما ديوانهُ المعروف بلزوم ما لا يلزم فانهُ لم يغادر فيهِ مقطوعةً او قصيدة الأ زان بهذه الجوهرة عقدها ووشى بطراز هذه الحقيقة بردها فمن ذلك قولهُ

كذب الظنُّ لا امام سوى العـ ـقلِ مشيرًا في صبحهِ والمساء
فإذا ما اطعتَهُ جلب الر حمةَ عند المسير والارساء

وقولهُ

لا تطيعي هواكِ ايتها النفـ ـسُ فنعمى المليكِ فينا ربيبه
فالزمي النسكَ ان عقلتِ وفري من ذوي الجهل كي تعدّي لبيبه

وقولهُ

عصاً في يد الاعمى يروم بها الهدى ابرُّ لهُ من كلِّ خدنٍ وصاحبِ
فأوسعْ بني حوَّاء هجرًا فإنهم يسيرون في نهج من الغيِّ لاحبِ
اذا ما اشار العقل بالرشد جرَّهم الى الغيِّ طبع أخذهُ اخذُ ساحبِ

وقولهُ

عجبًا لي اعصي من الجهلِ عقلي ويظلُّ السليم عندي جريحا
مثل قيسٍ غداة فارق لبنى عاد يشكو فيما جناهُ ذريحا

وقولهُ

الى الله اشكو مهجةً لا تطيعني وعالم سوءٍ ليس فيهِ رشيدُ
تحجّى مثل مهجور المنازل داثرٌ وجهلٌ كمسكون الديار مشيدُ

وقولهُ

يستحسن المرءُ دنياهُ فتقلقهُ والعين تستحسن الهنديَّ والزَّبدا
فازجر هواكَ وحاذر ان تطاوعهُ فانهُ لغويٌّ طالما عبدا

ولكنَّ اهلَ زمانهِ لسوءِ الحظِّ لم يستفيدوا مما قرَّرهُ علماً ولا ادباً ولا اتخذوا مذهبهُ لهم مذهباً بل عدّوا جوهرهُ عرضاً ودرَّهُ مخشلباً. ولم يكتفوا بعدم اعتبار هذه الحقيقة حتى كفَّروا صاحبها ورموهُ بسوء العقيدة وفساد الطريقة. ولا يزال الى يومنا هذا فريق كبيرٌ من ائمة الاديان ورؤساء المذاهب يحرّمون على اتباعهم تلاوة هذا الديوان زاعمين عفا الله عنهم أنَّ في تلاوتهِ عبثاً بالمعتقد وخطراً على الايمان

فلو بُعث ابو العلاء في هذه الايام وأُتيح لهُ أن يرى أبناء جنسهِ وباقي اهل الشرق لا يزالون من حيث الارتقاء العقلي والتقدم الادبي كما كانوا في زمانهِ ان لم نقل احطَّ منزلةً وادنى درجةً . يحفلون بالاضاليل والاباطيل وينزّلون الترهات والخزعبلات منزلة الوحي والتنزيل . ويقابلون الحقائق بالازدراء والإعراض . ويلهون عن الجواهر بالاعراض ويفخرون بما قد يكون ادعى الى الاستحياء والخجل . وهكذا يتقدمون الى وراء ويرتفعون الى اسفل

ثم أُتيح لهُ ان يرى اهل الغرب يزدادون غنىً وثروةً وعظمةً واقتداراً وقد خضعوا للعقل خضوع العبيد للسادات وطلَّقوا الطبع واهواءهُ طلاق البتات . وخلعوا نير التقليد واخلصوا سبك الحقائق العلمية بنار التجربة والامتحان فنما العلم عندهم وبسقت اغصانهُ وورفت ظلالهُ ودنت لهم مقاطفهُ ومجانيهِ . ولانت معاطفهُ ومثانيهِ واستعانوا بهِ على الصناعة حتى ابلغوها من الاحكام والاتقان حداً يدهش عندهُ الانسان من قدرة الانسان ويقول ليس في الامكان احسن مما كان . واتخذوهُ ذريعةً لبسط ظلِّ تجارتهم فاتسع في الخافقين نطاقها وامتدَّ رواقها ووشجت الى اقصاء الارض اعراقها . واحتفى ملوكهم وامراؤهم واغنياؤهم وعظماؤهم بالحكماء والعلماء والشعراء والادباء وقرَّبوهم اليهم وبالغوا في اكرامهم واجزلوا لهم الصلات والهبات ومكنوهم من التفرُّغ للبحث والتنقيب والتأليف والتصنيف وسهلوا لهم سبل الاختراع والاكتشاف فملَّكوا الانسان قياد البخار يدير بهِ آلات المعامل والمصانع ويقطع لجج البحار ويجوب عرض القفار ثم ذللوا لهُ قوَّة الكهرباء يستخدمها مكان البخار في قضاء كثيرٍ من الحاجات ويطير بها الانباء ويخاطب الاصدقاء ويحفظ من الاصوات ما شاء ويتأنَّق بها في كالياتهِ للانارة وغيرها

لو رأى شيخ المعرَّة هذا كلَّهُ في الغرب ورأى فيهِ ايضاً اناساً طائرين في الفضاء يشقّون عباب الهواء يحلّقون الى ارفع من مطار النسر ويجرّعون ذوات الجناح غصة الخوف والذعر . لو رأى سنتوس ديمون الطيَّار البرازيلي الشهير طائفاً حول قمة برج ايفل ثم صحبهُ الى لندن وسمعهُ يذكر المسافات المترامية التي وطن نفسهُ على قطعها في مركبتهِ الهوائية فوق البحار غير

مبالٍ بالمحاذير ولا مكترثٍ للاخطار

لو سمع بالسفن الغوَّاصة التي اخترعوها للسير تحت الماء وشهد بالامس تجربة الغوَّاصة هولند في جزيرة لنغ مقابل نيو يورك حيث غاصت بمن فيها الى جوف المياه فقضى ركبها هنالك خمس عشرة ساعة أكلوا في خلالها وشربوا ولذُّوا وطربوا وسمروا ولعبوا حتى اذا قضوا ما شاؤُوا من غرض التجربة والامتحان وراعوا بمنظرهم الاسماك والحيتان صعدوا الى سطح الماء وقد عزموا ان يقطعوا بها شوطاً بعيداً جداً

لو رأَى سفينتين في ظهر البحر تتخاطبان على بعد سبعين ميلاً بتلغراف مركوني ولا موصل بينهما غير الماء والاثير المنتشر في الفضاء . لو رأَى كل ما اخترعوا واستنبطوا وعرفوا واكتشفوا من اسرار الطبيعة وغوامض القوى وعجائب الامور وغرائب الاشياء مما يفوت عدهُ الوسع . وتضيق دون احصائهِ مسافة الذرع

لو جال في العواصم الكبرى وشاهد الصروح الباذخة والقصور الشامخة والفنادق الفخيمة والاندية العظيمة والقلاع المتينة والابراج الحصينة والمعارض والمتاحف والملاجئ والمتصدقات والمصاح والمستشفيات وسكك الحديد ومركبات الكهرباء والعربات السائرة بقوة ضغط الهواء والدرَّاجات والسيَّارات وغير ذلك من معالم العمران ومظاهر قوة عقل الانسان

لو رأَى ما استنبطوهُ للحرب والكفاح من الآلات المهلكة للنفوس والحاصدة للارواح . من بنادق ومدافع وقنابل وقذائف ونسَّافات ومتلفات وغير ذلك من الادوات التي اغنت عن القسي والنبال والمزاريق وقامت مقام الحرَّافات والكباش والمزاريق

لو رأَي مدارسهم الابتدائية والعالية والكلية والجامعة بين علمية وطبية وعسكرية وهندسية وزراعية وحقوقية ومطابعهم وجرائدهم ومجلاتهم ومكاتبهم ومجامعهم العلمية وجمعياتهم الخيرية وبعثاتهم الجغرافية والجيولوجية والفلكية

لو رأَى اكثر الاغنياء بينهم يجمعون الملايين بشق النفس وعرق الجبين وهجر الراحة والهناء وتحمل التعب والعناء ثم يوقفون جانباً عظيماً منها لانشاء المدارس والمتصدقات وللانفاق على الاكتشافات الجديدة والاختراعات المفيدة المساعدة على مقاومة الادواء الوبيلة والامراض المعدية والآئلة الى زيادة انتشار العلم والعرفان . وتخفيف الرزايا والويلات عن بني الانسان

لو رأَى شيخنا ابو العلاء كل هذه المظاهر الرائعة الدالة على مبلغ اهل الغرب من التقدم والارتقاء . لناح من جهةٍ على شرقهِ وانتحب . وأسف واكتأب . وسُرَّ من جهة أُخرى لأنهُ رأَى بعينهِ صواب حكمهِ القديم وصحة رأيهِ القويم وعاد الى ضريحهِ مغبّطاً دعاة العقل ومريديهِ

لانهم في نعيم مقيم يبقى ببقاء السماء . وآسفًا على شقاء زعماء الطبع وتابعيهِ لأنهم اموات في صور احياء

وبعدُ ايها المطالع الكريم فما رأيك في هذه المقابلة البسيطة اليست صحيحة من كل وجوهها صادقة في جميع احكامها . لو نبذتَ معي الغرض جانبًا ونحيت عنك محبة النفس والجنس والوطن وتأملتَ في حالتنا الحاضرة وبحثت عن السبب الحقيقي الفاعل في انحطاطنا عن اهل الغرب وسبقهم لنا لم تجد لذلك من داعٍ أكيد سوى استرسالنا الى الطبع وتفريطنا في العقل

ولا اكتمك أنَّ الطبع الذي انقدنا اليهِ وضحّينا العقل في سبيلهِ فعل بنا فعل المخدّر بالعليل فلم نعد نشعر بالخسارة الفادحة التي كابدناها لأنهُ سلّط علينا في الحال احد عواملهِ وهو الوهم وموّه علينا ما لا يجوز على الاولاد الصغار لكننا لسوء الحظ اعتقدناهُ صحيحًا وصدّقناهُ وتعزّينا بهِ عن العقل لا بل اطلقنا سراحهُ الى اهل الغرب ولم نأسف على فراقهِ

صوَّر لنا الطبع بقوة الوهم انَّ النطق كفيل بتمييزنا عن الحيوان او ليس الانسان "حيوانًا ناطقًا" ثم اوهمنا فوق ذلك ان العقل نصير الكفر وعدوّ الايمان ومدعاة الانبعاث في الشرور والمفاسد الشهوانية وقد بلغ من شدة تحاملهِ على العقل ان رماهُ بدائهِ وانسلّ

لكنك تعلم ايها المطالع ان تمييز الانسان عن الحيوان بالنطق ليس بصحيح لان الحيوانات ناطقة ايضًا بمعنى انَّ لكلِّ فريق منها اصواتًا معروفة عندهُ يتفاهم بها كما نتفاهم نحن بما نسميهِ نطقًا . وان المميز الحقيقي للانسان هو العقل لا غير فهو حيوان عاقل لا حيوان ناطق . اذًا عاصي العقل ومطيع الطبع ليس بانسان وهذه النتيجة مرَّة لكنها لسوء الحظ صحيحة

اما القول بان العقل نصير الكفر ومدعاة الانبعاث في الشرور فهو شرُّ تهمةٍ لفقها الطبع لاصحابهِ . وكثيرون منا لنكد الطالع يتعللون حتى يومنا بمثل هذه السفاسف الصبيانية . لان اهل الغرب الذين فاقونا في الارتقاء العقلي فاقونا ايضًا في الارتقاء الادبي وما نسميهُ عن المفاسد والشرور الفاشية بينهم لا يؤخذ دليلاً على انحطاط شأنهم الادبيّ بل هو نتيجة حرية النشر والاذاعة لكل ما يحدث عندهم ويقع بينهم ثم انهُ ليس بصادر عمن نعنيهم من اصحاب العقول الراجحة والمدارك السامية بل عن اناس باقين مثلنا او احطَّ منا منزلة في الارتقاء العقلي

وقد عُلِم بالاختبار المدقق انَّ الانسان كلما ارتقى عقلهُ ارتقت آدابهُ وصحت مبادئهُ وشرفت اميالهُ وخلصت عواطفهُ من شوائب الاهواء الحيوانية والاميال البهيمية . لان قواهُ العقلية المتصرفة باميالهِ تعصمهُ عن التهالك الى الخزايا وانصرافهُ الى المباحث العقلية يشغلهُ باجمعهِ ولا يترك فيهِ منصرفًا نحو الملاذ الحيوانية

اما الانسان المستعبد لطبعهِ وليس لهُ من قوى العقل ما يشغلهُ عن هوى الطبع فإنَّ الملاذ الحيوانية تجدهُ كلما طرقتهُ فارغاً معدًّا لها واذا رزقَ غنىً وتوفَّرت له أسباب الترف والرخاء اطلق لنفسهِ في مجال الشهوات العنان . وعاش انساناً احطَّ شأناً من الحيوان . ومات حيواناً في صورة انسان

فهنيئاً لمن سمع النصح ووعاه . واطاع عقله وعصي هواه . وطوبى لمن قصَّر في سبيل الغرور المدى . والسلام على من اتبع الهدى القاهرة اسعد داغر

مسئلة اصولية

حكم الله واجتهاد المجتهدين

قال الفخر الرازي جرت عادة الاصوليين ان يذكروا اول ابوابهم ما هو الاصل والقاعدة ثم يخرجوا عليها المسائل فنقول : اختلف الاصوليون هل لله تعالى في كل حادثة حكم واحد معين في الواقع ونفس الامر قبل الاجتهاد يرتادهُ المجتهد بالطلب بالادلة وهل هو مكلف باصابتهِ او لا . فعلى هذا اعني ان لهُ تعالى في كل حادثة حكماً واحداً معيناً في نفس الامر قبل الاجتهاد فالمصيب واحد من المجتهدين في الحكم المطلوب وغيره مخطئ لكنهُ معذور لانهُ لم يقصّر في الاجتهاد بل هو مأجور لبذلهِ وسعهُ . وهذا أعني القول بان حكم الله واحد معين والمصيب واحد هو الراجح عند جماعة من المحققين وعبَّر عنهُ العلامة ابن حجَر المكيّ في الفتح المبين وغيرهِ بالاصح وفي موضع من كتابهِ التحفة بانهُ الحق . وعليهِ فهل يتعين المصيب ايضاً ام لا فالاكثر على انهُ لا يتعين فالمصيب واحد لا بعينهِ فهو واحد لا نعلمهُ وهذا هو الراجح . وفصَّل بعضهم فقال ينظر في المجتَهد فيهِ فان خالف احد المجتهدين فيهِ النص مخالفة ظاهرة فهو المخطئ بعينهِ خطاء لا يبلغ تضليلاً والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب في الحكم لا بعينهِ . وعلى ان حكم الله في المسئلة الواحدة معيَّن والمصيب واحد غير معين يجري قول بعض ائمة الحنفية والشافعية اذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا قلنا وجوباً مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب وحينئذٍ فلا يمكن ان يقطع او يظن انهُ علي الصواب بل على المقلد ان يعتقد ان ما ذهب اليهِ امامهُ يحتمل انهُ الحق . وقد صرَّح المحقق الكمال بن الهمام بما يؤيدهُ حيث قال في شرح الهداية إنَّ اخذ العامي بما يقع في قلبهِ

انهُ اصوب اولى . وعلى هذا لو استفتى مجتهدَين فاختلفا عليهِ الاولى ان يأخذ بما يميل اليهِ قلبهُ منهما وعندي انهُ لو اخذ بقول الذي لا يميل اليهِ جاز لان ميلهُ وعدمهُ سواءٌ والواجب عليهِ تقليد مجتهد وقد فعل انتهى . كلام المحقق

ومنهم من صار الى انهُ تعالى ليس لهُ حكم معين في الوقائع المجتهَد فيها قبل الاجتهاد وانما حكمهُ تعالى فيها ما ادَّى اليهِ اجتهاد المجتهد وان هذا الحكم منوط بهذا السبب فما لم يوجد السبب لم يثبت الحكم . فعلى هذا كل مجتهد مصيب في الحكم والحكم متعدّد تابع لظن المجتهد . وهذا القول هو الصحيح المختار عند كثير من المحققين او اكثرهم كما قالهُ العلامة ابن حجر في الفتح المبين وهو المؤيد عند اهل الظاهر واهل الباطن جميعاً حتى لقد ايدهُ الحافظ السيوطي في كتابهِ جزيل المواهب في اختلاف المذاهب بما اخرجهُ البيهقي في المدخل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم مهما أُوتيتم من كتاب الله فالعمل بهِ لا عذر لاحد في تركهِ فان لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية فان لم تكن سنة مني فما قال اصحابي ان اصحابي بمنزلة النجوم في السماء فايما اخذتم بهِ اهتديتم واختلاف اصحابي لكم رحمة

قال السيوطي عقبهُ في هذا الحديث فوائد اخبارهُ صلى الله عليهِ وسلم باختلاف المذاهب بعدهُ في الفروع وذلك من معجزاتهِ لانهُ من الاخبار بالمغيبات ورضاهُ بذلك وتقريرهُ عليهِ ومدحهُ حيث جعلهُ رحمة والتخيير للمكلف في الاخذ بايها شاء من غير تعيين لاحد . و يستنبط منهُ ان كل المجتهدين على هدىً وكلهم على حق فلا لوم على احد منهم ولا ينسب الى احد منهم تخطئة لقولهِ فايما اخذتم بهِ اهتديتم . فلو كان المصيب واحداً والباقي مخطئاً لم تحصل الهداية بالاخذ بالخطاء

وقد أقر صلى الله عليهِ وسلم اختلاف اصحابهِ في وقائع جرت لهم في زمنهِ ولم يعارض احداً في ما قالهُ ورآهُ مخالفاً لما قالهُ نظيرهُ ورآهُ . من ذلك قصة اختلافهم في اسرى بدر فابو بكر ومن معهُ اشاروا باخذ الفداء منهم وعمر ومن تبعهُ اشاروا بقتلهم فحكم صلى الله عليهِ وسلم بالاول ونزل القرآن بتفضيل الثاني مع تقرير الاول . ففيهِ اوضح دليل على تصويب الرأيين وان كلاً من المجتهدين مصيب . ولو كان الاول خطأً لم يحكم بهِ صلى الله عليهِ وسلم . وقد اخبر تعالى بانهُ عين حكمهُ بقولهِ لولا كتاب من الله سبق وطيب الفداء بقولهِ تعالى فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وانما وقع العتب على اختيار غير الافضل

ومن ذلك ايضاً قصة اختلافهم في قولهِ صلَّى الله عليهِ وسلم حين اراد غزو بني قريظة لا يُصَلِّيَنَّ احدٌ الظهر الاَّ في بني قريظة فاختلفوا لمَّا خرجوا من المدينة وقد ضاق وقت الظهر

فصلى جماعةٌ منهم الظهر خشية فوته واحتجوا بان ذلك منهُ صلى الله عليهِ وسلم كان تحريضاً على الاستعجال ولم يُرِد اخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص معنى بنوا بهِ ان الحصر في قولهِ الا في بني قريظة اضافي لا حقيقي وأبى آخرون فلم يصلُّوا الظهر الا في بني قريظة بعد العصر واحتجُّوا بانهُ صلى الله عليهِ وسلم اطلق الحصر ولم يبيّنهُ فكان المرادُ بهِ حقيقتهُ فلما بلغهُ صلى الله عليهِ وسلم اختلافهم وفعلهم لم ينكر على أحدٍ من الفريقين واقرّ كلاً على ما فهمهُ اشارةً الى ان الكل مجتهدون مأجورون على هُدًى من الله تعالى فلا يُنسَب الى احدٍ منهم خللٌ ولا تقصير . وانظر قولهُ صلى الله عليهِ وسلم فايما اخذتم بهِ اهتديتم فجعل الكل مهتدين

وبما تقرر يظهر اتجاهُ القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو احد قولين للائمة الاربعة ونسب ترجيحهُ لأكثر الشافعية والحنفية والباقلاني ولا ينافيهِ تصريح الخبر الصحيح بان المصيب اجرين والمخطىء اجرًا لأنهُ محمول كما قالهُ السيوطي على ان المراد الخطأ في ادراك الافضل والاولى . وقال في الشفا القول بتصويب المجتهدين هو الحق والصواب عندنا . وقال في جمع الجوامع والمتكلمون عليهِ ونعتقد ان ابا حنيفة ومالكاً والشافعيّ واحمد والسفيانيين والاوزاعي واسحاق بن راهويه وداود الظاهري وسائر أئمة المسلمين كابن جرير على هدًى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريئون منهُ انتهى

سليمان العبد

شيخ الشافعية بالازهر الشريف

الشعراء المحافظون والشعراء العصريون

يظهر ان الشعراء آخر من يفكر في خلع القديم الخلق والتزيي بالجديد ذي الطلاوة . فمن كلّ زمرة الشعراء والمتشاعرين الذين ينظمون الشعر او يدّعون النظم لا تكاد ترى واحداً في المئة يحاول مجاراة العصر ونبذ القديم واقتباس الجديد وتقليد الشعراء المصريين من الامم الاخرى . والسبب في ذلك اقتصار شعرائنا على درس الشعر العربي وعدم الاحتفال بدرس الشعر الاجنبي اما لانهم يجهلون اللغات الاجنبية او لانهم يزدرون الشعر الاجنبي ويحسبون ان الاهات الشعر لا توحي بهِ الا اليهم وان ما ينظمهُ الشعراء الاجانب تفاية وسفسفة حتى كأنهُ المقصود بقول ابي الطيب حيث قال

ان بعضاً من القريض هذاء   ليس شيئاً وبعضهُ أحكامُ

منهُ ما تجلبُ البراعةُ والفضلُ ومنهُ ما يجلبُ البرسامُ

ومن الغريب ان مزية نظم الشعر العربي الجيد واتقان اللغات الاجنبية لا يلتقيان في شخص واحد او قلما يلتقيان فكانهما ضرّتان او ضدّان لا يجتمعان او كأن الالهات الشعر لا توحي بهِ الاّ الى الذين لا يعرفون لغة اجنبية غيرة منها على شرف اللغة العربية . ومن خرج عن ذلك فشاذٌ لا يبني عليهِ حكم كالشاعر احمد بك شوقي فانهُ شاعر عربي وعارف لغة اجنبية وديوانهُ شاهد لهُ بمقدرتهِ على تقليد الشعراء الغربيين وخصوصاً ما نظمهُ على السنة الحيوانات حاذياً في ذلك حذو لافونتين وغيرهِ وقد اغتنمت فرصة تدريسي في المدرسة الكلية ببيروت السنة الماضية فكنت اعلّم التلامذة القصائد المذكورة غيباً على كره بعضهم لها جهلاً ولو عدّ الشعراء المحافظون نظم صاحبها لها وتعليمي اياها مروقاً من مبادئ حزبهم كما سمعتهُ من افواه بعضهم

نشرتم لي في المقطم بعض قصيدة في مقالة من سلسلة مقالات بعنوان "هنا وهناك". وقد اقترحت على السادة الشعراء اكمالها فجاءني كتاب من شاعر مجيد صديق قال فيهِ انهُ آخذ في تلبية طلبي ولكنهُ رأى ان يوجه خاطري الى مصراع في قصيدتي وينتقد عليَّ المعنى المتضمن فيهِ . اما البيت فهو

ونفورٍ وخفةٍ والتفاتٍ كظباءٍ يمرحن في بستانِ

وملخص الانتقاد انّي لو جعلت الظباء تمرح في وادٍ او كثيبٍ او منعرج او منعطف او على هضبة او اكمة لكان ذلك اوجه لاننا لم نعتد رؤية الظباء تمرح في البساتين والحدائق اذ هي حيوانات برية وحشية لا اليفة انسية . فما ينتقدهُ صديقي عليَّ هو عين ما اردت توجيه الانظار اليهِ والبحث فيهِ للتحذير منهُ

يقول صاحبي اننا لم نعتد رؤية الظباء تمرح في البساتين والحدائق بل في الاودية ومنعطفاتها والكثبان ومنعرجاتها . فأسألهُ كم ظبياً رأى في زمانهِ اما انا فلم ارَ في زماني ظبياً في وادٍ او على هضبة او اكمة ولن اؤمل ذلك لانهُ لا يتسنى الاّ لصيّاد في بلاد ترودها الظباء وتكثر فيها الغزلان. على اني رأيتها تنفر وتلتفت وتمرح في بستان فنظمت ما نظمت في ما رأيت اما هو فسمع بنفورها وتلفتها ومرحها مما نظم هذا الشاعر وذاك وعليهِ ينظم ما ينظم في ما يسمع . وما راءٍ كمن سمع

والبستان الذي رأيت الظباء تلفت وتنفر فيهِ بستان الحيوانات في الجيزة بمصر . ولو ذهب صاحبي الى هناك لصدّق خبرهُ الخبر ولوافقني على مصراعي بيتي . ولكنهُ يفضّل بقاء

القديم على قدمهِ ويحسب ان الالهام لم يهبط الاَّ على الشعراء الاقدمين وان ما ينظمهُ ابناؤهم هذاء في هذاء جارياً مجرى انصار الفلسفة القديمة فلسفة ارسطو واتباعهِ فانهم كانوا يسلمون بمبادئها وقواعدها تسليم الاعمى بحجة ان ارسطو ذهب اليها وهو معصوم من الغلط لا بناء على المشاهدة والاختبار والامتحان اركان الفلسفة الجديدة التي قلبت الاولى ظهراً لبطن ووضعت اساساً ثابتاً مكيناً للعلوم والفنون الحديثة

ومما يجدر ذكرهُ في هذا الصدد اني كنت اكلم عالماً فاضلاً ببعض الامور العلمية والادبية فورد ذكر الشعر والشعراء عرضاً فجعلنا نقابل الشعر العربي بالشعر الافرنجي ونبين الفرق بينهما فقال ان السر ولتر سكوت الشاعر الانكليزي المشهور كان اذا اراد وصف جدول ماء مثلاً قصدهُ ليراهُ بعينيهِ ثم رسمهُ على قطعة ورق بما على ضفتيهِ من الحصى والاحجار والاشجار كأنهُ مصوّر لا شاعر . ثم شرع في وصفهِ شعراً حتى اذا قرأ احد ذلك الوصف امكنهُ تصوُّر الجدول في مخيلتهِ تصوراً واضحاً كأنهُ يرى صورتهُ الحقيقية امامهُ . اما شعراؤنا فقضوا ايامهم في مدح فلان وذمّ فلان واذا خطر لاحدهم ان يصف منظراً طبيعيًّا او حادثة ما وصف كما سمع من هذا وذاك وقلما يحكم وصفهُ ويدقق في التفصيل

فوافقتهُ على ما قال وقلت اني لا اكاد اتذكر شاعراً من شعراء العرب دقق التدقيق الواجب في وصف حادثة شاهدها غير المتنبي في وصف الاسد وما جرى بينهُ وبين بدر بن عمّار في قصيدتهِ التي مطلعها

في الخدّ ان عزم الخليطُ رحيلا مطرٌ تزيد بهِ الخدود محُولا

حيث يقول

امعفر الليث "الشديد" بسوطهِ لمن اذّخرت الصارم المصقولا

الى آخر ما هناك من الوصف الدقيق الذي لا يقرأُهُ احد الاَّ ارتسمت هيئة الاسد واضحة في ذهنهِ فاستطاع رسم صورتهِ على الورق ولو لم يكن قد رآهُ في زمانهِ

ومما يؤاخذ شعراؤُنا بهِ ان يذكروا في قصائدهم اسماء اماكن في بلاد العرب لم يروها بل لم يروا احداً رآها . ولو اقتصر الامر على ذلك لهان ولكنهم يجهلون مواقعها وطبيعة ارضها واقليمها وسائر ما يتعلق بها وربما لم يكن الجغرافيون وعلماء تخطيط البلدان ومسَّاحوها ومشاهير الآفاقيين والسيّاح والمكتشفين اكثر علماً منهم بها وبحقيقة مواقعها وانما اكثر شعراء العرب ذكرها لانها قسم من بلدانهم فان كانت جبلاً فكم استجاروا واعتصموا بهِ او سهلاً فكم حدوا عيسهم فيهِ او عين ماء فكم وردوها وأرووا ظمأَهم بمائها او مطمئناً من الارض فكم اناخوا ركائبهم

فيهِ للمبيت او دوحة فكم تفيأوا ظلها للمقيل او طللاً دارساً فكم مرحوا فيهِ وطربوا ايام كان ربعاً زاهياً . فما لشعرائنا يطيلون الوقوف على الاطلال وما لهم ولذكر العقيق والابلق ودارمية ووجرة وكاظمة والعذيب وبارق والمجنى ووادي الغضا وهم لا يعرفون منها الاَّ اسماءها . وقد كان كثيرون من شعراء الاسلام يكثرون ذكر بعضها في قصائدهم ويبالغون في مدحها لعلاقتها بصاحب الرسالة الاسلامية . فان كثيراً منها لم يكن يستحق المدح في حد نفسهِ كعين وجرة فانها عين سخينة الماء قليلة النزّ لا تنقع غلّة ولا تشفي علّة مرتٌ للوحش في سبسب من الارض لا يسكنهُ انسٌ ولا يأوي اليهِ جنّ . ولا الوم الشاعر العربي اذا مدحها واعجب بها ما شاء فكم اروى بها الظمأ هو وقومهُ بعد اجتياز المفاوز والسباسب الجافة من حولها . ومهما كان الماء أجاجاً آسناً وجدهُ اذ ذاك عذباً زلالاً . فمدحهُ للماء من قبيل الاقرار بالمعروف وعرفان الجميل

فما احرى الشاعر المصري ان يتناسى وجرة وماءها ويتغزل بالنيل ما شاء ويعجب بهِ ما شاء وهو ابو مصر وروحها وحياتها وسبب وجودها وهي ابنتهُ كما لقبها هيرودوتس المؤرخ الشهير . بل ما اجدر الشاعر العراقي ان يقف شعرهُ على مدح الفرات ابي الممالك القديمة الآثلة ممالك الكلدان واشور وبابل . بل ما اخلق الشاعر الشامي ان يسدل حجب النسيان على وجرة والعذيب وعندهُ عيون لبنان وينابيعهُ الشهيرة يتدفق منها الماء الشبم السلسبيل تدفق ماء النيل كراس العين ونبع العسل ونبع اللبن ونبع القاع والصفا والباروك من العيون التي يقلّ نظيرها تحت الخضراء

هذا وبدلاً من ان نلجأ الى الرصافة والجسر في قول الشاعر "عيون المها بين الرصافة والجسر" عند قصد التغزل والتشبب لماذا لا نقول "عيون المها بين الجزيرة والكبري" في وصف المناظر التي تلوح لعين الناظر بين كبري قصر النيل والجزيرة المشهورة في يوم سرحت ظباؤهُ وصفت سماؤهُ واعتلَّ نسيمهُ وراق اديمهُ . ألا يكون الوصف اذ ذاك اكثر مطابقة للحقيقة . أفي شبه جزيرة العرب كلها منظر يقرب بهاء وجلالاً من منظر الجزيرة والنيل مقيل الاقيال العظام من فرعون مصر القديم الى عزيزها الجديد

هذا بعض ما جال في الخاطر عن الشعر والشاعر وقد استأذنت صديقي في نشر انتقادي على صفحات المقتطف الاغرّ فأذن ووعد بالردّ . ولي كلمة بعدُ على الكتابة والكاتب ارجئها الى فرصة اخرى نجيب شاهين

جزيرة مدله

بلاد دفنيس وكلويه[1] الجزيرة القديمة التي احتلها الجنرال كليار عقب الخلاف الذي حدث اخيرًا بين فرنسا وتركيا بسبب ارصفة الاستانة ودبون لورندو وتوبيني وغيرها مجهولة اليوم بقدر ما كانت مشهورة في الزمن السابق وقد اردت ان اذكر عنها بعض الشيء تفكهة للقراء الكرام فاقول

هذه الجزيرة صغيرة الاَّ انها قد ابقت في بطون التاريخ ذكرًا مجيدًا ولليونان عن نسائها اقاصيص غريبة في العشق والغرام اشهرهنَّ صافو وقد نبغت في صناعة الشعر لا سيما الغرامي منهُ حتى صار اسمها عنوانًا لذوات الغنج والدلال . وهي احدى جزر الارخبيل الرومي ولا تبعد كثيرًا عن ازمير . وقد امتلكتها جمهورية البندقية في عهد الحروب الصليبية مع غيرها من الجزر وبقيت في حوزتها حتى القرن الخامس عشر حين انتزعها منها الاتراك . عدد سكانها الآن ٧٠٠٠٠ تقريبًا لكنها لقلة اهميتها لا ترسو فيها السفن الاوربية بل تدور حولها وكذلك السياح فانهم يقصدون صاقص وازمير ويشاهدون البلاد التي اشتهرت بحروب تروادة ولكنهم قلما يعرجون على مدله وان دخلوها فلا يطيلون الاقامة فيها . زارها منذ عهد قريب احد الفرنساويين واسمهُ المسيو لوني أرسلتهُ حكومتهُ بمأمورية اليها وكان قد زارها قبلهُ اثنان من علماء الالمان وشاهدا آثارها القديمة التي ابقى عليها الاتراك ولم تدمرها قنابل البنادقة

وقد اخذت الحمية احد سكان تلك الجزيرة الاصليين وهو المسيو جيورجياكس فجمع شتات تقاليدها واقاصيصها واناشيدها الوطنية التي يتناقلها الاهالي خلفًا عن سلف في كتاب نفيس ساعدهُ في وضعهِ احد علماء الفرنسيس المسيو بينوى . الا ان تلك الابحاث لم تتجاوز دائرة المعارف التي تهم المشتغلين بالعلوم اليونانية القديمة . واما جمهور القراء فيهمهُ الوقوف على احوالها الحاضرة

سكانها الحاليون قوم من اليونان يقربون كثيرًا من الشرقيين في عوائدهم واخلاقهم ولم يتغيروا عما كانوا عليهِ في السابق عندما كان يأتيهم الليديون[2] للمتاجرة في الاقمشة الحريرية ثم يقلعون الى اثينا . ومعيشتهم الآن ربما تكون اكثر بساطة عن ذي قبل ونفوسهم

---

(١) دفنيس وكلويه اسمان لفتى وفتاة Daphnis & Chloé اشتهرا في الروايات اليونانية القديمة بحبهما العذري وكانا يسكنان تلك الجزيرة

(٢) الليديون قوم كانوا يسكنون اسيا الصغرى اشهر ملوكهم كريسوس الغني الذي اسرهُ الفرس

اشد اعتزالاً عن الدنيا وزخارفها مع حُب للسلام يضمن لهم راحة الضمير التي هي سعادة المرء في هذه الحياة الدنيا . ومناظر مدله الطبيعية جميلة تروق الناظر وتقر الخاطر وحسبك منها جبل شامخ يدعوهُ الاهالي جبل مار الياس فاذا جاء الشتاء كساهُ بثوب من الثلج ناصع البياض فضلاً عن التلال الصخرية التي تشرف على البحر من كل جانب . وتجلى الجزيرة كلها للداخل كعروس اتشحت بثوب سندسي يزيدها جمالاً وبهاء . وهناك كثير من اشجار البلوط والحور الذي يناطح برؤوسهِ عنان السماء والجوز الذي لا تخلو منهُ بقعة ومن التوت البري سياجات كثيفة وفيها غابات منمقة ارضها بشقائق النعمان بلونها الاحمر القاني . واذا اتجهت نحو الشاطئ وجدت ازهارًا من جميع الاشكال والالوان وكثيرًا من شجر الزيتون وهو من اهم محصولات الجزيرة . هذا فضلاً عن المراعي الخصيبة وما فيها من القطعان . وعلى الشواطئ تكثر الاصداف الجميلة ذات اللون الارجواني

هذه هي الجزيرة التي كانت تسكنها صافو الشهيرة . وملابس نسائها كملابس نساء الشرق في الرونق والبهاء وترى الفتيات معجبات بشعورهنَّ السوداء وهنَّ يضفرنها ضفائر يرسلنها وراء ظهورهنَّ وكلما زادت الضفائر طولاً زدن بها اعجابًا ودلاً . ومن اعتقاداتهنَّ القديمة انهنَّ في ليلة اول مايو يضربن ظهورهنَّ وهي عارية بنوع من القراص يزعمن انهُ يزيد في نماء شعورهنَّ . وفي ذلك اليوم ايضًا من كل سنة يذهبنَ جماعات وسط الليل البهيم الى الحقول وهنَّ ينشدن اناشيد الفرح والسرور فيقطفن منها الازهار بقدر ما يقدرن على حملهِ والتي تسمع صوت طائر الطاطوى قبل رفيقاتها تستبشر بالخير والسعادة . ثم يرجعن الى منازلهنَّ وسكان القرية نيام وهناك يضفرنَ اكاليل وباقات من الزهر ويعلقنها بالكوى والابواب وهي مغلقة . وفي الصباح عند شروق الشمس يتجلى الربيع ببهجتهِ وبهائهِ في المدينة كلها ناشرًا اعلامهُ وروائحهُ الذكية على يد اولئك الفتيات الحسان . فاذا بزغ فجر اليوم الاول من شهر مايو نهض الاهالي من رقادهم واسرعوا في لبسهم وتخرج النساء مزينات شعورهنَّ بشقائق النعمان علامة الابتهاج والرجال يرفلن بافخر الملابس متشحين بصدرة سوداء مزررة على شكل مستدير وفي وسطهم حزام قرمزي وعلى رؤوسهم قبعة جديدة . وفي كل قسم من اقسام المدينة تطوف في الشوارع امرأة عجوز حاملة كأسًا من العسل تغمس فيهِ اصبعها وتمس بهِ العذارى في جباههن ليصرن مثل العسل عذوبة في اعين خطابهنَّ

ويتزوج الفتيات في الثانية عشرة من عمرهنَّ اذا استكملن جهازهنَّ وتضطر كل فتاة ان تخيط جهازها بيديها فالحاذقة منهنَّ هي التي تكثر من الزينة في ملابسها وتحسن تنميقها

وينسجن بانفسهنَّ جميع قطع ثيابهنَّ كالقمصان والصداري والسراويل المنتفخة والملاآت والشراشف والاسمطة والاقمشة المنضمة السدى او المتراخيتها الملونة وغير الملونة . كل ذلك تحيكهُ تلك الانامل اللطيفة

وقد تمر على الفتاة الشهور والاعوام في اتمام هذا العمل ويكون الرضى والقبول في الزواج بين الفتى والفتاة ولا يؤخذ رأي الاهل الاَّ بعد اتفاقهما فاذا وافقوا على ذلك تجتمع العائلتان ويأتي الكاهن لكتابة عقد الزواج وليبارك الزوجين و يطلب لهما سعادة الدارين . وقبل العرس بيوم تجتمع صديقات العروس في غرفتها ويقمن باعداد ما تحتاج اليهِ من ثياب وحليّ وينشر الجهاز ثم يدخلها رفيقاتها الى الحمام و يصبغن اظافرها بالحناء . والعيد عيدها فان العرس لها وهي التي تسود اما الزوج فيأتي بعدها في الاهمية

ومن عوائد اليونان القديمة التي لم تزل مرعية في هذهِ الجزيرة عادة تقضي بجعل المرأة رأساً للعائلة والابنة الاولى الوارثة الوحيدة لوالديها وقد ترث في حياتهما فانهُ فضلاً عن الصداق الذي تأخذهُ والجهاز التي تكون قد حاكتهُ تستولي شرعاً على منزل ابيها يوم قرانها فيرحل الاب مع بقية العائلة الى منزل آخر

ومتى تمَّ الاحتفال في الكنيسة يجتمع الحضور عند العروسين وتقوم فتاة على الباب وكلما حضر واحد من المدعوين تضع في فيهِ معلقة من الحلوى رمزاً للافكار اللطيفة التي يقتضي ان تمر في بالهِ عند ما يخطو عتبة الدار

افليس في كل هذه العادات البسيطة ما يصور للذهن حالة هيئة اجتماعية سعيدة لا تخامرها الاكدار والشواغل التي تنغص عيش امم اوربا وتبدل نعيمها بؤساً . فلسبوس القديمة جزيرة سعيدة وليس فيها احد على غنى واسع ولا منها فقير مدقع فان الارض مقسمة بين العائلات بنسبة متساوية وهيهات ان تجد فيها رجلاً لا يملك حقلاً او ليس في منزلهِ خبز وزيت طيب والهواء هناك معتدل تحسن فيهِ الزراعة وتسهل الاعمال وتطيب الراحة بعدها . ومنازل الجزيرة مسقفة مدهونة من الخارج بالوان مختلفة تحتوي على غرف فسيحة مفروشة بالبسط التي ينسجها النساء من صوف المعزى . وحول الجدران مقاعد يجلس عليها الضيوف فتقدم لهم القهوة التركية والحلويات والفواكه النضرة

. وعاصمة الجزيرة متيلين (مدله) وهي في بقعة تشبه الاسكندرية تماماً ! وكانت مبنية في السابق على شكل درجات بعضها فوق بعض في شبه جزيرة تكاد تنفصل عن البر لا يوصل بينها وبينهُ الاَّ جسور من الحجر الابيض . وعلى جانبيها مرفآن متساويان وعلى

توالي الايام امتلأ قاعاها بالرمال فنتج عن ذلك برزخ ارتفعت ارضهُ بين المرفأين وامتدت اليهِ المدينة الجديدة فلم يبقَ للمدينة القديمة اثر والمدينة الجديدة صغيرة ونظيفة طرقها معوجة يخترقها كثير من الحارات والازقة . واذا نظرت اليها عن بعد رأيت المنازل ذات الوان زرقاء وحمراء وصفراء تزين سفح الجبل الذي تعلوهُ القلعة وحولها غابة من شجر الزيتون تلتف كالعصابة يأتي هذه المدينة الفلاحون من داخل الجزيرة ليبيعوا لتجار الاجانب زيت زيتونهم ونبيذ كرومهم نبيذ لسبوس الشهير في الازمان الغابرة ويبيعونهم الحرير والتين والجلود والعسل والخراف والنعاج وهذه التجارة على قلتها تكفي حاجات اهل الجزيرة فانهم لا يعرفون شيئاً من اسباب الترف ولا يخزنون كنوزاً سوى عسل نحلهم الذي يجعلونهُ رمزاً للذة والسعادة

زكي حاتم

بنظارة الاشغال العمومية بمصر

طوائف الناس

أهمّ ما يدور عليهِ علم الانسان البحث عن طوائف الناس عن اصلهم وطبائعهم وتفرقهم على وجهِ البسيطة

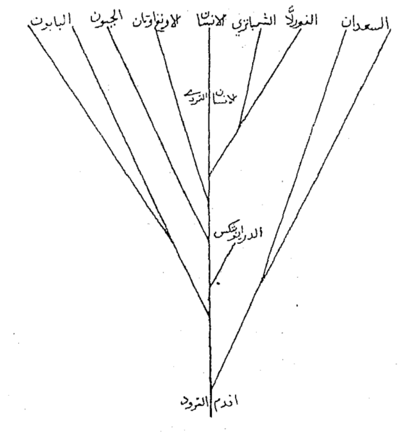
اما من حيث الاصل الذي تولدت منهُ طوائف الناس المختلفة فالمرجح عند العلماء الآن انهُ واحد غير متعدد لان ما يُرى من الفروق بين هذه الطوائف لا يكفي لجعلها انواعاً قائمة بذاتها . وزد على ذلك انها تستطيع كلها ان تتزاوج بعضها مع بعض وتتوالد ونسلها يتزاوج ويتوالد ايضاً وهذا لا يكون في الانواع المختلفة فهي من نوع واحد واصل واحد

وكان القائلون ان طوائف الناس ليست من اصل واحد بل من اصول مختلفة يحتجون على صحة قولهم بان حداثة عهد الانسان في هذه الدنيا على ما جاء في التوراة تمنع ان تكون طوائفهُ كلها من اصل واحد لان بضعة آلاف من السنين لا تكفي لما يرى من البعد الشاسع بين الزنجي والابيض وبين القوقاسي والمغولي ولكن لما ثبت ان الانسان قديم يمتدُّ تاريخهُ الى الوف كثيرة من السنين ضعف مذهب تعدُّد الاصول واعتُمد مذهب الاصل الواحد

ثم اعاد بعض العلماء الكرَّة على مذهب الاصل الواحد محتجين باختلاف اللغات فانهم وجدوا ان هذا الاختلاف اصلي فيستحيل ردها كلها الى اصل واحد وهذا يدل على ان طوائف الناس مختلفة اصلاً إما انها مخلوقة في اوقات مختلفة واماكن متباينة او مرتقية من اصول

مختلفة من الحيوانات في امكنة وازمنة مختلفة . وانهُ ان كان اصل الانسان واحداً فقد اختلفت طوائفهُ وتفرقت قبلما استطاع النطق فجاءت لغاتهُ مختلفة اصلاً

وخلاصة مذهبهم ان طوائف الناس مرتقية من طائفة كبيرة من القرود كانت تسكن بلاداً وسيعة من البلدان الحارَّة فارتقت رويداً رويداً وهي تنمو وتزيد انتشاراً وتنوعت اصواتها الى ان كثرت مقاطعها وتركبت منها الكلمات فصار لكل فريق منها لغة قائمة برأسها

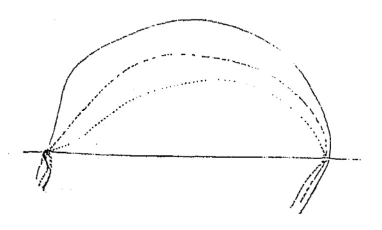


(ش ١)

وقد اختلفوا في الاصل الذي ارتقى منهُ الانسان وفي شجرة نسبهِ وقرابتهِ الى القرود الشبيهة بهِ واحدث شجرة صُنعت لذلك شجرة النسب التي وضعها الاستاذ دبوى مكتشف آثار الانسان القردي في جزيرة جاوى على ما ابنا في الصفحة ٢٦٢ من المجلد العشرين من المقتطف وقد رسمنا هذه الشجرة هنا . فالانسان القردي هو الذي اكتشفت آثارهُ في جزيرة جاوى وهي ضرس وقحف وقصبة ساق والضرس اشبه باضراس الانسان والقصبة مثل قصبات سوق البشر تماماً وقحف الرأس متوسط في شكلهِ واتساعهِ بين قحف رأس الانسان الاوربي وقحف رأس القرد المعروف بالغورلاَّ كما ترى في الشكل الثاني فان الخط الاعلى المتصل رسم قحف

رأس الانسان والخط الاسفل المنقط نقطاً صغيرة تحف رأس الغورلا والخط الذي بينهما رسم القحف الذي وجده الاستاذ دبوى وقال انهُ من رأس الحلقة المفقودة او الحيوان المتوسط بين القرد والانسان

ويظهر من شجرة النسب المرسومة في الشكل الاول ان انواع القرود المعروفة الآن مشتقة هي والانسان من اصل قديم جداً سميناهُ اقدم القرود ويسمى علمياً ارتشيبثكس والبعيد فيها عن الانسان متفرّع قبل القريب منها اليهِ . وقد حدث هذا التفرُّع في العصور الجيولوجية القديمة منذ ملايين كثيرة من السنين كما يظهر من الآثار الكثيرة الباقية في طبقات الارض



(ش ٢)

وما يقولهُ الاستاذ دبوى ومن جرى مجراهُ من العلماء لا يؤخذ قضية مسلمة لا ينازع فيها بل ان جمهوراً من العلماء المحققين ينازع فيها كل المنازعة ويذهب الى ان العظام التي وجدها ليست من عظام الانسان . بل لا يزال فريق منهم يعتقد ان الانسان خُلق مستقلاً عن غيرهِ من انواع الحيوان . وليس من غرضنا الآن ان نطيل البحث في هذا الموضوع وانما ذكرنا ما ذكرناهُ تمهيداً لبحث اقرب منهُ تناولاً وهو اختلاف طوائف الناس ومميزاتها بعضها عن بعض جسداً وعقلاً فان هذا الاختلاف موجود محسوس مهما كان سببهُ يراهُ الرائي واضحاً في القامة والشكل واللون ويقيسهُ علماء الانسان بالخطوط والزوايا والمساحات واكثر اعتمادهم على قياس الجمجمة ولون الجلد ولون الشعر وقوامهِ والاختلافات العقلية . وكان القدماء يعتمدون في تقسيم طوائف الناس على اللون خاصة فقسمهم برنير سنة ١٦٧٢ الى اربعة اصناف اصلية وهم البيض الاوربيون والصفر الاسيويون والسود الافريقيون واللاب الشماليون . وقسمهم لينيوس النباتي الى اربعة ايضاً وهم البيض الاوربيون والصفر الاسيويون

والسود الافريقيون والسمر الاميركيون. وجرى غيرها على تقاسيم أُخرى وكثر النزاع بينهم الى ان نظر بعضهم في شكل الراس وجعلهُ مميزاً لطوائف الناس بعضها عن بعض فقُسموا الى مصفحي الرؤُوس اي الذين ضغطت رؤُوسهم من اصداغهم حتى طال ما بين الجبهة والقفا والى مسفطي الرؤُوس اي الذين رؤُوسهم مضغوطة من قفاها حتى طال ما بين الصدغين. والى بارزي الفم وغير بارزيهِ . وهذا التقسيم غير فاصل لاننا نرى تصفيح الرأس وتسفيطهُ بين كل الطوائف ولو غلب الاول على الطوائف الاوربية والافريقية والثاني على الطوائف الاسيوية

وقد كثر اعتماد علماء الانسان على اختلاف الشعر لوناً وشكلاً في تقسيم طوائف الناس وتكاد دلالتهُ تكون ثابتة دائماً فبعض الطوائف شعرها سبط كالصينيين وهنود اميركا وبعضها شعرها جعد قليلاً او كثيراً كالاوربيين وبعضها شعرها مفلفل كالزنوج . ويختلف لون الشعر من الاسود الفاحم الى الاصفر الذهبي او الكتاني

وقد بقيت فروق أُخرى كثيرة كالقامة وشكل العين ولونها ووضعها وجرم الدماغ وثقلهِ وشكل الانف والفم والشفتين وكلها يُعتمَد عليها في الفرق بين طوائف الناس. هذا من حيث الفروق الجسدية اما الفروق العقلية فاولها اللغة وهي مرآة عقل الامة وخزانة معارفها فضلاً عن دلالتها على اختلاف ثابت في اعضاء النطق حتى ان ابناء اللغة الواحدة لا يستطيعون ان يحسنوا نطق لغة بعيدة عن لغتهم ولو ولدوا بين اهلها كما ترى في الاوربيين الذين قطنوا بلدان المشرق والزنوج الذين خالطوا العرب . ويقال ان اليهود الذين استوطنوا اوربا منذ قرون كثيرة لا يزال لفظهم للغات الاوربية يمتاز عن لفظ الاوربيين لها حتى يومنا هذا

وقد ردَّ الاستاذ فلوَر ومن جاراهُ من العلماء طوائف الناس الى ثلاثة اصول وهي الاصل الزنجي ومنهُ اكثر سكان افريقية والاصل المغولي ومنهُ اكثر سكان اسيا والاصل القوقاسي ومنهُ اكثر سكان اوربا وتتضح الفروق بينهم من هذا الجدول والرقم (١) فيهِ للاشقر و (٢) للاسمر

	الزنوج	المغول	القوقاسيون
الجلد	ناعم املس بارد تفوح منهُ رائحة خاصة ولونهُ اسود فاحم	خشن الملمس مصفرٌّ يتدرَّج الى اللون الزيتوني	(١) ابيض مشرب حمرة شفاف يشف عن العروق التي تحتهُ (٢) اصفر او اسمر يتدرَّج الاول الى اللون الزيتوني والثاني الى الاسمر الغامق

	الزنوج	المغول	القوقاسيون
الشعر	اسود فاحم مفلفل او صوفي قصير قطعهُ مسطح واللحية خفيفة او مفقودة	اسود قاتم ثخين لا لمعان له يطول كثيرًا في سكان اميركا الاصليين . قطعهُ مستدير الشاربان طويلان واما اللحية فكوسج او مفقودة	(١) كستاني اللون او اشقر او احمر طويل متموج حريري (٢) اسود او فيهِ شقرة قليلة سبط او مفتول او اجعد مقطعهُ بيضي واللحية كاملة
الراس	الراس مصفح وقد يكون عالي القحف بارز الشدق عالي الوجنتين كبير العينين جاحظهما اسودهما مصفر القرنية افطس الأنف عريضهُ غليظ الشفتين اهدلهما	الراس مسفط مستدير لكن دائرتهُ ليست تامة غير بارز الشدق كبير عظم الخدين اسود العينين ضيقهما لوزيهما صغير الانف اخنسهُ عريض الوجه مسطحهُ	(١) مصفح الراس (٢) مسفط وكلاهما غير بارز الشدق والعين زرقاء او شهلاء او سوداء برّاقة والانف طويل دقيق اشمّ او اعقف والفم صغير والشفتان رقيقتان والوجه بيضي
القامة	القامة طويلة فوق الوسط من متر و٦٧ سنتمترًا الى متر و ٧٨ سنتمترًا وقد تبلغ مترًا و٨٣ سنتمترًا والعظام كبيرة ثخينة ولكن الاطراف السفلى صغيرة	قصيرة في الغالب تحت الوسط من متر و٥٢ سنتمترًا الى متر و٧٠ سنتمترًا لكن الفرع الاميركي طويل جدًا في الغالب والعظام غليظة والجسم ممتلئ بدين ولا سيما في البلدان العالية كبلاد التبت طولهُ متر و٨٣ سنتمترًا	(١) طويلة فوق الوسط من متر و٦٧ سنتمترًا ومتر و٧٨ سنتمترًا الى متر و ٨٣ سنتمترًا (٢) تحت الوسط من متر و ٥٨ سنتمترًا الى متر و٦٥ او ٦٨ سنتمترًا (١) غليظ العضل قوي (٢) نحيف سريع الحركة
الاخلاق	شهواني سخيف العقل كثير السرور كثير الجلبة ساعاتي ينتقل بغتة من السرور الى الغيظ وفيهِ الشفقة والقساوة معًا لا علم لهُ ولا صناعة ولا ادب	بليد كئيب سكوت ضعيف الهمّة ولكنهُ جلود وينْدفع احيانًا عن غير تدبّر . علمهُ قليل وفنونهُ وآدابهُ في درجة متوسطة	شديد التصوُّر عالي الهمّة كثير الإقدام ولذلك يخاطر ويتكسب (١) حازم جلود (٢) او متسرّع ضجور . رقى العلم والفنون والآداب

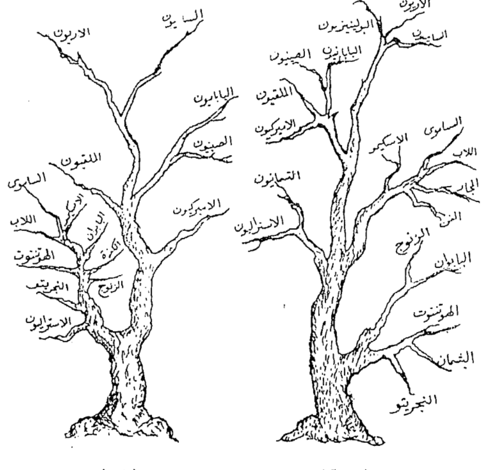
	الزنوج	المغول	القوقاسيون
اللغات	اللغات متقاربة فيها زوائد متشابهة قليلة الكلمات الموضوعة للمعاني المجرَّدة	بعضها مستقل غير متصرّف وتكثر فيها الكلمات التي من مقطع واحد وبعضها متقارب تكثر فيه الملحقات المتماثلة وبعضها مركَّب الكلمات وهي كثيرة الكلمات الموضوعة للمعاني المجرَّدة	اكثرها متصرف بملحقات تلحق اواخر الكلمات وتمتزج بها ولذلك فاكثر كلماتها مركبة ويسهل تحليلها وردها الى اصولها والكلمات الموضوعة فيها للمعاني المجرَّدة كثيرة لا نهاية لها
الاديان	تكثر فيها عبادة الطبيعة والموجودات والسحر	متعددة الآلهة وعبادة الارواح الاعتقاد بالاحلام والرؤى وفريق كبير بوذية	موحدة تعتقد بالوحي وعندها الكهنة او خدمة الدين . وفريق كبير برهمية

والفرع الزنجي يسكن افريقية من شرقيها الى غربيها ويمتد جنوبًا الى اطرافها الجنوبية وشمالاً الى نحو الدرجة ٥ من العرض الشمالي . ويسكن ايضًا جزائر الاوقانوس كغينيا الجديدة وكيلدونيا الجديدة وفيجي . ويسكن بين الفرع الزنجي اقوام قصار القامة يسمون بالنيجريتو او الزنوج الصغار ولعلهم اقدم في البلاد التي هم فيها من الزنوج . ومنهم اقزام الكنغو وبشمن جنوبي افريقية وبعض سكان جزائر فيليبين وشبه جزيرة ملقا وجزائر اندمان وجزيرة غينيا الجديدة . ويخالفون غيرهم في كون رؤُوسهم مسفطة اي ضيقة من الامام الى الوراء فضلاً عن قصرها

والفرع المغولي يسكن القسم الاكبر من نصف الكرة الشرقي ومنهُ كل سكان اميركا الاصليون . واشهر اقسامهِ اولاً التتار المغول الساكنون شمالي اسيا واواسطها وآسيا الصغرى وبعض روسيا وشبه جزيرة البلقان . وثانيًا سكان بلاد التبت وسكان الصين الاصلية واليابان والهند الصينية . وثالثًا سكان فنلندا ولابلندا وجبال اورال وشمالي سيبيريا وبلاد المجار . ورابعًا القسم الملتي ومنهُ سكان شبه جزيرة ملقًا وجزائر السند ومدغسكر وجزائر فيلبين وفورموسا وزيلندا الجديدة وساموى وتهيتي وهواي . وخامسًا كل هنود اميركا اما الاسكيمو والاينو فمن المغول لكنهم شاذُّون عنهم كثيرًا

والفرع القوقاسي ويقال لهُ ايضًا فرع البحر المتوسط لانهُ استوطن اولاً سواحل البحر المتوسط في اسيا واوربا وافريقية انتشر حديثًا في اميركا الشمالية والجنوبية وجنوبي افريقية واستراليا واشهر اقسامهِ (١) الآريون سكان الهند وايران وارمينية وبر الاناطول واكثر

اوربا ويدخل تحته الهنود والافغان والفرس واهالي بلوخستان والارمن واليونان والطليان والسلت التوتون والسلاف و(٢) الساميون سكان العراق وسورية وبلاد العرب وشمالي افريقية ومنهم السريان والعرب والفينيقيون والاحباش و(٣) الحاميون سكان شمالي افريقية وشرقيها ومنهم القبط والبربر والتوارك والبجاة والبشاري والدناكل والصومال و (٤) القوقاسيون الاصليون ومنهم الشراكسة والابكاسيون و (٥) الباسك سكان جبال برنيز الغربية.



(ش ٤) (ش ٣)

وكما تكثر اللغات في بلاد بكثرة الفواصل بين سكانها وقلة وسائل المخالطة وتقل بنزع الفواصل منها وتقريب المواصلات كذلك تكثر الفروق بين طوائف الناس حتى يظهر انهم من فروع مختلفة ما داموا منفصلين بعضهم عن بعض وتقل حتى يصيروا كلهم كشعب واحد اذا كثر امتزاجهم بعضهم ببعض ولذلك فالشعوب كثيرة مختلفة في البلدان التي يقل امتزاج الناس فيها وقد كانت في العصور الغابرة اكثر مما هي الآن

وقد صنع الاستاذ منتغزا شجرتين لطوائف الناس اوضح في الواحدة منهما نسبة الفروع بعضها

الى بعض في سلَّم الارتقاء كما ترى في الشكل الثالث المرسوم في الصفحة السابقة وتظهر منهُ نسبة طوائف الناس بعضها الى بعض من حيث ارتقاء البنية فانهُ وضع النجريتو والبشمان والهوتنتوت والبابوان والزنوج في اسفل هذه الشجرة وجعلهم متفرعين من فرعين كبيرين وجعل الاستراليين والتسمانيين فرعاً آخر فوق فرع الزنوج. والاسكيمو والساموي واللاب والمجار والفن من فرع آخر قريب من فرع الاستراليين. وقسم اعلى الشجرة الى فرعين كبيرين في اوطإِها اليابانيون والصينيون والملقيون وهنود اميركا وفي اعلاها الآريون والساميون والبولينيزيون سكان جزائر الباسيفيكي المشهورون باعتدال القامة وكمال الخلقة

ورسم في الشجرة الثانية طوائف الناس من حيث ارتقاؤُهم العقلي كما ترى في الشكل الرابع ففرَّع منها فرعاً كبيراً وضع الاستراليين في اسفلهِ وفوقهم النجريتو فالزنوج فالكفرة والهوتنتوت فالبابوان فاللاب والاسكيمو فالساموي وفوقهُ فرع هنود اميركا ثم فرع الملقيين وفرع الصينيين واليابانيين وفي اعلاها فرع الآريين والساميين. وعليهِ فالساميون والآريون في اعلى شجرة نوع الانسان عقلاً وجسماً وتحتهم الصينيون واليابانيون والملقيون وهنود اميركا ثم تأتي بقية طوائف الناس تحت ذلك

وقد اجتزينا بهذا الفصل عن فصل الفراسة لدخولهِ في موضوعها وسنعود اليها في الجزء التالي

منزلة الشعر من التاريخ

توطئة

التاريخ شخص العمران المتجسم للعيان وراويتهُ البليغ اللسان يقصُّ علينا اخبار الماضين تبصرةً وذكرى للباقين وانموذج عبرة للمعتبرين يعرب عن اسباب البقاء ودواعي العفاء وبواعث الانحطاط والاعتلاء وكيف ضافر النجاح ذوي النبل حتى دانت لهم المناكب والهام ولماذا خذل المجدُ الزعانف حتى داستهم المناسم ووطأتهم الأقدام

والشعرُ أهرام التاريخ الناطقة بآثار الامم في حالتي الصولة والصغار وبرج المآثر الخالد مع الدهر خلود الليل والنهار يخطّطُ المعالم والمواطن تخطيط الجغرافي الحاذق ويذكر الشعوب والاقوام ذكر المؤرخ الخبير ويسلسل القبائل والعشائر نظير النسَّابة المدقق ويصف السجايا والطباع وصف الاخلاقيّ الحكيم ويبسط اخبار الدول والممالك بسطاً يتعذر على الأثريّ المحقق

ان يأتي بمثلهِ فضلاً عن انهُ معجم اللغة الذي لا مراء في قولهِ ودستور قواعدها الذي لا رجوع في حكمهِ وشارعها المنصف الذي لا مردّ لما ارتضاهُ وقضى بهِ

ومن ينكر علينا ذلك ونحن لدى امعاننا النظر في قصائد الشعراء الجاهليين والمخضرمين ومن أخذ عنهم في صدر الاسلام تتمثل لنا عاداتهم واخلاقهم وآداب مجالسهم وصفات امرائهم ومنازلهم وملابسهم ومتاجرهم وحكمة رؤسائهم مما لا يبقى معهُ شكٌّ في تعيين مرتبة الامة العربية قبل الرسالة الاسلامية والاعتراف بسمو مداركها ورغادة معيشتها كأننا واياها جاران في دار

واستنتاج ذلك على ضربين الاول: أن يُعمَد الى ديوان احد الشعراء فتفحص ابياتهُ بنظرٍ دقيق وذهنٍ حافظ ويستخلص ما فيها من حكمة او وصف عادةٍ او ذكر موطن سواء كان هضبة او يفاعاً فيعلم من اخبار قوم ذلك الناظم واخبار سواهم بقدر ما جاء في شعرهِ. ثم يؤتى بديوان شاعر آخر فيلخص على هذا النحو ويكون لنا من ذلك ابحاث في مطالب شتى غير محكمة التبويب ولا منظمة التنسيق. والثاني: ان يُستكمَل البحث على ما مرَّ بيانهُ ثم يوضع كل نوع من مطالب التاريخ في بابهِ الخاص ويقسم ذلك الباب الى ابحاث فتنجلي فصولهُ ككواكب زواهر في أوج العنان وربارب اوانس في منحنى الطرس لا في الخيف والبان. وهذا السبيل اوعر مسلكاً وابعد شقةً ولكنهُ من جودة الوضع وغزارة الفوائد بمكان. وها انا ذا اضع بين ايدي قرّاء المقتطف هذه الرسالة متضمنة لمعة مقتطفة من اشعار الاقدمين مسندة الابيات الى اصحابها دفعاً لمحذور الريبة وقد جمعت بها لمحة من تاريخ العرب وعاداتهم واموالهم ومساكنهم وامثال هذه المباحث وقد سلكتُ في بعضها مسلك الجمع وهو الضرب الاول مما قررتهُ وفي بعضها الآخر مسلك التبويب وهو الضرب الثاني رغبة في ان يكون تلوُّن طرق البحث ادعى الى مرضاة المطالعين فابتدئ بالضرب الاول (١)

(١) قصيدة لعبيد بن الابرص الاسدي

١ القصيدة ٢ اعتبار الالوان ٣ شرب الخمرة ٤ تحية الملوك ٥ خرافة الهامة ٦ نزوح العرب في مواطنها ٧ موطن القبيلة الاصلي ٨ كون الملك عند العرب وراثيا ٩ مثل سهولة الانقياد ١٠ عشائر اسد

١ يا عينُ ما فابكي بني اسدٍ فهم اهل الندامه
٢ اهل القباب الحمر والـ ـنَّعم المؤثَّل والمدامه (٢)

(١) هي طريقة المبرد في الكامل والعاملي في الكشكول

(٢) النعم الابل خاصة والمدامة الخمر

٣ حلاً أبيتَ اللعن حـ لاً ان ما في قلت آمه (٣)
٤ في كلّ وادٍ بين يثـ رب فالقصور الى اليمامه
٥ تطريب عانٍ او صيا ح محرّق او صوت هامه
٦ ومنعتهم نجداً فقـد حلّوا على وجلٍ تهامه
٧ برمت بنو اسدٍ كما برمت ببيضتها النعامه
٨ مهما تركت تركت عفـ واً او قتلت فلا ملامه
٩ انت المليك عليهم وهم العبيدُ الى القيامه
١٠ ذلّوا لسطوتكم كما ذلّ الاشيقر ذو الخزامه

البيت الاول من هذه القصيدة يدلُّ على ان بني اسدٍ اقدموا على معصية ندموا عليها وهي عصيان مليكهم كما يستدَلُّ من البيت التاسع

وفي البيت الثاني صفة ما تميّز بهِ كرام المشائر من القباب والمال فنستدلُّ منهُ ان اللون الاحمر خاصّ بالعظماء كما يؤيّد ذلك قول ابي الطيب المتنبي

من الجآذر في زيّ الاعاريب حمر الحلي والمطايا والجلابيب (٤)

ولا بدع اذا اعتبروا اللون الاحمر ميزة لباس العظماء فانهم كانوا يعرفون الارجوان بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقتهِ

كأنَّ ثيابنا منّا ومنهم خُضبنَ بارجوان او طُلينا

والارجوان لون ملكي اي انهُ خاصٌّ بالملوك وكبار الامراء وهو احمر وعليهِ فقد اتخذ العظماء اللون الاحمر ميزة للباسهم ولكن لم يكن هذا شأن العرب قاطبةً فملوك بني غسان اعتبروا اللونين الابيض والاخضر افضل الالوان واتخذوهما ميزة لهم قال النابغة الذبياني

يصونون اجساداً قديمًا نعيمها بخالصة الاردان (٥) خضر المناكب

واما الاعشى ميمون فانهُ يقول في صفة حبيبتهِ .

صفر الوشاح وملء الدرع بهنكة اذا تأتّى يكاد الخصر ينخزلُ (٦)

وقد اخذ بقولهِ علقمة الفحل حيث قال

(٣) غضاضة

(٤) الجآذر جمع جؤذر ولد البقرة الوحشية والجلابيب جمع جلباب وهو ضرب من الثياب

(٥) اي بيضاء الاردان

(٦) الوشاح والدرع ضربان من الملابس والبهنكة الممتلئة البدن

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة كأنها رشأٌ بالبيت ملزومُ (٧)

و يُستَدَلُّ من هذا البيت ايضاً انهم كانوا يعتبرون النعم (اي الابل خاصةً) اشرف مقتنياتهم وان شرب المدامة دليل رغد العيش و بسطة الجاه وعزة الجانب ويؤكد ذلك قول امرىء القيس الكندي

حلّت لي الخمر وكنت امرأً عن شربها في شُغُلٍ شاغلِ
اليوم فاشرب غير مستحقِبٍ اثماً من الله ولا واغلِ (٨)

وقال تأبط شرًا

حلَّت لي الخمر وكانت حراماً وبلأيٍ ما أَلَمَّت تحِلُّ (٩)

وجاء في شرح البيت الثاني من قول عنترة العبسي في صفة سيد قومهِ وبطلهم

ومشكّ سابغة هتكتُ فروجها بالسيف عن حامي الحقيقة معلَمِ (١٠)
ربذٍ يداهُ بالقداح اذا شتا هتّاك غايات التجار ملوّمِ

اراد بالتجار تجار الخمر ومفاد قولهِ هتاك غايات التجار ان لا يترك شيئاً من الخمر الاَّ اشتراهُ

وقال يزيد بن عمرو بن صعق

فنمتُ الليل اذ اوقعتُ فيهم قبائل عامرٍ وبني تميمِ
وساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً اكادُ اغصُّ بالماء الحميمِ (١١)

وفي البيت الثالث (من قصيدة عبيد المتقدمة) وردت تحية يُستَدَلُّ من البيت التاسع انها احدى التحيات الواردة في مخاطبات الملوك . اقول احدى التحيات لا التحية الخاصة كما زعم البعض بدليل قول امية بن ابي الصلت في مخاطبة سيف بن ذي يزن تبَّع حمْيَر

سلامٌ ايها الملك اليماني لقد غلب البعاد على التداني

وفي البيت الرابع عدَّد اماكن من بلاد العرب يُفهم من قرائن الحال انها منازل قبيلتهِ وبالتالي نستنتج ان الملك الذي كان يخاطبهُ هذا الشاعر كان حكمهُ سائدًا هنالك

وفي البيت الخامس ما نستدلُّ منهُ ان خرافة الهامة كانت شائعة عند العرب . وخرافة الهامة هي اعتقادهم انهُ اذا قُتل أحدهم فلم يُدرَك ثارهُ خرج من رأسهِ طائر كالبومة وهو الهامة

(٧) الخرعبة الجارية الدقيقة العظام الناعمة والرشأ الظبي
(٨) المستحقب المدخر والواغل الداخل على القوم في شرابهم
(٩) اللأي البطء والاحتباس
(١٠) السابغة الدرع وفروجها جيبها والمعلم ذو العلامة ادلالاً بشجاعتهِ (١١) البارد

فتصيح على قبرهِ اسقوني اسقوني فان قتل قاتله كفت عن ذلك . قال ذو الاصبع العدواني

يا عمرو إلاّ تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

ومن البيت السادس نستنتج ما يأتي (اولاً) ان لحجر قولاً مطاعاً في نجد كلها (ثانياً) ان العرب كانوا حينما ينالهم ضيم يغادرون منازلهم ويتحولون الى بلادٍ أُخرى وهذا مؤيد من قول النابغة الذبياني ايضاً حيث قال

فدع عنك قوماً لا عتاب عليهم هم الحقوا عبساً بآل القعافع

اي انهم اخرجوهم من ارضهم فألحقوهم بالقعافع (ثالثاً) ان ملكهم الذي ارتحلوا من ارضهِ خالعين نير طاعتهِ كان شديد البأس نافذ الصولة حتى انهم كانوا بعد مغادرتهم ارضهُ واستظلالهم بحمى سواهُ في وجل من ان يوقع فيهم لكونهِ جباراً لا يبالي بسواهُ . او لانهُ كان بين ملوك العرب معاهدات ومواثيق فيتمكن الواحد منهم ان يقتصَّ ممن شقّوا عصا طاعتهِ وان برحوا من ديارهم الاولى . وهذان الفرضان يصحّان معاً او يصحّ احدهما حينما نقوم الادلة على صحة الدعوى وسيأتي معنا في خلال البحث ما فيهِ الكفاية

والبيت السابع نحتجُّ بهِ على ان قبائل العرب المتبدّية وان رحبت الارض بهم وهان عليهم الترحُّل والتنقل فان لهم منازل خاصة يحسبون الجلاء عنها اغتراباً فهم في ذلك كالحضريين من سكان المدن الذين ينزحون من قطر الى آخر ولا يزالون محافظين على الانتساب الى موطن مخصوص وبالتالي نستنتج ان حب الوطن مغروس في قلوب الناس اجمع حتى في قلوب البدو الضاربين خيامهم كل يوم في بقعة من الارض ريثما ترعى مواشيهم كلاها وذلك يحقق ما جاء "ان حب الاوطان من الايمان"

ونستدلُّ من هذا البيت ايضاً على ان العرب كانوا يضربون مثل الملل والضجر بالنعامة الحاضنة بيضها

والبيت التاسع يدل على ان المُلك عندهم وراثي للملِك ولسلالتهِ من بعدهِ ما لم تسلبهُ يدٌ غالبة كما يدل على اعتقاد قبيلة ذاك الشاعر بيوم القيامة وسنشبع الكلام في البحث الاخير في الفصل الذي نتكلم بهِ عن اديان العرب

والبيت العاشر ينتج منهُ ان الملك دوَّخ القبيلة فعادت الى طاعتهِ مستكينة صاغرة كما يستدل منهُ ان العرب كانوا يضربون مثل سهولة الانقياد بالاشيقر ذي الخزامة اي البعير كما قال العباس بن مرداس السلمي

لقد عظم البعيرُ بغير لبٍّ فلم يستغنِ بالعظم البعيرُ

يصرّفهُ الصبيُّ بكل وجهٍ ويحبسهُ على الخسف الجرير (١٢)
وتضربهُ الوليدة بالمراوي فلا غيرٌ لديهِ ولا نكير (١٣)

فهذه الابيات العشرة على قلتها عدداً قد دلَّت على امورٍ عديدة من اخبار بني اسد منها تعيين حكامهم ونوعية ملكهم واماكن سكناهم ونزعات نفوسهم ومفاخرهم ومقتنياتهم وشرابهم وتحيات ملوكهم وامثالهم . وهذه الادلة اذا وزنّاها بميزان التبصر نجدها اثبت دلالة من الحروف الهيروغليفية على هيا كل المصريين ومن الحروف الاسفينية التي حفظت اخبار الكلدانيين الاقدمين

واذا تتبعنا اقوال هذا الشاعر (عبيد بن الابرص) ناظم هذه القصيدة وامعنا النظر في علاقات الحوادث يمكننا ان نجزم ان بني اسد قبيلة ذات عشائر منها دودان وهي عشيرة هذا الشاعر لقوله

قومي بنو دودان اهل الحجى يوماً اذا القحت الحائلُ

وان ملكهم الذي شغبوا عليهِ كان حجر بن عمرو بن الحارث بن عمرو الكندي بدليل قوله

يا ذا المخوفنا بقتـ ـل ابيهِ اذلالاً وحينا (١٤)
ازعمت انك قد قتلـ ـت سراتنا كذباً ومينا (١٥)
هلاَّ على حجر ابن ام قطام تبكي لا علينا
الى ان يقول هلاَّ سألت جموع كنـ ـدة يوم ولوا أين اينا
ومنها وجموع غسان الملو ك اتيتهم وقد انطوينا
ولقد ابحنا ما حميـ ـتَ ولا مبيح لما حمينا

فاننا نستنتج من هذا ان المخوّفهم ملك من كندة وانهُ ابن حجر المقتول . ولم يتهدَّد بني اسدٍ ملك من ملوك كندة ابوهُ يدعى حجراً الاَّ امرؤُ القيس . فامرؤُ القيس اذن هو خصيم عبيد . لا بل لنا من قول عبيد

تمنّى مُرَيْءُ القيس موتي وان أمُتْ فتلك طريق لستُ فيها بأوحدِ

قرار صريح بان خصم عبيد هو امرؤُ القيس لان مُرَيْءُ القيس تصغير امري القيس للازدراء

واذا ثبت لنا ان خصيم عبيد هو امرؤُ القيس فقول عبيد " ازعمت انك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا " جاء تفنيداً لقول امريء القيس

(١٢) الجرير الحبل (١٣) المراوي جمع مراوة وهي العصا الضخمة والغير جمع غيرة وهي النخوة والنكير الانكار
(١٤) الحين الهلاك (١٥) السراة السادة المين الافك

قد قرّت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

ومن بني غنم بن دودان اذ نقذف اعلاهم على السافل

ومالك وعمرو وكاهل وغنم بن دودان عشائر من اسد . فمن هذين البيتين نعرف اسماء بعض عشائر اسد معرفة لا وجه للشك بصحتها امين ظاهر خير الله

احتفال برتلو وخطبته



مضى خمسون سنة على العلاَّمة الاستاذ برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور منذ نشر اول تأليف علمي من تآليفهِ فاحتفل الفرنسويون بذلك احتفالاً باهرًا في مدرسة السوربون بباريس في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر الماضي برئاسة المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية وكان معهُ وزراؤهُ وسفراء الدول ونوَّاب الجمعيات العلمية الفرنسوية والاجنبية

ونادي السوربون يسع ثلاثة آلاف نفس فكان غاصًّا بجلَّة القوم الذين حضروا اكرامًا لشيخ الكيماويين الفرنسويين في هذا العصر وكان في النادي تماثيل اشهر رجال فرنسا الذين اعلوا مقامها العلمي بين ممالك الارض مثل روبرت ده سوربون منشئ مدرسة السوربون ورشليه وباسكال وده كارت ولافوازيه ورولين . وكأن تماثيل اولئك العظام حضرت بدلاً منهم لتحيي من استحق بعلمهِ وعملهِ ان يُقرن اسمهُ باسمائهم

وفتح الاحتفال بخطبة تلاها وزير المعارف عدّد فيها مآثر برتلو العلمية في ترقية شأن التعليم في فرنسا لانهُ لم يقتصر على المباحث العلمية بل التفت الى حال التعليم في المدارس الابتدائية والعالية . وتلاهُ المسيو دربو سكرتيرا كادمية العلوم وعدّد الفوائد التي استفادها العلم بنوع عام من الاستاذ برتلو . ثم قام المسيو فوكه رئيس اكادمية الطب وكرر ما قالهُ المسيو دربو واعرب عن سرور الاكادمية ببلوغ واحد من اعضائها هذا المقام السامي في نظر العالم المتمدن وقال ان رجلاً مثلهُ شرفٌ لكل جماعة ينضمُّ اليها . وتلاهُ المسيو مواسان استاذ الكيمياء في السوربون وعدد مكتشفات برتلو في علم الكيمياء وقال انهُ بحث منذ سنة ١٨٥٥ في السكر بحثاً ادَّى الى تركيب الحامض الفورميك والالكحول وفتح باباً جديداً للكيماويين الذين كانوا يحسبون التحليل الكيماوي غاية ما يتوخونهُ فصاروا يرون التركيب الكيماوي من مطالب الكيمياء كالتحليل . وكان وهلر وليبغ قد نفيا وجود القوة الحيوية فخالفهما وفنَّد كثيراً من مزاعمهما وساعدهُ في ذلك صديقاهُ باستور وكلود برنار وكلٌّ منهم خلَّد اسمهُ في سجل العلم

وقام بعدهُ المسيو غاستون باري وتكلم عن علاقة الاستاذ برتلو بمدرسة فرنسا وقال انهُ دُعي سنة ١٨٥١ ليكون مساعداً فيها وذهب بعد ذلك الى مدرسة الصيدلة ثم اعيد الى مدرسة فرنسا وبقي فيها الى الآن رافضاً مناصب كثيرة اكثر ريعاً لهُ منها

وكان في المحفل نوَّاب من المانيا وانكلترا والنمسا وايطاليا واسبانيا فقام الاستاذ فشر الالماني استاذ الكيمياء في مدرسة برلين الجامعة وتكلم بالنيابة عن اكادمية بروسيا العلمية والجمعية الكيماوية الالمانية وتلاهُ الاستاذ غلادستون الانكليزي وقدم الاستاذ رمسي الاميركي فتلا خطبة مرسلة من الجمعية الملكية وتبعهُ الاستاذ رينلدز الانكليزي فتلا خطبة من الجمعية الكيماوية وبعد خطب أُخرى من هذا القبيل قام المسيو برتلو وفاه بالخطبة التالية قال

ان ما اراهُ من اكرامكم لي قد حرَّك عواطفي واوقعني في حيرة شديدة وانا عالم انكم لم تبدوا هذا الاكرام لمجرَّد حبكم لي بل قد راعيتم فيهِ سني واشتغالي الطويل بالعلم وبعض الخدم التي اتيح لي ان اخدم بها بلادي وابناء نوعي . وهذا الحب الذي اظهرتموهُ لي قد زاد النور والبهاء في سراج حياتي الذي يكاد ينطفئ في ظلمة الابدية . وما اكرام الناس للشيوخ سوى دليل على ارتباط ابناء الزمان الحاضر بالذين سبقوهم وبالذين يأتون بعدهم . وما نحن سوى نتيجة لازمة عمَّا كانهُ اسلافنا فلهم نحن مديونون بكل ما لنا وان استطاع احد منا ان يزيد شيئاً في ابواب العلم او الصناعة او الآداب فما ذلك الا لان كثيرين قد اشتغلوا قبلهُ وكدُّوا وجدوا واشتغال اسلافنا بالعلم هو الذي تكرمونهُ الآن . وعلى كلٍّ منا ان ينسب جانباً كبيراً

من نجاحهِ الى العلماء المعاصرين لهُ المشتغلين مثلهُ . وما من احد يستطيع ان يدَّعي انهُ اكتشف وحدهُ شيئاً من المكتشفات الكبيرة التي تمت في القرن الماضي وما علمنا سوى مجموع ما وضعهُ كثيرون من المشتغلين بهِ مدة العصور الحاضرة والغابرة وقد خلفت الامم بعضها بعضاً وسعت ساعية سعياً واحداً في كشف الحقائق واستخدامها في ما ينفع نوع الانسان ويرقيهِ من درجة الى اعلى منها

كان الناس قبلاً يحسبون العلماء رجالاً عائشين على نفقة غيرهم يبحثون في العلم ليسلُّوا بهِ العظماء واهل السيادة . لكن هذا الحكم الجائر الذي يبخس رجال العلم حقهم ويحط من قدر اهتمامهم بالبحث عن الحقائق العلمية قد زال الآن لما ثبت ان حقائق العلم يمكن استخدامها في ترقية الصنائع والاعمال وان العلم يبدل القواعد القديمة المبنية على الحدس والتخمين بقواعد جديدة نافعة مبنية على الملاحظة والامتحان . ومن يجسر الآن ان يصف العلم بانهُ بحث عقيم لا فائدة منهُ وهو يرى فوائدهُ الجمة في زيادة ثروة الامة . واذا قصرنا النظر على ما يمكن يعد في المنزلة العليا من فوائد العلم كفانا ان نقابل الحالة السيئة التي كان فيها عامة الناس على ما يعلم من التاريخ بحالتهم في العصر الحاضر وما يرجى من زيادة الاصلاح في المستقبل مما لا يرتاب فيهِ احد . العلم يصلح العالم . ولقد رأى رجال السياسة فوائدهُ المحسوسة فجعلوا ينشئون المعامل العلمية وينفقون عليها لانهم وجدوا منها ربحاً للبلاد يفوق نفقاتها اضعافاً كثيرة . وللعلم حقوق اعظم من هذه فانهُ يدَّعي ودعواهُ حق انهُ هدى للناس في الامور المادية والعقلية والادبية . وتحت رايتهِ يسير العمران سيراً ذميلاً

ولقد غيَّر العلم وجه المسكونة منذ نصف قرن الى الآن فان الناس الذين من عمري رأوا شيئاً مخالفاً للطبيعة ان لم يكن مضاداً لها وهو اسمى منها بما لا يقدَّر رأوهُ يتكامل امامهم ورأوا قوة الفرد تتضاعف بهِ مئة ضعف بتحويل النور والكهربائية والمغنطيسية . ولم يقف الارتقاء عند هذا الحد بل ان زيادة التعمُّق في معرفة الكون وبناء الانسان جسداً وعقلاً دعت الى اعتبار نوع الانسان بصورة جديدة مبنية على الالتحام التام بين كل طوائفهِ . وكما تكثر روابط الناس ويزيد التحامها بتقدُّم العلم وبتوحيد القوانين التي يستخرجها العلم مما يجري في الكون ويفرضها على الناس كلهم فرضاً واجباً من غير عنف كذلك تكثر هذه الفوائد وتزيد اهميتها حتى لا يبقى مناص منها وستكون اساس الآداب والسياسات ولذلك صار للعلماء شأن كبير بين رجال السياسة ايضاً

لكن واجباتنا لغيرنا تزيد بزيادة اهميتنا وهذا يجب ان نتذكرهُ دائماً ولا ننساهُ . واحترام الناس للعلماء لا يقصد بهِ تبجيلهم وارضاؤُهم كلاً بل يقصد بهِ الاعتراف بانهم خدموا ابناء

نوعهم غير منتظرين اجراً ولا شكوراً — خدموا ابناء نوعهم باصلاح احوالهم وتقليل متاعبهم فاستفاد منهم الجميع الاغنياء والفقراء · ولهذا السبب اتفقت الحكومة والامة منذ تسع سنوات على اكرام باستور في هذا النادي . وهذا عين ما كتب على الوسام الذي يريد رئيس الجمهورية ان يقدمهُ لي . ولا اعلم هل قمتُ بما كتبهُ النقَّاش عليهِ ولكنني اعلم انني بذلت جهدي دائماً لاقوم بهِ . انتهى

قال مكاتب التيمس وكان لهذه الخطبة وقع عظيم في نفوس السامعين ولا سيما للقسم الاخير منها فصفقوا للخطيب طويلاً ودنا رئيس الجمهورية منهُ وعانقهُ ثم قلدهُ الوسام المشار اليهِ آنفاً

فائدتان طبيتان

الاولى استخراج الكحول من جسم الانسان

ذكرت في مقالتي السابقة ملخص الخطاب الذي القاهُ الاستاذ شانتميس في القسم العملي من المدرسة الطبية عن الطريقة الجديدة في علاج الحمى التيفوئدية·

واليوم القى الاستاذ ديولافوى مدرس الباثولوجيا خطابهُ الاول في مستشفى اوتيل ديو لافتتاح السنة المدرسية ولما كان موضوع هذا الخطاب يهمُّ القراء بوجه العموم لما فيهِ من الفوائد الممزوجة ببعض الفكاهة رأيتُ ان اوافيهم بملخص ما قالهُ

لمَّا انتظم عقد المجلس اقبل الاستاذ وبرفقتهِ واحد من خدم المستشفى وجلس على كرسيهِ ووقف الخادم الى جانبهِ فعجبنا للامر وصرنا نتساءل عن شأن خادم المستشفى في مثل هذا المقام وكان الاستاذ ديولافوى ينظر الينا متبسماً كانهُ عالم بما يدور في خلدنا . وبعد هنيهة دخل القاعة نفر من الممرضين يحملون سريراً من خشب عليهِ مريضةٌ فوضعوا السرير الى جانبهِ وانصرفوا واذ ذاك قال

اراكم ايها السادة تنظرون بعين العجب طوراً اليَّ وطوراً الى هذا الخادم الواقف الى جانبي وكأني اسمعكم تتساءلون ما شأن هذا الخادم في مثل هذا المحفل فاعلموا ان هذا الرجل ليس لهُ شأنٌ في موضوع خطابي لأن الموضوع محصور في تدرن الاعور المزمن (الاعور اول المعا الغليظ) وطرق تشخيصهِ وعلاجهِ الجراحي الشافي كما ستسمعون

وانما اتيتكم بهذا الخادم لاطلعكم على مشاهدة طبية غريبة في ذاتها فارجو ان تعتبروا هذه المشاهدة او هذا الخادم بالنسبة الى موضوع الخطاب كمجابات القابلية من المآكل التي تقدم في بدء مناولة الطعام او بعبارة اخرى «كالهوردوفر» (استحسان)

دخل هذا الرجل المستشفى منذ عدة شهور لا للخدمة فيهِ كما هي وظيفتهُ الآن ولكن للاستشفاء من داء الديابيطس او البول السكري الذي لا يزال بهِ حتى الآن . وانتم تعلمون انهُ لا سبيل الى ابقاء كل المرضى المصابين بعللٍ مزمنة كالديابيطس في المستشفيات لأن ليس لمثل هذه الامراض مدة معلومة بل هي ترافق اصحابها طول حياتهم ولو ابقينا مثل هؤلاء المرضى في المستشفيات الى اجلٍ غير مسمّى لضاقت بهم قاعاتها واتعذر علينا مداواة الامراض الاخرى الحادة التي هي احوج من المزمنة الى الالتفات . واني لم ابقِ هذا المريض في المستشفى حتى الآن الاّ لانهُ يفيد المستشفى اكثر مما يحمّلهُ من النفقة ليس فقط لانهُ يخدم فيهِ كباقي الخدم ولكن لمزية اخرى ستعلمونها

عرفتم الآن ان هذا الرجل مصاب بالداء السكري ولكن ما عرفتم غير شيء واحد وغابت عنكم اشياء . اتعلمون كم ياكل هذا الرجل في الاربعة والعشرين ساعة وكم يشرب وكم يبول وكم يفرز من السكر ؟ كلاَّ اعلموا ان هذا الرجل بل هذا الغول يأكل ويشرب ويبول كستة رجال تماماً فاذا كان الطعام بيضاً ياكل كل مريض بيضتين وهو ياكل اثنتي عشرة بيضة وهيهات ان يكتفي بذلك واذا كان الطعام لحماً اكل كل مريض ماية واربعين غراماً اما هو فيأكل الف جرام الى غير ذلك من المآكل والنسبة واحدة . واذا شرب كل مريض لترين من الماء في الاربع والعشرين ساعة يشرب هو اثني عشر لتراً . وهو لحسن الحظ يكتفي بالماء لارواء غليلهِ ولا يطمع بشرب النبيذ ولولا ذلك لضاق ذرع الحكومة دون اروائهِ (استحسان)

انتم تعلمون مثلي ان غاية ما يفرزهُ المصاب بالديابيطس من السكر في اليوم عشرون غراماً او ستون او ثمانون او مئة او مئتان وقلما نسمع باكثر من ذلك وهذا الرجل يفرز من السكر في الاربعة والعشرين ساعة الفاً وسبعة وسبعين جراماً . وعند ما تشتد عليهِ وطأة المرض يفرز احياناً الفاً وثلثمائة غرام في اليوم فهو والحالة هذه اشبه شيء بفبريقة

سكر (استحسان)

وبينا انا ذات يوم افكر في امر هذا المريض ذكرتُ قول العالم الكيماوي كاوت برنار ان الانسان يشبه النبات في افراز السكر متى اصابهُ الديابيطس فقلت في نفسي انهُ يمكننا ان نستفيد من سكر النبات باستخراجنا الكحول منهُ فلماذا لا نفعل ذلك بالبول السكري ولا سيما ببول صاحبنا وهو مزيج من الماء والسكر (ضحك واستحسان) ولم يكد هذا الفكر يلوح لي حتى استدعيت صيدلاني المستشفى وكلفتهُ ان يجمع البول الذي يبولهُ هذا المريض في الاربع والعشرين ساعة ويعالجهُ ويستخرج منهُ ما يمكن استخراجهُ من الكحول ففعل وكانت كمية الكحول الذي استقطرهُ من بول اربع وعشرين ساعة اربعماية غرام وهو من احسن انواع الكحول المعروفة حتى الآن طيب الرائحة جيد الطعم (ضحك واستحسان) ولما رأى الصيدلاني ان ثمن هذا الكحول يربو على نفقة استخراجهِ وان في ذلك فائدة للمستشفى تقوم مقام ما تنفقهُ الحكومة على هذا المريض داوم على جمع البول واستخراج الكحول منهُ وما زال يفعل ذلك وسيظل يفعلهُ ما دام هذا المعمل في المستشفى . وقد اتيتكم بار بعمئة جرام من هذا الكحول النقي وذلك ما استقطرهُ الصيدلاني من بول امس فخذوا الزجاجة وشموا رائحة هذا الكحول النقي وذوقوهُ فهو حلو المذاق والذ من الكنياك والروم اللذين تشربونهما مع القهوة (ضحك واستحسان) . قال الاستاذ ذلك وادار علينا تلك الراح فشممناها وذقناها فالفيناها تزري بالخندريس المعتقة . وبينا نحن ندير الكاس نظر الاستاذ الى الخادم وقال لهُ دعهم الآن يكرعون من مستقطر خمرك واذهب انت الى المطبخ فاني اراك خائر القوى لانك لم تاكل منذ نصف ساعة « تصفيق »

الثانية احدث الطرق واصحها لتشخيص التدرُّن

ولما انصرف الخادم وانتهينا من « الهور دوفر » شرع الاستاذ في الكلام على موضوع خطابهِ الاساسي وهو تدرن الاعور المزمن وكيفية تشخيصهِ وعلاجهِ فقال ان تدرن الاعور المزمن الذي نحن في صددهِ لا يشبه في شيء التقرحات الدرنية المعوية التي تعتري المرضى في اواخر السل الرئوي فان هذه التقرحات تصيب في الغالب المعى الدقيق وتكون ثانوية لتدرنٍ آخر مزمن في الجسم كالسل الرئوي او تدرن العظام

الى غير ذلك ولذا فهي لا تصيب الاَّ الذين انهكهم داء التدرن وهي متى ظهرت تنذر بدنو الاجل ولها اعراض خصوصية تميزها عن بقية الامراض المعوية واهم هذه الاعراض النزف المعوي او الاسهال النزفي (ميلينا) . اما تدرُّن الاعور المزمن فليس في شيء من ذلك فان هذه العلة تكون في الغالب اولية لا ثانوية اي ان التدرن يظهر في الاعور مباشرةً قبل ظهوره في موضع آخر من الجسم . ولذا كان تشخيصها من اصعب الامور قبل ظهور الطريقة الحديثة التي وجدها الدكتور ارلوان وسأتكلم عنها . فالمصابون بهذا الداء لا يرى غالبًا في حالتهم الصحية العمومية ما يشير الى التدرن او يوجه النظر اليهِ اذ ليس في رئاتهم او عظامهم او مفاصلهم او قسم آخر من ابدانهم اعراض تدرنية وهم لا يشكون في بدء ظهور العلة سوى الم في البطن عمومًا وفي حفرة الحوض اليمنى خصوصًا واسهال يكون في الغالب بسيطًا ويندر ان يكون مصحوبًا بنزيف (ميلينا) هذا ما يشكو منهُ المصاب بتدرن الاعور المزمن وانتم تعلمون مثلي ان هذه الاعراض لا تكفي مطلقًا لتشخيص المرض . واذا فحصنا الموضع المؤلم الذي يشير اليهِ المريض اعني الحفرة اليمنى من الحوض ماذا نجد او بماذا نشعر ؟ اننا بمجرد النظر الى ذلك الموضع لا نرى في الغالب ادنى اشارة تدل على ان هناك علة قتالة مستترة تحت جدران البطن فلا ورم ظاهر ولا احمرار ولا ارتشاح ولا احتقان في الاوردة واذا جسسنا الموضع المؤلم نشعر بورمٍ صغيرٍ قلما يتجاوز حجمهُ التفاحة هذا كل ما نشعر بهِ وهو لا يكفي ايضًا لتشخيص العلة وغاية ما يمكننا الحكم بهِ بعد الجس المستطيل ان هنالك ورمًا ونقف عند هذا الحد دون ان نقوى على الحكم بما هي طبيعة ذلك الورم وما هي الطرق التي يمكننا اتخاذها لعلاجهِ ولذا بقيت هذه العلة زمنًا طويلاً مبهمةً علينا يموت بها كثير من المرضى ونحن نقول اذا سئلنا عن سبب الموت كان هنالك ورم ونصاب بالخرس بعد نطق هذه الكلمات الثلاث . وكنا لا نهتدي الى حقيقة العلة وسبب الموت الاَّ بعد التشريح الرمي وكان ذلك عارًا علينا وعلى الطب . ولولا تقدم الجراحة من جهة واكتشاف طريقة ارلوان من جهة اخرى لبقينا الى ما شاء الله نؤَجل الى بعد الوفاة تشخيص العلة التي نحن في صددها . وقد سبقنا الجرَّاحون الى التشخيص قبل الوفاة لمَّا اقدموا في هذه السنين الاخيرة على عملية فتح البطن اقدامًا

لم يكن في الحسبان . فكنا اذا فحصنا مريضاً وشعرنا بورم في حفرة حوضهِ اليمنى وتعذر علينا الحكم بما هي طبيعة ذلك الورم نسلم المريض الى الجراحين مستسلمين ونقول لهم ربما كان الورم سرطاناً او ربما كان تدرناً مزمناً اذ ليس لدينا من الاعراض ما يساعد على البت في الحكم . وكان الجراحون ينظرون الينا بعين التهكّم وبعد ان يفتحوا البطن ويروا الورم بعيونهم ويلمسوهُ باصابعهم ويقطعوهُ بمشارطهم ثم يبحثوا بحثاً مكروسكوبياً ويحققوا طبيعتهُ يشمخون علينا بانوفهم ويقولون كنتم في ضلال فارشدناكم وعلمناكم ما كنتم تجهلون . على اننا وان كنا نسلم بمهارة الجراحين واقدامهم على فتح البطن وبالنتائج الحسنة التي اتت بها الجراحة في عصرنا هذا لا يسعنا الآن ان ننكر على الجراحين المعجزة التي يدَّعونها في تشخيص الورم بعد فتح البطن . فليست المعجزة ان يشخص الورم وهو تحت الميكروسكوب ولكن المعجزة ان يشخَّص وهو في بطن المريض قبل شقهِ . وهي الغاية التي طالما صبت اليها نفسي واجهدت للوصول اليها كل قواي العقلية . وما زلتُ ابحث في الاعراض الموضعية والعمومية المميزة لكل ورم من اورام حفرة الحوض اليمنى وما زلت اترقب الفرص لاثبت للجراحين ان اجهاد القوى العقلية يغني احياناً عن المشرط في صحة التشخيص حتى دخلت المستشفى هذه المريضة التي ترونها امامكم مضطجعة في سريرها باسمة الثغر موردة الوجنتين وليس في هيئتها العمومية ما يدل على انهُ بتر من معاها الغليظ ما طولهُ اثنان وعشرون سنتمتراً منذ اسبوعين

دخلت هذه المريضة المستشفى منذ عشرين يوماً وقبل ان افحصها سألتها ان تشرح لي عن العلة التي ساقتها الى المستشفى واليكم ما قالتهُ لي .

« انني مصابة منذ ستة عشر شهراً بعرضين مؤلمين لم يقف بعد طبيبٌ على حقيقة سببهما فمن قائل انني مصابة باسهال مزمن ومن مدعٍ بان بي داء السرطان ومن مشخصٍ ان دائي عصبي حتى ان بعض الاطباء قال لي ان مرضي وهمي لا حقيقة لهُ . وكم جرعوني ادويةً ودهنوني بمراهم وعالجوني بحراريق ولبخ والعرضان اللذان بي هما هما . ولما عيل صبري واعيتني الحيل وانفقت في تطبيب علتي كلما كنت املكهُ من حطام الدنيا اتيت هذا المستشفى لعلي انال فيهِ الشفاء على يدكم . اما العرضان المؤلمان اللذان اتوجع

ليلاً ونهاراً منهما فاحدهما الم في البطن عموماً وفي القسم الاسفل الايمن منهُ خصوصاً وثانيهما اسهال صيَّر عيشتي مرة حتى كرهت حياتي فاني اخرج الى بيت الراحة لا اقل من ست مرار او سبع في الاربع والعشرين ساعة اما الالم فيتراوح حيناً فحيناً بين اللين والشدة ولكن عند ما تشتد عليَّ وطأتهُ اشعر كأن احشائي تتقطع وان جسماً غريباً في بطني يحاول الخروج وذلك اشبه شيء بألم الطلق وقت الولادة . هذهِ هي علتي التي قصدتكم لاجلها راجيةً ان تشفوني منها »

ثم نظر الاستاذ الى المريضة وقال لها . اليس هذا عين ما قلتهِ لي يوم وصولك المستشفى فاجابت نعم واعادت علينا كل ما قالهُ الاستاذ عن لسانها . فسألها الاستاذ قائلاً : والآن كيف حالك قالت « اني الآن على غاية من الصحة حمداً لله وشكراً لكم ومن بعد ما شققتم بطني لم اعد اشعر بالمٍ وفارقني الاسهال والان لم اعد انتظر شيئاً سوى ساعة خروجي من المستشفى »

واذ ذاك استدعى الاستاذ الخدم فأعادوا المريضة الى غرفتها ثم استطرد خطابهُ فقال : — ولما انتهت المريضة من شرح حالتها فحصتها فحصاً مدققاً فوجدتها صحيحة الجسم ولم ارَ علةً في عضوٍ من اعضائها الرئيسية ما خلا الامعاء لانها كانت ولا شك مقر العلة والدليل على ذلك الم البطن والاسهال . ولما اشارت الى ان معظم الألم في حفرة الحوض اليمنى تحوَّلت كل انظاري الى الاعور وقلت في نفسي لا ريب انهُ هو المصاب او ان العلة بجوارهِ . فلما تأملت ذلك الموضع لم ارَ فيهِ عرضاً خارجياً يهدينا السراط القويم فلون الجلد طبيعي ولا ورم هناك ولا احتقان في الاوردة ولكن لما جسست الموضع شعرت بورمٍ مستطيل املس ليس فيهِ تحدُّبات يشبه شكلهُ شكل كمثراة قسمها الضخم متجه الى الاسفل . ولما جسست هذا الورم بيديَّ شعرت بانهُ يمكن تحريكهُ أُفقياً من اليمين الى الشمال ولا يمكن تحريكهُ من الامام الى الخلف او من أسفل الى اعلى او بالعكس الاَّ تحريكاً خفيفاً جداً يكاد لا يشعر بهِ . فلم احتج الى اكثر من ذلك ونفي امكان هبوط الكلية اليمنى من مكانها الى حفرة الحوض اليمنى كما يمكن حصول ذلك ولو نادراً وكونها « الكلية » هي الورم الذي اشعر بهِ في تلك الحفرة فانتم

تعلمون مثلي ان الكتلة في مثل هذه الحال يمكن تحريكها الى كل الجهات حركةً واسعة النطاق خصوصاً من اسفل الى أعلى

وقدّم عيد المرض جعلني ايضاً انفي نفياً باتاً كون الورم نتيجة التهاب حادّ في الاعور او الانسجة المحيطة بهِ لأَن هذا المرض لا يمكن ان يستطيل الى هذا الحد من جهة ومن جهة أُخرى لا يمكن حصولهُ دون ان يحدث اعراضاً عمومية وموضعية مميزة لهُ

بقي اذًا التشخيص محصورًا بين تدرُّن الاعور المزمن وبين ورم من الاورام كالسرطان مثلاً . فما هي الاعراض المميزة لسرطان الاعور وهل بعض تلك الاعراض موجود هنا . اذا كان الورم سرطاناً نشعر غالباً اذا جسسناهُ بان سطحهُ غير املس بل ان فيهِ تحدبات وتعاريج مميزة ولكن قولنا غالباً دليل على ان ورم السرطان يكون احياناً املس كورم التدرن المزمن فلا يكننا والحالة هذه الاعتماد على هذا العرض لبت الحكم في التشخيص طالما ان ملوسة الورم كما هي حالتهُ في المريضة لا تنفي السرطان وعدمها لا يثبتهُ

ومن اعراض السرطان المميزة النزف المعوي الذي يدل عليهِ سواد الغائط «ميلينا» وهذا العرض وان كان يحدث في الغالب من تقرح السرطان قد يجوز ان لا يحدث لا سيما في بدء المرض او ان يكون النزف طفيفاً يفوت المريض والطبيب . فضلاً عن ان هذا العرض قد شوهد احياناً في بعض حوادث من تدرن الاعور المزمن فعدم حدوثهِ عند مريضتنا لا يثبت كونها مصابة بتدرُّن مزمن في الاعور كما انهُ لو حدث لا يثبت اثباتاً قطعياً ان العلة هي السرطان فلا يسعنا اذاً الاكتفاء بهِ لفصل الخطاب في التشخيص

وللسرطان علامة أخرى تصحبهُ دائماً وهي احتقان الغدد اللمفاوية عند الحالبين والحفرة الترقوية فهذه العلامة غير موجودة في مريضتنا ولكن ذلك لا يثبت تدرن الاعور المزمن وينفي السرطان لان احتقان الغدد اللمفاوية قد شوهد ايضاً في تدرُّن الاعور المزمن فهذا ايضاً عرض لا يعوَّل عليهِ في التشخيص . فترون مما تقدم ان كل الاعراض الموضعية المنسوبة الى السرطان قد يوجد كلها او بعضها في تدرُّن الاعور المزمن

وانّا اذا اعتمدنا عليها لبت الحكم في التشخيص نركب متن الشطط . فلم يبقَ لنا والحالة هذه للتمييز بين المرضين سوى النظر الى حالة المريضة العمومية وقد شاهدتم الآن المريضة باعينكم ورأيتم انها باسمة الثغر موردة الخدين وان جسمها اقرب الى السمن منهُ الى الهزال وان ليس في هيئتها العمومية ما يدل على الضعف وهكذا كانت يوم دخولها المستشفى بعد ان قضت ثمانية عشر شهرًا تقاسي الآلام من مرضها . فحالتها العمومية هذه وحدها كافية لنفي السرطان نفيًا يكاد يكون قطعيًا واثبات تدرُّن الاعور المزمن لان السرطان لا يبقي جسم صاحبهِ ثمانية عشر شهرًا دون ان يلحق بهِ الهزال واللون الشاحب الليموني إن هو لم يمضِ بهِ الى الآخرة . وذلك بخلاف تدرن الاعور المزمن فان هذه العلة تبقى زمنًا طويلاً في جسم صاحبها دون ان يلحقهُ شيء من الشحوب او الهزال والسبب في ذلك كما ذكرت لكم ان هذه العلة تكون في الغالب اولية اي ان التدرن يظهر مباشرةً في الاعور قبل ظهورهِ في الرئتين اوعضوٍ آخر ويبقى الداء زمنًا طويلاً محصورًا في ذلك القسم من المعى قبل ان ينتشر في الجسم ويسبب الهزال

ثبت لكم اذًا ان حالة المريض العمومية هي من اهم الامور التي يلزم توجيه النظر اليها فهي التي تهديكم سواء السبيل غير انكم لسوء الحظ لا يمكنكم الرجوع اليها والتعويل عليها في فصل السرطان عن تدرُّن الاعور المزمن الاَّ اذا ازمن المرض ولكن هبوا ان المرض لا يزال في اول عهدهِ وانهُ ان كان سرطانًا او تدرُّنًا مزمنًا لم يلحق بعد بالمريض هزالاً او شحوبًا فلأي عرضٍ ترجعون اوعلى ايَّة علامة مميزة تعولون في فصل الخطاب . هذه هي العقدة التي ظل حلها مستحيلاً علينا حتى اكتشف الدكتور ارلوان طريقتهُ الحديثة في تشخيص علَّة التدرن اين كانت في الجسم ومهما كانت محصورةً وحديثة العهد . واليكم بيان ذلك

بقي الدكتور ارلوان زمنًا طويلاً يجاهد في البحث والتجارب حتى تمكن اخيرًا من الحصول على مستنبت سائل صرفٍ متناسبٍ من مكروبات كوخ وتحقق بالادلة الدامغة والبراهين القاطعة ان هذا المستنبت تتغير حالتهُ تغيرًا بينًا واضحًا اذا اضيف اليهِ بعض قطرات من مصل دم المصابين بالتدرُّن ايًّا كان مركز ذلك التدرن من الجسم ومهما

كانت حالتهُ من حيث حداثة عهدهِ او قدمهُ وانحصارهُ في نقطةٍ صغيرةٍ من الجسم او انتشارهُ فيهِ كلهِ . وبيان ذلك انَّا اذا وضعنا في انبوبة من زجاج جانبا من هذا المستنبت خمسة غرامات ،ثلاً ونظرنا الى هذا السائل وجدناهُ شفافاً وليس فيهِ شيءٌ من الكدر ثم اذا اضفنا الى هذا القدر من المستنبت قطرةً واحدةً من مصل دم مريض بهِ تدرنٌ وعدنا بعد مضي ساعتين او ثلاث فنظرنا الى المستنبت رأينا تحت سطح السائل كتلاً صغيرة جداً بيضاء اللون واذا راقبنا هذه الكتل نراها تتكاثف رويداً رويداً وتتضخم شيئاً فشيئاً حتى اذا زاد ثقلها النوعي عن ثقل السائل رسبت في قعر الانبوبة . والسبب في تكوين هذه الكتل هو ان ميكروبات كوخ التي كانت اولاً منتشرة في المستنبت السائل انتشاراً متساوياً نسبياً لا تلبث ان تتجاذب بعضها الى بعض ومن تكاثفها وانضمامها تتكون في سائل المستنبت تلك الكتل البيضاء . والدليل على ذلك انا اذا بحثنا بالمكرسكوب في قطارة من مستنبت ارلوان قبل اضافة مصل دم المتدرنين اليهِ وجدنا ميكروبات كوخ منتشرة فيهِ انتشاراً نسبياً متساوياً واذا بحثنا في قطارة من ذلك المستنبت بعد اضافة المصل اليهِ وجدنا ان الميكروبات قد تجاذبت وتجمعت والَّفت بقعاً وما بقي من السائل اصبح خالياً منها

فترون جميعكم ما لاكتشاف ارلوان هذا من الاهمية ليس فقط لتشخيص العلة التي نحن في صددها عند اول ظهورها اذ يتعذَّر فصلها بتاتاً عن سرطان الاعور بل لتشخيص كل تدرنٍ في بدء ظهورهِ سواء كان السل الرئوي او تدرن المفاصل او العظام او الغدد اللمفاوية الى غير ذلك من الانواع التي تعرفونها . فكلما اشكل عليكم الامر وتعذر عليكم الحكم في ما اذا كان المريض مصاباً بالتدرن او مرض اخر فما عليكم الاَّ الاستعانة بطريقة ارلوان هذه لفصل الخطاب فهي طريقة علمية حقيقيه اثبتتها التجارب وهي الطريقة التي رجعت اليها وعولت عليها في بت الحكم نهائياً بان المريضة التي رأيتموها هنا كانت مصابة بتدرن الاعور المزمن وليس بالسرطان . فلما اخذت من مصل دمها ومزجت مستنبت ارلوان ببعض قطارات منهُ وتحققت ظهور الكتل البيضاء الصغيرة في السائل لم يبقَ عندي ادنى ريبٍ في ان الورم الذي شعرت بهِ في حفرة الحوض اليمنى كان ورماً درنياً

وهنالك طريقة اخرى يستعين بها بعض الاطباء المعرفة ما اذا كان في جسم المريض تدرُّن اولا وهي ان يحقن بسائل التوبيركولين tuberculine فان كان مصاباً بالتدرن يحصل فيهِ ردُّ فعلٍ شديد ويصاب بالحمى ولا يظن فيهِ شيء من ذلك ان كان جسمهُ خالياً من الدرن . على اني لا ارغب في استعمال هذه الطريقة ولا اشير عليكم باستعمالها لانها احياناً كثيرة تضر بالمرضى ضرراً شديداً اذ شوهد ان بعض المصابين بتدرن بطيء السير ومحصور في قسم صغير من اجسامهم متى حقنوا بالتوبيركولين يستحيل فيهم الداء من مزمنٍ الى حادٍ ومن بطيء السير الى مستعجلهِ وقد ينتشر التدرُّن في كل اجسامهم فلا يلبثون ان يموتوا بسلٍّ رئويٍّ شديد الوطأة سريع السير . فهي والحالة هذه طريقة تربو اضرارها على فوائدها واجدر بنا تركها جانباً لاسيما وان لدينا الآن طريقه ارلوان التي تأتي بنفس الفائدة وليس من استعمالها اقل خطر على حياة المريض

وبعد ان بتت الحكم نهائياً بان المريضة مصابة بتدرُّن مزمنٍ في الاعور نصحت لها بعملية شق البطن واستئصال الورم فعملت بنصيحتي بلا تردد وفي الغد شقَّ جراح المستشفى بطنها واستأصل قسم المعى المصاب بالتدرن فبلغ طولهُ اثنين وعشرين سنتمتراً منها سنتمتران من المعاء الدقيق عند اتصالهِ بالغليظ وما بقي اي العشرون سنتمتراً من القولون الصاعد كلهِ بما فيهِ الاعور طبعاً وقسماً صغيراً من القلون المستعرض

وقد بحثنا في الورم بعد استئصالهِ فوجدناهُ محاطاً بطبقة سميكة جدًّا من نسيج دهني ليفي ووجدنا في جدران الامعاء لا سيما في جدران الاعور قروحاً درنية احدثت صلابةً وسماكة في الاغشية المعوية وضيقاً في تجويف المعى ولما بحثنا تحت المكروسكوب في جزء من الاغشية المتقرحة وجدنا فيهِ عدداً لا يحصى من ميكروبات كوخ

ولم تمضِ ثلاثة ايام على العملية حتى عادت للمريضة قابليتها للاكل وزالت منها الآلام وانقطع الاسهال وما زالت حالتها متحسنة شيئاً فشيئاً حتى اصبحت كما رأيتموها الآن على صحةٍ جيدة لا تنتظر سوى ساعة خروجها من المستشفى انتهى

باريس الدكتور ابرهيم شدودي

عروسة النيل [1]

الفصل الاول

دانت مصر لجيوش المسلمين وخضع اهلها لفئة قليلة من الغزاة الفاتحين اتوها والبسالة شعارهم وحب الفتح رائدهم فاستولوا عليها و بعد ان كانت يتيمة في تاج قياصرة الروم اصبحت تعترف بسيادة الخليفة عمر بن الخطاب ورُفعت رايات الاسلام على معاقلها وحصونها

وكان صيف ٦٤٣ (اي لثلاثين شهرًا بعد الفتح) شديد القيظ قليل الخير والبركات اخلف فيهِ النيل عهدهُ ولم يفِ بوعدهِ فلم يكد المصريون يفرغون من حفلات نزول النقطة (١٧ يونيو) حتى تبين لهم ان عامهم سيكون كثير القحط والجدب لان ماء النيل اخذ يتناقص بدل الزيادة ويهبط عوض الارتفاع

ففي ١٠ يوليو من تلك السنة وصلت الى منف [2] مدينة الاهرام قافلة صغيرة آتية من الشمال وفي مقدمتها احد تجار العرب واسمهُ هاشم وهو كهل عليهِ هيئة النعمة وفي وجههِ وعينيهِ سمات التأني والصبر والدعة وعلى ملامحهِ اثر العزم والنشاط ومن ورائهِ كوكبة من الفرسان تدججوا بالسلاح وكلهم رهن اشارتهِ وطوع امرهِ والى يسارهِ زعيم ادلاَّء المدينة وتراجمتها راكبًا على حمار . وكانت منف قد فارقتها زهوتها وغادرها مجدها وانحطت عن سابق مقامها الرفيع وعزها الشامخ ايام كانت شوارعها وسبلها تضيق بقوافل التجار وتغص بمركبات البضائع المشحونة اليها من الآفاق ومواكب الملوك والامراء وذوي اليسار من اهلها تسد الفضاء . ولم يخفَ هذا التبديل على عين التاجر فطفق يسأل الدليل عن اسباب تقهقر المدينة ويعجب لانحطاطها الى ان قال „ وقد كنت اطرق هذه العاصمة منذ ثلاثين سنة متجرًا واراها اليوم غير ما كانت عليهِ بالامس فكنت فيما مضى اطوف بين القصور الشاهقة والحدائق النضرة وارى اليوم الخراب محيقًا بي كيفما سرت فقل لي مَن الذي اتلف هذه الكنيسة الفخيمة فان المسلمين لم يتعرضوا بسوء لبيَع المسيحيين كما سمعت من قائدنا عمرو بن العاص

الدليل — هذه كنيسة الروم الملكيين القائلين بالطبيعتين في المسيح فقد كان منهم في منف

---

(١) (المقتطف) هي احدى روايات العلامة جورج ابيرس الالماني وصف فيها احوال القطر المصري ا لفتحهِ القائد الشهير عمرو بن العاص في اواسط القرن السابع للميلاد . نقلها الى العربية صديقنا الكاتب الفاضل خليل افندي ثابت وقد علقنا عليها ما يلي من الحواشي اتمامًا للفائدة

(٢) عاصمة القطر المصري القديمة كانت مبنية حيث ترى خرائب البدرشين وميت رهينة الآن

فئة كبيرة استعانت علينا بامبراطورهم فعاملوا اهل البلاد معاملة العبيد واجبرونا على الصلاة في كنائسهم. ومن منّا نطق بايمانهِ بالطبيعة الواحدة عاقبوهُ كما يعاقب العصاة الى ان جاء قومك ورفعوا عنا نيرهم الثقيل فحصدوا الآن ما زرعوهُ ايام سوددهم وسطوتهم وبغيهم ولم يبقَ في مصر والحمد لله سوى المسلمين واليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة فانتم طردتم الروم عنّا ونحن خرّبنا كنائسهم

التاجر — لكن الملكيين اخوانكم في الدين وجميعكم نصارى

الدليل — ذلك قولهم على اننا لا نسلم بنصرانيتهم بعد الذي اشتهر من هرطقتهم اما نحن اليعاقبة او القائلين بالطبيعة الواحدة فلا نسلّم مقدار ذرة من اعتقادنا واما اذا قضي على ديانتنا بالفناء فاني افضل الاسلام على الاعتراف بالحادثم ولتقطيعُ اوصالي وموت زوجتي واولادي اهون عليَّ من ارتكاب هذا الكفر الشنيع اي القول بطبيعتين في السيد المسيح ولا يغرب عنك ان سيف الاسلام الآن مزايا شتى فانتم اليوم حكامنا واولياء الامر فينا لا زلتم كذلك ولما كان لا بدَّ لنا من حكم الاجانب فأهون علينا ان نؤدي جزية طفيفة لخليفتكم الحكيم العادل من ان نرغم على تأدية اضعافها الى امبراطور الملكيين. وقد احسن الينا جريج ابن مينا المقوقس (٢) في مسالمتكم لانكم اهل مروّة واحسان وعدل وانتم جيراننا ولا يبعد ان نكون واياكم جنساً واحداً فلا غرو اذا فضلناكم على هراطقة القسطنطينية مضطهدي البشر

ولما قال هذا دار بالقافلة في عطفة تؤدي الى شارع عريض نظيف يحازي النيل فلما ساروا فيهِ قال التاجر

— سمعت عن المقوقس هذا وقد عرفت اباهُ من قبلهِ رجلاً فاضلاً موسراً وسمعةُ الابن طيبةً نقل لي ألا يزال ينعت بالوالي

الدليل — نعم يا مولاي فانَّ امرتهُ اعرق اسر المصريين نسباً واكبرها جاهاً وقد تعاظمت ثروتهُ بما حملتهُ اليهِ زوجتهُ من المال وهو مثال الحكمة والعدل يرقب سير الامور بعين اليقظ الحازم لكنهُ اليوم ضعيف عليل حتى ان قائدكم يعبر النهر اليهِ اذا اراد لقاءهُ. فقد كدَّر الروم صفاء عيشهِ وبدلوا نشاطهُ بالضعف فاسأل اهل وادي النيل يجيبوك ان العشب لا ينمو حيث تقع اقدامهم واقد يظن الواحد لاول وهلة ان مقام المقوقس من حيث هو نائب القيصر

(٢) اختلف الكتاب في من هو المقوقس الذي ذكر مورخو العرب انه كان والياً على مصر وقت الفتح وقبلهُ والمرجح الآن انه والٍ صغير من ولاة الاقاليم ساعد عمرو بن العاص على دخول مصر وان المقوقس لقب لهُ وهو باليونانية μεγαυχής اي الفخور او المجيد واسمهُ جريج بن مينا على ما قالهُ المؤرخ الشيخ ابو صالح الارمني

بعضهم من ظلمهم وجورهم ولكنهم لما ثاروا على طائفتنا في الاسكندرية بدسائس بطريقهم قتلوا ابنيهِ وكلاهما في عنفوان الشباب فسحقوا نفس الاب وهدموا ركنهُ

التاجر — افأصبح من غير ولد

الدليل — كلاَّ فقد بقي لهُ ابن وحفيدتهُ ماري من احد ابنيهِ القتيلين وهي مقيمة في بيت جدّها وقد عاد ابنهُ من القسطنطينية بعد غيبة طويلة فاحتفلوا بعودتهِ وخرجت المدينة باسرها للقائهِ فنصبوا اقواس النصر ونثروا الخضرة والازهار ونفروا زرافات ليروا ابن المقوقس العظيم وكانت النساء في طليعتهم وقد اخبرني اخي وهو مهذبهُ في صغرهِ ان الشاب مفرط في الذكاء والآمال معقودة بنجاحهِ وفوزهِ على اني اخالهُ سيقع في اشراك النساء فهو جميل طويل القامة بهيّ الطلعة تعجب بهِ الحسان وهنَّ حولهُ كثيرات

التاجر — وما عليهِ من ذاك فان لم يكن فيهِ سوى هذا العيب فلا بأس عليهِ وقد اعجبني وصفك اياهُ

الدليل — لكنني لست منفردًا في هذا الزعم فان اخي مهذب الفتى يقول قولي فاذا لم يتدرع ابن المقوقس بالفضيلة والحزم فبهاء طلعتهِ وجمال وجههِ سيطوّحان بهِ في مخاطر جمة وعواقب مشومة وعندي ان من واجبات الشبان كبح جماح شهواتهم وصيانة شبابهم ومع ذلك فقد ملك هذا الفتى حبة قلبي فاذا بسم في وجهي خلت السعادة اشرقت شمسها في طريقي ومثلي الوف في منف يشعرون شعوري لا سيما النساء فقد فتنهنَّ الاَّ ان بعضهنَّ يبكينَ دمًا بدل الدمع من اجلهِ وايم الحق . . . . اذكر الذئب . . . . قفوا يارجال وانظر يامولاي فان الذي نتكلم عنهُ قادم

— وهل هذه مركبتهُ

— نعم وهذه خيلهُ التي جاء بها من القسطنطينية تسابق البرق وتسبق الريح وقد اختفى موكبهُ الآن وراء السياج ولكنك تراهُ من حيث انت على الهجين وهذه ابنة سوسنة الارملة كانت جالسة معهُ في المركبة وهذا البستان وذاك البيت لها وها قد دخلا البستان

— او ليس هذا بيت فليمون تاجر الحنطة

— نعم وهو زوج سوسنة هذه تزوجها كهلاً واولدها وحيدتها وريثة امواله واغنى بنات البلاد وهي خفيفة الروح قصيرة لمن كانت في سنها وكأنها حمامة في جسم فتاة حتى لقبها القوم هنا "بحمامة الماء"

— حبذا اللقب فهي صغيرة الجسم لطيفة القوام بسيمة الوجه وقد وقعت في عيني احسن

وقع فما اسم ابن الحاكم

— اسمهُ اوريون

— لم تبالغ يا صاح في وصفهِ فقلّ ان تقع العين على مثلهِ طولَ قامة وجمالاً وحسن معانٍ ولا غرو اذا علقت الحسان بحبهِ فمن كان مثلهُ فهو يفتن امهُ في المهد ثم تلحق بها سائر النساء وارى امارات الصدق والبسالة والفطنة تلوح في وجههِ ولو خلف ردائهِ الارجواني وحلاهُ الذهبية في القسطنطينية لاحسن لان هذه الحلي والحلل لا تجانس مدينتكم الخربة المظلمة . قال هذا ولبث يتأمل في ما يجري امامهُ فرأى اوريون يضع في حضن الفتاة كلباً ابيض صغيراً فقبلتهُ هذه وقصفت ساق سنبلة ولفتها على عنقهِ كانها تقيسها وظلاً كذلك ساعة يتحدثان ويتضاحكان حتى اذا همّ الفتى بالانصراف نهضت الى شجرة فقطفت منها زهرتين فتقدم الفتى يريد اسعافها فلطمتهُ على يدهِ وناولتهُ الزهرتين ووجهها يتهلل فرحاً فأخذ الزهرتين منها وقبل مكان اللطمة ثم انحنى واسرّ في اذنها كلاماً فرمتهُ بما في يدها واندفعت تعدو الى البيت وهو يناديها وسمعهُ التاجر يصيح يا كاترين يا كاترين الفتانة . فسرّ التاجر بما رآهُ وكأن ذكرى ايام الشباب عاودتهُ فابرقت اسارير وجههِ وتمنى للاثنين الرغد والسعادة

ولكن اوريون لم يكد يخرج من البستان حتى رمى بالزهرتين الى الارض وامر السائق بالعودة الى البيت فاندفعت الخيل كالبرق الخاطف حتى حجبها الغبار . فحزن التاجر لقلة وفائهِ وامر غلامهُ ان يلتقط الزهرتين من الرمل ففعل ثم التفت الى الدليل وقال " لقد صدق اخوك في ظنهِ فستكون النساء عقبةً في سبيل هذا الفتى ويكون عقبةً في سبيلهن " فما قصة هذه الفتاة "

الدليل — سمعت ان اميهما اتفقتا على تزويجهما والمرأتان على ثروة طائلة والفتاة تحسب الامر مقضياً اما الآن وقد وارت الاهرام الشمس وخفّ الهجير فخير لجماعتك ان يذهبوا الى ذلك الخان حيث لا يعدمون الظلّ واسباب الراحة . قال هذا واشار الى بناء ضخم قديم العهد

التاجر — ليذهب الرجال بالجمال الى الخان اما انا ورستم (شيخ القافلة) فنبغي لقاء الحاكم فسر بنا اليهِ قبل الظلام

الدليل — احبُّ الى المقوقس استقبال زائريهِ في العشية منهُ في النهار فان تبغي لقاءهُ فهات ديناراً ادفعهُ الى سبك القهرمان وانا اضمن لك ما تريد فالبث في مكانك ريثما اسرع الى القصر وأُوافيك بالخبر اليقين

الفصل الثاني

كان الخان الذي اشار اليهِ الدليل قائماً على مرتفع من الارض تحيط بهِ اشجار النخل وهو

البقية الباقية من هيكل فخيم لامحوتب اله الطب والشفاء عند المصريين فاشتراهُ احدهم بثمن بخس واتخذهُ فندقاً يأوي اليهِ القوافل وباعة المواشي وفتح بستان النخل متنزهاً لاهل المدينة فوضع فيهِ الموائد والكراسي على ضفة النهر وابتاع بعض القوارب قصد اكرائها لمن يريد منهم النزهة في النيل فصار فندقهُ مجمعاً للتجار والجزارين وبستانهُ مقصداً لاهل منف يتنشقون فيهِ النسيم البليل ويتعللون بالشراب المنعش

وكان عمرو بن العاص قد شرع يبني مدينتهُ في العدوة الشرقية فاقام جسراً (كبرياً) من القوارب على النيل وامر الفعلة بنقل الاعمدة والسواري وحجارة الرخام من انقاض آثار المصريين الى الفسطاط وكان هيكل امحوتب هذا مغشاة جدرانهُ بالرسوم والنقوش القديمة فكساها الدخان حلةً سوداء بيضها الخلف بالشيد وملأوها بالآيات والرموز باليونانية والمصرية فجلس التاجر واتباعهُ في صحن الهيكل يتعشون و يطفئون ظمأهم بالماء القراح الا رستم شيخ القافلة وهو فارسي مجوسي يشرب الخمر ولما اكتفوا التفت التاجر اليهِ وقال مُرهم ان يحملوا القطيف وليحسنوا شدهُ فقال رستم لقد فعلوا

فقال التاجر اذا هيا بنا نسبقهم . ونقدمهُ الى بستان النخيل . وكانت الشمس قد توارت وراء الاهرام والمدافن والهضاب الليبية وبدا الجبل الشرقي وبابل (٤) في العدوة الشرقية بمختلف من بديع الالوان يبهر النظر وكأن الورد اعار الجبال والسهول الوانهُ فمن ذهبي الى قرمزي الى كميت تتعاقب في تلك البطاح كحسو الطير اوكلمح البصر فشرح هذا المنظر صدر التاجر فالقى يدهُ على ذراع المجوسي وقال "علمكم نبيكم انَّ الله لا يريد ان يظن الواحد افضلية في نفسهِ على غيرهِ وان الناس اكفاء فيجب ان لا يكون بينهم غني او فقير بل تقسم خيرات الارض بينهم على السواء فتأمل الآن في ما امامك من بديع المناظر واعلم ان ما نراهُ ملك الفقير والغني وقد قسم الله لنا نصيباً واحداً في جمال اعمالهِ وبهائها فلنقتنع بما قسم لنا اما الاموال والمقتنيات فحكمها غير ذلك فنحن في هذه كخيل الطراد والسابق فينا الفائز لكنك ونبيك تريدان ان يشد الى رجلي السابق مناً ثقل من الرصاص يعيقهُ عن الجري فلا يفوت غيرهُ . تأمل بحقك في جمال ما تراهُ وما يعتريهِ من تبدل الالوان وتعاقبها وتغير الاشكال فهل رأيت فيما رأيتهُ من الجواهر المتألقة ما هو ابدع من تلك السحابة المطرزة الحواشي"

فضحك المجوسي وقال اصبت يا مولاي في وصف ما نراهُ وقلَّ ان يبدو من ذلك شيء في بلادنا على ان جواهر القطيف احبُّ اليَّ من الياقوت والجمشت اللذين يبدوان لك في

(٤) او حصن بابل مصر القديمة التي بنيت الفسطاط على خرائبها

تلك الغمامة وانا اعطيك ابدع المناظر اذا اعطيتني بضائعك فاكون الرابح وابيعها واعود الى بلادي فاشتري فيها عقاراً واتزوج امرأة حسناء واقضي بقية العمر في تربية الخيل والسائمة واما من جهة تعاليم نبينا فلسوف يحقق الزمان امانينا فيها

التاجر — ومتى تم لك جميع ذلك يأتيك من هو افقر منك و يطالبك بنصيبه من ثروتك ويتبعهُ غيرهُ فيأخذ هذا جملاً وذاك ناقة وذلك جواداً الى ان تعود الى سابق فقرك وتبقى زوجتك الحسناء حملاً عليك فابقِ القديم على قدمهِ يارستم وليكلأك المهيمن برحمتهِ

فقبّل المجوسي يد سيدهِ وشكرهُ . وفيما هما كذلك اقبل عليهما الدليل فاخبرها ان المقوقس خرج للنزهة في سفينتهِ على خلاف العادة ومعهُ سيدات بيتهِ وابنهُ وبعض الحاشية الى ان قال وكأن عودة اوريون اعادت النشاط الى ابيهِ وجددت ما خلق من همتهِ . ثم نصح التاجر ان يؤجل الزيارة الى الغد ودلهُ على فندق في المدينة استجمع اسباب الراحة والنظافة . اما التاجر فلم يرعهُ هذا التسويف اذ كان في نيتهِ استشارة احد اطباء منف المشهورين مستشفياً من علتهِ بهِ فدلهُ الدليل على طبيب اسمهُ فيلبس قال عنهُ انهُ امهر اطباء المدينة وان المقوقس لا يثق الا بهِ . ولما كان المساء بهيجاً ارتأى التاجر ان يقضي بعض ليلتهِ حيث كان ليمتع العين والقلب بجمال تلك المناظر و يرقب النجم ذا الذنب الذي ظهر في تلك السنة فارعب المصريين والبسهم لباس الخوف حتى نكبوا عن الخروج من بيوتهم في الليل . فذهب الدليل يطلب الطبيب وجلس التاجر ورستم شيخ القافلة على مقعد مقابل النيل وكلاهما يفكر في شؤونهِ . والنهر في تلك الساعة كمنطقة من الفضة انعكس عنها نور القمر وعلى صدرهِ الجواري ناشرة شراعها تتهادى كسرب من الطير واذا بسفينة اقتربت الى حيث كانا ثم سمعا وقع حوافر فالتفتا الى الوراء وابصرا مركبة تجري امامها حاملو المشاعل فقال التاجر يلوح لي ان هذه سفينة الوالي وقد جاء من المدينة فيها على نية العودة اليها في مركبتهِ ومن غريب الاتفاق انني لقيت ابنهُ مرتين اليوم . قال هذا واخذ يحدق النظر في السفينة ومن فيها وكانت مصنوعة من خشب الارز المحلى بالذهب وعلى مقدمها تمثال القديس يوحنا حامي اسرة المقوقس والمصابيح تقذف انوارها من جهاتها الاربع فابصر المقوقس متكئاً تحت مظلة والى جانبهِ زوجتهُ وامامهما ابنهما وفتاة يونانية طويلة وابنة في العاشرة اسندت رأسها الى ركبة تلك الفتاة والى يسار هؤلاء مهذبة الابنة والطبيب فيلبس وكان اوريون ينقر على القيثار نقر بارع بفن الموسيقى وهو يحدق في الفتاة الطويلة القامة تحديق الواله كانما يعزف لها وحدها دون سائر الحاضرين وكأن تلك الاسرة صورة تمثل الوفاق ورضاء العيش والهناء والرغد

ولما رست السفينة اتى العبيد ليرفعوا سيدهم من مجلسهِ الى المركبة فنهض اوريون ودفعهم الى الوراء ثم احتمل اباهُ كمن يحمل اخف الاشياء وسارت امهُ والطبيب وراءهُ حتى اذا وضع حملهُ صاح بالسيدات الباقيات في السفينة ان يوافينهُ الى البرّ وعاد اليهنَّ يتقدمهُ حملة المشاعل . فرقَّ التاجر لضعف المقوقس ورثى لهُ لكنهُ قال في نفسهِ من كان هذا ابنهُ فاشدّ النوازل تضمحلّ لديهِ كما يفرق الريح السحاب . ولما نزلت الفتاة الطويلة الى البر تأملها فرأى جمالاً بارعاً وقامة تسيل الرقة من معطفيها وطلعة كالبدر تبدو منها العظمة والوقار ومعها تدل البنت على مواقع بعض الكواكب وتشير الى المذنَّب فاطربهُ صوتها الرخيم ومنطقها العذب . ولما كان منهم بحيث يرى ولا يُرى لبث يتأملهم جميعاً وشرح صدرهُ ما شاهدهُ من الحنوّ والرقة والجمال وعاد اوريون الى السيدات يحادثهنَّ والتاجر يقابل بين ما فعلهُ مع كاتربنا في العشية وبين تصرفهِ مع هذه الفتَّانة فقد كان الآن مقيَّد النظر بوجهها وهو يطرفها باحاديث الجد والهزل وهي ماشية الهوينا وقد انبعث الرضا والاخلاص من وجهها كما تنتشر الرائحة الزكية من زهرة بديعة خلقت لتكون بهجة للناظرين وكانت هي تصغي الى حديثهِ اصغاء من يرى في وجه المتكلم شيئاً الذ من كلامهِ

ثم جلسوا الى مائدة في البستان وجاءتهم زوجة صاحب الفندق بالكعك واللبن والعنب والفاكهة وقلبها يطفح سروراً وحبوراً لتشريف ابن المقوقس بستانها فقد كانت عادتهُ ان يتردد اليه ايام الصبا مع اصدقائهِ فاخذت تصف لهُ ما شملها من الفرح بعودتهِ وكيف انها خرجت وزوجها وابنتها وصهرها للقائهِ ثم قالت ان ابنتها تزوجت ورزقت ولداً سمتهُ اوريون تيمناً باسمهِ فشكرها وسألها عن ابنتها ثم قال للسيدات "والابنة كالام في جمالها ولطفها" فضحكت الام واومأت الى الفتاة اليونانية وسألتهُ ما اذا كان الطائر الغريد لا يزال مطلق الجناح او اوشك ان يزج في القفص فاخبرها انهُ لم يزل حرّاً ولكنهُ بدأ يشعر بلذة الاسر ولما قال هذا صبغ الحياء وجه الفتاة فحوّل الحديث وافاض في مدح صاحبة الفندق وكلفها ان تهدي سلامهُ الى ابنتها ثم تناول قيثارهُ وعزف لحناً اقترحتهُ عليهِ الفتاة وغناهُ بصوت رقيق وهي تنظر اليهِ نظرات المشوق ولما حان وقت الانصراف نهضت السيدات يطلبن السفينة وذهب اوريون الى الفندق ليحاسب صاحبتهُ فلما عاد وجد منديل الفتاة على الخوان فالتقطهُ وقبلهُ ثم هرول الى السفينة كل ذلك والتاجر ينظر وهو يتعجب لما جرى وتعطش لتعرُّف الفتاة والوقوف على علاقتها بابن المقوقس فلما عاد الدليل سألهُ عنها فاخبرهُ هذا انها باولين ابنة توما قائد الروم المشهور الذي دافع عن دمشق يوم فتحها العرب فلما انجلت المعركة عن فوزهم طلبوهُ

فلم يجدوه فلجأت ابنته الى خالها المقوقس ولم يرَ الدليل فيها عيباً سوى مذهبها فكان في عينيهِ اقبح العيوب حتى اذا ما اطنب في وصف جمالها عاد فأسهب في الكلام على كبريائها الى ان قال وزوجة المقوقس لا تطيقها في بيتها الاّ اكراماً لزوجها وحبّاً بحفيدتها ماري لتعلق هذه بها . على ان جمال الفتاة وبهاء طلعتها وقعا في نفس التاجر احسن موقع فلم يحفل بكلام الدليل ولما جاءهُ الطبيب فيلبس بعد ان انتهى من خدمة المقوقس سألهُ عنها فجاء جوابهُ مطابقاً لظنهِ فيها اذ قال ان ابنة توما هذه من اكمل المخلوقات التي خلقها الله على ان العناية لم تعنَ بصيانة صنع يديها لأن حياتها كانت سلسلة من الشقاء والعذاب . ثم فحص التاجر ووقف على علتهِ فوعدهُ بان يصف لهُ دواء يخفف كربهُ ويقرب شفاءهُ وافترقا صديقين حميمين

ستأتي البقية



اعتصاب العمال

استدراك

نشرتُ في الجزء الماضي مقالة بعنوان "شباننا والعمل" بحثتُ فيها مطوَّلاً عن علَّة بطالة بعض شباننا وعدم نجاح البعض الآخر منهم في الاعمال التي يتعاطونها حالة كونهم كلهم من الشبَّان الذين تهذَّبوا في المدارس العالية وألمُّوا بكثير من العلوم الابتدائية واللغات الاجنبية والاعمال كلَّ يوم على ازدياد . وقد بينتُ فيها أنَّ شباننا انفسهم هم علَّة البطالة وعدم النجاح الذي نراهُ بين اكثرهم لأنهم يطمحون بابصارهم الى الغنى السريع والتقدم العاجل و يطلبون ان يكون لهم بعد تعب ايام قليلةٍ او اشهرٍ معدودة حق مشاركة ارباب الاعمال في ارباحٍ قضوا السنين الطوال في السعي وراءها وافنوا عزيز العمر جدًّا وكدًّا وبحثًا وتنقيبًا وتجربةً واختبارًا واستنتاجًا واستقراءً ومكابدة اخطارٍ مالية وصحيَّة حتى تمكنوا من تأسيس العمل وادارتهِ واستدرار منافعهِ

وحدث في اواخر الشهر الماضي اعتصاب بين عمال الخيَّاطين كان لهُ في العاصمة حديث مذكور ومشهد مشهور وتناقلت خبرهُ الصحف اليومية والاسبوعية وفصَّلتهُ تفصيلاً لا محلَّ

لإثبات شيء منهُ هنا لانهُ خارج عن موضوع المقتطف . لكنَّ فريقاً من الكتبة الادباء صدَّقوا دعوى الخياطين وصوَّبوا اعتصابهم وجاهروا بآرائهم قائلين ينبغي لارباب العمل "الاوسطاوات" ان ينصفوا عمالهم ويزيدوا اجورهم ويمكنوهم من ان يقاسموهم سهماً من ارباحهم . ثم استحسنوا هذا الاعتصاب من وجهٍ آخر مدَّعين انهُ دليل حيوية الامة ونهضتها للمطالبة بحقوقها المبخوسة

فاذا صحَّ هذا الادّعاء نقض كلَّ ما اثبتهُ في مقالتي السابقة اذ يكون ارباب الاعمال انفسهم علة تأخُّر العمال كافَّة في كل صناعةٍ وحرفةٍ . وهذا ما دعاني الى الاستدراك دفاعاً عما ذهبتُ اليهِ قبلاً ونفياً لما يوهم عدم صحتهِ فاقول

ان اعتصاب الخياطين لم ينشأ قطُّ عن اهتضام "الاوسطاوات" حقوقهم ونقصهم اجورهم لاننا لم نسمع باتفاق عامّ عقدهُ الاوسطاوات فيما بينهم وسنُّوا فيهِ اجرةً معينةً لجميع عمالهم وهب انهم ارادوا ذلك فلا يستطيعون اليهِ سبيلاً ولا هو من مصلحتهم . ولا يتفق ان يكون كلّ عاملٍ مبخوس الاجرة مهضوم الحقّ . نعم يتفق ان يكون بينهم افراد قلائل امتازوا بالحذق والذكاء وتفرَّدوا بالمهارة في صناعتهم فاستحقوا من الاجرة اكثر مما يتناولون ولكنَّ امثال هؤلاء ليسوا بسببٍ كافٍ لاعتصابٍ عامٍ شاملٍ كل ابناء الحرفة وهذا امرٌ بديهيٌّ لا حاجة الى اطالة الكلام في ايضاحهِ

فالسبب الحقيقي لم يخرج عن كونهِ طموحاً في نفوس العمال الى مشاركة الاوسطاوات في ارباحهم وقد اقترنت بهِ اسباب أُخر ملابسة ومهيئة من مثل حب الربح العاجل وغلاء اسباب المعايش في الوقت الحاضر وتحريش احد كبار الاوسطاوات لعمَّال زميلٍ لهُ على الإضراب عن العمل نكايةً بهِ وسعاية أرباب مخازن الملابس "الجاهزة" واستعدادٌ طبيعي في نفوس سواد العمال للاعتصاب لكونهم اجانب متعوّدين ذلك وهو ان لم يوافق مصلحتهم لا ينافيها

اما كونهُ دليلاً على حيوية الامة ونهضتها للمطالبة بحقوقها المهضومة فليس بصحيح لان سواد المعتصبين اجانب من يونان وطليان وغيرهما وليس العمَّال الوطنيُّون من مصريين وسوريين الاَّ عدداً قليلاً بالنسبة اليهم. اولئك الاغراب نفخوا ببوق الاعتصاب فانقاد اليهم الوطنيون بعامل الانجذاب وكان من امره ما كان

اذاً هو اعتصابٌ اجنبيٌّ غربيٌّ ولا علاقة فيهِ لنا الا المكان. فكيف يصحُّ اتخاذهُ دليلاً على حيوية الامة . نعم للامة ادلة غير هذا على حيويتها ونهوضها للمطالبة بحقوقها من حيث حرصها على القيام بواجبتها نحو الحكومة ومطالبتها للحكومة بكل ما لها عليها من الحقوق . اما

مثل هذا الاعتصاب فلا يتخذ الاَّ دليلاً على ولوع الانسان بالطفرة وهي محال. وطموح الفقير الى مشاركة الغني في امواله وهو حرام غير حلال ومحال في محال اسعد داغر

وساوس لا هواجس

لقد صدق ظن حضرة كاتب المقالة " هواجس ام وساوس " حيث قال ان كثيرين من القراء متى اطلعوا عليها حسبوها اضغاث احلام . نعم وهي كما قال . على انها وان كانت لا تزيد على ذلك فهم لم يعرضوا عنها بوجوه باسرة اذ من الاحلام ما يحتمل التفسير و يعود بالخير او بالشؤم على صاحبهِ . واملي ان لا تجني احلامهُ هذه عليهِ ما جنى الحلم على رئيس الخبازين فيأوب بصفقة الخاسر كما اوجس في صدر مقالهِ

هذا واني لا احسب مقالة حضرة الكاتب خليقة بالرد والتخطئة . وليس ذلك عن مخالفتهِ لقواعد الصرف والنحو والبلاغة والبيان والمنطق فيها فانَّا عرفناهُ كاتباً بليغًا وشاعراً مجيدًا بل لانهُ اعتمد على ما يراهُ غيرهُ ويقول بهِ ولم يعتمد على نفسهِ ولا أورد رأياً من عندهِ. وكاتب لا يعتمد على نفسهِ في ما يقول لجديرٌ بان لا يطالَب بما نقلهُ عن غيرهِ ولكني استحسنت ان اسبل ذيل الصفح على ما اتى وابسط لهُ ما اشكل عليهِ فهمهُ بالنيابة عن حضرات السيدات اذا سمحن لي بذلك

كأني بحضرة الكاتب وقد جلس اليهِ محدثوهُ يناجيهم ويناجونهُ ايوب الصديق وقد التفَّ حولهُ اصحابهُ . وحبذا لو اتمَّ التشبه بهِ الى الآخر فاتانا ببعض بنات افكارهِ ولم يقتصر على الارق والاجتماع باصحابهِ ومجرد سماع ما يتلونهُ عليهِ في التشبه بهِ ولم يكتفِ بما قالهُ هذا وذاك منهم

ليس في جواب صاحبهِ الاول ما يستحق الردَّ لانهُ لم يتخطَّ فيهِ حدَّ المجاز الى الحقيقة بل طار في سماء الخيال وهام في فيافي الاوهام واجاد في حسن التعليل ولكن ضالتنا المنشودة هي الحقيقة ولو كان عنوان الكاتب نفسهِ خيالاً في خيال

واما الثاني فانهُ خرج عن الموضوع لحك حزازات وشفاء احقاد قديمة في بعض الصدور على ما يظهر فان كان يروم البحث في الموضوع الذي تخلص اليهِ فليفسح لهُ مجالاً آخر وليعين لهُ فرصة اخرى وانا اضمن لنزالهِ . وقد شطَّ في جوابهِ ولم يصب المحجة لان اللواتي اشتغلنَ بالكتابة من نسائنا لم يكنَّ من ربَّات الازياء والزينات . فالتزيي والتزين لم يقفا ولن يقفا في سبيل الكتابة والكاتبة

واما الثالث فلم يكن اقرب الى الصواب من سابقيهِ بل ابعد منهما عنهُ بمراحل . فقد اعترف انهُ وجدت كاتبات ولكنهُ استدرك على ذلك قولهُ ان كتابتهنَّ كانت لاغراض في نفوسهنَّ وهذا لا ينفي كونهنَّ كاتبات. واما تقسيمهُ الكتابة الى حقيقية وعارضة فمما لم افهمهُ ولا اظنُّ احدًا يفهمهُ او يسلم بهِ . اذ الكتابة خلة لازمة للنفس كالشعر والموسيقى وسائر الفنون الجميلة والفضائل كالكرم والشجاعة والنقائص كالبخل والجبن . وليست صفة عارضة منفكة عنها كالمرض والنوم والجلوس والقيام وغيرها من الاعراض المنتقلة

واما الرابع فقد "وسع ذمتهُ" وبالغ في الاتهام والتحامل باعتراف حضرة الكاتب فما دام واسع الذمة يحملها ما شاء متجاهلاً يضرب ايان شاء فلا سبيل الى جوابهِ لا سيما وان ادعاءهُ حرج جارح . اما الاول فلأنهُ يستحيل الخوض فيهِ واثباتهُ . واما الثاني فلأنهُ يؤلم عواطف الكاتبات اللواتي "ابرزن عرائس افكارهنَّ" بروزهنَّ ايام الاعراس

واما الخامس فجرى مجرى الكاتب نفسهِ في انهُ لم يقل قولاً ولم يبدِ رأيًا بل أشار بالالتجاء الى حكم منصف . وقد اصاب في اختيار الحكم فانهُ ابن بجدتها . فان انصف رضينا بحكمهِ والاَّ فهو ليس "بالحكم الترضى حكومتهُ"

يطلب حضرة الكاتب ان يرى كاتباتنا ويتساءل عن السبب في قلتهنَّ فليرنا اولاً كتَّابهُ وكثرتهم . وما كنتُ لاطلب منهُ ذلك اولاً لو لم يكن الرجل مدَّعيًا حق الاولية والتقدم على المرأة مستأثرًا بالقوة وحدهُ متسلطًا عليها قاصرًا قواهُ الادبية والمادية على انماء اخوتهِ وبنيهِ اولاً تاركاً اخواتهِ وبناتهِ يجرين خلفهُ مقصرات متدرجات في سلم الارتقاء تدرجًا بطيئًا على حسب ناموس النشوء والارتقاء الاجتماعي . ولما كانت الطفرة في الطبيعة امرًا مستحيلاً وكانت العوامل الخارجية المساعدة على ترقية المرأة ومجاراتها للرجل معدومة او قليلة فلا عجب اذا بقيت مقصرة عنهُ ما دام هو صاحب الامر والنهي واليد الطولى في ذلك

ومع ما في معاملة الرجل للمرأة من الغبن الفاحش لها والسيطرة عليها والعبث بحقوقها لا تكاد ترى فرقًا بين الطرفين في ما نحن بصددهِ . فان الكتَّاب الحقيقيين كما سمَّاهم حضرة الكاتب يعدون على الاصابع ونسبتهم الى مجموع المتعلمين المتهذبين اقلُّ من نسبة الكاتبات الى المتعلمات المتهذبات هذا على فرض ان الاحوال والوسائط متساوية والظروف واحدة وهي ليست كذلك كما تقدم . فاولاً ان الرجل لا يسلم بمساواة المرأة لهُ وبالتالي لا يسلم لها بالحقوق المترتبة على تلك المساواة كالتعليم والتهذيب على القليل . وثانيًا ان المرأة لم تضطر بعد في الشرق الى اتخاذ الكتابة حرفة لها كالرجل لتعيش من شق تلك القصبة كما هي الحال عليهِ

في الغرب حيث الكاتبات كثيرات . ولو اضطرت لرأيت الكاتبات عندنا عشرات ومئات فالمرأة ترى عاراً على الرجل ان تسبقهُ في هذا المضار ووسائطها اقل من وسائطهِ . وهي تغار عليهِ غيرتهُ على نفسهِ لا سيما وانها اكثر احساساً منهُ والطف عنصراً وارق مزاجاً فلا يطاوعها قلبها الضعيف ان تتطال الى ما لم يسلم لها الرجل بهِ وتجاربهُ بسلاحه

هذا واني اكتفي بما تقدم راجياً ان يكون بهِ كفاية لحضرة الكاتب ولكلّ من يلفّ لفهُ . والاّ فاذا عاد عدنا لهُ نجيب شاهين

الحقيقة

طالعت في العدد الماضي من مجلة المقتطف رسالة لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي داغر اثبت فيها آراء بعض الفضلاء في المرأة الشرقية واسباب اغفالها فن الكتابة ناسبين ذلك لقلة استعداد المرأة وانحطاط معارفها حتى انهُ بلغ بهم سوء الظن ان رموها بالسرقة وذلك باستكتاب الرجل وانتحال معانيهِ لنفسها — امور لم يبقَ بعدها حطٌ لقدر المرأة واستخفاف بمعارفها وآدابها . واني بعد ايفاء حضرة الكاتب حقهُ من الشكر والثناء لبسطهِ موضوع ذلك البحث وتمهيدهِ سبيلاً للكاتبات في الدفاع عما نسب اليهنَّ من الجهل سواءٌ كان قصدهُ الاسفار عن وجه الحقيقة كما ذكر ام انهاض همة السيدات وترغيبهنَّ في الكتابة . اقول ولا غاية لي من الدفاع عن بنات جنسي ولا سيما واني على ندورتهنَّ اجهل معرفتهنَّ شخصيًّا ولا اعلم من اقتدارهنَّ العلمي والادبي اكثر مما يعرف حضرة الكاتب واقرانهُ . غير اني اتكلم بما يوحي بهِ اليَّ العقل والاختبار

ان النقطة التي انتهت اليها المرأة الغربية من التوسُّع في المعارف والعلوم واقتباس الفنون على انواعها ثم مقاومتها اعظم الصعوبات في سبيل الحصول على ما لا يزال مهضوماً من حقوقها المدنية لاعظم برهان ليس فقط على مقدرة المرأة على التأليف والتعريب بل على الاتيان باعظم الافعال واكمل الاعمال

بقي هل ان للمرأة الشرقية ما للغربية من الذكاء ووسائط التعليم حتى يمكنها ان تتشبه بجارتها وتأتي باعمالها وعلى ذلك اجيب ان المدارس في الشرق على تأخرها فيها من الدروس اللازمة للفتيات ولا سيما اللغة العربية ما يكفل باحرازهنَّ الفلاح في مجال الاقلام كما يتضح لكل باحث في حالة التعليم واصناف العلوم التي تدرَّس في اكثر المدارس شهرة ولا سيما المدارس الاميركية والانكليزية المنتشرة في انحاء الشرق

اذن فما بال السيدات متقاعدات من ورود منهل الكتابة العذب والارتواء من كوثر فوائده المروي وقد خصهنَّ المبدع بالعقل والذكاء وتسهلت لهنَّ وسائط التعليم والتهذيب فلا بد لذلك من اسباب مهمة تقعد بهمتهنَّ وتجعل الكسل حائلاً دون اجهاد عقولهنَّ في مسابقة الكتَّاب في سبك المعاني والافكار على ما في ذلك من الفائدة ولذة الاشتهار . وتمهيدًا لذلك اقول

من المقرَّر ان المرء لا يقدم على امرٍ ويتحمل ما يصادفهُ في سبيلهِ من المشاق لغير غاية ذاتية وكل ما ازداد الانسان خطوة في المدنية واتسعت دائرة معارفهِ وعظمت اهليتهُ للاعمال المهمة ازداد ضناً بوقتهِ ولم يبالِ بغير اكتساب الارباح مادية او ادبية نابذًا ما سوى ذلك من الامور التي لا تجديهِ نفعًا ولا تأتيهِ بفائدة . وعلى ذلك نرى الشعب الاوربي يزاحم بعضهُ بعضًا في ميدان الاشغال وما منهم من يسمح بضياع لحظة من اوقات عملهِ لمخاطبة زيد او السلام على عمرو ان لم يكن لهُ من وراء ذلك غاية شخصية . فالحياة قصيرة والوقت ثمين وواجبات المرء اكثر من ان تكفي لاتمامها تلك الساعات القليلة

ولما كانت المرأة لا تقلُّ عن الرجل مهماتٍ واعمالاً كان لها من واجباتها المنزلية ما يمنعها عن كل عمل خارجي وعليهِ فقد لبثت حينًا من الزمن مقتصرة على تلك الواجبات وافكارها مقيدة ضمن دائرة جدران المنزل الى ان ساعدها الرجل على كسر ذلك القيد والبروز الى عالم الاجتماع . وما لبث ينشط خطواتها ويسمعها من رنات المديح ويذيقها من ثمار الشهرة ما استسهلت في جانبهِ كل صعب لبلوغ قمة العلاء والوصول الى ذروة الفخار التي ما بدأت للاتجاه اليها حتى شعرت بثقل وطأة واجبات العائلة تحول دون تقدمها . فلم يكن من الرجل الا ان اسرع فمهد لها سبل الارباح المادية ليكون لها منها مساعد على ازاحة الحاجز الذي يعترض في طريق نجاحها فوكلت اشغالها المنزلية لمن هم دونها عقلاً وعلماً ومن لا يمكنهم ان يقوموا باعظم من ذلك ونزعت هي الى ما هو اسمى وارفع من الاعمال الخطيرة التي تعود عليها باللذة والكسب والفائدة

فانَّى للمرأة ان تنال بعض ذلك في الشرق وهي ان كانت بحاجة الى الدرهم لا يمكنها ان تجدهُ عن طريق التحرير والانشاء وكان لا بد لها من قضاء جل وقتها في خدمة عائلتها وتدبير منزلها بنفسها وان كانت في سعة من العيش تغنيها عن ذلك وكانت على شيء من العلم يمكنها معهُ ان تباري الكتَّاب في خدمة الآداب كان لها من اعراض الناس وقلة ترحيبهم باقوالها الف عذرٍ يشفع في تأخرها وتثبيط عزائمها

اطل النظر ايها المقترح الفاضل في صفحات الكتب والروايات والجرائد والمجلات كم فيها للسيدات من آثار اقلام تشهد لهنَّ بالمعارف على قرب عهدهنَّ بالعلم وقلة الوسائط الممهدة لهنَّ سبل الفلاح والاقدام

وبعدهُ فانظر اذا كان يوجد اثر واحد او بعض اثر لاحد الكتَّاب يمتدح فيهِ افكارهنَّ وينبه هممهنَّ الى الاستمرار على تلك الخطة اللازمة لنجاحهنَّ وترقيتهنَّ وتقدم البلاد بتقدمهنَّ

بل افدني تكرماً عن صاحب مجلة او جريدة تنازل بان نقل شيئاً من رسائل سيدة الى صفحات مجلتهِ اعجاباً بذكائها وحثًّا لغيرها على الاقتداء بها

بل ارني بحقك اي الجرائد والمجلات ادرجت شيئاً من نفثات الكاتبات او الكتَّاب مع الشكر لمرسليها الذين انما منحوا قسماً من وقتهم على انشاء مبانيها وابتكار معانيها ولا غاية لهم سوى خدمة الانسانية والجريدة

واما ان تجد مقدمة للكتَّاب في اعلى الرسائل يطلب بها الى اصحاب الجرائد ان يتكرموا بنشرها مع الشكر الوافر والثناء العاطر فذلك كثير مما يدل على وهن عزائم الكتاب فضلاً عن الكاتبات وعدم ثقتهم مما اذا كانت رسائلهم ستحوز قبولاً لدى اصحاب المجلات والجرائد

ذلك هو جزاء المقالات التي يجهد بتحريرها جهابذة الكتَّاب وتلك هي الفائدة التي ينالونها في عصر كسدت فيهِ بضاعة العلم وبارت سوق الآداب . فما قولك في الكتب والروايات التي تكلف مؤلفيها او معربيها من الوقت والدرهم ما لا يقوى على بذلهِ غير من كان في سعة من المال وفراغ من الاعمال . ثم يعني بتجليد نسخ منها تجليدًا متقنًا ويقدمها هدية الى اصحاب الجرائد والمجلات الذين هم مصابيح الامة ولسان حال البلاد ومن عليهم يتوقف رواج المؤلفات والمصنوعات فيقابلونهم على ذلك التعب الكثير والسهر الطويل بقولهم (اهدى الينا فلان او فلانة كتاباً موضوعهُ كذا ونتمنى لهُ الرواج) ثم يطمس خبرهُ بعد قليل من الزمن ويكون جزاء كاتبهِ القسم الاوفر من النسخ المطبوعة يتلذذ بالنظر اليها ويتحسر على ضياع الوقت والدرهم في سبيل انشائها

أفتلام المرأة بعد ذلك اذا اغفلت الانشاء والتحرير وصرفت همها عن صناعة اضحى يشكو كسادها العالم الخطير ويرزح تحت اثقال بوارها الكاتب النحرير . بل لعمري ان لها الفضل العظيم بما تأتيهِ من وقت الى آخر من نفثات اقلامها فما القليل الذي نراهُ سوى ميل طبيعي يدفعها الى التلذذ بكتابة بعض اسطر في اويقات الفراغ رغماً عما يعترض سبيل تقدمها من الصعوبات والمشقات التي لولاها لكان اقبالها على الكتابة ايما اقبال فان فيها لذة لها وراحة

لا تجدها في ما سواها من الاعمال . والشاهد على ذلك ان عدد الفتيات المتعلمات قد كثر في هذه الايام كما يتضح من تقاويم المدارس وكما هو ظاهر للعيان واكثرهنَّ في احتياج مادي الى الانتفاع بما تعلمنهُ واتقنَّ اثمن سني العمر في سبيل الحصول عليهِ وقد لجأ اكثرهنَّ الى التدريس على ما في ذلك من المشقة ومرارة الاسر . ومن كانت منهنَّ غير قادرة على مبارحة منزلها لاسباب بيتية او علاقات عائلية اذعنت للعطلة واستسلمت لعوامل الفاقة والسأم

فاذا تسهلت لمثل هؤلاء وسائل الكسب وهنَّ داخل منازلهنَّ ولم يكن شيء يقف في سبيل حريتهنَّ ولا تقوى اوامر الرؤساء على تقييد افكارهنَّ واستعباد عقولهنَّ فهل يعقل ان يرفضنَ مثل هذه النعمة ويرضينَ من الغنيمة بسجن المدرسة وقلَّة اجرتها

واذا كان بين المتحاملين على المرأة من يرتاب بحقيقة ذلك فما عملية الا ان يصدر جريدة ويعين عشرة فرنكات فقط عن كل صفحة من مقالة تخطها يد سيدة وانا الضمينة بان يرد عليهِ من درر اقوالهنَّ ووشي اقلامهنَّ ما يدحض قول المفترين وينفي اعتقاد المتهمين . وحينئذٍ يعلم حضرة الكاتب واصدقاؤهُ ان الانامل التي يدميها لمس الحرير لنعومتها لهي الين وانسب "لا هتصار اليراع واجتذاب القلم" وان "استيفاء شروط التمدن الحديث" لا تحول دون تقدم المرأة الغربية الى ذروة العلا والفخار في عصر اشتهر بالتمدن والحضارة ووفرة الازياء

(مدام) لبيبة هاشم

اظهار حقيقة

نشر المقتطف رسالة لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي داغر اعرب عما يتقولهُ بعض الادباء في الاسباب التي دعت الى قلة ما ينشر في المجلات والجرائد باقلام النساء . وقد تصحُّ الاسباب التي ذكروها ولكن حضرة الكاتب اغفل السبب الذي اظنهُ اكبر الاسباب لتوقف النهضة الادبية التي نهضتها النساء منذ عشرين عاماً وعدم مجاراتها نهضة الرجال فاتيت ابينهُ لعلي انفي الظنون والشبهات فاقول

الكتابة مثل غيرها من الفنون الجميلة يبتدئ فيها المرء عن رغبة في النفس ويواظب عليها اما متكسباً واما "غاوياً" (وكلمة غاوي اصطلاح مصري وهي تقابل كلمة اماتور Amateur باللغة الفرنسوية ولا اعرف لها كلمة اخرى عربية) ومن هذا القبيل التصوير والنقش والموسيقى.

ولما ابتدأت النهضة العلمية في بيروت بين السبعين والثمانين بعد الالف والثمانمئة وظهر الجنان والجنة والطبيب والمقتطف والتقدُّم ولسان الحال وما اشبه من المجلات والجرائد

واتمَّ كثيرون من الفتيان والفتيات الدروس في المدرسة الوطنية والكلية والبطريركية ومدرسة البنات الانكليزية والاميركية اقبل كثيرون من المتعلمين والمتعلمات على الكتابة والترجمة وجمهورهم من الغواة (الامانور) لا من المتكسبين ولو حاولوا التكسُّب كلهم او اكثرهم بالكتابة لرجعوا بخفي حنين لان بضاعتهم لا تروج الاَّ اذا كثر طلاَّبها والطلاَّب كانوا قلالاً جدًّا ولا يزالون قلالاً فكان الدافع الى الكتابة حميَّة عامَّة لا تشوبها رغبة التكسُّب ولا باب للتكسُّب فيها

ومنذ نحو عشرين سنة اخذت هذه الحمية العلمية تضعف في سورية بما حدث فيها من المراقبة الشديدة على المطبوعات حتى لقد بلغني قبيل كتابة هذه السطور ان كتابًا في علم الحساب أُرسل من بيروت الى ادارة المطبوعات في الاستانة فحذفوا منهُ كثيرًا من الكلمات التي لا بدَّ منها في الحساب مثل كلمة الضرب وكل مشتقات ضرب فاضطرَّ صاحبهُ ان يعدل عن طبعهِ . والَّفت احدى السيدات رواية ادبيَّة ورفعت نسخة منها الى الاستانة قصد الاجازة فوُضعت تلك السيدة تحت المراقبة . فكيف يغوى الناس الانشاء والتضييقُ على الاقلام بالغ هذا الحد

وانتقل جمهور الكتَّاب الى القطر المصري بسبب هذا التضييق وانشأُوا فيهِ الجرائد والمجلات لكنهم اضطروا ان يحترفوا معها حرفًا أُخرى لتقوم بمعيشتهم كانشاء المطابع والاتجار بالكتب ونحو ذلك من الاعمال التي لا يسهل على النساء ان يتعاطينها في بلاد المشرق . وحاول بعض النساء انشاء المجلات مثلهم فلم يفلحنَ لا لقصر باعهنَّ بل لان عدد القرَّاء قليل جدًّا فلا يقوم ما يدفعونهُ بنفقات مجلات كثيرة

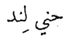
ثم ان المتعلمات في القطر المصري قليلات جدًّا اذا قوبلنَ بسكانهِ واكثرهنَّ من الاوربيات او السوريات الآخذات اخذ الاوربيات ويفضلنَ المطالعة والكتابة بلغة اوربية على المطالعة والكتابة في العربية حتى ان بعضهنَّ ينظمنَ الشعر الحسن باللغات الاوربية . وقلَّ ان نرى بين كتب الادب العربية ما يحسن اطلاع البنات عليهِ وملكة الكتابة الصحيحة بالعربية اصعب منالاً من ملكة الكتابة الصحيحة بلغة اوربية لاسباب كثيرة لا تخفى على الذين درسوها ودرسوا لغة اجنبية وذلك كلهُ ممَّا يقلّل عدد الكاتبات بالعربيَّة

هذه اقوى الاسباب التي منعت النساء عن مجاراة الرجال في النهضة العلمية التي شاركنهم فيها منذ عشرين سنة او ثلاثين . وفوق كل ذي علم عليم

احدى قارئات المقتطف

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة



جني لِند



يطرب جمهور الناس بالغناء ويسرُّ بالتمثيل الى حد يفوق الوصف وقد جعل اسلافنا الغناء قسماً من العبادة فعدُّوهُ من اشرف اعمال الانسان التي يتقرب بها الى خالقهِ ولا نزال نجري على خطتهم في معابدنا ولو تنوعت طرق التسبيح والتلحين . ومع ذلك كلهِ لا يزال مقام الغناء منحطًّا جدًّا في بلدان المشرق ولا سيما اذا كان في محفل حافل كمشاهد التمثيل حتى لقد تردَّدنا كثيرًا قبل ذكر هذه السيدة بين شهيرات النساء ولم نذكرها الأَ لاننا رأَينا مبراتها شفعت بها

ولدت في ستكهلم عاصمة اسوج سنة ١٨٢١ وكان الغناء من طبعها فكانت وهي فتاة تغني كل ما تسمعهُ من الاغاني بصوت رخيم ولما رأَى والداها منها ذلك وضعاها عند اشهر معلمي الغناء في تلك المدينة وعمرها تسع سنوات وصارت تغني في المشاهد العمومية حيث يقتضي التمثيل صوت الصغار لكن صوتها ضعف حالاً وفقد قوتهُ فابطلت الغناء وعكفت على آلات الطرب ثم عاد صوتها الى قوتهِ ورونقهِ فصارت تغني في المشاهد الكبيرة في اسوج ونروج وباريس وبرلين وفينَّا وغنَّت امام الملكة فكتوريا ملكة الانكليز لما زارت برلين . ثم اتت الى لندن فسحرت الناس بصوتها حتى لم يعد لهم حديث الأَ بهِ

ومضت الى اميركا وغنَّت في نيويورك فصارت 'راق الدخول الى المشهد الذي تغني فيهِ نباع بالمزاد العلني وبلغ ثمن الورقة مئات من الريالات . غنَّت مئة ليلة بلغ نصيبها من دخلها ستين الف جنيه . واقترنت وهي هناك برجل اسمهُ اوتو غولدشمت من مهرة الضاربين على البيانو وعادت معهُ الى اوربا واستوطنت البلاد الانكليزية ولم تعد تغني في المشاهد الا قليلاً . وانفقت المال الكثير الذي كسبتهُ بصوتها على الاعمال الخيرية كبناء المستشفيات والانفاق على تعليم التلامذة وجُعلت استاذة للغناء في مدرسة الموسيقى الملكية من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٨٦ وبقي صوتها على جودتهِ ورخامتهِ حتى ادركتها الوفاة سنة ١٨٨٧

ترياق السموم

(١) اذا احترق احد من استعمال الحامض الفنيك او الكبريتيك (زيت الزاج) او المورياتيك (روح الملح) او النيتريك (ماء الفضة) او النيترومورياتيك (ماء الذهب) او الكربوسوت او صبغة اليود او الحامض الفصفوروس يعالج الحرق بزلال البيض مخبوطاً بالماء او بملعقة صغيرة من الخردل في كوبة من الماء الفاتر. واذا شرب احد شيئاً من الحامض الكبريتيك او النيتريك او المورياتيك يسقى الجير ممزوجاً بقليل من الماء

(٢) واذا سمَّ احد بالحامض الكروميك او باملاح النحاس او الانتيمون كالانتيمون المقيء ومركبات الزيبق والزنك فعالجهُ بزلال البيض بكثرة ويحسن ان تجعلهُ يتقيأ بواسطة الخردل الاَّ اذا كان السم من الطرطير المقيء

(٣) واذا سمَّ بالامونيا او الصودا او البوتاسا او بالسلكات او الهيدرومنغنات القلوي فعالجهُ بالخل ثم بالزيت او اللبن

(٤) واذا سمَّ بسيانيد البوتاسيوم والزيبق او باللوز المر او بالنيتروبنزين فصبَّ الماء البارد على رأسهِ وسلسلة ظهرهِ وضع خردليات على اخمص قدميهِ وبطنهِ ولا تدعهُ ينام

(٥) واذا سمَّ بالايثر او البترוليوم او البنزول او الالكحول المركَّز فاعطهِ مقيئاً من الخردل مع كثير من الماء الفاتر واغسلهُ بماء بارد في الهواء المطلق ولا تدعهُ ينام

(٦) واذا سمَّ بمركبات الباريتا او الرصاص فاستعمل لهُ الخردل مقيئاً مع الماء الفاتر والملح الانكليزي او ملح الطرطير مع الماء

(٧) واذا سمَّ بالزرنيخ ومركباتهِ فاستعمل لهُ الخردل والحديد المرسب بالدياليسس مع المغنيسيا ثم الزيت واللبن والاشربة الغروية

(٨) واذا سمّ بالحامض الاكساليك واملاحهِ فاستعمل لهُ الجير او ماء الجير ثم زيت الخروع

(٩) واذا سمّ بنيترات الفضة فاستعمل لهُ ملح الطعام مذاباً في الماء . والخردل مقيئاً

(١٠) واذا سم بابخرة الحامض النيتروس فاسقهِ خلاً حاذقاً بمقادير قليلة

وقد جمع الدكتور فرنسيس ويات النصائح التالية في علاج السموم البيتي قال : اذا تناول احد مادّة سامة فاستدعِ لهُ الطبيب حالاً ولكن لا تضع الفرصة الى ان يحضر بل استعمل الوسيلة اللازمة من الوسائل التالية وهي

اولاً الترياق المتعدد — اذب كبريتات الحديد (الزاج الاخضر) في الماء حتى يتشبَّع منهُ وخذ مئة جزء من المذوَّب واضف اليها ٨٠٠ جزء من الماء و٨٨ جزءا من المغنيسيا و٤٤ جزءا من الفحم الحيواني . وهذا الترياق يعطى في التسمُّم بالزرنيخ والزنك والافيون والدجيتال والزيبق والاستركنين ولا يفيد في التسم بالفصفور او الانتيمون او القلويات الكاوية

ثانياً المغنيسيا المكلسة وهي تفيد في التسم بالحوامض

ثالثاً التربنتينا الفرنسوي وهو يفيد في التسم بالفصفور

رابعاً الايبكاك المسحوق وهو يستعمل مقيئاً وجرعتهُ ٣٠ قمحة او كبريتات الزنك وجرعتهُ من ٢٥ الى ٣٠ قمحة

خامساً الخردل وهو مقيٍ٫

ارشادات عامة : استعمل اولاً مقيئاً واتبعهُ بالترياق المتعدد المتقدم ذكرهُ واذا كان السم فصفوراً فاعطِ المسموم التربنتينا الفرنسوي ١/٢ جرام كل نصف ساعة واذا كان حامضاً من الحوامض فاعطِهِ المغنيسيا المكلَّسة واذا كان قلوياً من القلويات فاعطِهِ الخل . واحفظ القيء اذا ظننت السمّ جنائياً لاجل تحليلهِ كيماوياً

تنظيف كفوف الجلد

من المركبات المستعملة لتنظيف كفوف الجلد سواء كانت من جلد الجداء او غيرهِ مركَّب اسمهُ غنتين وهو يصنع من جزء من الصابون وثلاثة اجزاء من الماء يذاب الصابون في الماء على النار ويضاف اليهِ جزء من روح قشر الليمون ثم تغسل الكفوف بهِ . وافضل منهُ ان توضع الكفوف في اناء كبير فيهِ بنزين نقي ويسدّ سدًّا محكماً وتهزّ

فيهِ مراراً ونتركُ ثم تهزّ واذا بقي عليها شيء من اللطخ تمزح بخرقة مبلولة بالايثر او البترول. وانشر الكفوف في الهواء ثم ابسطها بين لوحين من الزجاج وعرّضها لحرارة كحرارة الماء الغالي حتى تزول منها كل رائحة البنزين. وتوضع بعد ذلك بين ورقتين ويضغط عليها بالمكواة

من الطرق المشهورة لتنظيف الكفوف ان تذيب الصابون في اللبن السخن وتمزج زلال بيضة بكل رطل من المذوّب مزجاً جيداً وتلبس الكفوف وتفركها بهذا المزيج ويحسن ان تضيف اليهِ قليلاً من الايثر. والكفوف البيضاء تبقى على بياضها بهذا المزيج

ومنها الطريقة الفرنسوية وهي ان تلبس الكفوف بيديك وتفركها بروح التربنتينا كانك تفرك يديك بالماء والصابون ومتى نظفت علقها في الهواء حتى تجف وتزول منها رائحة التربنتينا

طبخ الديك الرومي

يترك الديك الرومي يوماً كاملاً من غير اكل قبل ذبحهِ ويربط برجليهِ ويعلّق بهما ويربط جناحاهُ وراء ظهرهِ ويذبح بسكين ماضية جداً ويترك كذلك حتى يخرج كل دمهِ لانهُ اذا بقي فيهِ شيء من الدم تلوَّن بهِ لحمهُ ثم يوضع في الماء الغالي مدة قصيرة حتى يسهل نتف ريشهِ واذا طالت مدة وضعهِ في الماء الغالي صار نتف ريشه صعباً. ثم ضعهُ على مائدة ورأسهُ الى جهتك وانتف ريشهُ في جهة نموهِ لا في الجهة المضادَّة لئلاَّ ينسلخ الجلد معهُ. وانزع الريش الغائر في الجلد بسكين او بملقط حتى ينظف جلدهُ جيداً ثم شوّطهُ قليلاً على لهب ورق مشتعل او لهب السبيرتو وغطسهُ مرتين او ثلاثاً في ماء غالٍ وفي ماء بارد على التوالي وانت ممسكاً اياهُ برجليهِ. وضعهُ على لوح حتى يتصفى الماء منهُ واقطع رجليهِ بسكين ماضٍ من تحت الركبتين لا من فوقها لئلاَّ تتقلص عضلات الساقين. وانزع كيس الشحم من فوق ذنبهِ والحوصلة من اسفل عنقهِ بشق دقيق تشقهُ فيهِ

ثم اقطع عظم العنق وشق البطن اذا اردت ان تحشوهُ واستخرج امعاءهُ محترساً لئلاَّ تشق المرارة وموقعها عند اعلى عظم الصدر ملتصقة بالكبد. وانزع القانصة ومعها

كل المصارين وشق القانصة وانزع بطانتها وما فيها وارم القانصة والقلب والكبد في الماء واغسلها جيداً واغسل الديك كله بالماء البارد وعلقه حتى يتصفى الماء منه وضع خرقة سميكة على صدره ودقه حتى يظهر سميناً ولكن احترس لئلا تمزق جلده

واحش صدره اولاً ولكن لا تملأه لئلا ينشق حينما تتمدد الحشوة فيه ثم املأ بطنه بالحشوة وخطه بعد حشوه ولا بد من ان تنزع الخيط منه قبل وضعه على المائدة والصق جناحيه بخناصرتيه بدبوس طويل من الخشب يصنع لذلك واجعل ساقيه يلصقان ببطنه بدبوس آخر وشك دبوساً ثالثاً في ذنبه واربط طرفي ساقيه به وافركه بالملح والبهار جيداً وضع نتفاً من الزبدة على صدره وضعه في فرن شديد الحمو ثم قلل حموه رويداً رويداً حتى ينضج الديك فيه واذا كان ثقله اقتين وجب ان يبقى في الفرن ساعتين وثلث ساعة اي ثلث ساعة لكل رطل (ليبرة) من وزنه وثلث ساعة اخرى فوق المدة كلها ويعلم انه نضج من انك اذا غرزت فرتيكة بين فخذه وجسمه خرج منه سائل ابيض مائي لا ادموي

ثم اسلق احشاءه القلب والكبد والزنقلة وافرمها فرماً دقيقاً وامزجها بالماء الذي سلقتها به واضف اليها دقيقاً ولبناً او ماء وما يكفي من الملح والبهار وضعها على النار حتى ينضج الدقيق وهي تضاف الى الحشوة التي يحشى بها اما الحشوة فتختلف باختلاف الاذواق فالبعض يفضلون الارز واللحم والبعض يمزجونهما باللوز والبعض بالصنوبر والبعض بالجوز والبعض بالزبيب والبعض يفضلون فتات الخبز والبيض والزبدة والبعض يضيفون اليها شيئاً من البقول او الفطر او المحار وربما اوضحت ذلك في فرصة اخرى

ربة بيت

آداب السيدات

عند الاوربيين قواعد تجري نساؤهم عليها في معاشراتهم ومخالطاتهم يحسبنها من آداب السلوك لا بدَّ لنسائنا اللواتي يعاشرنهنَّ من ان يعرفنها حتى يعرفن مدلولها او حتى يجارينهنَّ فيها وسنلخص الفوائد التالية من كتاب انكليزي في هذا الموضوع

السيدات في الطريق .

(١) اذا مشت ثلاث سيدات معاً وجب ان تمشي واحدة منهنَّ امام رفيقتيها حتى لا تمشي الثلاث في صف واحد فتضيق بهنَّ الطريق

(٢) اذا التقيتِ بسيدة في الطريق وانتِ لا تعرفينها الاَّ قليلاً وهي ارفع منك مقاماً فلا تبادري الى التسليم عليها لئلا يحسب ذلك منكِ ترفُّعاً الى مقامها بل دعيها تلتفت اليكِ وتحييكِ اولاً او تظهر ميلها لتحيتكِ بالتبسم لكِ

(٣) اذا تعرفتِ بسيدة في سياحة فليس من الضرورة ان يكون هذا التعرُّف صداقة دائمة ويكفي ان تحني لها رأسكِ اذا التقيتِ بها في الطريق . ولا تصح المزاورة بينكما الاَّ اذا اتفقتما على ذلك وانتما في السفر وحينئذٍ فالسيدة الاكبر سناً او الاعلى مقاماً تزور الاخرى اولاً والمتزوجة تزور العزباء اولاً

(٤) اذا لقيتِ امرأة لكِ عادة ان تستخدميها لخياطة ثيابك او لنحو ذلك فآداب السلوك تقضي عليكِ ان تحييها اولاً لا ان تحييك هي اولاً لئلاً يحسب ذلك تطفلاً منها عليكِ

(٥) اذا لقيتِ رجلاً في الطريق وكنتِ لا تأنفين من حسبانهِ بين اصدقائك فحييهِ باحناء رأسكِ لهُ اما هو فلا يحق لهُ ان يبادئكِ بالتحية

(٦) اذا مشيتِ مع رجلين تعرفينهما فاجعلي اكثر حديثك مع اقلهما معرفة لان اقرب الاصدقاء يجب ان يكون اكثرهما عذراً

(٧) اذا وقفتِ في الطريق تكلمين سيدة اخرى فقفي على جانب الكي لا تسد طريق المارة او امشي معها ولو اضطررت ان ترجعي في طريقكِ ولا تقفي في وسط الطريق تكلمين احداً ولا ترفعي صوتك وانتِ تتكلمين في الطريق

(٨) اذا لقيتِ في طريقكِ بركة ماء او وحلاً او نحو ذلك وعسر عليكِ المرور ودنا منكِ غريب ومدَّ لكِ يدهُ ليساعدكِ في عبورها فلا ترددي في اعطائهِ يدكِ لان ليس لهُ غرض من ذلك الاَّ مساعدتكِ للتخلص من تلك الورطة فاقبلي مساعدتهُ بالشكر

السيدات في السوق

(١) اذا مررتِ في السوق لترى البضائع قبلما تصممي نيتكِ على ابتياع شيء منها فاخبري اصحابها بذلك صريحاً فكلٌّ منهم يريك كل ما تريدين ان تريهِ عن طيب نفس راجياً ان تعودي الى دكانهِ وتشتري منهُ . واذا اتعبتِهِ كثيراً بمشاهدة البضائع التي عندهُ فاشتري منهُ ولو شيئاً قليلاً مما لا تستغنين عنهُ تعويضاً لهُ عن التعب الذي تعبهُ .

(٢) اذا اعجبتكِ بضاعة وعلمتِ ان الثمن الذي طلبهُ صاحبها هو ثمنها الحقيقي فاتركي المساومة لانكِ مهما اكثرتِ منها لا تحملين صاحبها على الخسارة

(٣) لا تنزلي الى السوق مع رفيقة تحب المساومة الكثيرة اذا أردتِ الراحة لانها تضيع النهار كلهُ حتى توفر غرشاً

(٤) الغالي رخص والرخيص غالٍ . هذا هو الحكم الغالب فاذا اردتِ البضاعة الجيدة التي تقيم زماناً طويلاً على رونقها وجب عليك ان لا تكاسري صاحبها والدكاكين التي تبيع البضائع الرخيصة جداً قلما يوجد فيها بضاعة جيدة تساوي ثمنها

(٥) اذا زرتِ مدينة لا تعرفينها فاسألي اولاً عن المخازن التي تباع فيها اجود البضائع واكتبي اسماءها . وقلما يشتهر بائع بجودة بضائعهِ وحسن ذمتهِ الاّ وبضائعهُ جيدة وكلامهُ صادق

(٦) اذا نزلت الى السوق لتشتري بضاعة فلا تكلفي الرجال لينزلوا معكِ لان صبرهم قليل فيظهر عليهم الملل حالاً وفي ذلك تعب لهم ولك

(٧) اذا رأيت سيدة لابسة ثياباً اعجبتكِ وتودين ان تصنعي مثلها فلا بأس بسؤالها عنها وعن ثمنها وكل ما يتعلق بها والاّ فليس من آداب السلوك ان تسأليها . وهي غير مضطرة الى اجابة سؤالك وكذلك اذا سُئلتِ انتِ سؤالاً مثل هذا فلست مضطرة ان تجيبي

(٨) اذا لقيت صديقة في مخزن فليس من اللياقة ان تقفي وتكلميها طويلاً فتضيعي وقتها ووقت الناس الذين تقفين في طريقهم

صحة الامهات

تمهيد

يقضي نظام الكون على المرأة ان تصير زوجة واماً ومرضعةً ومربية وعليها في كلٍّ من ذلك واجبات لم تقللها الحضارة بل زادتها مشقةً ألا ترى ان المرأة الراقية في مهد الحضارة تجد من المشقة في ولادة الاولاد ما لا تجدهُ البدوية او الفلاحة العائشة بالتعب والمشقة . وبينما تجد البدوية تلد وهي سائرة على الطريق وتحمل طفلها وتظلُّ سائرة تجد نساء المدن يقمنَ في فراشهنَّ ثلاثين يوماً او اربعين بعد الولادة واذا قمن قبلها لحقهنَّ ضرر كثير . ولا مطمع لنساء المدن ان يصرن مثل البدويات من هذا القبيل لانهنَّ ورثنَ ضعف البنية عن امهاتهنَّ ولكنهنَّ اذا اكثرنَ من الرياضة واستنشاق الهواء النقي وهنَّ حوامل سهلت ولادتهنَّ كثيراً وقلّت نتائجها المضرَّة ولو قمنَ من الفراش بعد ايام قليلة . وليس من الحكمة ان يقلدنَ البدويات

في سرعة القيام من الفراش ولا في قلة الاعتناء بالاطفال لان اللواتي لا يضرهنَّ النفاس من البدويات والذين يعيشون من اطفالهم قلال كما يظهر من قلة نمو الناس في البلدان التي لا يعتني نساؤُها بانفسهنَّ وباطفالهنَّ . ولكن الحكمة كل الحكمة في تقوية ابدانهنَّ حتى تجود صحتها وصحة اطفالهنَّ

تدبير الحامل

حالما تشعر المرأَة انها حامل يجب ان تعتني بنفسها اعتناء خاصاً ان لم تكن معتادة الاعتناء بها حفظاً لصحتها ولصحة طفلها لانهُ يغتذي من دمها فبقوتها قوتهُ وبضعفها ضعفهُ . واعتناؤُها بنفسها يؤَثر بهِ في الشهور الاولى من الحمل كما يؤَثر بهِ في الشهور الاخيرة وبعد الولادة

يظن بعض النساء ان الحياة لا تبتدئ في الجنين قبلما يصير يتحرَّك في بطن امهِ وهذا خطاٌ بل هو يكون حياً من اول تصورهِ ومن حين كان بيضة صغيرة . وقوتها وضعفها يؤَثران فيهِ من حين تكون فتاة صغيرة بل يؤَثر فيهِ كل ما اثر في والديهِ ووالديهما من قبلهما . الا ان موضوعنا قاصر على التأْثير القريب اي ما يؤَثر في الطفل من ابتداء الحمل الى ان يولد والكلام في ذلك يتناول ثلاثة امور وهي غذاء الجنين وصحتهُ والمكان الكافي لنموهِ وسنبسط الكلام على ذلك في الاجزاء التالية

باب التقريظ والانتقاد

تفسير الفاتحة

اذا تصفحت فهرست مكتبة كبيرة من المكاتب العربية وجدت اكثر ما فيها من كتب التفسير ففي كشف الظنون خمس عشرة صفحة كبيرة ملأَتها اسماء هذه الكتب وفي فهرست المكتبة الخديوية صفحات كثيرة لها وقس على ذلك غيرها من الفهارس . وسيبقى باب التفسير مفتوحاً مادامت عناية الامة الاسلامية بكتابها وما دام علماؤُها يطرقون سبلاً جديدة للبحث والتنقيب . ولقد علم القاصي والداني ما للاستاذ المحقق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لهذا العهد من العناية ببث المعارف الدينيَّة والحقائق العلميَّة وقد انشأ يفسر القرآن في الجامع الازهر في مجالس يحضرها العلماء والطلاب وكثير من الوجهاء ورجال الحكومة . قال صاحب المنار

الاغر ان اهل الفضل اجمعوا على ان هذا التفسير هو الذي ينفخ روح الحياة الملية في المسلمين وانهُ يجب نشرهُ في جميع الانطار وان كثيرين من اهل القطر المصري وغيره رغبوا اليهِ ان ينشر في المنار خلاصة ما يقررهُ الاستاذ في الدرس فكتب خلاصة التفسير ونشرها متتابعة بعد عرضها على المفسر واجازتها من لدنهُ . ثم جُمع تفسير الفاتحة وعُرض عليهِ وطُبع في كتاب على حدة التزم طبعهُ حضرة الشيخ احمد عمر المحمصاني الازهري بعد ان أُضيفت اليهِ ثلاث مقالات تفسيرية لحضرة الاستاذ ومقالة رابعة لحضرة صاحب المنار

وقد نقلنا الفقرة التالية عن هذا الكتاب المستطاب دلالة على ما فيهِ من البلاغة وحسن البيان . قال المفسر في قولهِ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم

" وههنا سؤال وهو كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا وعندنا احكام وارشادات لم تكن عندهم وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم وأصلح لزماننا وما بعدهُ ؟ والقرآن يبين لنا الجواب وهو انهُ يصرح بان دين الله في جميع الامم واحد وانما تختلف الاحكام بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان واما الاصول فلا خلاف فيها . قال تعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم " الآية وقال تعالى " إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده " الآية . فالاعتقاد بالله وبالنبوة وبترك الشرّ وبعمل البرّ والتخلق بالاخلاق الفاضلة مستوٍ في الجميع وقد أمرنا الله بالنظر فيما كانوا عليهِ والاعتبار بما صاروا اليهِ فنقتدي بهم في القيام على أصول الخير"

وقسم الضالين في قولهِ ولا الضالين الى اربعة اقسام (الاول) الذين لم تبلغهم الدعوة الى الرسالة او بلغتهم على وجه لا يسوق الى النظر وقال ان امرهم في الآخرة انهم لن يساووا المهتدين في منازلهم وقد يعفو الله عنهم . (والثاني) من بلغتهُ الدعوة على وجه يبعث على النظر فساق همتهُ اليهِ واستفرغ جهدهُ فيهِ ولكن لم يوفق الى الاعتقاد بما دعي اليهِ وانقضى عمرهُ وهو في الطلب . ولا ريب ان مؤاخذتهُ اخف من مؤاخذة الجاحد الذي استعصى على الدليل . (والثالث) من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها بدون نظر في ادلتها ولا وقوف على اصولها فاتبعوا اهواءهم في فهم ما جاءت بهِ في اصول العقائد وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين ومنهم المبتدعون في دين الاسلام. واطال في وصفهم. (والرابع) اهل الضلال في الاعمال المحرفون للاحكام عما وضعت لهُ . ثم قال ان النوع الاول والثالث والرابع "يظهر اثرها في الامم فتختل قوى الادراك فيها وتفسد الاخلاق وتضطرب الاعمال ويحل بها الشقاء عقوبة من الله ... ويُعدُّ حلول الضعف ونزول البلاء بامة من الامم من العلامات والدلائل على غضب الله تعالى

عليها لما احدثتهُ في عقائدها واعمالها مما يخالف سننهُ ... لهذا علمنا الله تعالى كيف ننظر في احوال من سبقنا ومن بقيت آثارهم بين ايدينا من الامم لنعتبر ونميز بين ما بهِ تسعد الاقوام وما بهِ تشقى " انتهى

تلونا اقوال الاستاذ التي ذكرنا خلاصتها هنا وقد تجلَّى لنا منها امران جديران بالنظر امران لو قال بهما ايمة المسلمين وايمة كل الاديان وعملوا على مقتضاهما لعادت الى الارض الاخوَّة التي ازالها منها اهل الديانات . الاول " ان دين الله في جميع الامم واحد " ويقتضي العقل والعدل ان يكون الله قد ساوى بين مخلوقاتهِ فاوحى دينهُ اليهم كلهم على السواء . والثاني ان الهدى والضلال يقاسان بالسعادة والشقاء فالامة التي نرى السعادة حليفة لها مهتدية والامة التي نرى الشقاء حليفاً لها ضالة اي ان اصول الهدى والسعادة موجودة عند كل الامم ولا فرق بينهم الا في التوفر على اتباعها او في الضلال عنها . فعسى ان يتمكن حضرة الاستاذ الفاضل من نشر هذين الامرين في كل الديار الشرقية واقناع الناس بهما فيكون لهُ في اصلاحهم شأن يعلو على كل شان لان بهما الدعوة الى الجامعة الانسانية

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الاول

قال كارليل الفيلسوف الانكليزي " ان تاريخ العظام هو تاريخ العالم " . واذا لم يصدق هذا القول على امة من الامم فهو يصدق على الامة العربية والملة الاسلامية لان كل ما هو محفوظ من تاريخها وارد في تاريخ مشاهيرها اما احوالها الاجتماعية والماشية فقلما يُعرف عنها شيء يذكر حتى اننا نعرف الآن من احوال المصريين الاقدمين الذين عاشوا منذ اربعة آلاف سنة اكثر مما نعرف من احوال الامة العظيمة التي فتحت معظم المعمور في اقل من قرنين ولذلك نرحّب بكل كتاب تاريخي جديد نرجّي ان نرى فيهِ اموراً لم نرها في كتب التاريخ المتداولة . وحالما وقع نظرنا على كتاب " اشهر مشاهير الاسلام " واسم مؤلفهِ العالم المحقق رفيق بك العظم تجلَّت امامنا العقبات الكثيرة التي يجدها المؤرخ العصري في اكتشاف الحقائق التاريخية بين اساطير نقلت عن السن الرواة ولم تودع متون القرطاس الا بعد ان مرَّ عليها اعوام كثيرة وهو يرى الامر بعينيهِ او يسمع خبرهُ باذنيهِ فاذا لم يودعهُ القرطاس حالاً ضاع منهُ كلهُ او اكثرهُ . واذا قصَّ خبراً على زيد وقصهُ زيد على عمرو وعمرو على بكر وبكر على خالد ثم سمعهُ من خالد وجدهُ مختلفاً عن الخبر الاول لفظاً ومعنىً فما قولك باخبار

تتداول مئة عام او اكثر . ومن من ابناء هذا القطر يستطيع ان يروي لنا اخبار الثورة العرابية مثلاً ولم يمضِ عليها الآن عشرون عاماً . فقد سمعنا اخبارها من الذين شاهدوها وكان لهم ضلع فيها فلم نكد نجد اثنين يتفقان في الاصول فضلاً عن الفروع وحتى الآن لا يعرف السبب الحقيقي لهذه الثورة فكيف يطمع احد ان يجد تاريخاً صحيحاً للعرب ولقيام الدولة الاسلامية الاولى واول تاريخ كُتب لها كُتب بعد الهجرة باكثر من مئة سنة واقدم تاريخ بقي الى الآن في ما نعلم كتاب المغازي والسير لابن اسحق الطلبي الفهُ في اواسط المئة الثانية بعد الهجرة

وغنيٌّ عن البيان ان قيام العرب اما ان يكون قد جرى مجرى حوادث الكون وخضع للسنن الطبيعية التي سنَّها الله لنوع الانسان او يكون كلهُ خوارق في خوارق فان كان الثاني فلا محل للبحث والتحقيق والتمحيص والتدقيق بل كل ماروي عن لسان السلف يحتمل وقوعهُ لان ليس للخوارق من قانون طبيعي تجري عليهِ حتى لو رووا ان الرجل كان يردي الفًا بضربة واحدة ما وجد معتقد صحة الخوارق الى الانكار سبيلاً . وان كان الثاني حقَّ لنا ان ننتظر تولُّد اخبار موضوعة ومبالغات بعيدة عن الحقائق حول كل جرثومة من الحوادث الصحيحة وان نبحث عن علاقة الروم والفرس بالعرب وعما اذا كان العرب عاونوا الفرس على الروم وعاونوا الروم على الفرس وتعلموا قيادة الجيوش منهم ثم ثاروا على الامتين وانضووا تحت لواء النبي العربي الذي تجمعهم بهِ جامعة اللغة والنسب وانقسمت ولايات الروم بعضها على بعض بسبب الاختلاف الديني بين الملكيين واليعاقبة فانحاز فريق منهم الى العرب الموحدين وحاربوا تحت لوائهم . هذه وامثالها امور رجونا ان نرى لها شروحاً مستفيضة في هذا الكتاب لنفيها او لاثباتها لا ان نراهُ منسوجاً على منوال كتاب السيوطي في تاريخ الخلفاء . لكن الكتاب ليس خاليًا من مثل هذه الشروح بل فيهِ كثير منها كقولهِ في الصفحة ٧٢ "وقد اتفق ابن الاثير والبلاذري على حصول وقائع للمسلمين مع الروم قبل وقعة اليرموك وهي وقعة بصرى في حوران وداثن في فلسطين ومرج الصفر وغيرها . والظاهر من هذه الروايات ان الروم في ابتداء الامر لم يحفلوا بامر المسلمين ولم يظنوا فيهم القوَّة والجرأة على اقتحام عواصم البلاد والتغلغل في احشاء الممالك بجيشهم القليل وعدتهم الضعيفة وهو من سوء الرأي المبني على الكبرياء الباطلة والغرور المضر فان الاستهانة بالعدو مهما قلَّ وهن في الساسة منشأهُ ما يصيب عقول السياسة في الدول الهرمة من فقد قوة التجارب او الاعراض عن مصالح الملك حبًّا بملاذ النفوس وشهواتها وقد مهَّدت سياسة الروم هذه للمسلمين ان يقتحموا بجيوشهم البلاد اقتحام المجربين في

الحروب العارفين بمواضع الخطر الواقفين على عورات العدو الخبيرين بطرق البلاد فانهم اوغلوا في جنوب الشام في شكل مثلث متقارب الخطوط رأسهُ في البلقاء مع يزيد بن ابي سفيان مما يلي الحجاز وطرفاهُ الواحد في الجنوب الغربي في فلسطين وهو مع عمرو بن العاص والآخر في الجنوب والجنوب الشرقي في حوران وهو مع ابي عبيدة بن الجرَّاح وفي الوسط بميلة الى الغرب ايضاً شرحبيل بن حسنة وهو في الاردن بحيث يمدّ بعضهم بعضاً من قرب ومن ورائهم يزيد يحفظ عليهم خط الرجوع ويديم النظر في طرق المواصلات . على هذه الصفة دخلت الجيوش الاسلامية الى الشام وافتتح كل امير ما مرَّ عليهِ من البلاد صلحاً او حرباً حتى اذا اخذت الصيحة الروم من كل مكان هبُّوا من غفلتهم هبوب المذعورين وانتبهوا انتباه الغافلين فضرب هرقل البعث على العرب الضاحية بالشام من بهراء وسليح وغسان وكلب ولخم وجذام وهم يومئذٍ حماة البلاد والى الملوك من بني غسان ينتهي القول والعمل فاجتمع لديهِ منهم ومن الروم زهاء مئة وخمسين الفاً فقسمهم و بعث لحرب كل جيش من جيوش المسلمين قسماً منهم بقيادة احد مشاهير القوَّاد "

وقال قُبَيل ذلك ان امراء المسلمين كتبوا الى هرقل امبراطور القسطنطينية وهو في القدس يدعونهُ الى الاسلام او الجزية او السيف فجمع اليهِ البطارقة وكبار القواد وشاورهم في امر المسلمين واشار عليهم بصلحهم فابوا عليهِ الاَّ الحرب وكان مما قال لهم "والله لان تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفهُ مع بلاد الروم احب اليكم من ان يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم " ولما لم يوافقوهُ على رأيهِ اخذ باعداد الجنود والعدَّة وارسل لكل امير جيشاً ليشغل كل طائفة من المسلمين بطائفة من قومهِ . انتهى

والذي نعلمهُ من امر هرقل انهُ كان من اعظم القواد نظَّم جنود الروم ومرَّنهم ودرَّبهم وغزا بهم بلاد الفرس سنة ٦٢١ اي قبل الهجرة بسنة فدوَّخها في خمس سنوات واضطرَّ ملكها الى الهرب وعاد بالغنائم الوافرة ثم قام شيرويه بن كسرى على ابيهِ وقتلهُ سنة ٦٢٨ واصطلح مع هرقل وتبادلا الاسرى واعيدت مملكة الفرس الى حدودها الاولى بعد ان كانت قد غزت بلاد الشام وفتحت دمشق سنة ٦١٣ واورشليم سنة ٦١٤ واستولت على سورية ومصر واسيا الصغرى وكادت تدخل القسطنطينية . وعاد هرقل الى القسطنطينية ظافراً ثم اتى الى القدس سنة ٦٢٩ ورد الصليب الى مكانهِ بعد ما استرجعهُ من الفرس وعاد منها الى القسطنطينية وقد تغيَّرت عقيدتهُ فمال الى مذهب اليعاقبة اما ليردهم الى الكنيسة الجامعة او لاقتناعهِ بصحة مذهبهم وشغل بالمجادلات الدينية عن امور المملكة . ويقول البعض ان دخلاً في عقلهِ وشغفاً

بزوجتهِ الثانية التي لم يكن يحلّ لهُ التزوج بها صرفاهُ عن امور الملك والاَّ فلو بقي على عزيمتهِ الاولى التي ارغم بها انوف الفرس لكان تاريخ العالم غير ما هو عليهِ الآن . اما قول بعض مؤرخي العرب انهُ اسلم سرًّا فلعلهُ محمول على قول مؤرخي الروم انهُ مال الى مذهب اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة (المونوفزيت) واحدث بدعة القائلين بالمشيئة الواحدة (المونوثليت)

ولقد احسن المؤلف في وصفهِ عدل الخليفة الاول وعظيم سياستهِ وثاقب رأيهِ واورد دليلاً على ذلك وصاياهُ للقوَّاد والامراء بالرفق بالامم المغلوبة وتجنُّب كل ما يثير بالمحارب ثائرة الاشجان او يدعو الى مس جانب الانسانية او يخدش وجه العمران . ثم استطرد الى مؤاخذة الامم الاوربية بما تفعلهُ الآن بالامم التي تتغلب عليها كما فعل الفرنسويون في الجزائر والانكليز في الهند والقى تبعة ذلك على مدنيتهم . فعلى مَن تلقى تبعة ما فعلتهُ الجنود المظفَّرة برجال الشام يوم أُعطوا العهد وحُشروا في سراي دير القمر وحاصبيا وذبحوا ذبح الاغنام . اللهمَّ ارنا عيوبنا حتى نشتغل بها عن عيوب غيرنا وافهمنا ان العبرة بالنتائج العملية لا بالوسائل النظرية . الاَّ ان المؤلف لم يغفل الموعظة والتذكرة لقومهِ كلما سنحت لهُ الفرصة . اقرأ ما قالهُ عن الالقاب والرتب في الصفحة ١٥٩ وما بعدها واستطرادهُ الى وصف سكان الولايات المتحدة الاميركية الذين اعرضوا عن هذه السفاسف "فنشطوا الى السعي وراء المجد الحقيقي المتأتي عن العمل والعلم حتى بلغوا مكانًا من المجد والقوَّة تحسدهم عليهِ كل دول الارض الآن ولله في خلقهِ شؤُون وللسعادة والشقاء سبيلان يسلك الاول منهما العاقلون والثاني الجاهلون "

وهذا الجزء من الكتاب مقتصر على سيرة الخليفة الاول من الخلفاء الراشدين ابي بكر الصديق رضي الله عنهُ والقائد العظيم خالد بن الوليد وفيهِ ١٨٢ صفحة بقطع المقتطف . والمؤلف على ما يرجى من سعة الاطلاع ودقة النظر وشدَّة الحمية وحبذا لو راجع تواريخ الروم والفرس وقابل تواريخ العرب بها لزيادة التدقيق والتحقيق

كتاب دفع الهم

هو فصول في آداب النفس لايليا النسطوري مطران نصيبين عثر على ثلاث نسخ منهُ حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا في مكتبة الواتيكان برومية فنقحهُ وطبعهُ وقال في مقدمتهِ ان ايليا النسطوري المعروف بابي الحليم ولد في اواخر القرن العاشر وترهَّب في دير القديس ميخائيل بقرب الموصل وصار مطرانًا على نصيبين سنة ١٠١٤ وتوفي سنة ١٠٤٩ في ميافرقين

والكتاب اثنا عشر بابًا في كلٍ منها مواعظ وحكم للمؤلف في تحبيب خلّة من الخلال الفاضلة المعينة على دفع الهم وتقبيح خلة من الخلال السيئة التي تجلب التعب والغم على صاحبها كالديانة والمعصية والشكر والكفر والتواضع والكبر والرحمة والقساوة والعقل والهوى والمشورة والاستبداد والكرم والبخل والعدل والظلم وبعد كلامهِ امثال واقاويل نفيسة من غيره. والكتاب كلهُ آية في البلاغة وحسن البيان ولقد أحسن حضرة منقحهِ بطبعهِ ونشرهِ. ومع اعترافنا بفضل هذا الكتاب واضرابهِ من الكتب التي تحث على الآداب والفضائل نود ان لا يبالغ في نفعها لان تهذيب الاخلاق امرٌ عملي لا يتم بالقراءة والمطالعة بل لا بدَّ لهُ من تربية عملية يتربَّاها الانسان صغيرًا و يربي نفسهُ عليها كبيرًا . ولَدرهمٌ من العمل خير من قنطار من التعليم

باب المسائل

(١) جائزة تسبيع الدائرة

حيفا . يوسف افندي زعرب . أيوجد جائزة لتسبيع الدائرة اي قسمتها الى سبعة اقسام متساوية لمن يبرهن ذلك بحسب اصول العلوم

ج لا نعلم ولكن الذي يفعل ذلك لا يحرم من الجزاء الادبي . وقد اطَّلعنا على طرق مختلفة لقسمة الدائرة الى سبعة اقسام متساوية بالهندسة فلم نجد منها طريقة صحيحة

(٢) فعل الصابون

ورستر باميركا . الخواجه الياس الغز . كيف يعلل فعل الصابون بازالة الوسخ عن الابدان والثياب

ج الصابون ملح مركب من المادة القلوية والحامض الزيتيك او الشحميك الذي يحلُّ اليهِ الزيت او الشحم وقت عمل الصابون . اما كيفية التنظيف فمختلف فيها والمظنون اما ان بعض الصابون ينحلُّ بالماء الى مادة قلوية وصابون حامض لا يذوب في الماء وتتحد المادة القلوية بالوسخ وتكوّن منهُ ملحًا يذوب في الماء فتزول عن الثياب . او ان مذوب الصابون يستحلب المواد الدهنية اي يجزئها الى اجزاء صغيرة جدًا ويحيط كل جزء منها بغشاء منهُ فيسهل امتزاجها بالماء . هذا اذا كان الصابون متعادلاً اما اذا كان قلويًا قلوية واضحة فالمادة القلوية الزائدة فيهِ تفعل بالوسخ مباشرة فتحولهُ الى ملح يذوب في الماء

(٣) الماس والصوان

ومنهُ . كثيرًا ما أسمع ان بعض الماس

يستخرج من الصوَّان وقد نظرت حجارة صوَّانية في بعض المتاحف وفي قلبها قطع ماس بحجم كبير فهل هي كذلك وما هو اصل الماس

ج كلاَّ بل الذي رأيتموهُ سلكا متبلورة او ما يسمى في سورية بدب الملح اما الماس فتحم متبلور ولا يوجد قلوبًا مجتمعة بعضها مع بعض كالسلكا بل حصى متفرقة . راجعوا ما كتبناهُ عن الماس في المجلدات الماضية من المقتطف فان فيها مقالات ضافية عن اصلهِ ومناجمهِ وكيفية وجودهِ

(٤) الغازولين

ومنهُ . يستعمل الغازولين كثيرًا في هذه البلاد وهو خالٍ من الرائحة فما هي مادتهُ وما هو اسمهُ بالعربي وهل هو موجود في القطر المصري ولاي شيء يستعمل فيهِ

ج هو نوع من البتروليوم اوزيت الغاز فانهُ حينما يستقطر البتروليوم لتنقيتهِ يخرج منهُ مواد مختلفة تسمى باسماء مختلفة وهي السيموجين وثقلهُ النوعي ١٠٠ الى ١١٠ والريغولين وثقلهُ النوعي ٩٠ الى ١٠٠ والغازولين وثقلهُ ٨٠ الى ٩٠ والنفط وثقلهُ ٧٠ الى ٧٦ والبنزين وثقلهُ ٦٢ الى ٧٠ . والغازولين غير موجود في القطر المصري ولكن يجلب اليهِ جلبًا ويستعمل فيهِ للاضاءَة وللاشتغال في الاوتوموبيل وهو يسمى هنا بالغازولين كما يسمى في اميركا ولا اسم لهُ في العربية لانهُ مادة جديدة لم تكن معروفة عند العرب ولا وجود لها في بلادهم بل قد استحضرت حديثًا من اميركا

(٥) خوف الوحوش من الانسان

ومنهُ يقال انهُ اذا سار انسان في ارض قفر وهجم عليهِ وحش من الوحوش فخلع ثيابهُ وقابل الوحش عاريًا دبًّا على يديهِ ورجليهِ هرب الوحش منهُ فهل ذلك صحيح

ج اذا كان الوحش معتادًا افتراس الناس وكان جائعًا فلا نظن انهُ يهرب منهُ واما اذا لم يكن معتادًا افتراس الناس ولا رؤيتهم على هذه الصورة فلا يبعد انهُ يهرب منهُ . والحكم البات في هذه المسألة وامثالها لا يكون الاَّ بعد التجربة والاستقراء ولا يحتمل ان يجرّب احد ذلك تجربة علمية يبنى عليها حكم

(٦) دود القمح

طرابلس الشام . الخواجه حنا حكيم . في اميون من اعمال لبنان اراض متسعة تزرع حنطة وحينما يبلغ علو الزرع نحو ثلاث عقد تأكلهُ دودة سوداء صغيرة تشبه دود الحرير في اول ادوارهِ وفي اواخر اذار لا يعود للدود اثر فهل من دواء او واسطة تقي الزرع من هذه الدودة او تمنع ظهورها

ج لا يكفي وصفكم لمعرفة نوع الدودة وطبائعها لينظر في علاجها . ونكرر هنا ما قلناهُ منذ ٢٦ سنة في المجلد الاول من المقتطف

وهو انهُ اذا طال ترداد الحشرات على بلاد وجب ان يختار لزرعها نوع من القمح ينمو بسرعة حتى ان سرعة نموهِ تتغلَّب على فعلها وان تحرث الارض جيداً ويؤخر زرع القمح فيها (او يبكر حتى ينمو ويقوى قبلما تظهر) . وعلى كلٍّ يجب ان تحرق كعوب القمح بعد الحصاد ثم تفلح الارض ويستأصل العشب منها وتمهَّد . واذا صوّل القمح المعد للزرع ومزج بقليل من الكلس (الجير) صار سريع النمو وتغلَّب على هذه الحشرات واذا ذُرَّ على الارض كلس جديد بعد الحصاد تلاشى منها كثير من زيزان الحشرات واذا ذرَّ عليها رماد في الخريف والربيع اتى بنفع كبير . ونزيد على ذلك الآن ان حرق كل ما في ارض الحنطة بعد الحصاد من خير الوسائل لاهلاك الحشرات منها وذر الرماد فيها . ومما يفيد كثيراً تعاقب المزروعات فاذا زرعت ارض الحنطة فولاً او باقياء او حمصاً او عدساً فالغالب ان دود الحنطة لا يجد لهُ غذاء فيها فيهلك ويستأصل منها

(٧) العقل ومقرهُ

برمانا . اسكندر افندي توما ما هو العقل واين مقرُّهُ

ج هو القوة التي بها ندرك ونحكم ونستدل ونريد ونتصوَّر ونتذكر ونعمل سائر الاعمال العقلية ومقرهُ في الدماغ او في الجسم السنجابي الموجود في الدماغ والحبل الشوكي والعقد السمباثوية . وكنهُ العقل غير معروف كما ان كنه كل الاشياء غير معروف . وقد اشبعنا الكلام على حقيقتهِ ومقرهِ في المجلد الخامس والتاسع من المقتطف

(٨) الضمير

ومنهُ ماهو الضمير وما هي آراء العلماء فيهِ

ج اختلف الفلاسفة في تحديدهِ ولعلماء الفلسفة الادبية منهم اقوال موضوعة لا تقوى على البحث . ويؤخذ من قول علماء الفلسفة العقلية ان الضمير هو العقل حينما يكتشف الحقائق الادبية . وتجدون كلاماً مسهباً عنهُ في المجلد السادس من المقتطف في الجزء العاشر والحادي عشر

(٩) نور الاستيلين

مصر . امين افندي غالب . لم نعد نسمع شيئاً عن نور الاستيلين ولا رأينا استعمالهُ قد شاع كاستعمال النور الكهربائي فهل ذلك لانهُ اغلى من النور الكهربائي

ج كلاَّ بل هو ارخص من النور الكهربائي واسطع نوراً ولكن استعمالهُ في البيوت غير سهل كاستعمال الكهربائية اما في المعامل فقد كثر استعمالهُ ولا سيما في معامل الغزل والنسج لان الالوان تتميز فيهِ كما تتميز في نور النهار واستعمالهُ شائع ايضاً في اضاءة المركبات والدرجات وقد استنبط الالمانيون قنديلاً صغيراً منهُ ساطع النور جداً



مأثرة جديدة لسابا باشا

رأى سعادة سابا باشا مدير البوسطة المصرية ان يقلّد المجلات العلمية منّة لم تُقلّدها في قطر آخر فطلب من الحكومة ان تبقى اجرة العدد من المجلات مليماً واحداً مهما بلغت زنتها فاجابهُ مجلس النظار الى طلبهِ وصار يسهل علينا ان نزيد جرم المقتطف وتبقى اجرة نقله في البريد على حالها . وهذه منّة يشاركنا في شكرها لسعادتهِ جمهور القراء

جائزة ٢٠٠٠ جنيه

اعلن حضرة المهندس الفاضل خورشيد بك وهبي باشمهندس القناطر الخيرية سابقاً انهُ يعطي الفي جنيه لمن يثبت بالادلة العلميَّة ان المياه تتلف الخافقي (الملاط الهيدروليكي) وانها تخترق جسراً من التراب عرضهُ اربعون سنتمتراً وتصل اليهِ . وجعل معرض التقاضي في المقتطف ثم بعث الينا بمقالة ضافية ضمنها الاسانيد العلميَّة التي يعتمد عليها لاثبات قولهِ وهو ان المياه لا تتلف الخافقي ولا تصل اليهِ اذا كان بينها وبينهُ جسر من التراب عرضهُ اربعون سنتمتراً . وسننشر مقالتهُ ملحقةً بالجزء التالي من المقتطف . اما المقالات التي وردت علينا باقلام حضرات المهندسين مثبتةً ان الماء يتلف الخافقي ويخترق جسر التراب اليهِ فاذا رأى حضراتهم ان ادلتها تثبت بعد نشر مقالتهِ وتعريف مرادهِ بالخافقي فاننا ننشرها والاَّ فلا

مركوني بين القارتين

مضى القرن الماضي وعلماء الطبيعة يفكرون في تلغراف مركوني وفي ما اذا كان نقل الاشارات الكهربائية بهِ يتعدَّى مسافة مئة ميل او مئتي ميل ولم يخطر لهم انهُ قبل ان يحول الحول الاول من القرن الجديد تنقل الاشارات بهِ الوفاً من الاميال فقد ادَّعى مركوني في اواسط الشهر الماضي ان آلتهُ اوصلت الاشارات الكهربائية المعروفة بتموجات هرتس من بلاد الانكليز باوربا الى نيوفونلند باميركا وقد عاد الى اوربا ليقوي آلتهُ فيها ويجعل اشاراتها تصل الى الولايات المتحدة او غيرها من البلدان الاميركية . ومعلوم ان نقل الاشارات الكهربائية من اوربا الى اميركا بالتلغراف العادي لم يتم الاَّ بعد ان استعمل التلغراف بخمس وعشرين سنة فاذا نقلت الاشارات الكهربائية بتلغراف مركوني الآن من اوربا الى اميركا لا يكون قد مضى عليها

من حين اشير باستعمالها اكثر من عشر سنوات ومن حين جربها مركوني اكثر من اربع سنوات او خمس ولم يكن يستطيع ان ينقلها حينئذٍ اكثر من ميلين اوثلاثة . واذا سارت المكتشفات العلمية على هذا النمط من السرعة لم تمضِ عشر سنوات اخرى حتى نرى تلغراف مركوني يحيط بالكرة الارضية والفضاء مملوءًا بالاشارات الكهربائية يقرأُها كل من عندهُ آلة من آلات مركوني

ضغط النور

كتب الشهير مكسول منذ زمن انهُ "اذا جُمعت اشعة النور وسلّطت على صفيحة رقيقة من المعدن فمن الممكن انها تفعل بها فعلاً ميكانيكيًا ظاهرًا" وقد حاول السر وليم كروكس اثبات ذلك بآلتهِ المعروفة بالراديومتر فلم يستطع اثباتهُ لان الراديومتر كبير ولدورانهِ سبب آخر غير ضغط اشعة النور . الاَّ ان الاستاذ ليدو من اساتذة مدرسة موسكو الجامعة اثبت الآن قول مكسول بالامتحان فانهُ صنع راديومترًا سواعدهُ من الاليومنوم الخفيف ووضعهُ في زجاجة كبيرة مفرعة من الهواء وجمع اشعة النور الكهربائي وسلطها عليها بعد ان نزع منها اشعة الحرارة فادارت الدولاب بقوة ضغطها على سواعدهِ فالقوة موجودة ولكنها ضعيفة جدًّا

سبب الشيب

كثر بحث العلماء عن سبب الشيب ولكن لم يعرف سببهُ الحقيقي الاَّ الآن فقد كتب الاستاذ متشنيكوف الروسي الى الجمعية الملكة الانكليزية يقول "كنتُ ابحث عن سبب الضمور ولا سيَّما الضمور الذي يصيب الشيوخ فانتبهت الى ضمور المادة الملونة في شعر الشيوخ او زوالها ورأيت بالمشاهدة في الشعر الشائب والذي وخطهُ الشيب ان فاغوسيت الشعر هو الذي يزيل المادَّة الملوّنة منهُ (الفاغوسيت الخلايا البيضاء التي في الدم) فان هذه الخلايا تخرج من باطن الشعرة الى قشرتها الظاهرة وتمتص الحبيبات الملونة منها (فيبيض الشعر لانهُ يصبح خاليًا من اللون) وتوجد هذه الخلايا بكثرة في الشعر الذي ابتدأ الشيب فيهِ واما الشعر الذي شاب تمامًا فلا توجد فيهِ او تكون قليلة جدًّا . وقد شاهدتها كثيرة في اصول الشعر الذي ابتدأ الشيب فيهِ وهي مملوءة بالمادة الملوّنة وشاهدتها ايضًا في اصول شعر الكلاب التي شاخت وابتدأ الشيب فيها وهي كثيرة هناك ومملوءة بالمادة الملوّنة . وبذلك يعلّل حدوث الشيب في يوم واحد فان هذه الخلايا تتكاثر في الشعر وتلتهم المادة الملونة منهُ في وقت قصير"

هذا ويحتمل بعد هذا البيان ان توجد واسطة لاضعاف هذه الخلايا او لمنع تكاثرها في الشعر فيمتنع الشيب

جوائز نوبل

وزعت جوائز نوبل الاربع على مستحقيها في مدينة ستكهلم في العاشر من الشهر الماضي فاعطيت جائزة الطب للدكتور بهرنج وجائزة الكيمياء للاستاذ فنت هوف وجائزة الطبيعيات للاستاذ رنتجن وجائز الآداب للمسيو سلي بردهوم وكل جائزة منها ثمانية آلاف جنيه

وراثة الاخلاق

بحث الاستاذ كارل بيصرن في الف ومئة عائلة منذ ست سنوات الى الآن ليرى هل يرث الاولاد من والديهم الاخلاق العقلية كالذكاء والكياسة والخجل والغضب كما يرثون الصفات البدنية كطول القامة وشكل الراس ولون العينين ولون الشعر فوجد انهم يرثون الاخلاق العقلية كما يرثون الصفات البدنية تماماً

اقزام الاشجار

عرض في معرض غلاسكو اشجار من اليابان من نوع الصنوبر والسرو نسبتها الى سائر الاشجار من نوعها نسبة الاقزام الى الطوال من البشر من ذلك شجرة من الصنوبر عمرها ثلاثون سنة وعلوها ١٥ سنتمترًا فقط وشجرة من السرو عمرها اربعون سنة وعلوها عشرون سنتمترًا فقط . واهل يابان يقصرون هذه الاشجار بالتربية فيقللون غذاءها و يضغطون على سوقها واغصانها حتى يمنعوا نموها

معادن القدماء

ثبت من بحث الاستاذ برتلو ان نحاس الاقدمين كان خاليًا من القصدير وهذا يصدق على نحاس اهالي مصر واهالي بابل واشور وفلسطين . وحقق ذلك الاستاذ غلادستون فانهُ حلَّل بعض الادوات النحاسية القديمة التي وجدها الاستاذ بتري في هذا القطر والتي وجدها المسيو سرزك في قصر سرجون ببلاد الكلدان والتي وجدها الدكتور بلس في تل الحسي بفلسطين فلم يجد فيها قصديرًا بل قليلاً من الزرنيخ ثم وجد القصدير في الادوات النحاسية الحديثة فانهُ كان يقسّى بها

والظاهر ان القدماء استعملوا الذهب والنحاس قبل غيرهما من المعادن ثم استعملوا القصدير والفضة واخيرًا استعملوا الحديد . ومن الغريب ان الاستاذ برتلو وجد قطعةً من البلاتين في صندوق صغير وُجد في طيبة من عهد الملكة شبنبت بنت الملك بينكي التي عاشت في اواخر القرن السابع قبل المسيح . والظاهر ان الصنَّاع ظنوها فضَّةً فطرقوها بالمطارق . وهذه اول مرة عُلِم فيها ان القدماء استعملوا البلاتين

ترجمة عربيَّة قديمة للانجيل

كتب بعضهم الى النشرة الاسبوعية في بيروت يقول كنت مشتغلاً بنساخة كتيب في تاريخ بطاركة السريان القدماء (اليعاقبة)

فعثرت فيهِ على ما يأتي "البطريرك الخامس والستون يوحنا تلميذ اثناسيوس الجمَّال كان من دير اوسيبونا رسم سنة ٦٣٦ م ووضع عليهِ يدهُ السيد ابرهيم اسقف نصيبين . دعاهُ عمرو بن سعد امير المسلمين وطلب منهُ ان يترجم لهُ الانجيل الى العربية فترجمهُ . خدم ثلاث عشرة سنة وتوفي في ١٤ ك ١ سنة ٦٤٩ ودفن في كنيسة آمد (ديار بكر)"

ثم ذكرت النشرة ما ذكرهُ المطران يوسف الدبس في مقدمة كتابهِ تحفة الجيل وهو "ان اول ترجمة عربية نجد العلماء ذكروها بعد ظهور الاسلام هي ترجمة الاناجيل التي ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية في السريان الناظرة وجه ٥٩٩ بقولهِ ان عمرًا ملك العرب امر يوحنا بطريرك اليعاقبة نحو سنة ٦٤٠ ليترجم الاناجيل الاربعة من السرياني الى اللغة العربية كما شهد ابن العبري في قسم ٣ من تاريخهِ السرياني ويسميهِ ابن سعد . وذكر هذه الترجمة في المجلد ٢ من تأليفهِ المذكور راس ٤٢ وجه ٣٣٥ قائلاً يوحنا المسمى سدراو من دير اوسابابا تلميذ اثناسيوس رسمهُ ابرهيم اسقف نصيبين سنة ٩٤٢ يونانية (توافق سنة ٦٣١ مسيحية) فهذا بامر عمرو بن سعد ملك العرب ترجم الانجيل من السريانية الى العربية وجلس ثماني عشرة سنة ومات سنة ٩٦٠ يونانية (توافق سنة ٦٤٩ مسيحية) ودفن في آمد"

وعليهِ فقد ترجم الانجيل الى العربية وقتما فتح الشام والمرجح انهُ ترجم قبل ذلك ايضًا كما يستدل من اقوال وردت في اشعار العرب وهي مقتبسة من آيات منهُ . وربما نشرنا مقالة لاحد الادباء في هذا الموضوع

سبب الرؤى

قرأ السر لودر برنتن مقالة في الجمعية الطبية النفسية قال فيها ان بين الناس فرقًا كبيرًا في قوة الشعور فبعضهم يرى فوق النار السنة زرقاء وبعضهم يسمع للخفافيش اصواتًا لا يسمعها غيرهُ الا ان الرؤى التي يراها بعض الناس ناتجة عن خلل في ادمغتهم حيث تصل التأثيرات الواردة من الخارج فان الاوعية الدموية التي في الدماغ قد تتقلص كما تتقلص الاوعية التي خارجهُ فيقل الدم حيث تقلصت ويقع الخلل في البصر والسمع والشم والذوق ويرى الناس رؤى لا حقيقة لها ويسمعون اصواتًا مصدرها في ادمغتهم لاغير ولو عولج بعض مدعي النبوَّة بيودور البوتاسيوم لعدلوا عن دعاويهم ولم يكن لهم شأن يذكر

ركوب الهواء

قال السر جرام مكسيم ان ركوب الهواء صار امرًا ممكنًا وان الآلة التي استعملها سنتوس دِمون وسيَّرها بالونهُ ذهابًا وايابًا ضد

الريح جامعة اقصى درجات الخفة والقوة حتى لا يظن انهُ يمكن ان تصنع آلة تفوقها فيهما ثم التفت الى الآلة التي صنعها هو وحاول الطيران بها وهي اثقل من الهواء فطارت قليلاً ثم وقعت وقال انهُ لما صنعها لم يكن صناع الآلات يعرفون مزيج الاليومنوم الجامع بين الخفة والمتانة فانهُ خفيف كالاليومنوم ومتين كالحديد فاذا صنعت آلة منهُ مثل آلتهِ الاولى سهل ركوب الهواء بها. وقال المستر ستورت بردس انهُ ما من احد طار في الهواء من نقطة معينة الى نقطة معينة وعاد الى النقطة التي طار منها في وقت معين قبل المسيو سنتوس ديمون وقد كانت سرعة الريح المضادة لهُ حينئذٍ من اربعة امتار الى خمسة في الثانية

البطاطس في البول السكري

قال المسيو موسه في اكادمية العلوم بباريس ان البطاطس كان يحسب من الاطعمة النشوية التي لا يجوز ان يأكلها المصابون بالبول السكري لانها تضر بهم اما الآن فثبت بالامتحان انهُ نافع لهم غير ضارٍ

ساعة عجيبة

صنع احد الالمان ساعة دقاقة تعد اعجب الساعات التي صنعت حتى الآن وهي صغيرة توضع في اناءٍ من الزجاج حتى تظهر كل اجزائها وتدل على الثواني والدقائق والساعات والايام والاسابيع والشهور والفصول والسنين وصور البروج والشمس والقمر والسيارات وشروقها وغروبها ومواقعها بالضبط التام وترى فيها اوجه القمر والكسوفات والخسوفات. ويعلم منها عيد الفصح على اختلاف مواقعهِ ومواقع الاعياد المتغيرة. وفيها اكثر من مئة شخص متحرك ويظهر منها ملاكان كل ربع ساعة يقرعان جرساً وحينما تنتهي الساعة يظهر عزرائيل وبدل بيدهِ على مينا الساعة ويظهر فوقها ملاك بيدهِ بوق ينفخ فيهِ. وقبل الظهر بخمس دقائق يخرج منها ديك يصفق بجناحهِ ويصيح ثلاثاً الى غير ذلك مما يطول شرحهُ وقد قضى في عملها ثماني عشرة سنة

علاج الجرذان

منيت مدينة لسبون عاصمة البرتغال بالجرذان وضاق السكان بها ذرعاً واخيراً اهتدى اطباء البلدية الى داء مكروبي يميت الجرذان ولا يضرُّ البشر وطعموا بعض الجرذان بهِ واطلقوها فعدت غيرها وانتشر الداء بين الجرذان حالاً فاماتها كلها وفي النية تطهير المراكب بهذا الداء من الجرذان

صوف بغداد

قالت الجرائد الالمانية ان الصوف الوارد من بغداد اجود انواع الصوف الوارد من البلاد العربية ويتلوهُ الصوف الوارد من الموصل

ثم من كردستان وقد صدر من البصرة عام ١٨٩٩ نحو ٣٨ الف بالة ثمنها اكثر من ستة ملايين فرنك . وكل الصوف الذي يجز في بلاد العرب والعراق العربي يرسل الى انكلترا وفرنسا واميركا لان ليس في الشرق كلهِ معمل لغزلهِ ونسجهِ

سديم فرساوس

ذكرنا في الصيف الماضي انهُ ظهر نجم جديد في كوكبة فرساوس وزاد اشراقهُ حتى زاد لمعانًا على المع الكواكب ثم ضؤل واختفى وقد ظهر على مقربة منهُ سديم اي لطخة منيرة كالغيم الرقيق ورصد هذا السديم في مرصد لك وباركس بامير فظهر انهُ آخذ في الاتساع بسرعة تفوق الوصف لانهُ اذا فُرض انهُ قريب من الارض مثل اقرب النجوم الثوابت اليها فسرعة انتشارهِ اكثر من الفي ميل في الثانية من الزمان واسرع ما يعرف من حركات النجوم مئتا ميل في الثانية ولذلك فهذا السديم اقرب الى الارض من النجوم او ان ما يرى من انتشار مادتهِ حادث من انتشار النور فيها

سكان العالم

كان سكان فرنسا في اول القرن الماضي ٢٥ مليونًا فبلغوا في آخرهِ ٤٠ مليونًا وسكان المانيا ٢٠ مليونًا فبلغوا في آخرهِ ٥٥ مليونًا . وسكان روسيا ٤٠ مليونًا فبلغوا في آخرهِ ١٣٥ مليونًا وبعض هذه الزيادة من ضم بلدان اخرى اليهم . وكان الانكليز في السلطنة البريطانية ١٥ مليونًا فبلغوا الآن ٥٥ مليونًا وكان سكان الولايات المتحدة ٥ ملايين فبلغوا ٨٠ مليونًا . وكان الجنس الاوربي كلهُ ١٥٠ مليونًا في اول القرن الماضي فبلغ في آخرهِ ٥١٠ ملايين فيبعد عن الاحتمال ان يفوقهُ جنس آخر من اجناس الناس

اسلوب جديد لعمل الصلب

استنبط رجل الماني اسمهُ جبلر اسلوبًا جديدًا لعمل الصلب (الفولاذ) يجعل ثمنهُ نصف ما كان اولاً ويجعل صلابتهُ مضاعف صلابة الصلب فيقطع الصلبَ كما يقطع الصلبُ الخشب ويمكن تطريقهُ حاميًا وباردًا على حدٍ سوى . وسيذهب صاحبهُ الى اميركا ليستعملهُ فيها

قرن الفونوغراف

شاع استعمال الفونوغراف في هذه العاصمة حتى صرت تجدهُ في بيوت كثيرة لترديد الاغاني والالحان لكنَّ صوتهُ لا يخلو من خنَّة معدنية وقد اتضح الآن ان سبب ذلك من قرنهِ وانهُ اذا أُبدل هذا القرن بقرنين او وضع داخل القرن قرون صغيرة صار صوتهُ مثل صوت الانسان تمامًا خاليًا من الرنة المعدنية

احذية الصمغ الهندي

تألفت شركة في اميركا رأس مالها مليونا جنيه لعمل الاحذية من الصمغ الهندي ويقال ان الاحذية التي تصنعها تفوق الاحذية التي تصنع باليد جودة ومتانة

علاج الاشجار المثمرة

اشدُّ الآفات على الاشجار المثمرة الحشرات القشرية وقد شاهدنا فتكها في جنائن الجيزة في هذه الايام فكادت تتلفها لاهمال الذين يناط بهم امرها علاجها عند اول ظهور الآفة ولزرعهم البطاطا الحلوة تحتها لاضعاف قوتها. وقد قرأنا في السينتفك اميركان الآن انهُ يمكن علاج هذه الآفة بسهولة بان ترش الاشجار بزيت البترول بمضخة كبيرة توقع نقط الزيت عليها صغيرة جدًّا ثم ترش بمذوب قلوي كاو كمذوب الصودا الكاوي او البوتاسا الكاوي فان الزيت يميت الحشرات ثم يأتيه المذوب القلوي و يعدّلهُ ويمنع ضررهُ عن الشجر. ويصير من مزيج الزيت والصودا مادة صابونية تستفيد الاشجار منها لانها كالسماد لها

نيازك نوفمبر

شوهدت نيازك نوفمبر في كليفورنيا باميركا وعُدَّ منها بين الساعة الرابعة والخامسة صباح الخامس عشر من نوفمبر ٢٩٧ نيزكاً وجملة ما شوهد منها من مكان واحد ٦٦١ وكان خمسون منها مثل المشتري لمعانًا واثنان كلٌّ منهما المع من الزهرة عشرين ضعفًا واربعون المع من المشتري ونحو عشرين لامعة مثل الشعرى وكان لونها الغالب الابيض لكن بعضها ضارب الى الخضرة او الحمرة او الصفرة

اعتصاب الصنّاع

اعتصب صنّاع خياطي الثياب الافرنجية في القاهرة واضربوا عن العمل ما لم تزد اجورهم ورئيسهم في ذلك رجل اسمهُ الدكتور بستس . ثم عادوا الى اعمالهم بعد فوز وهمي لان ما زيد في اجورهم لا يوازي ما خسروهُ ايام العطلة . ولعلهم لا يدرون ان اول اعتصاب ذكرهُ التاريخ جرى في القطر المصري حينما فشا فيه الطاعون سنة ١٣٤٨ للميلاد فقلَّ العمال كثيرًا واعتصب بقيتهم على رفع اجورهم . وغنيٌّ عن البيان ان علماء الاقتصاد متفقون كلهم او اكثرهم على ان اعتصاب العمال يضرُّ بهم و بغيرهم ويأول الى تنقيص اجورهم لا الى زيادتها وان لزيادة الاجور اسبابًا اخرى اهمُّها النجاح المستمر في الاعمال . واذا فشا داء الاعتصاب في بلاد وزيدت اجور العمال كلهم فيها فاكثر الزيادة من اموال الفقراء لا من اموال الاغنياء اي من اموال العمال انفسهم وهم الذين يشعرون بها واما الاغنياء فلا يشعرون بها . وسنوضح ذلك بمقالة مسهبة في جزء تالٍ

فهرس الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السابع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢١ ذي القعدة سنة ١٣١٩

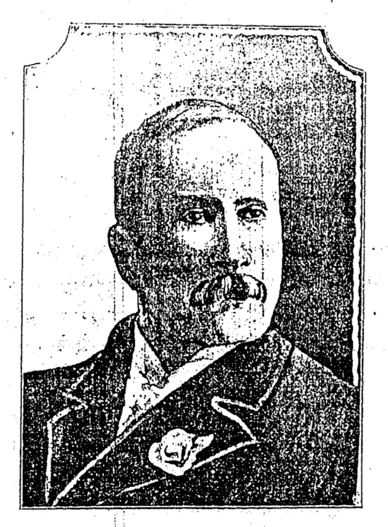
رجال المال والاعمال

جون رُكْفِلَّر اغنى اغنياء اميركا

وصفنا هذا الرجل باغنى اغنياء اميركا ونحن مرتابون في صحة الوصف الآن لئلاَّ يكون في طيَّات تلك البلاد اناس زاد غناهم على غناهُ من العام الماضي الى هذا العام. فقد قُدّرت ثروتهُ في العام الماضي بخمسين مليونًا من الجنيهات وبلغت ارباح شركة البترول التي هو رئيسها ومالك اكثر اسهمها ستة عشر مليونًا من الجنيهات ولكن اميركا التي انشأتهُ من العدم وابلغت ثروتهُ الى هذا الحد لايكبر عليها ان ترفع رجلاً آخر فوقهُ في سنة من الزمان ما دامت خيراتها وافرة وما دام ابناؤُها في مقدمة الامم همة واقداما

قلنا ان اميركا انشأتهُ من العدم والاولى ان نقول انهُ هو انشأ نفسهُ. ولد فقيرًا متربًا لا يملك شروى نقير وابوهُ فلاَّح صغير فعمل بالفاس والمحراث الى ان صار عمرهُ ست عشرة سنة وحينئذٍ ترك الزراعة وسار الى مدينة اسمها كلفلند لعلهُ يجد عملاً فيها فدخل في احد المكاتب التجارية صانعًا وفتح عينيهِ وذهنهُ فرأى ووعى واستفاد خُبرة ودُربة. قال بعد ذلك "اني لا انسى تلك السنين حين ابتدأت عملي في مدينة كليفلند صانعًا فتعلمت كثيرًا من اساليب ادارة الاعمال واهم ما استفدتهُ ان العالم كبير وميدان العمل واسع. وكانت امالي كبيرة ومطامعي كثيرة ورأيت انني لا انال شيئًا منها الاَّ بالتعب الشاق". فكدَّ وتعب ولم تثبط المشاق همتهُ ولا اقتصر على العمل بل قضي دقائق الفراغ في تهذيب عقلهِ وتوسيع معارفهِ وكان يشكر ربهُ لانهُ وُلد فقيرًا فاضطرَّ الى العمل والكدح وقد قال في هذا الصدد "ان الذين يولدون في المدن الكبيرة لا يضطرون ان يكافحوا كفاحنا نحن اولاد الارياف وهذا مما

يضعفهم ويقوينا ولذلك تجد اولاد الارياف الفقراء يزاحمون اولاد المدن الاغنياء ويحلون محلهم لانهم اقدر على العمل واصبر على المشاق وشظف العيش فلا يستطيع ابناء المدن الاغنياء ان يجاروهم ولا ان يقفوا امامهم» . وقد لا يصدق هذا القول على كل ابناء المدن اذا قوبلوا بغيرهم من ابناء الاقاليم ولكنهُ يصدق عليهم كلهم اذا قوبلوا بركفلر ابن الفلاح



جون ركفلر اغنى اغنياء اميركا

واول عمل تجاري عملهُ رمث (طوف) من الاخشاب اشتراهُ وسار بهِ في نهر اوهيو الى معمل خشب وباعهُ فيهِ فربح منهُ عشرة جنيهات فلما ذاق الربح جعل يفتش عن عمل آخر يربح منهُ فنظر حولهُ يمنة ويسرة فلم يرَ الا المتاجرة بزيت البترول . وكانت تجارتهُ في بداءتها وهي غير رابحة يقوم عليها الناس مدفوعين بتيار الامل و يعودون بصفقة المغبون . يحفر الواحد منهم بئرًا فيتدفق الزيت منهُ تدفقًا ويحسب نفسهُ ملك مقاليد الثروة فيعي الزيت في الآنية

ويبعث به الى الاسواق فيباع بعضهُ ويرفض البعض الآخر لشدَّة التهابهِ وقد يغتني منهُ زيد ويفتقر عمرو في وقت واحد فامعن نظرهُ في هذا الامر ورأى بفكرتهِ الوقَّادة انهُ اذا استطاع ان ينقي الزيت ويجعلهُ خالياً من الخطر فهناك الربح الوافر ولكنهُ كان صفر اليدين لا يزيد راتبهُ في الشهر على خمسة جنيهات فلم يرَ سبيلاً امامهُ الاَّ الاقتصاد فاقتصد في نفقتهِ ولم يكن ينفق على نفسهِ سوى نصف راتبهِ فعاش على جنيهين ونصف في الشهر في مدينة اميركية حيث اجرة العامل الصغير لا تقل عن ريال في اليوم وحيث الجنيه بمثابة الريال عندنا حتى اذا صار عمرهُ احدى وعشرين سنة كان قد جمع من راتبهِ القليل راس مال صغير فاشترك مع شاب آخر اسمهُ هيوت واتَّجرا معاً مدة خمس سنوات فبلغ ربحهُ فيها الفي جنيه

الى هنا سار ركفلر سير كثيرين من الشبان لانهُ لا يندر ان يجمع الشاب الفي جنيه وعمرهُ ٢٦ سنة اذا ابتدأ في العمل وعمرهُ ١٦ سنة اما هو فكان يسعى الى غاية اخرى لم تبرح من بالهِ وهي تنقية زيت البترول حتى يزول الخطر من استعماله . ولم يحذُ حذو غيره من الذين كانوا يضاربون بابتياع اسهم شركات البترول حاسبين انهم يغتنون في يوم وليلة ولا شاركهم في آمالهم الفارغة بل بحث وامتحن ودقق وحقق حتى اتصل الى طريقة لتنقية الزيت فصنع معملاً لتنقيتهِ بالاشتراك مع رجل اسمهُ صموئيل اندروس فراج زيتهما المنقى رواجاً عظيماً حتى اضطرا ان يفتحا معملهما للعمل نهاراً وليلاً ليقوما بما كان يُطلَب منهما . ثم بنيا معامل اخرى بما ربحاهُ من المعمل الاول . ولما رأى الماليون نجاحهُ المستمر عرضوا عليهِ اموالهم للاشتراك معهُ فاختار اليهم عريكةً واقربهم الى المسالمة حتى اذا كانت سنة ١٨٧٠ صار ربحهُ كافياً لانشاء شركة مساهمة فانشأ شركة ستندرد اويل وكان رأس مالها مئتي الف جنيه وكان هو رئيسها واخوهُ وليم ركفلر نائباً لهُ ورجل اسمهُ فلوجر كاتباً وامين صندوق

وكان لتنقية زيت البترول معامل اخرى كثيرة ولكن معامل ركفلر فاقتها كلها في نقاوة زيتها فقام عليهِ اصحاب تلك المعامل حسداً منهُ وقاوموهُ اشد المقاومة وحاولوا احباط مساعيهِ فلم يحفل بهم بل ظلت شركتهُ تنقي الزيت وتزيد اساليب تنقيتهِ اتقاناً . والناس يسأَلون عن نوع البضاعة لا عن صفة صنَّاعها فراج بترول شركتهِ ايَّ رواج حتى انيرت بهِ قصور اوربا واسيا وافريقية ومدارسها وكنائسها وجوامعها وبيوت عامتها

وحالما حلَّ مسأَلة تنقية البترول اهتمَّ بمسأَلة نقلهِ من مكان الى آخر وكان يُنقل من الآبار الى معامل التنقية في براميل رشَّاحة وفي عربات ثقيلة او على الاطواف في الانهر فصنع المركبات ذات الحياض لنقلهِ ثم مدَّ لهُ الانابيب الحديدية في الارض ليجري فيها من نفسهِ .

وكان كثيرون قد اهتموا بمد هذه الانابيب فابتاع منهم حق مدها وحصره في شركته ووسع رأس مالها فجعله ٧٠٠٠٠٠ جنيه

ثم رأى امامهُ مشكلاً آخر لا بدَّ من حلهِ وهو ان معامله لم تكن حيث يسهل نقل الزيت المنقى منها الى مراكز التجارة وكانت معامل غيره تفضل معامله من هذا القبيل فقصد ان يستأثر باساليب النقل حتى لا يستطيع احد مناظرتهُ ونجح في ذلك . وقد اتهمهُ بعضهم بانهُ رشا رجال الحكومة حتى ميزوه على غيره وقيل بل اقنعهم اقناعاً بالحجة والدليل وهو الاقرب . ومهما يكن من ذلك فانهُ فاز باحتكار كثير من اساليب النقل واضطرت الشركات الاخرى ان تسلم لهُ صاغرة وتحول عن مناظرته

وهذا الفوز العظيم وسَّع نطاق شركته وجعلها تنشىء لها مراكز في كل الولايات الكبيرة لبيع بترولها واتسع نطاق هذه المراكز فصارت شركات محلية مرتبطة بالشركة الاولى المركزية وصار زمام زيت البترول في البلاد كلها بيد هذه الشركة . ولم تترك لاحد سلطة عليها فابتاعت السكك الحديدية والبواخر البحرية ومعامل الخشب والصفيح (التنك) وكل ما لهُ علاقة بزيت البترول ونقله حتى لا يكون قيادها بيد احد غيرها وقد زادت ارباحها من هذه الاضافات كما زادت من تنقية الزيت وبيعهِ فقد كانت تشتري برميل الخشب سنة ١٨٧٢ بستة واربعين غرشاً فلما صارت تصنعهُ لم يعد يكلفها اكثر من اربعة وعشرين غرشاً وهي تستعمل في السنة ثلاثة ملايين ونصف مليون من البراميل فتوفر بذلك نحو ثمانمئة الف جنيه في السنة . وتعمل الصفيح لنفسها فتوفر اكثر من مليون جنيه في السنة لانها تستعمل ٣٦ مليون صفيحة . واعتنت بنفايات البترول فصارت تصنع منها الشمع الابيض الجيد وزيت الآلات وانقصت نفقات التنقية ٦٦ في المئة بما استعملتهُ من الاساليب الجديدة

ورأس مال هذه الشركة الآن ٢٢ مليوناً من الجنيهات وربحها في السنة ١٦ مليوناً من الجنيهات فاذا حُسب هذا الربح على معدل ٥ في المئة سنوياً فهو يقابل رأس مال لا يقل عن ٣٢٠ مليوناً من الجنيهات

ولجون ركفلر واخيهِ وليم وللمستر فلجلر واخيهِ وللمستر ارتشبلد اكثر اسهم هذه الشركة والشركات الاخرى المتعلقة بها وتبلغ حصة جون ركفلر من ذلك كلهِ نحو خمسين مليوناً من الجنيهات وحصة اخيهِ عشرين مليوناً وحصة فلجلر واخيهِ سبعة عشر مليوناً وحصة ارتشبلد سبعة ملايين . وبلغ ربح جون ركفلر وحده ١٥ مليوناً من الجنيهات سنة ١٩٠٠ ولا نظن ان ربح بيت رتشيلد كلهِ يبلغ هذا الحد . ويقال ان ثروتهُ زادت ثلاثين مليوناً من الجنيهات بالاعمال

التي عملها المستر مورغان حديثاً

وهذا الغنى الوافر الذي لم يسمع بمثلهِ من سالف الدهر لم يصرف صاحبهُ عن بساطة المعيشة ولا جعلهُ يعيش مثل كبار الاغنياء . ويعلم قراء المقتطف اسمهُ من هباتهِ السنية فهو وهّاب الملايين لمدرسة شيكاغو وغيرها من المدارس والكنائس. ويضرب المثل بتقواهُ وقيامهِ في مدارس الاحد لتعليم الصغار دروساً من التوراة والانجيل . ومن اقوالهِ المأثورة في احدى هذه المدارس في نيويورك "لا ضرر من السعي وراء الغنى لان المال من اقدر الوسائط على عمل الخير وفي الاغنياء اناس اشرار كما في الفقراء اناس اشرار ولكن اكثر الاغنياء يحسبون انفسهم امناء على اموالهم لكي ينفقوها لنفع ابناء نوعهم"

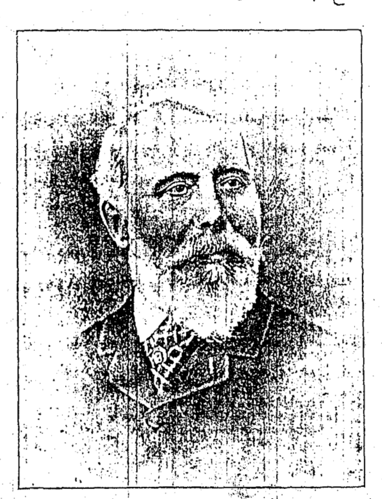
ويقوم المستر ركفلر باكرًا كل يوم ويأكل قليلاً وينظر في اموره الشخصية ثم ينزل الى مكتب الشركة يدير اعمالها الى الظهر فيأكل قليلاً من الخبز واللبن لانهُ قيما يأكل غيرهما ويروض جسمهُ عند العصر بالمشي او بالركوب مثل سائر الناس ولا يظهر عليهِ ما يميزهُ عن عامتهم مع ان في يدهِ مصالح الوف من العباد

لورد مشام

قد يرى القراء في سيرة ركفلر ما لا يستطيع احد منهم التمثل بهِ فان الرجل نشأ في بلاد كبيرة غنية وجمع ثروتهُ مما لا يوجد في بلادنا حتى الآن ووسعها بما في تلك البلاد من اساليب العمل واسباب النجاح فرأينا ان نشفع سيرتهُ بسيرة رجل آخر جمع ثروتهُ مما اصلهُ من بلادنا من الصوف ومشاقة الحرير وليسينهِ وهو لورد مشام واسمهُ الاصلي المستر لستر وسنطلق عليهِ هذا الاسم الى ان نذكر ارتقاءهُ الى رتبة الاعيان فنقول

ولد المستر لستر سنة ١٨١٥ من عائلة وجيهة وقصد والدهُ ان يدرس الدروس الدينية ويصير من خدمة الدين وتركت لهُ جدتهُ املاكها مشترطةً عليهِ ان يصير قسيساً . الا ان العصر الذي نشأ فيهِ كان عصر اختراع واستنباط . كانت الآلات البخارية في بداءة عملها وكان كبار الصنّاع مكبين عليها يتقنون ويوسعون والجمهور يحسب انها ستعمل العجائب فلم يكد يخرج من المدرسة الصغيرة حتى اعرب عن رغبتهِ في التجارة والاعمال الصناعية فدخل محل احد التجار وسافر الى اميركا مرارًا وكان السفر اليها طويل الشقة بالسفن الشراعية لا يقدم عليهِ كثيرون فعرف من احوالها ما لا يعرفهُ الا قليلون. ولما صار لهُ من العمر ٢١ سنة اشترك

مع اخيهِ في معمل صغير لمشط الصوف وغزلهِ ونسجهِ فرأى مماشط الصوف لا تفي بالغرض لان فيها خللاً ونقصاً من وجوه كثيرة فجعل يفكر في اصلاحها واول استنباط استنبطهُ مكوك لنسج الحرير المعرَّق وآلة لعمل اهداب الشيلان . ثم عكف على اصلاح مماشط الصوف وهو اهم اعمالهِ وكان كثيرون قد حاولوا اصلاحها فانفقوا اموالهم واضاعوا اوقاتهم عبثاً ولا غرابة في اهتمامهم الشديد بهذا الامر لان مشط الصوف اهم ما يكون في صناعتهِ ومن استطاع ان يستنبط آلةً تمشطهُ جيداً ربح منها الالوف المؤلفة



لورد مشام

ولما شرع في ذلك كان عمرهُ ٢٧ سنة وكان الصوف يمشط باليد ومشطهُ بها كثير النفقات وشديد الضرر على الماشطين ولم يكن احد يظن انهُ يمكن ان يصنع آلة تمشط الصوف كما يمشط باليد تماماً لكثرة الذين حاولوا ذلك وفشلوا . وكان رجل اسمهُ دونستر ب قد صنع ممشطة واخذ امتيازاً بها ولكنها لم تف بالمراد فرأى لستر انهُ يمكن اصلاحها حتى تفي به

فاشترى من صاحبها نصف حقهِ في امتيازها بالفي جنيه ثم اشترى منهُ النصف الثاني بعشرة آلاف جنيه واصلح هذه الآلة كثيرًا حتى وفت بالغرض المطلوب حاسبًا انهُ هو ودونترب المخترعان الوحيدان لها . ثم بلغهُ ان مخترعًا آخر اسمهُ كارترِيت اخترع آلة مثلها تمامًا قبلهما ونال الامتياز بها واعطاهُ البرلمنت الانكليزي عشرة آلاف جنيه اعترافًا بفضلهِ لكن آلتهُ لم تشع لانها جاءت قبل زمانها فزاد اعجاب لستر بهِ حتى عزم ان ينشئ لهُ تذكارًا عظيمًا فانشأهُ كما سيجيء

ثم اصلح هذه الآلة ونوَّعها فشاع استعمالها حالاً واضاف اليها آلة اخرى وهي آلة تندف الصوف القصير قبل مشطهِ فقامت الماشط البخارية مقام المشط باليد وهبطت نفقات مشط الرطل (الليبرة) من شلنين وثلاث بنسات الى اربع بنسات وهذا هو السبب في رواج تجارة الصوف الانكليزية والاسترالية وفوائد ذلك تقدر بالملايين الكثيرة كما لا يخفى . ولكن المناظرين لم يدعوهُ يهنأ بثمار اختراعهِ فادعوهُ ورافعوهُ الى المحاكم ولا سيما رجل الزاسي اسمهُ هيلمن ففاز لستر عليهِ من بعض الوجوه وفاز هو على لستر من وجوه اخرى واخيرًا رأى لستر ان نفقات المحاكم والمحامين قد تزيد على ما ينتظرهُ من الربح فاشترى حقوق هيلمن بثلاثين الف جنيه ووضع ضريبة الف جنيه على كل آلة يستعملها غيرهُ وانشأ هو تسعة معامل للصوف خمسة في انكلترا وثلاثة في فرنسا وواحدًا في المانيا فربح اموالاً طائلة جدًّا وجمع ثروة وافرة من هذه المعامل وغيرها لانهُ صنع آلات اخرى لعمل المخمل وندف القطن

ودخل مخزنًا في لندن ذات يوم فرأى كثيرًا من مشاقة الحرير ولم يكن قد رآها قبلاً فقال ما هذا فقيل لهُ مشاقة الحرير فقال وماذا تصنعون بها فقيل لهُ انها نفاية لا تصلح لشيء. فاخذ قليلاً منها بيدهِ وفحصها وشمها وكانت وسخة قذرة مخلوطة بفضلات كثيرة مما ينفى من معامل حل الحرير كالشرانق المثقوبة والديدان الميتة والزيزان الفاسدة وورق التوت وبعر الدود وما اشبه مما يسمَّى موَّاتة وليسينًا

ولم يكن يعرف شيئًا من امر الحرير وتربية دود القز فطلب ان يباع تلك النفايات فبهت صاحبها من ذلك وباعهُ اياها حالاً فذهب بها الى احد معاملهِ ووضع بعض المشاق في ممشطة الصوف ومشطة بها فتخلصت خيوطهُ بعضها من بعض وتوازت وصار يسهل كب الحرير منها

ورأى للحال مجالاً واسعًا للعمل والكسب فدرس صناعة حل الحرير درسًا مدققًا بالنظر والعمل وظلَّ عشرين سنة يبحث ويصنع الآلات ويغيرها ويبدلها حتى اهتدى الى آلة وافية بالمراد ولكن بعد ان انفق عليها ثروتهُ كلها ثلثمئة وستين الف جنيه ولم يبتدئ ربحهُ منها

الاَّ سنة ١٨٦٤ . ثم صنع آلة لعمل المخمل من الحرير وقد قال عنها اني لما كنت احاول عملها خطبت خطبة في جمعية غلاسكو الفلسفية قلت فيها ان البعض يهتمون بسباق الخيل في دربي لان الرهان فيهِ يبلغ اربعة آلاف او خمسة آلاف من الجنيهات ولكني انا مهتم الآن باختراع آلة اذا نجحت في اختراعها ربحت منها خمسين الف جنيه كل سنة وقد حاول غيري اختراعها منذ خمسين سنة الى الآن فلم يفلحوا . ثم لما اخبرت الذين كانوا يسمعون خطبتي ان هذه الآلة يراد بها عمل المخمل ضحكوا عليَّ لكنني عملت الآلة بعدئذٍ انا ورجل آخر وربحنا منها يزيد الآن على خمسين الف جنيه في السنة . وقد كانت الصعوبة الكبرى في ابقاء السكين ماضية لقطع زغب المخمل وكنت مرةً انظر من كوَّة مكتبي فرأيت مجلخاً يجلخ مقراضاً فقلت في نفسي انني اذا وضعت في النول حجر جلخ اصغر من هذا تتجلَّخ السكين عليهِ بقيت ماضية لقطع النسيجين اللذين الخمل بينهما فجربت ذلك فرأيتهُ وافياً بالمراد وهذه واحدة من مصاعب شتى تغلبت عليها انا وشريكي في مدة سبع سنوات .

واكتشافهُ هذا اعاد صناعة نسج المخمل الى انكلترا . ويصنع في معاملهِ الآن كل انواع المخمل وكل نسيج لهُ خمل حتى النسيج الذي يشابه جلد الفقمة والبسط المخملية على انواعها والمنسوجات الحريرية على انواعها وكلها من مشاقة الحرير التي كانت تطرح من المعامل كأنها زبالة

ولما رأى ان عملهُ نجح النجاح التام حوَّلهُ الى شركة مساهمة رأس مالها مليون و ٩٥٠ الف جنيه لكي يشرك غيرهُ معهُ في عملهِ وربحهِ واشترى ارضاً مساحتها ٣٤ الف فدان بمليون من الجنيهات وقصرًا قديمًا دفع ثمنهُ وثمن الحراج التي حولهُ ٤٧٥ الف جنيه وبنى بناء فخماً تذكارًا لكارترَيت مخترع آلة النسج انفق عليهِ ٤٧ الف جنيه و ٥٠٠ جنيه

واعترفت الحكومة الانكليزية بفضلهِ على صناعتها فمنحتهُ لقب لورد مشام سنة ١٨٩١ واعترف اصحاب معامل الصوف بفضلهِ فصنعوا لهُ تمثالاً كبيرًا نصبوهُ لهُ في روض بردفورد وهو المخترع الوحيد الذي نُصب لهُ تمثال في حياتهِ

وقد كان الصوف يجزّ ويمشط ويغزل ويحاك في هذا القطر والقطر الشامي منذ الوف من السنين ولكن ما من احد منا خطر على بالهِ ان يصنع آلة لمشطهِ وغزلهِ . وكانت المشاقة والليسين والقشيرة وما اشبه من نفايات الحرير ترمى او تبيَّض ويغزلها النساء بايديهنَّ ولم يهتم احد منَّا بعمل آلة تنظفها وتغزلها . وبهِ يتمثل ذلك يبين الفرق بين اقدار الرجال ومبالغ الهمم . واذا اغتنى هذا الرجل ورقي الى مراتب الاشراف فيكون قد جوزي جزاء العامل المستحق عند من يعرف اقدار الرجال

لورد دفرن



لورد دفرن ومن لم يسمع هذا الاسم من رجال هذا القطر والقطر الشامي ومن لا يعلم ان بهِ وبامثالهِ قامت المملكة الانكليزية ونشرت راياتها في الخافقين

ولولا رجال مثل دَفِرِنَ مادرت بناة المعالي كيف تبنى الممالكُ

ولد في الحادي والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٢٦ من بيت كبير من اشراف ارلندا اصلهُ من اسكتلندا وابوهُ بارون دفرن كان من ضباط البحرية وتوفي شابًّا وامهُ لادي دفرن كانت من اشهر نساء عصرها وهي من عائلة توماس شريدن المشهور ببلاغتهِ فورث من

ابيهِ حصافة الاسكتلنديين وحسن نظرهم في العواقب ومن امهِ ذكاء الارلنديين وبلاغة اساليبهم في التعبير وزاد على ذلك ان درس وتربى في احسن مدارس الانكليز في اتن واكسفورد ولم يفق اقرانهُ في درس العلوم والفنون ولكنهُ فاقهم في درس احوال بلادهِ ارلندا واسباب انحطاطها فتأهل بذلك للنظر في احوال هذا القطر وبلاد الهند لما دُعي اليهما كما سيجيء

وورث لقب عائلتهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثم جُعل من لوردات الانكليز سنة ١٨٥٠ فجلس في مجلس الاعيان ورحل الى ايسلندا سنة ١٨٥٥ وكتب رحلتهُ في رسائل بليغة كان لها اعظم وقع في النفوس فوُضع في الطبقة العليا بين الكتّاب لكنهُ لم يتخذ الانشاء حرفةً لهُ ولو بقي مشهورًا بحسن انشائهِ

ولما حدثت المذابح في سورية سنة ١٨٦٠ وخاف الانكليز من ان فرنسا تحتلها وتبقى فيها دوامًا فتضعف تجارتهم فيها وتقوم في طريقهم الى الهند بعثوا باللورد دفرن ليقنع غيرهُ من مندوبي الدول الاوربية بوجوب جلاء الجنود الفرنسوية عن الربوع السورية . ويظهر لنا الآن انهُ اعتمد على آراء الكولونل تشرشل وبعض المرسلين من الانكليز والاميركان والكولونل صديق حميم الدروز والمرسلون ناقمون من الموارنة لما نالهم منهم من الاضطهاد فاقنعوهُ ان ما حدث في سورية ناتج عن ضغائن قديمة بين النصارى والدروز لا غير وانهُ اذا عوقب الدروز عقابًا صارمًا او بقي الفرنسويون في سورية قوي النصارى على الدروز وعادت الفتن وتكررت المذابح فاقنع اكثر رفاقهِ المندوبين بصحة ما اقتنع بهِ . ولكن ان كانت مذابح لبنان ناتجة عن ضغائن قديمة بين النصارى والدروز فما سبب مذبحة دمشق ولا دروز فيها وكيف تتعهد الجنود المنظمة بحماية نصارى دير القمر وحاصبيا وتستلم اسلحتهم منهم ثم تبيح ذبحهم ذبح الغنم ولم يكن لدروز الارض ان يخالفوا امرًا لجندي واحد

ولا شبهة عندنا في ان اللورد دفرن اقتنع بصحة ما قيل لهُ وان الذين اقنعوهُ بذلك كانوا مقتنعين بصحة اقوالهم وآرائهم فلم يخاتلوهُ ولا ختل احدًا ولو اهتدى الى وجه الصواب ما وصلت بلاد الشام الى ما وصلت اليهِ في هذا الزمان ابناؤُهُ منتشرون في مشارق الارض ومغاربها مع ان بلادهم تكفي اضعاف اضعافهم

قالت جريدة التيمس عند كلامها على وفاة لورد دفرن ان حصافتهُ هي السبب في نجاح لبنان وفي خروج الجنود الفرنسوية من البلاد السورية . اما خروج الجنود الفرنسوية فلا شأن لنا فيهِ ولا شبهة في ان الاكثرين يشكرونهُ عليهِ . واما نجاح لبنان فوهمٌ في وهمٍ وكيف ينجح جبل صخري سلخت عنهُ السهول والمدن فحُرم موارد الزراعة والتجارة او جُعل فيهما تحت رحمة غيرهِ

ولولا الرزق الذي يجده ابناؤُهُ في المهاجرة ولولا الهمّة التي لهم حتى يكسروا الصخور ويزرعوا كرومهم في فتاتها لمات اكثرهم جوعاً

ورأت الحكومة الانكليزية حينئذٍ انها نالت بهِ ما تمنّت وهو خروج فرنسا من بلاد الشام واخماد الفتن التي تدعو الى عودتها اليها فحسبتهُ بين رجالها المعدودين الذين تتقي بهم نوائب الدهر

وتزوَّج بعد عودتهِ من بلاد الشام سيدة فاضلة كانت اكبر معين لهُ في اشغاله السياسية في كندا والهند وبطرسبرج والقسطنطينية ورومية وباريس. ويذكرها نساء الهند بالمدح والثناء

وجُعل حاكماً عاماً على بلاد كندا سنة ١٨٧٢ فاحكم عرى المودة بين تلك البلاد والبلاد الانكليزية بما اظهرهُ لاهلها من الحب والولاء والاهتمام بمصالحهم وترقية شؤُونهم فكان مثالاً للوالي الحكيم الذي يعزّز سلطة مولاهُ باصلاح شأن ولايتهِ ولهُ في ذلك كلام بليغ نعرّبهُ عن جريدة التيمس ليكون انموذجاً للولاة قال: ان اسمى ما ارمي اليهِ ان اخدم مولاتي الملكة في المنصب العالي الذي اقامتني فيهِ واحافظ على ما لها من المقام السامي في هذه الولاية واتمثل بمثالها المجيد في قيامي بمهام منصبي واكتسب ثقة اهالي كندا بقيامي على خدمتهم واجرائي العدالة بينهم من غير تشيع ولا تحزُّب. وان كان صدق ولائك لبلاد يبرهَن بحبك لها من كل قلبك ونظرك الى كل واحد من اهاليها كأنهُ صديق حميم لك واهتمامك بخيرها ونجاحها اهتمام ابنائها بهما وافتخارك بكل ما فيها بمناظرها واقليمها وآداب اهلها واخلاقهم وما يسرهم ويرضيهم فحبي لكندا امر مقرر لا يمكن ان يرتاب فيهِ احد

وكان خطيباً مفلقاً شديد العارضة قوي الحجة يخلب عقول سامعيهِ بفصاحة لسانهِ لكنهُ لم يكن يلجأُ الى الادلة الخطابية بل كان يعتمد على دليل العقل والاختبار

ولما ظهرت مهارتهُ الادارية ودهاؤُهُ السياسي في كندا عُرض عليهِ مسند السفارة في بطرسبرج عرضهُ عليهِ اللورد بيكنسفيلد زعيم المحافظين وهو من الاحرار لكنهُ قال لهُ وقتما عرض عليهِ هذا المنصب اننا لا نقصد ان تنحاز الينا وتعضد سياستنا في مجلس الاعيان. فقبل المنصب ومضى الى بطرسبرج وكان النفوذ مستحكماً بين روسيا وانكلترا بسبب تشيُّع انكلترا لتركيا وحرمانها روسيا ثمرة حربها مع تركيا فبذل جهدهُ في تضميد الجراح وازالة البغضاء الى ان انتقلت عقدة المسألة الشرقية من بطرسبرج الى الاستانة فنُقل سفيراً اليها سنة ١٨٨١ وكانت الليالي حبالى بالمسألة المصرية ولا بدَّ لها من سياسي محنك يراقب احوالها من رجل يدهُ من حديد لكنها في كف من المخمل فأُرسل الى مصر بعد واقعة التل الكبير فنظر في ما يقتضيهِ اصلاحها ولا يبعد ان يكون قد اعتمد على آراء الذين استخلصهم من سكانها وانشأَ

تقريرهُ المشهور مشيرًا فيهِ بما رآهُ من طرق الاصلاح . وقد اطلعنا على نسخة منهُ سقيمة الترجمة جدًّا وهاك بعض ما جاء فيها عن المعارف بعد تنقيحهِ قليلاً

"من الغني عن البيان ان كل مساعينا لنجح مصر ادارة حسنة تحبط ما لم ننظر نظرًا دقيقًا في كل فروع المسائل التي تتألف منها تلك الادارة ونخصص كلاًّ منها بما يلائمهُ فليس للمصريين حق في التشكي من وجود عدد وافر من الاوربيين في الادارات اذا كان من المستحيل في الوقت الحاضر وجود وطنيين نائلين كل الصفات المطلوبة للقيام بالمصالح المسلّم زمامها للاجانب . فان كنا نرغب في التخلص من هذا التشكي الشرعي فلا وسيلة لذلك الاَّ بأن تأخذ الحكومة المصرية بعزم ثابت وطوية سليمة امر تهذيب الجيل الجديد

فالمدارس الموجودة الآن في القطر المصري تنقسم كما يأتي

اولاً الجامع الازهر . وهو مدرسة جامعة يدرس فيها علم الكلام والفقه والنحو والمنطق وآداب اللغة العربية وفيهِ نحو ثمانية آلاف طالب وثلاثمائة استاذ

ثانيًا المدارس التي انشأها مرسلو الاجانب ونحلهم ويبلغ عددها ١٥٢ مدرسة تحوي ١٢٢٤٧ طالبًا منهم ٦٤١٩ او ٥٢ في المئة من المصريين . وخزينة الحكومة تدفع معينات سنوية لبعض هذه المدارس

ثالثًا مدارس الحكومة وتقسم على الوجه الآتي

(١) الكتاتيب البسيطة المشيدة في المدن والقرى ويبلغ عددها ٥٣٧٠ وفيها ١٣٧٥٥٣ طالبًا او جزء من ٤٠ من عدد سكان القطر ويعلم فيها القراءة وحفظ القرآن (الشريف) غيبًا ويزاد في بعضها تعليم الخط والحساب

(٢) المدارس الابتدائية ويوجد منها ٢٧ تحوي ٤٦٦٤ طالبًا واحدة منها في العاصمة ونفقتها داخلة في ميزانية نظارة المعارف وفيها ٦٤٨ طالبًا وهي مثال للمدارس الموجودة والتي يراد انشاؤها في مراكز المديريات والقرى الكبيرة ومدة التعليم فيها اربع سنوات في خلالها يتقوى الطالب في قراءة القرآن (الشريف) وكتابة اللغة العربية وتعلم الحساب وفي غضون السنة الاخيرة منها يدرس مبادئ التاريخ والجغرافية ومبادئ لغة اجنبية (انكليزية او فرنساوية او المانية) حسب رغبتهِ والخط الاوربي ويترقى من هذه المدارس الى المدرسة العليا (التجهيزية) في القاهرة ومن هذه يتدرج الى مدرسة الصنائع والفنون

ونفقة بقية المدارس الابتدائية من ايراد بعض الاطيان في الوادي وهي التي وهبها حضرة الخديوي السابق لهذه الغاية وتؤدى من ادارة الاوقاف والاحسانات الخصوصية

(٣) المدرسة العليا في مصر وفيها ٢٩٢ طالباً يتدرج منها الى مدارس الصنائع والفنون ومدة التعليم فيها اربع سنوات يتعلم الطالب فيها لغة اجنبية والعربية والرياضيات والطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والتاريخ العام والجغرافيا والخط العربي والافرنجي والتصوير

(٤) مدارس الصنائع والفنون وهي

(ا) مدرسة الطب وفيها ١٧٦ طالباً ويلحق بها مدرسة الصيدلية وطلبتها سبعة ومدرسة القوابل وطالباتها عشرون (مديرها فرنسوي)

(ب) مدرسة الفنون وفيها خمسون طالباً

(ت) المدرسة المساحة وفيها ٣٩ طالباً

(ث) مدرسة الفنون والصنائع وفيها ٥١ طالباً (مديرها فرنسوي)

(ج) مدرسة الحقوق وفيها ٣٧ طالباً (مديرها فرنسوي)

(ح) مدرسة الالسن وفيها ٢٣ طالباً (مديرها فرنسوي)

(خ) مدرسة المعلمين وفيها ٦٠ طالباً (مديرها فرنسوي)

(د) مدرسة العمال وفيها ٧٩ طالباً وهي تحت ادارة مدرسة الفنون والصنائع ويدخلها تلامذة المدارس الاولية الذين لم تظهر منهم اهلية للمدارس العالية

(ذ) مدرسة العميان والخرس وفيها ٧٥ طالباً من الجنسين

(ر) مدرسة البنات وكان لهنَّ سابقاً مدرستان احداهما لعائلات الذوات والثانية لعائلات الفقراء لكنهما اندمجتا معاً وفيها ٣٠٠ طالبة

(ز) المدرسة العسكرية في القاهرة (مديرها فرنسوي)

(س) المدرسة البحرية في الاسكندرية

فاذا امعنا النظر في هذا البناء الواسع الجامع مشتملات التهذيب المتوج بالجامع الازهر المنتشر صيتهُ في آفاق الارض خيل لنا ان المصريين هم الشعب الاكثر تعلماً على سطح الكرة ولكن من نكد الطالع نرى الحال بالعكس فالولد المصري يبلغ الحلم صغيراً ولهُ قابلية خاصة لتعلم اللغات والرياضيات لكنهُ متى وصل الى درجة محدودة في التقدم لا يتمشى نموّ عقله تمشي نموّ جسمهِ في ادراك العلوم العالية وان الزواج الباكر هو احدى العلل الرئيسة التي تفطمهُ عن اطراد رضاعة البان المعارف وكم من الطلبة تراهم جالسين على مقاعد التعلم وهم حاملون على مناكبهم احمال الزواج وان ضعف البصر مانع آخر لنجاحهم

وهنالك ايضاً علة تجب مداواتها فانهم يستخدمون في التعليم قوة الذاكرة الى حد الافراط

ويغفلون عن تمرين بقية القوى العقلية . وطريقة التعليم في الجامع الازهر جافة وغروسها في العقول عقيمة لا تثمر فائدة ولا نتاجاً حين العمل

وقلما نبغ تلميذ من الفرق الاولى في مدارس الحكومة بانتهاء مدة دروسهِ الى درجة تؤهلهُ للانتقال الى مدرسة اعلى على انهُ ينتقل اليها لينوب مناب الخارج منها ويملأ الفراغ فتكون النتيجة انهُ يباشر دروساً عالية حالة كونهِ لم يتم دروسهُ الابتدائية

وفي اوربا ٤٩ شاباً مصرياً مرسلون من مدارس الصنائع والفنون لاتمام دروسهم والحكومة المصرية تنفق على اربعين منهم والتسعة الآخرون ينفقون على انفسهم وهم موزعون كما يأتي : في فرنسا ٤٧ . في انكلترا ١ . في سويسرا ١ . و ١٤ منهم يتعلمون الطب . و ١٠ الحقوق . و ٢ الهندسة . و ٢ الهندسة الآلية . و ٨ يتجهزون للدخول في مدرسة البيطرة . و ١٣ يتجهزون للدخول في مدرسة الطب

فالمدرسة العليا (الحاوية ٢٩٢ طالباً) هي الوحيدة التي يؤخذ منها التلامذة لمدرسة الصنائع والفنون وهي غير كافية لسد الطلب ولكن يمكن سد هذا الخلل موقتاً باخذ تلامذة مدرسة الصنائع والفنون من تلامذة المرسلين الاجانب لانهم انجح من تلامذة مدرسة الحكومة لكن الوزارة عارضت ذلك حتى الآن بقولها ان تلامذة مدارس الاجانب لا يتقنون اللغة العربية كما يتقنون باقي الفنون . وبما ان مدارس الصنائع والفنون ومدرسة المساحة ومدرسة الصنائع ذات بغية واحدة اعني اخراج مهندسين وآليين فلربما افاد ادماجها في سلك واحد تحت ادارة واحدة

ومدرسة الحقوق التي يجب ان ينتقى منها القضاة وارباب المجالس مشيدة على اسس ملائمة لمقتضيات القطر . وبما ان المجالس الوطنية والمجالس العدلية من الامور الكثيرة الاهمية فيجب توسيع هذه المدرسة بزيادة عدد اساتذتها وانتقاء عدد وافر من تلامذة مدارس الحكومة والاجانب وادخالهم فيها

ويجب تنظيم مدرسة اللغات على اساس يوصل الى تخريج العدد الاكبر من المترجمين والمستخدمين الثانويين لمصالح الحكومة فان اكثر المترجمين الرسميين في الوقت الحاضر من السوريين الذين برعوا بسبب حسن التعليم الذي تلقوهُ من مدارس المرسلين الاميركان والفرنسويين والالمان في سوريا

وقد تقادم عهد الكتب المستعملة في مدارس الصنائع والفنون وما ذلك الا لقدم ترجمتها ونشرها في اللغة العربية

ومما يحتاج اليهِ القطر مدرسة زراعية لانهُ زراعي صرف فمحصولاتهُ تبلغ سنويًّا نحو ١٥ مليون جنيه ولا ريب ان هذا الايراد ينمو جدًّا اذا استخدمت الطرق العلمية في التسبيخ وتعاقب المزروعات . وطلبة هذا العلم المنتقون من اصحاب الاطيان في المديريات يستطيعون تمرين انفسهم واختبار دروسهم في الدوائر الزراعية الواسعة كالدائرة السنية والدومين

ومن اهم ما تحتاج اليهِ مدارس الحكومة مفتشون مهرة فاذا عُيِّن هؤلاء تحت رئاسة مفتش عام بارع زالت اكثر عيوب الطريقة المستعملة الآن على انهُ ولو تعين هؤلاء ما امكنهم ان يراقبوا كل مدرسة الا مرة في السنة لان المدارس في القطر تزيد على سنة آلاف . ويكون من واجبات المراقبين ان يلاحظوا تعيين الاساتذة ولا يقبلوا غير البارعين منهم وان يراقبوا امتحان التلامذة ولا يدعوا تلميذًا ينتقل من فرقة الى اعلى منها او من مدرسة الى اسمى منها ما لم يتحققوا انهُ بلغ ما يؤهلهُ لذلك . ويكون من خصائص المفتش ان يرفع عن عاتق الحكومة نفقات الذين لا يتبين لهُ ان عندهم اهلية لتلقي العلوم العالية ومن شؤون المفتش ايضًا ان يزور مدارس الاجانب ليضيف الى علومها علومًا أُخرى من شأنها ان تؤهل تلامذتها للدخول في مدرسة الحكومة العليا او في مدارس الصنائع والفنون . فان لم تكن طريقة التفتيش حسنة فكل القوانين والترتيبات مهما كانت هيئتها علمية ودقيقة تعتبر عديمة الجدوى

وبما اني شاهدت عيانًا النجاح التام الذي نالهُ البلغار والارمن في مدرسة روبرت الكلية بجوار الاستانة اراني شديد الميل لتحصيل مثل تلك النتائج بادخال سننها في القطر المصري

واخال ان امل التقدم ضعيف ما دام العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية لغة القرآن كما في الوقت الحاضر ولا تتعلم اللغة العربية الدارجة لان نسبة اللغة المصرية الدارجة الى لغة القرآن كنسبة الايطالياني الى اللاتيني واليوناني الحديث الى اليوناني القديم . وعربية الفلاح لغة قائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها . واذا لم تؤخذ هذه الاحتياطات الضرورية للحصول على النتائج الفعلية من المدارس العديدة التهذيبية التي اشرت اليها يستمر الجيل الجديد كسابقهِ غير صالح لخدمة وطنهِ سواء كان للقيادة في العسكرية او في الصنائع او في الخدمات العمومية وتظل عبارة "مصر للمصريين" كما كانت اسمًا بلا مسمّى " . انتهى

وعاد من مصر الى الاستانة وكأنهُ قضى المهمة التي اقيم لها فيها على اتم المراد فانعمت عليهِ الملكة بحكمدارية الهند فمضى اليها سنة ١٨٨٤ واقام فيها الى سنة ١٨٨٨ ويقال ان تلك السنوات الاربع كانت اكثر ايامهِ اشتغالاً فسكَّن ما في بلاد الهند من الاضطراب لانهُ جرى في الطريقة الوسطى بين الوطنيين الطالبين حكومة نيابية كالحكومة الانكليزية وبين الانكليز

الطالبين ان لا يعطى الوطنيون حقًّا من الحقوق النيابية . وارضى المسلمين من غير ان يغيظ الهنود وعزَّز التخوم الشمالية الغربية واضاف مملكة برما العليا الى الاملاك الانكليزية . واهتمت زوجتهُ لادي دفرن باحوال النساء وبترغيب الطبيبات في الذهاب الى الهند لتطبيبهنَّ . وتعلم اللغة الفارسية وهو هناك لكي يخاطب الفرس بها . ثم لما استعفى من حكمدارية الهند مُنح لقب مركيز دفرن وآفا . واسم آفا هذا اسم قديم لبلاد بُرما التي ضمها الى السلطنة الانكليزية . وجُعل سفيرًا في ايطاليا فسوَّى المسائل التي بين ايطاليا وانكلترا في ما يتعلق بالسودان الشرقي ونُقل في اواخر سنة ١٨٩١ الى باريس فبقي فيها الى سنة ١٨٩٦ وخيف من وقوع الخلاف بين انكلترا وفرنسا في هذه المدة على مصر وعلى سيام واتفقت فرنسا وروسيا والمانيا على اليابان في الحرب الصينية اليابانية فخافت انكلترا من العبث بمصالحها في الشرق الاقصى واتفقت فرنسا والمانيا على انكلترا في مسألة النيجر في افريقية فكان لهُ اليد الطولى في حل هذه المشاكل السياسية على ما فيها من التعقيد . ومُنح وهو هناك لقب حارس المدن الخمس ولما استعفى من سفارة باريس سنة ١٨٩٦ عاد الى ارلندا ولكن لم تصافهِ الليالي في اخريات ايامهِ بل نغصت عيشهُ فقتل ابنهُ البكر في حصار لادي سمث وبان خلل كبير في شركة مالية كان لهُ علاقة كبيرة بها فخسر فيها اموالهُ وذلك كلهُ مضافًا الى متاعب الشيخوخة وفقد السمع هدم ما بقي فيهِ من القوة فتوفي بعد مرض طويل في الثاني عشر من فبراير وحالما بلغ نعيهُ ملك الانكليز بعث بتلغراف التعزية الى لادي دفرن يقول فيهِ

" اننا بالاخلاص التام نشاركك في خسارتك التي لا تعوَّض "

و بعث برنس اوف ويلس وزوجتهُ يقولان " اننا باشد الاسف سمعنا عن وفاة زوجك العزيز فحزنَّا معكِ ومع عائلتكِ ونقدم لكِ تعزياتنا القلبية "

وارسل دوق كنوت الى ابن لورد دفرن يقول " لقد حزنَّا حزنًا شديدًا انا والدوقة واني حزين لمصابكِ ومصاب لادي دفرن وارجو ان تجد صبرًا على هذا الخطب الفادح "

ووردت تلغرافات التعزية من لورد سلسبري ودوق ارجيل ولورد روزبري وغيرهم

وقالت جريدة التيمس في تأبينهِ ان خدمتهُ لبلادهِ لم يسبق لها مثيل في تاريخ انكلترا فانهُ لم يحدث ان انسانًا واحدًا كان حاكمًا لكندا وحاكمًا للهند وسفيرًا في اربع سفارات كبيرة . . . ثم لما آن الاوان ليستقيل من الخدمة ويستريح من عناء الاشغال لم يكن سفير ولا حاكم احق منهُ بتلك الراحة . ولولا ما نُغص بهِ عيشهُ في اخريات ايامهِ لكانت سعادتهُ تامة . . . وقد شمل الحزن عليهِ السلطنة الانكليزية لانهُ كان من انفع رجالها وانجبهم واعلاهم همة

عروسة النيل

الفصل الثامن

نزل حيرام الى دار المنزل فوجد كبار الخدم جالسين يصطلون ويتسامرون وبينهم رستم المجوسي و بعض اتباع هاشم وكان كاتب اوريون يحدثهم بما اتفق لسيدهِ من الوقائع حين كان في القسطنطينية وما صادفهُ من الحظوة في عيون جلّة القوم فيها والباقون يصغون الى حديثهِ ويتوقون الى استماع المزيد

ولما خالت باولين ان الجوّ خلا لها انسلّت في الدار واومأت الى حيرام فتبعها وسارا الى غرفتها فعمدت الى صندوق ففتحتهُ واخرجت عقدًا من الجوهر في وسطهِ زمردة كالجوزة حجماً وكالشمس لمعانًا فامرت حيرام ان يقتلعها من مكانها فعالجها بمديتهِ حتى نزعها واخذ يقلبها في يديهِ وباولين تعيد على مسمعهِ ما امرتهُ بهِ ثم اشارت اليهِ بالانصراف واقفلت الباب واخذت تستعدّ للرقاد ولم يكن الأكلا حول ولاحتى سمعت قرعاً خفيفاً فهبت مذعورة وقالت من بالباب

— حيرام

فاسرعت وفتحت الباب وسألتهُ عن سبب عودتهِ فاخبرها ان الباب الصغير الذي جاء بهِ والذي يؤدي الى الدار موصد وانهُ لا يستطيع الخروج اذ هو لا يعرف مخارج البيت ومداخلهُ فحارت باولين في امرها ثم القت قناعاً على راسها وقالت

— اتبعني على مهل فاذا وجدنا المطبخ فارغاً استطرقنا منهُ الى القاعة وقد نستطيع الخروج من الباب الكبير لان بعض الخدم يبيتون في المنزل ولعلهم لا يزالون في الدار فاذا بلغناهُ صرتَ على هدًى واحذر الكلب الذي امام دار التحف فهو عقور ومتى اومأتُ اليك بيدي فقف مكانك . فمشيا حذرين الى المطبخ فالقاعة حتى بلغا دار التحف فوجد بابها مفتوحاً فتواريا ووقفت باولين تسترق السمع وقلبها يخفق وجلاً وذهولاً فابصرت رجلاً خارجاً من دار التحف فتحققتهُ واذا بهِ اوريون يتبعهُ كلبهُ الذي اشارت اليهِ فهجم هذا عليهما فمدّت يدها اليهِ ودعتهُ باسمهِ بصوت خافت فكفَّ عن النباح واقبل اليها واطرق راسهُ ولم يرَ اوريون الاثنين فاقفل الباب ومضى لسبيلهِ وظلت باولين كأنها تفكر في وسيلة للخلاص وسادت السكينة على البيت وكاد القمر يغيب ثم سمعت جلبة وهرير كلب عقبهُ استغاثة امرأة في اشدّ الآلام فذعرت لهذا الصوت ثم رأت اوريون يجري والكلب وراءهُ وهما يعدوان حتى وصلا الى حديقة امام

المنزل فغابا فيها عن عينها فالتفتت الى حيرام وقالت لهُ لقد حانت الفرصة فاتبعني واندفعت تجري امامهُ ولكنها لم تُسر بضع خطوات حتى عثرت رجلها بشيء فارتعدت فرائصها وتأملتهُ فاذا امرأة منطرحة على الارض لاحراك بها فهمّت بالفرار لكنّ رقة قلبها تغلبت على جبنها فوقفت وامرت حيرام بالخروج واومأت الى الباب الكبير ثم جثت على ركبتيها امام الجثة وحققت النظر فيها فالفتها ماندانى الفارسية وقد تخضبت ثيابها بدمها فمزقت قميصها واذا في صدرها جراح دامية فارتاعت لهول ما رأت وعجبت لاوريون كيف يقدم على مثل هذه الفعلة الشنعاء وقد كانت بالامس تنعتهُ بخير النعوت وتحسبهُ مثالاً للشهامة والمروءة ثم هو اليوم يرتكب جرماً كهذا ولا يلبث ان يترك المسكينة وشأنها وقد باتت فريستهُ مرتين. فاخذت تتبصر في وسيلة لانقاذها اذ آنست فيها رمقاً من الحياة ولم يشأ حيرام ان يتخلى عن سيدتهِ في ذلك الموقف الحرج فخلع حذاءهُ وحمل المجروحة واسندها الى عمود في القاعة ووقف ينتظر امر سيدتهِ في شأنها لكنَّ باولين الحَّت عليهِ بالذهاب خشية ان يراهُ احد من اهل القصر فصدع بامرها واسرع الى الدار وحينئذٍ صاحت باولين باعلى صوتها تدعو الخدم الى مساعدتها فرددت جوانب القصر صوتها وهرع الكتّاب والحشم وفي طليعتهم اوريون وقد تدثّر بدثار الليل كأنهُ نهض من الرقاد فجأةً فلما وصل اليها سألها عما جرى فلم تجبهُ فاعادت امهُ السؤال فحارت باولين في ما تقول لكنها شددت عزمها وقالت

— منيتُ الليلة بالارق وبينما كنت انقلب على فراشي سمعت نباح كلب وصراخ مستغيث فاسرعت الى هذا المكان ورأيت ما ترون . فقالت نفورس

— لا مشاحة في انكِ غريبة الاطوار فهل سُمع في الدهر ان الفتيات يتركن غرف النوم ويخرجنَ الى مواقع القتال . وقال اوريون ولو كان معكِ شيء من السلاح يا ابنة الابطال .... فقاطعتهُ باولين وقالت

— لقد خليت السلاح للابطال والقتلة ثم حوّلت اليهِ نظرة احدّ من السهم فندم على خطابهِ وحاول صرف الحديث فقال على انكِ مخطئة في زعمكِ فليست هذه الجراح في صدر الفتاة وكتفها طعنات سلاح ولكنها اثر براثن الكلب ولا ادري ما الذي جاء بماندانى الى دار التحف حتى جرى ما جرى فقالت امهُ

— ولكن حذاء من هذا الذي اراهُ هنا. فعلت جبين اوريون صفرة الوجل وحسب الف حساب واخذ يضرب اخماساً لاسداس فانهُ لم يدخل الى دار التحف حتى تيقن ان الباب المؤدي الى القاعة موصد وان المكان خالٍ من الانس فقلق وخشي ان يكون قد رآهُ احد

لكنهُ عزم على البحث فالتقط الحذاء وسأل الخدم عن صاحبهِ فلم يعرفوهُ فقال

— لكنَّ هذا الحذاء مصنوع عندنا وعليهِ سمة معملنا نخذهُ يا سبك وتحقق صاحبهُ وغداً نرى ما يكون من امرهِ ثم التفت الى باولين وقال

— لقد كنتِ اول الواصلين الى هذا المكان بحسب قولكِ فهل ابصرتِ فيهِ رجلاً فاجابتهُ والغيظ يكاد يخنقها

— نعم

— وكيف سار

— رأيتهُ يعدو كالجبان في عرض القاعة ثم خرج الى الحديقة التي امامها حتى غاب في غرف النوم

فحرَّق اوريون اسنانهُ وغلت البغضاء في صدرهِ وخشي ان تكون باولين واقفة على دخيلة امرهِ في تلك الليلة فتفضحهُ وتفشي سرهُ وتمنى لو تخسف الارض بها فلا تبوح بما في صدرها. فقالت امهُ لعلَّ الفاعل اراد اباك يا اوريون قصد الفتك بهِ فاسرع يا سبك الى غرفة مولاك وقم على حراستهِ بما نعهدهُ فيك من الامانة وانت يا ابني تحقق اللص من آثارهِ ولا تخلهِ يفلت من يديك. فالتفتت باولين الى البستاني وطلبت اليهِ ان يقيس الحذاء على الآثار التي في الحديقة فاعترضها اوريون قائلاً هذا شغلي انظر فيهِ بنفسي قال هذا وحمل الحذاء وخرج الى الحديقة فاستاءت باولين لتداخلهِ وخشيت ان يضيف الى ذنوبهِ في تلك الليلة الكذب كأن يقول ان الآثار تطابق الحذاء حجماً وشكلاً فلما عاد قال لا استطيع الجزم في الامر فالحذاء اكبر من اثار الاقدام هناك

وكانوا قد ارسلوا من يأتي بالطبيب فلما جاء انفردت نفورس بابنها وسألتهُ عن سبب صفرتهِ واضطرابهِ وهي تحسبهُ مريضاً فقال لها لقد احزنني منظر هذه الفارسية

وفيما هم كذلك اقبل بعض الاتباع يحملون رستماً شيخ قافلةهاشم التاجر العربيفوضعوهُ في القاعة لا حراك بهِ وذلك انهُ كان مع اتباع المقوقس كما تقدم فلما دار الحديث على المذاهب واختلافها ابدى ازدراء واستخفافاً بمذهب اليعاقبة فتناول احدهم هراوةوضربهُ على رأسهِ فالقاهُ جريحاً فكشف الطبيب عن الجرح ثم وقف وهو يتميز غيظاً وقال هذه ضربة مصري بحت فانها في مؤخر الرأس فتفرقوا عنيايها الاتباع وليبقَ هنا اصحاب الشأن فقط وهاتوا لي محملين وانت ايتها السيدة نفورس مريهم ان يعدُّوا غرفتين للجريحين فان هذا الفارسي في خطر

— سآمرهم باعداد الغرفتين المجاورتين للقاعة

— كلاّ فاني اريد غرفتين تشرفان على النيل فالجريحان في حاجة الى الهواء الطيب النقي

— لم يبقَ اذًا سوى غرف الضيوف حيث تقيم باولين ولو كان الجريحان من اهل البيت لاذنت لهما في البقاء فيهما ورياش هذه الغرف نظيف ثمين وقد اعددناها لكبار الضيوف

فقال الطبيب — لا اكبر الآن من هذين الجريحين فانهما اقرب الى الله منَّا جميعًا فليحملها الخدم الى غرف الضيوف

الفصل التاسع

ما كان اوريون ليخشى باولين لولا جريمة ارتكبها تلك الليلة فاتت قذىً في عينهِ وشجى في حلقهِ حتى اذا ما رآها تعتني بالفارسية وسمعها تتهمهُ بمحاولة قتلها علم انها كانت في القاعة ساعة كان في دار التحف وظنَّ انها رأتهُ متلبسًا بجرمهِ فمني بتبكيت الضمير وهجرهُ النوم وطاب الانفراد وتجلّت لهُ فعلتهُ باسمج الالوان واقبح الصور فعلم انهُ في قبضتها وعجب لنفسهِ كيف اقدم على عملهِ هذا نخاطر بشرفهِ وهو عميد القوم وابن واليهم . وتحرير الخبر ان اوريون قضى سهرتهُ في بيت كاترينا حيث لقي عمها نحدثهُ بحديث القطيف الذي ابتاعهُ ابوهُ هدية للكنيسة ووصف لهُ جمالهُ وما فيهِ من الجواهر النادرة المثال حتى اتى الى الزمردة فاطنب في صفاءِ مائها وكبر حجمها وغلاء قيمتها فلما فرغ من الكلام قال الآخر

— او يأبى عليك ابوك ان تأخذ شيئًا من جواهر هذا القطيف وانت ولدهُ وفلذة كبدهِ او نسي ان الكنيسة في غنى عن هذه الجواهر وخزائنها تتدفق بالثروة فقد حقَّ لك ان تأخذ نصيبك منها فتهديهُ الى عروسك فالنساء يطمعن في الحلي ويرين فيها من اللذة مالا نشعر بهِ نحن . ولما جلسوا الى الطعام استرسل الرجل في حديثهِ هذا فزاد اوريون شوقًا الى احراز الزمردة التي في القطيف قصد ارسالها الى نسيبة يوستينوس في القسطنطنية قيامًا بوعدهِ لها ومقابل هدايا اهدتها اليهِ كالخيل التي جاء بها فلما عاد الى البيت سار توًّا الى دار التحف ففتحها وعمد الى القطيف فنزع منهُ الزمردة وقلبهُ يخفق وجلاً لان ذلك كان اول عهدهِ بالسرقة

فلما حدث ما حدث مما ذكرناهُ آنفًا تبدلت ظنونهُ وازداد قلقهُ فقضى بقية ليلهِ يتقلب على احرّ من الجمر ورأى في باولين عدوًّا لهُ لا بدَّ من مناجزتهِ او التسليم اليهِ . وادرك انها ليست ممن تنطلي عليهم الحيل وظنَّ انها تنوي الايقاع بهِ وتشهيرهُ بعد ان اتهمتهُ بمحاولة قتل الفارسية وظل على تلك الحال نحو ساعتين ثم هبَّ من اضطرابهِ وقال اذا شاءت الخصام فانا كفوءها. نعم ان نسيبة يوستينوس جميلة بهية كملاك وقد اقترفتُ جرمًا كبيرًا لاجلها وارتكبتُ وزرًا لا يغتفر ولكنما الحيلة الآن وقد كاد الامر ينكشف فلا بدَّ من الثبات . ثم امر قهرمان

بيتهم وقائد الحرس ان يقتفيا آثار صاحب الحذاء حتى يقفا عليهِ وعمد الى اساودهِ نخطَّ ابياتًا من الشعر لفتاة القسطنطينية ثم لفَّ الزمرُّدة وشدها الى الرسالة وارسل فاستدعى السائس الذي اتى بخيلهِ من عاصمة الروم الى منف فامرهُ بالاستعداد للسفر ودفع اليهِ الهدية واوصاهُ ان يسير توًّا الى الاسكندرية ويركب اول سفينة وجهتها القسطنطينية ثم رافقهُ الى خارج المدينة وهو يعيد عليهِ اوامرهُ بسرعة المسير وكتمان الامر. وبعد ان سار بضعة اميال عاد الى البيت وقد اطمأَنَّ فؤادهُ وخفَّ جزعهُ اذ اقصى عنهُ الشاهد على سرقتهِ لكنهُ ودَّ لو تنقص حياتهُ سنة وانهُ لم يرتكب هذه السرقة على انهُ لم يكد يستقرّ في مخدعهِ حتى عاودتهُ مخاوفهُ وتضاعف قلقهُ فاخذ يفكر في باولين وما ابدتهُ من مظاهر العداء لهُ وحار في تعليل الاسباب التي دفعتها الى عملها هذا واتهامها اباهُ بالقتل في حين انهُ لم يقترف ذنبًا يمسّها وعجز عن الوقوف على علّة نفورها منهُ بعد ان باحت عيناها بحبها لهُ ليلة كانا يروّحان النفس في السفينة مع ابويهِ فقال في نفسهِ لعلّ الباعث الى ذلك غيرتها من كاترينا ولما خطر بباله هذا الخاطر شرع يقابل بين الاثنتين تلك في جمالها وشممها وسموّ عواطفها وشرف نسبها وهذه في قصر قامتها وخفتها وثروتها تلك الثروة التي اشتهتها امهُ على ما كان لها ولابيهِ من الاموال التي لا تقع تحت حصر

ولبث ساعة كذلك تتنازعهُ الافكار حتى اعيا فارتمى على سريرهِ وران الكرى على اجفانهِ فرأى رؤيا تمثلت فيها باولين على عرش من الماء الازرق مفروش بالورود واصوات الغناء تتصاعد حولها فتقدم اليها واذا بنسر اسود كبير انقضَّ عليهِ ولطم وجههُ بجناحيهِ حتى كاد يعميهِ ثم تحوّل الى الورود فاخذ ينقرها كما تنقر الفراخ حبوب الحنطة فغاظهُ ذلك وعمد الى النسر يريد القبض عليهِ فلم يستطع المشي وكأن قدميهِ مشدودتان الى الارض فحاول الركض وهو يضرب بيديهِ ذات اليمين وذات الشمال وبينما هو كذلك استيقظ وجبينهُ يكاد يتفصد عرقًا فلما فتح عينيهِ رأى امهُ واقفة بجانبهِ وقد علا وجهها الاصفرار فاخبرتهُ ان اباهُ بانتظارهِ في المجلس وانهُ في حاجةٍ اليهِ فنهض من سريرهِ واصلح شعرهُ وهو يفكر في ما عسى ان يكون الغرض من تلك الدعوة ولما فرغ خرج من غرفتهِ يريد الذهاب فاستوقفتهُ شدة الحرّ في الدار والحديقة وقد صرَّ الجندب واشتدَّ الهجير وامتلأَ الجو بوهج الشمس المنعكس عن سطح الارض وكأنَّ جميع المخلوقات استسلمت لفعل الحرّ حتى خيل لهُ ان الماء في النوفرة بطيء الجريان فزاد ذلك في كدرهِ وغمهِ وشعر كأنَّ ثقلاً أُلقي على صدرهِ وكأنَّ رجليهِ مقيدتان ويديهِ مكبلتان فسار الهوينا حتى بلغ المجلس فابصر فيهِ ما راعهُ وزاد في اضطرابهِ اذ رأى امام سرير ابيهِ القطيف الفارسي منشورًا بعضهُ وبجانبهِ امهُ وهاشم التاجر العربي فحيَّا والدهُ والحاضرين ثم نظر اليهم وقال

ما بالكم صامتين كأنَّ على رؤوسكم الطير . ان المصيبة شديدة الوطأة وقد احزنني ما ألمَّ بتلك الفتاة التعيسة واغضبني ما اصاب رستم شيخ القافلة فأيقن ايها التاجر ان القصاص سيحل بالمجرمين فيلقون جزاء ما جنتهُ ايديهم وسيخولك ابي حق الاقتصاص منهم كما تشاء ولا تخشَ بأساً على رستم فان فيلبس الطبيب يداويهِ ويشفيهِ باذن الله وما ذلك على مهارتهِ بكثير وهو ابقراط مصر وطبيبها النطاسي اما التعويض فانت أدرى بأبي ولا أراني في حاجة الى الاسهاب . فهبَّت النخوة العربية في صدر هاشم والتفت اليهِ مغضباً وقال

— مَهْ ولا تجمع بين شرين اهانتي والجراح التي اصابت صديقي الباسل تحت سقف بيتكم فلست بائعاً حقي بمال ولو مال المقوقس ولن اتحوَّل عن طلب النقمة وقصاص القتلة اللئام فقد جاء في كتابنا ان القتل انفى للقتل وان في القصاص حياة واراكم تجرون على هذه القاعدة ولو ان كتبكم تقول غير هذا القول . و يسوءُني ان امثال هذه الحوادث تحدث في بيت الرجل الذي استعملهُ الخليفة على نصارى مصر فقد سمعتكم تفاخرون برحابة صدركم وعدم تعصبكم فما قولك في ما فعلتموهُ برجل نزل عليكم فقتلتموهُ ايام السلم وهبهُ نجا من الموت فسيبقى معتوهاً طول عمرهِ واما امانتكم . . . . .

اوريون — ومن يجرأُ على الارتياب فيها

هاشم — انا يا فتي فقد بعتكم امس شيئاً واراهُ اليوم عطلاً من اثمن جواهرهِ وحينئذٍ التفتت امهُ اليهِ وقالت لقد اقتلعوا الزمردة النفيسة من القطيف في الليلة البارحة بعد ان سرت بنفسك مع الخدم الذين حملوهُ الى دار التحف حيث اودعتموهُ . فقال اوريون

— نعم فقد كان الامر كذلك ونحن نقلناهُ في نفس الثوب الذي لفهُ بهِ اتباع التاجر ورافقنا سبك قهرمان بيتنا فمن الذي جاء بالقطيف اليوم منهُ

هاشم — لحسن الحظ ان جاءت بهِ امك وسبك وحملهُ عبيدكم

اوريون — وعلامَ لم يتركوهُ وشأنهُ

هاشم — ذلك لاني قلت لابيك ان جمالهُ لا يبدو على اتمهِ الاَّ في النهار في نور الشمس . وقالت امهُ وزد على ذلك فان اباك رام ان يعيد النظر في ما ابتاعهُ واراد ان يسأل التاجر عن خير الوسائل لاقتلاع حجارتهِ الكريمة منهُ دون ان يمسهُ بسوء فذهبتُ وسبك بالعبيد الى دار التحف واتينا بهِ

اوريون — وكيف دخلتما الدار ومفتاحها معي

امهُ — وجدنا الباب مفتوحاً

اوريون — ولكني اقفلته بحضور سبك

سبك — نعم وقد سمعت باذني رنة القفل . فقالت امة بقي اذاً انهم فتحوا الابواب النحاسية بمفتاح آخر فاننا حالما دخلنا الفينا القطيف منشوراً فتأملناه فاذا الزمردة منزوعة من مكانها . فاصفرّ اوريون وصاح يا للعار وقال المقوقس

— اقسم بالسيد المسيح اني لا اغفل ولا استريح ولا انفك انقب عن الجاني حتى القي القبض عليهِ . فقال هاشم

— وانا اشاركك في البحث ولو دعت الحال الى رفع الامر الى عمرو بن العاص فقد بدرت كلمة الآن لن انساها وقد ادركت يا فتى مغزى كلامك وما يدور في خلدك فقد حدثتك نفسك ان هاشماً خبّ مكار باع اباك في ما باعهُ زمردة كاذبة فلما خيم الظلام ارسل من يسرقها تحت جنح الليل قبل ان يطلع النهار وتنكشف الحيلة فاعلموا يا قوم انني رجل امين واموالي بفضل الله كثيرة فاذا تجرأ احد ان يثلم شرفي وصيتي فليعلم ان لهذا الشيخ الثاني من الاخوان الذين يأخذون بناصره ويشدون ازرهُ من لا قبل لكم بمناجزتهِ . ولما انتهى الى هذا الموقف اغرورقت عيناهُ بدموع الغمّ والكدر فقاطعهُ اوريون وقال

— ومن الذي تجرأ فاتهمك بمثل ما تقول . فقال

— امك ولو لم تقل ذلك صريحاً . فقال المقوقس

— عفواً ايها التاجر ولا يثر ثائر غيظك فقلوب النساء ارقّ من قلوب الرجال لكنهنّ اقرب منهم الى سوء الظن لا سيما بالخارجين عن عقيدتهم فقد قيل ان شعر المرأة طويل وعقلها قصير . فاجابت نفورس

— قولوا في النساء ما شئتم اذا كان ذلك يبرّد غليلكم على اني اعترف بخطائي واستميحك العفو ايها التاجر

— على الرحب والسعة فقد قضيت ما مضى من العمر ولا غبار على اسمي وصيتي فلا غرو اذا لم اطق ذلك الآن على اني سأقف وقتي على البحث عن هذا الامر فلا احيد يمنة ولا يسرة حتى يبدي الصريح عن الرغوة فقولوا لي أكان الكلب القائم على حراسة دار التحف عقوراً . فاجاب اوريون

— يكفيك من ذلك ما فعلهُ بالجارية الفارسية . وقالت امهُ

— لقد كنتُ اول الواصلين الى مكان الواقعة ولو كان السارق اجنبياً لما تركهُ الكلب وشأنهُ فهو اذاً من البيت او من الخدم ولا يحتمل ان يكون باولين التي سبقت الجميع الى اغاثة

ماندانى فانها . . . . . فقاطعها زوجها وقال منتهرًا

— تجاوزي عن اسم باولين في هذا الحديث . فقال هاشم

— او تعنون الفتاة التي كانت معكم امس اذًا اموالي حرام عليَّ ان كانت هي السارق ومن كان مثلها فابعد الاشياء عنهُ ارتكاب الخيانة . وقال اوربون ومن يصدق ذلك عن باولين فصاحت امهُ

— عجبًا للرجال تفتنهم عين نجلاء وتسلب البابهم ولكني لم اتهمها فاسمعوا ما اقول واعلموا انَّ ذات الشعر الطويل قد تكون ذات عقل كبير ايضًا فقد وجدوا حذاء رجل في القاعة فهل صدعت بامر مولاك يا سبك وهل اوعزت اليهم ان يحققوا صاحب الحذاء

— نعم يا مولاتي واني انتظر الساعة قدوم قائد الحرس الذي كلفتهُ قضاء الامر ولم يكد يفرغ من عبارتهِ هذه حتى طلع عليهم القائد المذكور فاخبرهم بما فعلهُ قال طرحنا الحذاء امام كلاب الصيد حتى شمتهُ ثم اطلقناها فجرى اثنان منها الى الباب المؤدي الى غرف النوم وتسلق السلَّم الى غرفة السيدة باولين ثم عادت الكلاب باسرها الى الاصطبل فدارت في انحائهِ وهي تهرُّ هريرًا شديدًا وكأنها الشياطين تجري لتقبض نفوس الهالكين ولم تلبث ان هجمت على الفتى ابن حيرام مربي الخيل الذي جاء من دمشق مع ابنة توما العظيم فالقتهُ على الارض ثم اندفعت الى غرفة ابيهِ نقلبت الامتعة وبعثرتها حتى لم يبقَ عندنا ريب ان صاحب الحذاء هو حيرام بعينهِ وقد اقتفت الكلاب اثرهُ الى ضفة النيل ووقفت هناك وبعد البحث تبين لنا ان احد القوارب ناقص وعندي ان الرجل عبر النهر الى العدوة الشرقية فاذا لم يجرهُ العرب تهيأ لنا القبض عليهِ قبل ان ينجو . فصاح اوربون

— لقد عرفنا السارق وانت ايها القائد تخذ بعض رجالك واعبر بهم النهر والقِ القبض عليهِ وسيعطيك ابي امرًا قاضيًا بذلك فيساعدك العرب على اسرهِ فاذا ظفرت بهِ اليوم فقد يحدث ان تكون الزمردة في قبضتهِ

وفيما هم كذلك دخل الحاجب فاخبر المقوقس ان غمالائيل الصيرفي اليهودي بالباب يلتمس صدور الاذن في المثول بالحضرة ليطلعهم على امور ذات بال بشأن الزمردة . فامتقع لون اوربون وحوَّل وجههُ عن التاجر وانزاح من مكانهِ فلما صار غمالائيل في حضرة المقوقس سئل عما يعرفهُ من امر الزمردة فقال

جاءني صباح اليوم الرجل حيرام من خدم هذا البيت وبيدهِ زمردة كبيرة كريمة فعرضها عليَّ للبيع واقسم لي انها اتصلت اليهِ من تركة القائد توما وان سيدهُ اتخذها ايام سؤددهِ

وعزه حليةً في رأس جواده فرضيتُ ان ابتاع الجوهرة وعرضت عليهِ ثمناً مليحاً نقدتهُ منهُ الفي درهم معجلة كان في حاجة شديدة اليها وخلى الباقي وديعة عندي ولما انفصل عني تنازعتني الافكار ولم اعتم ان رأيت رجال الشرطة يجرون بكلابهم في الشوارع وقد علت الجلبة والضوضاء فسألت عن الخبر فقيل لي انهم يبحثون عن رجل سرق شيئاً من بيت الوالي فعلمت اني مخدوع واني عقدت صفقة خاسرة فاسرعت الى القصر واثقاً بعدل المقوقس وهانذا اتنازل عن هذا الحجر الكريم مقابل ما نقدت حيرام ولا اطلب منكم فائدة لمالي ولا ابتغي اجرًا ولا جعلاً مقابل حفظي هذه الوديعة الثمينة في يدي ساعتين او اكثر. فلم يرق مزاحهُ البارد في عين هاشم فقال لهُ هات الزمردة ومدَّ يدهُ فانتزعها منهُ وشرع يقلبها في يديهِ ويحدق فيها النظر ثم اخرج من جيبهِ مطرقة صغيرة فدقها بها وهو يفحصها فحص خبير بانواع الحجارة الكريمة حتى اكتفى. هذا واوريون كمن في النزع تارة يصفرُّ وطوراً يحمرُّ اذ خشي ان يكون رسولهُ الى الاسكندرية قد باع الزمردة الى حيرام وهذا باعها الى اليهودي ولمَّا اعياهُ الامر التفت الى غمالائيل وقال

اواثق انت ان حيرام باعك الزمردة وهل تعرف الرجل معرفة تامة فان المسألة شديدة الاهمية وعقابهُ او براءتهُ من التهمة يتعلقان على كلامك

فقال اليهودي ليبارَك اسم الربِّ اترتاب يا مولاي في صدق قولي او بقي في منف اليوم من يجهل حيرام ولا يعرف ثمتهُ فكم من مرة رأيناهُ يعود بجيلك السراع كأنهُ ملاك الموت فيدوس الشيوخ والاطفال. فقال اوريون

— اتذكر اية ساعة اتاك اليوم

— اتاني بعد صلاة الصبح بقليل ساعة يقع نور الشمس على الدكة امام بيتي

— وفي اية ساعات النهار يكون ذلك

— لساعتين بعد الشروق في هذه الايام

فسرِّي عن اوريون وذلك لان رسولهُ الذي سار بالزمردة الى الاسكندرية انفصل عن منف بعد شروق الشمس باربع ساعات ولما كان شديد الثقة بصدق اليهودي اطمأنَّ بالهُ لكنهُ ما برح يظن الزمردة عين التي ارسلها وتمنَّى ان لا يقبض الشرطة على حيرام الى ان قال في نفسهِ وهب انهم فعلوا فشرفي اثمن من حياة مئة سائس فاذا اقتضى الامر ضحيت صيتهُ فديةً عني وحقنت دمهُ بمالي من النفوذ عند ابي ثم التفت الى هاشم فقال

— اتأذن لي في فحص الزمردة فقد اعياني امرها فهل تظن ان في الوجود زمردة اخرى تماثلها

فقال هاشم هذا امر يصعب الجزم بهِ فان هذا الحجر اشبه بالذي كان في القطيف من الماء بالماء لولا نتوء في احد جوانبهِ لا اذكر انني رأيتهُ في ذاك وقد يحدث ان هذا النتوء كان مختفياً في الذهب المحيط بهِ ولكن قل يا جوهري أكانت الزمردة كما هي الآن لما اشتريتها من السارق

— نعم كانت عارية كآدم وحواء قبل ان اكلا من الثمرة المنهيّ عنها. فقال التاجر

— يا للحيرة فقلبي يحدثني ان هذه ليست تلك وتكاد عيني تقنعني انها هي لولا ان في هذه طولاً يزيد عن طول تلك فقال اوربون

— أوَ يصدَّق ان هذين التوأمين وجدا في ساعة واحدة وفي بيت واحد فلم يبقَ اذاً الأ ان هذه هي زمردة القطيف عينها وقد سرَّني اننا ظفرنا بها بعد ضياعها وساحرص عليها الآن فاضعها في خزانة الحديد ومتى قبضتم على السارق فادعني ايها القائد للنظر في امرهِ . ثم حيا والديهِ وهاشماً وخرج وهكذا اتضحت براءة التاجر لكنهُ ظلَّ مضطرب البال وكأن في قلبهِ ريباً لم يستطع محوهُ فلما اخذت الجماعة تتفرق نهض هو ايضاً وترك المجلس وعاد من حيث اتى

بحيرة طبرية وواقعة حطين

احسنُ ما فيهِ يسرح النظرُ — وادٍ بحيثُ الأُردنُّ ينفجرُ
غارت عليهِ النجودُ من شغفٍ — فالغور ما بينهنَّ منحصرُ
قامتْ على الجانبين تخفرهُ — كذلك الحسن شأنهُ الخفَرُ
مبتدئٌ الجري في الشمال لدى — شيخٍ لهُ الكبرُ بات والكِبَرُ
هاوٍ الى الموت في الجنوب لدى — بحرٍ ولا كالبحار يحتضرُ
ومن يعمُّ البياض لمَّتهُ — فهل سوى الموت بات ينتظرُ
يا شرقَ هونينَ كم لديك جرى — معينُ ماءٍ حصباؤهُ دُرَرُ
الشطرُ تلُّ القاضي يسلسلهُ — والشطرُ من بانياسَ ينحدرُ
والحاصبانيُّ بات إثرَهما — يشتدُّ في الجري ليس يصطبرُ
يملأُ منها الاردنُّ بِركتهُ — ويزدهي مرجُ حولةَ الخضِرُ
حيث وشيجُ اليراعِ مشتبكٌ — كانما الخطُّ ثمَّ والسمرُ
حيث نموُّ النبات معجزةٌ — كانما سوق قمحهِ الشجرُ

والصيدُ ما إن يزال عن كثَبٍ   لا كِنَّ من دونهِ ولا قتَرُ
بحيرة لم يرِمْ بساحتها   ضاقَ بها ان تُلِمَّ الصغرُ
يمم أُخرى ورام ثالثةً   لقد ترامت بهِ نوىً شطُر
أمن جسرُ البنات معبرَهُ   وربما خاض دونهُ الجسُرُ
حتى اذا فاض من هناك غدت   ارض البطيحا منهُ تزدهرُ
ارضٌ علت ماؤُهُ مناكبها   وبات منها البحر ينفجرُ
اقبلَ يُرغي وما بهِ قطَمٌ   وظلَّ يعدو وما به بَطرُ
حتى اذا ما مياههُ اختلطت   بهِ تولاَّهُ بغتةً سكرُ
من بعد تلك الحياة بات بهِ   ميتاً وفي البحر يغرق النهرُ

بحر الجليل الذي شواطئهُ   في كل شبرٍ من رحبها أثرُ
غذا دماء المسيح موردهُ   وراقهُ منهُ ريقهُ النضِرُ
وبين امواجهِ واربعهِ   كانت تجلَّى آياتهُ الكبَرُ
كم فيهِ للكاتبين من سيرٍ   وكم نبيين فيهِ تذَّكرُ
عيسى حواريهُ وصفوتهُ   والناس من حول وعظهِ زُمَرُ
والصائدون الأُلى لهُ اتَّبعوا   هدًى وذاك الشراعُ منتشرُ
وكفرناحوم مع عجائبها   ومن بها آمنوا ومن كفروا
والمجدل القرية التي نشأتْ   مريمُ منها والطيب منتثرُ
والزهد فيهِ الافراح قد دُمجت   والنقر معهُ البيان والفقرُ
والخبز تقري الالوف كسرتهُ   والمشيُ فوق المياه مشتهرُ
والقول هذي الفتاة نائمةٌ   والبِكرُ عزريلُ نحوها بكَرُ
وكم نبَتْ بالسفين عاصفةٌ   وظنَّ ان الركاب قد غبروا
فسكنَ البحر وهو مضطربٌ   من بعدما استصرخوا وماجأروا
سجا بإيماءةٍ لهُ ونجا   مَن حملتهُ الالواح والدسرُ
في ضفتي هذه البحيرة لو   تجُرِّ الفكر حارت الفكَرُ

كم خبأ الدهر في جوانبها وكم رمى فوق موجها القدَرُ
ما الابحر السبعُ مع نتائجها ما الروم ما الهند ثم ما الخزَرُ
وقوم موسى لهم بساحتها مركع صدقٍ وادمعٌ غُزُرُ
في طبريا مواقفٌ حُمدت وارضها مقدسٌ ومفتخرُ
بها رجال التلمود قد سكنوا وجلُّ آرائهم بها زبروا
وكم نبيٍّ في ذي البلاد قفا موسى وكم مرَّ ههنا الخضرُ
يكفيك ما في الأُردنّ من عبرٍ نهرٌ عليهِ آباؤهم عبروا
وانّ يحيى على شواطئهِ بين يديهِ الانام تطَّهرُ
ما القنج ما النيل في جوانبهِ ما دجلةٌ ما الفراتُ يُعتبرُ
والغور بين البحرين منبسطٌ تسرح فيهِ الجآذرُ العفرُ
لو طبقتهُ ايدي الورى عملاً على فلسطين فاضت المدرُ
قد كان والماء غابرًا شرَعًا والآن ما ان يكاد ينحسرُ
بحيرة كل شانها عجبٌ وهي من الحسن كلها غررُ
لله در الكنديّ واصفها كانها في نهارها قمرُ
كانت تحفُّ الجنان دورتها والآن تحتفُّ دَورها السدَرُ
مرآة نورٍ من السفوح لها اطارُ نورٍ لم تحكهِ الأُطرُ
كأنها في صفائها فلكٌ وفلكها فيهِ انجمٌ زُهرُ
اجمِدْ بقوم رأَوا محاسنها يوماً فما انشدوا ولا شعروا
عند الشمال الأُردنُّ واردها وفي جنوبيها لهُ صدَرُ
شريعةٌ من مياهها ظهرت وقد تلتها شرائعٌ أُخرُ
علَّم عيسى هنا شريعتهُ وقوم موسى توراتهم فسروا
وفي حروب الصليب قد رُفعت اعلام دين الذي نمت مضرُ

يا يوم حطّين كم حططت من الافرنج شأنًا ما كان ينكسرُ
هبُّوا من الغرب كالجراد فلم يكن لشرقٍ بردّهم قدرُ

واستفتحوا القدس والبلاد ولم يعصِ عليهم بدوٌ ولا حضرُ
وعدّدوا المسجد الحرام وكم دعا ملبٍّ فيه ومعتمرُ
وكاد يبكي الميزاب فيه دماً ورقّ مما اصابنا الحجرُ
ونابت المسلمين داهيةٌ دهماء قد عمّهم بها الذعرُ
فكلّ كفٍّ اصابها شللٌ وكل عزمٍ اصابهُ خورُ
وكل جمعٍ ناواهمُ انقلبت فرسانهُ وهي للظبى جزرُ
وحوصرت جلّقٌ ولو أُخذت لم تبقَ مدنٌ لنا ولا مدرُ
وقيل دار الاسلام قد حصرت وحفّ باقي بلادهِ الخطرُ
ما زال ملء القلوب رعبهم ولم يكن نافعاً لها الحذرُ
حتى تولّى زنكي فنازلهم وكان من شيركو له وزرُ
طليعة النصر في ولاية نور الدين ملكٌ بالعدل يأتزرُ
مجاهدٌ ماهدٌ بخطتهِ في الفتح والعدل سارت السيرُ
تقرّ عين النبيّ سيرتهُ ويرتضي مثل هديهِ عمرُ
ثم ابن ايوب جاءهُ خلفاً وليس الا سروجهُ سررُ
مهّد دار المعزّ فانقلبت بيوسفٍ مصرُ وهي تفتخرُ
لما استقامت لهُ الامور ولم يبقَ رقيبٌ وانجابت الغمرُ
اقبل في جحفلٍ لهُ لجبٍ يطلب ثار الدين الذي وتروا
بفتيةٍ سمرهم اذا عشقوا سمرٌ صعادٍ وبيضهم بترُ
غير طعان النحور ما عرفوا وغير جرد الخيول ما زجروا
اناخ في شاطئ البحيرة اذ اليهِ عن كل ناجذٍ كشروا
فقام من ارضهِ لصدمهم في السهل من لوبياء واشتجروا

يوم تلاقى الجمعان والتظت الـ هيجاء حتى كأنها سقرُ
يوم تلاقى الجمعان وانتصب الميزان رهن انحرافهِ الظفرُ
الشرق والغرب بعد طول وغى تواقفا والبراز مختصرُ

ثلاثةً والنزال بينهما   نزالُ من بعد يومهِ العصرُ
فامطرتهم قسيُّ جيش صلا   ح الدين نبلاً من دونهِ المطرُ
ودّوا وقد ابصروهُ عارضهم   لو سترتهم من دونهِ حفرُ
كانّا قومنا وقد ثبتوا   شمٌّ حصونٍ لها القنا جدرُ
كانّا قومنا وقد وثبوا   زعازعٌ للغصون تهتصرُ
كانّ سوق الجهاد قائمةٌ   وهم بصنف الردى هم التجرُ
ذاق العدى من سلاف طعنهم   كاساً بغير العنقود تختمرُ
لما رأوا الامر غير ما حسبوا   والناس من فوق صبرهم صبروا
ولوا ظبى يوسفٍ ظهورهمُ   تأخذ منها فوق الذي تذرُ
ضياغمٌ اجفلوا وقد نظروا   حمر المنايا كانهم حمرُ
وادبر القمص مع فوارسهِ   ما غرّهُ مثل غيرهِ الغررُ
لا عجبٌ ان نجا وحيط بهِ   عادة ذي الارض نشرُ من قبروا
مالوا لحطّين طالبين نجاً   فلم يفدهم ضلعٌ ولا دبرُ
واسفر السبتُ عن هزيمتهم   واصبح الملك ضمن من أُسروا
وفوق ذاك الصعيد نائمهم   كانهُ النخلُ وهو منقعرُ
والهيكليون من قساورهم   لم يبقَ الاّ هياكل دُثرُ
لم يجبنوا ساعةً وان خذلوا   وانما الليث دونهُ النمرُ
في حضرةٍ من شعيب قد شعبوا   كذا لهم عن مزارهِ زوَرُ
فأُزلفوا نحو يوسفٍ خضعاً   رقابهم ناكساً لهم بصرُ
ترهقهم ذلّةٌ وتحسبهم   قوماً سكارى كأنهم حُشروا
يوسف عصرٍ صلاح مملكةٍ   بكلّ امرٍ للبرّ مؤتمرُ
اصبح مستحيياً دماءهمُ   حياؤهُ والخلائقُ الزهرُ
أبى عليهِ الإباءُ مصرعهم   وعفّ اذ عفّ وهو مقتدرُ
عفواً بهِ عمّهم واخرج من   بنكثهِ السهل ضاق والوعرُ

وفي بارناطَ نذرهُ بيدٍ   اذ طالما لم تحلْ بهِ النذُرُ
وقال اذ تلّهُ بصارمهِ   ها اناذا للنبيّ انتصرُ
ازوجَ بين التهليل مهجتهُ   مخضوبةً صارماً هو الذكَرُ
فاصبح الملكُ وهو مرتجفٌ   ما شكَّ أنْ بالحسام يُبتدَرُ
ابصر جسم البرنس منعفراً   فقال إثرَ البرنس أقتفرُ
فأفرج الروع منهُ في الحال اذ   بُشّر ان لن يصيبهُ ضررُ
عوقب بالاسر موقنٌ بردىً   وجلَّ* ملكاً مع العمى العوَرُ

فاصمــة الظاهر للفرنج غدت   وقعة قرنيْ حطّينَ مذ ظهروا
كأنَّ عليا حطين مبتدأ   وكل فتحٍ من بعدها خبرُ
حظٌّ آبن ايوب ان يفوز بها   والله في خلقهِ لهُ أثرُ
وحظٌّ جيشِ ابّي النداء غدت   في اللوح مكتوبةً لهُ الأجرُ
قومٌ اراحوا الاقوام اذ تعبوا   وقد اناموا الانام اذ سهروا
بهم جدود الاسلام قد صعدت   من بعد ما كان اهلهُ عثروا
ولابن شاذي ذكرٌ شذاهُ سرى   في كل قطرٍ كأنهُ القُطُرُ
قام بوجه الفرنج منفرداً   والقوم من كل امة جمروا
حتى استردَّ البلاد اكثرها   واصبح القدس دان والصخرُ
كانت مئات الحصون تعصمهم   منيعةً اذ ثغورنــا ثُغُرُ
من كل حصنٍ اماط عزّتهمْ   بالسيف لم يُمشَ نحوهم خمرُ
واستعصمت صورُ في معاقلها   وكل طرفٍ بهِ لها صوَرُ
من فرط ما عمَّهم برأفتهِ   ووفاتهِ فأتهم وقد كثروا
فامتنعوا كلهم بعقوتهــا   فهي لهم ملجأٌ ومعتصَرُ
ان عيب بالحلم والوفا بطلٌ   فإنهُ خيرُ ما هفا البشرُ
ما شانَ طولُ الأناةِ في رجلٍ   ان لم يكن شان باعهُ القصرُ
قد كان في رقةٍ وفي جلدٍ   كالسيف في ماء حدهِ الشَّرَرُ

جمرة بأسٍ ما شابها وهَلٌ غمرة حلمٍ ما شابها كدرُ
ما كان يدري من الوغى ضجرًا والكل في الجانبين قد ضجروا
حتى يميط العوار اجمعهُ ما هان من كان همهُ العسرُ
امن دار الاسلام بعد عنًا كذلك الشهد دونهُ الإبَرُ
لم يلهِهِ عن ثغور مملكةٍ ثغرٌ ولا ناظرٌ بهِ حوَرُ
وكان من حرمة العدوّ لهُ أنْ ذكرُهُ في بلادهِ عطِرُ
تغدو عظامُ الملوك واقفةً ببابــهِ وهو اعظمُ نخِرُ
وينحني حاسرًا بتربتهِ رأسٌ باغلى التيجان معتجِرُ
شهادةً منهمُ لخصمهمِ والحق كالشمس ليس يستترُ
والفضل يحيا من بعد صاحبهِ والذكر يبقى ولو عدَت غيَرُ
ونحن من بعد كل ذاك وذا لم يبقَ الاَّ الحديث والسمرُ

طبرية في يناير سنة ٩٠٢ شكيب ارسلان

الاعتصاب ومضارهُ

بحث اقتصادي

كثر اعتصاب العمال في القاهرة منذ شهرين فاعتصب صنَّاع الخياطين اولاً وملأُوا الشوارع بجماهيرهم ثم لاقوا السكايرِ والخبازون وصنَّاع البقالين حتى خُيّل للناس حينما رأوهم يطوفون في الشوارع جماهير مزدحمة تتقدمها الموسيقى اننا في احدى مدن اوربا يوم يشتد فيها الهرَج والمرَج لانقطاع العمال من العمل واعتصابهم على اصحاب المعامل . وقد كنا منذ عهد قريب لا نعرف شيئًا عن اعتصاب العمال سوى ما نقرأُهُ في الجرائد اما اليوم فقد سرت عدوى الاعتصاب الينا وانتشرت بين عمالنا فيليق بنا ان نبحث عن اسبابهِ ونتائجهِ اذا اردنا ان نتدارك الشر قبل تفاقمهِ ونمنع المكروه قبل وقوعهِ . ولما كان علماء الاقتصاد السياسي في اوربا قد نشروا في هذا الموضوع اسفارًا كبيرة رأيت ان استعين بواحد من كبارهم وهو العالم جوردان استاذ فن الاقتصاد السياسي في مدرسة الحقوق باكس واكتب السطور التالية

ان الاختلاف بين العمال وارباب الاعمال او بين العمل ورأس المال كما يقول علماء الاقتصاد قديم جداً . فيقول العمال اننا نعمل بالاجرة ونحن قابلون بهذه الحالة ولكننا نرغب في تحسينها بازدياد اجورنا ليتيسر لنا يوماً ما ان نصير من ارباب الاعمال كما صار غيرنا . فاذا سمع المنصف كلاماً مثل هذا استصوبهُ وارتاح اليهِ ولكن لا يخفى ان الاجرة ثمن عملٍ يعملهُ العامل فهي ثمن الثمن مثل ثمن البضائع وثمن البضائع لا يتوقف على مشيئة زيد وعمرو بل على حالة الطلب او حالة السوق فاذا راجت البضاعة وكثر طلب الناس لها ارتفع ثمنها والأ انخفض وكذا اجور العمال فان ارباب الاعمال يرفعونها اذا زاد الطلب على اعمالهم والا اضطروا ان يخفضوها او يقفلوا معاملهم . وكثيراً ما لا يسرعون في زيادة الاجور ولا في تخفيضها لانهُ يصعب عليهم ان يعرفوا حالة السوق وهل ينتظر الرواج لمصنوعاتهم او الكساد الا ان العمال لا يصبرون في الغالب فيطالبون ارباب الاعمال بزيادة اجورهم قبل ان يكون هؤلاء على ثقة انهم يستطيعون زيادتها وقد يطلب العمال الزيادة وقتما يكون ارباب الاعمال عازمين على التنقيص خوفاً من الخسارة فيعتصب العمال و يضربون عن العمل وتكون النتيجة ضرراً عليهم وعلى اصحاب الاعمال

وكان القانون الفرنسوي يعاقب على كل تحزُّب من شأنهِ اجبار صاحب العمل على زيادة اجور عمالهِ او انقاص ساعات عملهم ثم أُلغيت منهُ المادة التي تفرض هذا العقاب فلا يطالَب المعتصبون الآن الا على ما ينتج عن اعتصابهم من المشاجرات

ورفع المعتصبون في مصر امرهم الى اللورد كرومر على ما جاء في المقطم فكتب اليهم آسفاً من وقوع الخلاف بين العمال واصحاب الاعمال وآملاً ان تزول اسباب ذلك ببحث المختلفين بحثاً حبياً بلا اعتصاب عما يعود بالضرر الوقتي او الدائم على العمال وعلى اصحاب الاعمال وعلى الهيئة الاجتماعية لازالتهِ . ثم قال انهُ لا يبدي رأيهُ في شكاوى العمال ولكنهُ يغتنم هذه الفرصة لابداء بعض الآراء التي يجب عليهِ ابداؤها لحكومة الجناب العالي في مثل هذه الاحوال وهي

اولاً . يجب على الحكومة ان تلزم الحياد التام فلا تتداخل بين العمال واصحاب الاعمال بل تتركهم وشأنهم يفضُّون الخلاف بينهم على شرط ان لا يخالفوا قوانين البلاد

ثانياً . ان تحافظ على الامن العام بجميع الوسائل الممكنة ولكن لا تستعمل الشدَّة الا اذا اقتضت الضرورة ذلك

ثم ختم كتابهُ قائلاً ان الحكومة يجب ان تفعل كل ما تستطيعهُ لمنع كل عمل غير قانوني

يقصد بهِ مس حرية واحد او اكثر من العمال والتعرُّض لهم في اعمالهم . انتهى

فيتضح من ذلك ان الاعتصاب اصبح الآن في مصر داخلاً في دائرة القانون اي انهُ من الاعمال التي لا يعاقب القانون عليها فلننظر اليهِ من الوجهة الاقتصادية ونبحث في حالة العمال الذين يقبلون العمل بالاجرة ولا يكثرون الشكوى فان هؤلاء يقولون ان ارباب الاعمال يربحون اموالاً وافرة فيجب عليهم ان يزيدوا اجور عمالهم ولو ترتب على ذلك تقليل ربحهم او طالت المدة التي يجمعون فيها ثروتهم . فهل هذه الشكوى حقيقية وجوابًا عن ذلك نقول ان جمع الثروة الكبيرة من الاعمال الصناعية امرٌ قليل نادر فقد احصى بعضهم الاعمال الصناعية فظهر لهُ ان عشرة في المئة من اربابها ينجحون نجاحًا تامًّا ونحو عشرين في المئة يفشلون فشلاً تامًّا ونحو خمسين او ستين يتراوحون بين النجاح والفشل ثم يتغلَّب الفشل عليهم . فاذا عدَّلنا بين الجميع وجدنا الربح معتدلاً جدًّا واذا سلبنا العشرة الذين ينجحون النجاح التام ارباحهم ضعف شأن الصناعة وكان الضرر عامًّا من جراء ذلك. فخير البلاد وخير الصناعة يقتضيان ان يبقى بين ارباب الاعمال اناس يربحون الارباح الطائلة لكي يتسنى لهم ان يوسعوا نطاق الصناعة ويرقُّوها والاَّ فان اجبرناهم حتى يشركوا عمَّالهم في ما يزيد من ارباحهم نكون قد جعلناهم مثل الذين يتراوحون بين النجاح والفشل او مثل الذين يفشلون تمامًا . وزيادة غرش في اجرة العامل الواحد يوميًّا لا يظهر انها امر كبير بالنسبة الى رب العمل ولا الى العامل ولكن اذا كان عند رب العمل مئة عامل او الف عامل فهذه الزيادة تذهب بكل ربحهِ او بما يستطيع ان يرقي الاعمال بهِ وينفق على المخترعات والمستنبطات لان العمَّال لا يشاركونهُ في الانفاق عليها واذا لم ينفق هو انحطت صناعة البلاد ولم تعد تستطيع ان تناظر غيرها . ولا بد من ان يبقى عند رب العمل مال ينفق منهُ على معاملهِ وعمَّالهِ وقت اشتداد الازم الصناعية او التجارية ووقوف حركة الاعمال وكساد اسواق التجارة فاذا لم نترك لهُ الاَّ جزءًا صغيرًا من الربح نكون قد عرَّضنا صناعة البلاد لخطر مبين بل للخراب والدمار

ويتضح من ذلك ان العمَّال لا يهتمون بالمستقبل ولا يهمهم الاَّ زيادة اجورهم في الحاضر واما ارباب الاعمال فلا يفلحون الاَّ اذا نظروا الى الحاضر والمستقبل معًا واخذوا الاهبة لما يمكن ان يطرأ من الطوارىء فاذا تُرِك العمال وشأنهم ولم يردعهم رادع عن الاعتصاب اوقعوا الضرر بالذين ينتظر منهم وحدهم نجاح الاعمال وحفظها من البوار وعاد الضرر عليهم ايضًا وعلى كل العمال معهم .

ويزعم البعض ان الاعتصاب مفيد للعمال لانهُ من حين شرعوا يعتصبون في اوربا واميركا

زادت الاجور من ٣٠ الى ٨٠ في المئة . وهذه النتيجة صحيحة ولكن ليس الاعتصاب سببها بل سببها ازدياد الثروة العمومية وتقدم العلوم الصناعية واتساع نطاق الاعمال . ثم ان الاعتصاب لم يشمل كل الاعمال ولكن الاجور زادت فيها كلها فالفلاحون الذين يعملون بالاجرة تضاعفت اجورهم عندنا في هاتين السنتين وهم ابعد الناس عن الاعتصاب وزادت اجور الخدم من برابرة وغيرهم وسبب ذلك ازدياد الثروة العمومية وازدياد الربح من الاعمال الزراعية

واسباب الاعتصاب ثلاثة وهي جهل القوانين الاقتصادية وجهل حالة السوق وطمع العمال او ارباب الاعمال . كما ان اسباب الجنايات ثلاثة ايضاً وهي جهل القانون وجهل واقعة الحال وسوء النية او الميل الى الظلم والظاهر ان الامل بتقليل الاعتصاب لا يزيد على الامل بتقليل الجنايات ومع ذلك وضع بعض علماء الاقتصاد السياسي قواعد من شأنها تقليل الاعتصاب او منع حدوثهِ وازالة الخلاف من بين العمال واصحاب الاموال سنأتي على ذكرها في الجزء التالي

عمران دمشق

« زراعتها »

منذ عهد النبط والرومان واليونان والعرب ما برحت الزراعة بحال تكاد لا تختلف في جماع ادوارها في قرن عن تاليهِ الاَّ قليلاً حتى ان قارتي اوربا واميركا لم تطرحا الاصول القديمة وتجعلا الزراعة علماً خاصاً برأسهِ يدرس في المدارس الاَّ منذ نحو مئة سنة اما بلادنا فلم تزل محافظة على تقاليدها القديمة تنهض الحاجة بالفلاح فيحرث ارضهُ و يثيرها اضطراراً ويبذرها و يتعاهدها بالسقي و يحصدها و يدرسها بادوات لا تطلق عليها اسم الادوات الاَّ تجوزاً يتعلم معاناتها من ابيهِ ووليهِ . ويا رب كيف كان حال الفلاح هنا لو لم يكن من ورائهِ ذاك الخصب الطبيعي

وهذه سورية التي يضرب المثل بزكاء منابتها واعتدال طينتها وحسن مناخها وكثرة مياهها على كثرة حزونها وجبالها ما فتئت زراعتها كما عرفها الاسلاف بل كما عرفها الانسان منذ آلاف من السنين ما فيها شيء من العلم ولا المعرفة يعوزها كثير مما يجرد فيها من النباتات والاشجار والهمم متقاصرة عن جلبهِ والايدي مقطوعة عن المران عليهِ . قال الرحالة فولني عند كلامهِ على مناخ سورية ان الارز يجرد زرعهُ على شواطيء بحيرة الحولة وان النيلة تنبت بلا عمل

على ضفاف نهر الاردن في بيسان ولا تحتاج الا الى قليل من العناية حتى تستوفي الشرائط وبعد ان افاض في الكلام على مدن سورية كافة وما اختصت بهِ من انواع الثمار والاشجار قال ان دمشق تفاخر وحقَّ لها الفخر بان فيها كل الثمار التي تحصل في ولايات فرنسا ثم ذكر ان البنَّ الذي يزرع في تهامة واليمن تلائم زراعتهُ ارض سورية ومناخها يلائم طبائع الثمار كلها فينبت فيها النخل كما ينبت العفص والسرو. ولا شك ان سورية كانت منذ القدم من احسن البقاع لذلك جعلها الرومان واليونان من اهم ولاياتهم وقارنوا بينها وبين مصر في الخصب وجودة التربة حتى ان احد عمال الاتراك سئل يوماً عن رأيهِ في سورية ومصر فقال "ان مصر مزرعة حسنة لكن سورية مصيف بهيج"

ومع ان الزراعة سائرة لعهدنا على الطرق القديمة العقيمة نرى البلاد خصوصاً قرى ضاحية دمشق متماسكة احوالها نوعاً على قلة ما يصدر من الغلات الى الخارج. ولعمري لو رُفع عن الفلاح لاسيما البعيد ساعاتٍ عن الحاضرة ظلمُ ملتزمي الاعشار وفرسان الدرك وجباة الاموال الاميرية وقُلِّل من عدد الاعانات التي يقضي عليهِ دائماً ان يدفع قسطهُ منها مضاعفاً بالجبر والقوة وأُبطلت سخرة الانسان والحيوان الى المطارح الشاقة النائية لغدا ما يُدعى بالغوطة من هذا البلد الامين زهرة البقاع والضياع وانموذج الحقول في سائر الاصقاع

ومنذ خفّت وطأة المصادرات في الظاهر واطمأنَّ ارباب الاراضي الواسعة على املاكهم وانتشر الامن في الاطراف بطبيعة الزمن حسنت والحق يقال حال المزارع وتوفر اهلها على استثمارها واستنباتها بحيث اصبح ما يحيط بدمشق منها عامراً بصنوف الثمار والغلات يدر لبناً وعسلاً. اما ما هو وراء الجبال من القرى فحالهُ سيئة. هناك تنفرج مسافة الخلف وينفتح ميدان الخبث فيبسط ارباب النفوذ ايديهم عليها وحال الفلاح ثمت كما كان حالهُ في روسيا قبل مئتي سنة يباع مع الارض كما يباع الزنجي الرقيق وهيهات ان يحصل الا بشق النفس قوتهُ من الخبز القفار المعمول في الملة من الذرة او الشعير والغني منهم من يأكل خبز الحنطة ويذوق اللحوم مرة في الاسبوع وقس على ما ذكر ما لم يذكر

واهم محاصيل البلاد الحنطة والشعير والذرة والفول والعدس والبيقية والحلبة والفصة والقنب والزيتون والجوز واللوز والمشمش والدراق والبطيخ والخيار. والبقول على اختلاف انواعها تُنبت غالباً في الحدائق القريبة من هذه المدينة. قال البدري وكان حكماء اليونان ازدرعوا هذه الرياض والازهار في سفح جبل قاسيون لحكمة وهو انهُ يقيها البرد وكونها في دائرة وان النسيم اذا مرَّ بها يحمل منها ما استطاع ويسري بهِ الى من تحتها من اهل المدينة والسكان

ومن اهم الغلات الصيفية في الغوطة القنب الذي يزرع في اثنتين وعشرين قرية عدا الحدائق المجاورة لدمشق وذلك للانتفاع بقشره وبزره . يعتاش بهذا الموسم الوف من الخلق و يشغل الفلاح السنة بطولها فقد يبذره في آذار او نيسان ثم يتعهده بالسقي والتعشيب الى اواخر ايلول وعند ذلك يقلع من الارض وقد اربى طوله في الغالب على ثلاثة امتار فيحزمونه حزماً وينقعونه بالماء في مناقع خاصة به نحو اربعين يوماً ثم ينشرونه ويأخذ النساء ينزعن قشره عن عوده حتى اذا كشط يحزم فيباع الرطل الشامي من قشره غالباً بستة الى تسعة قروش تعمل منه الحبال وغيرها . وقد يصدر منه قليل مما يفيض عن حاجة البلاد

ورائحة المناقع تضر كثيراً بصحة اهل القرى القائمين على معالجة القنب اذ تنبعث منها روائح كريهة وجراثيم قتالة تراهم من جرائها صفر الوجوه ضئال الاجسام لكثرة ما يتعرضون له من العفن . ولو كان هذا القنب يجود في قرى البلاد المتمدنة لعنيت حكومتها برفع اضراره عن رعاياها ولو كان القنب يُغمر بالمياه على هذا النحو في فصل الصيف لهلك ثلاثة ارباع السكان المارسين لصنعه ولكن المستنقعات قد لا تضر في الشتاء ضررها في الصيف

هذا وقد كانت قديماً في دمشق اشجار وانواع من الثمار منوّعة ابلاها الزمن. قال كاتب جلبي ان في خندق قلعة دمشق اشجاراً مثمرة وشجر الكستانة والمشمولة واعني البيسيم وهو شجر مثمر كالاجاص ولا كستانة ولا بيسيم لهذا العهد. وهنا ننقل فصلاً ذكره صاحب محاسن الشام في انواع الزهور والثمار في القرن التاسع فقال :

الورد جنس تحته ستة انواع بدمشق خلا الاسود. والنرجس وتحته انواع كاليعفوري والبري والمضعف . والبنفسج انواع عراقي ومليحي وابيض . والياسمين وهو بلدي وتوتي وعراسي واصفر . والمنثور اصفر وابيض وبنفسجي وازرق . والسوسن ابيض واصفر وازرق . والزنبق والبهار والاردبون صنف من الاقحوان منه ما نواره اصفر ومنه ما نواره احمر . والبابونج والآس . والريحان جنس تحته انواع ترنجي وجماجي وطاري وطراطيري وجمّام. والنمام وشقائق النعمان والنينوفر اصفر وازرق وبنفسجي واحمر . والبان . والترحنا كان يطلع خارج المدينة في الغور وفي الارض الحارّة من قرى الشام ويعمل منه دهن . والحيلاف شجر يشبه الصفصاف غير انه في اوائل الربيع تصبغ جميع اغصانه بالاحمر كقضبان المرجان . والزنزلخت والسرو . قال فان حكماء اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصلح لزراعة الازهار ورأوا جانب الارض القبلي اختاروها لغرس الاشجار فمنه المشمش وهو واحد وعشرون صنفاً بدمشق . حموي . سندياني . اويسي . عربيلي . خراساني . كافوري . بعلبكي . لقيس . لوزي . وزيري . كلابي . سلطاني.

حازمي . ايدمري . منايني . بردي . ملوّح . ضراط البجاتي . جلاجل القلوع * ومن محاسنها القراصيا وهي سبعة اصناف . رشيدية . بعلبكية . افرنجية . رومية . طعامية . بزرة . فيجية* والكمثرى اي الانجاص وهو اصناف . عثماني . عيلاني . خلافي . سمرقندي . صيني . مالكي . صقلاني . مغازلي . بيرودسي . رحبي . وربي . قنادبلي . خنافسي . معنق . همروري . عريب . بعلبكي . ماوردي . عقرباني . شتوي . صيفي . سكري . فهلي * ومن محاسنها التفاح وهو اصناف كثيرة بدمشق نذكر بعضها . سكري . مسكي . فتحي . صيني . شتوي . صيفي . قاسمي . فاطمي . تحابي . نفي . حديثي . جناني . حرستاني . لبناني . حلواني . رهشاوي . اخلاطي . قصري . بربري . نبطي . ماوردي . بطيخي . مجهول * والدراقن . ويسمى في القاهرة خوخًا وهو اصناف بدمشق منها . خواجكي . رصاصي . حمصي . نيرباني . لوزي . لزيق . لقيس . كلابي . صالحي . غتمي . مطغري . سافري . صوري . زهري . لحم الجمل . مجهول* والاجاص ويسميه اهل الشام الخوخ كان يوجد بها اصنافًا صيفي . زجاجي . قبرصي . اسود . عين البقر . خوخ الدب . خوخ الطعام . اغبر . سفير . حابكي . برقوق . مجهول . برزة*والزيتون . والرمان بدمشق اصناف شويكي . بردى . ماوردي . مليسي . كوفي . برجنيقي . سجاقي . سويكي . مصري . سلطاني . محجر . مطوق . تدمري . القيط . حصوي . طقاطقي . قطي . مشبه . حامض الطعام . لفان . رأس البغل . مجهول * والبطيخ اصناف والعنب كذلك منها بلدي . خناصري . عاصمي . زيني . بيتموني . قنادبلي . افرنجي . مكاحلي . بيض الحمام . حلواني . بوارشي . جبلي . قصيف . ابزاز الكلبة . قشلمش . كوتاني . عبيدي . شجاني . جوزاني . داراني . مخ العصفور . عرايشي . رومي . مشهي . نيطاني . عصيري . رناطي . درق الطير . سماقي . جرمي . مجذع . شفراوي . دربلي . قاري . علوي . عينوني . مورق . مسعر . مسمط . مرصص . مخضر . مقوص . حماري . تفاحي . رهباني . زردي . مبرد . مخصّل . مغازلي . شحمة . القرط

ومن محاسنها اللوز وهو اصناف منهُ الجبلي . قسطابي . عربلي . عقابي . بندقي . شحمي . والخشخاش والسفرجل والبطيخ الخميري الاصفر والسمرقندي والسلطاني والشامي والمخطط الاصفر وهوالمسمى بالشمام ويسمى بمصر باللفاح *والتين وهو انواع منهُ البرزي والمزي . ماسوني . رومي . بعلبكي . كعب الغزال . غريب . طيفور . شتوي . جبلي . حفيرني . ماكي . عبلي . مكثب . مجهول . درق الطير * والخيار والقثاء والهليون والطرخون والكرنب والقنبيط والباذنجان . والكراث والجزر والزعتر والفجل والهندباء والنعناع والرشاد والبقلة والاسفاناخ

والكرفس والسلق والبصل والثوم والكسفرة والكراويا والكمون والقرع والكمأة واللوبيا والارز والباقلا والذرة والدخن والماش والقرطم والعدس والسمسم وبزر قطونا والترمس والحمص والحلبة والخس والبندق والجوز والفستق والتوت والرطب والقصب والاترج والليمون والنارنج وزهر القرنفل والخزام والشيح والسماق والزعرور والزيتون والخرنوب والريباس والصنوبر والقلقاس والموز وقصب السكر والقنب . اه

واعلم ان بعض هذه الانواع فقد لعهدنا كالقراصيا والخرنوب والصنوبر والموز وقصب السكر وقد استجلب بعض الاعيان المولعين بالزراعة شجراً كثيراً مما لم يكن يعهد عندنا كالاوكالبتس والاكاسيا والمشمش الهندي اما النباتات والبقول الحديثة فكثيرة جداً

« صناعتها »

كلما تأمل الناقد الخبير في صناعة الفيحاء سابقاً وصناعتها لاحقاً يتجلى له سر قول ابن خلدون ان الصنائع لا بدَّ لها من العلم وانك تجدها في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الاَّ البسيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى الفعل وان على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذٍ واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة وان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استبحرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة وما ذاك الاَّ لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها . وان الصنائع وإجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها وانهُ اذا ضعفت احوال المصر واخذ في الهرم بانتقاض عمرانهِ وقلة سكانهِ تناقص فيهِ الترف ورجع اهلهُ الى الاقتصار على الضروريّ من احوالهم فتقل الصنائع التي كانت من توابع الترف لان صاحبها حينئذٍ لا يصح لهُ بها معاشهُ فيفرُّ الى غيرها او يموت ولا يكون خلف منهُ . ثم قولهُ ان العرب ابعد الناس عن الصنائع وانها رسخت في الشرق منذ ملك الامم الاقدمون من الفرس والنبط والقبط وبني اسرائيل ويونان والروم احقاباً متطاولة فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن جملتها الصنائع

نعم ان صناعتنا منحطة كسائر احوالنا في العمران لكنها تفضل صنائع جميع مدن سورية اللهمَّ الاَّ ما تجدد حديثاً في فلسطين من صناعات اليهود والالمان فانها عندهم على حصة موفورة

من الاستجادة والتنميق . ويتعذر الآن ان نأتي على تفصيل صنائعنا بعد الاسلام فما بالك قبلهُ واخبرني احد ثقات العلماء ان لابن الصائغ الدمشقي منظومة في ثلاثة آلاف بيت في الصنائع فيها ولا شك كثير مما يعوزنا من الايضاحات

ولقد علم بالاستقراء اجمالاً ان صنائع دمشق كان منها البسيط اوالضروري والمركب او الكمالي وان امهات الصنائع كلها كانت مستحكمة ملكتها فيها شأن كل مصر تحضر . ولما استوفت عمرانها على عهد الدولة العباسية الى ما بعد الحروب الصليبية صار للصنائع شأن يذكر تجد تفاصيلها بالعرض مبعثرة في تضاعيف الكتب . مثال ذلك ان السلطان صلاح الدين يوسف لما كان محاصرًا عكاء سنة ٥٨٦ وكاد ييأس من فتحها لان الصليبيين كانوا قد اصطنعوا ثلاثة ابرجة من خشب وحديد والبسوها الجلود المغشاة بالخل بحيث لا تنفذ فيها النيران ويسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر جمع الصناع من الزرّاقين والنفاطين وباحثهم في احراقها ووعدهم عليهِ الاموال الطائلة فضاقت حيلهم عن ذلك وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي يعرف بعلي ابن عريف النحاسين فذكر ان لهُ صناعة في احراقها فطبخ ادوية لذلك مع النفط في قدور من النحاس حتى صار الجميع كانهُ جمرة نار ثم ضرب البرج الواحد بقدر فاشتعل من ساعتهِ وصار كالجبل العظيم من النار ثم رمى الثاني والثالث فاحترقا كلاهما . ومن الصنائع التي كانت في هذه العاصمة فابلتها واربابها الايام

(القيشاني) فقد كانت قاعات دمشق وقصورها ومبانيها العامة مملوءة منهُ مزدانة بهِ ولم تزل تشاهد منهُ قطع في بعض جدران دورها وجوامعها وحماماتها كما انهُ كانت تعمل منهُ الفساقي والسلسبيلات والباذهنجات والقماقم والزهريات والقلل وغيرها واحدث ما عثر عليهِ من القيشاني سلسبيل بجدار جامع الدرويشية عليهِ تاريخ سنة ٩٨٢ . والغالب ان هذه الصناعة فقدت من دمشق منذ زهاء مئة سنة وظهر لبعض الافاضل ان القيشاني يعمل من الرمل الابيض والجبس يجبلان معًا ويفرغان في قوالب على الشكل المطلوب وتكتب على سطوحها آيات او احاديث او اشعار او ترسم عليها نقوش مختلفة بمواد ثابتة ويذر عليها مسحوق الزجاج او تطلى بهِ ممدودًا بسائل غرويّ وتشوى في تنور معدّ لذلك فيسيل الزجاج ويكسوها قشرة رقيقة تقيها من الفواعل والمؤثرات زمنًا طويلاً وتظهر النقوش والكتابات زاهية بالوانها الطبيعية

(الفسيفساء) كانت تصنع بدمشق فتنوسي امرها منذ قرون وقد بقي منها بعض قطع في الجدار الشمالي من حرم الجامع الاموي رغم عدة حرائق اصابتهُ وفي قبة الملك الظاهر بيبرس . والفسيفساء فصوص مربعة من الزجاج الملوّن المذهب تلصق بالجدران مرصوفًا

بعضها بجانب بعض بحيث تتألف منها نقوش وصور جميلة تمثل ابنية وازهاراً واشجاراً وغابات وحدائق وما ضارعها

(الزجاج الملوّن) وكان معروفاً بالدمشقي ويتخذ للزخرفة والزينة ومنهُ الاكواب والآنية على اختلاف ضروبها . ولشعرائنا قصائد لطيفة في وصف الزجاج والكؤوس مما لم يبقَ بعده غاية للاجادة ويشير الى تفنن الصناع في وضعها . وفقدت صناعة الزجاج ايضاً وانحصرت صنعة البسيط منهُ في دمشق باناس لا يتعاون عيشهم الا بشق الانفس وذاكرت احد شيوخ الشعراء من مسيحيي سورية واهل الوجاهة فيها فقال ان الزجاج كان يُصنع ايضاً في بلاد حوران واستشهد لذلك ببيت الاخطل القائل في تشبيهه

كأن طيور الماء في حلباته اباريق اهدتها قيانى امرخد

قال ويحتمل ان قيانى كانت مدينة قرب صرخد في جبل الدروز يجاد فيها صنع الآنية الزجاجية فشبَّه الشاعر بها وشبَّب

(النقش او الدهان) هو من احسن صنائع دمشق القديمة يكون على الخشب والحجر ومن يدخل قاعة من القاعات القديمة بدمشق يرى مصداق هذا القول يرى الالوان زاهية زاهرة كأنها نقشت الآن وفي دمشق الى اليوم قاعات وابهاء واواوين مضى عليها زهاء مائتي سنة ولا تزال برونقها يخيَّل لك معها ان النقَّاش قد خرج منها الساعة فتُدهش كما يدهش الداخل الى متاحف الآثار المصرية من نقوش بيبان الملوك وبني حسن وسقارة وكتاباتها ورسومها وقد مضي عليها قرابة اربعة آلاف سنة على حين ان النقش المستعمل لعهدنا ينصل لونهُ ويكمد في شهور

(السيوف والخناجر) وهذه من الصنائع التي خُصت بها هذه العاصمة فاشتهرت النصال الدمشقية ولا شهرة الرماح السمهرية والسيوف المشرفية ايام الجاهلية وعرفت بصفاء مائها واخضرار لونها وارهاف حدّها ولطف فرندها يزيدها حلاوة وطلاوة ما يكتب عليها من الآيات والآثار بماء الذهب . والغالب ان صناعتها انقرضت مع ما قرضهُ تيمور من صنائعنا لعهد المئة التاسعة اذ استصحب معهُ من دمشق بعض الاعيان واصحاب الفضل وكل ماهر بفن من النساجين والخياطين وصناع السيوف فكانت المصيبة بذلك على دمشق اعظم من المصيبة بالتخريب فذاك تخريب محسوس وهذا تخريب معنوي مبين . ولقد انتشرت هذه الصناعة والاوربيون لم يعرفوها الا في الحروب الصليبية مع انها على رواية كانت مستعملة قبل الميلاد عند امم ما اشتهروا بجودة صنائعهم

(النحاس) وينسب فيقال النحاس الظاهري وذلك لما يظهر ان الملك الظاهر بيبرس كان من المنشطين لصناعتهِ ايام ملكهِ سورية فنسب اليهِ تحبباً ولم تبرح هذه الصناعة معروفة ولها رواج تباع من السياح والافرنج باثمان رابحة وهي عبارة عن ثريات وجفان وتعاليق ومصابيح وكؤوس ومباخر وقماقم وصحاف وموائد مصنوعة من النحاس الاصفر منقوشة في الغالب احرفاً لا تقرأ مع ان ما صُنع منها في القرون الوسطى كان يكتب عليهِ بالقلم الكوفي ما لهُ معنى في حد ذاتهِ ولما استحوذ الجهل على اهل تلك الصناعة لم يعودوا يعرفون ما ينقشونهُ

(التنزيل) وهو نقش الحديد او الفولاذ بالذهب او الفضة او معدن آخر او شغل الخشب وتنزيل الصدف او خشب الليمون فيهِ. وكان عندنا قديماً من ارقى الصناعات فلما استحالت الاحوال كادت صناعتهُ تفقد بتة حتى جُدِد شبابها منذ بضع سنين وصارت مصنوعاتنا رائجة في اسواق اوربا واميركا تزدان بها قصور الامراءِ والاغنياء. وتنسب صناعة التنزيل الى دمشق ايضاً فسميت بالافرنجية "داماسكين" لان الافرنج اخذوها عن دمشق. قال المؤرخ هيرودوتس ان مخترعها غلوسيوس من مدينة صاقس وقيل ان الدمشقيين اخترعوها او اوصلوها الى درجة الكمال التي بلغتها عندهم

(النسيج) كانت الاصواف والحرائر والمنسوجات الغزلية بوشيها وحسن طرازها مشهورة في غابر الزمن عند الدماشقة وبمدينتهم عُرفت فصار يقال لها الدماسكو ولما قام قائم الصنائع الفرنجية واخترع احد صناع الانكليز نسيج الشيت كاد يُقضى على صناعتنا هذه ولولا رجل اسمهُ عبد المجيد الاصفر من اهل هذه الصناعة واختراعهُ القماش المعروف بالديما لبارت النساجة دفعة واحدة ثم ان رجلاً اسمهُ الروماني تفنن في المنسوجات الحريرية تفنناً عجيباً فلما مات ماتت الصناعة معهُ وتغلبت المنسوجات الاوربية لرخص ثمنها وكثرة تفننهم في تلوينها وتغيير اشكالها وطرازها وبالرغم عما تقدم لم تنفك هذه الصناعة متماسكة احوالها وفيها مرتزق لنحو خمسة عشر الف نسمة من الدمشقيين ويزعمون ان ما يتعلق بها من الصنائع حتى تتلح وتصير اثواباً يقرب من سبعين صنعة و بعض مصنوعاتهم تصرف في بر الشام وبر مصر و بعضها يسافر الى الاناضول والروملي

(الورق) كنت قرأت في بعض الاسفار ان ورق الكتابة كان يصنع بدمشق ولهُ فيها صناع ومكابس صغيرة تقوم مصنوعاتهم بحاجات هذه البلاد وقال سيديليو صنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية في سمرقند وبخارى ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية الحرير بالقطن الذي منهُ الورق الدمشقي المتكلم عليهِ مؤرخو اليونان. ورأيت كثيراً

من الكتب المخطوطة قديمًا على هذا الورق فلم اميز بينهُ وبين ورق البردي في شيء ان لم يكن ورقنا الطف صقالاً واحسن متانة . واخبرني احد العلماء ان الافرنج برحوا متوفرين على كشف سرّ هذه الصناعة كما يحاولون ادراك غيرها. على ان من الورق الاوربي اليوم ما يضاهي بمتانتهِ الورق القديم او اكثر منهُ

(الصباغة) كان للصباغ الدمشقي صيت بعيد في سائر الاقطار لثبوت الوانهِ ولطافة لمعانهِ وكانت اصباغهُ معدنية ونباتية لا غشّ فيها فلما تغلّبت الاصباغ الغربية بطل استعمال القديم منها بل نُسي امرهُ واعتيض عنهُ بالجديد المغشوش . وجودة الاصباغ القديمة كانت السرّ في اشتهار الديباج الدمشقي قديمًا حتى اوشكت لطافتهُ ان تجري جري المثل

(الدباغة) كان لدبغ الجلود شأن عظيم بحيث يكفي المحضَّر منهُ لاحتياجات دمشق وضاحيتها و يسافر منهُ الى البلاد الاخرى ومنذ شاع استعمال الجلود الافرنجية على اختلاف اجناسها ولمعانها ومتانتها ضعفت تجارة الاديم المقروظ وبقي عملها محصورًا بقوم يعمل بمدبوغاتهم احذية للفلاحين واهل الطبقة النازلة و بعض السروج والقرب والقلل

(العطور) كان للطيوب ومستقطرات الزهور شأن خليق بالتسطير فقد ذكر شيخ الربوة ان العطر وغيرهُ كان يستخرج في المزة — هي قرية غربي دمشق بها من صحة الهواء وصفاء الماء وحسن القصور وطيب الثمار ما بقي بعضهُ الى الآن — من زهورها وورودها حتى ان حراقتهُ تلقى على الطرقات وفي دروبها وازقتها كالمزابل فلا يكون لرائحتهِ نظيرٌ ويكون الذ من المسك الى مدة انقضاء الورد . ثم ذكر صفة اخراجهِ في الكركات والانابيق ورسم صورها . قال وغير هذه الكركة كركة اخرى يستخرج منها الماورد وغيرهُ من المياه بلا ماء بوقود الحطب وذلك بعد حشو القراع بالورد وبلسان الثور و بزهر النوفر او البان او زهر النارنج والشقيق والهندبا او بورق القرنفل المروع بدمشق الى ان قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك وكذلك يحمل زهر الورد المزّي الى الهند والى بلاد السند والى الصين والى ما وراء ذلك ويسمى هناك الزهر ومما ارخوهُ انهُ كان لقاضي القضاة الحنفية ولاخيهِ الحريري قطعة بارض تسمى شُوذ الزهر طولها مائة وعشر خطوات وعرضها خمس وسبعون خطوة باع منها عشرين قنطارًا باثنين وعشرين الف درهم وذلك سنة خمس وستين وستمائة وهذا لم يسمع بمثلهِ

وهذه الصناعة كانت معروفة على ما يظهر من كلام شيخ الربوة في القرن الثامن اما الآن فليس في المزة ورد يكفي لهذه العطور والمياه واعتاض معظم اهلها عن الاشتغال بذلك بنسج

الحبال والخيوط من قشر القنب. وقد قام بدمشق في المدة الاخيرة بعض اناس يحسنون تقطير العطر وماء الزهور الآ ان ما يستخرجونهُ يصرف في حاجات المدينة لا سيما المأكولات والمشروبات اما للتطييب فقد جاءت العطور والادهان الافرنجية تنازع البلدية برخص اثمانها واختلاف اجناسها

هذا وكان في الفيحاء صنائع كثيرة ربما يحتقر شأنها البعض ولكن اذا أُنعم النظر يُسجل بانها تُعد من موجبات الحضارة والارتقاء مثل صنعة الابر المفقودة الآن بتة . واكثر الصنائع رواجاً واتقاناً عندنا الآن على وجه الاجمال النجارة والنجاتة والبناية والنساجة والحدادة والصياغة والسكافة والحياكة والنحاسة وعمل السروج والاكاف

وقد كان ولا يزال لكل حرفة زعيم او نقيب او شيخ وكان يسمى شيخ الحرف كلها بسلطان الحرافيش ثم كني عنهُ احتشاماً بشيخ مشايخ الحرف والصنائع واليك ما قالهُ صاحب محاسن الشام في وصف ما كان بدمشق من الصنائع :

ومن محاسنها ما يُصنع فيها من القماش وهو النسج على تعداد نقوشهِ وضروبهِ ورسومهِ ومنها عمل القماش الاطلس بكل جنسهِ وانواعهِ ومنها عمل القماش السابوري بجميع الوانهِ وحسن لمعانهِ ومنها عمل القماش الهرمزي على اختلاف اشكالها وتباين اوصالها ومنها عمل القماش الابيض القطني المقصور لاحياء القصور واموات القبور . وفيها تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب والمجرور والمرفوع والممدود والمرصوع وفيها تعمل صناعة القرطية ودباغتها المرضية وفيها تعمل صناعة الزنوط والاقباع (كذا) وتحمل الى البلاد والضياع وفيها تعمل صناعة الحرير بالفتل والدواليب وفيها تعمل صناعة السلاح بما فيهِ من الاعاجيب والاقتراح وفيها تعمل صناعة الموشق والمدهون بما تحار فيهِ النواظر والعيون وفيها تعمل صناعة النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش وفيها تعمل الواح الصقال ودهن الواح صغار الكتّاب وحفر القصع وتفصيل القبقاب. قال وغالب ما ذكرناهُ من هذه الصنائع تتبدل عليهِ ايدي الصناع من الواحد بعد الواحد الى ان ينيف على عشرة صناع حتى يتم . واعلم ان هذه الصنائع استخرجتها الحكماء بحكمتها ثم تعلم الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثة من الحكماء للعلماء ومن العلماء للمتعلمين ومن الاستاذين للتلامذة ومن التلامذة للصناع هكذا نقلهُ ابن جماعة

« تجارتها »

يشهد العيان ويؤيد الحسُّ ان هذا القطر كان فيما غبر ذا تجارة رابحة وعلائق مع البلاد القاصية ناجحة وانهُ كان مركز الاتصال بين الشرق والغرب ودائرة حسن الصلات بين ما

كان يعرف من القارّات فلما دالت الدول وطمع في الامر كل مهوّس فعاث فيه العدو الداخلي والخارجي انقضت عليه القرون وهو في مهاوي الفتن متسكع وفي مهالك الانحطاط ساقط اذ كان الحكام يعدون اهله آلة لاغراضهم وخلائق لم يخلقوا الاّ لتتميم شهوات النفوس ورغائب الصدور ولذا لم ترُج التجارة الاّ في الاحايين عند انبساط ظل الامن وعلى عهد الحكومات المسالمة العادلة وهذا من نادر بل من اندر ما تهيأ للبلاد

وبعد سقوط تدمر اصبحت الفيحاء سوقاً للتجارة بين البلدان ودامت حالها بين ارتفاع وانخفاض وكمْ قليل من البضائع الافرنجية يجيء كل سنة مع الصرّة الحجازية عن طريق الاستانة برّاً الى ان انتبه الاوربيون في القرن الماضي وفتح الانكليز طريقاً للهند من رأس الرجاء الصالح ثم خرقت ترعة السويس فتحولت التجارة اذ ذاك وانتقل ما بقي منها في دمشق الى بعض مواني سورية وبطل عمل القوافل التي كانت تروح وتغدو بين الشرق الادنى والاقصى وقلّ عدد الذين كانوا يمرون بالمدينة من الاناضول وغربي آسيا للذهاب الى الحج فصار معظمهم يركب البحر الى البقاع الطاهرة تخفيفاً من وعثاء الاسفار وقطع المفاوز والقفار

فانحصرت التجارة ثمَّ في الداخلية واصبحت لا تتعدّى حد الامتهانات والتصرفات المحلية وصار لها مواسم فلما تروج في غيرها . ولم تدخل المصنوعات الافرنجية بلادنا بكثرة الاّ عقيب اختراع السفن البخارية وشروع بعضها في المجيء الى سورية ولكن كانت منقطعة الوصول متباينة الاوقات فلما استقام مجراها ومرساها جرأ الناس على الاتجار وتضاعفت العلائق التجارية بين سورية والاصقاع الفرنجية من حين الى آخر حتى اصبحت اهم المتاجرات بالواردات الافرنجية . وتجارها ولا خشية من الحقيقة خدمة للاوربيين ينالون لقاء اتعابهم اجرة العامل والخادم وما بقي من تجارة الصادرات فاهمهُ المنسوجات القطنية والحريرية والمصنوعات الخشبية والحنطة والزيت والسمن والصوف وعرق السوس والمشمش وبزره والقمر الدين والخروق البالية والبيض والجلود

ولو لم تكن دمشق باب الكعبة ومركز الفيلق السلطاني الخامس ومن اعمالها ١٢١٤ قرية وبلدة لها علائق معها مباشرة او بالواسطة ولولا ما يصرفهُ فيها الواردون اليها كل عام من الحجاج والسياح لسقطت تجارتها الى حضيض لم يسمع بمثله من الكساد والفاقة بل لولا قلة معرفة القوم واستفادة كل من صاحبه ما يقوم باوده لالفيت الحال اتعس ما يكون . ومما يضحك ما رواهُ صاحب المحاسن ان ما كان يحمل من دمشق الى الديار المصرية في القرن التاسع عشر فانات انفردت بها وهي قصب ذهب . قبع . قرضية . قرطاس . قوس . قبقاب . قراصيا .

قمر الدين من المشمش . قريشة . قنبريس . اما الآن فليس من احصاء يوثق به لمعرفة صادراتها ووارداتها واعتاد بعض القناصل على اخراج احصاءات بذلك كل سنة الا ان ارقامها تخمينية لا يعتمد عليها ولا يركن في التحقيق اليها . انتهى محمد كرد علي

فتح المكسيك

(تابع ما قبله)

سار اسطول كورتس حول خليج المكسيك بعد الفوز المبين الذي وصفناهُ في الجزء الماضي ورأى جماهير الاهالي على الشاطئ متهللين بقدومهِ اليهم حاسبين انهُ اتى للاتجار معهم غير عالمين ما خُبئ لهم في جبهة الزمان حتى اذا بلغ الاسطول جزيرة صغيرة بينها وبين البر مرفأ امين رأى كورتس ان يلقي مرساتهُ فيهِ حاسباً ان الجزيرة تقيهِ عصف الرياح التي تعصف هناك في اواخر الربيع . ولم تكد سفنهُ ترسو في ذلك المرفإ حتى اسرع الاهالي الى قارب صغير مصنوع من شجرة مجوَّفة فنزلوا فيهِ واقتربوا من سفينتهِ وصعدوا اليها بوجه باش ومحيًّا طلق كمن يقابل صديقاً آتياً من سفر . واتوا معهم بهدايا من الاثمار والازهار وبعض الحلى الذهبية . وحاول كورتس ان يتكلم معهم بواسطة الترجمان فوجد انهُ لا يعرف لغتهم فأُسقط في يدهِ وحار في امرهِ ثم قيل لهُ ان واحدةً من الجواري اللواتي أُهدين اليهِ في تابسكا على ما ذكرنا في الجزء الماضي تعرف لغة هؤُلاء الاقوام. وهي مكسيكية الاصل ولدت عند التخوم الجنوبية من بلاد المكسيك وتوفي ابوها في حداثتها وكان من رؤَساء بلادهِ ومن ذوي الثروة الطائلة فيها فتزوجت امها برجل آخر وولد لها ابن منهُ فسوَّلت لها نفسها ان تعطي ميراث ابنتها لابنها فصبرت الى ان توفيت فتاة من جواريها فادَّعت انها ابنتها واعطت ابنتها لتاجر من بلاد بعيدة فمضى بها وباعها من رئيس بلاد التابسكو وهذا اهداها الى كورتس على ما تقدم. وكانت هذه الفتاة تعرف لغة المكسيك لانها لغة قومها ثم تعلمت لغة تابسكا مدة اقامتها فيها فصارت تترجم اقوال هؤُلاء الرجال للترجمان اغويلار وهو يترجمها لكورتس الى الاسبانية او لغة قشتالة. وسمى الاسبانيون هذه الفتاة مارينا وسندعوها بهذا الاسم في ما يلي وكانت ذكية الفؤاد فتعلمت اللغة الاسبانية حالاً فجعلها كورتس ترجماناً لهُ وحظيت عندهُ فتزوج بها واولدها ابنهُ دون مارتن وكانت على جانب عظيم من الجمال بشوشة الوجه طلقة المحيا كريمة الطباع احبت كورتس وخلصتهُ وخلَّصت رجالهُ من مهالك كثيرة . لكنها لم تسرَّ بما حلَّ بقومها

بل شاركتهم في مصابهم فاكرمها الفريقان معاً

وعلم كورتس من القوم الذين نزلوا الى سفينته انهم من مملكة المكسيك العظيمة وان بلادهم ضُمَّت حديثاً الى تلك المملكة واسم ملكها منتزوما وعاصمتهُ في سهل مرتفع في اواسط البلاد تبعد نحو مئتي ميل عن الساحل وعليهم والٍ من قبلهِ اسمهُ تهنليل يسكن على ٢٤ ميلاً من البحر . واخبرهم كورتس انهُ آتٍ للاتجار معهم وانهُ يودّ ان يرى الوالي . ولما علم منهم ان في بلادهم كثيراً من الذهب صرفهم بالهدايا الكثيرة وهو يحسب انهُ نال ما تمنى

وفي اليوم التالي نزل الى البر برجالهِ حيث بنيت مدينة فرا كروز بعدئذٍ وصارت محط تجارة اوربا والمكسيك . وكانت الارض سهلاً منبسطاً تتخللهُ كثبان الرمال فنصب مدافعهُ عليها وقطع الاشجار والاجم وبنى منها خياماً لرجاله وكان خبرهُ قد بلغ الوالي فبعث اليهِ رجالاً يساعدونهُ على بنائها فدقوا اوتادها في الارض ونصبوا حولها الاغصان وغطوها بحصر وشقق من القطن اتوهُ بها

وتقاطر الاهالي من كل البلاد المجاورة لمشاهدة الغرباء وجلبوا معهم كثيراً من الاثمار والازهار والبقول والطيور والاطعمة المختلفة وقليلاً من الحلى الذهبية فاعطوهم بعضها هدية وقايضوهم من البعض الآخر بالادوات الاسبانية حتى امتلأ مخيم الاسبانيين من اهالي المكسيك رجالاً ونساء . وعلم كورتس من بعضهم ان الوالي عازم على زيارتهِ في اليوم التالي . وجاء الوالي كما قالوا بموكب عظيم فاستقبلهُ محفوفاً برجالهِ وقوّاد جيشهِ وكان اليوم عيد الفصح فوقف كاهن كورتس وقام بالخدمة الدينية فاصغى المكسيكيون اليهِ بالاحترام التام ثم قُدّمت اليهم الخمور الاسبانية وتقدم التراجمة فسألوا كورتس عن غرضهِ وعن البلاد التي جاء منها فقال لهم انهُ من رعايا ملك رفيع الشأن واسع السلطان يسكن عبر البحر ويتسلط على مملكة واسعة الارجاء ويخضع لهُ كثيرون من الملوك والامراء وقد بلغهُ ان ملك المكسيك من الملوك العظام فاوفدهُ اليهِ بهدية سنية ورسالة امرهُ ان يسلمهُ اياها يداً ليد . ثم سأل الوالي عن اليوم الذي يسمح لهُ فيهِ بالمثول لدى مولاهُ

فنظر اليهِ الوالي نظر الاستغراب وقال لهُ لم يمضِ عليكَ سوى يومين في بلادنا فكيف تطمع برؤية ملكنا ولكن ان كان ملكك من العظمة والسودد على ماوصفت فلا شبهة في ان مولاي الملك يسرّ برؤيتك وسأرسل هديتك اليهِ مع رسلي ومتى بلغتني اوامرهُ لا اتأخر عن ابلاغها اليك

ثم امر غلمانهُ فاحضروا الهدية التي جاء بها وهي عشرة احمال من المنسوجات القطنية

الفاخرة وحلى كثيرة من ريش الطيور بديعة النقش والبرفشة تزري بصور امهر المصورين وسلة مملوءة بالحلى الذهبية . فدهش الاسبانيون من هذه الهدية واستدلوا منها على ثروة البلاد وفرط غناها

وقبل كورتس الهدية شاكرًا وامر رجاله ان يحضروا الهدية المرسلة الى ملك المكسيك وهي كرسيٌّ كبير جميل النقش وقلنسوة حمراء عليها نشان من الذهب وشيءٌ من الربالات والاساور وحلى من الزجاج ولم يكن الزجاج معروفًا في بلاد المكسيك فظنوهُ حجارة كريمة . ورأى الوالي جنديًا لابسًا خوذة مذهبة فقال انها تشبه خوذة على رأس الههم كوتزلكوتل في العاصمة وانهُ يود ان يراها الملك فقال كورتس انهُ يرسلها الى الملك عسى ان تردَّ اليهِ مملوءة بتبر البلاد حتى يقابل بينهُ وبين الذهب الاسباني . ثم قال للوالي ان الاسبانيين مصابون بداء في قلوبهم لا يشفيهِ الاَّ الذهب ولذلك تراهم يطلبونهُ في كل مكان . ولم يترك واسطة تقنع الوالي برغبتهِ في الذهب الاَّ استعملها

وبينما كان كورتس يحادث الوالي بواسطة الترجمان رأى واحدًا من رجالهِ مهتمًّا بالكتابة على قرطاس من النسيج الصفيق فنظر اليهِ واذا هو يصوّر الاسبانيين باكسيتهم واسلحتهم ويلوّن الصور باحبار مختلفة الالوان وعلم من الوالي انهُ يريد ارسال هذه الصور الى ملكهم فيدرك منها حقيقة الغرباء . فرأى كورتس ان يزيد دهشة الملك فامر فرسانهُ ان يعلوا صهوات خيولهم وبقية جنودهِ ان يتقلدوا اسلحتهم وينتظموا كانهم في القتال ثم بوّقت الابواق وهجم الفرسان والمشاة وداروا حول الوالي ورجالهِ وأُطلقت المدافع فدوى صوتها في القيعان ومرَّت قنابلها بين الاشجار تمزقها اربًا فدهش الوالي ورجالهُ وارتعبوا ولم يفت المصور شيءٌ من ذلك فصوره كلهُ وشرحهُ حسبما تحتملهُ الكتابة المكسيكية وكانت سفن الاسبانيين راسية امام الشاطىء منشورة الشراع كانها جبال راسخة تكللت هاماتها بالثلوج فصوَّرها ايضًا

ويقال انهُ كان بين رجال الوالي رئيسان ناقمان منهُ ومن الملك فادركا غرض كورتس واسرّا اليهِ انهما يريانهِ رسوم البلاد كلها ومواقع الضعف فيها ثم اتياهُ بهذه الرسوم فكانت اكبر مساعد لهُ على تدويخ البلاد . ذكر هذه الرواية واحد من الثقات ولكن لم يؤيدها غيرهُ ولا شبهة في ان كورتس وجد في البلاد كثيرين من الخونة او من الناقمين من ملكها فعاونوهُ عليهِ كما سيجيء

وعاد الوالي من زيارة كورتس بالموكب الذي جاء بهِ بعد ان امر رجالهُ بتقديم ما يلزم كورتس ورجالهُ من الميرة الى ان ترد اوامر الملك من العاصمة

واسم الملك منتزوما كما تقدَّم او مكتيزوما وهو الثاني بهذا الاسم. اقيم ملكًا سنة ١٥٠٢ لما اشتهر بهِ من البسالة والتُّقى لان ملوك المكسيك كانوا جامعين بين السيادة الدينية والدنيوية. ويقال ان معنى اسمهِ بلسانهم الرزين لانهُ كان على جانب عظيم من الرزانة. كان اولاً فارسًا مغوارًا اشتبك في حروب المملكة وابلى في اعدائها ثم انقطع الى خدمة الهياكل حتى اذا اختارهُ رؤساء بلادهِ ملكًا عليهم وجدوهُ في الهيكل العظيم هيكل اله الحرب يكنس درجهُ وجاءهُ نسيبهُ ملك تزكوكا يبشرهُ باختيار قومهِ لهُ وقد حُفظت الخطبة التي تلاها على مسمعهِ حينئذٍ ومنها قولهُ "من يرتاب في ان مملكة الازتك قد بلغت اوج مجدها اذ قد نصب الله القدير على عرشها ملكًا تملأُ حضرتهُ كل ناظر رهبة. سقيًا لكِ ايتها الامة لانهُ قام فيكِ ملك تعتمدين عليهِ ابٌ في الضيق اخٌ في الشدَّة ذو نفس ابيَّة تترفع عن ملاذ الحواس ومطاوح الكسل. وانت ايها الشاب المجيد ثق بان الخالق الذي القى على عاتقك هذا العبء الثقيل يقويك على القيام بهِ وانهُ كان جوَّادًا كريمًا وسيجزل جودهُ عليك ويحفظك في عرشك اعوامًا طوالاً" هذا ما تمناهُ رجال المكسيك لملكهم ولكن الزمان ابو العجب ونوائبهُ لا تصرفها الاماني

وابدى منتزوما في بداءة ملكهِ ما توقعهُ منهُ قومهُ من الحكمة والدهاء فاخضع العصاة واسر منهم خلقًا كثيرًا ولما قيد الاسرى ليذبحوا ضحية لمعبودهم كان بين الجموع المزدحمة لرؤيتهم اناس من الاعداء اتوا متنكرين فكُشف امرهم وأُخبر الملك عنهم فلم يغتظ منهم بل امر ان يجلسوا في مكان يشاهدون منهُ الاحتفال

ووسَّع نطاق مملكتهِ في السنة الاولى من ملكهِ واصلح مجالس القضاء وكان يجول في الشوارع متخفيًا ليقف على احوال رجالهِ واحسن جزاء الامناء منهم. واكثر من بناء الهياكل وتزيينها وجلب الماء الى العاصمة في قنوات جديدة وبنى مستشفى للجنود في مكان طيب الهواء

ثم غرَّهُ نجاحهُ فاحتجب عن الناس واظهر العظمة والجبروت واستخدم اعظم عظماء شعبهِ في اصغر اعمال قصرهِ وصرف كثيرين من رؤساء الجند الذين كانوا في خدمة سلفهِ لانهم ليسوا من اصل رفيع. واراد احكم رجالهِ ان يصرفوهُ عن هذه الغطرسة فلم يستطيعوا ثم زاد غيظهم منهُ بوضعهِ الضرائب الفاحشة عليهم وابتزازهِ الاموال منهم وانفاقها في ملذاتهِ وزخرفة قصورهِ واشتدَّ ظلمهُ في البلدان التي فتحها فخرج شعبها عليهِ حتى اضطر ان يستخدم نصف مملكتهِ لاخضاع النصف الآخر

وتوفي حليفهُ ملك تزكوكا سنة ١٥١٦ وتنازع ولداهُ الملك من بعدهِ فانقسمت تلك المملكة الى قسمين احدهما محالف لملك المكسيك والآخر مخالف لهُ. وكانت جمهورية تلاسكالا على

اشد العداء لهُ وهي على صغرها قائمة برجال بواسل حفظوا استقلالهم مئتي سنة فلم يستطع التغلُّب عليها

هذه كانت حالة البلاد يوم جاءها كورتس — ملكها ظالم غشوم والشعب ناقم عليهِ كاره لهُ والحليف منقسم على نفسهِ والعدو متربّص الفرص ولم تكن المملكة ضعيفة ولا شعبها ممن يستهان بهِ ولكن اسلحتها كانت دون اسلحة الاسبانيين ونظامها الحربي دون نظامهم وكان ملكها قد ترك قيادة جيوشهِ لقوادهِ وانقطع الى خدمة الهياكل والقيام بالحفلات الدينية

وكان اهالي المكسيك يعتقدون ان معبودهم كوتزلكوتل هجرهم الى حين ووعدهم بالعودة اليهم ثانية وان مجيئهُ صار قريباً وقد حدثت حوادث طبيعية كثيرة منذرة بمجيئهِ فهاجت بحيرة المكسيك وطغت على العاصمة من غير نوء واشتعل برج الهيكل الاكبر من غير نار وظهرت ثلاثة من ذوات الاذناب وبدا من الشرق نور ساطع مستطير انتشر من الافق الى سمت الراس وسُمعت في الهواء اصوات مزعجة كمن يندب وينعي بالخراب وخاف الملك من ذلك واستشار حليفهُ ملك التزكوكا في ما عسى ان ينذر بهِ لانهُ كان منجماً فقال لهُ انهُ ينذر بانقضاء ملكك وخراب مملكتك . وزاد المؤرخون ان اخت الملك بُعثت من قبرها بعد دفنها باربعة ايام وانذرتهُ بسوء المصير اذا بقي على ظلمهِ وجورهِ

ولا شبهة في ان هذه الاقاصيص وامثالها تولدت بعد الفتح او في غضونهِ مما بقي في النفوس من آثار الظلم او بنيت على حوادث طبيعية عادية زاد الوهم فيها مبالغةً ولكن لا يُنكر ان كثيرين من شيوخ المكسيك وحكمائها كانوا قد خوّفوا ملكهم من سوء العاقبة اذا لم يرعوِ مبينين لهُ ان الظلم وخيم المرتع وعاقبتهُ الدمار فلما وصل غريجلفا القائد الاسباني الى سواحل المكسيك قبل كورتس بسنة اضطرب منتزوما اضطراباً شديداً حاسباً ان آخرتهُ دنت وان صولجان الملك سينتقل من اسرتهِ الى اسرة اخرى . ثم فُرّج عنهُ لما مضى غريجلفا في سبيلهِ لكنهُ بقي موجساً شرًّا فاقام الديادبة على المرتفعات لينذروهُ بمجيء الغرباء حتى اذا جاء كورتس بلغهُ خبر مجيئهِ حالاً وامر والي الولاية التي نزل فيها كورتس ان يرحّب بهِ ففعل كما تقدَّم . ثم لما وصلت اليهِ صور الاسبانيين تجدَّدت مخاوفهُ وعقد مجلساً من مشيريهِ واستدعى اليهِ ملك تزكوكا وملك تلكوبان فاختلفت آراؤُهم في الغرباء فمن قائل بوجوب مناوأتهم واخذهم بالحيلة او بالقوة ومن قائل انهم ليسوا بشراً (لانهم ظنوا الفارس وفرسهُ حيواناً واحداً) واذا لم يكونوا بشراً فالحيلة والقوة لا تجديان نفعاً وان كانوا وفوداً من ملك آخر فليس من العدل محاربتهم ومهما يكن من امرهم فهم ليسوا من قوم كوتزلكوتل (الذي ابنَّا قبلاً انهُ رسول المكسيك)

لانهم لو كانوا من قومهِ لما اهانوا ديانتهُ كما فعلوا في تابسكو فليسوا ممَّن ننتظرهم . وكان ملك التزكوكا من المشيرين بمسالمة الاسبانيين والترحيب بهم

فاختار منتزوما طريقاً وسطاً بين الطرفين حاسباً انهُ خير الطرق وهو شرّها فبعث الى كورتس بافخر الهدايا لكي يقنعهُ بعظمتهِ وحاول جهدهُ ليصرفهُ عن الدنو من عاصمتهِ . فاعرب لهُ عن غناه وضعفهِ في وقت واحد

وظلَّ الاهالي يبنون الخيام لرجال كورتس كما امرهم الوالي حتى بنوا لهم اكثر من الف خيمة وجاؤُوهم باللحم والسمك وانواع الفاكهة والخضر والبقول واقراصاً مصنوعة من الدقيق واطعمة مطبوخة ومطيبة بالطيوب والافاويه

ولم تمضِ سبعة ايام من حين جاء الوالي حتى اتى وفد الملك الى كورتس مع ان العاصمة تبعد اكثر من مئتي ميل . والوفد رجلان من اشراف المملكة معهما مئة عبد يحملون هدية الملك واحد هذين الرجلين يشبه كورتس شكلاً فاختير لهذا السبب ورأى الاسبانيون فيهِ هذه المشابهة فسموهُ كورتس المكسيك وهذا يدل على ان المصور الذي صوَّر كورتس احسن تصويره حتى استدل المكسيكيون على رجل يشبههُ

ودخل الرسولان خيمة كورتس وامامهما الغلمان بمباخر الطيب فوقفا وسلَّما بخفض اليد الى الارض ورفعها الى الجبهة على جاري عادة المكسيك ثم نشر العبيد حصراً مكسيكية ووضعوا الهدايا عليها وهي من تروس وخوذ ودروع من الذهب الخالص وعقود واساور من الذهب ايضاً واحذية ومراوح وريش ممزوج باسلاك الذهب والفضة نظمت فيها اللآلئ والحجارة الكريمة وهو مما يوضع في اعلى الخوذ والقلانس . واشكال من الطيور والحيوانات مصنوعة بالذهب والفضة صنعة بديعة وحلل كثيرة من القطن الدقيق كانهُ الحرير في دقتهِ وهي مصبوغة بالوان مختلفة ويتخلل نسيجها ريش بديع الالوان . وكان في الهدية الخوذة الاسبانية المشار اليها آنفاً وقد ردَّت مملوءة بالذهب وطبقان كبيران محيط كلٍّ منهما ثلاثون قبضة احدهما من الذهب والآخر من الفضة يمثلان الشمس وعليهما نقوش كثيرة بديعة جداً قُدّر ثمن طبق الذهب منهما بخمسين الف جنيه

فابتهج الاسبانيون بهذه الهدية لانها فاقت كل ما كانوا ينتظرون ثم قدَّم الرسولان رسالة مولاهم فاذا هو يقول فيها انهُ مسرور بربط عرى المودة بينهُ وبين ملك عظيم مثل ملك اسبانيا ويأسف لان بُعد عاصمتهِ عن الشاطئ يمنعهُ من رؤية وفود هذا الملك لاسيما وان الطريق اليها محفوف بالمخاطر فما على الوفود الاَّ ان يرجعوا من حيث اتوا حاملين الهدايا التي تدل على

اكرامهِ لهم. فاغتاظ كورتس من منعهِ عن دخول العاصمة لكنهُ اخفى غيظهُ وشكر الوفد وقال ان ما شملني بهِ ملككم من الاكرام زاد رغبتي في التشرف برؤْياهُ وصار يستحيل عليَّ ان اعود الى بلادي واقابل مولاي الملك من غير ان احظى بمشاهدة من سافرت ستة آلاف ميل في اشد المخاطر لاجل مشاهدتهِ. وطلب من الوفد ان يحمل رسالتهُ هذه الى الملك ليسمح لهُ بالمثول في حضرتهِ وارسل معهُ هدية صغيرة فيها بعض القمصان الهولندية وزجاجة فلورنسية مذهبة ومشغولة بالمينا . هدية صغيرة جدًّا امام هدية ملك المكسيك الثمينة فلم يسرَّ الوفد بحملها ولا بحمل الرسالة وودع كورتس وهو يؤَكد لهُ ان طلبهُ لا يجاب

ونظر الاسبانيون الى هدية ملك المكسيك بعين الدهشة فقال بعضهم هنا الغنى الوافر فهلمَّ بنا اليهِ وقال البعض الآخر ان هذا الغنى يدل على ملك ضخم وقوة فائقة لا قبل لنا بها فعلينا ان نعود الى كوبا ونعرض الامر على الوالي ونعود بجيش اكبر وقوة اعظم . اما كورتس فكان مخلوقاً لاقتحام المخاطر لكنهُ لم يقل شيئًا بل قصد ان يثير النخوة في نفوس رجالهِ اولاً حتى يندفعوا من انفسهم الى اقتحام المخاطر

وكان الساحل وبيئًا كثير الحشرات فمرض ثلاثون من رجال كورتس وماتوا ثم قلَّ مجيء الاهالي اليهِ بالاطعمة وصاروا يغالون بها . ولم يكن المرفأ الذي فيهِ سفنهُ امينًا فبعث سفينتين تفتشان عن مرفإٍ امين. وعاد وفود ملك المكسيك بعد عشرة ايام يحملون هدية أُخرى قُدّر ثمنها بثلاثة آلاف اوقية من الذهب وفيها ثلاثة حجارة كريمة تشبه الزمرد المعرَّق بالابيض ارسلت هدية الى ملك اسبانيا خاصةً لانها اثمن الجواهر عند اهل المكسيك لكنها لم تكن ثمينة في اوربا . وكان جواب الملك انهُ يرفض بتاتًا مجيئهم الى عاصمتهِ وانهم قد نالوا الآن كل ما تمنوا فوجب عليهم ان يرجعوا من حيث اتوا

ولما عاد وفد ملك المكسيك هجر الاهالي مخيم الاسبانيين ولم يبقَ فيهِ احد منهم وخاف كورتس ان يهجموا عليهِ ليلاً فاستعدَّ لهم لكنهم لم يفعلوا بل اكتفوا بهجرانهِ

ولا شيء اضرُّ بالجنود من قيامهم من غير عمل ولا سيما اذا كان فيهم كثيرون من الرؤساء وكلٌّ منهم يرمي الى غرض وكلهم حاسد لرئيسهم الاكبر . هذا كان شأن جنود كورتس وهو في ساحل المكسيك ولما رأوا ان الاهالي قاطعوهم وانهم حفنة صغيرة في مملكة وسيعة صمموا على العودة وكاشفوا كورتس بذلك وهو عالم بما كانوا يضمرون لجعل يمنيهم وبينما هو يفعل ذلك جاءهُ خمسة من الرؤَساء لباسهم تختلف عن لباس اهالي المكسيك في اصابعهم خواتم من الذهب وفي انوفهم وآذانهم خزُم واقراط من الحجارة الكريمة وفتحوا لهُ بابًا جديدًا للامل كما سيجيء

الشاذون وفضلهم

من مقالة للعالم انريكو فري الايطالي نشرها في مجلة المجلات الفرنسوية

اذا رأى المرء شيئاً لم يرهُ قبلاً فقد يتوهم انهُ لم يوجد قبل ان رآهُ ويبني على وهمهِ هذا نتائج غريبة في بابها. مثال ذلك ان الميكروبات وُجدت قبل ان اكتشفها باستور بالوف من السنين غير ان معرفتنا بها في هذه الايام ولَّدت فينا الخوف منها حتى صرنا في قلق مستمر من الماء الذي نشربهُ والهواء الذي نتنفسهُ ومن طوابع البريد التي نلصقها على المخاطبات فنبلها بالماء عوضاً عن بلها بالسنتنا كأن الميكروبات صارت اضرَّ بنا بعد ان اكتشفناها مما كانت وهي مجهولة لدينا

والواقع ان تقدُّم علم البكتيريولوجيا وزيادة معرفتنا بالميكروبات واحوالها سيجعلاننا في مأمن منها فقد وجد ان بينها انواعاً مفيدة جدًّا وانهُ يمكن اتقاء الضار منها بالنافع وبالوسائط الهيجينية. ولا بد ان نألف الفكر بانها موجودة دائماً فينا فلا نعود نخشاها لان جسد الانسان لا يخلو منها ابداً ومرضهُ وصحتهُ يتوقفان على حالة جسمهِ العمومية فاذا كان قويًّا قاوم الميكروبات القتالة وتخلص منها والاَّ اوردتهُ حتفهُ .

ويشبه اعتقادنا بالميكروبات بعد اكتشافها ما نعتقدهُ اليوم بميكروبات الهيئة الاجتماعية وهم الذين شذوا عن القياس ككبار المجرمين ونوابغ الرجال بعد الذي كتبهُ عنهم علماء الاخلاق من مورل الى لمبروزو . وهؤلاء الشاذون لم يخلُ منهم مكان ولا زمان لكنَّا كنا اذا قرأنا شيئاً عن نيرون ومذابحهِ الفظيعة او عن غيرهِ من العتاة خلنا ذلك امرًا مخالفاً للمألوف مخالفة زيٍّ قديم للازياء الجارية الآن وعللناهُ بقولنا انهُ شذوذ من شواذ الطبيعة . اما الآن وقد درس العلماء احوال هؤلاء الاشخاص وقابلوهم بجمهور الناس فاتضح لهم وجود نوع من الناس لم يحلموا بهِ قبلاً وتحققوا ان بني آدم قسمان شاذون واعتياديون او غير شاذين

اتفق منذ مدة اني زرت الاستاذ لمبروزو في تورين وبينما نحن نبحث في ما كُتب حديثاً في علم الاخلاق اتاهُ تلغراف من جريدة النيويورك هرالد تسألهُ فيهِ ان يوافيها بجواب تلغرافي طويل على السؤال الآتي وهو "ما هو الانسان الاعتيادي" وتعدهُ باجرة كبيرة عليهِ. وسبب طلبها هذا ان الجرائد الاميركية كانت تكتب اذ ذاك المقالات الطويلة اثناء المحاكمة في حادثة قتل مهمة وتنشر صور القتلة الواردة في كتاب الاستاذ لمبروزو عن "الرجل الجاني" وفي كتابي "عن القتل" . ولا بدَّ من ان قراء النيويورك هرالد خاب انتظارهم لما طالعوا

جواب الاستاذ لمبروزو لانهُ عوضاً عن التغني بمدح الانسان الاعتيادي او غير الشاذ وصفهُ وصفاً تافهاً كقوله انهُ " يأكل جيداً و يشتغل كثيراً وهو محب لذاته مواظب على اعماله صبور اليف". وما اشبه هذا بما وصف بهِ فكتور هو الرجل العادي فقد قال انهُ ابن العادة عاقل حائز للفضائل التي من الدرجة الوسطى يعيش عيشة راضية لقلة حاجاته

وقد قال مورل في كتابهِ بوجود مثال كامل للانسانية موافق لمعتقداتنا حتى يصح ان يقال ان انحطاط طبيعتنا هو نتيجة الابتعاد عن هذا المثال الكامل . اما العلم الحديث فقد اثبت ان الابتعاد عن هذا المثال ليس دائماً دليل الانحطاط بل قد يكون مصحوباً بالارتقاء . وليس للانسان الاعتيادي صفات ذلك المثال الكامل الذي ورد ذكرهُ في كتب الدين بل هو نتيجة الانتخاب الفردي والاجتماعي و يختلف باختلاف احوال المجتمع الذي يعيش فيهِ و يتغير بتغيره . و يصح ان يقال ان الانسان الاعتيادي اشبه بالثياب التي تباع جاهزة فهي تغطي الجسد ولكنها لا تصلح لشخص معلوم . فهو كائن حي ينمو و يتوالد و يورث ما ورثهُ من العقائد الفاسدة ولكنهُ لا يمتاز على من سواهُ بشيءٍ من الاشياء واذا تصفحت كتب التاريخ لم تجد فيها ذكراً لغير الشاذين من الناس كالمجرمين والظالمين او الذين امتازوا على غيرهم بالعلم والفضل اما الرجال الاعتياديون فلا يدري احد من اخبارهم شيئاً واذا صح ما قالهُ نابوليون الاول عنهم امكننا ان نشبههم بالمشاة في الجيش الانساني

ولا ريب ان العالم مديون للشواذ بما ادخلوهُ فيهِ من الاصلاحات العظيمة وهم على نوعين النافع والضار و يدخل تحت الاول جميع الذين سعوا في ترقية الهيئة الاجتماعية وتحت الثاني ذوو المطامع الذين لم ينظروا الا الى مصالحهم الذاتية والمعتوهون والمجرمون ونحوهم من الذين اضروا بجسم الاجتماع الانساني ولكنهم قليلون بالنسبة الى النوع الاول

فالعالم مؤلف من مقدار صغير من النفايات يعيش عليها و يحيط بها جمهور الناس الاعتياديين وفوقهم الشواذ النافعون يديرون اعمالهم و يرفعونهم الى الدرجات العليا . والشاذ النافع هو من كان قليل المقاومة للافكار الحديثة محباً لغيره لهُ غاية يسعى اليها بهمة ونشاط وثبات رغماً عن العقبات التي تلقيها في طريقهِ المعتقدات القديمة التي يتمسك بها العوام تمسكاً شديداً

والنابغة هو الشاذ الذي يرى رأياً جديداً فاذا لم يكن في جو العالم الانساني العناصر اللازمة لنموهِ اضمحل وتلاشى ويقاوم الاعتياديون هذا الرأي الجديد اشد المقاومة غير ان سعي صاحبهِ في سبيل تحقيقهِ وتضحيتهُ كل شيء في ذلك السبيل وتطرفهُ فيهِ كل هذا يضمن لهُ الظفر في الختام رغماً عن الهزء والاضطهاد

ومهما يكن في هذا القول من الغرابة فهو مطابق للواقع . فقد نشر شخص يدعى اراسموس من اهالي روتردام في هولاندا في اوائل القرن السادس عشر رسالة سماها "مدح الجنون" اشتهرت في زمانها كثيرًا . وقد شجبتها مدرسة السربون في باريس حال نشرها اما رومية فامهلتها طويلاً لان البابا ليون العاشر قال لما قرأها "ان في مؤلفها طرفًا من الجنون" ولم يزد على ذلك . قال المؤلف في اهداء الرسالة الى صديقهِ توماس مورس "للجمهور وحده حق الحكم على مؤلفي هذا غير اني ارى اني لم اكن مجنونًا تمامًا حينما الفتهُ في مدح الجنون"

وقد بحث اراسموس في هذا الموضوع من الوجهة الادبية غير ان مؤلفهُ لا يخلو من بعض الامور العلمية وهاك بعض ما جاء فيهِ عن لسان الجنون دفاعًا عن نفسهِ : —

" اذا صح ان الحكمة هي معرفة كيفية التصرُّف في الاشياء فمن يا ترى يصح ان يدعى حكيمًا — الرجل الذي لشدة تحفظهِ وخشيتهِ لا يجسر ان يشرع في عمل ما او المجنون الذي لا يوقفهُ خطر ينكر وجودهُ او حذر لم يشعر بهِ قط عن الإقدام على الاعمال . الحكيم لا يستفيد من كتب الاقدمين سوى كلمات مركبة اما المجنون فيكتسب الحكمة الحقيقية وسط الاخطار واضطراب الاعمال وقد صدق هوميروس بقولهِ — ان المجنون يتعلم على نفقتهِ الخصوصية

"وفي طريق الانسان الى الاختبار حجرا عثرة اولهما الوجل الذي يظلم الافكار ويضيع الوسائل وثانيهما الخوف الذي يكبر المصاعب فيصرف النفس عن مقاصدها العظيمة اما المجنون فلا توقفهُ هاتان العثرتان

" ان الرواقيين (١) انفسهم لم يحتقروا الملذات واذا كانوا قد شجبوها امام الناس فما ذلك الا ليصرفوهم عنها ويحفظوا الطيب منها لانفسهم . وهل يجسر اولئك المراؤن ان ينكروا ان كل يوم من ايام الحياة حزن وشقاء اذا لم يضع الجنون شيئًا من المسرَّة فيهِ . الم يقل سوفوكليس ان الحياة لا تكون سعيدة الأ متى غابت الحكمة (او بعبارة الشاعر العربي ما لذة العيش الأ للمجانين)

"والجنون نوعان اولهما ما ترمي بهِ الجن الى الارض فتشتعل الحروب ويسعى الناس وراء المال ويقتل الولد اباهُ ويرتكب الانسان الموبقات . والثاني بخلاف الاول نعمة للجنس البشري يظهر بهيئة وهمٍ تعشقهُ النفس فيزيل منها الهواجس والشجون فتنهمك في الملذات العقلية والادبية فليس من الحسن ان يسمَّى كل نوع من الانحراف العقلي جنونًا "

(١) وهم طائفة من الفلاسفة يعتقدون انهُ يجب على الانسان ان لا يفرح ولا يحزن

فما رآه ارسموس من الفرق بين الشاذ النافع والشاذ المضر ووصفهُ بعبارة اقرب الى الشعر منها الى غيره قد اثبتهُ العلماء اليوم بالادلة العلمية

والشاذون من النوع المفيد اشبه بالفراش يحومون حول جميع الانوار فاذا اتفق ان النور كان آلاً كاذباً اي كان غرضهم دنيئاً او لقصد به مصلحة ذاتية كان اولئك الشاذون كمن يربي طفلاً لا ترجى لهُ الحياة . ولا يمنع هذا ان الشاذين النافعين هم سبب ارتقاء الحياة الاجتماعية لانا بواسطتهم اكتشفنا ما كان مجهولاً وتحررنا من رقّ الجهل والغباوة

وما ذكرهُ لمبروزو عن "نفع الجرائم" وارتآهُ العالم وركهيم من ان الجنايات هي احد الشروط الصحية للمجتمع الانساني صحيحان ولكن يجب ان يراعى فيهما الفرق بين الجرائم المضرة والنافعة فالاولى اشبه بمرض في الجسم الانساني اما الثانية فلا وعلى نجاح الثانية يتوقف حسبانها من الاعمال الممدوحة او المذمومة فالثورة السياسية او الاجتماعية امر حميد اذا نجحت وامر مذموم اذا حبطت

وماذا نقول في النوابغ ? قال الاستاذ لمبروزو ان النابغة هو من شذَّ عن الحالة الاصلية وهو قول صحيح كاد يقبلهُ الرأي العام لانهُ رآهُ مثبتاً بالدليل العلمي . فالنوابغ اناس شذوا عقلاً وجسماً لكنهم ما برحوا برهاناً قاطعاً على فائدة هذا الشذوذ وشذوذهم عقيم لانهُ لا يولد منهم اناس مثلهم لكن قوتهُ لا تفرغ الاَّ بعد ان يكون قد اضاء مشعلاً من الحقائق المجهولة انار بهِ جمهوراً غفيراً من العامة او من الناس الاعتياديين . ومَن غير الشواذ يغير القديم من التقاليد والعقائد ويزيل الخوف من السلطة والاستعباد لبعض الشواذ المضرين . فعلينا اذًا ان نعيد الى الشواذ حقوقهم المسلوبة وان نغير الرأي العام فيهم كما قد غيرناهُ في الجمال فصرنا نفضل عدم النظام على النظام ونفضل المرأة ذات الجمال الشاذ على ذات الجمال العادي

ويصعب علينا ان نبطل احترام الناس للاعتياديين فهو قديم جدًّا وقد مضى عليهِ قرون عديدة لم ينقطع فيها الاَّ فترات قليلة حينما قام الشواذ وغالبوا العقائد القديمة وحاولوا نسخها

وقد استنتج امون ولابوج من ابحاثهما في علم الانثروبوسسيولوجيا (الذي يستخدم مقياس الراس لمعرفة الارتقاء الاجتماعي) ان الناس الشقر ذوي الرؤُوس المستطيلة هم الواسطة لترقية الجنس البشري ولذلك يستحقون وحدهم ان يتناسلوا . ثم اذ رأيا من ابحاث بروكا ان الانتخاب الاجتماعي يقضي على الشواذ بالموت في حال العزوبية او بالفقر ويسهل التناسل المرضي قالا بوجوب الانتخاب القانوني اي انهما تدبرا ما قالهُ دارون وغلتون وهايكرفت عن صعوبة الاعتناء بالمرضى وذوي العاهات وقالا بمنع تناسل مثل هؤُلاء وبايجاد نسل نوعي مشابه

المثال الكامل الذي وصفهُ مورل . وفي ذلك ما فيهِ من جعل الناس كلهم اعتياديين ومنع تولد الشذوذ

ولم يرتقِ الانسان من حالة الهمجية عندما كان يسكن الغابات ويصل الى حالهِ الحاضرة الأ بفضل الشواذ . وللانحراف عن الاصل وجهان احدهما قبيح ضار والآخر جميل نافع

فلنتخلص من الاعجاب بالانسان الاعتيادي ولنتعود النظر الى الشاذين بلا خوف ولا احتقار ولندافع عن الضارين منهم معاملين اياهم بالشفقة لا بآلات التعذيب التي ورثناها عن القرون الوسطى ولنُعِد الى الشاذين النافعين حقوقهم فقد نفحوا الانسانية بكثير من النعم والمواهب

نسيم برباري

اللغة المكتوبة واللغة المحكية

لا مراء في أنَّ للُّغة العربية الفصحى او العربية المكتوبة جانبًا امنع من حمى كليب واعزَّ من جبهة الأَسد فما رمقها قطُّ واحد بنظرةٍ او رماها بزهرةٍ الأَ صلاهُ انصارها نارَ حربٍ زبون يهون عندها شرب المنون ولو استطاعوا لقلعوا عينيهِ وقطعوا يديهِ . إذًا فليخفّض حضرة القاضي ولمور عن نفسهِ وليقس ما لقيهُ في يومهِ بما اصاب غيرهُ في امسهِ . فيرى في الحال صحة الخبر . ويصغر في عينهِ الخطب على الأثر ويعلم انهُ لم يكن اوَّل سارٍ غرَّهُ قمر

اشار المقتطف في باب التقريظ والانتقاد من الجزء الماضي الى الكتاب الذي وضعهُ حضرة القاضي ولمور في اللغة الانكليزية وجمع فيهِ اللغة المحكية في الديار المصرية قاصدًا بذلك تسهيل نشر العلوم والمعارف في اللغة العربية (المحكية) وتقريب منالها على الاجانب واشار على الصحف العربية بأَنْ تأخذ أَخذهُ وتنبذ اللغة المكتوبة وتستبدلها بالمحكية حتى اذا عملت باشارتهِ وضافرها على ذلك اهل الحل والعقد قُضي على اللغة المكتوبة ونيل من ضرتها الغاية المطلوبة

فشنَّ عليهِ ارباب الاقلام غارة شعواء وفيَّلوا رأيهُ وعدُّوهُ اسخف الآراء . ولشدة حنقهم منهُ وموجدتهم عليهِ حسبوا انهُ اوَّل مخترق لحجاب العربية المصون وانهم هم اوَّل من حمى ذمارها وذاد عن حياضها . ونسوا او تناسوا أَنَّ كثيرين غيرهُ طرقوا قبلهُ هذا الباب واعترضهم حماة اللغة وانصارها مدافعين مناضلين . وسيظلُّ هذا الباب معرَّضًا للقرع والطرق حتى يزول الخلاف بين الضرتين ولا يبقى اثر لهذا الفرق .

وكان المقتطف كما أشار في الجزء الماضي اوَّل منبهٍ على قصور اللغة المكتوبة عن الوفاء بحاجة الكتّاب في هذه الايام ولكونهِ من اشدّ محبيها غيرةً عليها قضى بوجوب الاحتفاظ بها وأشار بما حضرهُ حينئذٍ من وسائط توسيع نطاقها وتعميم شيوعها في الالسنة مكان اللغة المحكية . وكان هذا العاجز ممن رأوا رأي المقتطف في المناظرة الاولى التي حدثت بين "الممكن" ومناظريهِ منذ احدى وعشرين سنة وفي المناظرة الثانية التي حدثت بعد ذلك بنحو ست سنين بيني وبين حضرة نعمة افندي شديد يافث(١)

ولو أن انصار اللغة المكتوبة نبذوا من اول الامر التطرُّف والمغالاة جانباً وجاروا المقتطف في الاعتدال وأقرُّوا اقرارهُ بنقص اللغة المكتوبة وقصورها عن مجاراة اللغات الاجنبية وقضوا هذه السنين الطويلة في البحث عما ينبغي اجراؤُهُ لخدموها خدمةً عظيمةً ولم يتركوا باب التهجم عليها مفتوحاً الى الآن . لكنهم كانوا — عفا الله عنهم — كما رأيناهم هذه المرَّة في حملتهم على المستر ولمور يقصرون كلامهم على تسفيهِ رأي من يشير باستخدام اللغة المحكية لانها قاصرة ضيقة فاسدة الخ وزاد بعضهم هذه المرة نغمةً جديدةً في طنبور الدفاع بلغ بها حدَّ الاعجاز وغاية الابداع وهي ان حملة القاضي ولمور على اللغة المكتوبة مبطنةٌ بحملةٍ دينيةٍ يكرُّ بها الصليب على الهلال وما اعظم ما تبلغهُ السخافة من عقول بعض الرجال

اما المقتطف فقد أراهُ الاختبار الطويل ان اللغة المكتوبة لا تزال في حاجةٍ ماسةٍ الى ما يسد خللها ويتمم نقصانها وانَّ ما اشار بهِ منذ احدى وعشرين سنة وصدَّقهُ هذا العاجز في حينهِ واشار بهِ غير مرةٍ في جريدة ثمرات الفنون لم يجدِ فتيلاً ولا اروى غليلاً الا وهو شروع الاساتذة والمدرسين في مخاطبة التلامذة باللغة المعربة وتعويدهم النطق بها وعقد مجمع لغوي يحكم في النحت والوضع والتعريب . اما الاول فلأن اكثر الاساتذة لم يكونوا قادرين عليهِ لفقدان هذه الملكة منهم او لان المدارس انفسها لم تساعدهم على اتمامهِ جاعلةً التكلم باحدى اللغات الاجنبية من قوانينها الاساسية او لان التلامذة انفسهم لم يرتاحوا الى هذا الامر الذي لم يروا من ورائهِ جدوى تستحقُّ ما يقتضيهِ من العناء الجزيل والوقت الطويل . وحسبوا وهم مصيبون انَّ مزاولة تحصيل اصعب اللغات الاجنبية اسهل مطلباً وايسر منالاً من محاولة تحصيل ملكة التكلم بالعربية الفصحى . وهب انهم تمكنوا مع طول الايام وملازمة الجدّ والاجتهاد من تذليل الصعاب وامتلكوا ناصية التكلم بالعربية المعربة طبقاً لقواعد صرفها ونحوها ومعانيها وبيانها فهل يجنون من ذلك فائدة توازي اقل منفعةٍ يجدونها في تعلُّم اصغر اللغات الاجنبية شأناً ؟

(١) مقتطف مجلد ١٢ جزء ٢ و ٥

واما الثاني اعني عقد مجمع لغوي فالفائدة منهُ مضمونة لا محالة وعليهِ وحدهُ يتوقف خلاص اللغة المكتوبة من براثن اللغة المحكية والاَّ فهي باطشة بها مفترسة لها عاجلاً كان او آجلاً ولكنهُ لسوء الحظ لم ينعقد بعد ولن ينعقد ابد الدهر الاَّ اذا استوفى الشرطين اللازمين لهُ وسنأتي على ذكرهما . ومن الغرور ان يتوهم البعض أن اللغة المكتوبة يمكنها اذا استتمت شروطها كلها ان تتغلب على اللغة المحكية وتلاشيها وتحلّ محلها . ومن علل نفسهُ بهِ فقد كدم في غير مكدم . وطمع في ما لا مطمع وراءهُ ولا مغنم . وهب أننا ارضعناها لاطفالنا مع اللبن واستطعنا ان نخرّجهم عليها في بيوتنا ومدارسنا وعقدنا لها احسن مجمع لغويّ لما افاد هذا كلهُ اكثر من صدّ تيار اللغة العامية عن الطموّ عليها وابتلاعها لكنهُ ما كان قطّ ليطمس معالم اللغة المحكية من الوجود ويدرجها في اكفان عاد وثمود . والفرق بين المكتوب والمحكيّ امرٌ طبيعيٌّ لا بدّ منهُ في كل لغة من لغات البشر ولا تقدر اعظم قوى العالم على ازالتهِ . قال المقتطف "ولقد كانت العربية المحكية تخالف العربية المكتوبة من عهد ابن خلدون وما قبلهُ و يظهر من ادلة لا محل لبسطها هنا انها كانت تخالف العربية المكتوبة دائماً" وكثيرون من الباحثين في فلسفة اللغة العربية والفرق بين المحكي والمكتوب منها لا يقفون عند هذا الحدّ من الاستنتاج بل يتجاوزونهُ الى ما وراءهُ كثيراً جازمين بان اللغة العربية الفصحى لم تتعدَّ قط نطاق الكتابة منذ عهد نشأتها الى الآن اي ان العرب حتى في صدر الجاهلية لم يتكلموا بالعربية المنطبقة على الاحكام الاعرابية انطباقاً تاماً بلا زيادة ولا نقصان . نعم ربما لم يكن الفرق بين محكيهم ومكتوبهم عظيماً كما هو في ايامنا هذه لكنهُ كان موجوداً ولو زهيداً كما هو الآن بين المكتوب والمحكي في كلٍّ من اللغات الاجنبية

واذا كان هذا الفرق موجوداً في كل لغة فلماذا هو في اللغة العربية اكثر منهُ في غيرها ؟ ماذا يجيب المحامون عن اللغة المكتوبة وانا واحدٌ منهم ؟ واذا صحّ ان العرب كانوا في القديم يتكلمون اللغةَ المعربة او كان الفرق بين محكيهم ومكتوبهم قليلاً كما هو الارجح فلماذا حصل هذا الفرق او زاد على توالي الايام خلافاً لما ينتظر من انتشار المدارس والمطابع وشيوع الكتب والجرائد ؟ لا سبيل للجواب على هذه الاسئلة كلها الا بهذا وهو ان اللغة المعربة لا تصلح ان تكون لغة تكلم ولم توضع الاَّ لتكون لغة كتابة وبيان ذلك ان المتكلم من طبعهِ يطلب الاختصار في حديثهِ ما استطاع الى ذلك سبيلاً اقتصاداً في الوقت وابتغاء للبلوغ الى مقصودهِ من اقرب الطرق وأخصر التعابير والكلام المعرب طويلٌ جداً اولاً بسبب حركات الاعراب وثانياً لعدم امكان الاختصار فيهِ كما في المحكي والكلمة المعربة يقتضي لفظها من

الوقت والمقاطع مضاعف ما يقتضيهِ لفظ كلمة عاميَّة فالحديث الذي يقتضي سردهُ باللغة المحكية نصف ساعة انقضى بالمكتوبة ساعة على الاقل . اذًا ليس في اللغة المعربة ما في اللغة العاميَّة من الصلاحية للتكلم والمخاطبة ولذا قضى عليها قانون تنازع البقاء ان تمجها الالسنة والشفاه وتنبذها الافواه نبذ النواة . ويتحصر استعمالها في تسويد بياض القرطاس بمداد الدواة . واذا لم يرق هذا الحكم في عين المعترض وانكر علينا صحتهُ فلا نطالبهُ باكثر من بيان العلة لنشوء اللغة المحكية واظهار السبب لحصول هذا الفرق العظيم بينها وبين المكتوبة فان استطاع اقناعنا بان لذلك سببًا آخر غير أنسبيتها اي كونها اصلح وانسب واسلس واسهل على الشفاه والالسنة من اللغة المكتوبة وافقناهُ على كل ما يدعيهِ بلا استثناء . وزدناهُ ما شاء من الشكر والثناء

ولو جمعنا ما كتب في لغتنا العربية منذ ثلثين سنة فقط عن اللغة المكتوبة واللغة المحكية لشغل مجلدًا ضخمًا يبلغ عدد صفحاتهِ الفًا او يزيد وقد ذهب كلهُ باطلاً وانتهى الكتّاب في كلامهم على هذا الموضوع الخطير حيث ابتدأُوا فلم يقرروا فيهِ حقيقةً ولا فصلوا خطابًا . وعلة ذلك فيما أرى تطرُّف الباحثين من انصار اللغة المكتوبة (واولهم انا) في التحامل على اللغة المحكية استسلامًا للميل والهوى او حرصًا على الاحتفاظ بالقديم او اكتفاء بالنزر القليل من التروي والامعان او خوفًا من التصريح بما يخالف الرأي العام او لغير ذلك من الاسباب الواهنة التي لا تصح ان تتخذ كلها فضلاً عن واحدٍ منها اساسًا لبناء اصغر الآراء واقل الاحكام

تطرَّفنا ما شئنا وبالغنا في صلاحية اللغة المعربة لكل مكتوبٍ ومحكيّ . وغالينا في فساد اللغة المحكية وعدم صلاحيتها لشيء والواقع او الاختبار داحض لزعمنا مناقض لرأْينا في الامرين كليهما وغاية ما يتكلفهُ من يتعمد إِفحامنا أن يقول لنا " اذا كان الامر كما ذكرتم فلماذا لم يعمَّ استعمال الاولى ويبطل استعمال الثانية ؟ ". والباحث العاقل المنزَّه عن الغرض اذا تساهل معنا في المناظرة وسلَّم جدلاً بعدم صلاحية اللغة المحكية — وهي على حالتها الراهنة — لأن تكون لغةً مكتوبةً لا يسعهُ مطلقًا ان يسلم معنا بان اللغة المكتوبة صالحة — في حالتها الحاضرة لان تكون لغةً محكيةً لانها غير كافية للتعبير عن كل ما يبدو لنا من الخواطر والافكار وسبب عدم كفاءتها ليس نقصًا اصليًا او قصورًا طبيعيًّا فيها بل قلّة المعروف او المتداول منها عندنا . ومعلوم ان اللغة التي لا تصلح عند التكلم والتخاطب ان تقضي حاجات التفاهم التي كثيرًا ما يستعان على سدّ الناقص منها باشارات اليدين واعضاء الوجه وغيرها فكيف تصلح ان تقضيها كتابةً وهي مجرَّدةٌ عن كل واسطةٍ تعينها على ذلك

لا ريب في صحة هذه النتيجة وان كبر علينا امرها وأبينا الاعتراف بها . ومن الغريب

اننا قد نسلّم لاول وهلةٍ بصحة النتيجة الاولى التي اثبتناها وهي عدم صلاحية اللغة المكتوبة للتكلم ونأبى التسليم بصحة النتيجة الاخيرة اعني عدم صلاحية اللغة المكتوبة للكتابة وننسى ان النتيجة الاولى لازمة للثانية وناتجة عنها اعني ان عدم صلاحيتها للتكلم ناشيءٌ عن عدم صلاحيتها للكتابة والاَّ اي لو انها كانت صالحة للكتابة لصلحت للتكلم لا محالة

ولعلَّ بعضنا ولا سيما الذين برزوا منا لمقارعة القاضي ولمور لا يطيب لهم سماع مثل هذا الحديث واهون شيءٍ عليهم ان يتهموني بالانحياز عنهم والانضمام الى انصار اللغة المحكية . ولكن ما قولهم بشهادة ارباب الاقلام انفسهم واية شهادة اخرى غيرها يقبلون اذا رفضوها ولم يصدقوها . فالى جهابذة الكتبة البالغين في صناعة التحرير ابعد غاية وارفع مرتبة نرفع هذه المسألة ونستحلفهم واحدًا واحدًا بالمسغبة والمتربة وشظف العيش الناتج من شق تلك القصبة أن يجيبونا بصدق وإخلاص على هذا السؤَال : هل كتب احدهم مرةً مقالةً او نبذة او كتابًا تصنيفًا او تأليفًا او تعريبًا وهو واثق كل الثقة انهُ مثَّل لقارئي كتابتهِ صورة المعنى التي رسمها في ذهنهِ تمامًا كما يمثلها الكاتب الانكليزي او الفرنسوي او غيرها من كتَّاب اللغات الاجنبية : هل اكمل مما كتبهُ فصلاً بل صفحةً بل سطرًا دون ان اخذ بعنان اليراع وثناهُ عن الجري في ميدان الطرس وهبَّ يستحثُّ ذاكرتهُ و يعصر يافوخهُ طالبًا كلمةً اوكلمات يتخذها قالبًا لسبك المعنى السائل في دماغهِ على حرارة التصوُّر والتخيُّل ويجعلها صفيحةً ينقل عليها الصورة البديعة المرسومة في الذهن بيد الاجادة والاتقان واذ لا يرى في محفوظهِ من كلمات اللغة المكتوبة ما يشفي الاوام ويفي بالمرام ويخاف ان يستعين بلفظة من لغة العوام لم يحكها ابو زيدٍ ولا رواها ابن هشام يضطرُّ رغم انفهِ الى العدول عن ذلك الرسم البديع الجميل واستبدالهِ بما يوافق اللفظ العربي الفصيح وما اسخف المعاني الخاضعة لاحكام للفظ

ومعلوم ان مواضيع الكتابة اكثر من ان يحيط بها عدٌّ او يجمعها احصاءٌ ولكن زهرة ربيعها وعروس مواضيعها وواسطة عقد بديعها هو الوصف. فمن من ساداتنا الكتاب النحارير فرسان الانشاء والتحرير وابطال اليراع المغاوير حاول مرةً وصف شيءٍ مما في القبة الزرقاء او على سطح الغبراء او بين الارض والسماء او في عالم السرّ والخفاء . واستطاع ان يمثلهُ لعين القارىء او لأذن السامع تمثيلاً حقيقيًا يستوي فيهِ العين والاثر و يستغني مطالعهُ عن المشاهدة وسامعهُ عن النظر

من منهم اذا دخل مرقصًا او نادي انسٍ او محفل طرب واراد ان يكتب عنهُ يقدر ان يصف باللغة المكتوبة كل ما وقع عليهِ نظرهُ وشاهدتهُ عيناهُ في ذلك المكان من المجالي

والمظاهر والمشاهد والمناظر . وكم يرى في ذاكرتهِ من الكلمات العربية الفصيحة التي ترسم في ذهن القارئ الصورة الحقيقية لما رآهُ في ذلك المشهد على الرجال والنساء من الملابس المتعددة الاشكال والمختلفة الانواع وما في القاعة وعلى " البوفه " و . و . الخ . او يظنُّ ان القارئ يرويهِ السراب و يشبعهُ كشي الضباب ويكفيهِ من الوصف ان يقال لهُ "وكان الرجال قائمين بالملابس الرسمية والسيدات بافخر الحلل واثمن الحلى والقاعة مفروشة باغلى الاثاث وانفس الرياش ومزدانة بالمصابيح والانوار والرياحين والازهار والبوفه حافلة بالذ الاطعمة واطيب المشروبات " . واذا اقترحنا على ابلغ كاتب عربيّ في هذه الايام ان يصف لنا " اوضة " مقعد او مخدع نوم او غرفة طعام وصفاً مدقّقاً يشمل كل ما فيها من الامتعة والادوات المصنوعة من خشب وزجاج ومعدن وحرير وصوف وقطن وغير ذلك او يصف ثياب سيدة من السيدات وحلاها فهل يستطيع اجابة الاقتراح تماماً دون ان يستعين باللغة المحكية ؟ يبعض كلامهِ بل بكلهِ

جلست يوماً اطارح احد مشاهير العلماء البحث في هذا الموضوع فاعتذر عن قصور كتّابنا بقولهِ " انَّ عدم تعوُّدهم التدقيق في وصف مثل هذه الامور يحول دون مجاراتهم لكتاب الافرنج فيهِ بخلاف غيرهِ مما تعوَّدوا وصفهُ كالجمال مثلاً فانهم بارعون جدًّا في وصف القامة والشعر والعينين والفم والعنق وغير ذلك مما يجيدونهُ غاية الاجادة ويجارون في ميدانهِ على كتاب اللغات الاجنبية " . وعندي ان هذا اذا صحَّ فهو بعض السبب لا كلهُ . وهب انهم مارسوهُ حتى اصبح ملكةً راسخةً في اذهانهم فماذا يفيدهم ذلك ما داموا في حاجةٍ الى كلامٍ يعبرون بهِ عن موصوفهم ولا يجدون منهُ ما يجدونهُ عند ارادة التعبير عن اوصاف الجمال

ثم ان حاجتنا الى اللغة المكتوبة ليست مقصورة على الوصف ولا هي محصورة في الادب والمدح والهجاء والتهنئة والرثاء والفخر والحماسة كما نراها هذه الايام في صحف الاخبار وكتب الادب بل تتعدى الى ما هو اهمُّ جدًّا من جميع هذه المذكورات — الى العلوم والصنائع — الى ما لا يُحصى من المسميات الطبية والكيماوية والفلسفية والفلكية والهندسية والصناعية والتجارية والزراعية والبحارية والكهربائية وغيرها مما يحتاج الى عشرات الالوف من الكلمات ولا نرى لهُ في لغتنا المكتوبة الآن غير كلمتين فقط وهما " ادوات وآلات "

فالمجمع اللغوي الذي نحتاج اليهِ ينبغي ان يتألف من رجال اكفاء لهذا العمل الخطير يناط كلٌّ منهم باحصاء كلمات فرعٍ من العلوم ونوعٍ من الصناعات بنقلها عن اربابها العاملين فيها ثم ينظر اعضاء المجمع كلهم معاً في كل قسم من هذه الكلمات على حدةٍ فما وجدوا لهُ في

اللغة العربية لفظاً يجيء بمعناهُ او بقرب منهُ ويسهل تعميمهُ وضعوهُ لهُ واحلوهُ محلهُ وما لم يجدوا لهُ شيئاً من ذلك عربوهُ وادخلوهُ وبعد ما يفرغون من عمل الوضع التعريب يطبعونهُ ويوزعونهُ ولا يلبث ان يعمّ استعمالهُ وتشمل فائدتهُ

والاَّ فاللغة المكتوبة لا ترقى التيار المثلث المندفع عليها من اللغة المحكية واللغة الفرنسوية والانكليزية بمجرد قولنا انها مهبط البلاغة والفصاحة ومجلى الحسن والملاحة وربة الاستعارات والكنايات وشامة في وجنة اللغات. وان اكتفينا بهذا كما هو ظاهر من غارتنا على حضرة القاضي ولمور اصبناها باساءة تمحو كل احساننا اليها . واضعناها من حيث اردنا المحافظة عليها

القاهرة اسعد داغر

منزلة الشعر من التاريخ

(٢)

جرَّنا البحث الى امرىء القيس وهو زعيم الشعراء بلا منازع ومليك البلاغة بلا مضارع ومن شعر عبيد يُعرف ان ابا امرىء القيس كان ملكاً على اسد وان جدتهُ تدعى ام قطام وانهُ قصد ملوك غسان مستنصراً على عداهُ . واذا اردنا اثبات ذلك من شعر امرىء القيس وجدنا جميعهُ مع تفصيل اوضح واتم كما ترى في البيتين التاليين

اقرَّ بحشا امرىء القيس بن حجر   بنو تيم مصابيح الظلام

وانا الذي عرفت معد فضلهُ   ونشدت عن حجر ابن ام قطام

قال شارح ديوان امرىء القيس اراد بنشدتُ رفعت ذكر حجر ابن ام قطام وبديهي ان الولد النجيب يرفع من ذكر ابيهِ . فدلَّ قولهُ على انهُ ابن حجر ابن ام قطام

واذا اردنا المقابلة بين قولي عبيد وامرىء القيس قلنا

عبيد	امرىء القيس
يدعو خصمهُ مُرَيَّ القيس وهو مصغر امرىء القيس	يدعو نفسهُ امرأَ القيس وهو ينتسب الى كندة
يقول ان قتيل اسد يدعى حجر ابن ام قطام	يدعو اباهُ حجر ابن ام قطام
يقول ان قتيل قومهِ من كندة	يقول ان بني اسدٍ قتلوا اباهُ

فالرجل الذي يتكلم عنهُ عبيد هو بلا شك امرؤُ القيس الشاعر المشهور . ومن ثم نستنتج ان حجراً كان ملكاً على اسدٍ وانهم خلعوا نيرهُ فكبح جماحهم اولاً ثم شدُّوا عليهِ فقتلوهُ وقام

امرؤُ القيس يطلب بثأرهِ منهم . وانهُ لاذ بالملوك الغسانيين . وهذه حقائق تاريخية لا وجه للريبة بصحتها

قلنا ان امرأَ القيس يورد نسبهُ بايضاح واستيفاء ينيفان على ما اوردهُ عبيد وذلك انهُ ينسب اباهُ الى جدهِ في قولهِ راثياً اخوتهُ

ألا يا عين بكّي لي شنينا وبكّي لي الملوك الذاهبينا
ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا

ثم انهُ يذكر جدَّ ابيهِ الحارث بن عمرو في قولهِ

أبعدَ الحارث الملك ابن عمرو لهُ ملك العراق الى عمانِ
مجاورة بني شمجى بن جرمٍ هواناً ما أُتيح من الهوانِ

وقد اورد اسم امهِ في قولهِ

ألا هل اتاها والحوادث جمة بأن امرأَ القيس ابن تملك بيقرا[1]

ولنا ان نستدلَّ من قولهِ هذا ان العرب كانوا لا يأنفون من الانتساب الى الامهات بل كانوا يفتخرون بالانتساب اليهنَّ كما كانوا يفتخرون بالانتماء الى الآباء . قال بشر بن حازم في امتداح اوس بن حارثة بن لام الطائي (وهو من مشاهير سادات طي ومن كرامائها)

تداركني اوس بن سعدى بنعمةٍ وذاك الذي تومي اليهِ الاصابعُ

وقال زهير بن ابي سلمى المزني في امتداح هرم بن سنان المرّي

لعمر ابيك ما هرم ابن سلمى بملحيٍّ اذا اللؤماء لِيموا

ولنعد الى بحثنا الاول فنقول ان امرأَ القيس تطرَّق الى ذكر اعمامهِ واخوالهِ فقال

خالي ابن كبشة قد عرفت مكانهُ وابو يزيد ورهطهُ اعمامي

وذكر رحلتهُ الى الغسانيين يمماً القيصر بقولهِ

تذكرتُ اهلي الصالحين وقد اتت على خملا خوص الركاب[2] واوجرا
فلما بدا حوران في الآل دونهم نظرت فلم تنظر بعينك منظرا

وخملا واوجر موضعان يستدل من كلامهِ انهُ مرَّ بهما في سيرهِ من ديارهِ الى حوران . ثم ينتقل الى صف ناقتهُ قائلاً

فدع ذا وسلِّ الهمَّ عنك بجسرةٍ ذمولٍ اذا صام النهار وهجَّرا[3]

(١) يبقر ذات معان احدها ملك (٢) الغائرات العيون واحدها اخوص او خوصاء
(٣) الجسرة الناقة الطويلة والذمول السريعة

وبعد ان يصفها بابيات يقول

عليها فتى لم تحمل الارض مثلهُ ابرَّ بميثاقٍ واوفى واصبرا
هو المنزل الالاف من جو ناعطٍ بني اسدٍ حزنًا من الارض اوعرا[٤]
ولو شاء كان الغزو من ارض حميرٍ ولكنهُ عمدًا الى الروم انفرا
لقد انكرتني بعلبكُّ واهلها ولابن جريج كان في حمص انكرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونهُ وايقن انَّا لاحقان بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عيناك انما نحاول ملكًا او نموت فنعذرا

وهذا الكلام يطابق ما ادَّعاهُ عبيد من سقوط دولة امرىء القيس واستنصاره بالغسانيين . والخلاف بينهما حادث من توهم عبيد ان لحاق خصمهِ بهم آخر مطلبهِ اما امرؤ القيس فأبان ان مطلبهُ ابعد وشقتهُ اقصى حيث قال : ولكنهُ عمدًا الى الروم انفرا

ولنا من هذه الابيات ادلة تاريخية نذكر منها

(اولاً) ان العرب عرفوا مدينة بعلبك بهذا الاسم حينما كانت سورية منضوية الى المملكة الرومانية التي كانت تعرفها رسميًّا باسم هيليوبوليس اي مدينة الشمس. وقد ذكر الدكتور لورته في كتابهِ سورية اليوم في الصفحتين ٦١٢ و ٦١٣ ان اسم بعلبك مشتق من بعل بمعنى الاول او الاقوى بين آلهة الفينيقيين وهو يضارع اسم زفس عند اليونانيين وجوبتير عند الرومانيين و بيولوس الكلدانيين وملكارث او هراقليس الصوريين وقد دُعي بعض المرات باسم ساترن او كسرونوس او هليوس اعني الشمس . وفي بابل تكرَّس لهُ اقدم واشهر معبد فيها وعبد متخذًا لهُ صورة الشمس اما في لبنان وانتيلبنان(لبنان الشرقي) فقد كانت عبادتهُ بنوع خاص. وبعلبك مفادها هيكل بعل لان بك او باكي مفادها البيت او الهيكل

ومما اوردناهُ يستنتج ان هيليو بوليس ترجمة بعلبك الحرفية فبين الاسمين رابطة معنوية هي وحدة المفاد ولكن هذه الرابطة ليست كلية حتى تصدق على كل مدينة ذات اسماء متعددة

(ثانيًا) من قول امرىء القيس "ولابن جريج كان في حمص انكرا" نستدل على ان هذه المدينة كانت داخلة في سلطة العرب في عهد تملك الدولة الرومانية سورية بدليل اقامة رئيس عظيم عليها من العرب وهو ابن جريج . وقولنا برئاسة ابن جريج استدلال من ان من كان ملكًا لا يكون ضيفًا الا الملك او امير او رئيس ولا ينزل ضيفًا على واحدٍ من غمار الناس ولا سيما اذا كان ذاك الملك مستنصرًا ملوك كما قال خصمهُ

(٤) الحزن الوعر من الارض

وجموع غسان الملو (م) ك اتيتهم وقد انطوينا

ولو كان المستضاف من زعانف الناس فهل يليق بملك ان ينوّه باسمهِ و يستنكر من تقصيرهِ. ونستدلُّ ايضاً على ان ابن جريج من سلالة عربية من اسمهِ او تنويه امرىء القيس بقصورهِ في مزية الحفاوة بضيفهِ التي هي اخص مزايا العرب . ومن ان امرأ القيس نزيل جموع ملوك لا نزيل ملك واحد

واذا كان ابن جريج عربياً كما اثبتنا فهو اما ان يكون غسانياً او غير غساني . فان كان غير غساني نعجب من ان المؤرخين لم يذكروا عن قبيلتهِ شيئاً مع انها تملكت او اقامت في مدينة من اهم مدن القطر الشامي ومهما تطرّفنا بالتحامل على اولئك الافاضل فلا يمكننا ان نعزو اليهم اهمال حقيقة تاريخية كالتي نحن في صددها

واذا كان ابن جريج غسانياً فكيف جاز ان يحكم الغسانيون مثل حمص وهي مدينة قديمة عظيمة على مقربة منها نهر كبير "نهر العاصي" واراضيها غاية في الخصب وهي حصينة جداً فلا يعبأون بها ويتخذون قصبة ملكهم قرية صغيرة (٥) اشكل على مجلة المشرق تعيين موقعها فتارة تزعم انها في غوطة دمشق وطوراً في حوران واخيراً تحتم انها في جزيرة العرب وهذا التدقيق العجيب الذي يستنتج منهُ ان غوطة دمشق وحوران وبلاد العرب مكان واحد من الغرائب التي لم يسمع بها بعد

لكن يا ترى من يسلم (عدا مجلة المشرق) بان ملوكاً من اصحاب المدارك الراقية يتخذون مقرّهم في قرية حقيرة يكون فيها مقامهم كمقام شيوخ القرى (كذا تقول المشرق) ويسلّمون المدينة الكبيرة الحصينة الى احد اتباعهم فيتمكن هذا التابع من الخروج عليهم بل من الايقاع بهم متى شاء . أوَ ليس العقل السليم يحكم انهم ولّوا تلك المدينة الكبيرة لتابعهم لانهم اتخذوا لهم مباءتهم مدينةً او مدناً اعظم منها وعلى هذا يفضي بنا البحث الى التسليم بان ملوك غسان استقرّوا في جلّق اعني دمشق وذلك لان دولة بني غسان تمتدُّ (على قول المشرق) "من غوطة دمشق الى تدمر" وليس في هذا الاقليم مدينة افضل من حمص في السعة والخصب والمنعة الاَّ دمشق فدمشق عاصمة مملكة الغسانيين . هذا ما ينتج مع مجاراتنا المشرق في تحديد مملكة بني غسّان مع انهُ تحديد فاسدٌ واوضح دليل على فسادهِ اجماع المؤرخين على ان جبلة وهي مدينة على شاطىء البحر بين مدينتي اللاذقية وطرابلس من بناء الغسانيين فاذن قد اتصلت مملكتهم بالبحر وهو ما ينكرهُ المشرق بقولهِ ان مملكتهم تمتد من غوطة دمشق الى تدمر

(٥) مجلة المشرق سنة ٣ جزء ٦ و ١٠

(ثالثاً لنا من قول امرئ القيس

"عليها فتى لم تحمل الارض مثله ابر بميثاق واوفى واصبرا "

دليل على ان العرب كانوا يفاخرون بحفظ المواثيق والوفاء بالعهود و يعتبرون الصبر على المشاق من اشرف الفضائل . ومن البديهي ان الميثاق الذي يبرمهُ ملك او اميرٌ يقتضي ان يكون حتماً مع امير او رئيس مطاع وهذا مما يستدل بهِ على ان العرب كانوا على جانب عظيم من المدنية التي يفتخر بها ابناء هذا العصر المنير .

ولقائل يقول انّى يكون للقبائل العربية سهم في المدنية وهم في شغل شاغل من ترادف الغزوات وتتابع الغارات واصلاء نيران الهيجاء على حين نجد المدنية تحول دون ذلك اجيب ان المدنية كانت وما برحت تعتبر الحرب من مستلزمات الحياة فالأُمة المصرية كانت في ابان زهوتها العلمية مستغرقة جميع قواها في الحروب وقس عليها سواها كالاشورية والفارسية . اما السبرطيون فكانوا يقضون سحابة الحياة كلها متجندين للقتال . وقد مرَّ على اثينا عصر الفلسفة اعني عصر سقراط وفيثاغورس وافلاطون وهي مشتبكة بالقتال المستمرّ. وقد رأت رومية عصر شيشرون وفرجيل ابهج عصورها العلمية وهو مملوءٌ بحروب بمبيوس ويوليوس قيصر واقتافيوس واغسطس كما يُعرف كل ذلك بادنى لحظة في تواريخ تلك الامم الشهيرة . فالحرب لم تكن في عرف المدنية قديماً امراً محرَّماً او مستقبحاً وهي كذلك في عهدنا هذا . واذا رأينا المؤتمرات الدولية تلتئم لسنّ الشرائع فيما بينها لرفع القتال فذلك لانَّ فنّ الحرب اضحى متقناً بعداته الهائلة ولا سيما بعد وضع التجنّد قانوناً مرعي الاجراء ولهذا امسى نشوب القتال عائداً على المحاربين كليهما بالخسائر فضلاً عن ان الحرب تعدُّ الغالب طعمة لمترصّد فرصة ضعفهِ فينقضّ عليهِ بكل قواه

(رابعاً) يستخلص من قول امرئ القيس "هو المنزل الالآن في جو ناعط ..." ان قبائل العرب المتبدّية كانت اذا خشيت من بأس العدوّ لجأت الى حزن وعر او لاذت بقنّة جبل واقامت هناك حاذرة من مفاجأة الخصم ولذلك لا ينالها مكروه وقد اعرب عن ذلك بوضوح النابغة الذبياني في قوله

وحلت بيوتي في يفاع ممنع يخال بهِ راعي الحمولة طائرا
تزلّ الوعول العصم (٦) عن قذفاتهِ وتضحي ذراهُ بالسحاب كوافرا
حذاراً على ان لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا

(٦) العصم واحدها اعصم الذي في يديهِ بياض

وكانت تتحصن خشية من الضواري ايضاً بدليل قول امرىء القيس

لعمري لقوم قد نرى في ديارهم مرابط للامهار والعكر الدثر(٧)
احب الينا من اناس بقنة يروح على آثار شائهم النمر(٨)

فينجم عن ذلك ان العرب حتى البدو منهم كانوا يألفون التحصن في منازلة الاعداء وكانوا يتذرعون بهِ في دفع الطوارىء والضواري

واذا كان هذا شأن العرب البدو والحضريون منهم ذوو معاقل وحصون وآطام وبنو غسان من هؤلاء فكيف يجوز ان نقول ان ملوكهم اهملوا المواقع الحصينة وسلموها الى حاشيتهم ونزلوا هم مكاناً غير حصين اعني قرية حقيرة في منقطع من الديار النائية

(خامساً) يستدل من قولهِ . "ولو شاء كان الغزو من ارض حمير . . . ." ان الدولة الحميرية كانت في عصرهِ ذات صولة لكنهُ استنكف من الاستنجاد بها

وقد سبق لنا القول بان بني اسدٍ قتلوا حجراً والد امرىء القيس فاذا رغبنا في الوقوف على ما كان من امر هذا الشاعر البليغ عند ما بلغهُ نعيُ والدهِ استطعنا معرفة ذلك من قولهِ

أرقتُ لبرقٍ بليل اهل يضيء سناهُ باعلى الجبل
اتاني حديث فكذّبتهُ بامرٍ تزعزع منهُ القلل
بقتل بني اسدٍ ربهم الا كلُّ شيءٍ سواهُ جلل(٩)
فاين ربيعة عن ربها واين تميم واين الخول
الا يحضرون لدى بابهِ كما يحضرون اذا ما بذل

وقال ايضاً

تطاول الليل علينا دمّونْ(١٠) دمّون انّا معشرٌ يمانونْ وانّنا لاهلنا محبونْ

ونستنتج من ذلك (اولاً) ان امرأ القيس لما بلغهُ نعيُ والدهِ كان في جبل دمون . (ثانياً) ان بني كندة قبيلة يمانية (ثالثاً) صحة ادعاء عبيد ان قومهُ فتكوا بابي امرىء القيس كما صرَّح امرؤُ القيس بذلك مراراً كقولهِ

يا لهف هندٍ اذ خطئنَ كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا(١١)

ويتعين لنا من هذا البيت ان قاتل حجر من كاهل وهي عشيرة من بني اسدٍ كما سبق لنا

(٧) العكر فوق خمسمائة من الابل والدثر الكثير
(٨) الشاء جمع شاة وهي شر المال عندهم كذا يقول شارح ديوان امرىء القيس (٩) جلل هنا بمعنى حقير
(١٠) دمون اسم جبل (١١) السيد الشجاع

القول بذلك. واذا ناسبنا بين ابياته اللامية التي رويناها اي "ارقت لبرق . . . " وقوله

فلا وابيك ابنة العامري (م) لا يدعي القوم اني افرّ
تميم بن مرّ واشياعها وكندة حولي جميعاً صبُرْ (١٢)
اذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرّقت الارض واليوم قرّ (١٣)

نستنتج ما يأتي (اولاً) ان امرأ القيس كان يجهل عند ما بلغهُ النعي ان بني تميم مشايعون لبني اسد في نبذ طاعة ابيهِ وفي قتلهِ ثم عرف ذلك بعدئذٍ (ثانياً) ان كندة باسرها تضامت حول امرىء القيس لاخذ ثار ابيهِ واذا نظرنا الى قوله

تبصّر خليلي هل ترى من ظعائن سوالك نقباً بين حزمي شعبعب
علون بانطاكيّة فوق عقمة (١٤) كجرمة نخل او كجنة يثرب (١٥)

كان لنا ان نستخرج من البيت الثاني امورًا منها (اولاً) ان انطاكية كانت في ايام الشاعر مشهورة بالنسيج (ثانياً) ان العرب كان لهم علائق تجارية مع مدن القطر الشامي وكانوا يعرفون واردات تلك المدن (ثالثاً) ان يثرب كانت في عصر امرىء القيس مشهورة بجنّاتها حتى انهُ ضرب المثل بها

وفي هذا القدر كفاية من الالمام بشعر امرىء القيس خاصّة وسنستشهد بشيء من شعرهِ في خلال الابحاث العامة . على اننا لو اردنا ان نجمع كل ما يمكن استنتاجهُ من شعر امير الشعراء مما يُستدلّ بهِ على حالة من احوال معاش العرب او على مُلحة من اقوالهم او ملحمة من وقائعهم لكان لنا من ذلك رسالة خاصّة لا تقلّ صفحاتها عن عدد صفحات هذه الرسالة . ولا يغرب عن القارئ الكريم انني كنتُ اجتزئ ببعض الاستنتاجات من شعرهِ دون الجميع حذرًا من الاطالة المخلّة

امين ظاهر خير الله

(١٢) تميم بدل من القوم والواو في وكندة للحال لا للعطف وصبر جمع صابر
(١٣) استلأموا لبسوا اللامة اي الدرع والقر البارد
(١٤) العقمة المرط الاحمر او كل ثوب
(١٥) والبعض يضبطونها بالثاء بدل التاء

الصحيح من الفراسة

امارات السرور

لا نجد انساناً ولا حيواناً الاَّ وفيهِ عاطفة السرور يعرب عنها على اساليب شتَّى ظاهرة الدلالة لا تخفى على احد اظهرها الضحك وهو الاسلوب الوحيد الذي افاض في وصفهِ القدماء من اصحاب الفراسة كأن ليس للسرور علامة سواهُ . ذكر بعضهم ان ديموقريطوس كان يغرب في الضحك حتى اتسع شدقهُ وبلغ اذنيهِ وبقيت آثار الضحك في وجههِ . وقالوا ان زردشت صاحب ديانة الفرس ولد ضاحكاً وان مَن يغرب في الضحك حتى يتملكهُ السعال فهو ظالم غشوم ومن كانت لهُ شفتان دقيقتان ووجه بشوش يضحك ابتساماً فهو محب للملذات . ومَن كثر ضحكهُ قلَّت الثقة بهِ ومَن كان ضحكهُ قليلاً فهو كريم الطباع وافر الحكمة . الى غير ذلك من الاقوال السخيفة التي ان اصابت مرةً اخطأَت مئة مرة

واول من بحث عن الضحك بحثاً علمياً فسيولوجياً هو الشهير هربرت سبنسر وقد لخصنا الكلام التالي عما كتبهُ في هذا الموضوع قال :

اذا سألت الناس لماذا يضحكون حينما يرون ولداً يمشي لابساً ثياب ابيهِ اجاوبك لاننا نرى تضاداً بين الولد الصغير واللباس الكبير . وهذا الجواب لا يبين سبب الضحك لان الانسان يضحك ايضاً اذا فرح وسرَّ من غير ان يرى شيئاً من التضادّ ولا يبين ايضاً سبب ما يحدث من الحركات في وجه الانسان حينما يضحك . وقس على ذلك سائر الامور التي يظنها الناس سبباً للضحك فانها ليست السبب الفسيولوجي . والسبب الفسيولوجي هو ما اريد بيانهُ

من الافعال ما ليس خاضعاً للارادة كالسعال والعطاس لكنهُ يحدث من سبب مهيج كما اذا علق شيء بالحلق او دخل السعوط الانف . ومنها ما هو خاضع للارادة لكن السبب المهيج يقويهِ كرجفان اليد فانهُ يشتد بالبرد حتى يخرج عن فعل الارادة . ومعلوم ان المؤَثر يؤَثر في طرف عصب من اعصاب الحس فينقل العصب التأثير الى مركز الجهاز العصبي ثم يُرد على عصب من اعصاب الحركة ويحرك العضو الذي اتصل بهِ المؤَثر اي ينتقل التأثير من الاعصاب الى العضلات . ثم ان الفعل العصبي يؤَثر في الاوعية الدموية فاذا سمع انسان خبراً مفرحاً او محزناً زادت ضربات قلبهِ . واذا سمع المريض حديثاً سارًّا فقد يحسن هضمهُ للطعام . واذا لم يكن التهيج العصبي شديداً انتقل من عصب الى آخر بسهولة كما يحدث في انتقال الافكار من موضوع الى موضوع آخر

ويرى مما تقدَّم ان التهيج العصبي يسير في ثلاث مسالك اما من عصب الى آخر او من الاعصاب الى العضلات او من الاعصاب الى الاوعية الدموية والغالب انهُ يسير في اثنين منها معاً وقد يسير في واحد او في الثلاثة في وقت واحد ولكن ليس على السواء . فاذا اشتدَّ الخوف على انسان حتى حملهُ على الركض بقي شيءٌ من التهيج العصبي في اعصابهِ وتولدت منهُ الهواجس. واذا مدحت انساناً مدحاً ترتاح اليهِ نفسهُ صرف بعض التهيج العصبي في توليد المسرَّة فيهِ والبعض الآخر في توارد الدم الى معدتهِ فتقوى على هضم الطعام

يظهر من ذلك ان التهيج العصبي لا بدَّ وان يسير في طريق ما فاذا كان بعض المسالك مقفلاً في وجههِ سار في البعض الآخر واذا كثر ما سار منهُ في احد المسالك قلَّ ما سار في غيرهِ . وهذا مما نشاهدهُ كل يوم فاشد الحزن ما لا يصحبهُ شيءٌ من الحركات لان التهيج العصبي ينحصر في الاعصاب فيزيد شعورها واما اذا وجد لهُ منفرجاً باللطم والبكاء قلَّ تأثيرهُ الداخلي . والرجل الذي يخفي غيظهُ يكون محباً للانتقام واما الذي يظهرهُ بالخصام فلا يكظم الغيظ انتقاماً

ولهذا فالحركات العضلية تخفف فعل التأثيرات العصبية . فالغضب يخف كثيراً اذا مشى الانسان مسرعاً. ومن بُلي بخسارة فادحة هانت عليهِ اذا عاد الى العمل بنشاط . والضد بالضد اي ان التأثيرات العصبية تقلل الحركات العضلية فاذا كان الانسان يمشي وخطر لهُ خاطر شغل بالهُ وقف بغتةً يفكر فيهِ واذا كان جالساً يحرك رجليهِ ثم خطر لهُ خاطر مؤثر اوقفهما عن الحركة. والافكار تؤثر في الاوعية الدموية وتضعف حركة الدم فيها فاذا اشتدَّ الفرح او الهم على انسان افقدهُ شهية الطعام واذا كان قد اكل اوقفا فعل الهضم . ومثل ذلك الاشغال العقلية

وخلاصة ما تقدم ان التهيج العصبي الذي نشعر بهِ بمشاعرنا الباطنة لا بدَّ وان يتخذ احدى الطرق الثلاث التي ذكرناها قبلاً او اثنتين منها او كلها معاً في وقت واحد وانهُ اذا سُدَّ احداها زاد ما يجري في الاثنتين الاخريين واذا زادت الكمية الواردة منهُ الى احدى هذه الطرق قل ورودها الى غيرها . فانظر كيف يمكن تعليل الضحك على هذا الاسلوب

من البديهي ان الضحك حركة عضلية تنتج عن زيادة الشعور حتى يضطر الى تبديد ما يزيد بحركة عضلية . ومن المؤكد ايضاً ان الضحك ليس دائماً دليل الفرح بل قد ينجم عن التعب العقلي والدغدغة وبعض انواع الالم . واذا ثبت ذلك نرى امامنا حقيقة اخرى وهي انهُ ليس للضحك غرض او غاية ففي اغلب الاحيان تكون الحركات موافقة للتأثيرات التي ولَّدتها مثال ذلك ان الخوف يولد فينا قوة الركض للنجاة اما الضحك فلا نفع منهُ على الاطلاق والغالب

ان ما تشعر بهِ النفس ينتقل من الفكر الى الحركة بواسطة اعضاء النطق كما يظهر الغضب او الرضى بحركات الفكين واللسان والشفتين ولذلك كانت بعض العضلات المحيطة بالفم اول ما يتأثر بالاحساسات المطربة ويتلوها الجهاز التنفسي . وكلنا يعرف كيف يزيد التنفس وخفقان القلب بسبب الاخبار المؤثرة مفرحة كانت او محزنة . ثم اذا زاد التهيج العصبي عما تتحملهُ اعضاء الكلام والجهاز التنفسي سار الى الاطراف العليا فيصفق الاولاد بايديهم و يفرك الرجل يديهِ وقد يهز جسمهُ من الامام الى الوراء . واذا زاد التهيج العصبي بعد هذا استلقى على ظهرهِ وفحص برجليهِ . نعم ان ما تقدَّم قد لا يكفي لتعليل جميع حركات الضحك لكنهُ كافٍ لتعليلها اجمالاً وهو يعلل الضحك الناتج عن السرور او الالم ولكنهُ لا ينطبق على ضحك المرء عند مشاهدتهِ التضاد بين الاشياء . وقد قالوا في هذا ان الانسان يضحك لانفراج نفسهِ بغتةً من الهم العقلي ولكن لماذا نضحك اذا سمعنا انساناً يعطس بين فترات الموسيقى المطربة حيث لاهمَّ يتعب العقل . وللوصول الى التعليل الحقيقي لهذا الحادث علينا ان نحسب اولاً كمية الشعور في احوال كهذه ثم نرى وجهة انصرافها . مثال ذلك لو فرضنا اننا نشاهد تمثيل رواية في مشهد وقد تتبعناها باهتمام حتى وصلنا الى ما تتوق النفوس اليهِ كاجتماع العاشق ومعشوقهِ بعد طول الفراق وزوال اسباب الجفاء فاللذة التي تشعر بها النفس حينئذٍ لا تريد تركها لانها نتيجة الفرج بعد مشاهدة عذاب الحبيبين . ثم لو فرضنا اننا ونحن ننظر اليهما وقلوبنا تطفح سروراً دخل المشهد جدي اليف ونفخ في وجهيهما فان الحضور ينفجرون بالضحك وهذا الضحك لا يفسرهُ قولنا انهُ نتج عن انفراج هموم النفس لان النفس تكون مسرورة بما تشاهدهُ . والواقع هو ان قسماً كبيراً من الجهاز العصبي كان تحت تأثير شديد وكانت نفوس الحاضرين تنتظر ما سيكون من نهاية الرواية فلو لم يعترضها شيء لسار التأثير العصبي سيرهُ في توليد افكار جديدة لكن دخول الجدي اوقفهُ بغتة فسدَّ مجراهُ ولم يفتح لهُ مجرًى كافياً لسيرهِ كلهِ لانهُ امر طفيف فسارت تلك الزيادة الى العضلات التي حول الفم ونتج منها ما ندعوهُ ضحكاً

ويؤيد هذا التعليل ما نراهُ احياناً من ان بعض الذين يشاهدون الحوادث المضحكة لا يضحكون لها بل يستاؤُون منها كما لو وقع رجل سمين وهو ماشٍ لثقل جسمهِ فان كثيرين من الذين يرونهُ يهزأُون بهِ و يضحكون ولكن بعضهم لا يضحك لشعورهِ بمصاب الرجل وهذا الشعور استغرق كل ما فيهِ من التأثير العصبي فلم يبقَ منهُ شيء يسير الى عضلات الفم التي تضحك

قال واحد انهُ ذهب ليلة الى مشهد الخيل فكان اللاعبون يقفزون من فوقها ثم اتى المهرّج ليقفز مثلهم فجمع قوتهُ وركض مسرعاً حتى وصل الى محل القفز ثم وقف وجعل يمسح

الغبار عن جسم الفرس زاعماً انهُ بذلك يجعلهُ اوطأ مما هو . فاغرب الحاضرون في الضحك كلهم الأ الرجل المشار اليهِ فان التهيج العصبي لم يسر فيهِ الى عضلات الضحك بل ولّد فيهِ شعوراً جديداً وهو الغضب لاستهزاء اللاعب بالحضور

ومن قابل بين الاسباب التي تولد الضحك والتي لا تولدهُ يجد ان الشعور الذي ينتج عن الثانية يختلف بنوعهِ عن الشعور الذي ينتج عن الاولى ولكن كميتهُ وقوتهُ واحدة . ومن الاسباب التي لا تولّد الضحك رؤية شخص مفلوج ينوء تحت حمل ثقيل وقساوة الوالدين على اولادهم وعقوق البنين لآبائهم وما اشبه . فكل هذه تجعل فينا الغضب والألم لا السرور والانشراح لان الشعور الاول ليس باقل تأثيراً من الثاني

ومن اسباب الضحك ايضاً ان ينتقل الوجدان بدون انتباه من الامور الكبيرة الى الامور الصغيرة اي ان يكون التضادُ على سلَّم نازل فاذا كان على سلَّم صاعد كان تأثيرهُ ضدَّ ذلك ونتج عنهُ العجب والانذهال كما لو حدث حادث كبير عقب حادث صغير فعوضاً عن انقباض العضلات تراها تتمدد فيترك الانسان ما يكون بيدهِ ويفتح فاهُ

وما تقدم يساعد على تفسير كثير من الحركات غير الضحك . فكلنا يعلم ان التأثيرات اذا اشتدت تبطل عمل الذاكرة وتعوق قوة النطق مثال ذلك ما يعانيهِ بعض الناس من الاضطراب عند التكلم امام الجمهور وما يبدو على التلامذة من الوجل وقت الامتحان مع انهم يكونون قد استظهروا دروسهم جيداً . فان الخطيب اذا القى خطبتهُ منفرداً سار التهيج العصبي الخفيف في مجرى ضيق لكنهُ كافٍ ولم يكن عليهِ سوى تذكار ما يكون قد اعدَّهُ من الافكار وذلك لا يستلزم قوة عقلية زائدة . ثم اذا داخلهُ الاضطراب امام الجمهور اقتضى هذا الشعور الجديد منفذاً ولما كانت الاعمال العقلية التي يعملها في ذلك الوقت محدودة لا تستغرق كل هذا الشعور سار في مجارٍ اخرى وولَّد افكاراً تختلف عما يكون الخطيب في صددهِ فينسى ما يكون قد اعدهُ للخطابة

ومن هذا القبيل ما يعتادهُ بعض الخطباء من الاتيان ببعض الحركات فمن اعضاء البارلمنت من ينزع نظارتهُ ويلبسها مراراً وهو يتكلم وكثيرٌ من التلامذة لا يستطيعون الكلام امام الاساتذة ما لم يمسكوا قلماً او ورقة وبعضهم يلعب بزر ثوبهِ فاذا قطعت الزر او نزعت القلم من يدهِ وقفت سلسلة افكارهِ لان التهيج العصبي يعود فيزيد عمَّا يلزم للافكار . ولا سبيل لاعادة الافكار كما كانت الأ بصرف التهيج العصبي الى العضلات فيخف الضغط على الافكار . انتهى

والضحك غير خاصّ بالانسان فقد ابان داروِن ان الشمبانزي يضحك اذا دُغدغ فتبرق عيناهُ ويبسم فمهُ ويتجعَّد جفناهُ قليلاً ويصوت صوتاً يشبه صوت الانسان اذا ضحك . وتفعل الدغدغة مثل ذلك بالاورنغ اوتانغ وغيرهِ من انواع القرود العليا والسفلى . والظاهر ان العرب انتبهوا لضحك القرود كما ترى في قول بعضهم

واذا اشار محدثاً فكأنهُ قرد يقهقه او عجوز تلطمُ

وامارات الضحك ظاهرة في الوجه لا تخفى على احد حتى الطفل الصغير يراها ويميزها ويقلدها ويبتدئ في التبسُّم وينتهي في الاغراب اي المبالغة في الضحك وحينئذٍ تفيض الدموع فتبرق بها العيون او تزيد فتهطل كما تهطل وقت البكاء وفي ذلك يقول الصفي الحلي

طفح السرور عليَّ حتى انهُ من فرط ما قد سرَّني ابكاني

وتشترك اعضاء الفم والوجه كلها في اظهار السرور فيقهقه الضاحك قهقهة يرددها كثيراً وحينما تعجز هذه الاعضاء عن اظهار القوة العصبية كلها تساعدها عضلات التنفُّس والحجاب الحاجز وقد تعجز هذه عن ابداء كل القوة العصبية التي تهيج حينئذٍ فتدعو الى حركة اليدين والرجلين فيصفق الضاحك بيديهِ ويفحص برجليهِ ويشعر كان خاصرتيهِ تكادان تنبثقان فيمسكهما بيديهِ ويحمر وجههُ وعنقهُ وينتفخ ودجاهُ ويستند الى شيء مخافة الوقوع

وقد تشتدُّ هذه الحركات حتى تتغلَّب على الارادة ويصير الضحك نوباً مزعجة جداً ولاسيما في النساء والاولاد. والنساء اكثر ضحكاً من الرجال والصغار اكثر ضحكاً من البالغين لان النساء والصغار اكثر انفعالاً من الرجال والبالغين واقل ضبطاً لحاساتهم . ويضحك الانسان في الصحة والقوة اكثر مما يضحك في المرض والضعف . ويكثر الضحك ايضاً في حالة البله وفي بعض الامراض العصبية

وعلاقة الضحك بحالة الانسان الادبية اشد من علاقتهِ بحالتهِ العقلية فالمتكبر المعجب بنفسهِ الذي لا يعرف كيف يتصرَّف يضحك قليلاً لكي لا يفرّط في عزَّة نفسهِ . وكذلك الحسود والشرير يضحكان نادراً لانهما لا يريان ما يسرهما.

والضحوك الذي يضحك لاقل سبب ويضحك كثيراً كريم الاخلاق خالٍ من العُجب بنفسهِ. وقد يدرّب الانسان نفسهُ تدريباً على الامتناع عن الضحك اما لكي لا يقال انهُ خفيف الروح او لكي لا يظهر تجعُّد وجههِ وخلل اسنانهِ . وهذا في النساء اكثر منهُ في الرجال. وقد يدرب نفسهُ على الضحك لتظهر اسنانهُ اذا كانت جميلة

ويضحك الانسان احياناً ضحك التهكم ويسمى الضحك الصفراوي لكن التمييز بين هذا

الضحك وضحك السرور واضح جداً لا يخفى على احد

والفرح والحزن شعوران تبدو علاماتهما على نسق واحد في كل شيء. الفرح يدعو الى البهجة والبسط والاظهار . والحزن يدعو الى الكدر والضيق والاخفاء . افرحْ فتفتح كوى بيتك وتطلب النور والهواء والحركة . احزنْ فتقفل كوى بيتك وتطلب الظلمة والسكون والانزواء . انظر الى جماعة اجتمعت في السوق ووقفت ساكنة كأن على رؤوسها الطير لا حركة لها ولا اشارة فتعلم حالاً انها رأت شيئاً محزناً ولداً داسهُ الترامواي او رجلاً وقع ميتاً . وانظر الى جماعة اخرى وقفت ترقص وتطرب وتزعق فتعلم انها في فرح في عرس او عيد او ما اشبه

و يظهر الابتسام في الطفل اولاً وعمرهُ اربعون يوماً او خمسون ثم يضحك وعمرهُ ثلاثة اشهر ثم تزيد علامات الفرح فيهِ ظهوراً بين الخامسة والعاشرة فيصير يثب على قدميهِ و يصفق بيديهِ كأنهُ يكاد يطير فرحاً . وهذا الرقص وهذا التصفيق اول مبادىء الموسيقى فهي بنت السرور وهو ابنها والتدرُّج بسيط من التصفيق باليدين الى النقر على الدف والطبل والصنوج الى سائر آلات الطرب . وقد يظهر السرور الحيواني على اساليب اخرى يشترك فيها الانسان والحيوان الاعجم مما لا محل لبسطهِ

وجملة القول ان السرور الدائم الناتج عن جودة الصحَّة وراحة البال وقلة الهموم يظهر في بشاشة الوجه وطلاقتهِ و بريق العينين فيقال ان وجه فلان يضحك وان النظر فيهِ يشرح الصدر

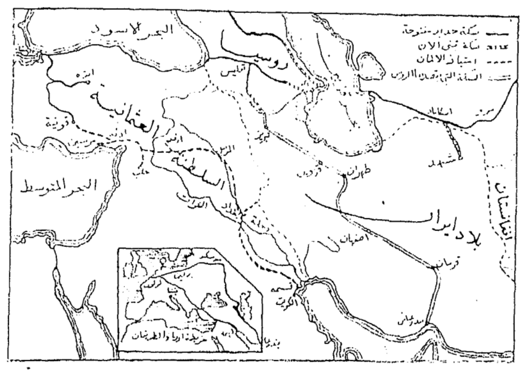
والسرور الذي يأتي بغتةً والنفس غير مستعدة لهُ لا تكفي البشاشة العادية لاظهارهِ فيظهر بالتبسم والضحك والقهقهة والتصفيق والرقص والغناء والطرب

والسرور الناتج عن النجاح وشبع المطامع يظهر بالعُجْب والخيلاء فينفخ الانسان صدرهُ كما ينفش القط شعرهُ ليظهر اكبر مما هو ويخاف الكلب منهُ . ويرفع رأسهُ ويتكلم كلاماً فخماً مقعراً لكي يراهُ ويسمعهُ كل احد

والسرور الناتج عن اللذة وخفَّة الروح كثير في محبي بطونهم فترى افواههم مفتوحة غالباً كأنهم ينتظرون لقمةً طيبة او قبلة سارَّة

وبعض هذه الامارات يبدو ويزول حالاً وبعضها يبقى اثرهُ في الوجه. فالبشاشة والعجب آثارها ثابتة في الوجه والسرور البغتي والسرور الناتج عن اللذة تبدو اماراتهما وتزول بزوالهما . وقد يبقى بعضها اذا تكرَّر مراراً كثيرة فترى محبي الملاذ جاحظي العينين مفتوحي الفم او منكسري الطرف كمن يشمُّ زهرةً طيبة و يسرُّ برائحتها

سكة العراق



أصحيح ان مملكتي الاشوريين والبابليين ستنفضان غبار النسيان وتعود سهول دجلة والفرات الى مجدها السالف بعد ان اخنى عليها الدهر مئات من الاعوام. ولكن لمن تعود تلك البلاد ومن يجني خيراتها أأبناؤها ام الغرباء ولماذا يتناظر الروس والالمان أإحساناً الى الغير يقصدون ام جرَّ المنافع الى نفوسهم . وعلى مَ ينهض اهالي المشارق والمغارب ويجنون خيرات ارضهم بايديهم وابناء السلطنة العثمانية والبلاد الايرانية يدعون الغريب ويمهدون له السبيل ليقبض على موارد تجارتهم ومصادر زراعتهم وهل يغترُّ احد بالشروط والمواعيد والقوي يبلع الضعيف والسمك الكبير يأكل الصغير .

يقصد الالمان مد سكتهم الحديدية حسب امتيازهم الجديد من قونية في بر الاناطول الى اطنه فحلب فأرفة فالموصل فبغداد ومن ثم الى بحر فارس قرب الكويت كما ترى في الرسم السابق حيث اشرنا الى السكة الالمانية التي يراد انشاؤها بخط منقط فيتصل بحر فارس بالقسطنطينية وفينَّا وكولون الى آخر اوربا امام مدينة لندن كما ترى في الرسم الصغير الذي في اسفل الرسم الكبير

واذا تيسّر انشاء هذه السكة لالمانيا عُمّرت البلاد التي تمرُّ فيها واصلحت انهارها فعاد الري

الى ما كان عليهِ بين النهرين في عصر داريوس وقورش والملوك العظام الذين كان لهم في الحضارة القدح المعلّى. ولم تكتفِ بما يكتفي بهِ ولاة تلك البلاد الآن. ولكن هل تصلح حال السكان وتكون الفائدة الكبرى لهم لا لغيرهم وهل اذا هبُّوا من سباتهم بعد ذلك وقام منهم اناس كبار النفوس كبار الهمم وارادوا ان يسعدوا بلادهم ويوسّعوا موارد ثروتها يجدون فيها مرتعًا لم يرتع فيهِ الاجنبي قبلهم ومهيعًا يباح لهم السير فيهِ كما يباح لغيرهم . هذا سؤَال يعسر حلهُ ولا يجدي التكهُّن فيهِ فالاولى الاغضاء عنهُ والاكتفاء بقول من قال

اذا هبَّت رياحك فاغتنمها   فان الثائرات لها سكونُ
وان نتجت عشارك فاحتلبها   فما تدري الفصيل لمن يكونُ

اما السكة التي يريد الروس انشاءها فتمتد من قرب تفليس بين البحر الاسود وبحر قزبين وتخترق بلاد فارس مارَّةً بتبريز وقزوين وطهران وكوم واصفهان وقرمان الى بندر عباس على خليج فارس . وقد اشرنا اليها بخطين متوازيين في الرسم فتتصل بالسكة الممتدة من برلين الى موسكو كما ترى في الشكل الصغير في اسفل الشكل الكبير . وعسى ان لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى هاتين السكتين تخترقان بلاد الدولة العلية وبلاد ايران ويتفرَّع منهما فروع كثيرة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءِ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

توأمان عجيبان

وعملية جراحية اعجب

جاءت باريس منذ ايام قلائل شركة اميركية واستأجرت مرسحًا من اكبر المراسح تعرض فيهِ شيئًا كثيرًا من الحيوانات الكاسرة والمخلوقات العجيبة فزرت هذا المعرض ذات ليلةٍ ورأيت فيهِ من غرائب خلق الانسان والضواري من الحيوان ما يستوقف النظر ويحار فيهِ

الفكر . ومن جملة ما رأيت من نوادر المخلوقات فتاتان توأمتان هنديتان ملتصقتان فأطلت وقوفي عندهما لاتمكن من رؤيتهما جيدًا . وسألت المستخدم الملازم لهما ان يريني محل الالتصاق لان لباس الفتاتين كان يحول دون ذلك فاجاب سؤالي ففك بعض ازرار اللباس وحل بعض العُرَى ولما انكشف اديم الجسمين حيث يلتصقان وجدتُ الالتصاق بين السرة والاضلاع السفلى التي تدعى الاضلاع الكاذبة في علم التشريح . واذ كان بيني وبين التوأمتين حاجز يحول دون اقترابي منهما لم اتمكن من جس مكان الالتصاق لاعلم ما هي حالتهُ وما اذا كانت الصلة مقتصرة على الجلد او كان هنالك عضو من الاحشاء مشتركًا بين الجسمين . وقد سألت ما عمر هاتين التوأمتين فقيل لي احدى عشرة سنة فلما تأملتهما وجدت ان جسميهما اقل نموًّا مما يجب ان يكونا في هذا السن اذا كانا منفصلين ثم وجدت ان احدى الفتاتين اشد نحولاً من اختها وان لونها اصفر شاحب فسألت عن سبب ذلك فقيل لي انها معتلة الجسم وتشكو دائمًا المًا في صدرها وتصاب احيانًا بنوب سعال فتحمل اختها السليمة مضض ملازمة الفراش وليس لها غير الصبر حيلة حتى تزول تلك النوب . واحيانًا يعتري هذه الفتاة المعتلَّة اسهال حاد فتجر اختها السليمة الى حيث تقضي حاجتها مرارًا عديدة ليلاً ونهارًا . وقد اخبرني المستخدم بامور كثيرة من مثل هذه عن معيشة تينك المظلومتين التي جارت عليهما الطبيعة واسم السليمة منهما راديكا واسم المعتلة دوديكا . ثم كرَّت الايام وانستني راديكا ودوديكا الى ان كنت ذات يوم اقرأ احدى الصحف فوقع نظري على مقالة عنوانها "دوديكا مريضة" فذكرت اذ ذاك التوأمتين وقرأت المقالة بلهفة مشتاق فعلمت ان دوديكا المصدورة قد زادت نحولاً وشحوبًا وتواترت عليها نوب السعال حتى اضنتها وذهبت بصبر شقيقتها المظلومة فأرسلتا الى احد المستشفيات حيث بحث الاطباء في جسم المعتلة فوجدوها مصابة بتدرن رئوي وبريتوني "داء السل" وانهُ يخشى ان تصاب شقيقتها بالعدوى . ثم عقد اولئك الاطباء مجلسًا تحت رئاسة الجراح الشهير الدكتور دويَّان (Doyen) وبعد البحث والمناقشة قرَّ الرأي على قطع الصلة بين هاتين التوأمتين وفصل راديكا السليمة عن دوديكا المعتلة ولم يقر الرأي على ذلك الاَّ بعد جدال طويل اثبت فيهِ الجراح دويَّان بالدليل والبرهان ان العملية ممكنة وانهُ لا يخشى منها على حياة التوأمين . واخذ على نفسهِ القيام بالعمل في اكلينيكهِ الخاص في اليوم التالي

فوطدتُ النفس على مشاهدة العملية رغمًا عن انقطاعي في باريس لامراض العين دون سواها نظرًا لغرابة تلك العملية وندرتها

وفي الغد وكان الحادي عشر من هذا الشهر وهو الاجل المضروب لعمل العملية هرولت في الساعة المعينة الى اكلينيك الجراح دوبان فوجدت هنالك من الاطباء المختلفي الاجناس والملل والنحل خلقاً عظيماً وكلهم محيطون بسرير العمليات احاطة الجياع بالقصاع . وكان الجراح واقفاً بينهم مشمّراً عن ساعديهِ يشرح لهم طريقة العملية . ولما دنت الساعة اتى المساعدون بالتوأمتين ونزعوا ما كان عليهما من اللباس وارقدوهما على السرير وكُلّف اثنان من الاطباء المساعدين بتشميمهما الكلوروفورم. ولما قُرّبت آلة تشميم الكلوروفورم من انفيهما ذُعرتا فصاحتا واستغاثتا وبكتا وتعانقتا ثم سلمتا امرهما الى الله . ولما فعل الكلوروفورم فعلهُ واصبح التوأمتان في سبات النوم العميق اخذ الجراح مشرطهُ وفي اقل من لمح البصر شق الجلد والنسيج الخلوي على طول الالتصاق فوجد تحت الجلد فصاً من كبد دوديكا ممتداً الى احشاء راديكا وكان ذلك طبقاً لما ظنهُ قبل الشروع في العملية . ثم ترك المشرط واخذ سكيناً كبيراً وقطع ذلك الفص الكبدي بسرعةٍ فانفجر الدم من وعائين شرياني ووريدي فلم يضع الوقت بربطها كما يفعل الجراحون عادةً بل استعمل آلتهُ الخصوصية الضاغطة التي دعاها لانجيوتريب Langiotribe وهي جفت ضاغط كبير تضغط بهِ الاورام الغليظة كورم المبيض وما شاكلهُ بعد قطعها لايقاف النزف دفعةً واحدةً . ولما اوقف النزف ولم يستغرق ذلك اكثر من بضع ثوانٍ قطع جلد الالتصاق من الجهة الخلفية وبذلك تمّ الانفصال بين ذينك الجسمين اللذين ظلاَّ ملتصقين احد عشر عاماً وبعد ذلك خاط جرح دوديكا وخاط احد مساعديهِ جرح راديكا ووضعا في كلٍ من الجرحين انبوبة درنقة ثم غطوهما بغبار معقَّم

ولم تستغرق العملية اكثر من خمس عشرة دقيقة . اما الالتصاق الذي قطع بما فيهِ الجلد والنسيج الخلوي والكبد فكان طولهُ ١٥ سنتمتراً وعرضهُ ١٠ وسمكهُ ٥ . ولما انتهت العملية وكانت الفتاتان لا تزالان تحت تخدير الكلوروفورم امر الجراح ان لا تبعدا بل ان ترقدا في سرير واحد لكي لا تذعرا اذ ترى كل منهما انها مفردة لانهما ما عرفتا الافتراق منذ خلقتا

ولم اشأ ان اكتب اليكم عن هذه العملية حتى ارى ماذا تكون نتيجتها فبقيت خمسة ايام متتبعاً قراءة الجرائد المهتمة بامرها فكانت كل الاخبار متفقةً على ان حالة راديكا تحسن يوماً فيوماً اما دوديكا التي كانت مسلولة فقد زادتها العملية ضغثاً على ابالة فصارت من رديء الى اردأ وما زال الفناء والحياة يتنازعانها حتى تغلب الفناء ففاضت روحها في الساعة السابعة من صباح يوم امس

مرسيليا في ١٧ فبراير الدكتور ابرهيم شدودي

النمو في الصيف والشتاء

حضرات استاذيَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

قد طالعت في الجزء الاخير والصفحة ١٤٠ من مقتطف السنة الماضية سؤالاً من حسن افندي حسين عن النمو في الصيف والشتاء وراجعت رأي العالم مُلن هنس في الصفحة ١٦٦ من المجلد الثالث عشر الذي تشيرون اليهِ في جوابكم فلم ارتضِ برأيهِ في سبب السمن في الخريف كما ان حضراتكم غير مرتضين بهِ كما يظهر من تعقيبكم على كلامهِ فرأيتُ ان ابدي رأياً في ذلك لعلهُ يفيد بعض البسطاء من قرَّاء المقتطف اذا تكرمتم بادراجهِ فيهِ . اما العلماء الذين يعرفون طبيعة كلٍّ من فصول السنة وتأثيرها في ابدان الاحياء فلا يحتاجون الى ارشادي لمعرفة السبب الحقيقي لسمن الاحياء في فصل الخريف

ان فصل الشتاء قاسٍ على الاحياء فيفتك بها ان لم تتحصن بالقوة فالطيور واكثر الحيوانات لا تبيض ولا تلد الاَّ في فصل الربيع اذ تجوز صغارها سنَّ الصغر فتشتد قبل هجوم فصل الشتاء الذي لو اتاها وهي صغيرة لاماتها وكذلك اكثر النباتات تزهر في الربيع فتثمر وتنضج فيهِ او في الصيف قبل حلول عواصف الشتاء وبردهِ وهذه الطبيعة لم تخلق في الاحياء حين خلقت بل كانت الاحياء تنتج في كل وقت من السنة بعضها يعقب بعضاً ولكن لم تبقِ اخطار الشتاء من نتاجها الاَّ الربيعيَّ فبالتكرار صار طبيعةً موروثةً ان لا تُنتج الاحياء الاَّ في الربيع . وعلى هذا المبدإ كان اجدادنا وهم في حال الهمجية وقبلها يموتون في فصل الشتاء افواجاً ولا يبقى منهم الاَّ من اكتسب صدفةً في فصل الخريف سمناً وقوَّةً يعينانهِ على احتمال قر الشتاء فبالتكرار صارت زيادة السمن في فصل الخريف طبيعةً موروثةً في الاحياء فسبب ذلك في طبيعة فصل الشتاء لا في طبيعة الشمس كما ظنَّ مُلن هنس . على ان هذه الطبيعة لن تبقى في الانسان الى الابد بعد ان صار يتقي اخطار الشتاء بدون احتياج الى زيادة في قوتهِ كما ان انتاجهُ لم يبقَ محصوراً في فصل الربيع . وربما فقدت او ضعفت هذه الطبيعة في امم تقادم عليها عهد التمدن. ولو بحث العلماء في مقدار ظهور هذه الطبيعة في امم مختلفة فلربما عرفوا السابق والاسبق منها الى التمدن

وربما عرفوا بهذا البحث منشأ بعض الامم كهنود اميركا الجنوبية مثلاً فان وجد ان زيادة وزنهم تحصل بين سبتمبر وديسمبر (ايلول وكانون اول) كما وجد ملن هنس فاصلهم من اسيا الشمالية وذلك يوافق المظنون وهو ان اسلافهم اتوا اميركا عن طريق بيرين والاَّ فهم من

اقطار جنوبية ولم يعرف اسلافهم طريق بدرين لان ما بين الشهرين المذكورين يكون في اميركا الجنوبية الربيع فليس هو وقت زيادة السمن. وان خيف ان يكون تبديل الاقليم قد بدّل طبيعتهم فنتعرض للخطإ في الحكم فمقابلتهم بالبيض الذين بينهم والذين في جنوبي افريقية واوستراليا تعصمنا من الخطا

السلط الدكتور ابرهيم الصليبي

باب الزراعة

السماد الكيماوي والمزروعات

نشرت معامل الصودا في اميركا رسالة مختصرة ذكرت فيها ما يلزم من السماد الكيماوي لكل نوع من المزروعات التي تزرع في الاقاليم الحارة كاقليم القطر المصري فلخصنا منها ما يأتي لما فيهِ من الفائدة

﴿البرسيم الحجازي﴾ تصلح لهُ الارض العميقة التربة لان لهُ جذرًا اوسط طويلاً واذا كانت الارض طفالية او رملية يضاف اليها عشرون قنطارًا مصريًّا من الجير لكل فدان. واذا كانت الارض ضعيفة قليلة الخصب وظهر ذلك في اصفرار ورق البرسيم يسمد الفدان منها بمئتي رطل من نيترات الصودا . واذا لم تكن الارض قليلة الخصب فلا يزاد مقدار السماد عن مئة رطل للفدان

ولا بدَّ للبرسيم الحجازي من البوتاسا والحامض الفصفوريك وهو يتناول النيتروجين من الهواء ولكنهُ لا يتناولهُ الاَّ اذا كان مقدار البوتاسا والفصفور كافيًا في ارضهِ. ويسمد الفدان بخمسة وسبعين رطلاً من البوتاسا و٥٠ رطلاً من الحامض الفصفوريك اي بما فيهِ ٧٥ رطلاً من الاول و٥٠ رطلاً من الثاني او بنحو سبع مئة رطل من السماد الكيماوي لان البوتاسا فيهِ نحو عشرة في المئة والحامض الفصفوريك سبعة في المئة. وقد يستعمل كسب بزر القطن سمادًا نيتروجينيًّا فيمزج بالتراب قبل زرع التقاوي

﴿الموز﴾ الموز سريع النمو فلا بدَّ لهُ من ارض شديدة الخصب ليجد فيها الغذاء الكافي لنموهِ السريع ولا بدَّ من ان يكون الماء كثيرًا لريهِ . والارض الخفيفة السهلة الرطبة اصلح من غيرها لهُ ولا سيما اذا كانت غنية بالمواد النباتية ويضاف اليها الجير لتحليل المواد

النباتية واذا كانت المواد النباتية كثيرة في الارض فهي في غنىً عن السماد النيتروجيني ويسمد الفدان منها بنحو ٧٠٠ رطل من السماد الذي فيهِ بوتاسا وحامض فصفوريك. واذا اصفرَّ ورق الموز فذلك دليل على انهُ يحتاج الى النيتروجين فيسمد الفدان منهُ بمئة رطل الى مئتي رطل من نيترات الصودا

﴿ الفول ﴾ الفول من النباتات التي تأخذ النيتروجين من الهواء فيحتاج الى سماد من البوتاسا والفصفور اذا كانت الارض فقيرة بهما واذا زيد نيتروجين الارض كبر نبات الفول وكثر ورقهُ ولكن قلَّ بزرهُ . واذا كانت الارض خفيفة والمواد النباتية قليلة في ترابها فاسمد الفدان منها بمئة رطل من نيترات الصودا او بمئتي رطل من كسب بزر القطن

﴿ البن ﴾ يزرع البن اولاً صفوفاً قريبة بعضها من بعض في ارض طينية خصبة فيها كثير من المواد النباتية البالية وقد تسمد بنيترات الصودا رطل منهُ لكل ما طولهُ مئة قدم من الخطوط التي فيها النبات . وبعد ستة اشهر ينقل النبات الى المزارع التي يراد زرعهُ فيها ولا بدَّ من ان يحفظ التراب حول الجذر حال قلع النبات لزرعهِ ثانيةً

ويزرع البن في مزارعهِ والبعد بين كل شجرة واخرى ٩ اقدام او نحو ذلك ولا بدَّ من اختيار اقوى الاشجار واكثرها اعتدالاً وتختار الارض الطينية التي يوجد حصى في اسفلها والسماد الصالح للبن هو سماد النيتروجين والبوتاسا والحامض الفصفوريك

ستأتي البقية

السماد النيتروجيني

النيتروجين عنصر لازم لكل الاجسام الحيوانية والنباتية وهو موجود بكثرة في بعض النفايات كنفايات المسالخ من الدم ونحوهِ وفي الجوانو او زبل الطيور البحرية وفي كسب بزر القطن وبزر الخروع . واكثر ما يكون في الاسمدة الكيماوية ومنها نيترات الصودا وكبريتات الامونيا والاول ملح يوجد في بعض الاراضي والثاني من فضلات معامل غاز الضوء وهاذان الملحان يذوبان بسهولة فيستفيد النبات منهما حالاً ولاسيما نيترات الصودا فانهُ سهل الذوبان جدًّا ولذلك لا يضاف منهُ الى الارض الاَّ مقدار قليل كل مرة على حسب حاجة النبات الوقتية والاَّ ذاب كلهُ وذهب من الارض مع ماء الصرف قبل ان تستفيد المزروعات منهُ

اما السماد النيتروجيني الآلي ككسب بزر القطن وفضلات المسالخ فلا يحل سريعاً ولكنهُ لا تنتظر منهُ الفائدة الاَّ بعد ان يضاف الى الارض بمدة فيضاف اليها قبلما يزرع النبات فيها

ومن المزروعات ما يستمد جانباً كبيراً من نيتروجينهِ من الهواء كالفول والبرسيم فلا يحتاج الى السباخ النيتروجيني وزد على ذلك انهُ اذا حرثت الارض وهو فيها حتى انطمر بترابها كلهُ او بعضهُ زاد خصبها بالنيتروجين الذي اخذهُ من الهواء فيفعل بها فعل السماد النيتروجيني .

واذا اريد ان يزاد نيتروجين الارض بسرعة يضاف اليها قليل من فصفات البوتاسا

واذا تكونت في الارض حموضة من طمر النبات فيها تصلح باضافة الجير اليها وخير من ذلك ان يترك النبات حتى ييبس ثم تحرث الارض ليطمر فيها يابساً

انواع الاسمدة

	اسم السماد	ما فيهِ من النيتروجين	ما فيهِ من الحامض الفصفوريك
الاسمدة النيتروجينية	نيترات الصودا	١٥ الى ١٦ في المئة	
	نيترات الامونيا	١٩ " ٢٢	
	الدم الجاف	١١ " ١٢	٢ الى ٤
	كسب بزر القطن	٦½ " ٧½	٢
الاسمدة الفصفورية	كارولينا فصفات الصودا		٣ الى ١٥
	فلوريدا " "		١٣ " ١٦
	تنسي " "		١٣ " ١٦
	فحم العظام الذواب		١٦ " ١٧
	دقيق العظام	٢ الى ٤	٥ " ٨
	العظام الذوَّابة	٢ " ٣	١٣ " ١٥
	جوانو بيرو	٦ " ١٠	٨
الاسمدة البوتاسية	مريات البوتاسا	٥٠	في المئة من البوتاسا
	كبريتات البوتاسا	٥٠ الى ٥٥	" "
	كربونات البوتاسا	١٨	" "
	رماد قشر بزر القطن	٢٠ الى ٣٠	" "
	ملح البارود	٤٣ " ٤٥	" "
	الرماد	٢ " ٨	

	نيتروجين	بوتاسا	حامض فصفوريك
زبل البقر	٣٤	٤٠ في الالف	١٦
" الخيل	٥٨	٥٣	٢٨
" الغنم	٨٣	٦٧	٢٣
" الفراخ	١٦٣	٨٥	١٥٤

تجهيز ارض القطن

نشرت مجلة نقابة المزارعين فصلاً مفيدًا في تجهيز ارض القطن خلاصتهُ ان الارض التي تُخدَم لزرع القطن اما ان تكون مزروعةً برسيمًا فيحشُّ او يرعى وتحرث ارضهُ واما تكون الارض قد زرعت ذرةً او غيرها وبوِّرت . وحرث الارض التي كانت مزروعةً برسيمًا اصعب من حرث الارض المبورة ولا سيما اذا استُعمل المحراث البلدي فان المحراث الافرنجي ذا الجناح اصلح من المحراث البلدي لفك الارض لان المحراث البلدي لا يقلب الارض فيبقى البرسيم في القلاقيل التي يرفعها منها وينمو ثانيةً حتى لقد يبقى فيها اخضر بعد الحرثة الثانية واما المحراث الافرنجي ذو الجناح فيقلب الارض قلبًا ويعرّض جذور البرسيم للشمس والهواء فتجف وتيبس ويدفن باقيهِ في الارض فينحل و يصير غذاءً للقطن

واذا بعدت الخطوط بعضها عن بعض بالمحراث الافرنجي تكونت بهِ قلاقيل كبيرة و يمنع ذلك بان يعمق الحرث الى عمق ٢٠ سنتمترًا وتقرَّب الخطوط بعضها من بعض حتى تكون على بعد ١٠ سنتمترات الى ١٢ سنتمترًا وحينئذٍ لا يستطيع الفلاَّح ان يحرث اكثر من نصف فدان في النهار

ولا بدَّ من ان يكون المحراث الافرنجي جامعًا لهذه الشروط وهي

اولاً ان يكون خفيفًا حتى يسهل على زوج الثيران جرهُ

ثانيًا ان يكون بسيطًا سهل الاستعمال على الفلاَّح

ثالثًا ان يكون متينًا

رابعًا ان يكون سهل التعمير

خامسًا ان يكون رخيص الثمن

ولم يذكر الكاتب اسم محراث مخصوص لئلاَّ يقال انهُ يقصد اشهارهُ . وحبذا لو ذكر اسم محراث او محراثين او اكثر من المحاريث التي يعلم انها اوفى بالغرض من غيرها اذا كان

واثقاً انها كذلك لان النفع العام لا ينفي بالنفع الخاص ولا بدَّ من ان يهتدي ارباب الزراعة اي افضل المحاريث بعد التجارب العديدة والخسائر الكثيرة فعلينا ان لا نكفيهم مؤونة الخسارة والتعب ونفيدهم باختبارنا ونرشدهم الى المحراث الذي وجدناهُ اصلح من غيرهِ . اما اذا كان حضرتهُ لا يعرف محراثاً وافياً بالغرض فتلك مسألة اخرى

وقد شاهدنا المحراث الافرنجي تحرث بهِ الاطيان امام المدرسة الزراعية في الجيزة فوجدناهُ يقلب الارض جيداً وحرثهُ عميق حسب المطلوب ولكن زوج الثيران لا يحرث بهِ الاَّ نصف فدان في اليوم وهو سريع العطب . اخبرنا الفلاح الذي كان يفلح بهِ ان سلاحهُ انكسر في اليوم السابق فاضطر ان يركّب لهُ سلاحاً آخر غيرهُ ولو لم تكن الاسلحة موجودة عندهم لامتنع استعمالهُ بعد ذلك . فكيف يتسنى للفلاحين في بلاد الارياف ان يستعملوا محراثاً مثل هذا ولا حدَّاد عندهم ولا نجار

ثم قال الكاتب انهُ يلزم للقطن حرثة عميقة بعد حرثة البوز (البرش) ولا بدَّ من ان تكون عميقة جداً لان جذر القطن يغور في الارض ٥٠ او ٦٠ سنتمترًا وذلك يحدث في الاواسي الكبيرة بالمحاريث البخارية اما في الاباعد التي ليس فيها محاريث بخارية او تحرث ارضها بالثيران فلا يصعب تعميق الحرث على المجتهد صاحب الهمة وذلك بان تحرث الارض وجهين (فلك الارض والتثنية) وتزحفها ثم تحرثها مرة ثالثة وتمر في خط المحراث المحراث النباش او الفحَّار فالاول يغور في الارض الى عمق ١٥ سنتي والثاني يغور فيها ١٥ سنتي اخرى فيصير العمق ٣٠ سنتي على الاقل

ومن مزايا هذا المحراث ان زوجاً من الثيران متوسط القوة يستطيع الاشتغال بهِ من الصباح الى المساء مع الراحة

ومتى كان الحرث عميقاً يسهل على جذور القطن الغور في الارض وتحمُّل العطش بسبب المناوبات الطويلة فضلاً عن زيادة الغذاء . قال والمحراث الفحَّار الذي يستعملهُ هو من بيت رودساك من المانيا ووكلاؤهُ في مصر الخواجات برتشنيدر وشركاؤهُ وهو يحرث نصف فدان في اليوم بدون ان يتعب البهائم

ولا بدَّ لتنعيم الارض من حرثة تكميلية وبعض اصحاب الاباعد يحرثون ارض القطن ست حرثات او اكثر والغرض من كثرة الحرث تكسير القلاقيل وتهوية الارض . وبعض الفلاحين يكسرون القلاقيل بالفاس فيكلفهم الفدان ١٨ غرشاً الى ٣٠ غرشاً واشار باستعمال زحافة كروسكيل والقصابية ذات الاسنان الحديدية واذا كانت زحافة كروسكيل خفيفة

جرها زوج من الثيران بالراحة وكسرت القلاقيل بسهولة وهي تزحف فدادين الى ثلاثة في اليوم

ويوجد آلة يجوز استعمالها بدل المحراث البلدي وهي افيد منهُ في تكسير القلاقيل وتهوية الارض لها خمسة اسنان او سبعة حسب الاحوال والتي بخمسة اسنان مستعملة في ابعادية نوبار باشا بشبرا

وخلاصة القول ان تجهيز ارض القطن يشمل العمليات الآتية

اولاً . البرش بمحراث ذي جناح مع الاقلال من العرض بين الخطوط والاكثار من تعميقها

ثانياً . حرثة ثانية بالمحراث البلدي

ثالثاً . تزحيف الارض بزحافة كروسكيل وحرث وجه ثالث اما بالمحراث ذي الجناح او بالمحراث البلدي بحيث يعقبهُ المحراث الحفار لقلب الطبقة السفلى

رابعاً . كسر القلاقيل بواسطة زحافة كروسكيل الصغيرة والقصابية

فاذا حرثت ارض القطن كذلك وسُمّدت بالسباخ المناسب حقَّ ان ينتظر منها محصول من الطبقة الاولى

جوائز المعرض

نال الجائزة الاولى للقمح البحيري الاحمر البرنس عمر باشا طوسن وللقمح الصعيدي الاحمر بوغص باشا نوبار وللقمح المصري الابيض احمد بك دله وابو زيد بك طنطاوي وللقمح الاجنبي الابيض المزروع في مصر محمد بك حسن بوغص باشا نوبار . وللشعير البلدي مدام اغوبيان باشا وللشعير الاوربي المزروع في مصر مدام اغوبيان ايضاً وللفول البحيري رياض باشا وللفول الصعيدي احمد بك دله وللذرة البلدية البرنس عمر باشا طوسن واحمد بك حمدي وللذرة الاجنبية المزروعة في مصر عمر بك سلطان . وللذرة الرفيعة ابو زيد بك طنطاوي . وللارز السلطاني عبد اللطيف افندي . وللارز السبعيني بوغص باشا نوبار . وللعدس البحيري محمد سعيد الكبير . وللعدس الصعيدي محمد سعيد الحي . وللدخن مدرسة الزراعة . وللفول السوداني البرنس عمر باشا طوسن . ولبزر الكتان ابو زيد بك طنطاوي . وللسمسم الابيض تفتيش الوادي . وللسمسم الاحمر تفتيش الوادي ايضاً . وللحلبة محمد بك راسم . ولتقاوي البرسيم البعلي عمر بك سلطان . ولتقاوي البرسيم المسقاوي ابو زيد طنطاوي . ولتقاوي البرسيم الحجازي بوغص باشا نوبار . وللحمص محمد سعيد الكبير . وللترمس علي السيد . وللبرسيم

الفول بوغص باشا نربار . ولتقاوي النيل مدرسة الزراعة . وللوبياء حسن شناوي . ولتقاوي البصل محمود الغنيمي

ونال مدالية الفضة المذهبة للقطن الميت عفيف عن مركز طنطا والسنطة مدام اغوبان وعن مركز شربين والبرلس محمد بدراوي عاشور . وعما يقابل بنها محمد الغنيمي وعن بلبيس دائرة فائقة هانم وعن هها والزقازيق دائرة القصر العالي وعن المنصورة وميت سمنود والبحر الصغير السيو انديزاكي وعن طوخ وقليوب وبنها والقناطر الخيرية والجيزة ابرهيم بك مراد . وعن الميت عفيف في الصعيد رياض باشا وعن العباسي في الغربية محمد بك راسم وفي البحيرة البرنس حسين باشا كامل وفي القليوبية دائرة الخاصة بستره . وعن النيونش في الغربية ابرهيم بك مراد



دليل المسافر

اشرنا الى هذا الكتاب النفيس في المقطم ووعدنا ان نسهب الكلام عليهِ في المقتطف فان مؤَلفهُ الفاضل السيد احمد بك الحسيني المحامي الشهير حقق طول الميل والخطوة والذراع والقدم بالمتر واجزائهِ بعد ان ذكر اختلاف الائمة والكتَّاب فيها مستنداً الى كثير من الكتب والشروح مما يدلُّ على انهُ قضى اياماً يبحث وينقب عن هذه المسألة لعلاقتها بالعبادات ولانها مسألة علمية تستحق ان توفى حقها من التمحيص حتى لا يبقى فيها مظنة ريب

اما طريقة تحقيقهِ ذلك فهي انهُ وجد بالاختبار ان متوسط سير الاقدام المعتدل لا يزيد على مئة خطوة وخطوتين في الدقيقة ولا يزيد اتساع الخطوة فيهِ على ٦٥ سنتمترًا فيكون سير الانسان بالقدم سيرًا معتدلاً ٣٩٧٨ مترًا في الساعة هذا هو سير القدم المعتدل المعتاد . وتحرَّى سير الابل واستقصى ذلك من عدد كثير ممن لهم وقوف وخبرة على مقدار ما يمكن ان تسيرهُ الابل المثقلة بالاحمال في ارض سهلة كما بين القنطرة والعريش فعلم ان البعير لا يسير في مثل هذه الارض اكثر من اربعة آلاف متر في الساعة الواحدة . وهو قريب جدًّا من سير القدم المتقدم ذكرهُ . واحضر ابلاً وسارت امامهُ في اوقات مختلفة فلم يتغير

سيرها عن ذلك فيكون مجموع ما يسيرهُ المسافر في يومين (٢٢ ساعة بترك ساعتين للراحة) ٨٨٠٠٠ متر . ولذلك فالميل الذي هو جزء من ثمانية واربعين جزءا من مسافة "القصر" يعدل ١٨٣٣ مترًا وقال المؤلف انهُ مقدَّر قديمًا ١٨٥٥ مترًا وهذا قريب جدًّا من المقدار الذي وجدهُ بالامتحان وان المراد بالباع والذراع الباع الفلكي والذراع الفلكية والذراع ربع الباع وهي ٤٦ سنتمترًا و ٨/٣ فاذا ضربت باربعة آلاف وهي اذرع الميل كان الحاصل ١٨٥٥ مترًا وذلك مقدار الدقيقة الارضية . واذا قيل ان الميل ثلاثة آلاف ذراع كما في عبارة القاموس او اربعة آلاف ذراع فالمراد بالذراع ذراع الاقدمين التي كل ثلاث منها تساوي اربعًا من اذرع المحدثين وهي اثنتان وثلاثون اصبعًا او ٦١ سنتمترًا و ٦/٥ فاذا ضرب طول هذه الذراع في ٣٠٠٠ فالحاصل ١٨٥٥ مترًا وهو عين المقدار السابق . ويصحُّ ذلك ايضًا اذا اعتُبر الميل الفا ذراع او الف ذراع لان في الاول يكون عدد الاميال ٩٦ في مسافة القصر وفي الثاني يكون المراد بالذراع الباع . وكذلك اذا اعتبر ٣٥٠٠ ذراع على ما قالهُ الامام ابن عبد البر لانهُ يراد بالذراع حينئذٍ الذراع التي وضعها الخليفة المأمون لما قيس لهُ محيط الارض وطولها ٥٣ سنتمترًا كما يستدلُّ على ذلك من طول مقياس النيل الذي نقش بامر الخليفة المتوكل على الله فاذا ضرب ٣٥٠٠ في ٥٣ كان الحاصل ١٨٥٥ مترًا وهو طول الميل على ما تقدَّم

والحاصل ان الاختلاف نسبي بين قولهم ان البريد فرسخان او اربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة اميال او ستة والذراع اربعة وعشرون اصبعًا او اثنتان وثلاثون . فان كان البريد فرسخين والفرسخ ثلاثة اميال كان الميل ستة آلاف ذراع والذراع ٣٢ اصبعًا وان كان الفرسخ ستة اميال كان الميل ثلاثة آلاف ذراع بالذراع المذكورة او اربعة آلاف ذراع باعتبار الذراع ٢٤ اصبعًا وان كان البريد اربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة اميال كان كذلك ان اعتبرنا الذراع ٣٢ اصبعًا كان الميل ٣٠٠٠ ذراع وان اعتبرنا الذراع ٢٤ اصبعًا كان الميل ٤٠٠٠ ذراع . واذا كان البريد اربعة فراسخ والفرسخ ٦ اميال كان الميل ٢٠٠٠ ذراع باعتبار الذراع الواحدة ٢٤ اصبعًا واما على اعتبار الميل ٣٥٠٠ ذراع فيكون البريد ٤ فراسخ والفرسخ ٣ اميال والذراع ٥٣ سنتمترًا . والذراع على اعتبارها ٢٤ اصبعًا يكون طولها ٨/٣ ٤٦ س وعلى اعتبارها ٣٢ اصبعًا يكون طولها ٦/٥ ٦١ س وعليهِ فمسافة القصر عند الائمة الثلاثة اربعة برد وهي ٤٨ ميلاً على اعتبار الميل ٦٠٠٠ ذراع او ٢٠٠٠ ذراع فعلى الاول تكون المسافة ٢٤ ميلاً وعلى الثاني تكون ٩٦ ميلاً وعلى كل التقادير البرد واحدة والمسافة واحدة لا خلاف في مقدارها وانما الخلاف في تقسيمها

وفي هذا القدر كفاية للدلالة على ما في الكتاب من التحقيق والتدقيق في هذه المسألة وغيرها من المسائل الشرعية التي بحث فيها

وقد وقف على هذا الكتاب جماعة من علماء القطر فقرّظوهُ واثنوا على مؤلفهِ بما هو اهلهُ ونحن نشاركهم في الاعجاب بهمتهِ والثناء على حضرتهِ . وقد زاد تفضُّلاً فقدَّم الكتاب مجاناً لكل من يطلبهُ وهي اريحية تذكر لتشكر

ثمانية عشر يوماً في صعيد مصر

وهذا كتاب آخر ذكرناهُ في المقطم بالايجاز وهو رحلة القاضي الفاضل السيد محمد مجدي بك من مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية وصف فيهِ ما شاهدهُ في رحلتهِ الى الصعيد منذ نحو عشر سنوات واستطرد الى الكلام على تاريخ المصريين وآثارهم فوصف هياكلهم ومدافنهم وشعائر ديانتهم والمدن التي مرَّ فيها ذهاباً واياباً وخلاصة تاريخها. وقد ابدع في الوصف حتى كانهُ شاعر يصف صور الخيال لا ناثر يقرر حقائق ما يرى ويسمع واسلوبهُ في الوصف افرنجي وان شئت فقل آري لم تعتدهُ اذن سامي عربي كقولهِ وهو امام مدافن بني حسن

"قمت من فجر الاثنين ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣١٠ وابتدأت مع لياحة غوغاء كانت تملو كلما طلع الصبح فكانها كانت صوت رعد بعيد نشأت بفرقعة على مسافة قاصية جداً امام اشعة الشمس او كأنها صراخ قوم اخذوا على انفسهم اعلان الفجر وبداية النهار باصوات يخافها الليل فيفر امامها بجيشهِ ثم اطلع عليهم الشمس وهم لا يكادون يفقهون قولاً مما يذكرون ويكررون

لما انفجع الصباح خرجت من مضجعي ولحظت القوم بالبر مختلطين بحميرهم قياماً وقعوداً بحيث يصعب مع بعض الضباب تمييزهم على بعد من بعضهم ولولا كلمة البقشيش التي كانت تخرج من افواه اولئك القوم بملئها لظننتهم حضروا في عصبة يطالبوننا بحق سيامي او بأجر عظيم بفهم اننا أُولو امر فيهم ولنا عليهم الحكم تلك الساعة

هو البقشيش تسبح لهُ بالصعيد رجالهُ ونساؤُهُ وتولد فيهِ الاطفال ناطقة باسمهِ العزيز وهو كمين في صدورهم جميعاً تظهرهُ رؤية غريب او حضرة امير غير حاكمهم. وكثيرًا ما قرأت عن البقشيش في كتب السياحات في الشرق وكنت اظن ما ورد فيها من قبيل الخرافات او اتوهمهُ مغالاة في القول او التنديد بالشرق وبلادنا ولكنني علمت بعد العيان والتأكيد بنفسي اني قرأت حقاً وانهُ لم يبالغ كاتب او سائح فيما كتب وذكر في مؤلفهِ وشرح في رحلتهِ بل ما قيل عنهُ كان دون الحقيقة وانهُ اذا ملأ صفحات سياحتهِ بذكر البقشيش وارباب فلا يخرج عن حد

الاعتدال في وصف ما يشاهدهُ الانسان ويسمعهُ في الصعيد من سكانهِ بخصوص ذلك الامر

هل اقول اني كنت لا اسر بما عاينتهُ عن امر البقشيش والنداء بهِ مع اني كنت اخجل في سرّي من عبارة المطالبة بهِ وفي حالة الطلب واني لا اعلم بما اصف بعض ظروف التاسهِ آناً ومكاناً وقد شاهدت مرة جملة اطفال ينادون بكلمات بقشيش ياخواجه في اثناء قضاء ... وكانوا بلباس جدهم ابي البشر وهو في جنتهِ وكم رأيت وكم سمعت وما القول وهو الفقر كاد ان يكون كفراً وفقر النفس الناشئ عن تعاسة الحال والجهل (وهو ضرب من الكفر) امرٌ من فقر اليد فعسى ان يعلن المصري بالجد والعلم والادب كرامتهُ بين الامم فيزهق الفقر من بلاد اظنها لم تخلق في الوجود للحرص عليهِ وحدها

صحصح الصبح وظهر النهار واتضح فاجتمعنا على سماط الخوان وفطرنا ثم تجهزنا لزيارة الآثار الكائنة ببني حسن وما نزلنا الى شاطئ النيل حتى تهافت علينا رجال معهم حميرهم واولادهم وصبيانهم فمن صارخ ومن شاتم ومن مزاحم ومن هاجم ومن باكٍ ومن شاكٍ ومن ومن مما يطول بذكرهِ الشرح وهل انجلى ذلك الحال الا بامر من صاحب الامر (ولكل مقام) وانهُ الشيخ مطاع بين الحمارين أفراد طائفتهِ ولله در سعيد الدليل حيث اشار الى المرشدين بتلك الجهة ان لا محل للصراخ وان الحال داعٍ للسكون

أُعدَّت لنا هناك ركائب حقيقتها حيوانات اشبه بالحمير صورة وهي دونها بكثير في الطول والعرض وما هي الا حمير تلك الجهة ولها فضيلة لا تهمل اذ يأمن راكبها مع صغرها وقصرها من السقوط وضررهِ فانهُ اذا وقع الحمار على الارض كان راكبهُ واقفاً على قدميهِ بلا مشقة ما. وهل حسبت السياحين اغفلوا ذكر حمير بني حسن فقد جعلوا لها كلمات باسطرهم اوجبت لها شهرة اكبر من حجمها ومع ما قيل فيها وما اعيد فهي باقية في تواضعها المتناهي بها الى الوهن تحت سروج بالية في غاية من التلف والوساخة"

وقال بعد وصف ما شاهدهُ في قبور الملوك المعروفة بابواب الملوك

"قف يا ابن آبائي واسمع حديث مفتون بسيرة اجدادك الكرام واصغ لقول مشغول بزيارة قبور القدماء عن الغذاء (والجوع كما نعهد قاهر كافر لا يصبر على جزيتهِ والتقسيط ليس من مألوف عادتهِ) فيا اخي لما انتهينا من الفرجة ولم يبقَ في التقريط من الحزام فرجة ومالت الشمس عن فيء الظهر مدَّ الاتباع سماط مائدة بسيطة جدًّا من محارم وفوط على اشكال مختلفة ووضعت على الارض امام مدخل باب سيتي الاول فاجتمعنا نحن السيَّاحون وكان بالقرب منا الحمارون وغيرهم وكانوا في شغلهم فاكهين يأكلون ويضحكون ويشربون ويتكرعون ويصرخون

ويقولون ما لا اود ذكرهُ ولا يصح قولهُ وما لا اسم لهُ واولئك هم الذين نعهدهم دائماً في كل وقت وفي كل مكان الاشقياء المسرورين والاذكياء المغبونين والضاحكين المسلوبين والتاهين والمستعبدين

اما نحن فبمجرد ما وضعت مواد الخوان فافرجنا عن السردين من حبسهِ المصفح وانتشلنا افرادهُ من رقادهِ الطويل وتجردت السكاكين والشوك وعملت في لحوم طيبة من نسل ابيس المقدس وتسابقت حراب الطعام لطعن اجسام الفاخت والديك والطائر الكريم وملء الطاس ولثم الثغر الكاس ودار الحديث وكلهُ الثناء العاطر والمديح الفاخر على قدماء المصريين وملوكهم وكل السياحين صاروا يذكرونهم باحسن الذكر وكنا نقول عن ذلك الكثير حتى لم يكن بيننا الاَّ ذكر اولئك الاماجد فتخيلت اننا جئنا قبورهم في موسم لهم نأكل الضحايا على ابوابهم وندعو خيراً لارواحهم وكأنها صلاة قامت بقربانها من فطيرة على صورة رع (الشمس الكبرى) ومن شريك يمثل تثليث اوزيريس وايزيس وهوروس (العزيز والعزى واللات أوهو) ومن مشروب البلح والعنب والزبيب وباهذا لولا مصافاتي لماء النيل القراح وحدهُ لحسبت ذلك الخيال حقيقة وربما كنت ظننت الوقت عاد الى العتيقة "

وقس على ذلك كثيراً من بديع الوصف وسلسلهِ وبينما القارىء يحاول تصوُّر المناظر التي يصورها لهُ المؤلف بالالفاظ ينتقل من حيث لا يدري الوفاً من الاعوام الى عهد القدماء كما ترى في قولهِ بُعيَد ما تقدم

"الدير البحري — الدير هذا في حالة تخرُّب بحيث لم يبقَ منهُ ومن مبانيهِ الاَّ أجزاء يسيرة جداً ومقول انهُ كان من رسم وصناعة المهندس او المعمار شهوت او شخوت الذي اجتهد كثيراً في اتقان بنائهِ وابداع نقوشهِ بمهارة اوجبت اقبال الملكة هاتاسو عليهِ حتى جعلتهُ رئيساً من المقربين لديها

اما الملكة هاتاسو فهي ابنة الملك طوطمس الاول من زوجتهِ الشرعية التي اسمها احموس وتزوجت باخيها من ابيها من سرية واسمهُ طوطمس الثاني ثم نسب اليها انها قتلتهُ ودعت اخاهُ من سرية ثانية اسمها إيزيت وأشركتهُ معها في الملك وزوجتهُ بابنتها هاتاسو مراره المولودة لها من اخيها طوطمس الثاني ولكن لم يلبث طوطمس الثالث كثيراً حتى انتقم من الملكة هاتاسو على قتلها اخاهُ طوطمس الثاني وبلغ منهُ الانتقام حدهُ الاقصى حتى طمس كل خاتم او خرطوش باسمها مما كان منقوشاً بهيكلها سابق الذكر"

وقس على ذلك الكتاب كلهُ فانهُ على هذا النسق من الوصف الشعري والشرح التاريخي

وحبذا لو زيد الاعتناء بتنقيح لغتهِ . وهو في مئتين وسبعين صفحة كبيرة موضحة بكثير من الصور والرسوم فنشكر لحضرة القاضي الفاضل اعتناءهُ بكتابة هذه الرحلة ونشرها . وهي تباع في مكاتب مصر الشهيرة وثمنها عشرة غروش

الطب الحديث

لما انشأ حضرة رصيفنا الفاضل الدكتور عيد مجلة طبيب العائلة خفنا انها تقفو خطوات غيرها من المجلات الطبية العربية فتحيا بضع سنوات حياة السقيم من قلة الغذاء ثم تموت فان تلك المجلات لم تمت لضعف في همة اصحابها ولا لنزارة مادتها ولا لعدم الحاجة اليها بل لان عدد القراء الذين يشتركون في المجلات الطبية كان قليلاً فلا يفي ما يدفعونهُ بنفقاتها اما الدكتور عيد فلم يقتصر في طبيب العائلة على ما يطلبهُ الاطباء وخاصة القراء بل عمم مواضيعهُ وبسطها حتى يقرأهُ غير الاطباء وغير الخاصة فكثر الاقبال عليهِ حتى وجد حضرة منشئهِ من اقبالهم ما حداهُ الى انشاء مجلة طبية خاصة سماها الطب الحديث وقد قال في مقدمة العدد الاول الذي صدر منها ان مجلة طبيب العائلة" صادفت من الاقبال والرواج ما شدد عزائمنا على الثبات في القيام باعباء هذا العمل حتى اتمت سنتها السادسة وهي سائرة الآن في العام السابع وفي ذلك مصداق لما حدثنا بهِ الوجدان من حاجة اهل الوطن العزيز الى نشرة دورية تنبههم الى الطرق الواجبة لحفظ صحتهم وهي الكنز الثمين . وفي اثناء ذلك تواردت علينا الكتب" من جمهور القراء وافاضل الزملاء الكرام يستحثون عزيمتنا لانشاء صحيفة تكون موقوفة على الطب وابوابهِ فجاء هذا النداء المتكرر مؤيدًا لصوت الضمير الذي كان يناجينا للقيام ايضاً بهذا الامر الهام . غير اننا كنا نتردد بين الاقدام والاحجام لاننا رأينا كثيرين قد سبقوا الى مثل هذا العمل فلم يلاقوا ما يثبتهم في خطتهم او يؤيدهم في مشروعهم فلما رأينا النجاح رائدًا لمجلتنا طبيب العائلة والضمير ينادينا والجمهور يشجعنا زال ما كان يدور في خلدنا من التردد واستخرنا الله تعالى على القيام بهذا المشروع الجليل . . . . وانما والحق يقال لا نكتم القراء ما يحول دون مشروعنا هذا من المشاق والصعوبات وما يجول في خواطرنا من الاشفاق عليهِ وضعف الأمل بنجاحهِ لما نراهُ من تقلص ظل اللغة العربية وانتشار التعليم بين الناشئة من الشبان باللغات الافرنجية وتغلب هذه اللغات على لساننا الفصيح خصوصاً في التعليم الطبي "

واماننا الآن العدد الاول من هذه المجلة وهو مدبَّج بكثير من المقالات الطبية المفيدة

باقلام جمهور من نخبة الاطباء الاولى في البلاغرا للدكتور سندوث وهي ملخص خطابة تلاها في المجمع العلمي المصري . قال فيها ان البلاغرا مرض مزمن مستوطن غير معدٍ مسبَّب عن تأثير الذرة الفاسدة يعتري افقر الفلاحين وينشأ عنهُ آفات في النخاع الشوكي والمعدة والامعاء ويؤدي احياناً الى الجنون وينشأ عنهُ ايضاً نقاط جلدي يصيب الاجزاء المعرضة للشمس. ولفظة بلاغرا ايطالية معناها الجلد الخشن ورجح ان فساد الذرة الذي تنتج عنهُ هذه العلة ناشيء عن باشلس تتولد منهُ مادة سامّة للانسان ولا يتولد هذا الباشلس في الذرة البلدية التي عليها مدار الغذاء في الوجه القبلي بل في الذرة الشامية او النيلية. وقد تبين من الاحصاءات الاخيرة ان في ايطاليا نحو ٦٠٠٠٠ مصاب بالبلاغرا

ويتلو ذلك مقالة وجيزة في الاغلوكوما المزمنة للدكتور علوي بك وكلام عن الجمعيات والمجلات الطبية للدكتور فورونوف والدكتور توفيه وعن المصل المضاد للتيفويد وعن الليسيتين للدكتور علي زكي الذي اتفق هو واستاذهُ الدكتور د يجريه على تجربتهِ واظهار فوائدهِ الطبية واثبتا انهُ يزيد في الجسم ويقويهِ وينشطهُ ويزيد قابلية الطعام ويثبت الفصفور في المجموع العصبي العظمي . وهو يستعمل الآن في الامراض الدرنية والامراض العصبية والعقلية وفي البول السكري والضعف العام وفي فقد شهية الطعام وضعف الاولاد

ويلي ذلك اخبار طبية مختلفة مما لا يستغني الطبيب عن معرفتهِ اذا شاء ان يبقى مجارياً لهذا العلم الذي تكثر جددهُ كلَّ يوم. فنشكر لحضرة رصيفنا الفاضل الدكتور عيد على هذه التحفة التي اتحف بها الوطن ونتمنى لها النجاح

رواية هملت

لشكسبير عند الامة الانكليزية المقام الثاني بعد التوراة والانجيل يقتبسون من حكمهِ اكثر مما نقتبس من حكم الجامعة ويتمثلون بابياتهِ اكثر مما نتمثل بابيات المتنبي . كتّابهم وشعراؤهم وخطباؤهم وجمهورهم في احاديثهم رجالاً ونساء يرصّعون اقوالهم بالدرر الغوالي المقتبسة من بحر شكسبير شاعرهم الاكبر وفيلسوفهم الاشهر حتى لقد قالوا اخيراً ان الناظم له باكون الفيلسوف لا شكسبير الممثل. والذين درسوا اللغة الانكليزية منا واطلعوا على آدابها حذوا حذو الانكليز في التمثل باقوال شاعرهم حتى لقد قلنا لسيدة سورية قبل كتابة هذه السطور ان هذا الكتاب رواية هملت مترجمة الى العربية فقالت على الفور Frailty, thy name is woman ثم اخذت تتمثل بابيات اخرى من ابيات هملت ولذلك انتظرنا ان نرى المعاني

المنسوبة الى شكسبير التي ابتكرها واخترعها محفوظة في ما يترجم منهُ الى العربية لكننا قلما رأينا شيئاً منها. الاَّ ان معرّب هذه الرواية(وهو الكاتب الاديب والشاعر المطبوع طانيوس افندي عبده) ترجمها عن الترجمة الفرنسوية ولا ندري كم حفظ المترجم الفرنسوي من المعاني الاصلية. ثم انهُ اودعها من الشعر الحسن ما لا يقلُّ عن شعر شكسبير رونقاً كقولهِ عن لسان هملت

ابني اين انت تنظر ما تمّ   صار عرساً ذاك الذي كان مأتم
اي فرق بين الكواسر والانسان   ان كان قلبهُ ليس يرحم

وقوله عن لسان اوليفيا

اصدّقهُ لان الحب يبدو   اذا ما هاج في القلب الغراما
وان صدقت اوائلهُ فماذا   يضرُّ القلب ان جهل الختاما

ونثر الرواية حسن كنظمها فمنا لمعربها الشكر الجزيل

الاستقلال

انشأ حضرة المحامي الفاضل نجيب افندي شقرا مجلة انتقادية حقوقية قضائية اجتماعية اقتصادية ادبية فكاهية سماها الاستقلال جعل قيمة الاشتراك فيها ريالاً واحداً في السنة. ومواضيعها كثيرة كما تقدَّم لكنها تبحث فيها كلها كما يظهر من العددين اللذين صدرا منها في العدد الثاني وهو امامنا الآن كلام عن تسخير المحامين وعن دين المجرمين على مذهب الاستاذ لمبروزو وعن نقائص القانون المصري. وعن آداب المجرمين اللغوية. وعن كيف يمكننا ان نربي رجالاً. وعن الشجاعة الادبية. والانتخابات لمجلس حلوان المحلي. وجانب من كتاب في المسؤولية لحضرة صاحب الاستقلال. وكأنَّ حضرتهُ جرى في ما كتبهُ عن الانتخابات على حسب قولهِ في الشجاعة الادبية الشجاع من ابدى رأيهُ حرًّا خالياً من شوائب الغرض. وهو قول صحيح ولكن هذا الشجاع لا يفيد احداً برأيهِ الاَّ اذا كان رأيهُ صواباً. فالشجاع المفيد هو الحصيف الرأي الواسع الاختبار الذي علمتهُ التجارب ما هو المفيد وما هو غير المفيد فارتأى الرأي الصواب وابدى رأيهُ حرًّا خالياً من شوائب الغرض والاَّ فان كان الرأي فطيراً او كانت خبرة صاحبهِ قليلة فخير لهُ ان يكتمهُ في صدرهِ لئلا يكون من ابدائهِ ضرر. وقوَّاد الامم هم اهل الحنكة والتجارب الذين نجحوا وارشدوا غيرهم في طرق النجاح واختاروا اقل الشرين واخف الضررين لا الذين قاوموا وجالدوا وجاهروا بما اعتقدوهُ صواباً ولو كان بعيداً عن الصواب او كان من المجاهرة بهِ ضرر يفوق الكتمان كثيراً

هذا واننا نرحّب بمجلّة الاستقلال ونود ان تحوز قصب السبق في بث الآراء الحكيمة ونشر الفوائد العميمة

الشرق المصوز

لا مشاحة في ان الصور تزيد المجلات رونقاً وتغني عن الاسهاب في الوصف وترسخ المعاني في الاذهان ولا بدَّ من ان يزيد الاعتماد عليها في مجلاَّتنا العلمية والادبية كلما زاد اتقان صناعة الحفر الكهربائي وقلَّت نفقاتهُ . والشرق المصور من المجلاَّت التي جلَّت في هذا المضمار فقد انشأهُ حضرة مديرهِ الفاضل احمد بك كامي الكريدي ليكون مجلة علمية ادبية فنية صناعية وزينهُ بكثير من الصور الشرقية والغربية فافتتح الجزء الاول منهُ برسم الجناب الخديوي واتبعهُ برسم جبل طارق والقناطر الخيرية والمرحوم خليل رفعت باشا وجامع محمد علي في مصر. وفيهِ كلام مسهب عن المدنية الحاضرة وغايتها واصولها وعن مصل شانتمس المضاد للتيفويد وترشيح الماء والمرشحات وخواص الاثمار النافعة صحيًّا. وورق الشرق جيد وطبعهُ متقن وصورهُ واضحة فندعو لهُ بالنجاح التام

الوهابيَّة The Wahabis

مقالة للقس الفاضل الدكتور زويمر تليت في جمعية فكتوريا الفلسفية في اصل الوهابين وتاريخهم وعقائدهم . ويظهر مما اوردهُ في هذه المقالة ان الوهابية منتشرة في بلاد الهند حيث يسمي اصحابها انفسهم باهل الحديث والفرقة الناجية والموحدين والمجاهدين لكن عددهم فيها غير كثير فقد بلغ ٩٢٩٦ نفساً في الاحصاء التي تمَّ منذ عشرين سنة ولعلَّ كثيرين من الوهابيين هناك لا يجاهرون بمعتقدهم لانهُ نسب اليهم الحث على الجهاد ضد الحكومة الانكليزية فلا يعلم عددهم تماماً قال المؤلف انهُ لقي واحداً منهم وسألهُ عن مذهبهِ فقال انهُ سني من الحنابلة وانكر انهُ وهابي لكنهُ لم يلبث ان قال انهُ تابع للامام عبد الوهاب. وهذا شأن الامام عبدالله بن ابي بكر بن قيم الجوزية صاحب كتاب الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية فانهُ يقول انهُ حنبلي ولا يقول انهُ وهابي

النتيجة الشرقية

كراسة كبيرة فيها كثير من الفوائد والتقاويم انشأها حضرة الصيدلاني المتفنن يوسف افندي الخوري لسنة ١٩٠٢ ومن الفوائد التي تتضمنها كلام مسهب على البعوض والعدوى . ونصائح صحية لمقاومة الامساك وهيجين المصابين بالبول الزلالي

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) لذة النوم

كفر طحا . احمد افندي محمد رزق . متى يجد النائم لذة النوم أقبل النوم ام بعدهُ ام في حالة النوم فاذا فرضنا انهُ يجدها قبل النوم فهو متهيّئ للنوم او في حالة النوم فانهُ لا يدري لذةً حينئذٍ او بعد فانها لذة انقضت

ج سئلنا هذا السؤال قبل الآن فاجبنا عنهُ بما يأتي

" ج اللذة شعور عقلي والعقل يشعر بما يحدث لهُ في الحال وبما سيحدث لهُ وبما حدث وفات . فاذا تذكر لقاء حبيب شعر بلذة وارتياح كما لو كان الحبيب حاضراً واذا فكّر بقرب دنوهِ شعر بلذة وارتياح ايضاً . فيمكن الانسان ان يشعر بلذة من مجرد الفكر بانهُ متعب وقد دنا وقت الراحة او بانهُ كان متعباً فنام واستراح اي قبل النوم وبعدهُ . ثم ان الحواس لا تنام كلها دفعةً واحدةً بل تدريجاً فتنام حاسة البصر اولاً ثم حاسة الشم ثم الذوق ثم اللمس ثم السمع اي تستريح من العمل واحدةً بعد اخرى ويشعر الوجدان بهذه الراحة قبل ان ينام . وقد تستيقظ تدريجاً ايضاً اولاً اللمس ثم السمع ثم الذوق الخ . وفي مخادع النفس قوى اخرى تشعر بحالة الجسد من الراحة والتعب وشعورها قد يقيد في الذاكرة على صورة غير واضحة فنتذكرهُ بعد ما نستيقظ فاذا تعب الانسان وهو نائم فقد يشعر بهذا التعب وهو نائم ويتذكر هذا الشعور حينما يستيقظ كما اذا اصابتهُ حمى شديدة فشعر انهُ يحرق بالنار او برد فشعر انهُ كان ماشياً على الثلج وهلم جرًّا . وعليهِ فيمكن الانسان ان يشعر بلذة النوم في اثناء النوم وقبلهُ وبعدهُ

هذا ما قلناهُ منذ ١٥ سنة في المجلد الثاني عشر من المقتطف ولا نرى وجهاً الآن لتغييرهِ

---

(٢) عدوى السل

طنطا . س . د . هل من خوف على انسان عمرهُ ثلاثون سنة من عدوى السل اذا عاشر المسلول

ج نعم ونعرف شخصاً ظهر فيهِ السل بعد ان جاز الاربعين

(٣) الشفاء من السل

ومنها . هل يرجى لهذا المريض شفاء اذا استعمل الوسائط اللازمة ولو كان كهلاً

ج نعم ما دام السل في بداءتهِ اي في الدرجة الاولى او الثانية واما اذا بلغ الدرجة الثالثة فالامل بشفائهِ قليل جدًّا والمرجح ان شفاءهُ بعد ذلك محال ولكنهُ قد يعيش سنين كثيرة كأنهُ سليم لان السل يكون قد وقف عند حد محدود ولم يعد يتجاوزهُ

---

(٤) من خاف قايين

المراغنة . فرياقص افندي ميخائيل . جاء في العدد ١٤ من الاصحاح الرابع من سفر التكوين قول قايين بن آدم موجهاً كلامهُ الى الله " قد طردتني اليوم عن وجه الارض ومن وجهك اختفي واكون تائهاً وهارباً في الارض فيكون كل من وجدني يقتلني " فمن كان يقصد قايين بقولهِ " من وجدني " ومن لا يستعمل الاَّ للعاقل هل خلق الله احدًا غير ادم

ج جاء في التفسير الانكليزي المنسوب الى جاميسون وفوست وبرون ان قايين اراد اناساً من ابناء آدم وان نسل الانسان كان قد كثر حينئذٍ

(٥) صحة علامات الفراسة

ومنهُ . يزعم البعض ان للانسان علامات طبيعية تدلُّ على صفاتهِ فالشعر في العنق يدل على البخل والجبن وكبر الدماغ يدلُّ على الذكاء فهل لذلك شيء من الصحة

ج بعضهُ صحيح وبعضهُ غير صحيح كما ترون في ما كتبناهُ وما سنكتبهُ في "الصحيح من الفراسة"

(٦) اسباب اللثغة

ومنهُ . هل اللثغة طبيعية في الانسان او توجد لها اسباب طارئة

ج اذا تُرِك الولد يلفظ الحروف كما يشاء ولم يُصلَح لفظهُ فقد يجيء في بعض الحروف كالراء والسين مخالفاً للفظ المالوف وهذه هي اللثغة وهي حينئذٍ طبيعية اي تكون مولودة ولكنها تزول بالتمرين والاعتناء . وقد يصاب المرء بمرض كالتيفوس فينهض منهُ والنطق متعذر عليهِ ثم يتمرن على النطق رويدًا رويدًا ولكنهُ يبقى الثغ في الغالب . فاللثغة حدثت هنا من علة عارضة

(٧) شعر الاقرع

ومنهُ هل يمكن انبات شعر الاقرع واذا كان يمكن فما الطريقة لذلك

ج اذا تُرِك القرع حتى يجري مجراه وقع الشعر بهِ وتلفت بصلاتهُ ايضاً ولم يعد نموهُ ممكناً واما اذا عولج باكرًا العلاج المناسب شفي ونبت الشعر ثانيةً

(٨) عيب خلقي

ومنهُ . رأيت غلاماً جفن عينهِ الاعلى مقطوع ثلثهُ تقريباً منذ ولادتهِ فما سبب ذلك

ج تشوُّه خلقي لا يعلم سببهُ

(٩) دواء الامساك

دمنهور . ا . ل احد المشتركين لي قريب صحتهُ جيدة لكنهُ مصاب بالامساك وهذا الامساك حديث ويزول اذا استعمل السنامكي والحلبة والسكر ثم يعود ثانية . وقد جاء في اعلانات المقتطف ان حبوب اب جون ضد الامساك فهل هذه الحبوب تقطع الامساك تماماً فلا يعود يرجع وان كانت لا تقطعهُ فهل يوجد دواء آخر يمنعهُ . وما السبب لحدوث هذا الامساك

ج عرضنا سؤالكم على حضرة الدكتور نقولا نمر صاحب الاعلان المشار اليهِ فاجاب ان حبوب اب جون المشار اليها تقطع الامساك اذا استعملت كما هو معلن عنها وتركيبها ليس خفياً فيستطيع كل طبيب ان يطَّلع عليهِ فيقر بفعلها . اما الامساك الذي تشيرون اليهِ فنرجح انهُ مسبب عن بلادة في الكبد وعدم افراز الصفراء الكافية واذا جرَّب قريبكم هذه الحبوب ثبتت لهُ فائدتها

(١٠) السمك واللبن

مصر . جرجس افندي بشارة . ما الضرر من أكل السمك واللبن حتى قيل لا تأكل السمك وتشرب اللبن

ج لا نرى في ذلك ضررًا وقد جرَّب احد المشتركين في المقتطف اكل السمك على انواع مختلفة وشرب اللبن واستمرَّ على ذلك مدة ولم ينلهُ اقل ضرر

(١١) فائدة الخمر

ومنهُ . قيل ان القليل من الخمر يصلح المعدة فاي نوع من الخمر اصلح من غيرهِ وما هو المقدار الصالح منهُ وما هي الاوقات المناسبة لشربهِ

ج اذا اشار الطبيب بشرب الخمر علاجاً وجب عليهِ ان يعين نوعها ومقدارها والاوقات التي تشرب فيها . هذا اذا اريد شرب الخمر علاجاً لتقوية المعدة واما اذا اريد شربها لمجرَّد اللذة فالناس اذواق بعضهم يفضل هذه الخمر وبعضهم تلك والغالب انهم يشربونها مدة تناول الطعام

(١٢) كذب الحواة

ومنهُ . ما هي العزيمة التي يقولها مستخرج الثعابين (الحاوي) حتى بمجرَّد تلاوتها في مكان فيهِ ثعبان يخرج الثعبان ويأتي اليهِ ولربما لا تعتقدون صحتها ناسبين اياها الى الشعوذة كما كنت اعتقدانا منذ اسبوع مضى ولكنني نظرت بعيني حاوياً اخرج ثلاثة ثعابين بمجرد تلاوتها

ج ونحن ايضاً رأينا حاوياً اخرج ثعبانين من مكتبنا ولم نعرف كيف اخرجهما

مع اعتقادنا انهُ خادع . وبعد البحث الطويل على غير طائل اعطيناه ُ ريالاً حتى كشف لنا سر صناعتهِ وهو انهُ كان يخبئ الثعابين في طيات ثيابهِ ثم يخرجها من جيبهِ او كمهِ بخفة تفوق الوصف اما الكلام الذي يقولهُ فلا تتذكر الفائدة ولكن لا علاقة له باظهار الثعابين وما هو الاً من التمويه والتدجيل

مسائل الجامعة

بعث الينا حضرة رصيفنا الكريم منشئ الجامعة بالمسائل التالية وبعث بها ايضاً الى بعض الكتَّاب طالباً منهم ان يجيبوه ُ عنها كلها او بعضها والمسائل هذه

١ ما رأيكم في الصحافة الحاضرة من مجلات وجرائد وكم واحدة تطالعون منها

٢ ما الواجب صنعهُ في رأيكم لتحسين حالتها وهل لديكم نصيحة خصوصية لها

٣ هل تعتقدون بوجود نهضة ادبية حقيقية في الشرق وهل هي جارية على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجاً

٤ هل لديكم نصيحة خصوصية للشرق والشرقيين وخصوصاً العثمانيين كالدعوة الى ادخال شيء جديد ونبذ شيء قديم

٥ ما رأيكم في مجلة الجامعة بنوع خصوصي وهل لديكم نصيحة خصوصية لها

ولا يسعنا الوقت ان نجيب عن كل مسألة منها بالاسهاب لو استطعنا ذلك ولكننا نقول بالايجاز ان للصحافة الآن شأناً كبيراً في القطر المصري وقد صار جمهور كبير من الامة يعتمد على الجرائد لبث شكواه ُ لدى ولاة الامور وصار كثيرون من ولاة الامور يلتفتون الى ما تقولهُ الجرائد فيمتنع صغارهم عن الحيف ويهتمُّ كبارهم برفع الظلامات وهذا نراه ُ كل يوم تقريباً. وصار اهل الزراعة وهم اكثر اهالي القطر يعرفون من الجرائد اسعار حاصلاتهم يوماً فيوماً فلا يخدعهم تاجر ولا سمسار . عدا ما في الجرائد من الاخبار والفوائد التي توسّع المعارف وتنوّر العقول . وما في الصحافة من غث يزول بناموس "بقاء الانسب" ولهذا مات كثير من الصحف التي لا محلَّ لها وغيَّر بعضها لهجتهُ حتى تناسب احوال العصر. اما المجلات العلمية والادبية فلا ينكر فوائدها عاقل

ونصيحتنا لرصفائنا اصحاب الجرائد والمجلات ان لا ينشروا شيئاً الاَّ وهم واثقون تمام الثقة انهُ صحيح وان من نشره ِ فائدة ما. فاذا فعلوا ذلك زادت فائدتها اضعافاً. ولا شبهة عندنا ان في الشرق نهضة ادبية حقيقية تظهر جلياً من مقابلة حالهِ الآن بحالهِ منذ مئة عام او مئتي عام وستزيد ارتقاء ولكن ارتقاءها بطيء ولا سيما في الامم المرتبطة بعادات ومعتقدات تصدُّها عن اقتباس العلوم والفنون الحديثة او تصدُّ نساءها على الاقل . ومن المقرر ان

الحكومة لا تستطيع ان تعلّم الامة وترقيها واعتماد الامة على حكومتها من هذا القبيل مجلبة للفشل ولكن الحكومة تستطيع ان تساعد الامة على التعلّم والترقي ويجب عليها ان تساعدها فتنفق على ترجمة الكتب ونشرها وتعليم النابغين من اولاد الفقراء مجاناً ومساعدة الجماعات التي تنشئ المدارس ومكافأة من ينفع بلاده بتأليف او اكتشاف او استنباط. وربما كان خير ما نفعله ان نرسل وفداً الى بلاد اليابان الفتية يبحث عن سر ارتقائها حتى صارت قرينة لانكلترا ثم يعود الينا بالخبر اليقين

ونصح للجامعة ان تثابر على خطتها فلا تدخر وسعاً في نشر الفوائد



باب الاخبار العلمية

دواء الحمى الملارية

اكتشف المسيو ارمان غوتيه اكتشافاً عظيم الشان وهو ان حقن الدم بقليل من مثيل ارسنات الصودا sodium methylarsenate دواء شاف من الحمى الملارية وذكر انهُ عالج تسعة بهذا العلاج فشفوا وكانوا قد اصيبوا بالحمى في افريقية ولم يستفيدوا من الكينا ولو بجرعات كبيرة وفحص دمهم بعد المعالجة فوجد انهُ تنقى من الميكروب (الهماتوزوى) الذي يسبب هذه الحمى. وهذا العلاج يزيل فقر الدم الذي ينشأ عنها ايضاً. ومن رأي المكتشف انهُ يجب استعمال هذا الدواء بدل الكينا في معالجة الحمى الملارية الخبيثة

آثار الاسكندرية

وجد في الشهر الماضي صندوق صغير من الرصاص في الاسكندرية قرب الشاطيء حيث حمامات زورو ابتاعهُ الاستاذ بوتي الاركيولوجي وفتحهُ فوجد فيهِ درجاً قديماً وجنينين مصبرين وفي الدرج عشرون سطراً باليونانية من اواخر القرن الاول بعد المسيح وهو اول درج من البردي وجد في الاسكندرية

ووُجد فيها ايضاً مدافن قديمة خاصة بالجزيرة التي كانت فيها منارة الاسكندرية عليها نقوش بديعة على نسق بمباي في احدها صور البوارج المصرية ذات الابراج العظيمة التي اقتبس مثالها الرومان في بناء بوارجهم بعدما تغلبوا على كليوباترا

آثار الكرنك

كان المسيو لغرين يرفع الانقاض من هيكل الكرنك لاعادة اعمدته الساقطة فوجد صفيحة من الحجر عليها اسم اوسترتسن الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة ثم وجد صفائح اخرى عليها كتابات كثيرة يمتد تاريخها الى اقدم مما وجد في الكرنك بالف سنة والظاهر انها من بقايا قصر لاوسترسن الاول هدمهُ ملوك الرعاة ثم لما قام الملك تطمس العظيم مهّد الارض وهو لا يدري ما فيها وبنى عليها هيكلاً فحفظت هذه الآثار تحتهُ

آثار طيبة

وجد المستر نيوبري في طيبة قصرًا صيفيًّا للملك امنهوتب الثالث لم يبقَ منهُ الا اراضي غرفهِ وهي مزدانة بصور كثيرة تمثل اساليب الصيد الوانها بهية كأنها وضعت امس مع انهُ مضى عليها الآن ٣٥٠٠ سنة

بئر الهرم الاكبر

تحت الهرم الاكبر من اهرام الجيزة غرفة كبيرة يوصل اليها من السرداب الموصل الى غرفة الملك ببئر تنزل اولاً عموديًّا ثم تميل الى ان تصل اليها على عمق مئتي قدم وقد كثر الردم في هذه البئر وفي مدخل الغرفة حتى صار الوصول الى الغرفة متعذرًا ولم يكن كذلك منذ ثلاث وعشرين سنة حينما زرنا هذا القطر اول مرة لاننا رأينا البعض نزلوا اليها امامنا حينئذٍ . وقد اهتمَّ المستر كوفنتن الآن بازالة الردم من البئر ومدخل هذه الغرفة فصار الوصول اليها سهلاً وأُطلق الهواء في السرداب الموصل الى غرفة الملك والملكة فلم يعد الداخل اليهما يجد مشقة من حرارة الهواء وفسادهِ

طفلة مرضع

كُتب الينا من سورية ان ابنة ولدت في قرية ابل السقي ولها ثديان كبيران يدرّان لبنًا وكلما اجتمع اللبن فيهما اكثرت من البكاء حتى يحلبا فتسكت. ولهذه النادرة امثال لكنها قليلة جدًّا

زلزلة شماخا

اصيبت مدينة شماخا غربي بحر قزبين بزلزلة عنيفة قتلت ٥ آلاف من الاهالي وتركت ثلاثين الفًا بلا مأوى . شعر السكان بالهزة الاولى نصف النهار في الثالث عشر من فبراير ولم تكن الأ ثواني قليلة حتى هدمت الكنيسة الارثوذكسية والجوامع وكل المباني العمومية ومئات من بيوت السكان وتوالت الزلازل ايامًا . والزلازل كثيرة التردُّد على تلك البلاد لانها كانت بركانية في غابر الزمان

ذهب كلنديك

بلغ الذهب الوارد الى اميركا مستخرجًا من كلنديك في العام الماضي اربعة ملايين

ونصف مليون من الريالات وبلغ ثمن المواد من مؤونة ونحوها التي أُرسلت الى العمال في تلك البلاد في العام الماضي خمسة ملايين ونصف من الريالات فالخسارة على طلاب الذهب مليون من الريالات

تعدُّد الرسائل البرقيَّة

استنبط الاستاذ ولِيم دران استاذ الطبيعيات في مدرسة كولورادو الجامعة اسلوبًا لارسال ثماني عشرة رسالة برقية على سلك واحد في وقت واحد فترسل عليهِ ذهابًا وايابًا من غير ان يعترض بعضها بعضًا

الاوتوموبيل في روسيا

استخدمت حكومة روسيا الاوتوموبيل لنقل البريد في بلاد القوقاس بدل خيل البريد وانشأَت مستودعات للكهربائية على كل عشرة اميال حتى تملأ المركبات بها

الاوتوموبيل والغبار

من رأى الاوتوموبيل جاريًا في طريق الجزيرة او الاهرام والغبار يتطاير من عجلهِ فيسدّ منافس الفضاء يسرُّ بان جمعية الاوتوموبيل الانكليزية عينت جائزة مئة واربعين جنيهًا لمن يكتشف اسلوبًا يمنع ثوران الغبار من سير الاوتوموبيل . فعسى ان يوفق احد الى هذا الاكتشاف ليزول من الاوتوموبيل ضرر كبير لا يمكن الاغضاء عنهُ

الزجاج في شوارع باريس

عرض بعضهم على مجلس باريس البلدي منذ سنة من الزمان ان يُرصف بعض شوارعها بانواع الزجاج بدل الحجر والاسفلت فرضي المجلس البلدي بذلك مشترطًا انهُ اذا لم يقم الزجاج المدة المفروضة فالذين وضعوهُ ينزعونهُ ويردون رصف الشوارع كما كان . والظاهر ان الزجاج وفى بالغرض المطلوب لان المجلس البلدي نفسهُ اخذ يرصف بعض الشوارع الآن . وكان اكبر اعتراض على الزجاج ان الخيل تزلق عليهِ في ايام المطر ولكن وجد بالاختبار انها لا تزلق عليهِ اكثر مما تزلق على الاسفلت . فاذا وفى بالغرض من كل وجه حقَّ ان يجرَّب في هذه العاصمة وفي الاسكندرية لان لا شيء يفوقهُ في جمال المنظر وسهولة التنظيف

المطر بالكهربائية

حاول الاوربيون والاميركيون مرارًا ايقاع المطر باطلاق المواد المتفرقعة كالبارود والديناميت فلم يفلحوا وقد حُفظ لاهل يابان ان يوقعوا المطر من بخار الهواء بطريقة علمية صحيحة وهي انفاذ الكهربائية الى هواء الجو حتى يتكاثف بها بخار الماء ويقع مطرًا . وقد جرَّبوا ذلك حديثًا فشرعوا في بث المجاري الكهربائية من الساعة الحادية عشرة ليلًا فلم تكن الساعة التاسعة من اليوم التالي حتى

تلبّدت الغيوم واخذ المطر يهطل فوق الاكمة التي كانت التجارب فيها وتكرّر وقوعه قبل الظهر وبعده الى الساعة التاسعة مساء وانتشر على اميال كثيرة . وفي عزم العلماء الذين جربوا هذه التجربة ان يعيدوا التجارب مرارًا حتى تثبت لهم صحتها

بالون سلطان مراكش

امر سلطان مراكش مولاي عبد العزيز فصُنع لهُ بالون من النوع المقيَّد يسع الف يرد مكعب من الغاز ويحمل ثلاثة انفس ويصعد بهم الى علو الفي قدم اي طول الحبل المقيد بهِ . ولهُ مركبة من افخر المركبات فيها تلفون متصل بالارض وهو يملأ غازًا من انابيب فيها غاز الهيدروجين المكثف . وقد صنع هذا البالون في فرنسا وكلما فُرّغت الانابيب من الغاز اعيدت الى فرنسا لتملأ ثانية . ونخاف ان يكون دهاة الاوربيين جارين في خطة اخوانهم الذين حسَّنوا لاسمعيل باشا الخديوي الاسبق انفاق الاموال الطائلة على مثل هذه الطفائف حتى تقيَّد البلاد بقيود من الذهب ويصير لاوربا الشأن الاكبر فيها بدعوى المحافظة على اموالها ومصالحها

اكبر جائزة لاحسن بالون

عينت شركة اميركية مئتي الف ريال جوائز تعطيها في معرض سنت لويس الذي يفتح في العام المقبل لمن يصنع احسن بالون يسار فيهِ في الهواء

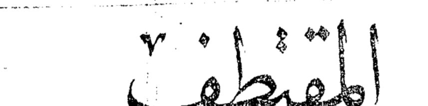
درجة حرارة الشمس

شرع الاستاذ تشارلس ولسن منذ عشر سنوات في عمل التجارب المختلفة لكي يعرف درجة حرارة الشمس بالتدقيق فوجد انها تعادل ٦٢٠٠ درجة بميزان سنتغراد او ١١١٩٢ درجة بميزان فارنهيت . واذا اضيف الى ذلك مقدار ما يمتصهُ جو الشمس من حرارتها الاصلية فدرجة هذه الحرارة ٦٦٠٠ درجة بميزان سنتغراد لان جو الشمس يمتص منها ٤٠٠ درجة

تلغراف مركوني

لم تبقَ شبهة في نجاح تلغراف مركوني اي التلغراف الذي ترسل بهِ الاشارات الكهربائية من غير اسلاك معدنية وقد وردت الانباء البرقية من اميركا مشيرة الى ان حكومة كندا عرضت على البارلمنت الذي فيها مقاولة عقدتها مع مركوني تعهدت فيها بان تعطيهُ ثمانين الف ريال لينشئ خدمة تلغرافية بين اوربا واميركا بشرط ان لا تزيد اجرة الكلمة على غرشين . فمتى اقتنع رجال الحكومة ورجال الاشغال بفائدة اكتشاف ونفعهِ التجاري فهو مفيد حتمًا ولا يبقى مانع يمنع انتشارهُ

فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والعشرين



الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣١٩

رجال المال والاعمال



سسل رودس

لا ندري هل يصدر هذا الجزء وصاحب الترجمة في عالم الاحياء يتغلب جسمهُ على الداء ويحيا الى ان يرى الامن مستتبًّا في جنوبي افريقية والذهب والماس يخرجان من تلك البلاد

بلا معارض ولا ممانع او يصدر بعد ان يذهب في سبيل كل حيّ تاركًا لامتهِ مثالاً في الهمة والاقدام تفاخر بهِ امم العالم وينسج ابناؤُها على منوالهِ مدى الاعوام

ولد في السابع من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٥٣ وابوهُ من خدمة الدين ليس على شيء من الثروة ودرس في مدرسة البلد الذي ولد فيهِ وبدت عليهِ مخايل النجابة في حداثتهِ ففاق اقرانهُ في الدرس واللعب وانجاز الاعمال وكان من الجوائز التي نالها لبراعتهِ نفقة تعليمهِ العلوم اللغوية التي مهَّدت لهُ السبيل للدخول الى مدرسة اكسفرد في ما بعد . وهذا امر شائع عند الاوربيين يجيزون النابغين من التلامذة بنفقة تعليمهم حتى اذا كانوا فقراء لم يمنعهم فقرهم عن التعلُّم في المدارس العليا

وكان لهُ اخ اكبر منهُ اسمهُ هربرت كان قد ذهب الى جنوبي افريقية واقام يزرع القطن في بلاد ناتال فمضى اليهِ وبلغ دربان في اواخر سنة ١٨٧٠ وجعل يساعدهُ في اعمال الزراعة المختلفة فطابت لهُ الاقامة في تلك البلاد لما رآهُ من طيب هوائها واتساع المجال فيها لاهل الهمم . ويقال انهُ شرع يحدّث نفسهُ من ذلك الحين بتوسيع نطاق السلطة البريطانية في تلك الارجاء

وكان اهل الخبرة يحسبون ان جنوبي افريقية سيناظر جنوبي الولايات المتحدة الاميركية في زرع القطن وان مستقبلهُ متوقف على ذلك لان غنى مناجمهِ لم يكن معروفًا ولم يكن يخطر على بال احد ان يُكتشف في تلك البلاد اغنى مناجم الذهب والماس فيمتلكها اغنياء انكلترا ويسوقوا الحكومة الانكليزية الى حرب عوان تهلك الالوف قبل ان تنشر راية الامان

ولما وصل سسل رودس الى تلك البلاد كانت الاشاعات قد تواترت فيها عن وجود حجر كبير من حجارة الماس عند قبيلة من القبائل الافريقية وصدَّق كثيرون هذه الاشاعات وضربوا في مجاهل افريقية باحثين عن هذا الحجر ثم عادوا بخفي حنين فقال البعض ان الاشاعة كاذبة فلم يعودوا يعبأُون بها وبقي غيرهم مصدقين لها يبحثون عن الحجر كلما مكنتهم الفرص . ومن هؤُلاء المصدقين رجل اسمهُ فان نيكرك بقي يضرب بين القبائل وهو يفتش عنهُ الى ان وجدهُ عند ساحر من سحرتهم يستعملهُ عوذة في شفاء الامراض وكان ذلك في اواخر سنة ١٨٦٩ فلما وقعت عينهُ عليهِ قال هذا هو ضالتي المنشودة وطلب من الساحر ان يبيعهُ اياهُ فابى فجعل يزيد لهُ الثمن وهو يزيد اباء واخيرًا عرض عليهِ ان يعطيهُ بدلاً منهُ العربة التي كان يسافر فيها والثيران التي تجرها . فدهش الساحر من هذا الثمن وقال هذا غنى لم اكن احلم بهِ فاعطاهُ الحجر واخذ منهُ العربة والثيران . وعاد فان نيكرك بهِ الى مدينة الرأس

وباعهُ باحد عشر الف جنيه وهو من اجمل حجارة الماس واستفاها ماء سمي بنجم افريقية الجنوبية واشترتهُ كونتس ددلي بثلاثين الف جنيه

ونحو ذلك الوقت رأى احد البوير اولادًا يلعبون بحصًى برَّاقة فنظر فيها واذا واحد منها ماس فاخذهُ وباعهُ بخمس مئة جنيه . وتكرَّر وجود حجارة الماس حتى لم تبقَ شبهة في انهُ كثير في تلك البلاد ولهُ مناجم فيها فقام مئات من الناس يفتشون عنهُ وهم يحسبون انهم يجدونهُ في مسيل نهر الفال كما يوجد الذهب في مسايل الانهر واخيرًا كان بعضهم يفتش عنهُ في بحيرة صغيرة جفَّ الماء منها فوجد كثيرًا منهُ في الطين الراسب فيها

وكان على مقربة من هذه البحيرة كوخ لفلاح من البوير مبني بالطوب النيء (اللبن المجفف في الشمس) فاتى هؤُلاء الرجال اليهِ ليستريحوا فرأوا في جدرانهِ حجارة تلمع فنظروا فيها واذا الجدران مرصعة بالماس لانها كانت مبنية من الطين الراسب في البحيرة

وشاع الخبر حالاً ووصل الى مدينة الرأس فتقاطر الناس افواجًا الى تلك البحيرة واقتسموا ارضها بالشبر وكان ذلك سنة ١٨٧٠ .وهناك الآن منجمان من مناجم الماس الاربعة وهما منجم دتوتسبان ومنجم بلتفنتين وهما قليلا الماس ؛ وفي السنة التالية اكتشف منجما ده بيرس وكمبرلي والاخير اصغر هذه المناجم الاربعة واغناها

وبلغت اخبار الماس هربرت رودس كما بلغت غيرهُ فقام مع من قام لطلب الغنى من اقرب ابوابهِ بدلاً من الاعتماد على شجيرات القطن والحرث والزرع والتسميد واخذ نصيبا من قطعة صغيرة في منجم ده بيرس ثم استدعى اخاهُ سسل اليهِ واشركهُ معهُ فوجدا كثيرًا من الماس في قطعتهما من اول يوم

وكان الماس يوجد في الحصى الصفراء فتحفر وتسحق ويبسطها صاحب المنجم على مائدة وينقي حجارة الماس منها بيده . وكان سسل رودس في ذلك الحين شابًا في الثامنة عشرة من عمرهِ طويل القامة قليل الكلام لا يعبأُ بلبسهِ ومنظرهِ وقد امتاز من ذلك الوقت بذكاء عقلهِ وبانهُ اوسع ادراكًا من الرجال الذين حولهُ من طلاَّب الجواهر وابعدهم نظرًا في العواقب وكان يجلس على كرسيهِ ساعةً بعد ساعة وهو يفكّر كأنهُ ينظر في سجلّ المستقبل ويقدّر ما تأول اليهِ تلك البلاد

ولم تطل الايام على هربرت رودس حتى سئم الاقامة في مناجم الماس فترك حصتهُ لاخيهِ وضرب شمالاً الى حيث كشفت مناجم الذهب يفتش عن المناجم الجديدة ويصطاد الوحوش البرية وبعد نحو خمس سنوات كان في خص من القصب فاحترق بهِ ومات

ولم تمضِ سنتان على سسل رودس حتى ربح من الماس الذي وجدهُ ما سهَّل عليهِ الرجوع الى انكلترا ودخول مدرسة اكسفرد لاتمام دروسهِ فيها وعزم ان يقضي مدة الدرس في المدرسة ويعود وقت اجازة الصيف الى مناجم الماس الى ان ينال الشهادة . ومضت السنة الاولى على سلامة لكنهُ اصيب بزكام شديد في آخرها ايفت بهِ رئتاهُ وظنَّ الاطباء انهُ مصاب بالسل وانهُ لا يشفى منهُ ولو عاد الى افريقية اما هو فعاد اليها وقت الاجازة وبقي فيها يستخرج الماس الى ان حان وقت الدرس فعاد الى المدرسة واستمرَّ يفعل ذلك الى ان اتمَّ دروسهُ ونال الشهادة. وكان يقضي ايام السفر ذهابًا وايابًا في الدرس . همَّة عالية تدل على مقدرتهِ الطبيعية والاكتسابية . والظاهر ان هواء افريقية وسفر البحر لاءما صحتهُ فنجا من داء السل كما ان العلوم التي تعلَّمها في اكسفرد وسَّعت عقلهُ واختبارهُ واهَّلتهُ للاعمال العظيمة التي قام بها بعدئذٍ ولمعاشرة العظماء الذين اتصل بهم

واول شيء ادركهُ بزكانة عقلهِ وحسن استدلالهِ ان الماس متولد من اصل بركاني فيستنزف ما يوجد منهُ على وجه الارض قريبًا ويصير استخراجهُ من باطنها امرًا عسيرًا لا يستطيعهُ اصحاب المناجم الصغيرة ما لم يتحدوا معًا ويؤَلفوا شركة كبيرة كثيرة المال لاجل الانفاق على حفر المناجم العميقة . والظاهر ان المستر برناتو الذي كان يستخرج الماس من منجم كمبرلي اتصل بحدسهِ الى النتيجة التي اتَّصل اليها رودس في الوقت نفسهِ

وكانت اراضي المناجم مقسومة اقسامًا صغيرة كل قسم منها اقل من عشرة امتار مربعة وكان نصيب سسل رودس واخيهِ ربع قسم منها وكانت حكومة الترنسفال تمنع الانسان الواحد ان يمتلك اكثر من قسم واحد ثم عدَّلت هذا المنع فاجازت للواحد ان يمتلك عشرة اقسام ثم ازالت المنع مطلقًا وكان سسل رودس ينفق ما يكتسبهُ في توسيع ما يمتلكهُ بابتياع اقسام اخرى

ونفد الماس من الحصى الصفراء والناس لا يعلمون انهُ يوجد في غيرها كما استنتج رودس بفراستهِ فجعلوا يبيعون اقسامهم وانصبتهم باثمان بخسة ورودس يشتريها منهم حتى صار لهُ جانب كبير من منجم ده بيرس وصار يسهل عليهِ ان يؤَلف لهُ شركة كبيرة وكان منجم كمبرلي قد سبقهُ الى ذلك وتأَلفت لهُ شركات عديدة افلست حالاً فضاعت فيها اموال كثيرة ورأَى رودس ان الفرصة لا تساعدهُ على تأليف الشركة التي يريدها وكانت تلك الشركات قد اكثرت من استخراج الماس فزاد على الطلب ورخص ثمنهُ جدًّا حتى صار القيراط منهُ يباع بخمسين غرشًا مع ان نفقات استخراجهِ تبلغ خمسة وسبعين فاشترى كثيرًا من الاسهم باثمان بخسة ورأَى ان لا بدَّ من ان يشترك اصحاب منجم ده بيرس ومنجم كمبرلي معًا ويتفقوا على ان لا يستخرجوا من الماس

الاَّ ما يكفي لاسواق اوربا واميركا حتى لا يزيد المستخرج على المقطوعية فترتفع الاسعار وتعود الى ما كانت عليهِ

ومنجم كمبرلي لا تزيد مساحتهُ على اربعة افدنة ونصف فدان لكنهُ كان يثمن باكثر من خمسة ملايين من الجنيهات وكان لالف وستمئة من الشركات والملاَّك الذين يجب استرضاؤهم فجعل رودس يحثهم على الاتفاق معهُ واستمرَّ على ذلك سبع سنوات ولما كانت سنة ١٨٨٥ حتى صارت المناجم الاربعة لاقل من مئة من الشركات والملاَّك وكان منجم ده بيرس مقسوما ٥٩١ قسما فصار ٥٨٢ منها لسبع شركات و٩ اقسام لثلاثة اشخاص واعظم هذه الشركات السبع شركة ده بيرس انشأها رودس وجعل رأس مالها ٢٠٠٠٠٠ جنيه ثم جعل يزيده ويشتري بهِ اقساما اخرى حتى صار ٨٥٠ الف جنيه سنة ١٨٨٥ ووزعت هذه الشركة حينئذٍ ٧ ١/٢ في المئة ربحا على مساهميها ولم تمض سنتان حتى اشترت حصص بقية الشركات والاقسام الباقية فصار منجم ده بيرس كلهُ لها وزاد ربحها رويدًا رويدًا فوزعت ١٢ في المئة سنة ١٨٨٦ و١٦ في المئة سنة ١٨٨٧ و٢٥ في المئة سنة ١٨٨٨ واشترت حصصاً كثيرة في منجم كمبرلي

وكان سسل رودس المدير لهذه الشركة والمالك لاكثر اسهمها قد اتقن اساليب الحفر واستخراج الماس حتى زاد ربحها الى هذا الحد ولم يعد في امكانهِ ان يزيدها اتقانا فلم يبقَ امامهُ سبيل للكسب الاَّ اذا اتفق مع اصحاب منجم كمبرلي على رفع ثمن الماس لا سيما وانهُ اغنى من منجم ده بيرس واكثر الماسًا منهُ ولا يعسر ان يخرج منهُ كل الماس الذي يمكن بيعهُ في الدنيا فتفلس شركة ده بيرس في سنة او سنتين وهذا ما كان يقصدهُ برناتو صاحب الحصة الكبرى في منجم كمبرلي حتى اذ افلس رودس وشركتهُ اشترى هو منجم ده بيرس وتصرَّف في ثمن الماس على ما يشاءُ ولو تمَّ لهُ ذلك وبقي في قيد الحياة لكان الآن اغنى اغنياء الدنيا بلا استثناء ولكن حيلة رودس كانت اوسع من حيلتهِ وحياة رودس اطول من حياتهِ

وعاد رودس الى بلاد الانكليز لهذا الغرض وقابل بيت رتشيلد وقال لهم اني لا اخاف الاَّ من هذا الشاب اليهودي برناتو . وكان برناتو شابًّا من فقراء لندن هاجر الى جنوبي افريقية وهو لا يملك شيئًا فاجتهد ودبَّر واقتصد وساعدهُ التوفيق حتى امتلك الجانب الاكبر من منجم كمبرلي وصار هذا المنجم لثلاث شركات الواحدة لهُ والثانية انكليزية متفقة معهُ والثالثة فرنسوية مستقلة عنهُ . فاسرع رودس الى باريس ليشتري هذه الشركة فقبل مديروها ان يبيعوهُ اياها واتفقوا معهُ على الثمن وبلغ برناتو ذلك فبعث اليهم يقول انهُ يدفع لهم ٣٠٠٠٠٠ جنيه زيادة عمَّا دفع رودس فعاد رودس وزاد على ما دفعهُ برناتو وظلاَّ يتزايدان الى ان رسا المزاد على

رودس فاغتاظ برناتو من ذلك وعزم ان يرخص ثمن الماس حتى يفلس رودس وشركته وجاهر بذلك . والظاهر ان بيت رتشيلد وغيره من المشتركين مع رودس خافوا العاقبة فلم يجاروا برناتو على قصده واخيرًا تألفت شركة كبيرة راس مالها نحو اربعة ملايين من الجنيهات اشترت منجم ده بيرس ومنجم كمبرلي واستأجرت منجم دتوتسبان ومنجم بلتفنتين حتى لا يناظراها واقفلتهما . ولم يكن مال الشركة وهو اربعة ملايين من الجنيهات كافيًا لابتياع الاسهم كلها فاستدانت من بيت رتشيلد نحو تسعة عشر مليون جنيه بربا ٢/١ ٥ في السنة ورفعت ثمن قيراط الماس حالاً من ١٣ شلنًا الى ٢٧ شلنًا ووزعت على حاملي اسهمها مليون جنيه في السنة فارتفع ثمن السهم من خمسة جنيهات الى اربعين جنيهًا . ويقال ان سسل رودس ربح من توحيد هذه الشركات اكثر من مليون من الجنيهات فاذا فرضنا انهُ اشترى اسهمًا بهِ فقط فقد بلغ ثمنها ثمانية ملايين من الجنيهات ومعلوم ان جانبًا كبيرًا من منجم ده بيرس كان لهُ فثروتهُ اكثر من ذلك كثيرًا وهو ينفق امواله على المصالح العمومية ولا ينفق على نفسهِ شيئًا يذكر حتى قيل انهُ منع مرةً من الدخول الى معرض كمبرلي لحقارة ملبسهِ

هذا طرف من سيرة هذا الرجل الذي طبقت شهرتهُ الآفاق واهتمَّ الناس بمرضهِ اهتمامهم بمرض ملك عظيم الشان ولا عجب فهو ملك الذهب والماس ورائد مُلك واسع الارجاء

البارون روتر

البارون روتر منشئ شركة تلغرافات روتر . ولد في كاسل بالمانيا سنة ١٨١٦ وتوفي ابوهُ وهو في الثالثة عشرة فاضطرَّ ان يقصد خالهُ في بنك غوتنجن ويخدم عندهُ صانعًا فقطع لهُ اجرة ثمانية جنيهات في السنة او ٦٥ غرشًا في الشهر

ولما كان لهُ سبع عشرة سنة من العمر كان يُرسَل الى الذين يودعون البنك دراهمهم لكي ياتي منهم بما يريدون ايداعهُ فاعطاهُ الاستاذ غوس العالم الرياضي ثلاثين ذهبًا فرنسويًّا فاخذها منهُ وعدَّها وهو راجع الى البنك فوجد ذهبًا منها مزدوجًا اي مما يساوي اربعين فرنكًا فعاد الى غوس ونادهُ قائلاً انك غلطت في عد النقود يا استاذ . فاغتاظ غوس من ذلك وقال اني لم اغلط بل هي ثلاثون ذهبًا كما عددتها . فقال لهُ نعم انها ثلاثون ذهبًا ولكن واحدًا منها اثنان . وبقي مدةً حتى اقنع غوس ان واحدًا منها مزدوج فهي واحد وثلاثون ذهبًا فرنسويًّا . فذهل غوس من امانتهِ وصادقهُ واطلعهُ على سر التلغراف الكهربائي وشرحه لهُ فبقي ذلك في ذهنهِ واستعملهُ لنقل الاخبار فجمع منهُ ثروةً طائلة واشتهر اسمهُ في الخافقين حتى يذكر اسم روتر

الآن في جرائد المسكونة اكثر مما تذكر اسماء ملوك الارض اجمع

وبحث في المسائل المالية وعمره عشرون سنة وارتأى رأيا في المالية الروسية بعث به الى وزير المالية في بطرسبرج فاجابهُ الوزير بعد سنة بجواب بعث اليهِ فيهِ ورقة مالية قيمتها خمسين جنيها علامة استحسانهِ للرأي الذي ابداهُ



ولما وُضع التلغراف الكهربائي في فرنسا والمانيا لم يوصل بين التلغرافين لاسباب سياسية فرأى ان يوصل بينهما بحمام الزاجل فقام هو عند الطرف الواحد وزوجتهُ عند الطرف الآخر وجعلا ينقلان اخبار التجار وغيرهم بواسطة الحمام من جهة الى اخرى ثم ينقلانها بالتلغراف فنجح في ذلك واكتسب منهُ كسبًا وافرًا. لكن لم يطل الفصل بين التلغرافين فوُصلا ولم يبقَ محل لعمله فتركهُ وذهب الى باريس لعلَّهُ يجد فيها عملاً يعمل به فلم يجد. وكان يفكر في انشاء وكالة تجلب الاخبار السياسية وتنشرها لكن احوال الحكومات الاوربية لم تكن تأذن بذلك فرأى بعد امعان النظر ان البلاد الانكليزية اصلح من غيرها لهذه الغاية لما فيها من الحرية

للجرائد ثمَّ مضى اليها ونزل في مدينة لندن سنة ١٨٥١ وتجنَّس بالجنسية الانكليزية وفتح وكالة لنقل الاخبار السياسية والتجارية . وكان اكثر اعتمادهِ على نقل الاخبار لتجار الاروام منهم الى عملائهم في موانئ المشرق ومن العملاء اليهم وعيَّن له وكلاء في الاماكن التي يصل التلغراف اليها وينقطع عندها فكانوا يتلقَّون اخباره التلغرافية وينقلونها مع السعاة الى المكان الذي يبتدئ فيهِ التلغراف ثانيةً . وغنيٌّ عن البيان انهُ درس احوال التلغراف في كل اوربا حتى يعلم اين يبتدئ والى اين يصل كل خط من خطوطهِ

وواظب على عملهِ هذا بغير انقطاع وكان اذا خرج من مكتبهِ ليأكل لقمة يوصي صانعهُ ان يدعوه حالاً كلما اتى زبون جديد . وذات يوم اتى رجل ليتكلم معهُ وكان قد خرج في شغل فاسرع الصانع اليهِ ليدعوهُ فقال لهُ عُدْ حالاً ولا تدعه يخرج قبل رجوعي فقال الصانع لا تخف يا مولاي فاني اقفلت الباب عليهِ حتى لا يخرج في غيابي . فسرَّ بذكائهِ ونجابتهِ فرقَّاهُ وهو الآن من اهم مديري شركة روتر

وحدث في ذلك الحين ان البارون بروتنك من اشراف الروس واغنيائهم هرب من روسيا الى انكلترا لسبب سياسي وخاف ان تستصفي (تحجز) الحكومة الروسيَّة املاكه فطلب من روتر ان يمضي الى روسيا ويبيعها له ولم يكن في وسعهِ ان يعطيهُ توكيلاً بالكتابة لان الحكومة الروسيَّة لم تكن تدع احدًا يدخل بورقة الى بلادها ومن وُجد معهُ شيءٌ من ذلك فعقابهُ النفي الى سيبيريا فاعطاه خاتمًا قديمًا يخص عائلتهُ فمضى بهذا الخاتم الى بطرس برج واقنع بهِ اقرباءهُ انهُ آتٍ من قبلهِ فاتمَّ لهُ المهمة التي ارسلهُ فيها

وبعد سنتين عاد الى روسيا وعرض على حكومة الروس مد التلغراف من شرقي روسيا الى بكين عاصمة الصين وسار الى بكين برًّا لهذه الغاية فقطع صحراء غوبي وقضى في هذه الرحلة سنة كاملة لكنهُ لم يوفق الى مد سلك التلغراف حينئذٍ

وبقيت الجرائد تمتنع عن نشر اخبارهِ الى سنة ١٨٥٨ فاقتنعت حينئذٍ ان من نشرها فائدة لها وانشأ وكالة كبيرة لجلب الاخبار التلغرافية من اقطار المسكونة وبيعها للجرائد ثم جعل هذه الوكالة شركة مساهمة سنة ١٨٦٥ وبقي هو مديرًا لها حتى سنة ١٨٧٨ وامتاز بسرعة جلبهِ للاخبار السياسية حتى ان اخباره كانت تسبق اخبار الحكومة الانكليزية وكانت الحكومة تعتمد عليها كأنها اخبار رسمية مرسلة اليها من رسلها

وحاول ان يفعل في برلين ما فعله في لندن فلقي من الحكومة الالمانية اشد المقاومة فشكا امره الى بسمارك وقال له علامَ تقاومونني هل تجدون في اخباري شيئًا من عدم الصحة

فقال لهُ بسمارك بل نجد انها صحيحة اكثر مما يلزم وهذا سبب اعتراضنا عليها ثم ابان لهُ ان الحكومة لا تسمح الاَّ بنشر ما تريدهُ من الاخبار وانها مستعدة ان تعطيهُ شيئًا عوضًا عمَّا يخسرهُ بالغاء الوكالة من برلين

ومن اعمالهِ المشهورة انهُ التفت الى بلاد ايران فرآها منعمة بالخيرات الطبيعية ولا تحتاج الاَّ الى اناس يستثمرونها فاقنع شاه ايران حتى اعطاهُ امتيازًا يجعل لهُ شأْنًا كبيرًا في استثمار خيرات البلاد لكن روسيا اعترضت على ذلك واقنعت الشاه حتى سحب الامتياز. الاَّ ان روترلم يعدل عن طلبهِ واخيرًا اقنع الشاه حتى اعطاهُ امتيازًا آخر بدل الامتياز الاول فحوَّلهُ الى بنك ايران الشاهاني Imperial Bank of Persia

وبقي الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٨٩٩ يشارك مديري شركتهِ في توسيع نطاقها وادارة اعمالها . وكان قصير القامة نحيف الجسم مدققًا في اعمالهِ اصيل الرأي حازمًا مقدامًا لا يكل من الشغل ولا يعبأُ بالمشاق وهذا سرُّ نجاحهِ

السل واستئصالهُ

مَن طالع المقالات المختلفة التي نشرناها في العام الماضي منقولة عن خطب مشاهير الاطباء التي تليت في مؤتمر السل يظهر لهُ جليًّا ان السل من الامراض التي يمكن اتقاؤُها ومنع انتشارها . وان خير الوسائل لذلك ان يفهم الجمهور حقيقتهُ وكيفية انتشار عدواهُ . ومن رأي البعض ان تهتم الحكومات بهذا الامر فتنشر المنشورات والوصايا الصحية بلغة يفهمها العامَّة وتمنع اختلاط المسلولين بالاصحاء وتمنعهم من البصق في الاماكن العمومية وتضطرهم الى البصق في آنية خاصَّة فيها مواد سامَّة تميت ميكروب السل الذي في بصاقهم . ومن رأي غيرهم ان تؤَلَّف لجان لهذا الغرض عينهِ

لكن الحكومة لا يهتم منها بالمسائل الصحية الاَّ فرع واحد وهو فرع الادارة الصحية . ورجال هذه الادارة لا يفعلون الاَّ حيث يُرسَلون وفعلهم قليل لِضيق النطاق لقلَّة عددهم . واللوائح والمنشورات لا تفي بالغرض كلهِ لانهُ ليس في طاقة كل حكومة ان تسنَّ القوانين لتنفيذها وهذا شأْن اللجان ايضًا فان فعلها محصور في دوائر ضيقة . ويظهر لنا ان الجرائد السيَّارة اقدر من غيرها على اذاعة ما يراد اذاعتهُ من الحقائق عن داء السل وكل الادواء المعدية وتعليم الناس طرق اتقائها وهذا ما نفعلهُ دوامًا في المقتطف وما نقصدهُ في هذه المقالة

كان السل يعدّ من الامراض التي لا يمكن ان تتّقى ولا يمكن ان تشفى وانهُ ينتقل بالوراثة من الوالدين الى الاولاد . وظلّ ذلك اعتقاد الجمهور من العامة والخاصة حتى سنة ١٨٨٢ حين قام الدكتور كوخ واكتشف ميكروب السل ورأى انهُ موجود في كل المسلولين فقال انهُ سبب السل . وهو اجسام صغيرة جدًّا لا ترى بالعين ولكن ترى بالميكروسكوب وهي مستطيلة كما ترى في الشكل الاول تدخل الحويصلات التي يتألف منها الجسم فتموت او تعيش وتتكاثر فتتلفها كما ترى في الشكل الثاني . وهي كثيرة في رئات المسلولين وفي بصاقهم وفي كل الاعضاء المسلولة ويمكن استخراجها منها وتربيتها في المرق او غيره من المواد المغذية والبحث في طبائعها



وهذا الاكتشاف اعظم كل الاكتشافات الطبية لانهُ ازاح الستار عن حقيقة السل واثبت للناس انهُ من الامراض التي يمكن اتقاؤها . وتظهر فائدتهُ من ان سبع اهالي اوربا كانوا يموتون بهذا الداء فضلاً عما يقاسونهُ من العذاب قبل موتهم بهِ فاتضح الآن انهُ يمكنهم ان يتقوهُ وان الذين يصابون بهِ يمكنهم ان يشفوا منهُ اذا عالجوهُ قبل ان يتمكن منهم . والسبيل الى ذلك اولاً ان يعرف كل احد من الخاصة والعامة حقيقة السل وكيفية انتشاره ووسائل اتقائهِ وثانياً ان تنشأ المصاح والمستشفيات لعلاج المصابين بهِ

اما من حيث الامر الاول فنقول ان ميكروب السل يدخل الجسم مع الهواء او الطعام ويقيم في الرئتين او العظام او المفاصل او نحو ذلك من اعضاء الجسم ويغتذي من انسجة الجسم التي حوله ويتلفها فلا تعود الاعضاء التي يستقرّ فيها قادرة على القيام بوظائفها فتنحرف الصحة ويتسمم الجسم من المواد السامة التي تخرج من ميكروب السل وتنتشر فيهِ

فالسل اذًا مرض معدٍ يتصل من المصاب بهِ الى السليم بواسطة الميكروب الخاص بهِ . وكل مسلول مركز تنتشر منهُ العدوى الى ما حولهُ ولا سيما الى الذين يخالطونهُ كثيرًا . وعدوى السل اشد من عدوى الطاعون والتيفويد ولكنها لا تظهر في من تصيبهُ سريعًا بل قد يتأخر ظهورها بضعة اشهر فهو مثل الجذام الذي ينتقل بالعدوى ولكنهُ لا يظهر في من يُعدَى بهِ الا بعد سنين كثيرة

واكثر ما تنتقل عدوى السل بهِ بصاق المسلولين فان تسعة اعشار المسلولين عدوا بالسل

من بصاق غيرهم . وهذه الحقيقة يجب ان ترسخ في ذهن كل رجل وامرأة وابن وابنة في كل المسكونة . ومتى رسخت في اذهانهم فهم انفسهم يجدون الوسائط اللازمة لاتقاء السل . وكلما سعل المسلول او عطس او تكلم خرج من فمهِ دقائق من البصاق حاوية لميكروب السل فتنتشر في الهواء الذي حولهُ وقد تدخل افواه الذين امامهُ مباشرةً اذا تكلم معهم او سعل امامهم او عطس في وجوههم

ثم ان نقط البصاق التي تخرج حاوية ميكروب السل تقع على الثياب والاثاث والارض وتجف وتتطاير ميكروباتها في الهواء وتمتزج بالغبار وتعود الى الارض ثم تثار منها حينما تكنس وتنتشر في الهواء ثانية فيتنفسها الناس وتدخل رئاتهم او يبتلعونها معاً يبتلعون من الطعام والشراب

ورب معترض يقول ان كان الامر كذلك وجب ان يعدَى كل الناس بالسل . والجواب ان ابدان كثيرين من الناس تقاوم هذا الداء وتتغلب عليهِ فلا تعدى بهِ او تعدى بهِ قليلاً ثم تشفى منهُ قبلما يظهر فيها ظهورًا واضحًا ومع ذلك فقد تقدم ان سبع اهالي اوربا يموتون بداء السل وفي بعض الاماكن يموت خمس الناس كلهم بهِ وكفى بذلك انتشارًا

ومما يعين ميكروب السل على النمو ويضعف الجسم حتى يصير هذا الميكروب قادرًا عليهِ الازدحام والرطوبة والظلمة وفساد الهواء وضعف القوى الحيوية من كثرة الشغل والهم

ومما يعيق ميكروب السل عن النمو ويقوي الجسم حتى يصير هذا الميكروب عاجزًا عنهُ الهواء النقي ونور الشمس الكثير والاعتدال في الاشغال والاعمال وطرق المعيشة فان هذه الوسائل تمنع السل وتشفي الجسم منهُ لانها تميت ميكروبهُ قبل دخوله وتقوي الجسم حتى يتغلب عليهِ اذا دخلهُ واذا عدمت ضعف الجسم رويدًا رويدًا ووجد ميكروب السل سبيلاً اليهِ

واذا كان السل يخرج من فم المسلول مع بصاقهِ فالحكمة والحيطة تقتضيان ان لا يطرح البصاق في كل مكان . وقد تألفت عصبة في باريس لاغراء الناس بالامتناع عن البصق في الاماكن العمومية وذلك بنشر المنشورات وتعليق الاعلانات التي تبين مضار البصاق . وقررت جمعية الصحة العمومية في برلين ان تسن الحكومة قانونًا تمنع بهِ الناس من البصق في الاماكن العمومية والمركبات . وقررت لجنة مدارس برلين ان توضع المباصق في كل غرف المدارس لكي يبصق الاساتذة والتلامذة فيها واذا كانوا مصابين بالسعال فعليهم ان يحملوا المباصق اينما ساروا ويجب عليهم حينما يسعلون ان يضعوا منديلاً امام افواههم لكي لا يتطاير النفث في الهواء . وعلقت حكومة الدنمارك اعلانات في كل الاماكن العمومية وفي محطات سكك الحديد ومكاتب البوسطة والمراحيض العمومية توضح فيها للجمهور ضرر البصاق

ووضعت الحكومة الاميركية في بوستن غرامة عشرين جنيهًا على من يبصق في مركبات

سكك الحديد والترامواي ونحوها من الاماكن العمومية وانزلت هذا القصاص اولاً برجل من اصحاب الملايين ثم كرر البصق ثانيةً فحكمت عليهِ بالحبس اربعاً وعشرين ساعةً

ومن الوسائل المتَّبعة في مقاومة الامراض المعدية اعلام ادارة الصحة بكل حادثة منها فاذا اصيب احد بالطاعون مثلاً تُعلَم ادارة الصحة بهِ فتنقلهُ الى مستشفى خاص بالامراض المعدية فتعالجهُ فيهِ وتمنع انتشار العدوى منهُ الى غيرهِ . وقد جرى مثل ذلك في امر السل في اميركا وفي بعض البلدان الاوربية . ويقال ان عدد الوفيات بالسل سيقل في مدينة نيويورك نحو ثلاثة آلاف كل سنة بهذه الوسيلة

واول ما يُعترَض بهِ على هذه الوسيلة هو نقل المريض من بيتهِ ومن بين اهلهِ وهذا لا يرضاهُ هو ولا يرضى بهِ اهلهُ . ولكن الحكومة لا تنقل الاَّ المسلول الفقير الذي لا يمكن وضعهُ في غرفة خاصَّة في بيتهِ اما المسلول الذي يمكن وضعهُ في غرفة خاصَّة في بيتهِ حتى لا يتعرض اهلهُ للعدوى منهُ والغرفة مناسبة لشفائهِ من حيث نورها وهواؤُها فلا داعي لان تتكلف الحكومة نقلهُ الى مستشفاها وهذا يطلَق على السل كما يطلق على غيرهِ من الامراض المعدية

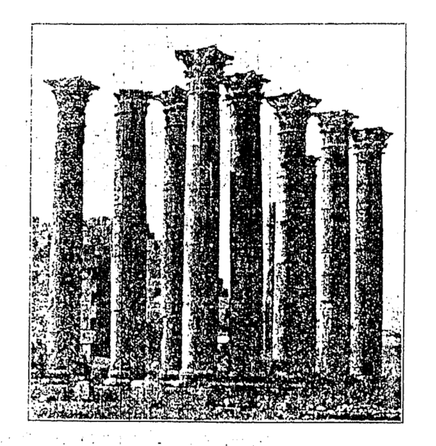
واذا كان المستشفى او المصح في بقعة طيبة الهواء وكان فيهِ التدابير الصحيَّة اللازمة لشفاء هذا الداء وجب على كل مسلول ان يقنع اهلهُ بنقلهِ اليهِ لانهُ يقلل تعبهُ ويقرّب شفاءهُ . وهذا ايضاً من الحقائق التي يجب ان ترسخ في الاذهان لتزول منها خرافة قديمة راسخة فيها وهي ان "المسبتال" باب القبر

ثم اذا أُعلمت الحكومة لم تكتفِ بنقل المريض الى المستشفى او بوضعهِ في غرفة خاصَّة بهِ في بيتهِ بل هي تطهر غرفتهُ بعد خروجهِ منها تطهيراً كافياً حتى يأ من غيرهُ السكن فيها لان ميكروب السل يلصق بالجدران والاثاث كما ثبت بالامتحان وكما يدل الاختبار من عهد قديم حتى اننا نعرف بيوتاً هُجرت ولم يعد يسكنها ساكن لظهور السل في الذين سكنوها عقباً بعد عقب . وتطهّر ايضاً امتعتهُ كلها او تحرقها حتى لا يبقى سبيل لانتقال ما لصق بها من الميكروبات الى غيرهِ

فاعلام الحكومة امر واجب الاتباع ولا سيما في المدن التي يسكن كثيرون من اهاليها بيوتاً مأجورة او ينزلون في الفنادق (اللوكاندات) فان من يستأجر بيتاً لا يبحث غالباً عمَّن كان ساكناً فيهِ قبلهُ وكذلك من ينزل غرفةً في لوكندة لا يسأل عمَّن كان نازلاً فيها قبلهُ فلا يحلُّ لاصحاب المنازل والفنادق ان يتركوا في بيوتهم ميكروبات داء خبيث مثل داء السل تترصَّد من ينزل فيها وتفتك بهِ بل يجب عليهم ان يعلموا ادارة الصحة حتى تأتي وتطهر الغرف التي كان فيها المسلولون وتزيل عدوى السل منها

ألا ان الواسطة الكبرى التي يُعتمد عليها لمقاومة هذا الداء الخبيث هي ان يعلم الجمهور كله الحقائق المتقدمة في هذه المقالة حتى ترسخ في اذهانهم ويصيروا يعرفون من انفسهم كيف يتّقون السل كما يعرفون كيف يتقون النار والافعى وكيف يمنعون جمرة في ايديهم من حرق بيتهم او بيت غيرهم وانتشار هذه المعرفة بين الجمهور لا يتم في سنة ولا سنتين بل لا بدّ له من سنوات كثيرة ٠ والجرائد السيارة خير واسطة لانتشارها

خرائب الشام



(١) جرش

بعث الينا احد فضلاء دمشق صوراً فوتوغرافية من تصوير سعاد بك مفتش الصحة في الولاية وكتب الينا معها يقول انها صور بعض الآثار القديمة المبعثرة في بلاد الشام وطلب منا ان نذكر تاريخها او تاريخ المدن التي بقيت منها. فاخترنا الصورة التي صدّرنا بها هذه المقالة لهذا الجزء وبعثنا بها الى من حفرها حفراً كيماوياً حتى تبقى على رونقها من غير زيادة ولا نقصان وحسبنا من وصفها ما يرى فيها من الانتساق ودقة الصنعة وانها قاوت الدهر نحو الفي سنة

مرّت بها العواصف وهطلت عليها الامطار وترددت عليها الزلازل وانتابها الحرّ والبرد ولكنها بقيت منتصبة حيث نصبها ابناء سورية الاقدمون تحدّث بمجدهم السالف وتتحسر على ما اصاب بلادهم من غِيَر الدهر ونوائب الايام

هذه الاعمدة من آثار جرش احدى المدن العشرة (ذكابولس) التي كانت شرقي نهر الاردن وهي بيسان (سكيثوبولس) وجرش (جراسا) وام قيس (جدَرا) وخربة السوسية (هبو) وفحل (بلاَّ) وعمان (فيلادلفيا)وقنوات(قناثا) وبيت الرأس (كابيتولياس) وادون (ديون) واربل (ابيلا)

وجرش على ٥٥ ميلاً من القدس شمالاً بشرق بين جبال جلعاد على سفحي اكمتين متقابلتين بينهما نهر كروان وهو احد نواصر نهر اليبوق المعروف الآن بالزرقا . ذكرها يوسيفوس المؤرخ وقال ان الملك اسكندر يانيوس قصدها طامعاً بخزائن ثيودوروس فافتتحها عنوةً وكان ذلك سنة ٨٥ قبل الميلاد . ثم دخلها انيوس قائد جيوش اسبسيانوس واستباحها نهباً وتخريباً لكنها بقيت رغماً عن ذلك من المدن الكبيرة وكانت من اغنى مدائن فلسطين في القرن الثاني والثالث فبنى فيها انطونينوس بيوس هيكلاً بديعاً للشمس بين سنة ١٣٨ و ١٦١ للميلاد ولا يزال احد عشر عموداً من اعمدة واجهته قائماً وهي المرسومة في صدر هذه المقالة طول العمود منها ٤٥ قدماً او نحو ١٤ متراً وقطره خمس اقدام وكان حول هذا الهيكل ساحة كبيرة يحيط بها صفان من الاعمدة لم يبقَ منها قائماً الاَّ عمودان

ثم اخنى الدهر على هذه المدينة فلم تعُد تذكر الاَّ نادراً ولعلها خربت بزلزلة قبل الاسلام لان فيها آثار كنيسة كبيرة وليس فيها آثار جامع وبقي امرها ضعيفاً الى زمن الصليبيين فدخلتها جنود الملك بلدوين الثاني سنة ١١٢١ وزاد انحطاطها بعد ذلك فذكرها ياقوت الحموي وقال انها خرائب مهجورة

وآثارها الباقية الى الان من اعظم آثار المدن الشرقية فلا يزال فيها ٢٣٠ عموداً من العمد القائمة بعضها من الطراز الكورنثي وبعضها من غيره وفيها مشهد بثمانية وعشرين صفاً من المقاعد تسع ستة آلاف نفس وهو من اكبر ادلة عظمتها السالفة لان مشهداً يسع ستة آلاف من النفوس يقتضي ان تكون المدينة التي هو فيها فخيمة آهلة بسكانها وهم في رفاهة وبسطة عيش. ومن آثارها ايضاً ستة هياكل كبيرة احدها اعمدة واجهته كورنثية وهو المشار اليه آنفاً وبركة كبيرة كانت تمثَّل فيها الحروب البحرية ويؤتى اليها بالماء بقناة كبيرة لا تزال آثارها الى الآن وحمامان وقناطر نصر واروقة كبيرة وكان القسم الداخلي من المدينة مسوراً بسور عظيم محيطهُ نحو ميلين ولعلهُ كان يحيط بالجانب الحصين منها

والبلاد التي انتجت تلك المدينة وانجبت سكانها لم تزل على حالها ولم يتغير ترابها ولا تغير ماؤها ولا هواؤها . والإحالة على القدر والدهر اسلوب من اساليب التعبير لا يقصد به اظهار حقيقة ولا تقرير حكم وانما الذي خرّب المدينة والبلاد كلها فساد الاحكام فانهُ افسد مصالح العباد واخلاقهم فتولاهم الضعف ودبّ فيهم الفناء فاصبحوا لا ترى الاّ منازلهم او خرائبها

اليزا اڤرت

ايتها النفس الزكية التي غادرت عالم الشقاء . وانتقلت من دار الفناء الى دار البقاء . اوحي اليّ لكي اقوم ببعض الواجب من وصف اخلاقك الراضية . فلقد طالما كنتِ توحين الى بناتك وتبثين في نفوسهنّ روح القيام بالواجب في السر والعلانية . نُعيت الى بناتك ومريداتكِ على غير انتظار بعد بُعد الدار وشط المزار

وكنا قُبيل الموت نستعظم النوى فقد صارتِ الصغرى التي كانت الكبرى

فشقّ علينا النعيُ حتى كاد يشقّ المرائر وما منّا الاّ كلٌ باكية تردّد قول من قال

فوا اسفا ان لا اكبّ مقبلاً لرأسك والصدرَ الذي مُلئا حزما

وان لا أُلاقي روحكِ الطيب الذي كأنّ ذكيّ المسك كان لهُ جسما

ولدت فقيدة العلم والادب والفضيلة والمحبة في مدينة ولوبي من ولاية اوهيو باميركا سنة ١٨٤٣ وتعلمت في مدرسة بلدها ثم في مدرسة ليروي الجامعة بنيويورك ونالت الشهادة العلمية سنة ١٨٥٨ وعادت الى مدرسة ولوبي فعلمت فيها اربع سنوات وانتقلت منها الى مدرسة ليروي ثم الى مدرسة كانتون حتى اذا اتقنت فن التعليم وادارة المدارس علماً وعملاً دعيت الى سورية سنة ١٨٦٨ لتدير مدرسة البنات الاميركية في بيروت . وكان همُّها الاكبر في اول الامر ان تتعلم اللغة العربيّة وتبث النظام والتهذيب في المدرسة . وكانت ذكية الفؤاد رخيمة الصوت رقيقة القلب وقورة المجالس فاحبها تلميذاتها واكرمنّها وبذلنّ جهدهنّ في طاعتها وارضائها وهي لا ترضى بغير الاجتهاد والتأدب وحسن السلوك ولذلك نجحت المدرسة في عهدها ونبغ منها كثيرات من اللواتي تزدان بهنّ مجالس مصر والشام في هذه الايام زوجات كنّ وامهات او معلمات ومربيات . واللواتي اقمن منهنّ في بيروت كنّ ينتظرن زيارتها في بيوتهنّ انتظار العيد ويحببنها حبّ الاخت للاخت ويكرمنها اكرام البنت للام

وكان اسلوبها في التعليم اسلوب المساعدة والترغيب حتى يقبل التلميذات على العلم من انفسهنّ

ويرغبن في الدرس ويستفدن منهُ . ورغَّبت التلميذات في درس العلوم الطبيعية كالطبيعة والنبات والحيوان والنبات مقتصرة على المعارف العامَّة منها . ولها كتاب حسن في علم النبات النظري وآخر في علم الحساب العقلي وضعتهما كليهما باللغة العربية عدا كتابها في سيرة بولس الرسول

وامتزت بحب التنظيم والترتيب وبتدقيقها في المحافظة على القوانين فكنَّا نرهبها رهبةً شديدة ولا نخالف لها امراً وهي تبدي لنا الحب والشغف ولكنها لا تتأخر عن قصاص من تخالف قوانين المدرسة القصاص المفروض لمخالفتها

وكانت هي نفسها القانون الأكبر والمثال الاوضح للسلوك والترتيب والتهذيب فان حركاتها وسكناتها وكلامها وسكوتها ومشيها وقيامها واكلها وشربها وتنظيم شعرها ولبسها ومقابلتها للناس وترتيب غرفتها وكتبها ومكتبها — كل ذلك كان دروساً لنا وقدوةً نقتدي بها . ولا انسى سهرها علينا ولا سيما على المريضات منا وترحيبها بتلميذاتها اذا زرنها بعد خروجهنَّ من المدرسة فتضيفهنَّ وتضمهنَّ كاخوات شقيقات وترحب بازواجهنَّ كاخوة واقارب

وعلى وفرة اشغالها كانت تكاتب تلميذاتها البعيدات عنها فتقصُّ عليهنَّ نوادر الاخبار وتسأل عن سلامتهنَّ وسلامة ازواجهنَّ واولادهنَّ وتظهر لاولادهنَّ من الحنانة والحب ما تظهره الجدَّة لاحفادها

ومنذ سبع سنوات استعفت من رئاسة مدرسة بيروت وعادت الى اميركا وآخر كتاب كتبت به اليَّ من هناك وصفت لي فيهِ دار المنقطعين بمدينة شيكاغو وما تجده من السرور في تربيتهم وتهذيبهم فان بعض النساء الغنيات من تلك المدينة انشأن هذه الدار للمنقطعين من الصبيان والبنات واطن ادارتها بها

ثم جاءَني من رفيقتها في تعليمها مسز تيلر التي كانت تعلمنا معها باسم مس لورن كتاب بتاريخ ١٧ فبراير تقول فيهِ ما ترجمتهُ " استطيعين ان تتصوري دهشتي وحزني حينما بلغني نعي عزيزتنا مس افرت يوم السبت الماضي (٨ فبراير) مرضت اربعاً وعشرين ساعة بالنزيف الدماغي لم تع فيها على شيء . . . وقد نقلتها اليَّ اختها . . . كم من ابنة وامرأة في سورية ومصر يقمن الآن ويطوّبنها . سبعاً وعشرين سنة سعت في الخدمة بلادهنَّ جعل الله سعيها مقبولاً لديهِ وتنعّم بها كل من عرفها "

هذا ما سطره قلبي العاجز ايتها المعلمة الكريمة والصديقة العزيزة من وصف ما تركت . سقى الله ثراك صيب رحمتهِ ونفع بنات المشرق بعلمك وفضلك وعزَّى ذويك وعزانا جميعاً عن فقدك

ياقوت صروف

عروسة النيل

الفصل العاشر

عادت باولين الى غرفتها وقد انهكها التعب واعياها السهر وقلق البال فانطرحت على سريرها وحاولت النوم فلم تغمض اجفانها ثم طلعت الشمس ونفذت اشعتها الغرفة فنهضت لتقفل النوافذ الفذ حرّها. وبينما هي تعالجها ابصرت حيرام يسعى الى ضفة النهر فوثب الى قارب ودفعهُ عن البر فلم تجسر على مناداته لئلا تسمعه من في البيت ولما توسط الماء التفت نحو غرفتها فرآها واقفة عند النافذة فلوّح بالمجداف اشارة الى نجاح مساعيه ففهمت انهُ عابر الى العدوة الشرقية وانهُ يريد التبطي للاتفاق معهُ وارساله في مهمته فاقفلت النوافذ وعادت فاستلقت على سريرها وقد اخذ النعاس منها كل ماخذ فنامت نوما ثقيلا افاقت منهُ والشمس في رائعة النهار

وكان اعيان المصريين وكبراؤهم في ذلك العصر يتشبهون باليونان في عاداتهم وآدابهم واحوال معيشتهم حتى انهم كانوا يتكلمون اليونانية في بيوتهم واجتماعاتهم الا اذا ارادوا مخاطبة الخدم والاتباع فبالقبطية لغة البلاد. وكان المقوقس واهل بيته كغيرهم من الاعيان يتكلمون اليونانية حتى ماري حفيدتهُ فقد كانت تحسنها قبل ان تعلمت لغة اجدادها فلما ضمَّ المقوقس باولين الى بيته عنيت بتعليمها الكتابة فسرَّ هو وزوجتهُ لاهتمامها وتعلقت بها نفس ماري واحبتها حباً شديدا فلم تعد تفارقها. ولما اشتد النفور بين السيدة نفورس وباولين ابت عليها ان تثابر على تعليم حفيدتها بحجة انها لقنتها يوما ما شيئا من كتاب صلوات الروم الملكيين وزعمت ان ذلك مفسد لعقيدتها والحقيقة انها احست بانصراف حب ماري عنها الى نسيبتها فاقامها ذلك واقعدها ورأت ان تضع لهُ حدًّا فنهت ماري عن الاجتماع بباولين ولم تعد الاثنتان تتكلمان الا خلسة حين تأمنان عين الرقيب

فلما افاقت باولين ذلك الصباح عمدت الى شعرها فاصلحتهُ واخذت تتهيأ للخروج فسمعت قرعا خفيفا على الباب ثم دخلت ماري وقد اشرق وجهها الحلو وبرقت عيناها فتقدمت الى باولين وقبّلت يدها فاكبّت هذه عليها وقبلت جبينها وشعرها ومسحت خديها ثم قالت لها

— ما بال الغزال مضطربا

— انهُ الحرّ فقد سمعت المهذبة تقول ان مصر في الصيف جهنم على الارض وقد فارقتها لتقلب كالسمكة على الرمال

— وتخلصتِ من عناء الدرس على اني ارى آثار الدمع في عينيك فما الذي ابكاكِ

— لو قلتُ لكِ لغضبتِ

— كلاَّ

— لقد حدث اليوم حادث ذو بال في المجلس وبعد ان تفرقت الجماعة تبعت اوريون الى دار التحف فاقبل على القطيف كمن يعدُّ حجارتهُ وبينما هو كذلك وثبتُ على ظهرهِ فذعر شديدًا واضطرب ثم دار اليَّ ولطمني لطمة شديدة فعجبت لقسوتهِ وخشونتهِ بعد لطفهِ وحنوّهِ فبكيت كثيرًا ثم سجنني في دار التحف

—اخطاتِ في ما فعلتِ فعمكِ شاب وليس من اترابكِ فلا يحسن بكِ ان تجاوزي حد اللياقة معهُ ولكن ما الذي تعلمينهُ من امر هذه الكلاب فقد اصابني صداع من نباحها

— هذه كلاب الصيد اطلقوها لاقتفاء اثر من سرق الزمردة من القطيف بعد ان خلّى نعليهِ في القاعة فجرت الى باب غرفتكِ هذه ثم عادت الى مسكن سائس الخيل وبعد ان دارت فيهِ انطلقت تعدو في شوارع المدينة حتى دخلت بيت غمالائيل حيث فارقتها ولا اعلم بعد أأدركت السارق ام لم تدركهُ

فاصفرَّت باولين لسماعها هذا الخبر وعلمت انهم يطلبون حيرام وانهم يتهمونهُ بسرقة الزمردة وهو بريءٌ منها ولما طال بها التفكير قالت ماري

ألاَ تظلين حزينة كئيبة فما للآخرين لا يحزنون مثلكِ

— لاني تعيسة وليسوا كذلك فقد قاسيت من الاهوال ما بدَّد الفرح من قلبي وشتت شملهُ واخشى انهم يطلبون حيرام عتيق ابي وهو من خير الناس واشدهم امانة وابعدهم عن السرقة

أوَ تعنين حيرام مربي الخيل صحيح فقد سمعتهم يتساءلون عن السائس الاكن

— اذا لم اخطئ قصدهم. قالت هذا وجلست على كرسي وغرقت في بحر التاملات وطافت ماري في الغرفة حتى بلغت صندوق باولين المفتوح فرأَت العقد فرفعتهُ وتقلدتهُ وفيما هي كذلك قرعت كاترينا الباب ودخلت فاسرعت الى باولين وقبلتها ثم عطفت الى ماري لتحييها ولما رأَت العقد اخذتهُ منها ولبثت تتأمل جمالهُ ودقة صنعتهِ التي كانت لا تزال بادية فيهِ رغمًا عمّا خسرهُ من بهائهِ بانتزاع وسطاهُ ثم لبستهُ وتناولت من الصندوق عينهِ مروحة من ريش النعام ووقفت تمثل حركات الاميرات والنبيلات في بلاط الامبراطور وهي تضحك وتمزح كعادتها . ولما فرغت باولين من ضفر شعرها دنت منها وامسكت العقد تريد نزعهُ فعلق موضع الزمردة

منهُ بثوبها فتركتهُ ماري وناولتهُ لباولين فالقتهُ في صندوقها ثم سألت كاترينا عن مكان اوريون فقالت انه جاء معها وانهُ غادرها ليزور رسمًا الجريح فقالت باولين

— هيا بنا الى الفطور ولا تنتظراني فقد ابطئ في النزول فقالت ماري بحقك لا تفارقيني فجدي مريض وجدتي قائمة على خدمته ومركبة كاترينا بانتظارها فاذا ذهبت بقيت وحدي فاجابت باولين اتبعك بعد ان ازور الجريحين وتقدمت الى غرفة ماندالي وقرعت الباب فاستقبلتها ممرضة من راهبات دير القديسة كاترينا فعلمت منها ان اوريون لم يطل المقام مع رستم فوقفت تفكر في امر حيرام ثم حانت منها التفاتة فرأت في الغرفة المجاورة هاشمًا والطبيب فيلبس منهمكين في الحديث وكان الطبيب في الثلاثين طويل القامة اصفر الوجه نحيل البنية ينبعث الذكاء والانفة من عينيه وفي عظام خديه بروز زائد وليس في ملامح وجهه مليح سوى جبهته وكأنها في اتساعها وشخوصها قبة فخيمة على بناء حقير

وكان موضوع حديثهما اوريون وكان الطبيب محبًا للعمل يحتقر الذين يقضون الحياة في البطالة وكرع الملذات ويعتبر العمر شيئًا مقدسًا يجب قضاؤُهُ في ممارسة الاعمال التي تعود بالنفع على صاحبها وعلى البشرية باسرها فمن فعل غير ذلك اصبح عضوًا مؤذيًا في جسم الاجتماع يجب اتلافهُ . وكان عالمًا بسيرة اوريون واقفًا على ما فعلهُ بماندالي وغيرها من النساء فبات قذى في عينيهِ اما هاشم فكان يرتأي العكس ويزعم ان الحياة حلم اجمل ساعاتهِ الشباب ويعتقد ان من واجبات المرء التلذذ في ربيع العمر هذا الى ان قال ومن العبث معاندة الاقدار فالمقدَّر كائن لا يمحي وان اوريون اليوم كسفينة فارغة تديرها الريح انى تشاء لكنهُ سيجلي عن صفات طيبة وطوية صافية وشجاعة غريبة فيما لو عبثت العواصف بسفينته او حلَّت بهِ مصيبة ترتعد لها فرائص غيرهِ . وفيما هم كذلك دخلت باولين عليهما فوقفا وحياها احسن تحية وكان بين فيلبس وبينها شيء من الصداقة نشأ فيهِ عن سوء معاملة نفورس لها وما ابدتهُ من الانفة والشهامة فانتصر لها وصار يحدثها كلما سنحت لهُ الفرصة ويجاوه صدرها بالاخبار فطاب لها كلامهُ والفت فيهِ معزيًا لها في كربها فلما جلست دار الحديث على ابيها فاخبر فيلبس هاشمًا انها لا تنفك تبحث عنهُ الى ان قال وارى في ذلك خطاء كبيرًا فاجاب التاجر

. اصابتْ واخطأتْ فلا يجدر بالمرء ان يستسلم لليأس . فقالت باولين وهذا عين ما اراهُ أوَ لستَ القائل يا فيلبس انك لا تزال ترجّي المريض حتى يقطع الموت حبل الامل فانا اليوم كذلك وسانفق آخر درهم املكهُ في البحث عنهُ رضي السبائي اوابوا . فقال هاشم

— وانَّى يتسنى لكِ ذلك وانتِ فتاة فلا بدَّ لكِ اذًا من معونة رجل ولما كانت مهنتي

تقضي عليَّ بكثرة التجوال والتطواف في البلاد فلو اذنتِ لي لكنت ذلك الرجل فساعدتك في طلب البطل توما

— ذلك لكَ وسأذكر فضلك ما حييت

— سنلقاهُ باذن الله وسأتولَّى الامر بنفسي ومتى عثرت عليهِ اعلمتكِ وسأذهب اليوم الى الفسطاط لمقابلة عمرو بن العاص فاتكلي يا ابنتي على الله انهُ وليُّ التوفيق

الفصل الحادي عشر

وبعد انصراف التاجر خانها الجلَد وودَّت لو سألتهُ الشفاعة في حيرام فهرولت تريد لحاقهُ فقيل لها انهُ امتطى جوادهُ وعبر الجسر (الكبري) الى الفسطاط واخبرتها احدى الجواري انهم لم يلقوا القبض على حيرام فرأَت ان زمن الشفاعة لم يحن ولكنها عزمت على اتخاذ جميع الوسائل لانقاذهِ ولو باعترافها بما رأَتهُ تلك الليلة لكنها استحسنت انذار اوريون قبل الايقاع بهِ لعلمها ان ازاحة الاثام عن الجاني يجلب العار على اهل بيتهِ ولانها على كرهها لهُ لم تنسَ ما لابيهِ من الايادي عليها وما كان لطاعتهِ من الوقع في فؤادها ولما حارت في امرها رأَت ان تعاود الاجتماع بالطبيب لعلَّها تجد في حديثهِ ما يفرج ضيقها فعادت ادراجها الى غرفتي الجريحين فنظرت اليها الممرضة شزرًا وقالت لها "من اذن لك في الدخول الى هذا المكان وماذا تطلبين فيهِ" فاجاب الطبيب وكان منهما بحيث يسمع الكلام فقال "انا اذنت فلا تعترضيها" ثم التفت الى باولين وقال ان الجريحين على ما يرام من التماثل من جراحهما واظنكِ جئت تطلبين اوريون الجميل فقالت

— اعلم انني لا اكترث لاوريون اكثر من اكتراثي لامهِ على ان في نعتك اياهُ "بالجميل" شيئًا لا احب ان اسمعهُ بعد فقد اتيت لاكلمهُ في امرٍ ذي بال

اذًا علامَ عدتِ بعد انصرافك فلو كنتِ مريضة . . . .

— انا والحمد لله في صحة تامة ولكني في حاجة الى ما ينبهني من هذا السبات الذي انا فيهِ

— اذا اردتِ بالصحة المتعارف بها فانتِ منها بحيث تحسدين ولكنكِ لستِ كذلك في ما اسميهِ صحة الفكر

— وما دليلكَ على ذلك اخطأٌ صدر مني

— معاذ الله ولكنهُ عدم اعتدادك بالسوى

— ومن تعني بالسوى

— جميع من في هذا البيت والمدينة والعالم فالناس في عينيك كالهباء المنثور او هم اقل قيمة منهُ

— ان عالمي في قلبي

— صحيح فالقلب فسيح يسع جميع ما نودعهُ على ان طول اقفاله يصدئهُ فاذا حاولنا فتحهُ حينئذٍ عجزنا ولا اخالك تنكرين انك كثيرة التلفت الى الوراء

— وما الذي القاهُ اذا نظرت الى الامام وما دليلك على اني كذلك

— دليلي ما عرفتهُ من طباعكِ واخلاقكِ ووقوفي على بعض ما يدور في خلدكِ فعاملك اليوم يتألف من عيشة الرخاء التي قضيتها في ما سلف من عمرك قبل ان اتيت منذ · اتذكرين تلك الصورة التي رأيتها معي حيث احد المردة يجري ورأسهُ ملويٌّ الى الوراء

— نعم اذكرها

— انتِ كذلك فقد قال بعضهم ان الحركة من طبيعة الاشياء فاما ان تتابعي سائر الناس او تجري وعيناك الى الوراء والنتيجة . . .

— انني اعثر واسقط

— لاخوف عليكِ من السقوط فقد منحتكِ الطبيعة من المواهب والاخلاق ما يندر مثلهُ

— وما عليَّ اذا اطلت التلفت الى الوراء ما دام لي فيهِ عزاءٌ

— قد يكون كما تقولين ولكن فاتكِ انكِ بعملكِ هذا تدوسين على ارجل غيرك فتؤذينهم ويسيئون الظن بكِ

— ولو ظنُّوا فلا اذكر انني الحقت اذىً باحد

— ولكنكِ فعلتهِ مرارًا غير متعمدة

— نخير لي ولهم اذًا ان نفترق .

— يخال الذين يطلبون العزلة عن بني جنسهم انهم يأتون امرًا عظيمًا ولكنهُ حبُّ الذات يدفعهم الى الدير او الى الكهوف والمغائر لان انفرادهم يحرم المجتمع من اسعافهم ونجدتهم واراكِ ترغبين في العزلة فتكنين في صدركِ جميع ما لديكِ فقد لقيتِ عناءً وشقاءً فاتخذتهما طعامًا لنفسك وبئس الطعام السخيف ولا يخفى عليكِ انني مارست احوال هذا الدهر فرأيت المصايب تحيي النفس في بعض الاحايين فتعلّم المصابين ان يرثوا لغيرهم وان يسعوا لتخفيف كربهم والمكروب يجد من اللذة في بعض السرور ما لا يلقاهُ غيرهُ في الكثير منهُ وقليل من الفرح يدخل على قلبهِ الابتهاج والطرب امَّا انتِ فلا فائدة لكِ من حزنكِ لانهُ مقفل عليهِ في صدركِ فلو

حسبتِ نفسكِ واحدة من القوم وبذلتِ ما عندكِ من المواهب التي ورثتها عن اسلافكِ العظام وخصَّكِ بها الله لانعقدت القلوب على حبكِ ولم يعد الناس يرون فيكِ شجرة شائكة يتقون الدنوَّ منها ولا اسهب الكلام بعد في هذا الشان فقد كفاني قول ما قلت عناءً كبيرًا لاني آثرت غيظك لكني لست بنادم على ما فعلت فقول الحق رأس الواجبات ولكن جزاء المجاهرين بهِ ان يبتعد الناس عنهم حتى الاصدقاء. ولما فرغ من كلامهِ وقفت باولين وبسطت يدها وقد بدا الرضا في وجهها فقال لقد حققتِ آمالي فاقبليني أخًا لكِ وهلمَّ الى تلك الجارية الفارسية فاذا قمتِ على تمريضها برئت وعاودتها الحياة والنضارة. فتقدمتهُ الى غرفة ماندانى وهناك شرح لها ما يتهدد حياتها من الخطر وما اتخذهُ من الادوية لعلاجها وعلَّمها صنع الضمادات ووضعها ومقدار الجرعات وساعاتها وافهمها ان المجروحة تهذي فلا باس من مجاراتها على هذيانها الى ان تفارقها الحمَّى ثم غادرها هناك وانصرف

فلما خلت بنفسها اسندت رأسها الى كفها واخذت تقابل بين اوريون وفيلبس ذلك بجمالهِ وبهاء طلعتهِ وشرف حبهِ وهذا بقبح صورتهِ وسلامة طويتهِ واخلاصهِ واجتهادهِ وفضلهِ فقالت في نفسها لقد كذب المثل القائل ان الوجه عنوان القلب والاَّ لكان اوريون فيلبس وفيلبس اوريون. وعلمت انها لقيت في الطبيب صديقًا صدوقًا ثم عادت تفكر في امر حيرام فادركت ان لا بدَّ من وقوع النفرة بينها وبين اوريون ومجافاة اهل بيتهِ اذا هي اصرَّت على المجاهرة بالحق في ما تعلمهُ من سرقة الزمرُّدة على ان ذلك لم يذهلها عن العناية بالمجروحة بحسب ارشاد الطبيب وجاءت الراهبة الممرضة فوضعت يدها على جبين ماندانى ثم قالت لقد فارقتها الحمَّى تقريبًا فزال الخطر والحمد لله. فداخل باولين شيء من السرور واحست كأن لها يدًا في شفائها ولما عاد الطبيب ورأى تماثلها سرَّ واثنى على باولين لحسن عنايتها بها وبشرها انها ستتعافى تمامًا ثم طلب اليها ان تبدل الضمادات ففعلت وهو يعجب بمهارتها فلما فرغت قال لقد حذقت الصناعة حتى يخالك الناظر من بناتها فاتركيها الآن نائمة فالنوم افضل دواء لها ولا اظنك فطرتِ فاقبلي دعوتي وتناولي الفطور معي فاجابت وجلسا كلٌّ الى خوان صغير وجاء الخدم بالصحاف والكؤوس وبالطير المشوية واللحوم والفاكهة فقالت باولين

هل لك ان تطرفني بشيء من تاريخ حياتك

— حبًّا وكرامة وسترينها حافلة بالمصاعب محفوفة بالمشاق فانا ابن نحويّ يوناني استقدموهُ من اثينا الى الاسكندرية ومات والدي وانا بعد فتى ولم يخلفا لي سوى شيء زهيد من المال استعنت بهِ على متابعة دروسي ثم اتخذت التعليم حرفة تنقلت في مدارس الاسكندرية واثينا

وقيصرية وانا في ذلك الوقت اعمل في تحضير العقاقير والادوية وادرس الطب وكان طعامي في تلك الايام قاصرًا على الخبز والفاكهة وشرابي الماء القراح فلم اذق اللحوم والطير والخمر الاَّ في ما ندر وقد لقيت في سبيلي من العقبات والمشاق ما يفلّ الهمم الماضية على انها لم تثبط عزمي ولا اضعفت مطامعي فثابرت على العمل ولا صديق آنس اليهِ او قريب اعتمدهُ او الجا اليهِ الى ان تمَّ لي ان احصد ثمار ماغرست وانا اليوم صديق هورس ابولو كاهن ايسس وهو شيخ هرم منقطع الى الدرس والبحث وقد اتفق لي ان صادقت نفرًا من خيرة الرجال على اني لم اتوفق الى مصادقة النساء ومن كان وجههُ كوجهي فلا غرو اذا نفرت الحسان منهُ

— فانا اول صديقاتك اذًا

— نعم وصديقتي الاولى نادرة المثال وهو ما يعزيني على فشلي في ماضي العمر

— ولكن قُدّر لصداقتنا ان لا تطول ولا سبيل الى معاندة الاقدار

— وكيف ذلك فاني ابذل حياتي في الدفاع عنكِ

— لا تحتاج لجلّ ما يستطيعون ان يفعلوهُ بي طردي من منف

— ومن يجسر على طردكِ

— اولئك الذين لا يزالون يحسبونني اجنبية عنهم فاذا نجحوا كان مثلنا مثل ديونوسيوس القيرواني وابنهِ

وكيف كان ذلك

— جاء في المحفوظ من الروايات ان ديونوسيوس هذا ارسل ابنهُ الى مدرسة في اثينا وشرع ينشئ مقالة له في ما يجب على التلميذ فعلهُ وما يلزمهُ اجتنابهُ فملأها بالحكم والامثال وقضى في تحبيرها اربع سنوات ولم يكد يفرغ منها حتى انهى الفتى دروسهُ ولم يعد في حاجة اليها فقد عقدنا عقد الصداقة ونحن نوشك ان نتفرَّق

— ولكن ما سبب انفصالكِ عنهم

— ستعلم ذلك قريبًا. فصاح وهو يتميز غيظًا

— من يخال طردك من منف امرًا سهلاً فقد خاب فألهُ . قد تتركين بيتهم ولكن مختارةً لا مكرهة فتخرجين منهُ عزيزة الجانب موقرة لكني لم احسب انهم يقدمون على هذا الامر . ولم يتمّ عبارتهُ حتى دخل اوربون فلما رآهما كذلك دهش وقال

— اظنني ازعجتكما بدخولي فاجابهُ الطبيب

— كلا

اوريون — ما احلى هذا الاجتماع فهل يتسنَّى لثالث ان يشترك فيهِ

الطبيب — لا حاجة لنا بثالث

اوريون — يسوُّني ان اقاطعكما ولكني آتٍ في مهمة وبعضها خاص بعتيقكِ يا باولين فقالت

— أعاد حيرام

— قد اعادوهُ وامر ابي بعقد المجلس لمحاكمتهِ فاذا دعوكِ فتهيأي لشهود التحقيق وبودّي لو استطيع اسعاف الرجل

— فاذًا سأُجبَر على ازاحة اللثام عن الفاعل

— طبعا وانت يا فيلبس فتنحَّ عنَّا فلي كلام اقولهُ لها على انفراد

باولين — قل ما تشاء بحضرتهِ فهو ممَّن يوثق بهِ

فهزَّ كتفهُ ودار ليعود من حيث اتى فلما بلغ الباب التفت اليها وقال

— لا تدعي الفرصة تفوت فحياة تابعكِ في خطر ولست اطلب منكِ مستحيلاً فترفضين .

فاومأَت باولين الى الطبيب بالانصراف فصدع باشارتها وبقيت مع اوريون وجهاً لوجه فقال

— ماذا جنيتُ يا باولين حتى بتِّ تتجنبينني كما يجتنب الابرص وعلامَ تبغين الايقاع بي

— لا ابغي الايقاع بك وانما اريد انقاذ تابع امين لي

— وتتعامين ذلك ولو آلَ الى هلاكي

— اذا اصررتَ على اتهام غيرك بذنب اقترفتهُ فلا تُستغرب ذلك مني

— اذًا كنتِ ترقبينني الليلة البارحة

— رأَيتك اتفاقًا وانت خارج من دار التحف

— لا اتولى سؤَالك عن علة وجودك هناك في تلك الساعة من الليل ولا اظنكِ للاجتماع بحبيب افلقيتِ مني غير الصداقة والحب حتى تجاهرين بعدائي

— أوَ تتهمني بالاجتماع بعاشق ثم تمنّ عليَّ بحبك وقد خطبت لنفسك اخرى

— ومن اعلمكِ بذلك

— امك

— فهمتُ الآن فهو الذي اثار البغضاء في صدركِ وفاتكِ ان غيرتكِ هذه دليل على حبك لي

— لا تخدعنَّك هذه التآويل فلستُ من الغبيَّات اللواتي يغويهنَّ كلامك العذب او تفتنهنَّ عطاياك فانا ابنة توما فاذا اراد خطيب غيري ان يطارحني الحب فليعلم ذلك المغرور

ان في النساء من تسخر بهِ نعدُ الى قضاتكِ وكن شاهد زور على حيرام فاطامهم انا على الحقيقة وسترى من يصدقون · فصاح اوريون وقد كاد الغيظ يخنقهُ

— سيصدقون ابن المقوقس وليتكِ رجلٌ فاجبركِ على طلب الصفح مني · لقد اقترفتُ ذنباً كبيرًا وساجني عاقبتهُ ما دامت البغضاء تغلي في صدركِ وغيرتكِ تعمي بصركِ

— لا غيرة ولا بغضاء فمن انت حتى افديك باشد الناس امانةً في خدمتي واكثرهم اخلاصاً لي فليحكم القضاة بيننا

— لكن حكمهم سيخالف حكمكِ فلا تحرجيني وانتهزي هذه الفرصة قبل ان يحل بكِ ما تكرهين

— افأنا اوخذ بذنبك ايضاً

— هل سمعتِ نباح الكلاب الساعة

— نعم سمعتهُ

— فاعلمي اذًا انهم قبضوا على حيرام وبعد ان شمَّتهُ الكلاب اطلقناها في البيت امام دار التحف فاجتمعت جميعًا على عتبتها وبعد الفحص عثرنا على وقع قدم بثلاث اصابع فاتينا بحيرام واذا في رجلهِ اليمنى ثلاث اصابع فقط وكان في الجانب المقابل اثر آخر علمتُ انهُ وقع قدمك وخلاصة ما يستنتج من ذلك ان اجنبيًا طرق البيت في الليل وانسلَّ الى دار التحف فسرق الزمردة فهبكِ كنت مكان القضاة اتغضين عن جميع هذه الحقائق وتؤثرين عليها قول فتاة يعلم الناس انها عدوة ربة البيت وانها تبذل وسعها في انقاذ تابعها

— يا للفظاعة فحيرام لم يسرق زمردتكم وانما هي زمردتي باعها الصيرفي فهل خفي الامر عن عين هاشم حتى لم يستطع ان يفرق بين الاثنتين

— نعم والليالي حبالى يلدن العجائب افأعطيتِ زمردتكِ لحيرام ليبيعها فتستعيني بثمنها على مغادرة منف . اراكِ صامتةً وهو علامة الايجاب فقد سلمنا انكِ تكرهين امي ولكن ما ذنب ابي وعلامَ تطلبين هلاك الابن

— لا اطلب هلاكك ولا اكره امك ولكن اباك ابى ان يعطيني من مالي ما ابحث بهِ عن والدي المنكود الحظ

فلما اعيتكِ الحيلة عمدتِ الى بيع تلك الزمردة النفيسة ولا ارتاب في ما تقولين فاني تحسبكِ مثال الصدق فاذا كنتِ لا تبغين ايقاع الاذى بي فاتبعي مشورتي واسمعي ما اقول :

— قل

— اتدركين ما لشرف المرء من القيمة في عينيهِ او تجهلين ان في افتضاح السرّ عارًا عليّ لا يمحى فاذا علم ابي بذنبي مات غمًّا وقهرًا وهذا تابعك يريد ان يتلبس بالجريمة فهو ساكت لا ينطق حرفًا فشاركيهِ في السكوت واذا اصرّ القضاة على معرفة ما جاء بحيرام اليك في الهزيع الاخير من الليل فتحلي ما شئتِ من الاعذار كأن تقولي انهُ سرق الزمردة ليبحث عن سيدهِ المحبوب فاذا اسعفتني بهذا القدر فاني اقسم باعز الاشياء لديّ وبراس ابي لاطلقنّ سراحهُ بعد ثلاثة ايام من صدور الحكم واعوضهُ من سجنهِ تعويضًا عظيمًا فالتزمي الصمت ولك مني ما قلت

وكان كلامهُ كلام خائف حذر يلتمس شيئًا ولا يدري ما يكون جوابهُ فرقّت لهُ واثر فيها تذللهُ واستعطافهُ وتبدّى لها كشجرة يانعة اصابتها صاعقة فشقت جذعها فاذا لم يسرع البستاني فيسندها القتها الريح على الارض. فاطرقت ساعة ثم اجابتهُ الى ما طلب بشرط ان ينقذ حيرام ولمّا وعدها بذلك اندفعت تخاطبهُ بكلام التوبيخ والتقريع حتى اعياهُ الغيظ وندم على اعترافهِ لها بجريمتهِ فتمكن كرهها في قلبهِ وتمنّى لو كانت رجلاً فيحاربهُ ويقهرهُ ولكنهُ كتم ما بهِ فلما فرغت من خطابها قال

— ارى انفصالكِ عنا خيرًا لنا جميعًا من بقائك فتهيأي الآن للذهاب الى المجلس فالقضاة في انتظارنا

— وانتَ فاحرص على حياة تابعي واذكر وعدك

— اذا قمتِ بوعدكِ فعلت والاَّ فالحرب بيننا . فبرقت عيناها وصاحت

— ايكن كذلك فعندي حجة قاطعة ان الزمردة زمردتي

— ويلٌ لكِ اذا احرجتني

— قال هذا وانصرف من امامها

الفصل الثاني عشر

فارق اوريون باولين وفي صدرهِ منها حزازات فشقّ عليهِ ان يهون بعد العزّ والرفعة وعجب ان امرأة تجرأ عليهِ بمثل ذلك الكلام وهو فاتن النساء ومغناطيس قلوبهنّ فخطر ببالهِ شيء رآهُ في بعض الكتب وفيهِ ان من ارتكب جريمة ودرى بها سواهُ فخيانتهُ وهلاكهُ بين شفتي ذاك فساءهُ ان يكون الواقف على دخيلة امرهِ باولين دون سواها وهي التي كان يخطب ودّها ويتمنّى قربها ويطلب رضاها فاصبحت الآن الدّ اعدائهِ على انّ ما ابدتهُ من امارات الاحتقار والكره لم يخفِ عليهِ حبها لهُ فقال في نفسهِ ان الحبّ ذو وجهين كالدينار احدها الانعطاف

الشديد والآخر النفور فهي تريني الساعة الوجه الثاني على ان رنة الذهب لا تخفى ولو خفي نقشهُ وأكاد اميّز رنّة الحب في كلامها القارص

وكان الحكم بالاعدام من امتيازات اسلاف المقوقس من يوم كانوا عمّالاً في الاقاليم المصرية في زمن الفراعنة قبل غزوة قمبيز ملك فارس وكانت راية الصلّ لا تزال تخفق على قصور المقوقس في منف وليكوبوليس (اسيوط) والى جنبها علم القديس جرجس قاتل التنين . وظلّ الوالي من اسرة المقوقس صاحب السلطة والحكم بالاعدام وغيرهِ من العقاب على المجرمين من اتباعهِ وسواهم في هاتين المدينتين وما سواهما من الاقاليم التي في عملهِ واثبت الامبراطوران يوستنيانوس وهرقل هذه الامتيازات بما اصدراهُ من الاوامر الملكية بشأنها فلما غزا العرب مصر واستولوا عليها ابقوا على امتيازات واليها كما تقدم

وكان المجلس المكلف بالنظر في القضايا الخاصة بقصر المقوقس مؤلفًا من كبار رجال القصر برئاسة الوالي نفسهِ فاذا غاب اناب عنهُ ابنهُ اوغاب عنهُ تولّى الرئاسة نياس الخازن لما اشتهر بهِ من بُعد النظر والحكمة والخبرة فامر المقوقس ابنهُ اليوم ان يرأس المجلس بنفسهِ ودفع اليهِ خاتمهُ علامة السلطة واوصاهُ بمعاقبة الجاني اشدّ العقاب تأديبًا لهُ وارهابًا لغيرهِ لكن اوريون لم ينسَ وعدهُ لباولين فتوسّل الى ابيهِ ان يخولهُ السلطة التامة في امر الحكم وقال ان هاشمًا من ذوي الانصاف واهل المروءة والاحسان فلا اخالهُ يصرّ على قتل السارق فضلاً عن ان حيرام ليس من اتباع القصر ولكنهُ في خدمة نسيبتنا فسرّ المقوقس لاعتدال ابنهِ وأذن لهُ باعتماد رأيهِ وتمنى لو يستطيع الحضور في المجلس لكي يراهُ بعينيهِ يتولّى زمام اشرف الاعمال واعظمها فقبّل اوريون يدهُ والكآبة ملء صدرهِ لعلمهِ ان مدح ابيهِ واقع في غير محلهِ ولانهُ لم يجهل هول موقف يتّهم فيهِ بريئًا بجريمتهِ ويحكم عليهِ

ولما دخل المجلس وجد فيهِ مرضع باولين تخاطب نياس الخازن وهي تبرق وترعد وتقسم ان حيرام بريءٌ وانهُ باع زمردة سيدتهِ لا زمردة القطيف بدليل ان العقد لا يزال في صندوقها وفيهِ مكان الزمردة الى ان قالت او يسرّكم ان تأتوا بابنة توما العظيم الى هذا المجلس كأنها من عامة الناس . فلما سمع اوريون ذلك امر بسجنها موقتًا فذهل نياس لحدة سيدهِ واضطرب لاضطرابهِ وخال اوريون ان باولين خدعتهُ فلزمت الصمت بحسب وعدها وارسلت مرضعها الى نياس احذق القضاة وادهاهم فباحت لهُ بالسرّ وسردت لهُ الادلّة المثبتة براءة حيرام فاشتدّ بهِ الحنق وعزم من تلك الساعة على ردّ كيدها في نحرها فاطرق هنيهة ثم هبّ من مكانهِ واسرع الى كوخ بوّاب القصر وكان هذا البواب في شبابهِ حدادًا وصانع اقفال فلما شاخ دخل في خدمة

المقوقس وظل يعمل في صناعتهِ كلما دعت الحاجة وكان اوريون في صباه يتردد اليهِ ويلهو بمساعدتهِ فيفك الاقفال ويصلحها ويصنع صناديق صغيرة من الخشب المحفور ويقدمها هدايا لوالديهِ في عيد ميلادهما وهو العيد الذي كان المصريون القدماء يحتفلون بهِ ويتبادلون فيهِ الهدايا. فلما بلغ الكوخ تناول شيئًا من الادوات فدسَّهُ في جيبهِ ورأَى باقة من الزهر كان قد قطفها قبلُ لباولين فحملها ايضًا واسرع الى غرفتها فاقفل الباب وجثا امام صندوقها بعد ان طرح الازهار على مائدة قائلاً اذا ابصروني قلت انني جئت لاعطيها الباقة

ثم عمد الى لوالب مفاصل الصندوق فحلّها وقلبهُ يخفق خوفًا وجزعًا ويداهُ ترتجفان فلما نزعها رفع الغطاء شيئًا فشيئًا خشية ان ينكسر القفل ومدّ يدهُ الى الداخل فكان اول ما لمستهُ العقد فاخرجهُ ونزع منهُ موضع الزمردة فاخفاهُ في جيبهِ وبينما هو كذلك خطر لهُ خاطر ارقصهُ فشق ثوبهُ واخرج سلسلة من الذهب متدلية من عنقهِ وفي طرفها حجر كريم نفيس عليهِ نقش قديم من افخر ما صنع الصنّاع فنزعهُ من مكانهِ ووضعهُ في العقد مكان الزمردة ورد العقد الى الصندوق ثم اطبق الغطاء واعاد المفاصل واللوالب الى مكانها واحتمل الازهار بيدهِ وسار الهوينا الى الباب ففتحهُ واطلّ منهُ فاذا الجوّ خال فاسرع الى الطبقة السفلى وهو يطفر ابتهاجًا فلقيتهُ مهذبة ماري فحياها ورمى اليها بالباقة فشكرتهُ واكبرت تنازلهُ اما هو فسار الى المجلس فدعاهُ نيلس لتبوءِ كرسيّ الرئاسة ففعل وبعد ان استراح وقف وشرح القضية واتى على البينات التي تصرف التهمة الى تابع باولين وكان كلامهُ متقطعًا والارتباك باديًا عليهِ ولم يخفَ ذلك على القضاة لكنهم نسبوهُ الى حداثة عهدهِ في القضاء ولما فرغ اومأَ الى حيرام وامرهُ ان يدافع عن نفسهِ فتمتم شيئًا ثم قال انهُ بريء من التهمة وان في استطاعة سيدتهِ اظهار براءتهِ للملإِ فالتفت اوريون الى القضاة وقال

ان سيدتهُ فتاة عريقة الحسب ولها نسابة بنا فلا يليق بنا ان نمرّغ اسمها في هذه الحمأَة على اني سمعت مرضعها تقول شيئًا لنيلس قد يؤُول الى تبرئة المتهم لكننا نتخذ جميع الوسائل لكشف المخبإِ ولما كنتم غير واقفين على تفاصيل المسأَلة رأَيت ان اعلمكم ان سيدة المتهم شديدة التعلق بهِ فهو ومرضعها البقية الباقية لها من بيت ابيها فيحتمل اذًا ان شريفة مثلها تحوّل شيئًا من التهمة اليها لتنقذ تابعًا امينًا مخلصًا في خدمتها افترون اذًا ان ندعو المرضع او تكتفون بما قالتهُ لنيلس دفاعًا عن المتهم فاجاب نيلس

— لقد سمعتَ بنفسك يا مولاي ما سمعتهُ انا ايضًا ولما كنت لا استطيع اعادة قولها تمامًا فليؤْتَ بها الى الحضرة فاستحسن الباقون رأيهُ واتي بها فلما سئلت عما تعرفهُ لثبات السرقة قالت

— لقد غالى حيرام في الصمت والحقيقة ان سيدتي لا يهمها من الوجود سوى البحث عن ابيها فلما فرغت دراهمها واعيتها الحيلة امرت عتيقها هذا بنزع زمردة كبيرة من عقد لها وبيعها ففعل وهي الزمردة التي اتهموهُ بسرقتها . فوقع كلامها وقعاً شديداً في نفوس القضاة ومالوا جميعاً الى تبرئة حيرام ففطن اوريون الى مرادهم فقال

— من العجب العجاب ان يخلق في ساعة واحدة حجر يماثل حجر القطيف بحيث لا يستطيع امهر الصاغة التفريق بينهما وما حكاية هذه العجوز سوى حديث خرافة يقصد بهِ مخادعتنا عملاً بوصية سيدتها التي تريد ذرّ الرماد في عيوننا وتطلب تبرئة تابعها ولو كلفها ذلك عناء كبيراً هذه هي الحقيقة فهل تصرّين يا امرأة على ما قلتِهِ او لكِ كلام آخر تثبتين بهِ صحة دعواكِ . فلما سمعت المرضع كلامهُ وكانت تحسبهُ نصيرًا لسيدتها استشاطت غيظاً فصاحت بهِ

— لقد فات الصدق وعقد سيدتي في صندوقها وفيهِ مكان الزمردة فهو اصدق شاهد على صحة قولي . فاجاب اوريون

— لم يبقَ مندوحة من دعوة السيدة باولين الى المجلس فسِرْ اليها يا نيلس وليأتوا بذلك الصندوق ايضاً وادِّ لها واجب الاحترام كما يليق بمن كان مثلها من الشريفات . فصدع نيلس بالامر وبعد قليل عاد بها وبالصندوق فحياها اوريون واومأ اليها بالجلوس ثم طلب الى نيلس ان يشرح لها سير القضية الى تلك الساعة وان يوقفها على ما يعدهُ القضاة دافعاً لها في عملها هذا ويفهمها ان العدالة ستأخذ مجراها . ورأت باولين الشرّ بادياً في عينيهِ ففهمت انهُ سيخلف وعدهُ ظناً منهُ بانها ارسلت المرضع سرًّا لتطلع نيلس وسائر القضاة على كنه الامر فيبرئوا حيرام ويلقوا تبعة السرقة على مرتكبها فوقف نيلس وشرح القضية الى ان قال ونحن جميعاً آذان لاستماع دفاع السيدة النبيلة عن نفسها وعن تابعها ثم ننظر في هذا الصندوق والعقد الذي فيهِ . فاستحوذ القلق على اوريون وعلا وجههُ الاصفرار واحسّ كأنهُ الجالس بما فيهِ محجوب عن عينيهِ بحجاب من الضباب وعلم ان باولين ستخذل وتفشل في مناوأتها اياهُ لكنهُ تمنَّى مخرجاً لهُ من ضيقهِ دون ان يكلفها ذلك العناء وايقن انهُ بفعلتهِ هذه سيخسرها وتنقضي بخسارتها سعادتهُ فلما فرغ الخازن من الكلام رمت باولين مفتاحاً على المائدة وقالت فليفتحوا الصندوق فاسرع بعض الخدم وفتحوهُ فتناولت العقد ورفعتهُ لكنها لم تكد تراهُ حتى طرحتهُ على المائدة وصاحت يا للعار وخارت قواها فتمايلت كالثمل واتكأت على مرضعها لئلاَّ تسقط الى الارض فدنا منها اوريون يريد اسعافها لكنها رشقتهُ بنظرة ملؤها الغيظ والاحتقار وحرقة القلب فثبت في مكانهِ فعمدت الى كرسيٍ وجلست . واذهل القضاة ما رأوهُ فتقدم قائد الحرس فرفع العقد وشرع يتأملهُ فلما بلغ

وسطاه' قال هذا لعمري حجر كريم والذي يزيد في قيمته ما عليهِ من النقش فهذا اله الحبّ وتلك الاهة العقل عشيقته تبش في وجههِ ويلوح لي ان السيدة اخطأَت فاخرجت عقداً غير الذي نحن في صدده فهل رأَيت يا غالائيل انفس من هذا. فقاطعهُ اوريون وامرهُ بالصمت ودنا نياس من باواين وسأَلها عما اذا كان العقد الآخر لا يزال في الصندوق فلم تجبهُ لان الذهول والدهشة اخرساها وحارت باية معجزة تسنَّى لاوريون ان يفعل ما فعل لعلمها ان مفتاح الصندوق مربوط بسلسلتها فشقَّ عليها ان ينتصر الباطل ويدحض الحق فهبَّت من سباتها وعاودها النشاط والقوة فعزمت على الدفاع الى النهاية لكنَّ قلبها أَبى عليها ان ترمي اوريون بالسرقة فتشهرهُ وتعبث بصيتهِ وذكرت وعدها لهُ واحسان ابيهِ اليها فرأَت ان تحفظ الوعد وتقابل احسان الوالد بالعفو عن ابنهِ وكانت تفكر في امرها واوريون ينظر اليها ويحاول الوقوف على ما يدور في خلدها ثم انتبهت الى حيرام وقد شدوا وثاقهُ وربطوهُ الى سارية كما كانوا يفعلون بالمجرمين فخطر لها ان سكوتها قد يؤَدي الى هلاك نفس بريئة فاذا خلصت هي فلن يخلص فعاودها عزمها الاول وحوَّلت وجهها عنهُ الى القضاة وقالت

— لقد خُدعتم وانطلت عليكم حيلة يراد بها اذلالي وقمعي فانظروا الى هذا الموثق واحكموا ما اذا كان في وجههِ ما يدلُّ على ارتكاب الجرائم وقد بلوتُ امانتهُ واخلاصهُ بنفسي يوم رماني الدهر بنكباتهِ فانهُ ابى ان يتخلى عني انا المسكينة اليتيمة فترك زوجتهُ وابنهُ وتبعني والآن فاذا اردتم الوقوف على الحقيقة تكلمتُ والاَّ .... فصاح اوريون تكلمي فقالت

— يعلم ابن المقوقس ورئيس هذه الجلسة ان بوسعي الوقوف موقف الشاكي لكنني احجم اكراماً لخاطر ابيهِ الكريم ولاني اعزُّ شأْناً منهُ وهذه الاشارة تكفيهِ امَّا الزمردة فقد اقتلعها حيرام بامري من عقدي امس في الليل وقد رأَى غيري العقد بعد ذلك وشاهد موضع الزمردة فيهِ وبقي العقد على حالهِ الى ما بعد ظهر اليوم حين علّقت يد جان اثيم هذا الحجر بهِ ولما كان هذا الحجر نفيساً يساوي الالوف فالفاعل ذو ثروة طائلة ولعلَّهُ اغناكم وانت يا غالائيل فبكم تقدّر ثمنهُ . فاجاب

— لم تقع عيني على مثلهِ واني اشتريهِ بوزنتين على اعوازي

فذهل القضاة وداخلهم العجب فقال اوريون

— ان هذا من خوارق المعجزات فقد نمي الينا اخبار عن الكرم حتى خلنا ان هذه الخلة ضاعت ولم يبقَ سوى اسمها فاذا بها اليوم فينا فلعلَّ مارداً هوى الى الارض فاستبدل قطعة من الذهب بحجر كريم كهذا فاخبرينا ايتها السيدة من رأَى العقد

— رأتهُ ماري حفيدة المقوقس

— اتعنين تلك الطفلة التي تكاد تعبدك والتي تطيعك كما يطيع الكلب صاحبهُ

— لم ترهُ وحدها فقد كانت كاترينا ابنة سوسنة هناك ايضاً وهي ليست بطفلة بعد فاطلب اليكم ايها القضاة باسم العدالة ان يؤتى بهذين الشاهدين فنسمع كلامهما فقال اوريون

— اما شهادة ماري فمردودة لانها قاصرة فلا تعتبر شرعاً وفضلاً عن ذلك فحضورها وتخلفها منوطان بجدها ولا ارضى ان يقترن اسم احد من اهل هذا البيت بهذه القضية اما كاترينا فحكمها غير حكم تلك ومن واجبات المحكمة ان تأتي بها وتسمع شهادتها وهانذا ذاهب لادعوها . فارادت باولين ان تستطرد الكلام فمنعها وقال ستقولين ما تشائين بحضرة الشاهدة ولا ريب عندي ان الزمردة اتتكِ من ابيكِ قال هذا ساخراً فصاحت باولين

— ان شقياً مشاركاً لك في الجريمة دخل غرفتي اثناء غيابي فكسر قفل الصندوق او فتحهُ بمفتاح مصطنع وفعل ما فعل

— لا اسهل من تحقيق ذلك ثم امر ان يرفعوا الصندوق ففعلوا وطلب من احد اعضاء المجلس ان يفحص القفل وكان هذا الرجل فاضلاً صادقاً خبيراً بالحرف اليدوية والآلات وكان عملهُ في القصر اصلاح الساعات المائية والادوات والموازين والمكاييل وغيرها فامتثل امر اوريون وتفحص القفل فالفاهُ سليماً ثم عمد الى المفتاح فاذا بهِ مما يصعب تقليدهُ فلما فرغ اعلن رأيهُ فحصرت باولين فامر اوريون ان يفصلوا بينها وبين المرضع في غرفتين الى ساعة عودتهِ بكاترينا

واختلط الامر على القضاة لتعاقب هذه الالغاز ولم يكن بينهم من يرتاب بصدق ابن مولاهم واخلاص طويتهِ لكنهم عجبوا كيف لم يستطع على ما لهُ من السلطان على النساء ان يكتسب حب تلك الحسناء فاثار سخطها وهاج بغضاءها وساءهم منها اتهامها اوريون بفتح صندوقها لكن لهجتها وحدتها ومجمل حركاتها اثرت فيهم فانتظروا عودة اوريون بكاترينا قائلين اذا جاءت شهادتها مطابقة لقول باولين كان الحق في جانب هذه وعاودنا التحقيق من باب آخر

وكان الوقت نحو الزوال وقد جلست السيدة نفورس وسوسنة وابنتها كاترينا وماري ومهذبتها في ايوان يطل على البستان والنيل يروحنَ النفوس في النسيم البليل وقد غطين وجوههنَّ بنقب رقيقة ليتقين لدغ البعوض واخذن يتعللن بشيء من الشراب المنعش وبينما هنَّ كذلك طلع عليهنَّ اوريون فلما ابصرنهُ قالت امهُ وقد راعها اضطرابهُ

— ما الخبر فقال

— لقد دافعت باولين عن عتيقها دفاع اللبوة عن اشبالها فقالت امهُ

— وغرضها من ذلك تكدير صفائنا فقال

— لا يا اماهُ ولكنّ لها عزماً يفلّ الحديد فاذا ارادت امرًا بذلت النفس والنفيس في طلبهِ وقد ادهشتنا بقوة حجتها وبراعتها في سرد الادلّة حتى لقد يحسدها اعظم المحامين في القسطنطينية على سلامة ذهنها وقد خلبت فصاحتها وجمالها الباب موظفي بيتنا على ان غيرتها المحمودة لن تفيدها مثقال ذرة فالبينات على جريمة حيرام عديدة جليّة ومن جملة ما ادعتهُ ان كاترينا وماري رأتا عقدها بعد ظهر اليوم وابصرتا مكان زمردة مقلوعة منهُ فهل ذلك صحيح فاجابت كاترينا

— لكنها اختطفت العقد منا . فاعترضتها ماري وقالت

— ذلك لاننا تقلدناهُ على غير رضاها . فصاحت امهُ

— وتريد عظمتها الآن ان يؤتى بابنتينا ليؤديا شهادتهما

— نعم يا اماهُ على ان شهادة ماري لا تعتبر شرعاً اذ هي لا تزال قاصرة

— وهب القانون يجيزها فلا اسمح ان يقترن اسمها بهذه القضية . فقالت ماري

— انكم تابون عليَّ تأدية الشهادة لئلا اقول الحق فتنتصر باولين فقالت جدتها

— اخرسي فقيادكِ ليس في يدك وما الامر من شؤونكِ وقالت سوسنّة

— يشقُّ عليَّ ان تقف ابنتي امام هؤلاء القضاة فقالت كاترينا

— لينتظروني ما شاؤوا فلست بذاهبة اليهم فاجاب اوريون

— ذهابك واجب وللمحاكم ان تستدني من تشاء ولها ان تجبرهُ على الحضور فسيري معي ولا تخشي بؤساً ومتى اديتِ الشهادة اعدتكِ الى امكِ . وانتِ ياسوسنّة فلا تبخلي عليَّ بها اليوم وستحدثك بعد عودتها بما تلقاهُ من عنايتي . ولم تكن كاترينا لتكره الذهاب مع اوريون والعودة معهُ فرقص قلبها فرحاً واستفزها الحب الى طاعتهِ فنهضت من مكانها وتقدمت اليهِ فتعلقت بها ماري وتوسلت اليهم جميعاً ان يأذنوا لها ايضاً بالذهاب لتأدية شهادتها فارغمتها جدتها واهذبتها على البقاء وهمست نفورس في اذن سوسنة فقالت سيقفان اليوم امام القضاة وعمّا قليل امام الكاهن ان شاء الله

اما اوريون فسار بكاترينا ولم يذهب توًّا الى المجلس بل اختار الطريق الابعد دائرًا حول البيت فلما صارا بحيث لا تراهما السيدات امسك يدها وقبلها فلم تزجرهُ على ان الحياء والسرور غلبا عليها وملأا قلبها فقالت آه يا اوريون

— ولكنَّ هذا حقي ولو كان قلبك يخفق كقلبي لسمعتهما والدتانا

— لكن فؤادي مضطرم بهواك

— ايت ما تقولين صحيح. ثم طفق يشرح هواه ويحدثها باحاديث الغرام ويطارحها الحب حتى اسكرها وكان المساء حارًّا واريج الازهار يتضوع في البستان والقمر يرسل اشعتهُ من خلال الاوراق فيزيد الموقف بهجة والصدور انشراحًا فاخذ اوريون يدعوها باحب الاسماء وينعتها باجمل النعوت الى ان ثملت فقبّلها مرارًا وهي تحسب ان السعادة حلّت عليها وان الطبيعة عنيت بامرها فمهدت لها سبل العيش الهنيء والمستقبل السعيد وتمنت لو تدوم تلك الساعة وان ذلك الاجتماع لا ينقضي لكن اوريون لم ينسَ المجلس ولا ذهل عن غرضهِ من صحبتها فتأوه وقال

— اود البقاء هنا وتدعوني الواجبات الى مغادرة هذا الفردوس فهيا بنا يا حبيبة الى المجلس اني يسوءني ان يكون لباولين من الشأن في هذه القضية ما لها ولو كان في وسعي الدفاع عنها لفعلت. واخذ يثير غيرة كاترينا بهذا الكلام ونحوهِ فوصف جمال باولين وشممها حتى اثار وجدها فلطمتهُ على يدهِ وقالت

— آمنًا ان باولين ملاك نازل من السماء فقلْ لي الآن من تحب منَّا نحن الاثنتين واقصرْ عن اثارة غيرتي . فقال

— اتسأليني وانت تعلمين انها القمر البارد وانك الشمس الحارَّة فلنترك باولين لاحد آلهة اولمبس فانا قانع بحبيبتي كاترينا فهي شريكة حياتي وقسيمي في افراحها

— ان شاء الله

— لقد اضاؤوا المصابيح في المجلس وكدنا نذهل عمَّا امامنا فهيا بنا. ثم تردد هنيهة وقال — اتذكرين العقد الذي رأيتهِ بعد ظهر اليوم

— نعم فقد كان بديع الصنعة لولا ان في وسطهِ قطعة من الذهب مشوهة مكسورة

— يلوح لي انكِ ذهلتِ عن رؤية الحجر الكريم في تلك القطعة

— لم يكن فيها حجر كريم ولا يغرب عنك ان لي دراية بهذه الجواهر فقد خلَّف ابي مجموعة نفيسة منها ستعطيها امي لزوجي

— على ان ذلك لا ينفي خطأكِ في مسألة العقد فقد يحدث انكِ ابصرتِ فنا القطعة المذكورة

— ولكن يا اوريون ....

— اقسمت عليكِ الاَّ تناقضيني فسأستسلم لآرائكِ اما اليوم فاذا ناقضتني فالعاقبة وخيمة عليَّ ولست ادَّعي العصمة لكني ارتاب في صحة قولكِ فاذا لم تجئْ شهادتكِ مطابقة لقولي

كنتُ في عيون القضاة كاذباً ونحن الآن خطيبان فما يضرُّ احدنا يضرّ الآخر وما يفيده يفيد ذاك ولا يخفى عليكِ ان القضاة سيحلُّون شهادتك محلاً رفيعاً لما يعلمونهُ من صدقكِ وانكِ خطيبتي وربة هذا البيت في المستقبل فاذا لم تجيبيني الى سؤْلي الآن كانت دعوى حبكِ لي فارغة وليس ما اطلبهُ منكِ بالامر العسير فقولي فقط انكِ رأيتِ العقد وابصرتِ فيهِ حجراً كريماً منقوشاً عليهِ صورتا الحب والعقل

— اقول هذا للقضاة

— نعم يا ملاكي ولا يليق بكِ ان تردّي اول طلب اطلبهُ منك فاذا كان في قلبك شيء من الحبّ لي فلا تعملي على اذلالي امام باولين

— وماذا يهم الناس أَحجر كريم كان في العقد ام قطعة من الذهب

— ستعلمين ذلك في ما بعد

— اريد ان اعرف الآن

— يضيق بي الوقت عن تفصيلهِ وقد عيل صبر القضاة

— سافعل ما تقول واراني ساذوب خجلاً فاسدل نقابي على وجهي فلا يراني القضاة

— مثالكِ مثل النعامة وهاانذا افعل

وبعد ان اسدل نقابها كما ارادت سار بها الى غرفة الانتظار وتقدم وحدهُ الى المجلس فاخبر القضاة ان الارملة سوسنَّة اذنت في ارسال ابنتها اليهم تحت رعايتهِ على شرط ان يعيدها اليها بعد تادية شهادتها. ثم امر باحضار باولين ولما خلت كاترينا بنفسها في غرفة الانتظار اخذت الافكار تتقاذفها فخشيت ان يكون ما طلبهُ اوريون منها محض كذب لكنها عادت فقالت ان ذلك مستحيل فاوريون احسن الناس واسلمهم طوية فلا يكلف غيرهُ ارتكاب جرم كهذا ورأَت ان من واجباتها الدفاع عنهُ ووقايتهُ من كل شرّ وخطر ثم ذكرت ما قالهُ من ان التناقض في قوليهما يفضي الى اذلالهِ ويجبرهُ على التسليم لباولين وهو ما كانت تعافهُ لغيرتها من اليونانية بعد ان سمعت منف باسرها تلهج بوصف محاسنها وتعدها خير عروس لابن المقوقس وعلمت ان ليس لها في بنات المدينة مزاحم غيرها فاخذت تلتمس لنفسها الاعذار ردًّا على ما تولد فيها من الريب وظلت كذلك الى ان عاد اوريون فادخلها الى المجلس ولمَّا سئلت عن العقد اجابت انها رأَتهُ عند الظهر وابصرت فيهِ حجراً كريماً فأَروها الحجر وسأَلوها عما اذا كان عين الذي رأَتهُ فقالت

— انا اكره هذه النقوش الوثنية ونحن بنات اليعاقبة لا نتحلى بها

فدنت منها باولين وعيناها تقدحان شررًا وقالت

— اشرت الساعة الى مذهبك وهو يأمرك بقول الحق فاعلمي ان لشهادتك قيمة عظيمة في فصل هذه القضية فتبصّري في ما تقولين ولا تعتصمي بالكذب . فصاحت بها كاترينا

— ليس الكذب عادتي وقد تعلمت ان اتبصَّر في ما اقول قبل قوله فقد كان هذا الحجر في هذا العقد . فصاحت المرضع يا لك من شقية . فارتعدت كاترينا واجالت نظرها في انحاء المجلس تلتمس ما تستند اليه فاسرع اليها اوريون واجلسها وامر بسجن المرضع عقابا على شهادة الزور وباطلاق سبيل باولين واعادة صندوقها الى مكانه ولما فرغ دنت باولين من الخوان فتناولت العقد وفصلت الحجر عنه ثم رمت به الى غلالئيل وقالت

— وهبتك هذا الحجر ولعلّ الاثيم الذي علقه في عقدي يسترده منك فهذا العقد لامي وهو هدية الامبراطور ثيودوسيوس القديس اليها فلا اطيق ان انجسه بهدية لئيم غدَّار ولطرحه في النيل اهون عليّ من ذلك فقد خدعتم ايها القضاة فحيرام من اصدق الناس واخلصهم طوية ولن انسى معروفه الى الابد اما هذا واشارت الى اوريون فهو شر ابن لخير اب . فصاح اوريون كفى فقالت

— سمعا وطاعة على ان ضميرك سيقرأ عليك اضعاف ما تحظر عليّ قوله . ثم دنت منه وهمست اليه قائلة لقد ابيت ان اورد حجتي الكبرى قياما بوعدي لك فافعل انت كذلك وانقذ حيرام والا فانت اخس الناس واحطهم . فوعدها خيرًا فالتفتت الى كاترينا وقالت امّا انت ايتها الفتاة فلا اعلم ما يعده لك ابن المقوقس من اسباب الشقاء لقاء نصرتك له اليوم . ثم انصرفت وقد كاد الغيظ يخنقها وسارت الى غرفة ماندانى فجلست بجانبها وهناك انهمرت الدموع من عينيها ورآها الطبيب كذلك فاخذ يعزيها ويطيب قلبها فلما ثابت الى السكينة حدثته بجميع ما جرى لها

اما اوريون وكاترينا فعادا من المجلس كاسفي البال وكلٌّ منهما يفكر في شانه فوجدا سوسنة وحدها بانتظارها لان نفورس فارقتها لتذهب الى زوجها الذي كان يتقلب على فراش الاوجاع فرافق اوريون الارملة وابنتها الى مركبتهما وعاد الى المجلس فسرد خلاصة القضية على القضاة واتى على ذكر الادلة التي تثبت التهمة على حيرام وبعد ان تداولوا ساعة حكموا على المتهم بالاعدام لخرقه حرمة بيت وارتكاب السرقة الا نيلس الخازن فانهُ انشق عنهم فامر اوريون بتاجيل انفاذ الحكم . ولما ارفضت الجلسة اختار اسرع جياده فامتطى صهوته ولكزه فاندفع الجواد يعدو به في عرض الصحراء

ستأتي البقية

فتح المكسيك

اتَّصل بنا الكلام في الجزء السابق الى ان خمسة من الرؤساء جاءوا كورتس ذات يوم وفتحوا لهُ باباً للامل بعد ان يئس من الاقامة في تلك البلاد . وكان اثنان منهم يعرفان لسان الازتك فكلمتهم مارينا بهِ فاخبراها انهم من اهالي سمبوالا عاصمة بلاد التوتونك . والتوتونك جيل من سكان المكسيك نزلوا تلك البطاح منذ قرون كثيرة . وكان ملك المكسيك قد دوَّخ بلادهم منذ عهد قريب وضرب عليهم الجزية واذاقهم انواع الذل وبلغ اميرهم ان الاسبانيين جاءوا البلاد وهم لا يهابون سطوة ملكها فبعث بهؤلاء الرجال اليهم يدعوهم الى عاصمتهِ

فاصغى كورتس الى هذا الكلام مسروراً واتَّضح لهُ حينئذٍ ان البلاد ليست على ما توهم من الاتحاد والائتلاف بل فيها احزاب وضغائن كامنة في الصدور وانهُ ليس بمستبعد ان يستعين ببعضهم على البعض الآخر فيقوّض اركان ملكهم ولذلك اكرم هؤلاء الوفود وصرفهم بالهدايا الكثيرة ووعدهم بان يزور اميرهم في عاصمتهِ قريباً

وكان جنودهُ وبعض قوَّادهم قد ملُّوا الاقامة وودُّوا الرجوع الى بلادهم . والمخلصون منهم لوالي كوبا تذمَّروا من ان كورتس تعدَّى الاوامر المعطاة لهُ من الوالي وجرى على مقتضى هواهُ . الاَّ ان الباقين قالوا اننا اذا رجعنا الى كوبا خسرنا كل شيء نعم ان كورتس فعل ما فعل غير ملتفت الى اوامر الوالي ولكن ما فعلهُ انما فعلهُ باسم الملك(١) غير طامع بالربح ولا مغضٍ عن كرامة مولاهُ

واخيراً جاءهُ انصار الوالي وكاشفوهُ بما يضمرون وطلبوا منهُ ان يعود بهم وبالجنود الى كوبا. فقابلهم بالبشاشة والوداعة على غير ما انتظروا وقال لهم اني افضّل البقاء هنا لاتمام العمل الذي ابتدأنا فيهِ لان ربحنا من معاملة السكان قد ابتدأ الآن ولكن اذا كان الجنود مصرّين على العودة فانا انقاد اليهم وافضل رأيهم على رأيي وآمر بعودتهم حالاً . ثم امر ان يكون الجنود

(١) الكلمة الاصلية تدلُّ على الملكين بصيغة الجمع الدالة على المثنى ايضاً وعلى المذكر والمؤنث معاً. فان الملكة ايزابلا ملكة اسبانيا توفيت سنة ١٥٠٤ فانتقل ملك اسبانيا الى ابنتها لكنها كانت مصابة بدخل في عقلها فسودي بها ملكة وبقي زمام الملك في يد ابيها الملك فرديناند الى ان توفي في ٢٣ يناير سنة ١٥١٦ فانتقل الى حفيدهِ تشارلس الخامس امبراطور المانيا ولذلك فاذا قيل الملكون هنا فالاشارة اليهِ والى امهِ واذا قيل الامبراطور فالاشارة اليهِ وكان كورتس يستعمل هذه الكلمة احياناً بمعنى ملك الملوك تعظيماً له لدى اهالي المكسيك الذين كانوا يحسبون ملكهم ملك الملوك . وقد اخترنا كلمة ملك لانها تفي بالمراد وهي اخصر في اللفظ

مستعدين للسفر والعودة الى كوبا . فلم يكد امرهُ ينتشر في المعسكر حتى خمدت ثورة الذين كانوا قائمين عليهِ وعدل بعضهم عن رأيهم . وهذا شأن الناس امنع عنهم ما يطلبون فيزيدوا طلبا ولجاجة اجب طلبهم حالاً فلا يبقى لهُ شأن عندهم . اما انصارهُ فاتخذوا ذلك مندوحة للتذمر والشكوى او التظاهر بهما وجعلوا يقولون انه نكث عهدهُ وخان وطنهُ وتألبوا حول خيمتهِ طالبين ان يلغي امرهُ وقالوا لهُ اننا اتينا الى هنا لكي نمتلك البلاد ونستوطنها فان لم يكن معك امر من والي كوبا لتفعل ذلك فافعلهُ باسم الملك فاننا نحن اكتشفنا هذه البلاد ولم نكتشفها باسم والي كوبا بل باسم الملك وباسمهِ نسكنها ونعمّرها ولذلك نطلب منك ان تسرع حالاً في بناء مدينة لنا ولا تضع الوقت في المعاملة والمتاجرة واما الرجوع الى كوبا فلا نسلّم بهِ ابدا واذا ابيتَ ان تجيبنا الى طلبنا شكوناك الى الملك

فتظاهر بالحيرة كانهُ لم يكن منتظرًا هذه المجاهرة وهذا العتوّ لكنهُ لم يبدِ الغيظ بل قال ان الامر كذلك فاسمحوا لي حتى اتبصّر فيهِ وغدًا اجيبكم . وجمع الجنود في اليوم التالي وخطب فيهم خطبة وجيزة قال فيها انهُ ما من احد اشد منهُ طاعةً للملك وارغب منهُ في اعلاء اسم اسبانيا بين الممالك فانهُ انفق كل ما يملكهُ في هذا السبيل واستدان الاموال الطائلة لكي يقوم بنفقات هذه الحملة وكان يرجو ان يستردَّ بعض ما انفقهُ من معاملة المكسيكيين ولكن ان كان الجنود مصرين على انشاء مستعمرة فهو يضحي مصلحتهُ لاجل مصلحتهم فينشئ مستعمرة باسم الملك ويعين لها واليًا وقاضيًا

ثم امر باقامة المدينة في مكان اكتشفوا فيهِ مرفأً امينًا للسفن وعيّن لها واليًا رجلاً من خواصهِ ونائبا لهُ رجلاً من انصار والي كوبا حتى يجمع بين الحزبين وعيّن باقي الموظفين من خواصهِ فحلفوا يمين الطاعة للملك وسميت المدينة فرا كروس واجتمع الوالي ونائبهُ والقضاة وباقي الموظفين فدخل عليهم حاسرًا وقال لهم لقد انقضت الآن المهمّة التي اتيت بها لان سلطة والي كوبا زالت امام سلطة والي المدينة الجديدة فصرت كاحد رعاياكم ولكم ان تأمروني بما تشاؤون. قال ذلك وحنى لهم رأسهُ علامة الخضوع والاكرام وخرج من المجلس . فتذاكروا في الامر هنيهة ثم استدعوهُ اليهم وقالوا لهُ رأينا بعد التبصر وامعان النظر ان ليس عندنا من هو اقدر منك على قيادة هؤلاء الجنود والاهتمام بمصالح هذه المستعمرة في السلم والحرب ولذلك فباسم الملك نقيمك قائدا عامًا لهذه المستعمرة وقاضيًا لها . وسمحوا لهُ بخُمس ما يكسبونهُ من الذهب والفضة غنيمةً كان او تجارةً . فاعطي اعظم سلطة مدنيّة وحربيّة

وجرت هذه الامور على غاية السرعة حتى ذُهل انصار الوالي فلم يجدوا فرصةً للاعتراض

والمقاومة ولكن لما جُعل كورتس قائداً عاماً من قبَل الملك وزالت كل سلطة للوالي ثار انصار الوالي وقالوا ان في الامر دسيسة واكثروا من الصياح والاعتراض وانشقَّ الجنود بعضهم على بعض وكادت الفتنة تستفحل فبادر كورتس اليهم وقبض على زعائهم وكبّلهم بالحديد وبعث بهم الى السفن وارسل فرقة من الجند لتطوف في البلاد المجاورة وتأتي منها بما تجده من الطعام واستمال الباقين بالعطايا والمواعيد . وعاد الجنود الذين ارسلهم ليمتاروا ومعهم كثير من الاثمار والبقول والطيور فلما امتلأت البطون سكنت ثورة الغضب وزال التذمُّر وعانق الجنود بعضهم بعضاً مسرورين متهللين حتى الزعماء الذين كبّلهم بالحديد طابت نفوسهم لما امتلأت بطونهم فثابوا الى السكينة وطلبوا ان يصالحوا كورتس فصالحهم وصالحهم وانقضت الفتنة على سلام وصاروا كلهم من اعز انصاره

ولا يسع المرء الاَّ الاعجاب بما ابداهُ هذا الرجل حتى الآن من السياسة والدهاء وحسن النظر في العواقب فانهُ نقل السلطة من والي كوبا خصمهِ العنيد الى ملك اسبانيا ولم يكن هو الناقل لها بل رجال جيشهِ حتى لا يتَّهم بعصيان رئيسهِ وداري خصومهُ وغلبهم بالمعروف وضربهم بيد واستلقاهم بالاخرى حتى انضموا الى حزبهِ وصاروا من انصارهِ وحوَّل غرض هذه الحملة من المتاجرة بالبضائع الى فتح البلدان واستعمارها

ولما زالت الفتنة وسادت السكينة سار برجالهِ وسفنهِ الى المكان الذي عزم على انشاء المدينة فيهِ وكانت البلاد التي مرَّ فيها كثيرة الخصب سهولها فيحاء وآكامها مكتسية حللاً سندسيَّة باشجار باسقة وانهار جارية تمرح الظباء في سهولها وتتناغى الاطيار على ادواحها . والتقوا في الطريق باثني عشر رجلاً ارسلهم امير سمبوالا اليهم ادلَّة ليأتوا بهم الى عاصمتهِ فلما دنوا منها رأوا دلائل الخصب والرفاهة رأوا الحدائق الغناء والسهول الفيحاء مبسوطة على مدى النظر ثم رأوا جماهير السكان رجالاً ونساء خرجوا لاستقبالهم ومعهم الازهار والرياحين طاقات واكاليل فقدموها لكورتس ورجالهِ وكلّلوا رؤُوسهم بها وكان فيهم كثيرات من النساء الشريفات بابهى الحلى وافخر الحلل يتهادين بين جواريهنَّ وعليهنَّ دلائل الرفاهة والنعيم وهنَّ ورجالهنَّ بالعقود والاقراط والحزم وكلها من الذهب الابريز

وسار كورتس ورجالهُ على هذا النمط الى ان وصلوا الى المدينة فوجدوا فيها المباني الفخيمة من الحجر والشيد وخرج الامير لاستقبالهم وهو طويل بدين الجسم فرحَّب بهم واعطاهم هيكلاً مجاوراً لقصرهِ لينزلوا فيهِ وبعث اليهم بكل ما يحتاجون اليهِ من الخبز واللحم والفاكهة واهدى الى كورتس كثيراً من الحلى الذهبية والثياب القطنية . اما كورتس فلم يجانب الحذر ولو رأى

من الاهالي كل تودد وترحيب بل اقام الحرّاس حول جنوده ونصب مدافعهُ وسدّدها على مدخل الهيكل حتى لا يفاجئهُ احد بمكروه وهذا كان شأنهُ دائمًا حتى وقت السير من مكان الى آخر كان يسير كأنهُ ذاهب الى القتال

وقام في الصباح وسار بخمسين من رجاله الى قصر الامير وكان مبنيًّا على اكمة يوصل اليها بسلم كبيرة من الحجر وترك رجالهُ في دار القصر ودخل ومعهُ رجل واحد ومارينا تترجم لهُ واخبر الامير انهُ آتٍ من قبل ملك عظيم الشان لكي يمنع العبادة الوثنية من تلك البلاد ويعلم الناس عبادة الاله الحقيقي . فاجابهُ الامير ان آلهتهم تهبهم النور والمطر وهي اصلح لهم من غيرها وانهُ هو خاضع لملك عظيم الشان عاصمتهُ بعيدة عنهم في بحيرة بين الجبال واذا عصوهُ انتقم منهم واخذ فتيانهم وفتياتهم وقرَّبهم ضحايا لآلهتهِ . فقال لهُ كورتس ان مولاهُ ارسلهُ ليقتصَّ من هذا الملك الظالم ويرفع ظلمهُ عن رعيتهِ وانهُ اذا حالفهُ التوتونك رفع عنهم نير الازتك. فقال الامير ان في بلاد التوتونك ثلاثين مدينة يخرج منها نحو مئة الف مقاتل وبينها وبين بلاد الازتك جمهورية تلسكالا المستقلة وانهُ بلغهُ ما فعلهُ الاسبانيون في تبسكا ولكنهُ لا يزال خائفًا من الخروج على الملك منتزوما العظيم لان جنودهُ تنحدر من الجبال كالسيل الجارف فلا تبقي ولا تذر فتأخذهم كلهم اسرى وتقربهم ضحايا

فقال لهُ كورتس ان الاسبانيين لا يخشون بأس الازتك وملكهم وان كل واحد منهم يقاوم جيش من اولئك البرابرة . ثم حاول ان يعرف منهُ ما هي الامم الناقمة على ملك الازتك لكي يعرف عدوَّهُ من صديقهُ ومن يقتل ومَن يستحيي. وبمثل هذا الكلام حاول بث الثقة في نفس الامير وودَّعهُ وعدا اياهُ بالعودة ثانية للنظر في هذه المهام

وثبت لكورتس حينئذٍ ان في بلاد المكسيك امما كثيرةً خاضعة لملكها رغمًا عنها وانها لا تأنف من شق عصا الطاعة والانضواء تحت لوائهِ اذا اعلن الحرب على ملك المكسيك . وكاشف رجالهُ بما كان يدور في نفسهِ فوافقوهُ على رأيهِ وخيل لهم ان اعلام اسبانيا صارت تخفق فوق ابراج تلك البلاد

وودَّع كورتس امير سمبوالا في اليوم التالي وسار الى المكان الذي وجدت فيهِ سفنهُ مرفأ امينا لكي يبني فيهِ مدينة وبعث معهُ الامير اربع مئة حمَّال وهم ينوبون عن دواب الحمل في بلاد المكسيك فحملوا امتعتهُ وامتعة رجالهِ وساروا في بلاد كثيرة الخصب الى ان بلغوا مدينة حصينة مبنيَّة على شاهق وكان امير سمبوالا قد تبعهم في تختة يحملها رجالهُ فقابلهم رجال هذه المدينة بالترحاب وحققوا لكورتس ما سمعهُ من امير سمبوالا وبينما هم يتذاكرون اضطرب القوم

وماجوا ثم دخل الساحة حيث كانوا مجتمعين خمسةُ رجال بثياب فاخرة وشعور لامعة يتبعهم كثير من الخدم والحشم بعضهم يحمل الاسواط وبعضهم المراوح يروحون بها لاسيادهم . دخلوا الساحة ومرُّوا فيها وهم ينظرون الى الاسبانيين شزرًا ولما رآهم شيوخ التوتونك نهضوا لاستقبالهم وساروا وراءهم كأنهم من خدمهم

فبهت كورتس من ذلك وسأل مارينا عن امر هؤلاء الرجال فقالت لهُ هؤلاء من اشراف الازتك اتوا ليجمعوا الجزية لمنتزوما . ثم عاد الشيوخ كاسفي البال وقالوا لكورتس ان هؤلاء الرجال اغتاظوا منا لاننا رحَّبنا بالاسبانيين من غير ان نستأذن الملك في ذلك وطلبوا منا فداء عشرين فتى وعشرين فتاةً ليقدموهم ذبائح لآلهتهم . فاظهر كورتس مزيد الغيظ وقال للشيوخ لا تعطوهم شيئًا بل اقبضوا عليهم وكبّلوهم بالاغلال وانا المسؤول عن كل ما تفعلون . فتردَّد الشيوخ خوفًا لكنهُ ما زال يحمسهم حتى قبضوا على هؤلاء الرجال وقيَّدوهم ولما خيَّم الليل بعث وفك قيود اثنين منهم واتى بهما اليهِ سرًّا وقال لهما انهُ آسف على ما فعل شيوخ التوتونك وانهُ يسهّل لهما سبل النجاة ويسعى من الغد في تخليص رفاقهما . وطلب منهما ان يخبرا الملك بذلك ويقولا لهُ ان الاسبانيين من اخلص الناس لهُ ولو عاملهم معاملة لا تليق بما هو مشهور عن كرمهِ لانهُ تركهم يموتون جوعًا في بلاد قاحلة. ثم بعث بهما الى المرفإ وامر ان تأخذهما سفينة من سفنهِ الى مكان آخر وينزلا فيهِ لكي لا يدري التوتونك بهما. ورأى شيوخ التوتونك في الصباح ان اثنين من رجال الازتك فرَّا فاغتاظا غيظًا شديدًا وعزما على قتل الثلاثة الباقين وتقديمهم ضحية فقال كورتس اني لا اسمح بقتل احد ضحيَّة وانا اضعهم في سفني حيث لا يستطيعون الهرب. فانزلهم الى السفن وارسلهم الى مكان آخر واطلق سبيلهم بعد ان اقنعهم ان ما جرى لهم كان على غير رضاهُ . ولا ندري اين وضع شهامتهُ حينما فعل ذلك

وانتشر الرسل في كل بلاد التوتونك يخبرون الاهالي بما جرى لرجال منتزوما ويطلبون منهم ان لا يدفعوا جزية بعد الآن وكان خدَم رجال منتزوما قد هربوا وانتشروا في طول البلاد وعرضها يخبرون بما جرى لاسيادهم فهبَّ رجال التوتونك حاسبين انهم سيستردون استقلالهم القديم واجتمع رؤَساؤهم معًا فاشار العقلاء منهم بان يرسلوا وفدًا الى منتزوما يستعطفونهُ ويعتذرون اليهِ عمَّا جرى لرجالهِ لكن الجمهور كان مخالفًا لرأيهم وواثقًا ان الاسبانيين يأخذون بيدهم ليطرحوا عنهم نير الازتك . وبعد جدال طويل قرَّ رأيهم على قبول حماية الاسبانيين والمجاهرة بالاستقلال فحالفوا كورتس محالفة هجوم ودفاع

وقام كورتس بعد ذلك الى المرفإ وشرع في بناء المدينة وساعدهُ الاهالي فجلبوا لهُ الحجارة

والجير (الكلس) والخشب والطوب ولم تمضِ ايام كثيرة حتى تم بناؤُها وقد سُرَّ الاهالي حاسبين ان كوتزلكوتل رسول المكسيك عاد اليهم حسب وعدهِ لينشر السلام في بلادهم ويغدق عليهم الخيرات. وهم لا يدرون انهم كانوا كالباحث عن حتفهِ بظلفهِ . ساعدهم الاسبانيون على كسر شوكة ملوك الازتك لكنهم خربوا بلادهم وقرضوهم عن وجه البسيطة كما سيجيء

ولم يكد كورتس يتم بناء المدينة حتى جاءَهُ رُسُل من قبَل منتزوما ملك المكسيك وذلك انهُ لما قبض شيوخ التوتونك على رجالهِ كما تقدَّم اسرع بعض خدمهم الى العاصمة وقصُّوا على الملك ماجرى لاسيادهم فاستشاط غيظاً وامر حالاً باخذ الاهبة للاقتصاص من التوتونك ومن الاسبانيين ولم يكن الاَّ قليل حتى عاد رجالهُ واخبروهُ ان الاسبانيين هم الذين نجوهم من ايدي التوتونك فزال ما خامر نفسهُ من الغيظ وعادت اوهامهُ اليهِ حاسباً ان الاسبانيين من نسل رسولهم كوتزلكوتل فبعث بهؤُلاء الرسل الى كورتس وفيهم فتيان من اولاد اخوتهِ واربعة من اعظم رجال بلاطهِ وبعث معهم هدية فاخرة من الذهب والحلل المنسوجة بالريش ولما مثل الرسل امام كورتس ابلغوهُ تحية الملك وشكرهُ لهُ على انقاذ رجالهِ واكرامهم ثم قالوا ان جلالتهُ عاتب عليك جدًّا لانك رأَيت نار العصيان تنتشر في البلاد ولم تبذل جهدك في اخمادها. ولكن اكراماً لك سيصبر على العصاة ولا ينتقم منهم ما دامت في البلاد

فرحَّب كورتس بالرسل وبالغ في اظهار قوتهِ امامهم لكي يلقي الرعب في نفوسهم ثم صرفهم بقليل من الهدايا وبعث معهم رسالة الى الملك يقول فيها انهُ عازم على زيارتهِ في بلاطهِ لجلاء ما خامر نفسهُ من الظنون

ولما علم التوتونك بما قالهُ الرسل لكورتس زادت هيبتهُ في نفوسهم لانهم قالوا ان سلطتهُ تفوق التصوُّر حتى يخافها منتزوما العظيم على هذا البعد الشاسع

وبعد قليل طلب امير سمبوالا من كورتس ان يعينهُ على محاربة احدى المدن المجاورة فاسرع الى نصرتهِ واصلح بين المدينتين وعاد الى سمبوالا ودخلها ظافراً فقدم لهُ اميرها ثمانياً من بنات عظمائها ليكنَّ زوجات لقوادهِ وكان معهنَّ كثيرات من الجواري لخدمتهنَّ فسرَّ كورتس بذلك وطلب ان يتنصَّرن اولاً ثم طلب من الامير ان يطرح اصنامهُ ويعتنق الديانة المسيحيَّة فقال لهُ ان آلهتنا كافية لنا ولا نريد ان نبدلها بغيرها . وكان رجال كورتس قد رأَوا اولئك الناس يقدمون الضحايا البشرية ويأْكلون لحمها فبلغ منهم الاشمئزاز كل مبلغ وقالوا لا بدَّ لنا من صرفهم عن هذه العبادة القبيحة فلم ينتظروا امرهُ بل هجموا على الهيكل الاكبر وصعدوا على سلمهِ لكي يطرحوا الاصنام منهُ فثارت النخوة في رأْس الامير ورجالهِ فهبُّوا الى سلاحهم وانبث

الكهنة بين الشعب يحمسونهم للدفاع عن دينهم وآلهتهم . فامر كورتس رجاله ُ ان يقبضوا على الامير والكهنة واعيان المدينة وقال لهم ان رمى احد من رجالكم سهماً واحداً على رجالي ضربت اعناقكم . واتت مارينا الى الامير تحثهُ على طاعة كورتس وقالت لهُ ان انتم اغضبتموهُ فقد خسرتم حمايتهُ بعد ان اغظتم ملك الازتك ووقعتم بين نارين . فغطَّى الامير وجههُ بيديهِ وقال اذاً الهتنا تنتقم لنفسها مما يفعلهُ بها هؤُلاء الاسبانيون . ولما رأَى كورتس منهُ ذلك امر رجالهُ ان يطرحوا الاصنام من الهيكل الاكبر فصعدوا اليهِ واخرجوها منهُ وكانت من الخشب ودحرجوها على سلمهِ والاهالي وقوف يتأَوَّهون ويتحسرون ثم حرقها الاسبانيون امامهم فدهشوا لما رأَوها تحرق وهي لا تدافع عن نفسها وانحطَّ شأْنها في عيونهم فثابوا الى السكينة

ثم ان الاسبانيين طهَّروا الهيكل ووضعوا فيهِ مذبحاً واقاموا الخدمة الدينية باحتفال عظيم وشاركهم بعض الكهنة في هذا الاحتفال . وسرَّ كورتس بما فعل حاسباً انهُ نصَّر الاهالي وقام بالغرض الاسمى الذي جاء لاجلهِ . ثم عاد الى المدينة التي بناها فوجد ان قد جاءتها سفينة صغيرة فيها اثنا عشر بحرياً وفرسان فضمَّ رجالها الى رجالهِ وعرف منهم انهُ جاء والي كوبا امر من اسبانيا لينشئ مستعمرةً في البلاد التي كُشفت حديثاً . فرأَى ان لا بدَّ لهُ من ان يرسل الى اسبانيا يخبر الملك عن البلاد التي اكتشفها واتساعها وغناها ويسترضيهِ لكي يعطيهُ ولايتها والاَّ بقيت لوالي كوبا وذهب تعبهُ سدًى واضطرَّ ان يخضع لخصم عنيد . ورأَى ان خُمس ما وصل الى يدهِ من الغنائم والهدايا لا يكفي لاسترضاء الملك واقناعهِ بغنى البلاد الوافر وعظم الخدمة التي خدمهُ بها فتذاكر مع القواد في هذا الشان وقرَّ قرارهم على ارسال كل ما وصل الى يدهم منها . والقواد اخبروا الجنود واقنعوهم ان الهدية تسترضي الملك فيعفو عمَّا مضى ويبيح لهم ان يمتلكوا البلاد باسمهِ ويغنموا منها ما شاؤُوا فاقتفوا كلهم خطوات رئيسهم واعطوا كل ما وصل الى اياديهم من الغنائم والهدايا فبعث بها كورتس الى ملك اسبانيا وبعث معها كتاباً شرح فيهِ ما عملهُ حتى الآن وما ينتظر عملهُ ومناصبة والي كوبا لهُ وطلب من الملك ان يؤَيدهُ ويقرَّهُ على ولاية البلاد التي اكتشفها لكي تزيد ثقة رجاله بهِ ويقوى على فتح البلاد كلها وامتلاكها باسم الملك . وشفع حكَّام المدينة كتاب كورتس بكتاب آخر كتبوهُ وايَّدوا فيهِ كل ما ذكرهُ واطنبوا في مدح شجاعتهِ وتفانيهِ في خدمة مولاهُ وطلبوا من حكومة اسبانيا ان تؤَيد ما فعلهُ ولا تصغي الى شيء مما يقولهُ والي كوبا . وكذلك كتب اهالي المدينة وعامَّة الجند كتاباً ايدوا فيهِ طلب كورتس معربين عن خضوعهم التام للملك

وارسل كورتس الهدية في احسن سفنهِ وائتمن عليها اثنين من خواصهِ وبعث معهما

اربعة من العبيد انقذهم من القتل وكان في السفينة ١٥ بحارًا فسارت تشق عباب المحيط حتى وصلت الى كوبا فرست فيها على ضدِّ ما امرها كورتس وبلغ خبرها الوالي فاخذ يهيل الشتائم واللعنات على كاتبهِ وامين خزينتهِ اللذين اقنعاهُ بارسال كورتس في هذه الحملة حتى اذا افرغ بعض ما في قلبهِ من الحقد امر ان تذهب سفينتان للقبض على سفينة كورتس لكن السفينة اقلعت قبل وصولها اليها وابعدت عنهما فلم تستطيعا لحاقها فزاد غيظ الوالي وكتب الى اسبانيا يستنجد انصارهُ لمقاومة كورتس وجهَّز عمارة اخرى ليرسلها الى بلاد المكسيك حتى توقع بهِ

اما سفينة كورتس فوصلت الى اسبانيا وكان للاخبار التي اذاعتها تأثير في النفوس لا يقل عن التأثير الذي حدث لما عاد كولمبس من كشف اميركا لكن الملك كان على اهبة السفر من اسبانيا الى المانيا حيث انتخب امبراطورًا فلم يسعهُ الوقت للنظر في امر كورتس

وكان في مدينة فرا كرس اناس لم ترضهم اعمال كورتس فتآمروا على اخذ سفينة من السفن والهرب بها والعودة الى كوبا واعدوا كل ما يلزم لهم سرًّا ولما حانت الليلة الموعودة للهرب افشى واحد منهم سرَّهم لكورتس فقبض عليهم وحاكمهم وحكم على اثنين منهم بالقتل وعلى واحد بقطع رجليهِ ورأى من ذلك الحين انهُ ما دامت السفن في المرفإِ لم يأمن خروج بعض رجاله عليهِ والهرب بها فادعى ان السوس نخر بعضها ولم يعد يصلح لشيء فامر باغراقهِ ثم احتال على اغراق البعض الآخر ولم يبقَ منها الاَّ سفينة واحدة حتى لا يبقى لرجاله امل بالعودة من تلك البلاد وكان قد خرج بالجنود الى مدينة سمبوالا فلما بلغهم ما حلَّ بالسفن طارت نفوسهم وعلت جلبتهم وكادوا يجاهرون بالعصيان ويفتكون بهِ اما هو فلم يرعهُ امرهم بل جمعهم وخاطبهم قائلاً اننا اغرقنا السفن لان السوس في هذه البلاد قد نخرها فلم تعد تصلح لشيء وان حق لاحد ان يشكو من ذلك فانا احق منكم بالشكوى لان السفن لي والخسارة عليَّ اما انتم فقد ربحتم من اغراقها لان بحارتها ينضمون اليكم ويساعدونكم ولم تخسروا شيئًا لانها لم تكن صالحة لنقلكم من هذه البلاد فحوّلوا نظركم الآن الى الفوز الذي وُعدنا بهِ اما من جهتي فانا عازم ان ابقى هنا مادام معي واحد منكم وان كان بينكم من هو جبان يخشى اقتحام المخاطر فقد بقيت من السفن سفينة وهي اصلح السفن كلها للسفر فليعُد بها الى كوبا ويخبر اهلها انهُ ترك قائدهُ واخوانهُ لكي يعودوا وحدهم من بلاد الازتك بالاسلاب والغنائم

حرَّك هذا الكلام نخوتهم ورغبتهم في بلاد المكسيك وكأنهُ رسم امام عيونهم خزائن مشحونة بالذهب تنتظر وصولهم اليها فخجلوا مما فرط منهم وصرخوا كلهم المكسيك المكسيك

الصحيح من الفراسة

امارات الالم والخوف

للالم امارات كما للسرور بعضها ظاهر مشهور كالتنهُّد والبكاء والنحيب والتمطي والتثاؤب والارتعاد والاصفرار والاحمرار والحصَر (فقد النطق) وبعضها غير ظاهر او غير مشهور كالقيء والاسهال وانقطاع اللعاب وتصبُّب العرَق والتغالي في الكرم والتفاني في البغض وطلاقة اللسان وتقطُّع الكلام وما اشبه. وقلما تظهر امارة من هذه الامارات وحدها بل يظهر بعضها مع بعض حسب شدَّة الالم واختلاف انواعه وحالة المتألّم. وهي اما امارات انفعال او امارات فالج او امارات شعور احدثهُ الألم او حدث عنهُ. والاولى اي امارات الانفعال اكثر من غيرها وهي تحدث عند كل الم طفيف او ابتداء بالالم فان المجاري العصبيَّة الداخلية الناتجة عمَّا يسبّب الالم تجري على اعصاب كثيرة فتحرّك العضلات المتصلة بها حركات مختلفة تظهر بانقباض الوجه وارتجاف الاعضاء وانتصاب الشعر والتنهُّد والتأوُّه والبكاء والتهديد والوعيد. ولهذه الحركات غرضان الاول تخليص المراكز العصبيَّة من التهييج العصبي الذي زاد عليها فاتعبها والثاني دفع ما كان سببًا للالم

والثانية اي امارات الفالج يراد بها امارات الدهشة التي تعتري الانسان من الالم الشديد المفاجيء حتى يغمى عليهِ من شدة الالم وقد يفلج او تزهق روحهُ منهُ لكنها لا تبلغ هذا الحد الا نادرًا والغالب ان الدهشة تقتصر على صفرة الوجه وجفاف اللعاب

والثالثة اي امارات الشعور الذي احدثهُ الالم او حدث الالم عنهُ كثيرة تختلف باختلاف دقة المشاعر ودرجات تأثُّرها فان السبب الواحد من اسباب الالم لا يؤثّر في الناس كلهم على حدٍّ سوي ولكن اثرهُ يظهر على اسلوب واحد غالبًا حتى لا يتعذَّر عليك ان تعرف ما اذا كان مصدر الم المتألّم وجعًا في ضرسهِ او ضيقًا في حذائهِ او غيظًا من عقوق ابنهِ او من تحامل الناس عليهِ

ويظهر الألم غالبًا بانقباض عضلات الوجه ثم عضلات العنق ثم عضلات الجذع ثم عضلات اليدين ثم عضلات الرجلين. ففي الوجه ينقبض الجفنان العلويان وتنخفض الشفة السفلى ويقطب الجبين وتنخفض زاويتا الفم او ينطبق انطباقًا شديدًا وتنقبض راحتا اليد. الى هنا تكون الامارات امارات الترفُّع والتجمُّل والجلَد ثم اذا زاد الألم عن الاحتمال زالت هذه وعقبتها امارات الخوف والاضطراب فينخفض الفك الاسفل وترتعد عضلات اليدين والرجلين

ثم عضلات الوجه والعنق والصدر والبطن وتتشنج حتى اذا زاد الألم نفدت القوة العصبية المحركة للعضلات فانبسطت وانفلجت وتعذر على المرء طبق فيهِ او تحريك قدميهِ او البقاء منتصبًا

وهذه الحركات في العضلات تؤثر في التنفس تأثيرًا شديدًا فيضطر المرء الى التنهّد الشديد المتقطع ويظهر فعلها على اشده بالبكاء وتشترك العضلات التي تفرز الدمع مع العضلات التي تسبب البكاء فيزيد الدمع على ما ينفذ منهُ الموقين الى الانف فينصب على الوجنتين وقد تحمرّ الوجنتان ولا سيما في الصغار ولكن الغالب ان تصفرّا من الخوف الشديد ولذلك يقال حمرة الخجل وصفرة الوجل

وامارات الألم الناتج عن الحزن تختلف غالبًا في الرجال عمَّا هي في النساء فالمرأة تدهش وتبكي والرجل يغضب ويخاصم . المرأة تنكسر وتلجأ الى الدمع والرجل يطبق كفيهِ ويتهدّد بهما او يرفعهما الى السماء كأنهُ يقصد مخاصمة الله . المرأة تصلي وتتضرّع والرجل يجدف ويتهدّد

ويكثر هطول الدمع في الصغار ثم يقلّ رويدًا رويدًا بتقدّمهم في السن حتى لقد يبكي الشاب ولا تدمع عيناهُ ويقل البكاء في الشبيبة والكهولة ثم يعود في الشيخوخة والغالب ان دموع الكهل تفيض من عينيهِ من غير ان يبكي كأنهُ يلجم نفسهُ عن البكاء عنوةً

والالم العقلي يؤثر في الوجه تأثير الالم البدني وتظهر اماراتهُ فيهِ كما تظهر امارات الالم البدني فاذا رأى المرء منظرًا قبيحًا او نورًا باهرًا او الوانًا غير منتسقة اغمض عينيهِ وانقبضت العضلات التي حولها كان رؤية ما رأى تؤلمهُ فيغمض عينيهِ لكي لا يراهُ ويحدث مثل ذلك اذا سمع قصة تدلُّ على جهل فاضح فانهُ اما ان يغمض عينيهِ ويظهر الاشمئزاز او يغرب في الضحك . فالالم النظري كالالم العقلي يظهر في العين لانها مظهر الصور العقلية

وكما تتألم العين من رؤية المناظر القبيحة تتألم الاذن من سماع الاصوات الحادّة كصرير الابواب وصريف الانياب . وامارات هذا الالم في الجسم كلهِ مثل امارات الالم من الشعور الداخلي لان اذن الانسان لا تتحرَّك حتى تدلَّ على الالم . ويظهر الم المشاعر على اشده اذا تألمَّ الانف من رائحة كريهة فيُسَدّ منخراهُ اولاً منعًا لدخول الرائحة وترتفع الشفة السفلى وكأنَّ عضلات الوجه كلها تحاول دفع الرائحة القبيحة من دخول الانف كما نفعل اذا احتقرنا شيئًا او انفنا منهُ . وقد اشتقّت الأنفة من الانف في العربية والشمم من الشم لما يظهر من العلاقة بين هاتين الصفتين وبين الانف والشم . كذلك اذا اهنتَ رجلاً او نسبتَ اليهِ امرًا يعدهُ دون قدره اظهر الاشمئزاز بحركة معلومة في فيهِ وشفتيهِ كما يفعل لو ذاق طعامًا مرًّا او كريه الطعم . وكلمة اشمئزاز في العربية تطلق على كراهة الكلام المكروه والطعم المكروه والنفور منهما كليهما .

ويفعل الخوف بالاعصاب فعل الالم تماماً لان الخائف يخشى على حياتهِ فيتألم ولذلك يصفرُّ ويبرد جلدهُ وينعقد لسانهُ ويختنق فؤادهُ وينتصب شعرهُ واذا زاد خوفهُ فصار رعباً اتسع منخراهُ وجحظت عيناهُ محدقتين بما سبَّب الخوف وقد تلتفتان من جهة الى اخرى على غير هدى وانقبضت عضلات وجههِ وارتعد بدنهُ كلهُ ثم تنفلج عضلاتهُ فيقف كالصنم ولا تعود عواصر امعائهِ قادرة على ضبط ما فيها

وغنيٌّ عن البيان انهُ اذا ظهرت امارات الالم في الوجه وتكرَّرت يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى سواء كان الالم عقلياً او جسدياً بقيت آثارها فيهِ غضوناً وارتفاعات وكذلك تبقى الآثار في الجسم كلهِ فيصفر ويشحب فيمتاز وجه الحزين والمتألّم والمحتقر لغيرهِ عن وجه المسرور المرتضي الذي لا يزدري الناس لكن هذه الآثار قد لا تبقى في الجسم وقد تعرض له لاسباب اخرى فلا تكون دلالتها صحيحة دائماً

ائتلاف الشعوب

تحدث للامم بواعث فتأتلف ويدعوها تباين المصالح والمقاصد فتختلف كما يتنافر شقيقان صنوان ويتضافر عدوّان لدودان "ويستصحب الانسان من لا يلائمهُ". ولو ساد السلام قرناً من الدهر بين البشر لضاقت عليهم الارض بما رحبت "ولولا الوئام لهلك الأنام"

ولقد عجب القوم لما جرى من الاتحاد الثنائي في الشهر الماضي بين دولة انكلترا المسيحية ودولة اليابان الوثنية فرأيت ان اعرّب بهذه المناسبة ما نشرهُ احد مشاهير العمرانيين بداعي ما هو جارٍ بين الروس والفرنسيس من حسن الصلات من رسالة نافعة في مجلة "العلم الاجتماعي" الباريسية تفلسف في تقارب الشعوب وتباعدهم فلسفة استند فيها الى التجارب والحوادث فحصر اسبابها في ثلاثة قال ما ترجمتهُ بتصرف :

❊ الاول — الحاجة الى مقاومة عدوّ عام ❊ قلما يثور خصام او صدام بين ثلاثة اشخاص اذ لا يكون الخصوم في كل المعارك الاَّ فريقين . فقد يُبغض زيد عمرًا وبكرًا ويبغض عمرو زيدًا وبكرًا ويبغض بكر عمرًا وزيدًا ولكن اذا حدث حادث بين هؤلاء الثلاثة يتألب اثنان منهما على الآخر . والاتحاد في العادة يكون بين ضعيفين على قوي . وقد يتفق القويان ليكونا يدًا واحدة على الضعيف وبا من غائلة التعادي بينهما من اجل تقسيم اسلابهِ والاستئثار بحقوقهِ على نحو ما جرى عام ١٨٦٤ عقيب حرب اعلنتها بروسيا والنمسا على الدانمرك قُبَيل معركة سادوفا في بوهيميا

وما يصدق على الخصومات بين الافراد يصدق على الغارات بين الامم . ومن خصائص كل دولة ان توطد دعائم الامن في داخل بلادها وخارجها وتحتفظ بحياة الامة اذا اوشكت ان تكون عرضة لتيار مطامع احدى خصيماتها . تعمل الدولة في تلك الحال ما كان يعمله أمرؤ يدافع عن حقيقته . فتنادي بالثارات وبالنجدات وان كانت الممالك لا تتصدع من التهديد تصدع الافراد

يُعطى الحكام في كل أمة أجورهم ليتصامُّوا ما داموا لا يسمعون من الاغيار غير صدى المكارم . فلا يجيزون القوى الحربية التي أُمّروا عليها عند اقل بادرة حتى لا يلقوا الامة جمعاء في أزمة طويلة الاَّ بعد إيقانهم بانهم يجنون من ورائها ثمرة ما

وتقدر الدولة المستباح حماها ان تطلب معونة جاراتها . وذلك بان تقنع احداهنَّ بان عدوَّها هو ايضاً عدوهنَّ حتى اذا حصل هذا الاقناع تتألف عصابة لاتقاء ضرر مشترك . وعلى نسبة تلك المتشارات المتحدة المباديء والغايات يتولد تآلف بين مَن اتفقوا على بغض شعب معيَّن

ولقد احسن الفلاسفة تفسير هذه الحالة فقالوا ان البغضاء نقيض الولاء وان الانسان قد يسرُّ بشيءٍ ما لعلمه انهُ مخالف لذوق عدوّه . مثال ذلك ان الطليان لما اقتتلوا مع الاحباش منذ بضع سنين وقع شيء من الخصام بين الجالية الطليان والبرازيليين في بلاد برازيل فجعل البرازيليون ينادون "ليحيِ منليك ملك الاحباش" . وكذلك التشك في بوهيميا فانهم يمقتون الالمان كل المقت وان لم يحبوا الفرنسيس . فكلما سنحت فرصة هتفوا "لتحيَ فرنسا"

طفح التاريخ بمعاهدات تقوم دليلاً على صحة هذه الدعوى. فقد تآخى الآثينيون والاسبارطيون في وقعة سلامينة صداً لهجمات عدوّهم الفارسي المفاجيء . ثم اخذت اسبارطة تمادي اثينا بعد بضع سنين حسداً منها فاجتمع الطيبيون من ثم مع اللاسيدومينيين على معاداة اثينا. ولما ظفرت اسبارطة اتحدت اثينا مع الطيبيين

في كل هذه المحالفات تتجلى لك امارات السلطة العامة وان الرأي العام تبعٌ لما يراهُ القابضون على ازمة السياسة . وقد يسبق الرأي العام احياناً فيصير رجال الحكومة تبعاً لهُ فلا يقولون الاَّ قولهُ ولا ينطقون الاَّ بلسانهِ . وقد يعلو الصوت العام من قوة تبعثهُ الى ذلك فترى في الاحايين تقارباً بين الامم كتقارب اشخاص لم يتعارفوا ولا غرض لهم الاَّ ان حظهم واحد وهم شركاء في الخطر المحدق بهم

جاء في التاريخ الروماني احسن مثال للمحبة التي أُسست على قواعد من شانها التشفي عن بغض مشترك ألا وهي محالفة رومية ومرسيليا فان كلتيهما كانتا عدوتين للقرطاجنيين . فدام

الاخاء متين العرى بين هاتين الجمهوريتين بحيث لم تتمكن الكبيرة من ابتلاع الصغيرة الاَّ بانضمام المرسيليين اثناء الحروب المدنية الى حزب القائد بومبيوس

ويحدّث التاريخ ايضاً ان قد دام الاتحاد اعواماً طوالاً بين تركيا وفرنسا خلال الحرب التي نشبت بين المانيا وفرنسا . وفيهِ من العجب ما بلغ حدَّ الغرابة اذ حادت الامتان من أجل هذا التحالف الذي كانت الحال تضطرهما الى ابرامهِ عن التعاليم المقرَّرة وتناستا نفوراً استحكم من نفوس الفريقين باختلاف الدين والاخلاق والجنس

وظهور اعاظم الفاتحين هو على الجملة سبب الاتحاد بين اناس ما كانوا يحلمون بانضمام بعضهم الى بعض فينشأ هذا الاتحاد اذًا لمقاومة الاطماع الكبيرة . مثال ذلك اتحاد المدن اليونانية على الاسكندر . واتحاد العشائر الانكليزية على قيصر . واتحاد الرومانيين والفرنك والغوط على اتيلا . واتحاد اوربا تقريباً على نابوليون ما خلا الدانمرك وبولونيا فانهما ابتا ان تكونا على هذا الفاتح نكايةً باهل اوربا وتشفياً منهم عما ساموها من خُطَّة خَسْف وقهر

وينتج من هذا القانون المبني على التجارب الصحيحة ان الممالك تتوادُّ على البعد اكثر من توادها على القرب . والمحالفات التي تطول حياتها هي ما عُقد منها بين الممالك المتنائية . وهذا تاريخ فرنسا مثلاً يشهد ان اسكتلاندا واسوج وتركيا صدقن فرنسا الوئام مما دل على ان الخصومات أليفة القرابات والقضايا لا تقام الاَّ بين الجيران . ولكن قد تحدث لهؤلاء الجيران قضايا مع جيران لهم ليسوا جيراننا فمن السهل الاتفاق مع هؤلاء . فقد كانت فرنسا واسكتلاندا كغصنين في دَوْحَة بغضاً بانكلترا وكذلك كانت اسوج وتركيا بغضاً بالنمسا والمانيا

ومما يدور على الالسنة اليوم في اميركا الجنوبية انهُ سيعقد اتحاد بين فنزويلا وجمهورية اكواتور على كولومبيا الفاصلة بينهما وسيبرم اتحاد آخر موقت بين شيلي والبرازيل على جمهورية الارجنتين التي تفصل بينهما ايضاً

ومن اقوى عوامل الاتحاد بين الروس والفرنسيس ان الاملاك الروسية والاملاك الفرنساوية لا تكاد تتجاور مع كثرة انتشارها على سطح البسيطة . على حين تقرب املاك المانيا من املاك تينك الدولتين فيحدث من جرّاء ذلك عراك ونزاع . وهذه القاعدة ليست دائمة الاطراد بل هي تابعة للاضطرابات والتغيُّرات التي يدعو اليها السببان اللذان سنتكلم عليهما بعد

عدوة مملكة ما عدوة لصديقة تلك المملكة وان كانتا متباعدتين . لان اصدقاء اصدقائنا اصدقاؤنا واعداء اعدائنا اعداؤنا . ورب جيران متساكنين يتآخون ورب جيران يختصمون . بمعنى ان مصلحة الامة تامر بالتحالف تارةً مع هذه وطوراً مع تلك

حدا بالفرنسيس الخوف من الاسرة المالكة في النمسا ان تصالحوا مع الترك وبينهم من العداوة الدينية حوائل ومن الحنق والكره طوائل بل صافوا انكلترا وهي عدوتهم القديمة وبينهم من الحفائظ ما تسودُّ لهوله بيض الايام

ولطالما تطلَّب الملك فرنسيس الاول عقد تحالف مع انكلترا فلم يتهيأ لهُ ذلك الاَّ على عهد لويس الرابع عشر . وقصارى القول ان القاعدة العامة بين جارين لا يحبهما جار آخر ان يؤاخي اقاهما خطراً دفاعاً عن حوزتهِ ويتناسى الاحقاد الماضية وما يُتوقَّع من الخصومة في الآتي

﴿ الثاني — قرابة الاجناس ﴾ كم من امم تقاربت لا من اصل منشإِها بل بالاختلاط الذي حصل ويحصل في كل مملكة ودور من ادوار الناس . ولا سبيل لان نجد في خليط من الناس ساكنين في صعيد واحد أحفادَ احفاد الجد الاول او اجداداً متشاكلين . وهنا اضاع علماءُ الانسان فلسفتهم فلم يستطيعوا ان يحكموا على الناس من جماجمهم واشكالها . والثابت ان كثيراً من الشعوب المتباينة متجاورةً كانت او متباعدة يطبع فيها تغلُّبُ بعض الشعوب عليها طابعاً اجتماعيًّا لا تنفكُّ تُعرف بهِ . واللغات من اعظم المشاكلات بين الامم . وكلما تكاثرت السياحات بتسهيل المواصلات تظهر هذه المشاكلات متجلية بابهى صورها وتدعو الى مؤاخاة عظيمة مشتركة

ربما تعرَّف الانسان بابن عم لهُ فاحبهُ لمجرد كونهِ ابن عمهِ وبهذا تأسست وحدة ايطاليا . وهذا الاحساس هو الذي أهاب بالأمارات البلقانية الى التنبُّهِ وبهِ قامت الاتحادات الجرمانية والسلافية واليونانية

ولا تنسَ حماس الهولانديين للبوير وحسن صلات البرتغال والبرازيل وكيف تصالحت اليابان مع الصين بعد حربهما الاخيرة

ولا يفوتنك ايضاً ما يشهدهُ الروس من السهولة بين قبائل التتار التي أُضيفت بلادها اليهم . وفنلندا لا تزال نافرةً منهم لمخالفة هيئتها الاجتماعية للروسيين كل المخالفة . فالقيصر يحيَّا احسن تحيَّة في سهول سمرقند القاحلة الواسعة مما لا يحيَّا بهِ على بضعة اميال من بطرسبرج . ذلك لان الروسيَّ على الحقيقة مغوليٌّ تحضَّر . فكأنهُ عند انتقاله الى اواسط آسيا دخل دارهُ وحُشر بين جيلهِ وقبيلهِ اذا اردنا ان نتكلم بلسان اجتماعي .

ومما يستدعي الاعجاب ويستلفت النظر ما حدث من تآلف المان المانيا بالمان النمسا تآلفاً كان داعية لتسهيل التحالف الثلاثي فان الالمان في بلاد النمسا يؤلفون الطبقة الحاكمة . وحكومة تلك البلاد منجذبة باميالها نحو اهالي بروسيا فهما تخرَّجت من هذا الميل ونأت عن

توطيدهِ ولئن كان هذان الشعبان متجاورين فانهما متحابان . ولا بدَّ ان يعرو هذه الحال قلب وابدال اذا انتهت الرئاسة الى ايدي السلاف والتشك خاصة وبين هذه الشعوب والالمان من النفور المستحكم القديم ما يعلم الباحثون مكانهُ . على ان هذا التبدل ليس كما يتوهم البعض قاب قوسين او ادنى لضعف قوة السلاف من حيث الاجتماع ووقوفهم فيهِ دون خصومهم مع تفرُّق كلمتهم وانشقاقهم على انفسهم والمجر الذين يبغضونهم اقرب الى الالمان منهم اليهم فيما اذا استصرخوا لقتال عدوّ عام

اما ايطاليا فليس لها في النمسا اقل ميل على ما عُلم . وقد دعتها القاعدة الاولى التي ذكرناها آنفاً ان تخطب ودّ المانيا وان لم تجاورها وهي حامية هدتها اليها الطبيعة . فايطاليا منضمة اذاً الى النمسا بالقوة وحكم التبعية كما انك تضطر الى ان تسلّم على من بينك وبينهُ برودة اذا صادفتهُ عند صديق لك

وما يدعو اليهِ الجنس من التآلف ظاهر من حركة الرأي العام التي عقبت الحروب الاخيرة فانك لا ترى امة اوربية تحمَّست حق التحمس لاهل مدغسكر الذين داهمتهم فرنسا ونزلت في عقر دارهم ولا لاجل المراكشيين الذين قاتلهم الاسبانيول ولا للدراويش الذين تغلبت الحملة الانكليزية المصرية عليهم . ولكن تعالَ اشهد الاميال التي حازها البوير في اوربا كلها بل في انكلترا نفسها

﴿ الثالث — رابطة الافكار ﴾ يقوى نوع هذا التآلف غالباً في نفوس الشعوب المتحدة في سياستها . وربما أُشربتهُ القلوب إعظاماً للاحساس الديني

لا جرم ان مسائل المصالح تمتزج احياناً في هذه الاميال التي لا غرض فيها . وقد يحدث ان تكون حركة الائتلاف خُلقاً بغير تكلف بحيث ينطبق عليها قولهم " ان الطيور على اشكالها تقع " "وشبيهُ الشيء منجذب اليهِ" . ويحدث ان يكون المتعاقدون على اخلاص الولاء عن بعد من امم متنوعة مؤلفة من المغلوبين على امرهم المقهورين من عدوهم . فلا يأمل الفريق الاول من الثاني الاَّ ما ترجوهُ الثكلى من الثكلى فانهما تتحابان وتتباثان الجوى وتتناجيان في سر هذا التحاب كما يتحاب الاشتراكيون من اي بلد كانوا ويتآخون على اتباع طريقة ما مع اخوانهم في البلدان الاخرى

اذا عُرف هذا ساغ ان نقول انهُ يمكن التأليف بين المتباعدين من الامم باتحاد الدين خصوصاً في الاعصر التي كانت لهُ على العقول السلطة النافذة . ولولا هذا التآلف السامي بذاتهِ لم يجرِ ذاك الاتحاد الذي دعا الى قيام الصليبيين اتحاد لم ينظر فيهِ الى ما بينهم من الخصومات

وتشاجر الاغراض والوف من دواعي التنافر التي تتوسيت وعُمل بما قيل "عند الشدائد تذهب الاحقاد"

ترى من ذلك ان ما يدعو الى اهتمام الاوربيين بالحبشة واظهارهم صورة منليك بمظهر عاهل وامبراطور هو احتفاظ الاحباش ببقية من النصرانية وهذا التآلف كان مستحكماً ايضاً قبل اكتشاف بلاد الحبشة ايام كان ينقب عنها الملاّحون البرتغاليون في شواطيء البحر الهندي ولا قائد لهم الا اقاصيص مدخولة مبهمة

ومثال هذا التآلف حصل بين المسلمين على بعد الديار فقد انتشر في تركيا بل بلغ الهند خبر الهزيمة التي قاسى منها المراكشيون البرتُغالين فصار المغول اعداء المسيحيين لما تظاهروا بالاسلامية على انك ترى تيمورلنك أنحى على الاتراك انحاء شديداً ومثّل بهم تمثيلاً . ولا تنسَ ان فرنسا بألفها الكاثوليك المشارقة خصوصاً الموارنة . وما برحت فرنسا حاصلة على بعض النفوذ في الخارج باسم الدين مما يعرفهُ حق المعرفة تاركو الدين من اهل السياسة

ومن انواع التآلف تآلف مبنيٌّ على وحدة الآراء بين الشعوب الحية والشعوب المائتة وبين الحاضر والماضي فقد يتشيع الجمهوري للجمهوريات اليونانية ويتشيع الملكيُّ للمملكة اليونانية بل قد يتشيع اناس لسويسرا بسبب غليوم تل — احد الرجال الذين حرّروها من سلطة النمسا سنة ١٣٠٧ — وقد يتشيع اناس على البندقية بسبب ذلك المجلس السرّي الذي كان مؤلفاً من عشرة اشخاص على عهد جمهورية البندقية القديمة

وقد اثنى انصار الحكومة الديموقراطية المتحمسون على مدينة اسبارطة الديموقراطية مع انها كانت محكومة بملكين والرقيق فيها يعامل اقسى معاملة . وكان اعداء الدين يقدسون سقراط واعوانهُ وقد كان هو ومن انمَّ انهُ اكثر تديناً من الحزب الذي كان يطاردهم . واصبح من الظَّرف ايام الثورة الفرنساوية ان يلعن قيصر ويبارك بومبيوس لان هذا دافع عن الجمهورية الرومانية لانقاذها من طائح الى الحكم المطلق مع ان بومبيوس كان يرأس الطبقة العالية من الرومان وقيصر يرأس جمهور الشعب

هذه خلاصة ما سطّرهُ الفيلسوف الافرنسي وفيها زبدة الاسباب التي تدعو الى توادد الامم وتباغضها وتآلف القلوب وتفرُّقها

محمد كرد علي

مدام رويه



يعلم قرّاء المقتطف اسم هذه العالمة الفاضلة والمؤلفة المشهورة ولا سيما الذين قرأوا ترجمتها في الجزء الثامن من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف · وقد نعتها المجلات العلمية في اوائل الشهر الماضي (٦ فبراير) بالغة ثلاثاً وسبعين سنة قضت اكثرها في خدمة العلم والفلسفة. ترجمت كتاب دارون المعروف باصل الانواع الى اللغة الفرنسوية سنة ١٨٦٢ وقدمت لهُ مقدمة من ادق ما كُتب باللغة الفرنسوية في هذا العصر من حيث ابداء الآراء الفلسفية وبسطها. وكانت قد عُرفت بالبلاغة وحسن البيان من اشعار نظمتها ونشرتها في المجلات الفرنسوية ومن

رسالة ألَّفتها موضوعها "ماذا يجب ان تكون الكنيسة في البلاد الجمهورية" ومن تعاليمها المنطق للنساء في لوسان بسويسرا بعد ان اتمّت دروسها في السربون وكولاج ده فرانس بباريس. لكن شهرتها بلغت اوج مجدها لما ترجمت كتاب داروين وقدمت له المقدمة المشار اليها ومن ثمَّ تبوأت اعلى مقام بين رجال العلم والفلاسفة ثم توسعت في هذه المقدمة فكان منها كتابها المشهور في اصل الانسان والجماعات

ومن كتبها المشهورة كتاب الصلاح والناموس الادبي Le Bien et la Loi Morale المطبوع سنة ١٨٨١ وكتاب نظام العالم La Constitution du Monde المطبوع سنة ١٩٠٠ ردّت في هذا الكتاب كل ما يُعرَف من نواميس المادة الى حركة الجوهر الفرد على اسلوب فلسفي بديع. وقد زارها والدنا نجيب صروف سنة ١٨٩٩ ورآها مشتغلة بطبع هذا الكتاب فشرحت له اسلوبه شرحاً بيناً وقالت انه ثمرة حياتها وغاية ما وصلت اليه معارفها وفلسفتها. وكانت الشيخوخة قد اضعفت جسمها وازالت نضارتها ولكنها لم تضعف عزيمتها ولا كدّرت صفاء عقلها ولا ازالت البشاشة من وجهها

وسنة ١٨٩٥ قام برتلو واولار وريبو وريشه والتورنو ولفسه وهم من اشهر رجال فرنسا وطلبوا لها نشان لجون دونور قائلين انها عالمة وفيلسوفة نادرة المثال من اللواتي اشتهرن في القرن التاسع عشر فاجيب طلبهم سنة ١٩٠٠ وقدّم لها النشان وزير المعارف المسيو لجيس في وليمة حافلة

وكانت من الشهيرات في الدفاع عن حقوق النساء. وقد ربيت في المذهب الكاثوليكي وقصدت ان تصير راهبةً في صباها لكن اباها صرفها عن ذلك فعادت في خدمة العلم والفلسفة

ظواهر الجو ومذهب ارهنيوس

كل ما في العالم في الارض والسماء غريب عجيب لا يدرَك كنهه ولكن ما تراه العين يوماً بعد يوم تألفه ولا تعود النفس تشعر بغرابته واما ما يقلّ ظهوره كالنجوم ذوات الاذناب والمشاعيل التي ترى بارزة من حرف الشمس وقتما يكسفها القمر كسوفاً تاماً والاكليل النور الذي يحيط بها حينئذٍ والنور البرجي الذي يرى بعد مغيب الشمس مستطيراً في منطقة البروج والشفق القطبي الذي يصل الى اقاليمنا في بعض السنين ويتكرّر ظهوره في نواحي القطبين — كل ذلك وما جرى مجراه لم تزل غرابته من النفوس ولا يزال العامة والخاصة يندهشون من رؤيته اما العامة فلِما ذكر من غرابته واما الخاصة فلأنهم حاولوا تعليله على طرق شتى فلم يصلوا الى

تعليل يشفي الغليل وتسلّم بصحته كل العقول الى ان قام عالم اسوجي منذ سنة من الزمان وعلّل هذه الظواهر تعليلاً يراهُ العلماء الآن اقرب كل التعاليل الى الحقيقة

وخلاصة ذلك ان للمادة دقائق اصغر جدًّا مما كان يُعرَف بالجوهر الفرد الجوهرُ من الهيدروجين يساوي الف دقيقة منها وهي تحمل الكهربائية السلبيَّة وتنبعث بسرعة فائقة من القطب السلبي في انابيب كروكس ومن الاجسام التي تقع عليها اشعة رنتجن ومن الاجسام الحارة كالمعادن الحامية ومن المعادن الباردة اذا وقع عليها النور الذي فوق اللون البنفسجي في اشعَّة الطيف . واذا مرَّت هذه الدقائق في غاز من الغازات احدثت فيهِ دقائق من نوعها كأنها تحلها من جواهره والمواد تجتمع وتتكاثف حول هذه الدقائق فيكبر حجمها بها

تعليل ذوات الاذناب

هذه هي الامور التي بنى عليها ارهنيوس العالم الاسوجي تعليلهُ للظواهر الجوية فقال في تعليل ذوات الاذناب ان نور الشمس يشعُّ منها بقوة معلومة وهذه القوة يمكن معرفتها بالحساب وهي ضعيفة لا تؤثّر في دفع الاجسام الكبيرة عن سطح الشمس ولكن اذا صغرت الاجسام جدًّا حتى صارت مثل الدقائق المشار اليها صارت قوة دفع النور لها اعظم من قوة جذب الشمس فاذا كان قطر نقطة الماء جزءًا من الف جزء من المليمتر وكانت النقطة مكعبة الشكل فيكون ثقلها على سطح الشمس اقل من دفع نور الشمس لها فيدفعها عنها

ومعلوم ان ذوات الاذناب تدور حول الشمس واذنابها مؤلفة من غازات هيدوكربونية وهي تبتعد تارةً عن الشمس وتدنو تارةً منها فاذا كانت دقائقها صغيرة جدًّا حتى يزيد دفع النور لها على جذب الشمس اياها بقيت وراء ذوات الاذناب كأنها مندفعة عن الشمس واذا كانت دقائقها كبيرة حتى يزيد جذب الشمس لها على دفع النور مالت الى جهة الشمس . وقد حسب بعضهم انهُ اذا كان قطر الدقيقة من هذه الدقائق نحو جزء من الف جزء من المليمتر فقوة الدفع مضاعف قوة الجذب واذا كان قطر الدقيقة ستة اجزاء من الف جزء من المليمتر فقوة الجذب ثلاثة اضعاف قوة الدفع

وحينما يقترب ذو الذنب من الشمس تفعل حرارتها الشديدة بهِ فيغلي الهيدروجين الذي فيهِ وتتكاثف الابخرة فيتكوَّن منها نقط صغيرة جدًّا او تندفع منهُ دقائق صغيرة من الكربون كما تندفع من لهب القنديل فاذا كانت هذه الدقائق كبيرة عادت الى المذنب ووقعت عليهِ واذا كانت صغيرة اتجهت نحو الشمس واذا كانت اصغر من ذلك دفعها نور الشمس فمالت الى الجهة الاخرى من المذنب وامتدت في الفضاء . واذا كانت مادة المذنب مختلفة تكوَّن لهُ اذناب

عديدة بعضها ينجذب الى الشمس وبعضها يندفع عنها حسب كبر دقائقها وصغرها ؟

ثم ان السرعة التي تطول بها هذه الاذناب عظيمة جداً فقد حسب الفيلسوف اسحق نيوتن ان المذنَّب الذي ظهر سنة ١٦٨٠ طال ذنبهُ في يومين ستين مليون ميل . فاذا كان قطر الدقائق التي يتألف منها هذا الذنب نصف جزء من مليون جزء من المليمتر دفعها نور الشمس ٤٣٠ كيلومتراً في الثانية من الزمان او ٨٦٥٠٠٠ ميل في اقل من ساعة . والمرجح ان في اذناب ذوات الاذناب دقائق كثيرة اصغر من ذلك فاذا كان قطر كل دقيقة منها عشر جزء من مليون جزء من المليمتر قطعت هذه المسافة في نحو اربع دقائق وقطعت في يومين نحو ستماية مليون ميل . وعلى هذا النمط يعلَّل كل ما يظهر في ذوات الاذناب من ابتعاد اذنابها عن الشمس واقترابها منها والسرعة الفائقة في امتدادها

الاكاليل والمشاعيل

حينما تكسف الشمس كسوفاً كلياً يُرى حول حرفها السنة حمراء من النار تنبعث ثم تنعطف عليها او تبقى في الفضاء كغيوم طافية في الجو على ابعاد شاسعة اربعين الف ميل او اكثر ويظهر حول حرفها اكاليل من النور الساطع يحيط بهِ احاطة الهالة بالقمر وتنبعث منهُ اشعة نورانية يبلغ طولها احياناً اضعاف قطر الشمس . وتعليل ذلك على مذهب ارهنيوس انهُ تنبعث من الشمس ابخرة مختلفة تتكاثف اذا علت عن وجه الشمس وتصير دقائق صغيرة فاذا كان قطرها اكبر مما يلزم لتغلُّب قوة الدفع على قوة الجذب عادت الى سطح الشمس منعطفة عليها واذا كان قطرها اصغر مما يلزم لتغلُّب قوة الجذب على قوة الدفع اندفعت عن الشمس بقوة النور والاولى هي المشاعيل التي تُرى حول الشمس وقت كسوفها والثانية هي اشعة الاكاليل الذي يحيط بها . وليس من الضروري ان تكون قوة الدفع الاولى التي تدفع هذه المواد عن سطح الشمس عمودية عليهِ ولذلك تصعد هذه المشاعل احياناً منحرفة وتعود الى سطح الشمس في شكل اهليلجي وما كان قطر دقائقهِ منها بحيث تتساوى فيهِ قوة الجذب وقوة الدفع يبقى منتشراً كالغيوم حول الشمس

النور البرجي وذنب السرحان

النور البرجي هو النور الذي يرى في دائرة البروج فوق الافق الغربي بعيد مغيب الشمس . وذنب السرحان او الفجر الكاذب هو النور الذي يرى في دائرة البروج ايضاً فوق الافق الشرقي قبيل شروق الشمس وكانهما كلاهما مخروطان من النور خارجان من الشمس وواصلان الى ابعد من الارض تقدم ان المعادن الحامية يخرج منها دقائق صغيرة منيرة مكهربة بالكهربائية السلبية وغلبه

لا يبعد ان ينبعث من الشمس دقائق صغيرة منيرة مثل هذه وتندفع عنها بقوة دفع النور لها وتكون كهربائيتها سلبية كما تقدم حتى اذا بلغت جوَّ الارض مثلاً اعطتهُ من كهربائيتها السلبية فدفعها كما هو معلوم من ان جسمين متكهربين بنوع واحد من الكهربائية يتدافعان فتصير الدقائق الواردة من الشمس تصل الى جو الارض وتندفع فينحرف سيرها وتمرُّ على جانبي الارض في شكل هذلولي حتى اذا لاقت اجساماً اخرى في الفضاء وجذبتها اليها كبرت اقطارها وصارت قوة جذب الشمس لها اقوى من قوة الدفع فتعود نحو الشمس. ولو امكننا ان نقف في القمر لرأينا الارض مشمولة بذيلين منيرين احدهما آتٍ من جهة الشمس والآخر متجه نحوها وهما النور البرجي. والارض نفسها تنبعث منها دقائق صغيرة مثل هذه من وقوع نور الشمس الذي فوق البنفسجي عليها فتضاف الى الذيل المتصل بها كأنَّ حزمة من النور خارجة منها ومتجهة نحو الشمس

اما القمر فلا ذيل لهُ لان ليس لهُ هواء فالدقائق التي تصل اليهِ من الشمس تنتشر على سطحهِ وتحيط بهِ كالغلالة ولا تندفع عنهُ

الشفق القطبي

اذا ادني قطب مغنطيسي من انبوب كروكس الذي فيهِ الدقائق السلبيَّة النيرة او الاشعَّة السلبيَّة اتجهت هذه الاشعة نحو المغنطيس وانحنت عليهِ حتى تصير كالحلقة. وقد تقدم ان الدقائق المكهربة بالكهربائية السلبية تندفع من الشمس الى الارض فاذا دنت منها ودخلت طبقات الهواء العليا التي لطافتها اكثر من لطافة الغازات في انابيب كروكس تكهربت هذه بها وانارت وجذبها قطبا الارض المغنطيسيَّان فتكوَّن فيها حلقات ومجارٍ كما تتكون الحلقات والمجاري في انابيب كروكس اذا ادنيت من مغنطيس. ولذلك يكثر حدوث الشفق القطبي اذا كثر الهيجان في الشمس وكثرت الكلف على وجهها. ويكثر حدوثها ايضاً وقتما تكون الارض مقابلة للمنطقة التي يكثر فيها هيجان الشمس اي من مارس الى سبتمبر. وفي الساعات التي يشتد فيها حر الشمس الواصل الى الارض اي من الساعة الثالثة بعد الظهر فصاعداً وترى في الجهات الشمالية والجنوبية اي بقرب الاقطاب المغنطيسيَّة

كهربائية الجو

اذا كانت الدقائق المندفعة من الشمس الى الارض مكهربة بالكهربائية السلبيَّة وجب ان تكهرب الهواء فتتكاثف دقائقهُ المكهربة بالكهربائية السلبيَّة وتنزل نحو سطح الارض بثقلها ويبقى الهواء العالي مكهرباً بالكهربائية الايجابية وهذا ينطبق على الواقع كما يظهر من امتحان كهربائية الهواء

النيازك

اذا كانت الدقائق تندفع من شمسنا ومن غيرها من الشموس على ما تقدَّم فالواصل منها الى الارض شيءٌ قليل جدًّا وما بقي يسير في الفضاء الى ان يلاقي بعضهُ بعضًا فيتجاذب ويتماسك الى ان تكثر الكهربائية على سطح مجموعهِ ولا تعود تسمح بانضمام غيرهِ اليهِ فتنتشر في الفضاء اجسام صغيرة تجذب الارض بعضها حينما تدنو منها فتسرع اليها وتشتعل من السرعة والاحتكاك بالهواء وهي النيازك وقد يصل بعضها الى الارض سالمًا وهي الرجم ويقع بعضها على شموس اخرى وكرات اخرى غير الكرة الارضية كما يقع على الارض والشمس دقائق من تلك الشموس وتلك الكرات فيستمر التبادل بين اجرام الكون

السديم

السديم لطخة بين النجوم كالضباب المنير يظهر من البحث في نورهِ انهُ غازي في الغالب. وقد اشكل امرهُ على العلماء لانهُ ان كانت حرارتهُ شديدة حتى يرسل نورهُ الينا فكيف يحفظ قوامهُ على لطافتهِ ولا يتمزق اربًا لان الجذب بين دقائق الغاز ضعيف جدًّا حتى اذا حمي قليلاً انتشر ولم يستطع ان يحفظ قوامهُ ولكن يمكن ان يعلل اشراق السديم على مذهب ارهنيوس بان نورهُ حادث من وقوع هذه الدقائق عليهِ من الخارج فانها تأتيهِ مكهربة بالكهربائية السالبية فتتفرَّغ كهربائيتها وينير بها غاز السديم كما ينير الغاز في انابيب كروكس بالمجرى الكهربائي. وبرد السديم غير ضائر لان نور الغاز يشتد باشتداد برودتهِ

هذه خلاصة مذهب ارهنيوس وما يُعلَّل بهِ من ظواهر الجو وحوادث الطبيعة وهو من ابدع المذاهب الحديثة واقربها الى التصديق

دلائل حسن التهذيب

وقفت في مجلة انكليزية تدعى "ادبوكاشنل رفيو" على مقالة للاستاذ نيكولاس مرّي بتلر مدرس الفلسفة في كلية كولمبيا فاحببت ترجمتها ونشرها على صفحات المقتطف لما فيها من الفائدة لنا نحن ابناء المشرق وقد تصرفت في الترجمة تصرفًا ظاهرًا فحذفت واضفت على ما لاح لي من مقتضيات المقام — قال الكاتب

قام كومينيس الانكليزي منذ مئتين وخمسين سنة وطلب ان تنشأ مدرسة كلية في لندن يجتمع فيها رجال العلم من كل صوب ويؤلفون كتابًا يضمنونهُ مجموع حكمة البشر وعلومهم على

اسلوب يلائم حاجات الناس في الحاضر والمستقبل . وكان مشروعهُ هذا جذّابًا لاهل القرن السابع عشر ولا غرو فقد كان معتقدهم اذ ذاك ان العلوم ليست الاّ كمية من الحقائق او المحفوظات ينبغي على المتعلم استيعابها

ولا يزال هذا المعتقد شائعًا بين اهل هذا القرن الساعين وراء المفيد القاصدينهِ من اقرب ابوابهِ . فكم من مرة يستدلُّ على تهذيب فلان بعدد ما يعرفهُ من اللغات او بتعدد العلوم التي تلقاها في المدرسة وبمقدار ما وعاهُ من الحقائق في ذاكرتهِ ثم يظهر بالاختبار ان مثل هذا الاستدلال باطل وان للتهذيب الحقيقي مظاهر اخرى ابعد مرمى وافضل عائدة

فما هو التهذيب إذن هل هو ان يعرف الانسان احوال الطبيعة معرفة تامة منظمة فان كان كذلك فكلُّ عالم من المتقدمين والمتأخرين يكون في مصاف غير المهذبين . او التهذيب ان يكون للانسان ميل خاص للنظر في بدائع الفنون والآداب ويقضي ايامهُ بالتلذذ التصوري كأنهُ في عالم الخيال لا الاعمال . فان كان كذلك فكثيرون من اهل العلم والعمل ممن قادوا افكار معاصريهم وشخَّصوا المبدأ الكمالي في زمانهم واظهروا اسمى الصفات العقلية والادبية يعدون من جملة غير المهذبين

ومعلوم ان حشد المعارف يحدق بنا الآن من كل جهة ويذهلنا بوجوه اختلافاتهِ ومراميهِ وعلى كلٍّ ان يتنحى عن الكثير ويختار القليل . فما احرج الموقف وما اصعب الاختيار وما اكثر الذين لا يحسنون التروي فيعون من المعارف ما لا يجرُّون منهُ مغنمًا ولا يدفعون بهِ مغرمًا فكأنهم يكتفون بقول الناس عنهم فلان عالم حافظ لا يفوتهُ شاذ ولا ضرب من تخريجات الكلام مع ان واحدهم لا يملك من حطام الدنيا شيئًا يذكر ولا يمكنهُ استخدام محفوظاتهِ التي ينافس بها مع رجال الزمان الطالبين الرزق من ابوابهِ الناحتين الخير من معادنهِ .

وعليهِ فمبدا التعلُّم لقصد حشد المعارف واعتبار كميتها بصرف النظر عن امكان استخدامها والانتفاع بها يسقط من نفسهِ ويكون من غايتنا التنقيب عن مبدإ آخر في وجهة أُخرى

والمتأمل في حقائق الحياة المحلل ماجرياتها يرى ان المعارف والفواعل اجمالاً لا ترد على وتيرة واحدة ولا تؤَثر في العقل تأثيرًا واحدًا وهي سنَّة الله في خلقهِ بها تحفظ الموازنة بين افراد الهيئة الاجتماعية ويحصل التعاضد والتعاون وتقسيم الاعمال لاختلاف المباديء والمشارب والافكار والمساعي والنيات

انظر الى آلة نفيسة ترَ ان اجزاءها لا يصح التبادل بينها لان ثمَّ حاجات ورغائب لا تسد ولا تنال بانابة هذا الجزء عن ذاك . ومثل ذلك اوجه التمدن العلمية والادبية والفنية والنظامية

والدينية فمع انها تشتبك بعضها ببعض اشتباكاً وتظهر كأنها غير مستقلة بعضها عن بعض فهي بالحقيقة مستقلة بمعنى انهُ لا يمكن لاحدها ان ينوب مناب الآخر او ان يقوم مقامهُ فينبغي ان يكون لكلٍّ من هذه الاوجه الخمسة علاقة ما في كل تعليم غايتهُ التهذيب . وهذا التعليم متى انتهى الى التثقيف لا تقاس كميتهُ بالفاظٍ وتعبيرات علمية او ادبية او فنية او نظامية او دينية بل بما ينتجهُ من الصفات في عقل المدرَّب وسلوكه . والى هذه الصفات ينظر المستدل على حسن التهذيب لا الى ظواهر المعرفة ومقدار موعيات الذاكرة او محفوظات الذهن . وتوصلاً الى ذلك اذكر خمسة ادلة لحسن التهذيب

﴿ اولها اتقان استعمال اللغة الوطنية ﴾ . وهذا امر حديث في عالم التهذيب لان اللغات الاوربية الحديثة لم تُعتبر من وسائل التهذيب الاَّ بعدما انتقض حصر وسائط التعليم باللغة اللاتينية عند نهاية الاعصر المتوسطة ففي سنة ١٥٤٩ عضد جاك دي بلاَّي درس اللغة الافرنسية بتصريحهِ " انها ليست مفتقرة كما يظن الكثيرون " ووضع ملكستر بعدهُ بقليل كتاباً في التعليم اضطرَّ ان يبين فيهِ سبب وضعهِ في الانكليزية عوضاً عن اللاتينية — كأن التأليف ينبغي ان يظل محصوراً في اللاتينية

وهكذا كانت الحال في اللغة الالمانية وبقي اثرٌ منها ايضاً حتى قام الامبراطور الحالي وصرَّح لمجمع برلين المدرسي سنة ١٨٩٠ ان التدريس مفتقر الى اساس وطني وان اساس كل الدروس يجب ان يكون الالمانية كما انهُ يجب على المعلمين ان يمرنوا الصغار ويربوهم لينشأوا المانيين لاروماً ولا رومانا وان الالمانية يلزم ان تكون المركز الذي يدور حولهُ كل فرع من فروع التعليم وان بروجرام مدارس الحكومة ينبغي ان ينقَّح تنقيحاً يجعل لدرس الالمانية وآدابها المحل الاول

هذا كلام امبراطور المانيا العظيم والالمانية على ما هي عليهِ من التقدم والاعتبار بين لغات اوربا فمن لنا نحن الناطقين بالضاد من حكامنا من ينهض ويصرح للمعلمين وارباب المدارس الاجنبية والوطنية برغبتهِ في تعزيز جانب العربية وانتشالها من حال ضعفها وجعلها لغة حية تنمو كاللغات الاوربية فيرغب في تحصيلها ابناؤها وغيرهم وتنتشر فيها التآليف العديدة المفيدة

وما دامت اللغة محصورة في كتب الادب شعراً ونثراً لا من يضع فيها المؤلفات العلمية والفنية والاجتماعية ويسير بها على مطالب العصر سوى ما تأتي بهِ بعض الجرائد والمجلات فاليقين انها قريبة من شفا جرف هارٍ وزمان سقوطها ليس ببعيد

واذا كان اول دليل عند العالم الاوربي على حسن التهذيب جودة استعمال اللغة الوطنية فاين درجة شباننا وطلبة مدارسنا من التهذيب الحقيقي وكلهم قاصرٌ عن التعبير عن افكارهِ بلغتهِ

تعبيرًا تامًّا مفهومًا فانهُ اذا اراد احدهم ان يذكر حادثة تاريخية او يشرح مسألة علمية او يصف منظرًا رائعًا تعذر عليهِ استعمال اللغة التي ينطق بها لانها غير فصيحة ولم يجد في محفوظاتهِ من الالفاظ والتراكيب ما يفي بالغرض المطلوب

واذا شاء احدهم ترجمة مقالة ما فانهُ يلاقي الامرَّين في التفتيش عن الفاظ واوضاع علمية لغوية تطابق المقصود اذ ليس لهُ ان يشتق صيغة جديدة لما يعرض امامهُ من الالفاظ العلمية الجديدة في اللغات الاوربية الحية او ان يسوق كلمة لغير معناها الحرفي المنقول عن سادتهِ العرب فكأَن القواعد وجدت قبل الالفاظ وكأَن الانكليزية مثلاً او الافرنسية انسب من العربية واقدر على اشتقاق الكلمات او كأَن اللغة غير خاضعة لناموس النمو شان العالم الاعم او كأَن في لغة العصور الخوالي ما يسد كل عوز في لغة العصر الحالي ويقوم بكل مطلب

فاليكم ايها اللغويون ارفع صوتي الضعيف واقول لا تضيقوا على الكتّاب والطالبة الاحداث بكثرة انتقاداتكم ولا تسدوا باب التعريب بل تسامحوا في اوضاع الكلمات واقبلوا من المعرَّب ما كان سهلاً منسجمًا واعلموا ان مفردات اللغة واصطلاحاتها متى تداولتها اقلام الكتّاب وتنازعتها عوامل الاستعمال عاش منها جانب وهلك جانب طبقًا لناموس بقاء الانسب المسلط على عالمي النبات والحيوان

❖ اما الدليل الثاني على التهذيب الصحيح فهو حسن السلوك ❖ ألا ترى انهُ يستحيل على الشخص ان يكون حسن السلوك في كل زمان ومكان ما لم يكن مقتنعًا في نفسهِ بفضل هذا الخلق وجمالهِ. فحسن السلوك إذَن مظهرٌ لما انطوت عليهِ النفس واستحسنهُ العقل فان كان مصنَّعا فحكمهُ حكم غشاء خارجي يمزقهُ اول مس لانانية صاحبهِ. ولا يكون الانسان حسن السلوك ما لم يكن في نفسهِ ترفُّع واحترام يقودانهِ الى احترام غيرهِ وخير محك لانسانية الشخص سلوكهُ مع من دونهُ لان سلوكهُ مع المساوين لهُ او مع مَن هم فوقهُ مكيَّف بأَغراض شتى يذهب معها معرفة الحقيقي من الملتبس

وليكن معلومًا انهُ بقدر ما نظهر لاخواننا من الاحترام والمراعاة والتلطف يحكم علينا فيما اذا كان سلوكنا هذا عرَضًا مفارقًا او خلقًا ناشئًا عن حسن تربية مغروسًا في افكارنا مثمرًا في افعالنا. قال الفيلسوف كَنْت منذ قرن ونيف ان الانسان يحيا بنفسهِ لنفسهِ لا ليكون آلة تحركها ارادة هذا او اميال ذاك وعليهِ فاعمالهُ سواء كانت مختصة بهِ وحدهُ او متعلقة بغيرهِ من الاحياء العاقلة ينبغي ان تعتبر صادرة من حي مطالَب لهُ من الحقوق الاجتماعية ما لغيرهِ . وبديهي ان حسن السلوك مبني على ادراك هذه الحقيقة وكل تهذيب يقصر عن غرس المبدإِ الادبي في

الانسان ولا يحملهُ على السلوك الحسن الناشيء عنهُ فهو حقير في ذاتهِ ناقص في مرماهُ

﴿ اما الدليل الثالث على حسن التهذيب فهو قوة التروي والتعوُّد عليهِ ﴾ . قال الكاتب كثيرًا ما عُيرنا نحن المحدثين وبالاخص الاميركيين باننا مغفلو ملكة التروي وخصائصها السامية وذلك ناشيء عن اشغالنا الشاغلة ومناحينا المتعددة واعدامنا الابعاد والوقت بالبخار والكهربائية . نرى العالم باسرهِ قريبًا منا وماجرياتهُ ترد الينا بواسطة الجرائد اليومية فيطير فكرنا من منيلا الى بكين ومن بكين الى الترنسفال ومن الترنسفال الى هنالنا . تمزقنا العواطف المتضاربة وتشغل افكارنا تصوُّرات شتَّى تتبع بعضها بعضًا بسرعة غريبة نقصر معها عن التروي في اية حقيقة كانت من الحقائق العظمى . هذا ما يوجههُ الينا المنتقدون وحقيق ما هو

قال سقراط ان الحياة بدون النظر الداخلي وفحص النفس لا تعتبر حياة — الحياة التي لا ترى علل ما جرى لها في الماضي ولا تعيّن غاية لها في المستقبل — الحياة التي لا غرض لها ولا تدرك ما يمر بها باطنًا او ظاهرًا — هذه الحياة هي حياة حيوان لا حياة انسان . وهنا تظهر المقابلة بين العقل المهذب والعقل غير المهذب — لصاحب العقل المهذب فطنة وترو واعتبارات خاصة تحملهُ ابدًا على العمل في الحالات الجديدة التي ينشرها لديهِ سجلُّ الزمان مقتنعًا بصحة ما يعمل لا يقلع عنهُ الا اذا ظهرت لديهِ ادلة اوضح واكمل تحملهُ على ذلك — لصاحب العقل المهذب اقيسة من الحقائق والحكمة والاختبار البشري يقيس بها كل امر جديد يطرأُ عليهِ وهذه الاقيسة لا تكتسب الاّ بحسن التأمُّل والتروي . اما العقل غير المهذب فليس الاّ فريسة للتخيلات الطيَّارة وضحية للتعاليم الملبَّسة

وما اصدق ما قالهُ رنان ان اول شرط لارتقاء العقل هو ان يكون لهُ حرية . وعنى بحرية العقل عتقهُ من سلطة ما لا يُعقَل واطلاقهُ ليختار المعقول المطبَّق على المبادىء القويمة اذ لا بدَّ لكل رجل مهذب من جملة مبادىء يعتصم بها ويدرج تقدمهُ عليها . ولا مشاحة ان درس الفلسفة هو الذي يرقي قوة التروي في الانسان الى ان تصبح عادة بحكم الاعادة ومثل ذلك درس آداب اللغة والنظامات السياسية والعلوم الطبيعية من وجه فلسفي

واعلم انك متى اخذت تسأل "كيف" "ولماذا" فانت على طريق العلم والفلسفة وبداءة التروي . والرجل الحقيقي التهذيب يسأل هذين السؤالين على الدوام وتكون النتيجة انهُ يمارس التروي والتبصر في اقوالهِ وافعالهِ

﴿ اما الدليل الرابع على حسن التهذيب فهو قوة النموّ ﴾ . من العقول ما يرقى الى درجة معينة ثم يتبلور نجازًا او يجمد ويأبى النمو فيما بعد فيعيش صاحبهُ وكأن عقلهُ في عالم الغيبوبة لا يعمل

من الاعمال الاّ ما يبقيهِ حيث هو لا حركة ولا تقدُّم ولا قوة جديدة . ولا دافع على الدرس المتواصل والتعليم الذاتي اللذين هما ركنا التهذيب ونجلسا نموهِ

ولا مراء ان العقل النامي المرتقي مدى الحياة هو غاية في الجمال ومدعاة لاعجاب الناس . وهذا ما رفع المستر غلادستون الشهير الى مناصبهِ العديدة واحلَّهُ اخيرًا المكانة الاولى عند امتهِ وجعلهُ جذَّابًا للشبان محبي الرفعة والجاه وهو مثال ما يفعلهُ كل عقل مدرَّب يصاحبهُ سعة النظر ورحابة الصدر وعمق التروي وبعد المرمى اثمار التهذيب ومظاهر نموهِ

ثم انهُ من الضروري لهذا النمو ان يكون للانسان غرض عام لان التضييق العقلي والادبي يضاد النمو فهو والنمو في حرب مستمرة . ولا ينكر ان جانبًا من التهذيب الحالي هو غير التهذيب الصحيح لانهُ يجعل النمو صعبًا ان لم نقل مستحيلاً . وهذا ما يعترض بهِ على بعض مديري المدارس الأجنبية في بيروت وغيرها وهو انهم يسوقون تعاليمهم وذرائع تهذيبهم للطلبة في وجهة لا تفسح للعقل مجالاً للتروي ولا تعوّدهُ ارجاع المعلولات الى عللها والاستفهام عن الغامض "بكيف" "ولماذا" بل هم يلقون مواد تعاليمهم في عقول الطلبة لنمو التعصب المذهبي عوضًا عن تربيتهم على التساهل واعتبار الناس كلهم اخوانًا في البشرية يتعاونون معًا في الحياة الدنيا على ترقية الهيئة الانسانية بخدمة بعضهم بعضًا . وعسى ان لا تطول هذه الحال بل يقوم من ابناء الشرق من يضرب على يد كل اجنبي يسعى في ازدياد انشقاقنا وتفرُّق كلمتنا بتشربنا حب التعصُّب والانقسام ويعضد كل من يعمل على تعميم التهذيب الحقيقي وانتشار التعليم القويم

ومن اعداء النمو ايضًا التفرغ الباكر في الحياة لعلم ما فانهُ يحدد مجال المعرفة والمصلحة ويقودُ الانسان الى التقصير عن ادراك نسبة مصلحتهِ الخاصة الى مصالح غيرهِ . قال الاسقف سبولدن في خطاب لهُ ان الحياة تجانس قوة يرتقي فيهِ الانسان الى درجة الادراك الذاتي ومنها الى درجة معرفة عالم الحق والنظام والمحبة حيث يبطل العمل الناشئ عن الغريزة المحضة ويتسلَّط العقل والضمير على افعال الانسان وتصرفاتهِ . ثم متى ترقَّى هذا التسلط تعمدًا واختيارًا فذلك هو التهذيب او التربية

❖ والدليل الخامس على حسن التهذيب هو المقدرة على العمل ❖ ولقد فات الزمان حينما كانت الغاية الكمالية من التهذيب الانسحاب من العالم ومتعابهِ للاعتزال والتعمق في التأمُّلات والتخيلات الفارغة واليوم لا يعتبر الرجل حقيقي التهذيب ما لم ينتظم في سلك العمل ويبرهن عن درجة معارفهِ بتشغيل ذهنهِ ولسانهِ ويدهِ ويسعى في تحسين الهيئة التي تضمهُ ثم يترك العالم ارقى مما لقيهُ . فالعمل ثمرة العلم ودليل على حيوية التهذيب . اعمل يا من تدعي العلم وبسطة

المعرفة وسعة الاطلاع وكثرة المحفوظات اعمل ايّ عملٍ شئت على شرط ان تتقنهُ وتنتفع بهِ ، عبّر عما تعرفهُ بطريقة مفيدة ولا تتحسّس العمل تحسُّساً ولا تكتفِ بالمعارف الوجدانية ولا تتوانَ عن اظهار شيء منها للغير فتكون اشبه برجل على جانب نهر يحاول العبور الى الجانب الآخر وقوة الماء تصدهُ ويرى لديهِ من الاخشاب والادوات ما يستطيع بها صنع رمث يركبهُ ولكنهُ لايمد لذلك يداً ويقضي الايام حيث هو . والذي يعلم ان اميركا اكتشفت سنة ١٤٩٢ ويجهل الاحوال التي صاحبت ذلك الاكتشاف ولا يعرف علاقة هذا التاريخ بغيره ولا يدرك السبب في اهميتهِ واستعمالاتهِ فاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ او سنة ١٢٩٤ عندهُ سيان

هذه الخصائص الخمس (اتقان اللغة الوطنية وحسن السلوك وعادة التروي وقوة النمو والمقدرة على العمل) هي ادلتي على حسن التهذيب وبها يعرف المهذبون وفي ساحتها يلتقي الطبيب باللغوي والطبيعي بالفيلسوف وكلٌّ يعرف ان صاحبهُ عالم مهذب مع ان وجوه معارفهم مختلفة ومواقف مراميهم متضاربة ولكنهم متحدون بالاخاء مرتبطون بربط الصفات التي نشأت في عقولهم مما تدربوا عليهِ من العلم والعمل

وليكن معلوماً ان بدون هذه الصفات لا يكون الرجل حقيقيَّ التهذيب ولو مهما اتسعت دائرة معارفهِ بل يكون اشبه شيء بتحف الآثار المصرية يبدي بدائع الصنائع وهو ميت بذاتهِ . ولا شيءَ يرينا ويري الناس ايضاً اننا اكتشفنا السر في تحصيل التهذيب مثل هذه العادات والصفات التي تنشأ فينا ايام الدرس والتعلُّم وتتقوى بمرور السنين واتساع الاختبار

بيروت المدرسة الكلية الاميركية بولس الخولي
مدرس العربية في القسم الاستعدادي

التحف والذخائر

لماذا يدفع هذا الرجل الف جنيه ثمن حجر من الماس يحلّي بهِ اصبعهُ او اصبع زوجتهِ وهو لو شاء لابتاع بهِ الف اردب من الحنطة كفتهُ وكفت زوجتهُ واولادهُ مئة عام . ولماذا يدفع ذاك الفي جنيه ثمن كتاب قديم وهو يُطبع كل يوم وتباع النسخة منهُ ببضعة غروش . ولماذا يدفع ذلك عشرة آلاف جنيه ثمن صورة باعها مصوّرها بمئة جنيه وهو يحسب انهُ جوزي على تصويرها احسن جزاء . ولماذا يدفع الغواة الف جنيه ثمن طابع البريد واصل ثمنهِ غرش او نصف غرش . لماذا هذه المغالاة بالاشياء النادرة مهما كان نوعها صوراً وتماثيل وحجارة كريمة

ومصوغات ومصنوعات وكتباً وطوابع بريد . الغرض الاول الامتياز فان الانسان يتوخى الامتياز على غيره فاذا بلغ كفافهُ من حطام الدنيا وزاد عليهِ كثيرًا حاول انفاق بعض الزائد في ما يميزهُ على غيره كالرتب والنياشين والحلى والجواهر والمصنوعات النادرة ونحو ذلك مما يعجز غيرهُ عن لحاقهِ فيهِ . وقد لحظ هذا بعض التجار من طلاب الكسب فصاروا يتجرون بهذه الاشياء ويغالون في اثمانها تحيُّلاً حتى يكسبوا من الراغبين فيها . وارباب الثروة الواسعة لا يبالون بانفاق الالوف على ما يزيدهم امتيازًا على غيرهم

وقد اثرى بعض الناس من التفتيش عن التحف النادرة وبيعها للاغنياء باثمان فاحشة من ذلك صورة منسوبة الى المصور الانكليزي غاينسبرو يقال انها صورة جيورجينا دوقة ديفنشير فقد باعها بيت كرستي الذي يتجر بالصور بعشرة آلاف جنيه سنة ١٨٧٦ فدهش الناس من ذلك حينئذٍ لان هذا الثمن فوق ما كانوا ينتظرون ولم يكونوا قد سمعوا عن صورة بيعت بمثلهِ لكن المستر مورغان الغني الاميركي ابتاع هذه الصورة عينها في الصيف الماضي بثلاثين الف جنيه وابتاع صورة اخرى من تصوير رافائيل بمئة الف جنيه وعرض مئتي الف جنيه على عائلة بورغازي الايطالية ثمن صورة مشهورة من تصوير تشيان فلم تسمح لها حكومة ايطاليا ببيعها ثم اشترتها هي منها بمئة الف جنيه مع القصر الذي هي فيهِ

وهذه الصور كبيرة قد يرى في حجمها ما يشفع ولو قليلاً بغلاء ثمنها ولكن هذه الاثمان الفاحشة تباع بها احيانًا الصور الصغيرة ايضًا فقد اشترى بعض الفرنسويين صورة من لورد ددلي بخمسة وعشرين الف جنيه وهي صغيرة كراحتي اليدين طولها ١٧ سنتمترًا وعرضها كذلك ومزيتها الكبرى انها من تصوير رفائيل المصور المشهور ومن خيرة صوره . ومن الصور الصغيرة الثمينة صورة للمصور ميريس طولها ٤٣ سنتمترًا وعرضها ٣٥ بيعت باربعة آلاف ومئة جنيه . وصورة أخرى اكبر منها قليلاً بيعت في المزاد العلني ببلاد الانكليز في السنة الماضية باربعة عشر الفًا وخمسين جنيهًا وطولها اربعة اقدام وثلاث عقد وعرضها ثلاث اقدام وخمس عقد فبلغ ثمن العقدة المربعة منها سبعة جنيهات ومن الصورة التي قبلها سبعة عشر جنيهًا واربع شلنات ومن الصورة الاولى التي باعها لورد ددلي اكثر من خمس مئة جنيه

وقد ذكرنا غير مرة ان الحكومة الانكليزية دفعت ثمن صورة واحدة من تصوير رافائيل سبعين الف جنيه حتى يمتاز متحف الصور الانكليزي بها على غيره من المتاحف وحتى يستفيد المصورون من رؤيتها فيهِ

وقد زاد ثمن الصور القديمة في هذه الاثناء زيادة فاحشة فان صورة من تصوير غاينسبرو

بيعت سنة ١٨٦٧ بثمانمئة واربعين جنيهاً بلغ ثمنها ٣٢٢٥ جنيهاً سنة ١٨٩٦ ولو عرضت الآن للبيع لبلغ ثمنها اكثر من ذلك كثيراً وقد يزيد الثمن في سنة واحدة مثال ذلك ان صورة بيعت سنة ١٨٩٥ بالف وتسعمائة وثلاثة وخمسين جنيهاً ثم بيعت في السنة التالية بالفين وثمانمائة وسبعة وثمانين جنيهاً

والمغالاة بطوابع البريد النادرة اغرب من المغالاة بالصور النادرة ولم يكن احد يهتم بجمعها منذ ثلاثين سنة غير اولاد المدارس اما الآن فصار لها جرائد خاصة وتجارة رابحة. باع رجل انكليزي بالامس طابعاً منها مما صُنع في جزيرة موريتيوس بالف جنيه لكن الذي باعه التقى على جانبيه من موريتيوس نحو تسع مئة جنيه . وقد بيع طابعان من طوابع البريد من تلك الجزيرة بالفي جنيه حسبان انهما وحيدان لم يبق منهما غيرهما وبيع طابع ثالث بالف وخمسين جنيهاً ولعلهُ اكبر ثمن لطابع واحد من طوابع البريد

وقد يبتاع الانسان تحفة بثمن غير بخس ثم يجد انها تساوي اضعاف اضعافهِ مثال ذلك ان دوق مرلبرو ابتاع تمثالاً صغيراً باربع مئة جنيه ثم دُفع لهُ ستة آلاف جنيه فلم يبعهُ

ومما يغالى بهِ ايضاً الاثاث القديم فقد اشترى بعضهم في العام الماضي خزانتين من طراز لويس الخامس عشر بخمسة عشر الف جنيه . وعند دوق ارجيل خزانة مزدوجة من هذا الطراز تساوي اكثر من تسعة آلاف جنيه . وبيع بالامس اربعة آنية خزفية بخمسة آلاف واربع مئة جنيه وشمعدانان صغيران بالف ومئتين وثلاثة وستين جنيهاً ولوح صغير عليهِ صورة البشارة وصورة لويس الثاني عشر والملكة حنّة على جانبيها بالفي جنيه وهو مصنوع بين سنة ١٤٩٩ و١٥١٣ . وبيعت علاقة (مداليون) صغيرة عليها صورة تشارل غيز كردنال لورين مصنوعة بالمينا على النحاس سنة ١٥٧٤ بالفي جنيه وهي الآن في تحف سوث كنسنتون . وفي هذا التحف صحفة ثمنها ١١٤٦ جنيهاً وابريق ثمنهُ ٩٩٢ جنيهاً وصندوق صغير ثمنهُ ١٠٠٠ جنيه . ومنذ بضعة اشهر اشترى بعضهم حجة قديمة بثمانية شلنات وظهر لدى البحث ان فيها امضاء غاي فوكس الذي قُتل شنقاً سنة ١٥٠٢ ولا يوجد الاَّ ورقة اخرى ممضاة بامضائهِ وقد قدّر ثمن هذه الحجة الآن بعشرة آلاف جنيه من حيث هي ورقة ممضاة باسم رجل مشهور ولا يوجد الاَّ ورقة اخرى ممضاة باسمهِ

على هذا الاسلوب يحاول ارباب الثروة الامتياز على غيرهم بابتياع التحف النادرة امثال وتجارتهم دور التحف ومعارض العلم ولو رمت الى غرض آخر اسمى وابقى من الامتياز

البيان العربي والبيان الافرنجي

تمهيد

البيان حياة العلم بلا مراء واقصى ما تنفى اليهِ ركائب الادباء . وغاية ما تجدُّ وراءهُ طلَبة الانشاء شعار الفصحاء والبلغاء وسمة مصاقع الخطباء . وحلية المجيد من الشعراء . اذا قيست اليهِ بقية علوم الادب كانت بين يديهِ كالخدَم . وكان كالسيد العلَم . فهي باجمعها مسوقة لخدمتهِ مبتذلة في سبيلهِ . اذ ليس شيءٌ منها مقصوداً لذاتهِ بل كلها مقصودة من حيث تتأدَّى بطلاَّبها اليهِ .

اما فضلهُ عليها فمن جهة الموضوع والغرض المقصود. والعلوم كما لا يخفى انما تتفاضل بتفاضل مواضيعها وتتفاوت بتفاوت مباحثها . وتعظم بعظم مقاصدها . واما علوُّ مباحث البيان على مباحث سائر علوم الادب فيكاد يحاكي علوَّ الأطواد على البسائط . فاين مبحث الاعلال والادغام مثلاً من مبحث الفصل والوصل واين مبحث تصريف الفعل مع الضمير من مبحث الايجاز والاطناب والمساواة . واين مطلب افعال المقاربة من مطالب التشبيه والاستعارة والكناية واين مبحث الدخيل والمولَّد من مبحث الخروج عن مقتضى الظاهر . لكن تلك مما لاغنى للبيان عنهُ ولا سلامة لهُ بدونها فمنزلة اللغة والنحو من البيان منزلة الكليات الخمس من القول الشارح في انها وسيلة اليهِ وانهُ هو المقصود بالذات ولا سبيل الى تعريف شيءٍ حدًّا او رسمًا الاَّ بها

هذا ولما كان البيان من علوّ الشأن بالموضع الذي اومأتُ اليهِ عنَّ لي ان اعارض بيان العرب ببيان الافرنج فان المعارضة خير ذريعة الى اظهار المحاسن وابداء المعايب ومعرفة الراجح من المرجوح والقوي من الضعيف. فاذا قال قائل مثلاً زيدٌ اطول من عمرو وقال آخر بل عمرٌو اطول من زيد كان وجه الحكم ان يجتمع زيد وعمرو ويقف احدهما الى جنب الآخر فحينئذٍ يبدو للعين ايهما الاطول وايهما الاقصر ان لم يكن طولها متساويًا لكن المعارضة تلك اشبه شيءٍ باجتياز ارض وعرة موحشة لم يمرَّ بها مارٌّ من قبل . ألا وهي بحث جديد لم أرَ فيــهِ أثرًا لباحث فاتّبعهُ ولا كلامًا لسابق فاستدل بهِ . فمثّلْ لعينك وحيدًا يسلك وعرًا مخيفًا تعلم ان ذلك ليس بالمطلب السهل المنال . بل هو من اجمح ما يحاول القلم تذليلهُ . يقتضي علمًا يتناول دقيقهُ وجليلهُ ودقة نظر تبين صحيحهُ وعليلهُ . والاَّ ارتدَّ الهاجم عليهِ بخفي حنين . ولم اقتحمهُ ثقة باني ابن بجدتهِ والمضطلع بنسج بردتهِ بل شوقًا الى ما وراء الخوض فيهِ من الفائدة وتفكهة للعقول ببحث جديد ذي بال . وقد قسمت الكلام فيهِ الى مطلبين

وخاتمة الاول في ما اتفق فيهِ البيانان والثاني في ما اختلفا فيهِ والخاتمة في كتب البيان العربي

المطلب الاول في ما اتفق فيهِ البيانان

ربما تخال بادئ بدء ان بين هذين البابين اختلافاً بعيد الشقة شاسع المسافة لكن متى تصفحت كتبهما وانعمت النظر في مباحثهما تنقشع عن ذهنك غمامة ذلك الوهم ويظهر لك ان لافرق بينهما الأ من حيث اختلاف اللغة حتى تحسبهما شقيقين فرَّق الدهر بينهما طفلين فربي احدهما عند العرب والآخر عند الافرنج فنشأا وليس احد منهما يعرف لسان اخيهِ مع ما بينهما من اتحاد المولد وتشابه الطباع وتقارب الملامح

اول ما يتفق فيهِ البيانان ان كليهما يبحث في صور التراكيب من حيث تختلف بها وجوه المعاني وليس في كليهما بحث يتعلق بصحة التركيب وفسادهِ اصلاً بل قد تُرك ذلك كلهُ للنحو عند العرب والافرنج . والثاني ان اكثر الابواب في البيانين واحدة كالتشبيه والمجاز والكناية والتلميح والتكرار واختلاف الترتيب بين المعمولات والحذف وائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع اللفظ والطباق والايجاز والاطناب الى غير ذلك مما لا غرض لنا باستقرائهِ في هذا المقام . والثالث ان اصحاب البيانين يحرصون كل الحرص على ائتلاف اللفظ مع المعنى ويحذرون من الجمع بين الجزل والرقيق والجافي والسمج لما في ذلك من التنافر المخل بفصاحة العبارة و يوجبون ان يكون الكلام من وادٍ واحد اما رقيقاً كما في قول الشاعر

اذا ريح الصبا هبَّت اصيلاً   شفت بهبوبها قلباً عليلاً

فالفاظ البيت كلها رقيقة رشيقة واما جزلاً كقول الاخطل في قصيدتهِ المشهورة في مدح عبد الملك بن مروان

فما الفرات اذ جاشت غواربهُ   في حافتيهِ وفي اوساطهِ العُشَرُ

وزعزعتهُ رياح الصيف واضطربت   فوق الجآجئ من آذيهِ غُدُرُ

والرابع ان الامعان في التصنع والتزويق مرفوض عند العرب والافرنج وقد صرَّح بذلك كلا الفريقين في غير موضع من كتبهم . ومن المعلوم عند اهل البيان ان لا اعتبار لشيء من المحسنات الأ بعد موافقة الكلام الفصيح لما يقتضيهِ الامر الواقع والأ كانت تلك المحسنات كتعليق الدرّ على اعناق الخنازير كما ورد في بعض كتب البيان العربي . وقد انشأ محاورةً طويلة امير المنشئين عند الافرنج السيد فنلون في الانتقاد على من يتعمد النكات البديعية والمحسنات اللفظية وقد اشبع ذلك ذماً في رسالتهِ الى المجمع العلمي الفرنسوي الجليلة الفائدة الرفيعة القدر عند البلغاء والخطباء التي يستظهرها متعلمو الخطابة في اكثر المدارس الافرنجية .

والخامس ان البيانيين من العرب والاعاجم قد اجمعوا على ان مطالعة الخطب المهذبة والقصائد المحبرة ورسم اساليبها ومناحيها في الذاكرة اعون مع الممارسة على تحصيل ملكة البلاغة من دراسة القواعد فقط . وقد صرَّح بهذا ضياء الدين بن الاثير في مثله السائر حيث قال اعلم ايها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيهِ اليك أُستاذاً . واذا سألت عما ينتفع بهِ في فنهِ قيل هذا . فانَّ الدربة والادمان اجدى عليك نفعاً واهدى بصراً وسمعاً . وهما يريانك الخبر عياناً . ويجعلان عسرك من القول امكاناً . وكل جارحةٍ منك قلباً ولساناً . الى ان يقول " وما عليهِ ان يخلق لك قلباً فان حمل النصال غير مباشرة القتال " . وقال ابن خلدون في الفصل المترجم بعلم الادب " ان المقصود منهُ عند اهل اللسان ثمرتهُ وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساهُ تحصل بهِ الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوٍ في الاجادة " الى ان يقول " والمقصود من ذلك كلهِ ان لا يخفى على الناظر فيهِ شيءٌ من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم "

قلت من اراد تقريب المسافة على نفسهِ في اكتساب ملكة حسن التعبير فسبيلهُ ان يحتذي على أمثلة البلغاء حتى يرتسم لقوالب كلامهم صورٌ في ذاكرتهِ فما ينقضي عليهِ في مزاولة ذلك الاَّ القليل حتى يرى على انشائهِ مسحة البلاغة . وقد اشار الى ذلك عبد الرحمان ابن عيسى الهمذاني في كتابهِ (الالفاظ الكتابية) حيث قال " لا غنى بالكاتب البليغ ولا الشاعر المفلق ولا الخطيب المصقع عن الاقتداء بالاولين والاقتباس من المتقدمين "

واعلم ان من اخذ نفسهُ بمعارضة الجيد من المنثور والمنظوم فان كان شهماً متوقد الفؤاد لا يلبث ان يعلو في النثر والنظم كعبهُ ويأخذ السبق في حلبة الرهان قلمهُ

والسابع ان العرب مثل الافرنج في تنزيل غير العاقل منزلة العاقل فتخاطبهُ وتنسب اليهِ ما ينسب للعاقل كما في قول الفارعة

ايا شجر الخابور مالك مورقاً كأنكَ لم تجزع على ابن طريفِ

وكقول المتنبي

واشجع مني كل يوم سلامتي وما ثبتت الاَّ وفي نفسها امرُ

وكقول الحسين بن مطير

أَلمّا على معنٍ وقولا لقبرهِ سقتكَ الغوادي مربعاً ثم مربعا

أَيا قبر معن كيف واريتَ جودهُ وقد كان منهُ البرُّ والبحرُ مترعا

والثامن ان العرب والافرنج لا يعتنون البيان الا بعد النحو فيتأخر الاول عن الثاني كما يتأخر تفصيل البرد عن نسجهِ

المطلب الثاني في ما يختلفان فيهِ

اوّل ما يختلفان فيهِ ان البيان مقسوم عند الافرنج الى قسمين احدهما علم البلاغة والآخر علم الخطابة والعرب قسموا البيان الى ثلاثة اقسام معانٍ وبيان وبديع واطلقوا على الثلاثة علم البيان وعلى الاوّل والثاني علم البلاغة وجعلوا البديع بقسميهِ المعنوي واللفظي تحسينًا لا يعتبر الا بعد رعاية المطابقة المعتبرة في علم المعاني ورعاية وضوح الدلالة المعتبر في علم البيان والا كان مستهجنًا مرذولاً . وفي عدهم البديع المعنوي كلهُ تحسينًا نظر ونبحث في هذا بحثًا واسعًا

واما علم الخطابة فلم اعلم عربيًّا تصدى للتأليف فيهِ ولذلك ترجم ابن رشد كتابًا في علم الخطابة لارسطوطاليس وقد طُبع في بعض مطابع اوربا العربية ونشرت المطبعة اليسوعية فصولاً منهُ في مجموعة نفيسةٍ موسومةٍ بمقالات علم الأدب . والثاني ان البيان الافرنجي يبحث في مصادر المعاني ومخارجها بحثًا واسعًا ويفتح الابواب لبسطها ويذكر طرقًا تهدي اليها . واما علماء البيان عندنا فلم يتعرَّض احد منهم لعقد فصول في هذا الصدد بل وكلوا بذلك جميعهِ الفطر والاذواق والاحوال اعتبار ان رسومهُ واحكامهُ مما تستأثر بتعليمهِ الغرائز وتستبد بتلقينهِ الفطر وتهدي اليهِ قوَّة الحس وسلامة الذوق . والثالث ان البيان الافرنجي يذكر طرق تأليف الخطب وتقسيمها واما البيان العربي فلا يذكر في هذا الباب الا براعة الاستهلال وبراعة التخلص وبراعة الختام . لكن الشعراء اذا ارادوا المدح بدأُوا بالغزل او النسيب ومتى فرغ الشاعر من نسيبهِ يتخلص الى مدح من يريد مدحهُ فقد يتقدم بيت التخلص ابيات كثيرة كما وقع لحبيب في داليتهِ التي يمدح بها احمد بن دؤاد ومطلعها

ارأيت ايَّ سوالف وخدود عنت لنا بين اللوى فزرود

فمن هذا المطلع الى بيت التخلص وهو

هيهات منها روضةٌ محمودة حتى تناخ بأحمدَ المحمودِ

ثلاثة عشر بيتًا فما أدري كيف تكون براعة الاستهلال دالة على ما قصدهُ الشاعر من المدح وهي نسيب او غزل . وقد انتقد على الشعراء هذه العادة بعض ولاة الامر منهم عمرو بن العلاء قال يخاطب جماعةً من الشعراء قصدوهُ بقصائد مدحوهُ بها فلم يجز منهم الا ابا العتاهية "ان احدكم يريد مدحنا فينسب في قصيدتهِ بخمسين بيتًا فما يبلغ مدحنا حتى تذهب حلاوة شعرهِ وتعرى طلاوة رونقهِ وابو العتاهية بدأ بذكرنا وختم بمدحنا فكان المستوجب للجائزة

دونكم ". والرابع ان البيان الافرنجي مترجم عن البيان اللاتيني وهذا مأخوذ عن البيان اليوناني فهو بيان ثلاث أمم وبلاغة ثلاث لغات. ومن ثمَّ فلا يقتصرون في التمثيل لضروبهِ وانواعهِ على ما ورد في اللغة الافرنجية بل يمثلون لها بما يجدونهُ بليغاً في اي لغةٍ فكثيراً ما يأتون بأمثلة للطبقة العالية وغيرها من طبقات الكلام بفصول او آيات من اسفار العهدين وبفقرٍ او خطب من يونانيةٍ او لاتينية فيعدون من النمط العالي نبوَّة بلعام الواردة في سفر العدد ٢٣و٢٤ وتسبحة موسى قبيل وفاتهِ الواردة في سفر التثنية ٣٢ والنبوَّة بخراب اورشليم وانقضاء العالم المذكورة في انجيل متى ٢٤ كما يعدون من ذلك النمط ايضاً وصف هوميروس لمعارك الابطال وفيلبيات ديموستان وكاتيلينيات شيشرون وعظة الخطيب البليغ بوردالو اليسوعي في مبعث المسيح ويستنتج من صنيعهم هذا انهم في الحكم بالبلاغة ينظرون الى المعنى فوق ما ينظرون الى اللفظ

واما البيان العربيُّ فانما استنبطهُ فرسان البلاغة من النظر في كلام العرب الفصحاء ولم يرد في كتبهم مثال لنوع من انواعهِ مأخوذ عن كتاب اعجميٍّ وكل شواهدهِ من القرآن والشعر

هذا واذا تصفحت ما في العربية من كتب البيان وشروح الدواوين والبديعيات وكتب الأدب وضممت ما تفرَّق لهم في تضاعيف ذلك من التنبيهات الدقيقة المرشدة الى احكام صناعة الانشاء فلا يكون المطَّلع على البيان الافرنجي اوسع منك علماً بطرق الكتابة واساليبها ولكن ذلك مما لا تصل اليهِ الاَّ بعد الاعوام وهو عند الافرنج مذكور برمتهِ في اصغر كتب البيان فشتان ما حالنا وحالهم من هذه الجهة

الخاتمة في كتب البيان

ان كتب البيان العربيّ على جلالة مقام اصحابها وبلاغة عبارتها تحتاج الى ان يضم اليها فصول في ما يتعلق بمخارج المعاني ومصادرها وبطرق بسطها وتوسيعها وذلك لتظهر للطالب طرق الكتابة وتتبين لهُ اساليبها . ولا يخفى ما في ذلك من الاعانة ولا سيما لذوي القرائح الفاترة على سرعة التوصل الى الغرض المطلوب . واعلم ان بين الكتب المشار اليها من حيث الارشاد الى صناعة الانشاء تفاوتاً بعيد المسافة فالمثل السائر من هذا الوجه انفع من المفتاح ومن تلخيصهِ وان كان دونهُ من حيث نقاوة العبارة وكذا كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري وحسن التوسل الى صناعة الترسل . وسأعقد في المفاضلة بين المطبوع من التآليف البيانية العربية فصولاً وافيةً اذ لا شيء أوفى فائدة للأدباء والمتأدبين ولا هدية انخر عند المنشئين من هذه الموازنات

بيروت سعيد الخوري الشرتوني



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

السرقة والانتحال

حضرات منشئي المقتطف الاغر الاكرمين

بينما كنت امعن الطرف في رياض مقتطفكم الناضرة عثرت على مقالة في " الانتحال او سرقة الشعر والنثر " كلها سهام جارحات اندفع صاحبها بعد الانتقاد على احد الشعراء الافاضل للحط من كرامة شعراء العرب اجمعين اذ قال " لم ينفرد شعراء العرب في القول بتوارد الخواطر والاجماع عليهِ الأ ليسهلوا على المتشاعرين سبيل السرقة " . وهو قول غريب وتحامل عجيب على مثل امرىء القيس وطرفة بن العبد واوس بن حجر وكعب بن زهير والحطيئة وابن الاعرابي وغيرهم من شعراء العرب الذين دانت لهم نواصي القوافي وامتلكوا ازمة الكلام وورد عنهم التوارد الذي ينكر صحتهُ . ذلك ما حدا بي ان اقرر على صفحات مجلتكم حقائق مهمة ودرساً مفيداً فاقول :

يجول خاطر الكاتب في الموضوع فيري ويتصور صفات هي حقيقة محضة كقولنا عن الماء سيال والقمر سيار او كذب محض كقولنا عن الماء صلب والقمر ثابت او مجاز فيصحّ احتمالهُ قريب الوقوع كالقول عن السماء قبة زرقاء وعن الشجاع اسد او بعيد التصور كالقول عن الصباح صوارم والليل مجاول او مجاز بعيد الاحتمال كالقول عن الجاني اسد مستبسل . ثم يأخذ بعنان القلم فيقيد تلك الصفات بالالفاظ المناسبة فيجيء الكلام وهو بهذا الاعتبار محض حقيقة او كذب او مجاز منهُ قريب الوقوع ومنهُ بعيد التصور ومنهُ بعيد الاحتمال . ولما كان لكل كاتب نسق خاص يجري عليهِ جاء الكلام اما مختلفاً واما متفقاً

اما الكلام المتفق فاما ان يكون اتفاقهُ لفظاً ومعنًى او معنًى فقط وذلك اما بقصد او بدونهِ . ومواقع اتفاق الكلام لغير قصد هي اولاً تقرير حقيقة لا يعدل عن لفظها ومعناها نحو

ستة واربعة عشر او حقيقة لا يعدل عن معناها كما اتفق لعبد الله بن شرف القيرواني وابن رشيق الازدي بحضرة المعز بن باديس وقد اقترح عليهما نظم قطعتين في صفة الموز فقال الاول

يا حبذا الموز واسعادهُ من قبل ان يمضغهُ الماضغُ
لانّ الى ان لا مجسّ لهُ فالفم ملآن بهِ فارغُ
فانهُ لي مأكل طيّبٌ وانهُ لي مشربٌ سائغُ

وقال الثاني موز سريعٌ اكلهُ من قبل مضغ الماضغِ
مأكلة لآكل ومشربٌ لسائغِ
فالفم من لين بهِ ملآن مثل فارغِ

وكما اتفق للقاضي الاعز بن ابي الحسن وابن ظافر في وصف دولاب قال الاول

حبذا ساعة المجرّة والدو لاب يهدي الى النفوس المسرّه
فلك دائرٌ يرينا نجوماً كل نجم منها يرينا المجرّه

وقال الآخر حكى فلكاً تدور بهِ نجوم تؤثر في سرائرنا مسرّه
يظل النجم يغرب بعد نجم ويطلع بعد ما تجري المجرّه

وامثال التوارد من هذا القبيل كثيرة لا يمكن لحضرة المنتقد انكارها على اصحابها. ولو اقترحنا على حضرتهِ النظم في وصف الموز او الدولاب لما فاتتهُ معاني تلك الابيات. ومن هذا القبيل اتفاق الشاعر المشهور الشيخ نجيب الحداد وشاعرنا المجيد في صفات القمر الظاهرة لكل ذي عينين وليس من العجيب اتفاق الشاعرين على هذا المعنى او اتفاق الوف من الشعراء بل من المستحيل ان يأتي شاعر على صفات هذا المخلوق البديع ولا يقول انهُ سيّار يدور حول الارض لا يفارقها تمرُّ بهِ الغيوم فتغطيهِ ثم تنقشع فيظهر وكانهُ آهلٌ بالسكان والمخلوقات الحية الخ من الصفات التي لو صحت نسبة السرقة لمن وصف القمر بها لما سلم منها الأ الاعمى الاصم ولو اردنا ان نفتش عن اول من قال معنى البيت

لنا في كل شهر منك هلٌّ تعرّف ما تهاجُ بهِ الشهورُ

لعدنا الى ظلمات التاريخ وربما اوصلتنا الى ابينا آدم

ويتفق الكلام اذا كان مجازاً لتصوُّر قرب الوقوع كما جاء في قولي ابن النجم وابن قلاقس قال الاول

قلت لما دنت لمغربها الشمس ولاح الهلال للنظارِ
اقرض الشرق صنوهُ الغرب ديناً رأ فاعطاهُ الرهن نصف سوارِ

وقال الآخر

لا تظن الظلام قد اخذ الشمس واعطى النهار هذا الهلالا
انما الشرق اقرض الغرب دينا را فاعطاهُ رهنهُ خلخالا

فتشبيه الشمس بالدينار والهلال بالخلخال ونصف السوار تصوُّر قريب الوقوع لا ينكر اتفاق شاعرين عليهِ الاَّ من اغلقت دون افكارهِ ابواب التصور لذلك فلما تحسب الواردة في المواقع المذكورة ضرباً من ضروب البديع والعبرة اذا توافق الكلام المجازي مع تصور بعيد الوقوع كما اتفق لابن الاعرابي وحطيئة حيث قالا

مفيد ومتلاف اذا ما اتيتهُ تهلل واهتزَّ اهتزاز المهنَّدِ

وتغاير قول امرء القيس وطرفة بن العبد في معلقتيهما قال الاول

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم يقولون لا تهلك اسًى وتجملِ

وخالفهُ الآخر بان قال في قافيتهِ وتجلدِ

ولما كانت امثال هذه التصورات البعيدة الوقوع معرضة للشك في مواردتها وانتحال اصحابها اشرط ان يكون الشاعران من مقام واحد في التصور والكتابة ولهذا اخطأ من ينسب السرقة الى عمرو بن معدي كرب في قولهِ

اكبشة لو شهدتِ ببطن جب وقد لاقى الهزبر اخاك عمرا
تظن لبيس ان الليث مثلي واقوى همة واشد صبرا
لقد خابت ظنون ليس فيهِ واضحى البر خالي منهُ صفرا

وان هذه الاقوال مأخوذة من قول بشر بن عفوان

افاطم لو شهدتِ ببطن خبت وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا

الخ بالنص الواحد . ومما يجدر ذكرهُ ان القصيدة التي انتقدها حضرة المنتقد خالية من كل تصور بعيد يحتمل الشك في مواردتهِ ولولا ذلك لما تجرأ صاحبها على اثباتها على صفحات الرئيس

اما موافقة الكلام المقصود في اللفظ والمعنى او المعنى فقط فتكون من المحسنات اذا جاءت لتضمين واستشهاد ولا بد من الاشارة حينئذٍ عند فقد القرينة . وقد تكون جائزة متى صار المعنى مطروقاً نظير قول امعدنا

لولا تحدُّث عن جهنم زفرتي لروت دموعي حادث الطوفان

فهو مأخوذ من قولهِ

ولولا دموعي احرقتني زفرتي ولولا زفيري اغرقتني دمعتي

وقد تكون لغير علة سوى الترفع لمقام شاعر آخر فيسمى سرقة او انتحالاً

هذا ما رأيت اثباتهُ عن موافقة الكلام ومواقعهِ الممكنة وضروب البديع المتنوعة فيها

بيروت جبران لبُس

(المقتطف) ويلي ذلك كلام لا محل لهُ هنا لان غرض صاحب المقالة السابقة تقبيح الانتحال من حيث هو لا الغض من كرامة كاتب بعينهِ والأصحّ ان يقال عن كل كاتب ما قالهُ السيد المسيح لتلامذتهِ من كان منكم بلا خطيئة فليرمها اولاً بحجر. وحبذا لو وضع حضرة الكاتب يدهُ في يد حضرة المنتقد وتضافرا على تقبيح الانتحال من حيث انهُ اعتداء على ما للغير فان من ينظم بيتاً نظم مثلهُ شاعر قبلهُ لا يضرُّ احداً غير نفسهِ اذا فعل ذلك متعمداً السرقة بانحطاط مقامهِ بين الشعراء واما من يأخذ مقالة انشأتها في موضوع ادبي او علمي او صناعي ويدعيها كما فعل بعض الذين جمعوا كتباً من مجلات غيرهم واتجروا بها فهو لصٌّ لانهُ قصد ان يغتني على نفقة غيرهِ

نظر في الانانيَّة

حضرة صاحبي المقتطف الاكرمين

بينما انا اراجع اعداد المقتطف لسنة ١٩٠٠ سررت جدًّا بمقالة صديقي العزيز فارس افندي الخوري "الغيرية" وكذلك سؤال خليل افندي ثابت وجوابكم لهُ من جهة مخادعة الانسان الحيوان الخ . ولقد عجبت من فرط اللذة العقلية وسموها ولا ريب عندي في انهُ لو ذاقها المتهافتون على الشهوات البدنية لفضلوا الاقلاع عنها الى هذه

ولما كنتم احوط من غيركم علماً باهمية هذه المواضيع تجرأت ولو بقليل اهلية للمثول لديكم ولدى القراء الكرام بهذه السطور

واوَّل شيء اثبتهُ في هذه الرسالة هو استحساني هذا المبدأ في رسالة صديقي الغيرية "ان الفرد غاية نظام الحضارة" واؤكد ان هذا هو الاساس الصحيح الوحيد في فلسفة العمران لان الهيئة مع سموها وفرط اهميتها لم توجد الا لمصلحة الفرد

ثم ابسط استحساني لهذا المبدإ السبنسري وهو "ان الانانية هي الناموس الاساسي الوحيد الكامن في الطبع البشري" وان شئت فقل الطبع الحيواني لان الناموس العامل في الاثنين هو واحد من هذا القبيل . ولقد انطبقت شواهد الكاتب كل الانطباق على المبادىء الاساسية التي بنى عليها . لاننا نرى مجاري الامور في الصناعة والزراعة والسياسة وغيرها متجهة

بالاستقامة نحو الفردية اما رأساً او بالواسطة لان المنافع العمومية متوزعة على الافراد

على اني رأيت في جوابكم وفي مقالة العزيز فارس افندي موقع نظر وهو الفرق بين الحاصل والمطلوب كما اني رأيت في اعتراض خليل افندي وجوابكم مشاكلة بين الحاصل والواجب

اما قول حضرتكم في ان الايثار ناموس طبيعي . فهو محط نظري . لان الناموس الوحيد الذي يسوس الطبع الحيواني هو حب الذات — الانانية — اما الايثار فهو حاصل غير مقصود بالذات وقد قادت اليه الانانية وذلك يتضح من نفس الاساس الذي بنيتم حكمكم عليه بقولكم " وفي ما ترونهُ من ايثار الام طفلها عليها سواء كان في الانسان او في العجماوات دليل على ان الايثار ناموس طبيعي " واني انقد ذلك من قولكم "طفلها" ان الام تؤثر طفلها على نفسها . فالايثار واقع ليس على الطفل بل على "ها" من طفلها والضمير راجع اليها . والاَّ فهل يفضل الرجل والمرأة طفل الغير عليهما . لا لا — . فكلام سبنسر اوفى بالغرض من كلامكما اذ قال " ان الغيرية كانت من فجر الحياة لازمة كالانانية والانانية متوقفة عليها كما هي متوقفة على الانانية " فمهما قلبت هذا الكلام لا يخرج عن حدود الحكمة والضبط . فان الحيوان نفساني وهو وكل ما فيه يدور على حب الذات . وان تبادل المصالح بين افراد النوع انما يدور على محور الذات . فان الحائك لا يعطي الزارع نسيجهُ الاَّ طمعاً بالحبوب التي يضطر اليها لقوام حياته . وقس على ذلك كل المصالح المتبادلة

فلا نقدر ان نثبت الغيرية هنا بان القصاب يفضل غيرهُ على نفسه بانهُ يبيعهُ اللحم . لان الانانية قادتهُ الى ذلك . كذلك ايثار الوالدين طفلهما على انفسهما انما هو من باب حب الذات والخلاصة اننا مهما بحثنا في امور الحيوان لا نجد ناموساً يديرهُ الاَّ حب الذات الانانية . وقد اشترك معكما فارس افندي في مقالة الغيرية في هذا المبدإ اذ خلط بين الحاصل والمطلوب بقوله في صفحة ٢٠٦ " ان كل فرد يدفع من قوتهِ جزءا غير يسير لاجل اقامة النسل اولاً في التوليد " . والمتأمل قليلاً يرى ان التوليد حاصل بفعل الحيوان ولكنهُ غير مقصود منهُ اساسيًّا . لان عمل الحيوان منساق بدافع اللذة وهو ينفق قسماً من قوته لا حبًّا بالتوليد بل حبًّا بقضاء شهوته . ولم يكن يعلم ان ذلك يؤدي الى التوليد الاَّ بعد حصوله . وهب انهُ عرف ذلك وقصدهُ فهو لا يزال منقاداً اليه بالانانية لانهُ يعلم ان التوليد يعود عليه بالخير . وهذا عندي من الدلائل على وجود عقل يسوس الطبيعة وهو واحد من ادلة كثيرة اراها واضحة وضوح الصبح لذي عينين . وذلك العقل الازلي قرن المنافع باللذات لاجل حصولها .

فترى الحيوان منساقاً الى الاعمال بدافع الانانية ونتيجة عمله دوام العمران والنظام . فان حب الذات قاد الى انتظام العائلات المدنية وذلك لاجل انتظام العمران . ألا ترى النحل يلامس الازهار رغبةً في حلاوتها ولكنهُ بذلك ينقل اللقاح من ذكور الازهار الى اناثها . افنقدر ان نقول بفضل النحل وغيريتهِ حباً بتوليد الازهار . وعلى هذا النحو ارى عمل التوليد في كل انواع الحيوان ومن جملتها الانسان فتوليده' لا يبرهن غيريتهُ على الاطلاق بل كل شيء فيهِ حتى التدين محصور في انانيتهِ. ولقد احسن صاحب الغيرية واي احسان بتوجيهِ الخطاب في صفحة ٥٠٧ وما يليها الى النقطة المركزية في دائرة البحث وهي الفضيلة العملية وقد جمع القواعد العملية في الصفحة ٥١٠ بقولهِ "على الفرد ان يكون (١) قواماً بالقسط (٢) داعياً الى العدل والاستقامة . وعندي ان هذا هو الانسان كلهُ

على انهُ اتسع المجال هنا لخليل افندي ثابت في اعتراضهِ وجوهره' اذا كانت الانانية الناموس الوحيد في الطبع الحيواني واذا جاز للانسان مخادعة الحيوان والنبات فلماذا لا يجوز لهُ مخادعة الانسان وقتلهُ في سبيل انانيتهِ . قال ذلك استناداً على ناموس التنازع وبقاء الانسب . ويلوح للمطالع ان ذلك من المشاكل : قال " فاذا صحَّ ما تقدم كان الانسان غير مخيَّر في اكتفاء مطامعهِ وشهواتهِ " وقد أيد ذلك في الصفحة ٥٠٩ " ان الانسان غير ممتاز في عين الطبيعة عن الحيوان " وهذا لا ريب فيهِ

ومقياسهُ هو هكذا ١ً الانسان حيوان ٢ً الناموس العام الانانية ٣ً النتيجة انهُ يجوز للانسان مخادعة غيرهِ . وارى ان القسم الاغلب جارٍ في سلوكهِ اليومي على هذا القياس وسبب هذا السقوط هو خلط الحاصل بالواجب . كما خُلِط فيما سبق بين الحاصل والمطلوب . اما ناموس التنازع فحاصلهُ كما استنتج المعترض بدون ريب . ومتى صار ناموس التنازع اساس الآداب لا ارى مانعاً من مخادعتنا غيرنا من البشر . ولكن المسألة ادبية لا طبيعية . والآداب لا تبنى على نواميس الطبيعة لان الطبيعة قد سفلت بالشوق الى ما يخرج بها عن دائرة المصلحة الشخصية . ألا ترى ان السكير والزاني يضران بنفسيهما انقياداً للشهوة وقد صحَّ فيهما قول افلاطون اذا ادبرت الحكمة خدمت العقول الشهوات . " نعم ان الانسان غير مخيَّر " كما قال خليل افندي ولكن ذلك من قبيل الواقع لا من قبيل النافع . وما احسن القول ان الجاهل عدو نفسهِ . اما سؤَال حضرتهِ فهو ايُّ انتج لبقاء الانسب . والحاصل ان في الطبيعة نقصاً ادبياً يجعل اختباراتنا محصورة في دائرة الانانية

ان الانسان بسبب فسادهِ استعبد للذة ولكن طبيعة العمران لم تشاركهُ في ذلك السقوط

فلا تزال مؤسسة على الحق . وهذا من مؤيدات قولي بوجود عقل يسوس الطبيعة . فلا تزال الفضيلة انفع من الرذيلة مع ان الثانية اكثر دورانًا في الحياة البشرية

فالاستناد على ناموس التنازع في الادبيات هو في غير محله . لان الطبيعيات موضوع سافل خالٍ من الغاية وهي محصورة "في الواقع" فالطبيعيات ترينا ما هو جارٍ لا ما هو واجب اذ لا غاية في سيرها . فالكواكب تجري في افلاكها مقسورة . وكذا المد والجزر والظواهر الجوية والجذب والدفع وتعاقب الفصول وكذلك ازهار الربيع ومعاء الاغنام وتغريد الاطيار والمزاوجة وكل الاعمال الحيوانية الطبيعية . اما الآداب فمبنية على ما هو اسمى من ذلك مبنية على الغاية وضابطها الواجب . وقد يكون الواجب عسر الوصول اليهِ لكنهُ لا يزال اساس الالتزام . وجوابًا لسؤال خليل افندي يقال

ان العقل الذي يسوس الطبيعة عيّن لكل نوع من المخلوقات غاية ينتهي القصد منهُ بحصولها . فغاية نبات الربيع تتم بحصوله وعندئذٍ لاجرم اذا جززناهُ وغاية الاطيار والاسماك والحيوان خدمة الانسان وبخدمتها تتم الغاية بوجودها فيستخدم الحمار والحصان والكلب في حاجاتهِ بحياتها كما يستخدم الطير والخروف والسمك في حاجاتهِ بذبحها . ولكن هل غاية الانسان كذلك . أيوجد صنف من الناس خلق لاجل غيرهِ . كلاَّ . فلا يجوز للانسان ان يخادع الانسان بل ان يساعدهُ ويرفق بهِ . نعم اذا تخلَّف احد الافراد باخلاق الحية او الذئب فقد خرج عن دائرة الانسانية فوجب اعدامهُ صيانةً لمصلحة الافراد . وليس كذلك المسابقة في الصنائع . اما ناموس التنازع فغايتهُ بقاء الانسب . ولكن لو جعلناهُ اساسًا في الادبيات آل الى انقراض الجنس او شقاوتهِ . لانهُ متى ساغ لكلٍ مخادعة اخيهِ انتفت الامنية وانفرط عقد الاجتماع واندثرت آثار الآداب وتلاشي النوع . ولو كان التنازع العامل الوحيد في البشر لكانت هذه النتيجة هي الحاصل الوحيد . لكن العقل الذي يسوس الطبيعة لهُ مفاعيل اجمالية وفي سير الطبيعة المعوج لاتخرج عن احكام ذلك العقل . وفي نهاية الحوادث البشرية يظهر كمال ذلك العقل

الخلاصة

١ً الانانية هي الناموس الوحيد في الطبع ٢ً الغيرية ضرورية لاجل حفظ الانانية . ٣ً ناموس البقاء يظهر ما هو واقع . ٤ً الآداب مبنية على ما هو واجب ٥ً ذلك الواجب انفع لبقاء الانسب ٦ً هذا عمل الغاية النظام

(المقتطف) وردت الينا هذه الرسالة في العام الماضي بغير امضاء وربما كان فيها

ورقة أخرى بمضاء ضاعت منها فاخذنا نبحث عن كاتبها لكي ننشرها تحت اسمهِ وكتبنا الى جهات مختلفة نسأل عنهُ فلم نهتدِ اليهِ فرأينا ان ننشرها هنا حرصاً على ما فيها وعسى ان يطلع كاتبها عليها وعلى هذه السطور فيكرم علينا باسمهِ فننوه بهِ في جزء تالٍ . اما الآراء الفلسفية الواردة فيها فسنعود اليها في فرصة اخرى وحسبنا الآن ان نقول ان ما اعترض عليهِ من قولنا وقول صاحب الغيرية هو للفيلسوف هربرت سبنسر نفسهِ

عائشة الباعونية

حضرات الادباء الافاضل اصحاب المقطم والمقتطف الاغر

بعد تقديم واجبات الاحترام واهدائكم اعطر التحية وازكى السلام بينما نحن نبحث بمكتبتنا عن سفر نفيس اذ عثرنا على كتاب عنوانهُ مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج فاخذنا نطالع فيهِ ونقلب صفحاتهِ حتى وجدنا اياتاً من الشعر الرقيق المنسجم منسوبة لمن تدعى عائشة الباعونية وفيما نظن انها كانت تزاحم شعراء عصرها المجيدين في فن القريض مثل المتنبي والبحتري وابي تمام وغيرهم فمن قولها في البديعيات الشعرية كالطباق :

هان السهاد غراماً فيهِ اقلقني شوقي وعزَّ الكرى وجداً فلم انمِ

وكالتصدير نحو :

لم يا عذولي وشاهد حسنهم فاذا شاهدتهُ واستطعتَ اللوم بعدُ لم

وكالقلب نحو :

ابن انل عرفن فرّع لنا نبأً من الملام وحشيهِ بوصفهم

وكقولها واستوطنوا السر مني وهو منزلهم ولا افوه بهِ يوماً لغيرهم

وكل بيت من هذه الابيات يشهد بطول باعها وسعة اطلاعها ومبلغ تقدمها في فن الادب ولها ابيات اخرى متينة النظم رقيقة الالفاظ خالية من التنافر والتعقيد وكل ما يخل بفصاحة شعرها وبليغ قريضها

ولما كان الشعر نفثة روحانية تمتزج باجزاء النفوس ولا تشعر بهِ غير النفوس الزكية اختارت الحقيقة بيتاً من الشعر لتشرق منهُ على الكون بانوارها الباهرة رأينا في شعر الفاضلة عائشة الباعونية تلك النفثة الروحانية وشاهدنا الحقيقة تشرق من ابياتها والمحاسن البديعية وتجلى في منظوماتها ولا بد انها ضارعت فحول معاصريها من الشعراء الذين تحلى بهم جيد القريض واخرجوهُ من ظلمات الخفاء الى انوار الظهور لذلك اطلنا البحث في الكتب التي عندنا

فلم نعثر على تاريخ حياتها بل غاية ما وقفنا عليهِ هو عهد منظوماتها وبما اننا نعهد فيكم سعة الاطلاع اتيناكم بهذه السطور راجين افادتنا عن تاريخ هذه الفاضلة وهل لها مؤلفات مطبوعة او بديعيات مدونة في غير الكتاب الذي عندنا ولا بأس من نشر هذه العبارة برمتها في مقتطفكم الاغر لعلنا نجد من يدلنا على تاريخ ضالتنا المنشودة وفي الختام تفضلوا بقبول فائق احتراماتي الودية

سليم صادق

بكفر كلا الباب

(المقتطف) جاء في دائرة المعارف انها " بنت يوسف بن احمد بن نصر الباعوني . اديبة فاضلة وكاتبة عاقلة توفيت في القرن العاشر للهجرة وكانت من نوابغ زمانها علماً وادباً حتى لقد فضلوها بين المولدين على الخنساء بين الجاهليين ووصفها عبد الغني النابلسي وغيرهُ من العلماء فاطروا علمها وادبها . حضرت الفقه والنحو والعروض على جملة من مشايخ عصرها مثل جمال الحق اسمعيل الحوراني واخذ عنها كثير من العلماء . وقد الفت وصنفت نظماً ونثراً الا انها كانت اميل الى النظم منهُ الى النثر ومن تآليفها مولد جليل للنبي (صلعم) ولها ديوان شعر بديع في المدائح النبوية ولها نظم كثير غيرهُ فمن ذلك قولها في الغزل

كأنما الخال تحت القرط في عنقٍ بدا لنا في محيا جلَّ من خلقا
نجم غدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

وانما معظم شهرتها ببديعيتها المشهورة التي سارت بذكرها الركبان ولها عليها شرح بديع سمتهُ بالفتح المبين في مدح الامين نظمتها على منوال بديعية تقي الدين بن حجة مع عدم تسمية النوع الأ نادراً حفظاً لانسجام النظم . وقد شرحتها ايضاً بشرح آخر مختصر . والبديعية المذكورة في ١٢٨ بيتاً مطلعها :

في حسن مطلع اقمارٍ بذي سلمٍ اصبحتُ في زمرة العشاق كالعلمِ

وختامها :

مدحت مجدك والاخلاص ملتزمي فيهِ وحسن امتداحي فيهِ مختتمي "

ونقلت لها صاحبة الدر المنثور قولها في جسر الشريعة لما بناهُ الملك الظاهر برقوق وهو

بنى سلطاننا برقوق جسراً بامرٍ والانام لهُ مطيعه
مجازاً في الحقيقة للبرايا وامراً بالمرور على الشريعه

وقد قالت الدائرة انها توفيت في القرن العاشر وجرت على ذلك صاحبة الدر المنثور لكن البيتين المتقدمين يدلان على انها كانت في عهد السلطان برقوق وكان الملك الظاهر برقوق

في القرن الثامن وتوفي في العام الاول من القرن التاسع ولم تطل مدة ولديهِ الا اذا كانت قد نظمتهما بعد عهدهِ بمئة عام

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطفل لدى الولادة

ترى في احصاء الوفيات فرقًا كبيرًا بين المدن الشرقية والغربية فبينما يكون متوسط الوفيات في القاهرة مثلاً ثلاثين او اربعين في الالف سنويًّا يكون في لندن وباريس نحو عشرين في الالف · بل ترى فرقًا كبيرًا في المدن الشرقية بين احياء الوطنيين والاجانب ففي احياء الوطنيين يكون متوسط الوفيات ثلاثين او اربعين او اكثر واما في احياء الاجانب فيكون عشرين او خمسًا وعشرين في الالف واذا دققت النظر وجدت ان الزيادة ليس في من يموتون شبانًا وكهولاً بل في من يموتون اطفالاً ولولا زيادة المواليد بين الوطنيين عليها بين الاجانب لما كنا نرى عدد السكان في ازدياد كما هو الآن :

وكثرة وفيات الاطفال ناتج بعضها عن كثرة من يولد منهم لان كثرتهم في بيوت الفقراء تقلل حيل الوالدين في الاعتناء بهم وبعضها عن جهل طرق العناية والوقاية من الامراض · وقد تألفت جمعية من السيدات الانكليزيات سعت في تاليف كراريس صغيرة ونشرها بثمن بخس تعلّم النساء بها كيف يعتنين باطفالهنَّ وبيوتهنَّ وبانفسهنَّ · وادرجت في احداها النصائح التالية للوالدات من حيث الاعتناء باطفال وهي

(١) يجب ان لا يعرَّض الطفل للبرد حينما يولد بل يلفّ بلفائف دافئة حتى لا يشعر جسمهُ باختلاف كثير بين حرارة المكان الذي كان فيهِ والمكان الذي خرج اليهِ

(٢) يفرك بقليل من السمن النقي او الشحم النقي في ابطيهِ وحقويهِ وطيات جلدهِ تسهيلاً لنزع المادة الجبنية التي يولد وجسمهُ مغطى بها كثيرًا او قليلاً

(٣) يغسل بعد ذلك بالماء الفاتر وقليل من الصابون النقي · ويجب ان يسرع في غسلهِ

ما امكن حتى لا يبرد جسمهُ وان يكون ذلك في غرفة مقفلة الكوى حتى لا يتعرَّض لمجرى الهواء وتغسل عيناهُ جيدًا من العماص وكل ما يلصق بهما قبل غسل بدنهِ ومتى غسل بدنهُ يحترس لئلاَّ يدخل الماء الذي غُسل بهِ بدنهُ في عينيهِ . والاسفنجة او الخرقة التي يغسل بها مرةً لا يغسل بها مرةً اخرى الاَّ بعد تنظيفها وتجفيفها

(٤) يحسن بالمرأة ان تغسل طفلها بعد ذلك مرتين كل يوم مرةً في الصباح ومرةً في المساء بماء فاتر حرارتهُ كحرارة جسمهِ تضعهُ في اناء الماء وتفركهُ بخرقة ناعمة جدًّا بعد ان ترغي عليها قليلاً من الصابون الجيد ثم تنشفهُ بنشفة ناعمة وتفرك بدنهُ بها جيدًا حتى تدب الحرارة فيهِ

(٥) لا بدَّ من تقميط الطفل حينما يولد بقماط من الصوف الناعم يلف حول بطنهِ حتى يحفظ حبل سرتهِ في مكانهِ الى ان ينقطع ويجب ان تكون حافات القماط ذات هدب ليّن لئلاَّ تجرح جلد الطفل

(٦) من العادات الضارة ان يضغط على يافوخ الطفل وان يعصر ثدياهُ حتى يخرج اللبن منهما فيجب الابتعاد عنهما كليهما

(٧) اذا ظهر تسميط في الطفل اي شيء من التقرُّح في نخذيهِ او تحت ابطيهِ او بين طيات لحمهِ يذر على مكان التسميط قليل من النشا الناعم جدًّا اي يوضع هذا النشا في خرقة رقيقة ناعمة حتى ينخل النشا منها ويضرب بها مكان التسميط فينخل النشا عليها ناعمًا

مكتب الزوجة

يقرأ هذا الباب كثيرات من السيدات اللواتي بيوتهنَّ كبيرة ولربة البيت منهنَّ غرفة للمنامة وغرفة بجانبها تجلس فيها وتستقبل صديقاتها وفي هذه الغرفة تضع مكتبها حيث تكتب مكاتيبها واوراقها والغالب ان تضع فوق المكتب خزانة صغيرة للكتب التي تقرأها ويكون فيهِ ادراج لمكاتيبها والنقود التي توفرها من مصروف بيتها ولكن ما كلُّ ربة بيت من قارئات المقتطف يكون لها غرفة استقبال خاصة فتضطر ان تضع مكتبًا صغيرًا في الغرفة التي تنام فيها ولو في زاوية منها . والطاولة البسيطة تفي بذلك بشرط ان تدهن دهانًا مناسبًا . ويحسن ان تسترها من الاسفل بستارين على جانبي كرسيها تضع داخلهما ما لا تريد اظهارهُ كالاحذية ونحوها

متى رأى الاولاد امهم تقرأ وتكتب منذ طوليتهم شبوا راغبين في القراءة والكتابة والعلم والتهذيب ونمت فيهم هذه الرغبة بتقدمهم في السن

خلع الثياب

سمعنا امرأة تمدح ابنها وتقول انهُ على غاية الترتيب لانهُ يخلع ثيابهُ في المساء ويطويها ويضعها بعضها فوق بعض . والمدح في محلهِ من حيث الترتيب ولكنهُ ليس في محلهِ من حيث الصحة ولو عرفت امهُ ان ترك الثياب منشورة مدة الليل خير للصحة من طيها ووضعها بعضها فوق بعض لعلمتهُ ذلك وكان يفعل امرًا آخر مفيدًا ومرتبًا في وقت واحد وهو ان ينشر ثيابهُ على كرسي امام شباك مفتوح ويقلب الجواب وينشرها على كرسي آخر حتى يحركها الهواء الليل كلهُ فانهُ يزيل ما فيها من الغازات ويطهرها على نوع ما . واذا خلعت المراة ثياب السهرة او الزيارة وجب عليها ان لا تعلقها في خزانتها حالاً بل ان تنشرها على كرسي ساعة او ساعتين الى ان يجف عرقها عنها وتزول الغازات منها بتخلل الهواء النقي لها ثم تعلقها في خزانتها .

غسل شعر الراس

اذا كان الماء قاسيًا لا يرغي فيهِ الصابون بسهولة تضاف اليهِ ملعقة من البورق ويغسل الشعر بهِ وبالصابون ثم يغسل بالماء وحدهُ مرارًا حتى يزول منهُ كل اثر للصابون وينشف بمناشف كثيرة ويترك مسدولاً على الظهر ساعة او ساعتين حتى يجف واذا كان غزيرًا وعسر تنشيفهُ يلف بمنشفة كبيرة حتى يصير بها كالعامة على الراس ولا يحسن غسل شعر الراس والنوم قبلما يجف ولا يحسن ايضًا جدل الشعر او عقصهُ وهو رطب لئلاَّ يعفن

قصاص الاطفال

لا تزال العادة المتبعة عندنا ان يقاص الاولاد بالضرب وكل حكيم منا يقول لا تمنع العصا عن ابنك الكن العلم والاختبار يدلاَّن على ان الضرب بالعصا مضر وتحصل الفائدة المطلوبة من القصاص الذي لا يضرُّ الطفل وهو ان تتغاضى عنهُ وتتظاهر بانك لم ترهُ او لم تلتفت اليهِ حينما يذنب بل تتركهُ الى فرصة اخرى وتذكر لهُ ذنبهُ وتبين لهُ ضررهُ واذا كان لا بدَّ من قصاصهِ فقاصهُ بمنعهِ من اكل الحلوى مثلاً مرةً ما او من اللعب في ساعة معينة

الاعتناء بالشعر

الشعر آية الجمال ولا تلام المرأة اذا اعتنت بشعرها بل تلام اذا اهملت الاعتناء بهِ . ومن اول طرق الاعتناء غسل الراس بالماء الفاتر او البارد قليلاً مرةً او مرتين في الاسبوع ثم

تنشيفهُ بمنشفة كبيرة ويحسن ان يدهن مرةً او مرتين في الاسبوع بالسوائل التي توصف لتقوية الشعر

ولا بدَّ من ان يكون المشط كامل الاسنان صقيلها والاَّ قطَّع الشعر تقطيعاً او اقتلعهُ من اصله وكذلك يجب ان تكون فرشاة الشعر ناعمة لينة لا تعلق بهِ ولا تقتلعهُ

زيت الزيتون النقي المطيب بمادة عطرية من اجود ما يكون لتقوية الشعر فيفرك الراس بقليل منهُ مرة في الاسبوع اي يفرك الشعر وجلد الراس جيدًا ويزال الزائد منهُ بفركه بمنشفة. واذا كان الشعر كثير الجفاف فلا بأْس بفركهِ بالزيت مرتين او ثلاثاً في الاسبوع

اذا ارادت المرأة ان يبقى شعرها غزيرًا وجب عليها ان تقص رأسهُ ولا تدعهُ يطول كثيرًا لانهُ اذ طال عن وسطها فالغالب انهُ يضعف ويسقط بعضهُ فيخف. وهذه الاحكام كلها تصدق على شعر اللحية والشاربين كما تصدق على شعر الراس

الصلع الباكر

يظهر الصلع احيانًا في صغار السن فيجب ان تفحص فروة الراس ببلورة كبيرة مما يكبّر صور الاجسام فاذا ظهر ان الوبر موجود في جلدة الراس تعالج بالعلاج التالي وهو اوقية من الذرَّاح واربعون اوقية من السبيرتو واوقية من زهر الكبريت وثماني اواقي من الغليسرين يوضع قليل من هذا المزيج على جلدة الراس حيث ظهر الصلع وتفرك بهِ جيدًا ويترك عليها ولا بدَّ قبل وضعهِ عليها من غسلها بماء حار وتنشيفها جيدًا ومتى ابتدأ الشعر ينمو يدهن بالدهان التالي بدل الدهان الاول وهو مركب من ٣/١ اوقية من ماء الامونيا و١٠ اواقي من السبيرتو وربع اوقية من زهر الكبريت ونصف اوقية من الذراح واوقيتين من الغليسرين و٤/١ اوقية من فصفات الجير ونصف اوقية من صبغة السنكونا. واذا ظهر ان هذا الدهان يهيج جلدة الراس كثيرًا يضاف اليهِ مقدارهُ من الماء والغليسرين

تسكير الاثمار

انتقِ الاثمار الجيدة من الكمثرى ونحوهِ واسلقها قليلاً في ماءٍ نقي وضعها في شراب ثخين جدًّا واتركها فيهِ يومين ثم صفِّ الشراب عنها فتجدهُ قد سال كثيرًا بعد ان كان كثيفًا فاغلهِ حتى يكثف واعد الاثمار اليهِ وسخنها فيهِ واتركها اربعة ايام وهي فيهِ وكرّر تسخين الشراب ورد الاثمار اليهِ حتى لا يعود يسيل فانزع الاثمار منهُ وجففها في الشمس او فوق نار خفيفة جدًا ويحسن ان تذر عليها سكرًا ناعمًا حتى يسرع جفافها ثم توضع في العلب المعدَّة لها فيتبلور السكَّر عليها بعد ذلك



فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي

نشكر لحضرة الفاضل مصطفى افندي القباني سعيهُ في طبعهِ الكتب القديمة ونشرها . ولكن ما كل الكتب مما يحسن نشرهُ في هذا العصر الذي تراعى فيهِ حرمة الاديان ويكتفى باقل الضررين . ويظهر لنا ان هذا الكتاب مما يحسن العدول عن نشرهِ والاَّ فحذف بعض فصولهِ او فقراتهِ قبل نشرهِ كقولهِ في الصفحة ١٩ وما يليها "ان اليهودي والنصراني كافران وكذا البرهمي والدهري وان الكفر حكم شرعي معناهُ اباحة الدم والحكم بالخلود في النار" فان الحكم بان اليهود والنصارى والبراهمة والدهريين كفرة دمهم مباح ليس مما ترضى حكومة اسلامية بنشرهِ في هذا العصر ولا هو مما لا بدَّ من نشرهِ في هذا الكتاب بل هو مما يمكن الاستغناءُ عنهُ فيهِ وتبقى فصول الكتاب على حالها من حيث سوق الادلَّة والنتائج

الانصاف

للامام ابي محمد عبد الله البطليوسي وقد اعتنى بتصحيحهِ وشرح ابياتهِ وضبط كلماتهِ اللغوية حضرة الفاضل احمد افندي عمر المحمصاني الازهري

قال المصحح في ترجمة المؤلف انهُ كان اماماً في علوم اللغة والادب سكن مدينة بلنسية من جزيرة الاندلس وكان حسن التعليم جيد التفهيم ولهُ نظم حسن ومولدهُ سنة ٤٤٤ بمدينة بطليوس ومن مؤلفاتهِ كتاب المثلث وكتاب الاقتضاب في شرح ادب الكتَّاب لابن قتيبة . وكتاب شرح الموطإ وشرح ديوان المتنبي وكتاب الانصاف هذا

وموضوع هذا الكتاب كما قال المؤلف اسباب الخلاف الواقع بين الامَّة حتى صار من فقهائها المالكي والشافعي والحنفي والاوزاعي ومن ذوي مقالاتهم الجبري والقدري والمشبه والجهمي ومن شيعتهم الزيدي والرافضي والسبَّئي . ثم قال ان الخلاف عرَض من ثمانية اوجه الاول اشتراك الالفاظ والمعاني والثاني الحقيقة والمجاز والثالث الافراد والتركيب والرابع الخصوص والعموم والخامس الرواية والنقل والسادس الاجتهاد في ما لا نصَّ فيهِ والسابع الناسخ والمنسوخ

والثامن الاباحة والتوسّع . ثم فصّل هذه الاوجه تفصيلاً مسهباً الاّ الاخيرين فانهُ لم يفصلهما كما فصّل سائر لابواب بل ادمجهما في صفحة واحدة

الجراد والنمل الابيض والبعوض

LOCUSTS, WHITE ANTS & MOSQUITOS.

مقالات نشرتها حكومة السودان باللغة الانكليزية بعد ان انتدبت من بحث بحثاً دقيقاً عن هذه الحشرات في بلادها فذكرت فيها طبائع كلّ منها والوسائل الفعّالة لاهلاكها . ومما يفيد ذكرهُ من الوسائل المستعملة لاهلاك الجراد المرض الفطري الذي اشرنا اليهِ غير مرة في صفحات المقتطف وقد نجح استعمالهُ في استراليا وهاك الطريقة التي يستعمل بها هناك " يربى هذا الفطر في المعمل البيولوجي على الجلاتين ويرسل الى العمال في انابيب صغيرة من انابيب الكشف . ويغلي العامل ماء يملأ كاساً ويتركهُ حتى يفتر ثم يمزجهُ بالفطر الذي في انبوب الكشف ويضيف اليهِ ملعقة صغيرة من السكر وقطعاً صغاراً من الفلين بعد ان يضعها في ماء غالٍ . ويغطي الكاس ويتركها ٢٤ ساعة فيتولّد مادة غروية على قطع الفلين . ويمسك بعض الجراد الحي بشبكة ويدهنهُ بما في الكاس ويتركهُ حتى يطير وينشر العدوى بين بقية الجراد . وقد وجد في استراليا ان الكاس الواحدة تكفي لتلطيخ الف جرادة بجراثيم العدوى فلا بدّ من انها تعدي الوفاً والوف الوف من الجراد

مرشد مأموري الضبطية القضائية

في ضبط الوقائع الجنائية

وضع هذا الكتاب حضرة الفاضل محمد افندي صبري عضو النيابة بمحكمة الزقازيق وقال في مقدمتهِ انهُ لما رأى رجال الضبطية القضائية وعمد البلاد يعهد اليهم بتحقيق بعض القضايا الجنائية ولم يرَ في ايديهم كتاباً في كيفية التحقيق يستعينون بارشادهِ ويهتدون بمنارهِ الى السلوك في هذه الطرق المتعبة والسبل الملتوية وضع لهم هذا الكتاب المختصر القريب التناول . جمعهُ من بعض الشروح الفرنسوية واضاف الى ذلك بعض الوقائع الجنائية وما لا بدّ منهُ من قانون العقوبات

والكتاب حسن التبويب واضح البيان لا غنى لمأموري الضبطية القضائية عنهُ فنشكر لحضرة مؤلفهِ شكراً جزيلاً

الواسطة ورفع الملام

للامام ابن تيميَّة المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية . ذكر المؤلف في الكتاب الاول اي الواسطة بين الخلق والحق مسألة قال فيها ان رجلين تناظرا فقال احدهما لا بدَّ لنا من واسطة بيننا وبين الله فانَّا لا نقدر ان نصل اليهِ بغير ذلك ثم وضع هذه الرسالة في الجواب عنها وخلاصة جوابهِ انهُ اذا اريد بالواسطة تبليغ امر الله الى العباد فذلك حق . واذا اريد بالواسطة انهُ لا بدَّ من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهُ ذلك ويرجون اليهِ فهذا من اعظم الشرك الذي كفَّر الله بهِ المشركين . واثبت هاتين القضيتين بآيات كثيرة واحاديث عديدة وحسب الحلف بغير الله شركًا لقول الرسول "مَن حَلف بغير الله فقد اشرك"

الاَّ ان من يقرأُ الكتاب الثاني الموسوم برفع الملام عن الائمة الاعلام يحسب ان مؤلفهُ اخر الَّف هذا الدفاع عن الذين يحللون بعض الاحكام الشرعية كامتناع الانبياء وزيارة اضرحتهم لان الفاعل لذلك اما مجتهد او مقلد وكلاهما خارج عن العقوبة . ولكنهُ اذا اتمَّ الكتاب الثاني وجد ان المؤلف يحتم باتباع الكتاب كلهِ والسنة كلها

المصوَّر

المصور اول جريدة عربية ظهرت بصور ملونة ولو طبعت صورها في هذا القطر لحقَّ لنا ان نفاخر بها اكثر الجرائد المصورة في المسكونة لكن صورها تطبع على الورق في باريس على ما يظهر ثم يرسل الورق الى مصر لتطبع الجريدة عليهِ . هذا من حيث صورها اما موضوعها فسياسي ادبي وقال حضرة منشئها ان مذهبهُ في السياسة ان لا يميل مع غاية ولا ينطق عن هوى بل يقول الحق في كل حال وقدَّم على ذلك قولهُ "ان صعود فرنسا في سلَّم القوَّة والنفوذ يعادل نزول انكلترا في هذه السلَّم نفسها" واتبعهُ بقولهِ "ولكن ما تنعل بالانكليز والشغل دينهم والكسب عبادتهم" تفسيرًا لقولهِ ان مدام كولان الانكليزية اشترت الفتاتين الهنديتين الملتصقتين واتت بهما الى اوربا "ولسوءِ حظهما ان هواء اوربا والصفة التي كانتا تعيشان فيها تحت ولاية تلك السيدة الانكليزية كانا عكس ما يلزم لمزاجيهما"

ولو سألت الانكليز كيف ملكتم ما ملكتم من المسكونة لاجابوك اننا ملكنا اكثرهُ باغراء الناس سكانهُ ببغضنا وايغار صدورهم علينا حتى يستحكم الجفاء بينهم وبيننا ونلجأ الى القوة . وطبع المصور متقن مثل صورهِ ولغتهُ فصيحة وهو مدبج بقلم منشئهِ الاديب خليل افندي زينيه

التربية

هو خلاصة من نفثات ادباء الفرنسيس نقلها الى العربية الاديب الفاضل الياس افندي مارون مدلج وفيه كلام موجز في كثير من المباحث العلمية والادبية كالهضم والنوم والعقل وفي اخره فصل صحي كبير الفائدة لحضرة الدكتور امين افندي الجميل . وفوائد الكتاب كثيرة وحبذا لو ترك حضرة معربه الكلمات اللغوية كقوله في الكلام على الاعتناء بالاسنان " انك ان رضخت باسنانك الجوز و اللوز اوغير ذلك من نوى الاثمار او هشمت الخبز هشمت ميناء اسنانك ومتى انكسرت فانت تتهيم عبثاً جمع اشتاتها وجبر صدعها " . وقد فسَّر هذه الكلمات في الحاشية ولكن استعمال المألوف اولى في الكتب التي يراد بها تعميم الفوائد

الابريز

في لغتي العرب والانكليز

هو ترجمان لتعلم اللغة الانكليزية يمتاز على اكثر التراجمة المشهورة بان كلماته الانكليزية مكتوبة بحروف عربية ايضاً . يبتدئ بفصول المفردات وينتهي بمذاكرات ومحاورات وقد طبع في المطبعة الادبية في بيروت على نفقة مخائيل افندي قلفاط وسليم افندي مبداني وهو يباع في الاسكندرية عند الخواجه جرجي غرزوزي وثمنه ثلاثة فرنكات

التأسيس في المقاييس

مجموعة مفيدة في المقاييس والموازين المستعملة في القطر المصري الفها حضرة ابرهيم افندي رحمي مدرس الرياضيات بمدرسة قويسنا التابعة لجمعية المساعي المشكورة ووضع فيها قواعد بسيطة للتحويل ومسائل كثيرة للتمرين فنثني على همته ونتمنى ان ينتفع الطلبة بها

الدروس العروضية

كتاب وجيز في فن العروض الفهُ حضرة الاديب مصطفى بن محمد سليم الغلاييني البيروتي . وضعهُ على طريقة السؤَال والجواب وألحق كل درس منهُ بمسائل كثيرة لتمرين الطلبة وعلق عليهِ حواشي لايضاح الغامض وشرح المبهم والتوسع في ما لا داعي للتوسع فيهِ في المتن فنثني على حضرتهِ ونتمنى لكتابهِ الانتشار التام

حاضر المصريين

او سر تأخرهم

يرد علينا كل شهر كتب مختلفة لننتقدها او لنقرظها وقلّما نجد فيها كتاباً ألّفه صاحبهُ تأليفاً او صنّفهُ تصنيفاً مثل هذا الكتاب فقد عانى مؤلفه الاديب محمد افندي عمر اشد المشاق في جمعهِ وتحبيرهِ لكن هذه المزية الظاهرة لا تذكر في جنب مزية اخرى تحلُّ هذا الكتاب في المحل الاول بين الكتب المؤلفة في العربية والمترجمة اليها فانهُ يبحث في اهم المواضيع الاجتماعية عند ابناء هذا القطر اي في سر تأخرهم . والغرض من هذا البحث اظهار العيوب كما يراها المؤلف وتقبيحها حتى يقلع الناس عنها ويداويها الفضلاء بما يرون لها من الدواء. فهو خادم امين لامتهِ لم يضنَّ في خدمتها بتعب ولم يدخر وسعاً . وطالما رأيناه' في غضون السنتين الماضيتين يسأل ويبحث ويفتش وينقب ويقترح ويستعين ويستوضح ويسترشد الى ان تيسَّر لهُ جمع ثلثمئة صفحة مشحونة بحقائق تنقبض لها النفوس وتتفطَّر منها المرائر ولكنها لا تخلو من بوارق الامل ودلائل الرجاء وقدَّم لها مقدمة وجيزة خلاصتها الإخلاص قال فيها

"وضعت كتابي هذا على مثال كتاب (سرّ تقدم الانكليز السكسونيين) المعرب بقلم سعادة العالم القانوني الفاضل احمد فتحي زغلول بك رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية . ولكنهُ مع الاسف يشرح سرّ تأخر المصريين لا تقدمهم. وغاية ما أودُّ ممن يطالع هذا الكتاب ان لا ينظر اليهِ بعين الاستغراب لما حواهُ من كشف المخبآت ورفع الستار عن المعايب التي في جسم الامة وتؤدي بها الى الهلاك بل ارجوهُ ان يكون على ثقة باني ما كشفت ذاك الستار الاَّ حبًّا بأُمتي وشفقةً عليها لا شماتة. علّنا اذا عُرف الداء سارعنا الى اخذ الدواء قبل استفحال الخطب فنندم حين لا ينفع الندم

اذا انت لم تخبر طبيبك بالذي يسوءك أبعدتَ الدواء عن السقم

اردت بجمع هذه الادواء التي تضرُّ بصحة امتي ان احث البقية الصالحة من الامة فتهب من غفلتها وتلم شعثها وترأب صدعها وتسد خللها وتبحث عن دواء نافع وبلسم شافٍ تداوي تلك الادواء التي اثقلتنا ونحن عنها غافلون . هذا ما قصدت وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى"

وقسم مباحث الكتاب الى ثلاثة اقسام الاوّل الكلام على اغنياء الامَّة والثاني الكلام على اواسطها والثالث الكلام على فقرائها . فتكلَّم في القسم الاول على إسراف الاغنياء في

اعراسهم واهمالهم تربية اولادهم واستغراق هؤلاء الاولاد في الدَّين والاسراف واضاعتهم ما ورثوهُ من آبائهم وخراب بيوت الاغنياء بسبب ذلك . وقد ابان في هذا الفصل انهُ خرب في غضون السنوات الخمس الماضية من بيوت الاغنياء ١٠٠ بيت في القاهرة و٤٢ بيتاً في الاسكندرية و١٤٥ بيتاً في الوجه البحري و٧٦ بيتاً في الوجه القبلي والجملة ٣٦٣ . ومن قرأ الفصل المعقود للكلام على سلوك ابناء الاغنياء بعد موت آبائهم لم يعجب من خراب بيوتهم. والكلام على هذه الادواء تظهر عليهِ صفة الاخلاص التام وهو مشفوع دائماً بالكلام على العلاج المناسب لها

والكلام على القسم الثاني اطول واكثر فصولاً لان الامم باواسطها وقد تكلم فيهِ على الجامع الازهر والازهريين كلاماً مسهباً لا يخلو من التقريع كلامَ مَن يشعر بالم ولا يسعهُ الاَّ الشكوى منهُ والتذمُّر . وانتقل من الكلام عليهِ الى الكلام على العلماء والمحاكم الشرعية والمدارس والجمعيات والاستخدام والمعايش المختلفة كالتجارة والصناعة والزراعة والكتابة واطال في الكلام على الجرائد والكتب والمدارس وبيَّن ما فيها كلها من الحسنات والسيآت وعاد الى الكلام على الاسراف واحسن في تسميتهِ بميزانية الهدم في الامَّة وقال فيهِ انهُ كان للوطنيين في القاهرة ١٦٦١ مكاناً من اماكن الملاهي كالخمامير والقهاوي وذلك قبل سنة ١٨٩١ وكان للاوربيين حينئذٍ ٧٥٥ مكاناً ثم حدث بعد ذلك ٥٠٥٠ مكاناً للوطنيين و١٩٨٩ للاجانب فصار مجموع الملاهي من قهاوي وخمارات ٩٤٧٥ في القاهرة وحدها فاذا فرضنا ان كل مكان منها يبيع بنصف جنيه لا غير يومياً فهي تبيع في السنة بمليون وسبعمائة وثلاثين الف جنيه ثم لو فرضنا ان عدد سائر الخانات والقهاوي في جميع القطر كعددها في القاهرة فقط يكون مقدار ما يُصرف في القهاوي والحانات على الخمر والرقص وما اشبه ثلاثة ملايين واربعماية وستين الف جنيه . ثم لو زدنا على هذا ما ينفقهُ الشبان الجهلاء الذين يرثون من المال ما لا يحصى مقدارهُ ويبذرونهُ في اماكن المقامرة المستورة وغير المستورة لضوعف المبلغ ولما اثبت ذلك قال "اي مصري عاقل لا يتفطر قلبهُ اسىً على امَّة هذا مبلغ حالتها في التبذير واي انسان لا يتحسَّر على مالٍ ينفق بلا نفع ادبي يعود على البلاد وتربية ابنائها وكيف يؤمَّل حفظ كيان امَّة بغير الثروة وهي حياة الممالك او يؤمل لها مستقبل حسن وغاية شبانها وكهولها التبذير والاسراف"

والقسم الثالث في فقراء الامَّة فتكلم فيهِ على زواجهم وعيشتهم الزوجية واهمالهم اولادهم والحرف التي يحترفونها واوهامهم وادمانهم للمسكرات والحشيش وكثرة الجنون الناتجة عن الحشيش والمسكرات وكيفية معالجة مرضاهم وما ينفقون على مآتمهم من النفقات الطائلة والاوقاف

الاسلامية الموقوفة عليهم وفيها خاتمة الكتاب

ولا يسع المنصف الاَّ الاعجاب بهمَّة هذا الشاب الذي استهدف لسهام الانتقاد والتعنيف لكي يبين ما يراهُ عيبًا في امتهِ وبلادهِ ويظهر مواقع الضعف والمرض باجلى بيان حتى يتعهدها فضلاء الامَّة بالعلاج الشافي

وقد وقف حضرة الاصولي الفاضل احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الاهلية الابتدائية على هذا الكتاب فقدَّم لهُ مقدمة بليغة اجاد فيها وافاد قال

"تصفحت هذا المؤلف الجديد فاذا هو قد المَّ بالمطلوب ووفى البحث حقهُ فتكلم عن اخلاق الطبقات الثلاث التي تتألف منها امتنا المصرية وعن عاداتها وحالها في كل مجتمعاتها بما ابان العلة وشخص الداء وارجع جميع الادواء الى اصول الاخلاق وبرهن على ان العمل انما هو الموصل الى السعادة

"الحق احق بالاتباع والضرر انما هو في تمويه الحقيقة بما يسمونهُ تسترًا والنصح ان كان مرًّا ربما حلت عاقبتهُ وحمدت غايتهُ على انهُ ان كانت النصيحة بالتي هي احسن فلا يضيع فيها الصدق بالاخبار عن الواقعيات وقد يكون الواقع اشد ما يكون سماعهُ على النفوس فلا بد اذن من أن يتحرى الناصح الحق ويبين العيب ويدعو الى التنصل منهُ والتنحي عنهُ ولا بد من ان البذرة تنبت متى وُضعت في ارض صالحة واستكملت الشروط وكل النفوس صالحة لتلقي النصيحة ولا ينقصها الاَّ ان يكون زارعها مستجمعًا لشروط القبول ومتى صلحت النية فكل عمل صدر عن صاحبها فهو وان كان صعبًا يكون مقبولاً

"كان يسرني كثيرًا ان انتقد على هذا الكتاب في موضوعهِ فاقول ان هذا العيب الذي ذكرهُ مؤلفهُ في الصنف الفلاني غير موجود ونسبتهُ اليهِ غير صحيحة غير اني آسف اسفًا شديدًا لما رأيتهُ من ان صاحب الكتاب لم يذكر عيبًا في طبقة ولم يندّد بعادة ولم يعير بخصلة ولم يتعرَّض الى خلة الاَّ وجدتهُ بعد التدقيق مصيبًا فيما قال صادقًا فيما نسب بل رأيتهُ مستعملاً الرقة في البيان والتلطف في المقال"

ولا نزيد على ما قالهُ حضرة القاضي الفاضل وانما نشارك حضرتهُ في حث الناس على الانتفاع بهذا الكتاب وفي الثناء الوافر على مؤلفهِ

والكتاب مطبوع طبعًا واضحًا على ورق جيد وثمنهُ ٢٠ غرشًا صاغًا وهو يطلب من ادارة المقتطف ومن كل المكاتب الشهيرة في العاصمة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تكسير الفونوغراف

القناطر الخيرية . نسيم افندي فهمي معاون المحطة . بلغني من صديق اثق بروايتهِ ان سائحاً قدم مصر وطلب من احد الحانوتية ان يضع لهُ آلة فونوغراف في قبر ميت دُفن حديثاً فيعطيهُ مئة جنيه واعطاهُ عشرة جنيهات منها مقدماً ووعدهُ باعطاء التسعين في الصباح التالي فوضع الحانوتي آلة الفونوغراف في القبر ثم افتقدها في الصباح فوجدها مكسَّرة ومطحونة طحناً فمن الذي كسَّرها

ج ان كان صديقكم صادقاً وروايتهُ صحيحة فالمرجح عندنا ان الحانوتي هو الذي كسرها لانهُ فهم قصد صاحبها فاراد ان يحبطهُ

(٢) احسن مجلة علمية انكليزية

ومنهُ . ما هي احسن مجلَّة علميَّة تاريخيَّة ادبيَّة صحيَّة باللغة الانكليزية تفيد مطالعتها المصريين

ج اننا لا نعرف مجلة انكليزية جامعة هذه الاوصاف كلها لان المجلات العلمية الانكليزية كثيرة فالتي تبحث في العلوم الطبيعية مثلاً لا تبحث في التاريخ والتي تبحث في التاريخ لا تبحث في الصحة والمجلات الادبية قلما تنشر شيئاً من المقالات الطبيعية والصحية . وعندهم مجلات خاصَّة لكل فرع من فروع العلوم كالجيولوجيا والاركيولوجيا والكيمياء والنبات والحيوان والطب والصحَّة ولذلك لا نظن انهُ توجد مجلَّة واحدة تفي بمرادكم

(٣) القامة والعلم

ام درمان . عبد الاحد افندي نامي . طالعت في بعض الجرائد مقالة ادَّعى صاحبها ان اكثر النوابغ في العلم والفلسفة والسياسة بل كلهم من قصار القامة واورد اسماء بعض المشاهير مثل الاسكندر الكبير وبولس الرسول ونبوليون الأول فهل ذلك صحيح

ج ان كان ذلك صحيحاً فيكون لان القصار اكثر عدداً من الطوال . ويظهر لنا ان الذين اشتهروا من طوال القامة لا يقلُّون عدداً عن الذين اشتهروا من قصار القامة في ما نعلم الاَّ ان احصاء المشهورين ليس

بالامر السهل ولا نظن ان احدًا استطاعهُ حتى الآن لكي يصحّ ان يبنى عليهِ حكم. وقد عين المجمع العلمي البريطاني لجنة للبحث في طول الناس وثقلهم في بلاد الانكليز فوجدت ان سكان الضياع اطول قامة واثقل جسمًا من سكان المدن وان اعضاء الجمعية العلمية الملكية وهم اشهر علماء الانكليز من اطول الناس ومتوسط طول الواحد منهم خمس اقدام انكليزية وتسع عقد وثلاثة ارباع العقدة وان متوسط طول المجرمين اقل من متوسط طول الشعب الانكليزي بعقدتين والمجانين قصار مثل المجرمين ولكنهم اثقل منهم

(٤) حرارة مياه الآبار

ومنهُ . ان مياه الآبار تكون باردة في الصيف وحارَّة في الشتاء وقد عللتم ذلك في بعض اعداد المقتطف الماضية بانهُ ليس في طبيعة الماء نفسهِ بل هو من ملامسة الجسم للهواء الكروي المتغير بتغير الطقس ولكن مياه الآبار في السودان يشعر بها حارَّة صيفًا وشتاء على حدّ سوى فما سبب ذلك

ج ان تعليلنا للشعور ببرد المياه صيفًا وحرها شتاء هو ان جسم الانسان يبرد في الشتاء فيشعر بالمياه حارَّة بالنسبة اليهِ او بالنسبة الى الهواء الذي يلامسهُ ويسخن في الصيف فيشعر بالمياه باردة بالنسبة اليهِ او الى الهواء الذي يلامسهُ . ومعلوم ان هذا الحكم يراد بهِ مياه الآبار العميقة التي لا تؤثر فيها تقلبات الهواء فاذا لم تكن عميقة اثَّر فيها الهواء فبرَّدها شتاء وسخنها صيفًا فلا يعود الجسم يرى فرقًا كبيرًا بينها وبين الهواء الملامس لهُ . اما الشعور بها في السودان حارَّة في الشتاء فسببهُ ما تقدَّم واما الشعور بها حارَّة في الصيف ايضًا فسببهُ غير ظاهر ولعلكم مخطئون فاعيدوا نظركم في الصيف التالي وقت اشتداد الحر واخرجوا الماء من بئر وغطسوا يدكم فيهِ حالاً قبلما يسخنهُ الهواء فانكم تشعرون بهِ ابرد من الهواء والاَّ فاخبرونا واخبرونا ايضًا في اي ساعة من النهار اخرجتم الماء ووضعتم يدكم فيهِ وكم هو عمق البئر

(٥) عدد المتكلمين بالعربية

ومنهُ . وجدت في بعض الكتب الانكليزية المؤلفة حديثًا ان عدد المتكلمين بالعربية يبلغ ٥٠ مليونًا من النفوس فهل ذلك صحيح واين هم

ج المرجح عندنا الآن ان عددهم ليس اكثر من ستين مليونًا هكذا

في القطر المصري	نحو ١٠	ملايين
في تونس والجزائر	٦٠٠٠٠٠	"
في مراكش وطرابلس	١٠٠٠٠٠	"
في السودان وبقية افريقية	١٨	مليونًا
في جزيرة العرب	١٢٠٠٠٠	"
في الشام والعراق	٤	ملايين
والجملة	٦٠	مليونًا

(٦) عدد سكان تركيا

ومنهُ . كم عدد سكان تركيا حالاً

ج نحو ٤٠ مليونًا . البلدان التي تحكمها مباشرة عدد سكانها نحو ٢٥ مليونًا والبلاد التي لها عليها السيادة فقط وهي مصر والبلغار وبوصنه والهرسك وكريت وصاموس عدد سكانها ١٥ مليونًا والجملة اربعون مليونًا وقد رأينا ان نبسط ذلك في الجدول الآتي ليسهل الرجوع اليهِ

في اوربا	٦٠٨٦٣٠٠
في اسيا	١٧٥٤٥٣٠٠
في افريقية	١٣٠٠٠٠٠
في مصر	٩٧٣٤٤٠٥
في البلغار والروملي الشرقية	٣٣١٠٧١٣
في البوصنه والهرسك	١٥٦٨٠٩٢
في كريت	٣٠١٢٧٣
في صاموس	٥٤٨٣٠
والجملة	٣٩٩٠٠٩١٣

(٧) باثولوجية فان دبك

ومنهُ . هل يطبع كتاب الباثولوجية للدكتور فان ديك الآن او لا وما هي الاسباب الاصلية لمنع طبعهِ ونشرهِ

ج طبع اولاً ونفدت نسخهُ ثم بلغنا ان حضرة رصيفنا الفاضل الدكتور اسكندر بارودي محرر الطبيب شرع في اعادة طبعهِ

(٨) سبب الاغماء

ومنهُ . ان بعض الناس يغمى عليهم اذا رأوا عملية جراحية تعمل امامهم فما سبب ذلك

ج السبب المباشر الاغماء قلة ورود الدم الى الدماغ فلا يعود الدماغ يغتذي اغتذاءً كافيًا فيضعف شعورهُ او يزول وتضعف قوتهُ على تحريك اعضاء الجسم . والفاعل في تقليل ورود الدم الى الدماغ هو ان المنظر الذي يراهُ من يغمى عليهِ يؤثر في اعصابهِ وهي تؤثر في قلبهِ كأن الاعصاب تضطرب كثيرًا فيشعر القلب بذلك ويمنع دمهُ خوفًا من التفريط فيهِ او يحاول ارسالهُ بكثرة فتضيق الاوعية الدموية عنهُ وتنقبض

(٩) علاج البهق

الاسكندرية . ف . ل . كيف يعالج البهق المعروف بالفرنسوية باسم vitiligo

ج ذكر الدكتور فان ديك انهُ يعالج بالاطعمة الجيدة والسكن في هواء نقي والالتفات الى صحة العليل العامة . وبمستحضرات الزرنيخ ولا سيما سيال يوديد الزرنيخ والزيبق اي محلول دونوفان . ومن افضل العلاجات في هذه العلة المستعصية الفصفور يعطى منهُ نحو ٣٠/١ من القمحة او اكثر او اقل حسب عمر العليل واحتمالهِ اياهُ ثلاث مرات كل يوم فبهِ يتحسن حالهُ ويخف البهق ان لم يشفَ تمامًا . ولاجل اصلاح الهضم يتناول العليل مساهل ملحية . ولا بدَّ من ان تعتمدوا على طبيب يعالج عليلكم ويرى فعل العلاج بها

(١٠) علم الاشياء

الاسكندرية. محمد افندي كامل مراد. ما هو علم الاشياء وما فائدتهُ

ج هو وصف بسيط للاشياء التي يراها الصغار فهم يرون القهوة مثلاً ولا يعرفون من اين تاتي ولا ماذا يعمل لها حتى تصير قهوة فيجدون في كتاب علم الاشياء ان على مقربة من مدينة مخا في بلاد العرب شجرًا صغيرًا يحمل بزورًا تجمع حينما تنضج وهي البن ثم يحمَّص هذا البن ويدق ويغلى الماء ويوضع البن المدقوق فيهِ فتصير منهُ القهوة . ويرون الحديد ولا يعلمون كيف يستخرج فيجدون في علم الاشياء وصفًا مسهبًا بسيطًا لقطع الحجارة التي فيها الحديد ووضعها في الاتاتين مع الحجارة الجيرية ونحوها حتى يصهر الحديد ويسيل منها الى غير ذلك من المعارف العمومية التي تنير الاذهان

---

(١١) تحويل التواريخ

امبابه . سمعان افندي عوض . ما هو اقوم سبيل لتحويل التاريخ القبطي الى التاريخ الميلادي والهجري وبالعكس فان الوسائل المتبعة وعرة الدرك وتحار في استجلاء كنهها العقول

ج اسهل سبيل ان تفتشوا عن هذه التواريخ في نتيجة (روزنامه) بسيطة مثل الكتاب الذي وضعهُ المرحوم مختار باشا المصري في المقارنة بين التواريخ الهجرية والسنين الافرنكية والقبطية فاننا نعتمد عليهِ لا على القواعد الحسابية

(١٢) مقارنة تاريخ بتاريخ

ومنهُ . ماذا كان اليوم الثالث عشر من رمضان سنة ١٢٩٤ بالتاريخ القبطي والميلادي

ج تجدون في الكتاب المشار اليهِ آنفًا ان شهر رمضان ابتدأ تلك السنة في اليوم الخامس من ايام النسيء سنة ١٥٩٣ وفي التاسع من سبتمبر سنة ١٨٧٧ . فاليوم الثالث عشر من رمضان هو الثاني عشر من توت سنة ١٥٩٤ والحادي والعشرون من سبتمبر سنة ١٨٧٧

---

(١٣) الكابوس

مصر . ا . ا . ما هو الكابوس ومن اي شيء يحصل

ج اجبنا عن هذا السؤال في الجزء الماضي

---

(١٤) الملوك

الفيوم . فيليب افندي عفري ما هو دواء الهالوك الذي ينبت بين الفول فيتلفهُ

ج يمنع ظهورهُ في الارض بزرعها حنطة او شعيرًا او نحو ذلك من المزروعات التي لا ينبت معها ثم تزرع فولاً بعدها . واذا نبت مع الفول يقلع ويحرق عند اول ظهورهِ قبلما تتولد بزورهُ لانها كثيرة يقع بعضها حين قلعهِ



الكرم الشرقي والكرم الغربي

مضى على جمعية العروة الوثقى والجرائد المصرية اشهر تنادي السكان وتستنهض الهمم لجمع مالٍ تنشأ بهِ مدرسة صناعية في الاسكندرية فلم يزد المجموع حتى الآن على اثني عشر الف جنيه. وفي غضون ذلك قام كارنجي الغني الاميركي ووهب بلاده عشرة ملايين ريال كما ذكرنا في الجزء الثاني (تساوي مليونين من الجنيهات المصرية) فوق هباتهِ الكثيرة لها وللبلاد الانكليزية وهي تبلغ ملايين كثيرة من الجنيهات

وقد اطّلعنا الآن على صورة الهبة او العقد الشرعي الذي وهب بهِ هذا المال الطائل فاحببنا تلخيصها ليرى اغنياء المشرق كيف يعدُّ اغنياء المغرب انفسهم وكلاء على اموالهم وكيف يقفونها على خدمة بلادهم قال

انا اندراوس كارنجي من نيويورك ارى انهُ يجب عليَّ ويسرُّني جدًّا بعد اعتزالي الاشغال ان اتصرَّف بثروتي كمؤتمن عليها تصرُّفًا ينتفع بهِ غيري ولما كنت واثقًا ان من الطرق الفضلى للتصرُّف بهذه الثروة ان اقف بعضها على ما يسهّل وسائل العلم والبحث في بلادي وان الرجال الذين رضوا ان يقوموا بشروط هذا الوقف هم كفء للقيام بها لذلك انطت بهم كنظار على دار كارنجي العلمية في وشنطون عشرة ملايين من الريالات سندات في شركة الصلب (الفولاذ) بالولايات المتحدة التي فائدتها خمسة في المئة سنويًّا (ثم ذكر اسماء هؤلاء النظار وقال)

وينفق ريع هذا الوقف اولاً على ما يلزم لنفقات هؤلاء النظار التي يدعو اليها قيامهم بشروط الوقف وثانيًا على ما يلزم للاغراض التي ساذكرها. ولهم الحق المطلق في التصرُّف بهذه السندات حسبما يخوّلهم قانون البلاد وان يبيعوها على انفراد او في المزاد العلني بالثمن والشروط التي يختارونها وان يشتروا بربحها ما يشاؤُون مما لهُ ريع ولهم ان يبدلوا ما يشترونهُ بشيء آخر اذا شاؤُوا وهم غير مسؤُولين عن سلامة هذه السندات ولا عن سلامة شيء مما يبدلونها بهِ او يبدلون ريعها بهِ ولا عما يحصل من الهبوط في قيمتها ولا عن امانة الذين تودع عندهم. وكل ما اعتمد عليهِ هو ما اثق بهِ من امانة هؤلاء النظار والذين يعينونهم خلفًا عنهم واخولهم الحق بتعيين الموظفين اللازمين لادارة الاعمال التي يقتضيها هذا الوقف حسبما يرون وتعيين الرواتب لهم"

ثم ذكر الاغراض التي يريد ان ينفق ريع هذا المال عليها وهي .

(١) مساعدة الذين يبحثون المباحث العلمية المبتكرة

(٢) اكتشاف الرجال الذين لهم مواهب خصوصية للنجاح في عمل من الاعمال سواء كانوا في المدارس او في غير المدارس ومساعدتهم على اتمام الاعمال التي لهم ميل خاص اليها

(٣) تكثير الوسائل التي تسهّل على الطلاَّب تلقّي العلوم العالية

(٤) مساعدة المدارس العليا واساتذتها على امتحان القضايا العلمية

(٥) مساعدة طالبة العلم في مدينة وشنطون على نيل اعظم الفوائد من المعارض والمكاتب والمعامل والمراصد ومدارس تربية السمك ومدارس زرع الغابات وما اشبه

(٦) طبع نتائج المباحث العلميَّة ونشرها باسرع ما يمكن

ويحق للنظار اذا اتفق ثلثاهم ان يغيروا الاساليب التي ينفق فيها ريع هذا الوقف بشرط ان يبقى الغرض من انفاقها مساعدة الولايات المتحدة الاميركية على السبق في ميادين الاكتشافات العلميَّة واستخدام قوى الطبيعة لخير الانسان .

وريع هذا الوقف الآن مئة الف جنيه في السنة . وفي الولايات المتحدة وقف آخر من هذا النوع اصلهُ مئة الف الف جنيه لاغير ينفق ريعها على المباحث العلمية ونشر الكتب فيها وتكاد فوائدهُ تفوق الوصف فكم تكون الفوائد اذا كان الريع وحدهُ مئة الف جنيه او اكثر في السنة . بمثل ذلك ترتقي البلدان الاوربية والاميركية ويزيد الفرق بينها وبيننا

هبة بعد هبة

ذكرنا غير مرة ان الاستاذ بهرنغ نال جائزة نوبل وهي ٨٤٠٠ جنيه وقد قرأنا الآن انهُ وهبها لقسم امتحان الادوية في مدرسة مربرج الجامعة لكي تستمر على امتحان المصل الذي اكتشفهُ وكأَن لسان حاله يقول

يجود علينا الخيّرون بمالهم
ونحن بمال الخيّرين نجودُ

سبب انتشار الجذام

ذهب العالم هتشنصن الى جنوبي افريقية ليبحث عن سبب انتشار الجذام هناك فوجد ان السبب الاكبر لانتشاره اكل السمك المقدد الناسد وقال انهُ وجد ادلَّة قاطعة ايضاً على ان هذا الداء ينتقل من شخص الى آخر لا بالتنفس ولا بالتلقيح بل بتلوُّث طعام السليم من ايدي المجذوم . واشار بأن تتولَّى الحكومة امر المراقبة على تمليح السمك وتنشر المنشورات البسيطة التي يتعلَّم منها الناس ان الجذام معدٍ وتنشئ مستشفى خاصًّا تجمع فيهِ كل المجذمين وتمنع اتصالهم بغيرهم

هبة علمية اخرى

توفي ولد المستر هرلد مكرمك من شيكاغو بالحمَّى القرمزية فوهب هو وزوجتهُ مليون ريال لانشاء مدرسة للامراض المعدية

التصوير الشمسي الملوَّن

لما اجتمعت اكادمية العلوم في كنكتكت باميركا في ١٢ فبراير الماضي عرض الاستاذ ڤُرِل صوراً كثيرة ملونة بالوان طبيعية أُخذت عن الطبيعة مباشرة على اسلوب جديد استنبطهُ المستر هيت ڤُرِل . وقد بعثت الينا احدى السيدات من المانيا صورة فوتوغرافية فيها نساء ثيابهم ملونة بالوان مختلفة ظهرت فيها الوان وجوههم وشعورهم وثيابهم كما ترى عن بُعد ولذلك فالتصوير الشمسي الملوَّن صار من الممكنات ولو لم يشع استعمالهُ حتى الآن

سسل رودس

ورد نعي هذا الرجل العظيم في السادس والعشرين من الشهر بعد ما طبعنا ترجمتهُ في صدر هذا الجزء في باب رجال المال والاعمال ناظرين اليهِ من حيث جمعهُ للمال وادارتهُ للاعمال كما هو غرضنا من الترجمات في ذلك الباب لاننا نعدُّ الاقتصار على ذكر رجال العلم تقصيرًا في نشر ما يفيد نشرهُ جمهور القراء وفي حث الامة على السير في سبيل النجاح

وقد وردت الينا الجرائد الاوربية بعد ذلك وفيها لمع من ترجمة حالهِ ووصف اعمالهِ ومما قيل فيها انهُ لم يكن نجيبًا في دروسهِ ولا كان كثير المواظبة على حضور الدروس وقد وُبِّخ على ذلك مرارًا فقال ان غايتي الكبرى من الدرس ان اجوز الامتحان واجوزهُ بجازهُ ونال الشهادة وعاد الى عملهِ في مناجم الماس فوحَّدها كما تقدَّم في ترجمتهِ وغرضهُ الاول والاخير ان يغتني ويستعمل غناهُ لجعل جنوبي افريقية بلادًا انكليزية يسكنها الشعب الانكليزي . وقد لامهُ بعض رجال السياسة على اشتغالهِ بالمسائل المالية بعد انتظامهِ في سلكهم اما هو فلم يكن يرى رأيهم بل كان يحسب النجاح في جمع المال ضروريًا للنجاح في السياسة . ومن اقوالهِ المأثورة لانفع للآراء العظيمة ما لم يكن عند صاحبها مال كافٍ لاخراجها من القوة الى الفعل . ويقال انهُ علَّم الناس علمًا جديدًا في فائدة المال

ولم يكتفِ بانفاق جانب كبير من ثروتهِ على تنفيذ مقاصدهِ السياسية بل جعل غيرهُ من كبار الماليين يساعدونهُ في ذلك حتى صار من اغراضهم الاولى انشاء جمهورية كبيرة في جنوبي افريقية خاضعة للسيادة الانكليزية وصاروا يسرُّون بذلك ويتفكهون بالسعي لتحقيقهِ كما يتفكَّهُ غيرهم بالصيد والقنص . وآلت مناجم كمبرلي وده بيرس اليهِ والى اثنين معهُ واراد هؤلاء الثلاثة ان يشتركوا معًا في شركة واحدة فقبل بكل الشروط التي اشترطها الاثنان ثم اشترط هو

ان يسمح لهُ باتفاق ربع منجم ده بيرس على امتلاك البلدان الشمالية ونشر الراية الانكليزية فيها فاعترض الرجلان عليهِ قائلين ان هذا الشرط ليس من الشغل التجاري في شيء فقال اني اعدهُ من الشغل التجاري ولا اتفق معكما ما لم تقبلا بهِ وبقي الثلاثة يتذاكرون ويتجادلون الى الصباح وهو مصرٌّ على طلبهِ واخيرًا اذعنا اليهِ. وبهذا الشرط تمكَّن من امتلاك رودسيا ومن الدفاع عن كمبرلي وقت حصارها. ولما حدثت غارة جايمسن اتُّهم بانهُ اشار بها لاجل المضاربة فانكر ذلك وقال انهُ لم يضارب قط ولن يضارب ابدًا. وبحث بعضهم عن حقيقة هذا الامر في البورصات فوجدوا انهُ قال الحق اي انهُ لم يضارب قط

وكان يثق تمام الثقة بان الراية الانكليزية ستنشر يومًا ما في افريقية من رأس الرجاء جنوبًا الى الخرطوم شمالاً حتى انهُ لما دعاهُ غوردون باشا ليرافقهُ الى السودان سنة ١٨٨٤ بعث اليهِ بالجواب تلغرافيًا يقول سألاقيك يومًا ما في الخرطوم ولكنني اصل اليها من الجنوب لا من الشمال

ويقال انهُ لما نشبت الحرب الافريقية لم يشترك فيها ولم يلجأ الى كمبرلي الاَّ لان اكثر عمَّالهِ كانوا فيها فلم يرَ من الشهامة ان يتركهم ويفر هاربًا بل دخلها وحاصر معهم فيها وافادهم بآرائهِ وافعالهِ واغرى البوير بوضع جانب كبير من قوتهم حولها وبسببهِ تحوَّل كرونجي الى تلك الجهة فأُسر هو ورجالهُ ومالت كفة النصر الى جهة الانكليز. لكن طول مدة الحصار والتعب الشديد اثَّرا في صحتهِ فعاد اليهِ ضعف القلب الذي مات بهِ. وكان اصدقاؤهُ يرجون ان الراحة تعيد اليهِ صحتهُ فيعيش الى ان يرى اعمالهُ مكللة بالنجاح التام لكنهُ لمَّا كان في مصر في الشتاء الماضي كان يشكو كثيرًا من مرض قلبهِ وكتب الى صديق لهُ يقول ان ضغط قلبهِ اشتدَّ على رئتيهِ وزادت آلامهُ ودنا أجلهُ

وقد مات عزبًا ولم يكن لهُ غرض من الحياة غير ان يفتح جنوبي افريقية للانكليز لكي يتمتعوا بهوائه الطيب ويستثمروا خيراتهِ الكثيرة ثم يحمل الراية البريطانية الى زمبيسي ومنها الى اوغندا والنيل فيصل النفوذ البريطاني من القاهرة الى الكاب وتمد في هذه البلاد الوسيعة سكك الحديد واسلاك التلغراف

السر جون افانس والتحف المصرية

قدم السر جون افانس الى القطر المصري واشتدَّت عليهِ وطأَة الروماتزم فالتجأَ الى حلوان واقام في فندقها الى ان شفي ثم عاد في اواخر الشهر الى اوربا وقد ابتاع وهو في القاهرة نقودًا رومانيةً ذهبية وجدت في هذا القطر حديثًا وبينها دينار لم يكشف دينار مثلهُ حتى الآن والذين باعوهُ هذه الدنانير ابتاعوا مئات منها من الذين وجدوها بنحو خمسة آلاف جنيه

وبعثوا باكثرها الى اوربا . والظاهر ان الحكومة المصرية لم تدرِ بذلك فخرجت هذه الدنانير من بلادها . ولو اباحت للناس ان يمتلكوا ما يكتشفون من هذه التحف القديمة واشترتها منهم بالثمن الذي يشتريها به غيرها لبقيت في البلاد ولم يخرج منها الاَّ ما يوجد مثلهُ في دار التحف المصرية . اما مصادرة المكتشفات على الوجه المتَّبع الآن فيدعو المكتشفين الى اخفائها وبيعها للاجانب فتخرج من البلاد وفي ذلك من الخسارة المادية قدر ما فيهِ من الخسارة الادبية لان بقاء التحف النادرة في هذا القطر يغري كثيرين بزيارتهِ وهم ينفقون الاموال الطائلة في هذه الزيارة فتربح البلاد منهم اكثر مما تنفق حكومتها على ابتياع هذه التحف

خسوف القمر

يخسف القمر خسوفًا كليًّا في الثانية والعشرين من ابريل فيشرق مخسوفًا بالظليل فان اول مماسة الظليل لهُ الساعة ٥ والدقيقة ٥٠ وهو يشرق الساعة ٦ والدقيقة ١٨ ثم تبتدئ مماسة الظل الساعة السابعة ويحجب ظلُّ الارض القمر كلهُ الساعة ٨ والدقيقة ١٠ ويبقى محجوبًا ساعة و ٢٥ دقيقة ثم يأخذ ينجلي ويتم خروجهُ من مخروط الظل الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ ومن مخروط الظليل الساعة ١١ والدقيقة ٥٥

الكرَم والتعليم

فرضت نظارة المعارف المصرية اجرةً على التعليم يستكثرها الفقير ولو استقلَّها الغني ولذلك صار يتعذَّر على كثيرين من الفتيان الذين كان من نصيبهم ان يولدوا من اباء فقراء ان يدخلوا مدارس الحكومة ويتعلموا فيها . الاَّ ان هذا التضييق على اولاد الفقراء فتح بابًا واسعًا للاظهار كرَم الكرماء ولاسيما الذين ولدوا فقراء فاغتنموا بان يقتفوا خطوات كارنجي المثري الاميركي فان المال الذي وهبهُ لمدارس سكتلندا مسقط رأسهِ دُفع من ريعهِ في اواخر العام الماضي نحو ٢٣ الف جنيه اجور تعليم ٢٤٤١ تلميذًا . فمن لنا باثنين او ثلاثة من الاغنياء المحبين لوطنهم يوقفون جانبًا من اموالهم ينفق ريعهُ اجرة تعليم التلامذة الفقراء في مدارس الحكومة او غيرها من المدارس العالية بدلاً عن ايقافها على الفقراء من غير تمييز فيزيد بها كسلهم واعتمادهم على غيرهم

الملح وعمر الارض

بحث الاستاذ دبوى عن مقدار الملح الذي يصل الى البحر من مياه الانهر فوجد انهُ اقل مما حسبهُ السر جون مري . وجرى على اسلوب الاستاذ جولي في تقدير عمر الارض من مقدار ما تجرفهُ الانهار منها سنويًّا فوجد ان عمرها نحو ٢٤ مليون سنة كما حسبهُ لورد كلفن

تذكار الدكتور بلس

اهتمَّ تلامذة استاذنا الدكتور بلس وغيرهم من الفضلاء بانشاء تذكار لهُ على اثر استعفائهِ من رئاسة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فاجتمع جماعة منهم في ادارة المقتطف واقرُّوا على استحسان هذا العمل وعلى جمع مال بالاكتتاب يصنع لهُ بهِ تمثال يوضع في المدرسة الكلية وفتحت قائمة الاكتتاب فاكتتب الحضور فيها وستبقى مفتوحة الى آخر ابريل ثم تنشر اسماء المكتتبين وما اكتتبوا بهِ في المقطم . وعُينت لجنة لتتفق مع لجنة بيروت على تنفيذ ما قرَّ القرار عليهِ

تذكار مس اڤرت

يجد القارئ في هذا الجزء ترجمة هذه السيدة الفاضلة بقلم مدام صروف . وقد اجتمع كثيرات من تلميذاتها في هذه العاصمة في منزل حضرة السيدة سعدى سابا وقرَّ قرارهنَّ على تصويرها صورة زيتية واهداء الصورة الى مدرسة البنات في بيروت وانطنَ حضرة سليم افندي حداد المصور المشهور بتصويرها

ديمون وخلل بالونه

ذكرت الجرائد اليومية ما اصاب بالون سنتوس ديمون السادس الذي كاد يغرق بهِ في بحر الروم امام موناكو وقد كتب بعضهم الى جريدة التيمس بعد ذلك يبين ان المسيو ديمون استفاد من هذه الحادثة لانهُ اكتشف خللاً في بالونهِ يسهل عليهِ اصلاحهُ فان بالونهُ طويل كالسيكار الافرنجي . ويسير منبسطاً رأسهُ الى الامام وذنبهُ الى الوراء ولكن الريح عصفت بهِ حينئذٍ وكانت ترفع رأسهُ مرةً وذنبهُ اخرى حتى يكاد يقف عمودياً فاخرج ديمون بعض الغاز منهُ ليثقل وينخفض فتقلَّص الطرف الذي فيهِ دفتهُ ولم تعد الدفَّة تعمل عملها فوقع في البحر وكاد ديمون يغرق لولا مبادرة الزوارق اليهِ لتخليصهِ . وقد اتضح من ذلك ان لابدَّ للبالون من اجنحة تمنع ارتفاعه وانخفاضهُ على هذه الصورة وان الشكل الكروي او الكمثري اقل خطراً من الشكل المستطيل

نفقات المعارض

بلغت النفقات التي انفقت على انشاء معرض بفلو الاخير في اميركا تسعة ملايين ريال وعلى انشاء معرض باريس عشرة ملايين ريال وعلى انشاء معرض شيكاغو ١٨ مليون ريال وستبلغ على انشاء معرض سنت لويس باميركا الذي يراد فتحهُ في العام المقبل ٣٠ مليون ريال

طفل نابغة

كان للاستاذ كوكرل الاميركي طفل نابغة اكتشف حشرات غير معروفة اضيفت الى التاريخ الطبيعي وعمرهُ ثماني سنوات لكن المنيَّة عجَّلت عليهِ فاصيب بالدفثيريا ومات

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يجتمع اجتماعهُ الثاني والسبعين في مدينة بلفست من ١٠ الى ١٧ سبتمبر برئاسة الاستاذ جمس دوار الكيماوي

تلغراف مركوني

ذكرنا في جزء يناير ان الاشارات الكهربائية نقلت بتلغراف مركوني من اوربا الى اميركا مسافة ٢٠٩٩ ميلاً وقد قال مركوني بعد ذلك انهُ اذا كان عندهُ آلة قوية لتوليد الكهربائية الكافية نقل الاشارات الكهربائية حول كرة الارض فتخرج منها وتلف حول الارض وتعود اليها والاعمدة التي تنصب لذلك لا يقتضي ان يكون ارتفاعها اكثر من مئتي قدم وكروية الارض لاتمنع نقل الاشارات. وسرقة هذه الاشارات بآلة أخرى امر غير مستحيل لذاتهِ ولكن لا يخشى ان احدًا يتكلف نفقات باهظة لكي يسرق خبرًا قد لا يستفيد منهُ شيئًا

النمل الزارع

ذكر دارون واللورد افبري وكثيرون غيرهم من الثقات ان نوعًا من النمل يزرع الحبوب ويحصدها . وقد جاء في مجلة العلوم الطبيعية الاميركية الآن ان الاستاذ هويلر بحث عن هذا الامر فوجد ان هذا النمل يخرج الحبوب من قريتهِ اذا تبللت ويخفيها في التلال التي حولها فتنبت من نفسها ثم هو يغتذي من البزور التي تكون في هذا النبات فيظهر كأنهُ زرع الحبوب لكي يستغلها

صحراء طرابلس الغرب

طاف المستر ددصن الرحالة الانكليزي في صحراء طرابلس الغرب ووصل الى غابة الاشجار المتحجرة المعروفة بغابة مرزوق فوجد انها تمتد اميالاً كثيرا وفيها كثير من الاشجار الكبيرة والصغيرة والاصداف البحرية ومحيط بعض اشجارها سبع اقدام . واحاطت العواصف الكهربائية مرةً بهِ وبرجالهِ فصار الشرر يتطاير من رماحهم وبنادقهم واحاطت برؤوسها هالات من النور الكهربائي

بالون سبيلو

استنبط المسيو سبيلو الباريسي بالونًا جديدًا يقال انهُ يدار كما يشاء راكبهُ واهم ما يمتاز بهِ على غيرهِ من البالونات ان فيهِ اناء هواءِ حارّ واناء هواء بارد فاذا اراد ان يعلو البالون بهِ اطلق فيهِ الهواء الحار فتمدّد الغاز الذي فيهِ وخفّ وصعد واذا اراد ان يهبط اطلق فيه الهواء البارد فتقلّص غازهُ وثقل وهبط

تلغراف سلابي

ذكرنا غير مرة ان الاستاذ سلابي الالماني استنبط اسلوبًا جديدًا من تلغراف مركوني بالاشتراك مع الكونت اركو وقد قرأنا في الجرائد الاخيرة ان هذا التلغراف اخذ يشيع

في المانيا واقرَّت نظارة الحربية الالمانية على انشاء مراكز لهُ حول كل الشطوط الالمانية وقد وُضعت آلاتهُ في ٣٢ من البوارج الالمانية وستوضع في غيرها

تلغراف مركوني في السودان

طلب مركوني ان يُسمَح لهُ باستعمال تلغرافهِ في بلاد السودان حيث لم تمدَّ اسلاك التلغراف حتى الآن والمظنون ان مالية السودان لا تسمح بذلك ولكن اذا قلَّت نفقات آلاتهِ وزاد اتقانها فلا يبعد ان يجاب طلبهُ

التلفون بين القاهرة والاسكندرية

مدَّت خطوط التلفون بين القاهرة والاسكندرية وامتُحنت فسُمع الكلام واضحًا. ولا يبعد ان تمدَّ يومًا ما بين القاهرة وكل بنادر القطر ومراكزهِ ولا سيما اذا امكن الاستغناء عن الاسلاك المعدنية باستعمال تموجات هرتس الكهربائية

اكبر باخرة اميركية

أُنزل الى البحر في العشرين من شهر فبراير الماضي اكبر باخرة اميركية واسمها كرونلند. طولها ٥٨٠ قدمًا ومحمولها ١٢٠٠٠ طن وسرعتها ١٧ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي تسع ٣٤٣ راكبًا في الدرجة الاولى و ١٩٤ راكبًا في الدرجة الثانية و ١٠٠٠ راكب في الدرجة الثالثة

الآثار السامية

يقال ان مدرسة هارفرد الجامعة باميركا عازمة ان ترسل بعض العلماء للبحث عن الآثار السامية في مصر وبابل واشور وفلسطين فاتبشر انها تجد هذه البلدان طافحة بالآثار السامية الصامتة والناطقة

زبدة استراليا

شرع سكان استراليا يصدرون الزبدة الى اوربا سنة ١٨٨٩ فاصدروا حينئذٍ ٣٦٩ طنًّا بلغ ثمنها ٥١ الف جنيه واصدروا في السنة التالية ٧٥٩ طنًّا ثمنها ١٠٠ الف جنيه وزاد الصادر رويدًا رويدًا حتى بلغ سنة ١٩٠٠ اكثر من ١٧ الف طن ثمنها اكثر من مليون وستمئة الف جنيه . وبلغ الصادر في السنوات العشر نحو ٨٠ الف طن وثمنهُ نحو ثمانية ملايين من الجنيهات . والناس الذين عمَّروا استراليا واستثمروها واخرجوا منها هذه الخيرات لا يعسر عليهم ان يعمّروا السودان وقلب افريقية ويرسلوا خيراتها الى اوربا واميركا ونحن ننظر اليهم مندهشين وايادينا في جيوبنا

القطب الجنوبي

خطب الرحَّالة بوركرفنك النروجي بالامس عن رحلتهِ الى جهات القطب الجنوبي فقال ان حالة الهواء هناك تشبه حالتهُ في جهات القطب الشمالي من حيث اشتداد البرد فهبط الترمومتر الى الدرجة ٧٢ تحت الصفر في شهر

يوليو ويتغلب هبوب الرياح الجنوبية الشديدة البرد ويتبعها وقوع الثلج. والارض التي اكتشفها بركانية وهي شاخصة من البحر الى علو خمسة آلاف قدم او ستة آلاف قدم. وقد بلغ الدرجة ٧٩ والدقيقة ٨٦ من العرض الجنوبي ورأى هناك جبالاً كبيرة من الجليد جارية في البحر وشاهد انفصال جبل منها عن جليد البر فلما انحدر الى البحر ماج البحر موجاً عظيماً جداً وكان هو واقفاً على البر فعلت الامواج وكادت تغرقهُ

وفي تلك الاصقاع كثير من حيوان الفقظ وطائر البنغوين. وهذا الطائر يشعر بهبوب الرياح الجنوبية قبلما تهب فيدير رأسهُ الى الجنوب والاّ عبث بريشهِ. ويظهر الشفق القطبي هناك كما يظهر في الجهات الشمالية. ورأى جبال الجليد تجري في البحر على ضد هبوب الريح وعلى ضد التيارات السطحية دلالة على انها مسوقة بتيار عميق في البحر. وقد سار الى تلك الاصقاع من استراليا بالسفينة المسماة بالصليب الجنوبي ونزل على جزيرة فيها مع تسعة من رفاقهِ ثم رجعت السفينة اليهم سنة ١٩٠٠ وعادت بهم الى استراليا

احذية الكلاب

من البدع الجديدة عند الاوربيين والاميركيين عمل الاحذية للكلاب فقد صنعوها من الكاوتشوك وهم يحذون الكلب بها حتى لا يؤلمهُ حرُّ الارض وبردها ولا تتعبهُ صخورها وحجارتها

مستشفى زجاجي للسل

سينشأُ مستشفى في فيلادلفيا باميركا لمعالجة المسلولين غرفهُ كلها من الزجاج يقيم المسلول في غرفة منها ويأتيهِ الهواء نقيًّا وممزوجاً بالاوزون فلا يتنفَّس سواهُ. والمظنون ان هذه المعالجة تكفي لشفاء السل

الكهربائية لسكك الحديد

عزمت حكومة اسوج على ترك البخار في سككها الحديدية واستعمال الكهربائية بدلاً منهُ وهي تولدها من الشلالات الكثيرة في بلادها فعسى ان تقتدي الحكومة المصرية بها فتولد الكهربائية من خزان اصوان بعد اتمامهِ وتستعملها للسكك الحديدية ولو بين الشلال وحلفا وبين الشلال والقصر

دقيق اللبن

استنبط الدكتور اكنبرج اسلوباً يصير يصير بهِ اللبن دقيقاً ناعماً كالطحين ويحفظ كذلك من غير ان يحمض او يختمر ثم اذا وضع في الماء ذاب فيهِ وعاد كاللبن العادي ويقال ان نفقات جعلهِ دقيقاً غير كثيرة فيباع الرطل منهُ بنحو ثلاثة غروش ولكن تصنع منهُ ارطال كثيرة من اللبن السائل

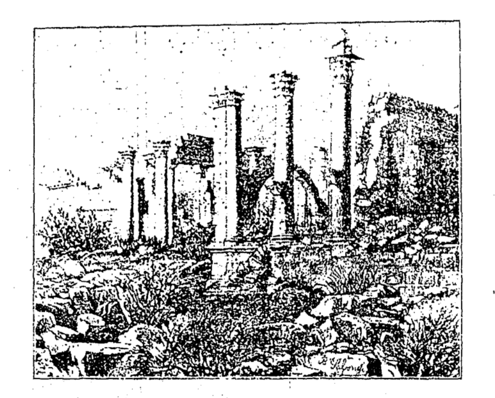
فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السابع والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٢ محرم سنة ١٣٢٠

خرائب الشام



(٢) قنوات

قال لنا اديب كان المقتطف ينشر بالامس المقالات الضافية عن عمران دمشق فلم يكد يأتي على آخرها حتى شرعتم تنشرون المقالات عن خرائب الشام كلهِ فما اسرع هذا الانقلاب. والظاهر ان القائل لم يقرأ مقالات العمران ولو قرأها لرأى انها ومقالات الخرائب من باب واحد لان اكثر ما فيها وصف للخراب الذي حلَّ بعاصمة الشام وما حولها من الارباض لا لعمران

نشأ فيها وانتشر منها . وكيف تعمر بلاد كان سكانها بين عشرة ملايين وعشرين مليوناً وهم لا يبلغون الآن مليونين . وكان اولئك الملايين يعيشون بالسعة والرخاء والمليونان اضطر كثيرون منهم ان ينتشروا في الخافقين طلباً للرزق وبلادهم كانت تقري اضعاف اضعافهم . ولكن

ستمضي مع الايام كلُّ غريبةٍ وتحدث ايام تنسّي المعايبا

هذا ولنعد الى الكلام على خرائب الشام فنقول: ذكرنا في الجزء الماضي خرائب جرش من المدن العشر التي كانت شرقي الاردن ونحن ذاكرون الآن خرائب قنوات وهي مدينة اخرى من تلك المدائن وقد اخترنا ان ننقل وصفها عما كتبهُ الدكتور القس بورتر في كتابهِ المعروف بمدن باشان العظمة Giant Cities of Bashan لانهُ ابلغ ما قرأناهُ في هذا الموضوع قال

بلغنا اكمة تطلُّ على قنوات فرأينا عن اليسار وادياً عميقاً وعلى جانبهِ الغربي خرائب المدينة القديمة وسورها يتبع الشواهق مسافة ميل ثم ينعطف متعرّجاً فيكتنف ارضاً عرضها نصف ميل فيها القصور والهياكل والكنائس والمشاهد وما ماثلها من المباني الفخيمة قائمة بعضها بازاء بعض على نسق بديع يدهش الابصار . ووراء السور في اسفل الوادي وعلى الجبال المحيطة بهِ في القنن الشاهقة وبين حراج البلوط اعمدة رفيعة وابراج مشيدة ومدافن عالية

جاء في سفر العدد (من اسفار موسى الخمسة) انهُ لما كان بنو اسرائيل شرقي الاردن " ذهب نوبح واخذ قناة وقراها ودعاها نوبح باسمهِ " هذه هي قناة نفسها سماها اليونان قناثا والعرب قنوات بلغت اوج مجدها في عهد الرومان وكانت من اعظم المدن شرقي الاردن ثم لما انتشرت الديانة المسيحية تنصّر اهلها وحوّلوا هياكلها كنائس لكنها خربت بعد الفتح الاسلامي وقُتل سكانها او هجروها فلم يعنَ المسلمون بجعل كنائسها مساجد كما فعلوا في غيرها من مدن الشام

مضى يومنا وجانب من اليوم التالي ونحن ننتقل من خرابة الى خرابة فرأينا ان الجانب الاعلى من المدينة كان لعلية سكانها هناك قصر فخيم وثلاثة هياكل وميدان لسباق الخيل مزدان بكثير من التماثيل . لم ارَ في مدينة أُخرى من مدن فلسطين تماثيل قدر ما رأيت في هذه المدينة لكنها كلها مشوّهة او مقطعة الاوصال وبينها تماثيل اسود وفهود وكلاب ورأيت هناك رأساً عظيماً للالهة عشتاروث امام هيكل صغير والهلال فوق جبينها ومن ثمَّ سميت بعشتاروث قرنايم اي ذات القرنين. جاء في سفر التكوين ان ملوك المشرق ضربوا الرفائيين في عشتاروث قرنايم فلعلهم ضربوهم في هذه المدينة عينها. وامام القصر ساحة فسيحة تحتها صهريج كبير سقفهُ معقود كانت المياه تجري اليهِ بقناة منحوتة في جانب الوادي فيجتمع فيهِ منها ما يكفي المدينة فصل الصيف

وغربي المدينة على ربع ميل منها هيكل جميل يحيط بهِ رواق من العمد الكورنثية وهو

قائم على اكمة صناعية وقد سقط اكثر هذه الاعمدة وتصدَّعت جدران الهيكل ولكن بقي منها ومنهُ ما يكفي للدلالة على عظمتهِ السابقة

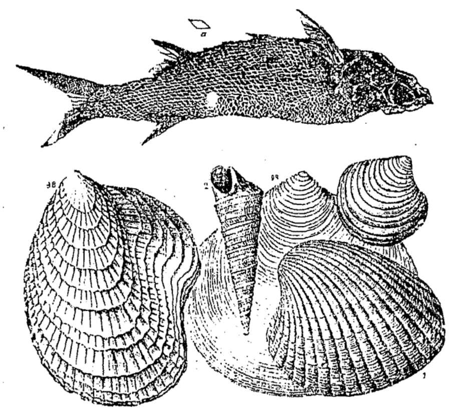
وبكَّرنا في الصباح ونزلنا بطن الوادي لنرى ما فيهِ من الخرائب وصعدنا على شاهق مرتفع في الجانب الآخر منهُ فرأينا هناك برجاً مستديراً وآثار سور كبير وظهر لنا كأن بطن الوادي كان رياضاً ومنتزهات لاننا رأينا فيهِ المماشي المدرَّجة والفساقي المنسقة وكراسي التماثيل وهيكلاً صغيراً ومشهداً سادجاً مقاعده منحوتة في الصخر وفوق دكتهِ كتابة يونانية كبيرة الحروف يقال فيها ان مرقص لوسياس بناهُ على نفقتهِ ووهبهُ لابناء وطنهِ . ويصعد من هذا المشهد بسلم منحوت في الصخر الى البرج المستدير فصعدنا اليهِ ورأينا ما وفى بتعبنا وقيامنا الباكر وهو ضخم الحجارة قديم البناء لم يبقَ منهُ الاَّ ما ارتفاعه عشرون قدماً وعلى مقربة منهُ بقايا قصر مبني بحجارة كبيرة منحوتة واغلاق ابوابهِ وكواهُ من الحجر كلها وهي كثيرة النقش عليها اكاليل بارزة من الازهار والاثمار . لكن الذي ادهشنا ليس القصر وما فيهِ بل منظر البلاد الذي شاهدناهُ منهُ . جلستُ على حجر هناك واجلتُ طرفي في ما ارى امامي فاذا هو من ابدع ما وقعت عليهِ عيني . وقفت على قنن لبنان وشاهدت من كثير منها مشاهد اعظم من هذا وارهب وعلى رأس قلعة تدمر فرأيت تحتي من الخرائب والاطلال والانقاض مالا مثيل لهُ ههنا في العظمة والفخامة . وتطلعت من اعلى جدران هيكل الشمس في بعلبك فرأيت ادلَّة اعظم من هذه على مقدرة الانسان ومهارتهِ ولكنني لم ارَ قبل الآن مكاناً رصَّعتهُ الطبيعة والصناعة ووشاهُ التخريب والتدمير بثوب اجمل من هذا او يضاهيهِ

ما هو شواهق لبنان وقننهُ المعممة بالثلج. ولا هيا كل بعلبك وجدرانها الفخمة الحجارة واعمدتها التي تناطح السحاب ولا اطلال تدمر وما فيها من الصفَّاح والعمد المتراكمة في ذلك القفر الاجرد بل هو تلال ووهاد وحراج وادغال وشواهق وصوامع واطلال دوارس نبتت عليها الطحالب وتعرشت بها اللبالب وحولها بلوط باشان مخضر الورق ملتف الافنان . كل ما رأيتهُ قبل الآن من خرائب الشام مدفون في التراب او مطروح على الدمن وهو على انتساق اساطينهِ وجمال تيجانها وزخرفة افاريزهِ وتفرُّع افنانها لا يقابل باديرة بلاد الانكليز وقلاع نهر الرين من حيث الوضع الطبيعي ولكن الامر على غير ذلك بين تلال باشان فان نضارة الاشجار تغطي صدوع المباني وتظهر جمال بنيانها وعساليج اللبلاب تطوق اعناق العمدان وتكلل هامات تيجانها . انتهى

وحسبنا الصورة التي في صدر هذه النبذة وهذا الوصف للدلالة على ما كانت عليهِ مدن الشام وماصارت اليهِ في هذه الايام

اعظم اكتشاف جيولوجي

ابى القطر المصري الاَّ ان يكون الاول في ما كُشف من آثار اعظم الحيوانات البرّية كما انهُ الاول في ما كشف من آثار الانسان . فقد كُشف فيهِ من التحجرات ما لا يضاهيهِ شيء في مقدارهِ وفائدتهِ العلمية الاَّ التحجرات التي اكتشفها الاستاذ مارتش الاميركي في الولايات الاميركية



وقبل الخوض في وصف ما كشف حديثاً في هذا القطر نتكلم على مسألتين مهمتين الاولى حقيقة التحجرات والثانية فائدتها العلمية

يراد بالتحجرات ما يُرى في الارض وصخورها من الاصداف والحلازين وعظام الحيوانات وسوق الاشجار كما ترى في صورة السمكة وصور الاصداف المرسومة هنا وقد صارت كلها حجارة صلبة او هشةً حسب نوع الصخور التي توجد فيها . وقلَّ من رأَى هذه التحجرات ولم يسأَل عن اصلها او يبحث عن كيفية تشكلها باشكال الحيوانات او النباتات . ولقد كان هذا شأن العقلاء في السؤَال والبحث من قديم الزمان فنتج عن ابحاث المتأخرين منهم علم البلينتولوجيا اي علم الموجودات القديمة

واول رجل رأَى هذه التحجرات واهتدى بزكانتهِ الى معرفة اصلها ووصلت إقوالهُ الينا هو

الفيلسوف زنوفانيس اليوناني الذي نشأ قبل المسيح بنحو خمس مئة سنة فقد قال ان الارض كانت طيناً يغمره ماء البحر ثم نضب الماء عنها فبقيت الاسماك والاصداف مدفونة فيها . وتلاه هيرودوتس ابو التاريخ الذي نشأ بعده بنحو نصف قرن فانهُ وجد اصدافاً في تلال مصر وصحراء لبيبة فاستدلَّ منها ان البحر كان غامراً لهذه الاقطار . وقال ارسطو الذي نشأ في اواسط القرن الرابع قبل المسيح " كان وقت لم يكن فيهِ شيءٌ من الانهار الجارية الآن وسيأتي وقت تنضب فيهِ مياهها كما ان مياه البحر دأبها غمر بعض الاراضي والانحسار عن غيرها والبر والبحر متناوبان فتارة يكون هذا هنا وذاك هناك وتارة يكون هذا هناك وذاك هنا

واخذ العرب علومهم عن اليونان او عن الذين اخذوا عن اليونان من الرومان والسريان ولم يزيدوا عليها من هذا القبيل او حرَّفوها بعض التحريف . ذكر القزويني كيفية تولُّد السهول والجبال ووجود المتحجرات فيها نقلاً عنهم فقال " اذا امتزج الماء بالطين وكان في الطين لزوجة واثَّرت فيهِ حرارة الشمس مدة طويلة صار حجراً كما ترى النار اذا اثَّرت في اللبن (الطوب) صلَّبتها وجعلتها آجرًّا فزعموا ان تولد الجبال من اجتماع الماء والطين وتأثير الشمس واما سبب ارتفاعها وشخوصها فجاز ان يكون بسبب زلزلة فيها خسف فتخفض بعض الارض وترتفع بعضها وجاز ان يكون بسبب ان الرياح تنقل التراب من مكان الى مكان فتحدث تلال ووهاد ثم يتحجَّر بسبب ما قلنا وذكر صاحب المجسطي ان كل ستة وثلاثين الف سنة تنتقل اوجات الكواكب وتدور في البروج الاثني عشر دورة واحدة فاذا انتقلت من الشمال الى الجنوب اختلفت مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الارض فيختلف بها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد وتتغير ارباع الارض فيصير العمران خراباً والخراب عمراناً والبراري بحاراً والبحار براري والسهول جبالاً والجبال سهولاً فان الجبال من شدة اشراق الشمس عليها بطول الزمان تنشف رطوبتها وتزداد يبساً وجفافاً وتتكسَّر فتصير احجاراً او رمالاً ثم ان السيول تحملها الى بطون الانهار ومنها الى البحار فتنبسط في قعرها ساقاً بعد ساق بطول الزمان وتتلبَّد بعضها فوق بعض فيحصل في البحار جبال وتلال كما يتلبَّد من هبوب الرياح دعاص الرمل ولذلك قد يوجد في جوف الاحجار اذا كسرت صدفة او عظم وذلك بسبب اختلاط طين هذا الموضع بالصدف والعظم "

انتهى قول القزويني وهو شبيه بما قالهُ الفلاسفة الاقدمون واقرب الى الحقيقة مما قالهُ الفلاسفة الاوربيون الذين جاؤوا بعدهم الى ان قام فركستورو الطبيب الايطالي في اوائل القرن السادس عشر وقال ان المتحجرات آثار حيوانات عاشت على الارض في ادوار مختلفة وانها ليست

من طوفان نوح واثبت ذلك بادلة نعدُّها اليوم قاطعة ولو لم يرعها الناس سمعاً في زمانهِ

لكن بقي علماء اوربا يقولون ان المتحجرات باقية في الارض من طوفان نوح او انها متولدة فيها تولُّداً بقوة طبيعية الى الربع الاخير من القرن الثامن عشر حين تملَّص العقل من سلطة الوهم وخلع نير التقليد فلاحت تباشير العلم الصحيح وعُرفت حقيقة هذه المتحجرات ونسبتها الى الحيوانات العائشة والى الحيوانات البائدة وأُخذت دليلاً على ما اصاب الحيوان والنبات من التغيرات مدى العصور الكثيرة التي مرَّت على الارض وهذه هي الفائدة العلمية التي نتجت عنها

هذا والمتحجرات التي رآها هيرودتس ابو التاريخ في القطر المصري منذ نحو اربعة وعشرين قرناً رآها الوف والوف الوف من الناس قبلهُ وبعدهُ وترى امثالها الآن في كل البقاع بل ان جانباً كبيراً من حجارة الاهرام مؤلف منها ولم يكن لها شأن كبير لشيوعها ولذلك لم تهتم الحكومة المصرية بانشاء دار لها تجمع فيها امثلتها لدرسها والبحث فيها

ومنذ مدة وجيزة كان العالم شوينفورث الالماني يمسح الارض في جهات الفيوم فرأى مكاناً كثير الحفر والنقر فظنَّ بفراستهِ ان فيهِ آثار حيوانات قديمة من المتحجرات قياساً على ما كُشف في اماكن مثل هذه في بلدان أُخرى. ولا نظن انهُ توقَّع ان تكشف فيها آثار من اعظم ما كُشف من آثار الحيوان حتى الآن . وقد اشرنا الى هذه الآثار في شهر نوفمبر الماضي حيث قلنا

"حار العلماء في كيفية تولُّد ذوات الخرطوم من الحيوانات كالفيل المعروف الآن والفيل المنقرض المعروف بالمستودن فان الاحافير الجيولوجية التي كشفت الى الآن تدل على ان هذه الحيوانات وجدت بغتةً في اواسط عصر الميوسين من العصور الجيولوجية ولم تكشف احافير حيوانات اخرى تصل بينها وبين غيرها من الحيوانات التي قبلها لكن الدكتور اندرُس وجد بين المتحجرات التي وجدت في الفيوم من القطر المصري احافير حيوان فقري مثل المستودن في الطبقات السفلى من عصر الميوسين المعروفة بالاوليغوسين وهو يختلف عن المستودن باسنانهِ ووجد في المتحجرات التي وجدت تحتها آثار حيوان مثل هذا ولكنهُ من ذوات الحافر. وهذا الاكتشاف من اهم الاكتشافات الجيولوجية الحديثة لانهُ يظهر كيفية تولد الافيال بكشف احافير اسلافها"

وحالما رأت الحكومة المصرية انهُ كُشف في بلادها مثل هذه الآثار التي لها شأن كبير لدى العلماء اجابت طلب الكبتن ليونس مدير قسم المساحة وانشأَت داراً للتحف الجيولوجية في حديقة نظارة الاشغال العمومية . وقد زرنا هذه الدار مرتين فرأَينا فيها الكبتن ليونس والدكتور اندرس المشار اليهِ آنفاً وهو جيولوجي دار التحف البريطاني ونظرنا جميع المتحجرات التي كشفت في الفيوم وأُتي بها الى العاصمة وشرحها لنا الدكتور اندرس شرحاً وافياً

ومن يدخل دار هذه التحف الآن يجد فيها آثار حيوانات كثيرة من ذلك آثار الحيوان الذي يشبه الفيل وآثار حيوان يشبه الكركدن وآثار نوع من التمساح ونوع من السلاحف البرية ونوع من الوبر وانواع اخرى لم نتبينها جيدًا او لم تبقَ صورتها في ذهننا

اما الحيوان الذي يشبه الفيل فمزيتهُ الكبرى ان الفيل المعروف الآن يمتاز بكثرة الحدبات في اسنانهِ حتى كأن السن الواحدة منها اسنان كثيرة وقد يكون في السن الواحدة اربع وعشرون حدبةً او حرفًا عرضيًا بارزًا منها فتظهر كانها اثنتي عشرة سنًا مما له حدبتان ولذلك لا يكون في كل جهة من كل فكٍ من فكي الفيل الأسن واحدة كبيرة وسن اخرى بجانبها حتى اذا بريت الاولى ووقعت كبرت الثانية وقامت مقامها . وعدد هذه الحدبات او الحروف قليل في الافيال القديمة اسلاف الافيال المعروفة الآن وهو نحو اربع عشرة حدبةً كأن السن مؤلفة من سبع اسنان . ولا بدَّ من ان عدد هذه الحدبات كان اقل من ذلك كثيرًا في اقدم انواع الافيال حتى نصل الى الحيوانات الثدوية الاخرى التي تفرَّع الفيل منها ولكن لم يكشف شيء من ذلك الى الآن فان آثار الفيل التي وُجدت في الفيوم تصل بينهُ وبين الحيوانات الاخرى التي ليس في اسنانها حدبات كثيرة فان في كل جانب من فكيهِ بضع اسنان لا سن واحدة ذات حدبات كثيرة وبقية عظام هذا الحيوان تدل على انهُ كان ضخمًا جدًا مثل الفيل المعروف الآن او اكبر منهُ . ولا بدَّ من ان تجمع العظام التي كشفت ويؤلف منها حيوان كامل فنرسم صورتهُ حينئذٍ ونوفيهِ حقهُ من الوصف

والحيوان الآخر الذي له الشأن الاكبر بين هذه المكتشفات هو نوع يشبه الكركدن سماهُ المستر بيدنل الجيولوجي مكتشفهُ ارسينويثريوم Arsinoitherium نسبة الى الملكة ارسينوي التي تسمَّت الفيوم باسمها في عهد البطالسة . هذا اسم الجنس وجعل النوع الخاص بهذا الحيوان زتلي Zitteli نسبة الى العالم الجيولوجي الالماني الذي كان اول باحث في جيولوجية القطر المصري

واغرب ما في هذا الحيوان رأسهُ فانهُ على ضخامتهِ مسلَّح بقرنين عظيمين كأنهما برجان مشيدان فاذا نُظر اليهِ من جانب واحد ظهر القرنان كأنهما قرن واحد كما ترى في الصفحة الاولى من صفحات الرسوم الثلاث التي في صدر هذا الجزء فان فيها صورة الفك الأعلى ونتوٌّ كبير بارز منهُ ووراء هذا النتو نتوءان صغيران كما ترى عند اسنانهِ . واذا نُظر الى هذا النتو من الامام ظهر انهُ يعلو اولاً كأنهُ نتوٌّ واحد اسطواني الشكل ثم ينشق الى شعبتين او قرنين عظيمين كما ترى في الصفحة الثانية من صفحات الصور. واحد هذين القرنين مكسور والاخر سالم. وطول

الراس ٧٥ سنتمترًا وعرضهُ ٢٤ سنتمترًا وقطر هذا النتوء من اسفلهِ ٢٤ سنتمترًا كعرض عظم الراس ثم يتسع قليلاً ويتفرع فرعين كما ترى في الصفحة الثانية . والرأس ضيق كراس الفرس كما ترى في الصفحة الثالثة والاسنان سبع في كل جانب من جانبي الفك والظاهر انهُ كان في مقدَّم الفك قاطعان من القواطع الامامية

وقد كان كفل هذا الحيوان كبيرًا واسعًا جدًّا يظهر من عظامهِ التي كشفت ان اتساعهُ كان نحو متر ونصف . قال المستر بيدنل مكتشفهُ ان شكل اسنانهِ يدل على انهُ من اسلاف الكركدن ولكن النتوء البارز من رأسهِ يجعلهُ شبيهًا بالدينوثريوم الذي كشفت آثارهُ في اميركا الشمالية . والفرق كبير بين قرنيهِ وقرن الكركدن لان هذا ليس بينهُ وبين الجمجمة اتصال عظمي . و يظهر كأنَّ هذين القرنين العظيمين كانا مقرَّين لقرنين طويلين كقرني الجاموس او بقر الوحش او لقرنين قصيرين كقرني الزرافة

وانَّنا بفارغ الصبر ننتظر ان يتم جمع ما كشف من هذه المتحجرات وما يمكن ان يكشف منها وجمع اجزائها بعضها مع بعض ليعلَم منها شكل الحيوانات التي هي من بقاياها

وآثار التمساح التي وجدت في الفيوم تدل على تمساح قديم طويل الفكين دقيقهما قال لنا الدكتور اندرس انهُ يشبه التمساح الدقيق الفكين الموجود الآن في بورنيو ويكاد فكاهُ يشبهان منقار الطائر الدقيق المنقار وهو المعروف علميًّا باسم Garialis gangetica ومن المحتمل ان التمساح الذي كشفت آثارهُ في الفيوم اقرب الى التمساح الذي يوجد في غربي افريقية C. cataphractus منهُ الى تمساح الهند لان فكيهِ ليسا مفرطي الطول كفكي تمساح الهند

والوبر حيوان صغير كالارنب ولكن آثار الحيوان الذي كشف في الفيوم من نوعهِ تدل على انهُ كان اكبر كثيرًا مما هو الآن

واول ما تقع عليهِ عين الداخل الى المعرض الجيولوجي سلحفاة كبيرة جدًّا من السلاحف البرية تذكّر الرائي بسلاحف غلاباغ التي وصفها الشهير داروين . وسنأتي على وصف هذه المتحجرات كلها بالتفصيل في جزء تالٍ

والظاهر ان النيل او نهرًا آخر من الانهار القديمة كان يصب في حوض الفيوم قبلما تكوَّن القطر المصري ويجرف اليهِ ما يغرق فيهِ من الحيوانات او ما تجرفهُ السيول اليهِ منها فامتزجت رممها بالطين وحلَّ فيها التحوُّل المعروف اي ذابت الدقائق الآلية من عظامها وحلَّ محلها دقائق جيرية ورملية فتحجرت وطمرتها الرمال بعد ان نضب الماء فحفظت الى هذا العهد بعد ان بقيت في مقرها الوفًا والوف الف من الاعوام

ارباب المال والاعمال



المستر جوزف روبنصن

كنّا نظن المستر ركفلر الغني الاميركي الذي اوردنا ترجمتهُ في الجزء الثالث اغنى اغنياء المسكونة فاتّصل بنا حديثًا ان المستر روبنصن اغنى منهُ لان ما يمتلكهُ في مناجم جنوبي افريقية يبلغ ثمانين مليونًا من الجنيهات اي مضاعف ما يمتلكهُ كارنجي الشهير

ولد هذا الرجل في مستعمرة الراس وشرع في التجارة وعمرهُ ١٦ سنة وجعل يربي الخيل والغنم والبقر ويشتري الصوف ويرسلهُ الى انكلترا . اي انهُ عني بالتجارة وتربية المواشي في السن الذي يقضيهِ اكثر الشبان في الدرس او في اللهو فنجح في عملهِ نجاحًا كبيرًا شأن كل مجتهد مقتصد

وحدث في تلك الاثناء الحادث الذي قدّر لهُ ان يغير تلك البلاد تغييرًا تامًّا ويغني الوفًا ويفقر الوفًا ويضرم نار هذه الحرب التي لا تزال مستعرة في جنوبي افريقية نعني بهِ

اكتشاف الماس فيها فقد ذكرنا في الجزء الماضي ان فلاحاً اسمهُ نيكرك صدَّق انهُ يوجد حجر كبير من الماس عند بعض القبائل الافريقية وظلَّ يتطلبهُ الى ان وجدهُ في اواخر سنة ١٨٦٩ والظاهر ان نيكرك صدق هذا الخبر بعد ما وُجد حجر من الماس في بيتهِ فقد قيل ان صياداً اسمهُ اوريلي كان يضرب في البلاد يصيد الحيوانات ويجمع ريش النعام نزل ذات ليلة ضيفاً عليهِ وكان ساكناً في ولاية اورنج الحرَّة قرب نهر الفال فرأى ابنتهُ تلعب ببعض الحصى فجلس ينظر اليها ورأى بين الحصى حصاةً ملساء لامعةً فمسكها وجعل يتأملها فقال لهُ نيكرك انها من الصوان الذي يؤخذ منهُ القدَّاح فقال اوريلي انها ليست من الصوان في شيء . ثم طلب منهُ في الصباح ان يبيعهُ اياهُ فضحك نيكرك من ذلك وقال لهُ أأبيعك حجراً لا قيمة لهُ خذهُ من غير ثمن فقال اوريلي اني اظنهُ حجراً ثميناً فان كان كذلك اعطيتك نصف الثمن الذي ابيعهُ بهِ

واخذهُ وعاد بهِ الى مدينة كولسبرج ودخل فندقاً وجعل يخدش بهِ زجاج الشبابيك فوجدهُ صلباً يخدش الزجاج فضحك عليهِ الحضور واخذ واحد منهم قطعة صوان وخدش بها الزجاج فخدشتهُ كما خدشهُ هذا الحجر ولما رأى اوريلي ذلك رماهُ من الشباك ولكن بقي في نفسهِ شيء منهُ فعاد اليهِ بعد ساعتين والتقطهُ واراهُ لاناس كثيرين فكانوا يضحكون عليهِ ويقولون انهُ نوع من الصوان اودب الملح فيرميهِ ثم يعود فيلتقطهُ واخيراً بعث بهِ الى مدينة الراس فرآهُ احد تجار الجواهر وقال انهُ حجر ماس فاشتراهُ والي مدينة الراس بخمس مئة جنيه . وعاد اوريلي الى نيكرك واعطاهُ مئتين وخمسين جنيهاً منها وطلب من ابنتهِ ان تريهُ المكان الذي التقطت الحجر منهُ فارتهُ اياهُ فوجد فيهِ حجارة اخرى صغيرة من الماس

ولما قبض نيكرك المئتين والخمسين جنيهاً خطر ببالهِ ما سمعهُ عن حجر عند بعض القبائل الافريقية فقام لساعتهِ وجعل يبحث عنهُ الى ان وجدهُ فاشتراهُ ثم باعهُ باحد عشر الف جنيه على ما ذكرنا في الجزء الماضي في ترجمة سسل رودس

وبلغ المستر روبنصن هذا الخبر فحدثتهُ نفسهُ بان خزائن الثروة مدفونة عند نهر الفال فقام لساعتهِ واخذ معهُ بعض رجالهِ وعرَباتهِ وسار الى نهر الفال وترك رجالهُ ومركباتهِ على ضفة النهر وركب جواداً وعبر الى الضفة الاخرى فوصلها بعد عناء شديد لان النهر كان في زمن فيضانهِ . وكان اهالي البلاد قد عرفوا عن وجود الماس في بلادهم وانهُ غالي الثمن وجعلوا يجمعونهُ ويبيعونهُ فرأى مع واحد منهم حجراً كبيراً فعرض ان يشتريهُ منهُ بعشرة جنيهات فابى فدفع اليهِ اثني عشر جنيهاً فابى ايضاً فقال لهُ ما لنا وللجنيهات بكم عنزٍ تعطيني هذا الحجر فابرقت اسرَّة

الرجل وقال بعشرين عنزة فعاد روبنصن وعبر النهر وبعث رجالهُ يشترون لهُ كل ما يجدونهُ من المعزى . وفي اليوم التالي اشترى الحجر بعشرين عنزة ولا يزال هذا الحجر عندهُ وهو اساس ثروتهِ وقد رأينا صورتهُ وهو كبير مثل الحجارة التي يباع الحجر منها بخمسة آلاف جنيه او اكثر وكان ثمن المعزى التي اشتراهُ بها سبعة جنيهات ونصف

وكان عندهُ الف وخمسمئة رأس من البقر فاتى بها كلها ليقايض عليها بالماس . وكان لهُ شريك فبعث اليهِ اثنين من رجالهِ اركبهما على اسرع خيلهِ وطلب منهُ ان يشتري لهُ كل ما يمكنهُ مشتراهُ من العربات ويسرع بها اليهِ فجعل الاهالي يفتشون لهُ عن حجارة الماس وهو يشتريها منهم بالبقر والعربات واشترى منهم ايضًا ارضًا مساحتها عشرون الف فدان على ضفتي نهر الفال ولم يمضِ عليهِ شهر ونصف حتى وجد فيها من الماس ما ثمنهُ عشرة آلاف جنيه

(٣) وعرضت لهُ مشاكل كثيرة فلم تقوَ عليهِ ووقع في ورطات عديدة ثم نجا منها من ذلك انهُ سمع ذات ليلة صياحًا شديدًا على جانب النهر المقابل فظن ان البرابرة قادمون عليهِ فقبض على بندقيتهِ وجلس وراء شجرة وفعل رجالهُ مثلهُ وزاد الصياح والجلبة ثم عبر النهر جم غفير من الاهالي البرابرة ودنوا منهُ واذا هم رجال من قبائل البشمن راكبون على الثيران السوداء ومعهم شيخهم واسمهُ سودا فقال انهُ جاء روبنصن بحجارة نادرة المثال وفك صرَّة كبيرة في الصباح واخرج منها حجارة من الماس المسوس لا تساوي ثلاثة جنيهات ولم يستطع ان يصرفهُ عنهُ الا بعد عناء شديد

وصنع مرة طوفًا من البراميل الفارغة ليقطع عليهِ نهر الفال وجلس عليهِ ومعهُ جماعة من رجالهِ . ولما وصل الى وسط النهر افلت برميلان من البراميل فغرق الطوف وغرق رجالهُ ولم يكن احد منهم يعرف السباحة الا هو ورجل آخر لكنهُ نجا ونجى رجالهُ كلهم

وكما اغتنى هو وجمع الالوف من الجنيهات اغتنى الاهالي بما اعطاهم اياهُ من الثيران والعربات ثم صاروا يقبلون الثمن نقودًا ويشترون بهِ ثيابًا وحلى وصاروا يتركون العمل ويشتري الواحد منهم عشرين زوجة ويجلس يأكل ويشرب وهنَّ قائمات على خدمتهِ

وبلغهُ ذات يوم ان امرأة من البوير وجدت حجارة من الماس في بيتها فاسرع اليها ووجد عندها ستة حجارة صغيرة فاشتراها منها ودلتهُ على المكان الذي التقطتها منهُ فوجد فيهِ ماسًا كثيرًا وهو منجم دتوتسبان واخبرتهُ هذه المرأة ان جارة لها وجدت حجارة ماس في ارضها فاسرع اليها واشترى الحجارة واشترى المكان الذي وجدتها فيهِ وهو المعروف الآن بمنجم بلتفنتين . وكان هذا المنجم كثير الماس حينما كشفهُ حتى ان كل عامل كان يستخرج منهُ في

يومهِ ما يساوي اربعمئة جنيه . ثم اكتشف منجم ده بيرس صدفةً . فهو المكتشف لثلاثة من مناجم الماس الاربعة

وكانت فتاة جالسة في ظل شجرة ترسم رسوماً على الرمل بطرف شمسيتها فرأت حجراً كبيراً من الماس ثم اتضح ان المكان كثير الماس وهو منجم كمبرلي المشهور وحالما كُشف اشترى روبنصن جانباً كبيراً منهُ . وجاءهُ رجل ذات يوم وقال لهُ اني استطيع ان اشتري نصف حصةٍ من حصصك فان وجدتَ لي واحداً يشتري النصف الآخر فانا اشتغل الحصة كلها واعطيهِ نصف ربحها فقال لهُ روبنصن ادفع نصف الثمن ويبقى النصف الآخر لي فدفع واشتغل في الحصة وحدهُ فاستخرج منها في الشهر الاول ما ثمنهُ اربعة آلاف جنيه وجاء روبنصن بالفي جنيه منها فوهبهُ روبنصن النصف الآخر وهو الآن من كبار الاغنياء

وعظم شان روبنصن بتعاظم ثروتهِ فجُعل محافظاً لمدينة كمبرلي وعضواً في مجلس المعادن وعضواً في مجلس الشورى بمدينة الراس . وجاءهُ سنة ١٨٨٦ تلغراف من الرجل الذي وهبهُ نصف حصة يقول فيهِ "كشفت ارض على ثلاثين ميلاً من بريتوريا فيها ذهب واظنها تستحق عنايتك وتجيئك حالاً اليها"

فقام حالاً واتى الى حيث وُجد الذهب واشترى الارض التي فيها منجم لنجلاغايت بسبعة آلاف جنيه والارض التي فيها منجم روبنصن باثني عشر الف وخمس مئة جنيه وجعل يحفر هذه المناجم ويشتري الاراضي المجاورة حتى اشترى ارضاً طولها ثلاثين ميلاً وهناك مناجم وتوترستراند وهي اكبر مناجم الذهب واعمقها واغناها ويُظَن انهُ لا يمكن استنزاف ذهبها كلهِ قبل ثمانين سنة

وضحك بهِ كثيرون في اول الامر قائلين انهُ جمع ثروة طائلة من مناجم الماس وهو يبذرها الآن في مناجم الذهب وقال واحد منهم ما لكم ولهذا الحمار فقد اشترى حقلاً من الكرنب بسبعة آلاف جنيه . لكن حقل الكرنب هذا هو منجم لنجلاغايت ولم يلبثوا ان رأوا نجاحهُ وارتقاءهُ دفعةً واحدة الى الدرجة العليا بين ارباب الثروة ومستثمري الاموال . ومن رأيهِ ان في جنوب افريقية ثروة وافرة لم يحلم بمثلها احد وان استخراجها سيزيد زيادة كثيرة حالما يستتبّ الامن في تلك البلاد

وفي سيرة هذا الرجل ما في سيرة غيرهِ من ارباب الثروة من دلائل الهمَّة والاقدام والحزم واستخفاف المصاعب وحسن النظر في العواقب . ولا ينكَر انهُ وقع لهُ من الفرص ما يندر وقوعهُ لغيرهِ ولكن الذين وقعت لهم هذه الفرص معهُ كانوا يضحكون بهِ ويتهكمون عليهِ ففوزهُ دليل على ما امتاز بهِ عليهم من علو الهمَّة وحسن النظر في العواقب

حاضر المصريين

"او سرّ تأخرهم"

يشكو ناقدو الكتب الافرنجية اليوم لا سيما الانكليزية منها كثرة ما يطبع منها وينشر حتى غصّت بها المكاتب وضاقت مخازن باعتها اما نحن فليس لنا ما نتذمّر منهُ من هذا القبيل لقلّة ما يطبع في بلادنا من الكتب لكن شكوانا امرٌ من شكواهم ذلك ان اكثر ما ينشر عندنا تافه لا يستحق القراءة وبعضهُ مضرٌ مخلّ بالآداب يستوجب صاحبهُ العقاب وقلّ ان يصدر كتاب فيهِ ما يروي الغليل ويشرح الصدر سواءٌ كان في العلميات او في الادبيات

في مصر اليوم حركة خواطر نشأت بعد هذه النهضة الاخيرة التي تكاد تحيي ميت الآمال فانّ بعض الفضلاء الذين يعرفون مكمن الادواء اخذوا يبحثون عن اسلوب تحلّ بهِ بعض مشاكل عمران هذه البلاد بعد ان اتسعت موارد ثروتها وزاد اتصالها بالبلدان الاجنبية واختلاط اهلها باهل تلك البلدان واشتراك مصالح الفريقين وبعد ان كثر عدد المتعلمين من الناشئة المصرية فبذل هؤلاء الافاضل جزءًا كبيرًا من وقتهم في درس الحالة الحاضرة ومافيها من العلل ونظروا في السبل التي سار فيها هذا العمران والمراحل التي اجتازها وما دهمهُ من النوازل والمصايب وردّهُ على عقبيهِ ثم عكفوا على تشخيص الداء ووصف الدواء ونشروا آراءهم في كتب ومقالات وقصائد اخصّ منها بالذكر كتاب سرّ تقدم الانكليز السكسونيين وكتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة فتلقّى القوم هذه الكتب وتلك المقالات وما نشرتهُ الجرائد والمجلاَّت في شأنها وبينهم القادح والمادح والمسلّم والمشاغب وانبرى الكتّاب لانتقاد ما فيها على الوجوه التي يعرفها قراء الجرائد المصرية ممّا لا حاجة بنا لاعادتهِ في هذا المقام

وقد ظهر في هذا الشهر كتاب جدّي خليق بالقراءة والتفكير حاول فيهِ صاحبهُ ان يزيح الغطاء عن سرّ تأخر المصريين . والذين يعرفون المؤلف يعرفون منهُ شابًّا رزينًا قليل الكلام كثير التأمل والدرس محبًّا للاستفادة بعيدًا عن المزاح بين ضلوعهِ نفس تميل الى التقدم في السبل المشروعة ومن كان كذلك فأخلِق بكتابتهِ ان تكون في المواضيع الجدية المفيدة

يريد المؤلف ان يبسط حالة المصريين الحاضرة في طبقاتهم الثلاث وان يمثلهم لعيونهم كما هم في طباعهم واخلاقهم واميالهم وعاداتهم واساليب معيشتهم والاسباب العاملة في انحطاطهم وما عرض لهم من اسباب النجاح وما يجب اصلاحهُ من احوالهم ففعل ذلك دون ان يخشى في قولهِ لومة لائم لاعتقادهِ ان ما يقولهُ هو الحق كما يتجلّى لعينيهِ بعد اختبارهِ مواقع

الضعف والشدَّة في بلادهِ . ولو كان من علماء السيولوجيا لانتظرنا منهُ ان يمهّد لكتابهِ سبيل البحث كأن يأتي على ذكر نواميس العمران وشرائعهِ العامَّة ثمَّ يستطرق منها الى ما في هذا القطر من الخصوصيات في الاقليم وتشعُّب الاديان واشكال الحكومات التي تولتهُ واختلاف اغراضها وتباين غاياتها وما كان لذلك من الاثر في نفوس اهلهِ وسكانهِ الى ان يتخلَّص الى التخصيص كما فعل لكنَّ الرجل ليس كذلك (ولا اظنهُ من ناقلي الشهادة الابتدائية او الثانوية ! !) فهو كما قلت في وصفهِ منح عينًا نقاوة ونيرة وقلبًا يتلهب غيرةً ووطنية فقرأ في سفر بلادهِ ما قرأ ثم نقدهُ فميَّز الصحيح من الفاسد وحضَّ على التمسك بالاول والاستزادة منهُ وترك الثاني واستبدالهِ بما هو اصلح لبقاء الامَّة وفلاحها مشيرًا الى طرق الاصلاح واتخذ لذلك اسلوبًا بسيطًا يفهمهُ الجميع وكأن الكتاب من اوَّلهِ الى آخرهِ رواية تمثل حالة الامة لا ينقصها سوى حديث او حكاية كما يفعل بالروايات التاريخية كبار كتَّابها

اما الصورة التي رسمها فليست ممَّا يسرُّ الناظرين فقد بدت باشدّ الالوان سوادًا وارتدت رداءً ضافيًا من القباحة وسوء المنظر فاذا كانت هذه الصورة مطابقة للواقع — واودُّ الاَّ تكون — فالامر اسوأ ممَّا نظنُّ والرجل مصيبٌ في استصراخهِ الامة وافاضلها للهبوب من سبات الغفلة والاهتمام بامورها

والكتاب يخصر كلَّ طبقة من الطبقات الثلاث بمرض او اكثر من امراض العمران ثم يصف الدواء تارة موجزًا وطورًا بالاسهاب ثمَّ يردُّ هذه الامراض الى اصل واحد وهو الجهل الفاشي في التربية البيتية والمدرسيَّة وافتقار البلاد الى المعدَّات التي تضمن حسن تلك التربية واستمرارها في المرء بعد تركه حضن امهِ ومغادرتهِ المدرسة التي يتاقى علومهُ فيها . امَّا الجهل فلا سبيل الى انكارهِ وامَّا التعليم الذي يدفع شرَّهُ عن البلاد فهو في حالةٍ سيئة وقد احسن المؤلف في حضهِ ابناء وطنهِ على الاهتمام بامر المدارس غير معتمدين على الحكومة لكني ارى ان الزمان الذي يتمناهُ لم يحن بعد فهذا مشروع مدرسة محمد علي الصناعية ليس في البلاد من ينكر فضلهُ ونفع المدرسة ومع ان القائمين بهِ لم يدخروا وسعًا في تشويق الناس الى اسعافهِ وبذل المال اعانةً لهُ ومع ان الجرائد تنشر هبات القوم من انحاء مصر كافةً ومع ان المتموّلين في هذا القطر يعدُّون بالالوف فلم يزد المال المجموع عن عشرة آلاف جنيه جزءٌ كبير منها من الاجانب ومثرٍ واحد في اميركا او اوربا يزور مدرسة فيرى فيها نقصًا او حاجة فتهزهُ الاريحية ويجود بمثل هذا المقدار و باضعافهِ ولا تطنطن جرائد بلادهِ بكرمهِ قدر طنطنة جرائدنا بسخاء من يبذل مئة جنيه !

انظر الى اساليب التربية والتعليم المتبعة في الشرق على الوجه الذي بينهُ المؤلف في الطبقات

الثلاث فلا يغرب عنك سر ما تراهُ من التأخر والانحطاط بل يا خذك العجب كيف انَّ هذا الانحطاط لم يبلغ اوطأ الدركات ثم قابل بين الذين نشأوا على هذا النمط وبين اخوانهم الذين اتيحت لهم اسباب التربية والتعليم الصحيحين في هذه البلاد او في البلاد الاجنبية تعلم ان في الشرقيين من الاستعداد الفطري ما يؤهلهم لأن يكونوا رجالاً كبارًا اذا غرست فيهم ابان الطفولية والصبوة بزور العلم الصحيح والفضيلة والآداب . أليس من المحزنات ان يكون ذلك في وسعنا وان يكون منالهُ قريبًا منَّا بشرط ان نسعى اليهِ ثم نحول عنهُ وجوهنا ونسير في الجهة الاخرى . أو نعجب بعد هذا كلهِ ان صارت البلاد طعمة للاجانب فكانت تجارتها وصناعتها بايديهم ونأسف لان الضعف داخلها وان القوَّة احاطت بها احاطة السوار بالمعصم أنسينا ان القوَّة اساس النجاح وان لا قوَّة مع الجهل وان الضعيف عبد القوي

فكتاب حاضر المصريين صورة عامة لحالة البلاد يراها الواحد فتنقبض نفسهُ وما من شرقي محب لشرقهِ الاَّ ويتمنى ان تتبدل الوان هذه الصورة بما هو ازهى ومناظرها بما هو اجمل والسبيل الوحيد الى ذلك التربية الصحيحة والتعليم المفيد وما خرج عنهما فوسائل لها بعض النفع ولكنها لا تفي بالغاية المطلوبة . اقول هذا وانا اعلم ان بعض من لهُ اليد في الامر لا يرون هذا الرأي زعمًا منهم ان تعليم الفلاحين يعود عليهم بالضرر وهي دعوى لا سبيل لاثباتها والادلة على فسادها متوفرة والضررُ مع العلم خيرٌ منهُ مع الجهل

وكأن المؤلف لم يترك بابًا للوقوف على الحقائق الاَّ قرعهُ يدلك على ذلك ما في الكتاب من الاحصاء في الكتب والجرائد والمطابع والمدارس والمتعلمين والمتعلمات والبيوت التي خربت بفضل تبذير اولادها والجنايات الى آخر ما اشتمل عليهِ من هذا القبيل واعجب منهُ اشاراتهُ في عرض الكلام الى ما جاء في الجرائد المصرية والمجلات ونحوها — حتى الاعلانات في الجامع الازهر — من الاقوال التي لها ارتباط بمباحثهِ ممَّا يدلُّ على انهُ كان في اثناء تأليفهِ لا يغفل عن تقييد الشوارد التي تزيد حجتهُ اثباتًا وكلامهُ وضوحًا وجلاء

على اني رأيتهُ يكثر من الاشارة الى ما للتمدن الافرنجي من الاثر في هذه البلاد وكأنهُ يلوم الافرنج على تلقينا عنهم ما تلقيناهُ من العادات والاخلاق التي لا تصلح لنا ولا تفيدنا كما انها لا تصلح لهم ولا تفيدهم على ان الافرنج ليسوا بملومين على اقتباسنا عنهم ما اقتبسناهُ وان يكونوا ملومين في تمسكهم بتلك العادات والاخلاق فمثلنا ومثلهم مثل من يذهب الى السوق ليبتاع حاجة فيرى اصناف البضائع معروضة امامهُ بين جيد ورديء فاذا انتقى الرديء فلومهُ على نفسهِ اذ لم يكن هنالك مَن اجبرهُ على اختيار صنف دون آخر على أنَّ عذر المؤلف في

ذلك غيرتهُ المحمودة والتزامهُ الايجاز في الكلام في بعض المواضع والاَّ فقد رأيناهُ في غيرها ينصح ابناء بلادهِ كي يتحدُّوا الاوربيين في التحلي بالفضائل والمعارف ويهتموا اهتمامهم باسعاد بلادهم والاهتمام بنجاح اهاليها

امَّا الصفة التي تتمثل في الكتاب باجلى بيان فشجاعة صاحبهِ تلك الشجاعة الادبية التي تذلّ امامها الكواسر وتطأطيء الرؤوس فقد جاهر بحقائق لا يروق نشرها فريقاً كبيرًا من الناس ولم يلبسها التدليس ولا التمويه ولا خفَّف طعمها الحادّ بالمدح الفارغ بل نادى بها من على السطح آسفاً نادباً مظهرًا عيوباً فاضحة مرشدًا الى الدواء الشافي لكلٍّ منها عالماً ان تقدم بلادهِ وتمدنها انما هما اكبر العوامل على حفظ كيانها وبقاء اهلها بين الشعوب المتمدنة . رأى الوف الاموال تنفق جزافاً في المقامرة والسكر والفواحش وشاهد الذكاء يختنق في المهد وابصر القلوب تفسد في الطفولية والصبوة ونظر الجهل ضارباً اطنابهُ في دور العلم وحجب الغباوة مسدولة على البلاد فاضاء مصباحهُ ورفع عقيرتهُ وبذل جهدهُ واتجر بما عندهُ واتمَّ واجباً تقضيهِ عليهِ الانسانية والوطنية لا يبتغي اجرًا ولا يطلب شكرًا ولا ينتظر من كتابهِ ربحاً فقد سمعتهُ يقول اذا بعتُ جميع ما سيطبع من نسخ هذا الكتاب فستبلغ اجرتي على تأليفهِ نحو مليم واحد عن الساعة الواحدة

وليتهُ بسط الكلام في النصلين الخاصّين بالتجارة والزراعة غير مقتصر على البحث العامّ فيأتي كلامهُ فيهما مرشدًا يرجع اليهِ الذين يودُّون التخلص من ربقة الاستخدام العقيم وهم فئة كبيرة من الشبان المتعلمين ولبعضهم شيءٌ من المال يستطيعون معهُ أن يرفسوا الاستخدام ويلتمسوا العيشة المستقلَّة في ما فيهِ فائدتهم ونفع البلاد

ولو لم يكن في فمي ماءٌ لزدت على ما قالهُ في شأن التعليم في مصر والمدارس التي فيها على اختلاف صبغاتها ومشاربها ولكنني اعيد الآن ما قلتهُ في مجلس ضمَّ نفرًا من الاغنياء وعصبة من الادباء " ان من العار على مصر بما فيها من الاغنياء والاموال ان تلجأَ الى البلاد الاجنبية لتعليم اولادها العلوم وان لا يكون فيها مدرسة واحدة جامعة على الاقل تكفي ابناءها مشقة التغرُّب التماساً لتحصيل المعارف حيث يتلقونها على نمط لا يفي بحاجات بلادهم بل بحاجات البلاد التي يدرسون فيها "

ومع انني اتمنى للكتاب انتشارًا يليق باهميتهِ وفائدتهِ واهتمام صاحبهِ في وضعهِ فانني اخشى ان يكون سرَّ تأخر مؤلفهِ المادّي لان المجاهرة بالحق لا تكسب صاحبها سوى عداوة الخلق لا سيما ما كان منهُ مجرَّدًا عن المدح والتملُّق واذا لم ينتشر هذا الكتاب فذلك من اكبر الادلَّة على تأخرنا وعدم اكتراثنا لما فيهِ فائدتنا وتقدمنا

خليل ثابت

الماسونية في فرنسا

اطّلعنا على مقالة مسهبة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال كاتبها ما خلاصتهُ

وُضعت اسس الماسونية في انكلترا سنة ١٧١٧ فلم تتغيَّر تغيرًا يذكر من ذلك الحين وقد اتَّصلت بها العائلة المالكة منذ اكثر من مئة عام وانتظم في سلكها امراء الانكليز وشرفاؤهم. واعضاؤها من اشد الناس ولاء لحكومتهم وليس لهم غرض سياسي من جمعيتهم . والحال على ضدّ ذلك في فرنسا فقد دخلتها الماسونية سنة ١٧٢١ ادخلها اليها الانكليز فتقلَّبت احوالها فيها بتقلُّب السياسة وراوحت بين مطالب العلم ومطالب الدين وغرضها الآن سياسي جمهوري مقاوم للاحزاب الاكايريكيَّة

وللماسون في انكلترا ٢٩٠٠ محفل عدا المقامات الكبرى وهم فيها يُعَدُّون بمئات الالوف . واما ماسون فرنسا فلا يزيدون على ثلاثين الفًا ولا تقابَل ثروة محافلهم بثروة المحافل الانكليزية ولهم مع ذلك شأن في سياسة بلادهم اعظم جدًّا من شأن الماسون الانكليز في سياسة انكلترا

وارتقى شأن الماسونية في فرنسا في عهد نبوليون الاول ثم انحطَّ كثيرًا حتى ان نبوليون الثالث اضطرَّهم الى قبول رئيس اختارهُ لهم . وصار رجال البوليس يدخلون المحافل الماسونية ويرون ما يجري فيها من الرسوم كأنها تحت سيطرتهم. ثم عظم شأن الماسونية في فرنسا منذ عشرين سنة الى الآن وهي اليوم من اعظم دعائم الجمهورية الفرنسوية ولا يستطيع موظف في الحكومة ان يمدَّ اليها يدًا

وتقسم الماسونية في فرنسا الآن الى اربعة اقسام كبيرة وهي مجمع الرموز الاكبر والشرق الاعظم ومجلس الرموز الاسكتسيَّة الاعظم ومحفل فرنسا الاعظم . والقسمان الاولان خاصَّان بالماسونية الفرنسوية والاخيران جاريان مجرى الماسونية الانكليزية. وكلُّ فريق منهما بمثابة مجلس النوَّاب ومجلس الشيوخ اي ان الشرق الاعظم ومحفل فرنسا الاعظم بمثابة مجلس النواب. ومجمع الرموز الاكبر ومجلس الرموز الاسكتسي بمثابة مجلس الشيوخ . والشرق الاعظم والمجمع الاكبر قديمان واما المحفل الاكبر فحديث انشئ سنة ١٨٩٤ والفرق بينهُ وبين الشرق الاعظم انهُ يبيح لاعضائهِ الاعتراف بوجود الخالق في محافلهم واما الشرق الاعظم فلا يذكر فيهِ اسم الخالق وكلاهما محروم من كنيسة رومية مثل غيرهما من المحافل الماسونية في كل المسكونة

والشرق الاعظم على جانب عظيم من الغنى والنفوذ . لهُ دار فسيحة في قلب باريس وعندهُ

اموال طائلة معدَّة للدفاع عن الماسونية تقدَّر بملايين الفرنكات. واما المحفل الاكبر ففقير بالنسبة اليهِ والمحافل التابعة للاول ٤٠٠ فيها ٢٢٠٠٠ عضو والمحافل التابعة للثاني ١١٠ فيها ٥٠٠٠ عضو

قلنا ان نبوليون الثالث شدَّد المراقبة على الماسونية ومما فعلهُ انهُ امر بتعيين المرشال مكماهون رئيساً للشرق الاعظم ولم يكن منتظماً في الماسونية فانتظم في سلكها حالاً واخذ درجاتها الثلاث في اسبوع من الزمان وكان غرض نبوليون ان يقاوم بهِ الماسونية اما هو فرغب فيها وصار من اعظم انصارها وحمل نبوليون على اعادة حقوق الشرق الاعظم اليهِ واهتمَّ بامورهِ المالية حتى وضعها على اسس وطيدة

وقد اخذ الشرق الاعظم في ابطال الرموز الماسونية حتى لم يبقَ منها شيء وصارت المحافل مثل الاندية العلمية والادبية يجتمع فيها العلماء والفلاسفة ورجال السياسة لكنها لا تدقق التدقيق الكافي في انتخاب اعضائها. ولم يبقَ شيء من اسرارها مكتوماً الاَّ كلمة السر التي يمتاز بها الماسوني عن الاجنبي اذا اراد دخول محفل غير محفلهِ وهذه تتغير كل مدة

ومن الامور الجديدة في الماسونية الفرنسوية انتظام النساء في المحافل مع رجالهم او اولادهم. لكن الشرق الاعظم والمحفل الاعظم لم يوافقا على ذلك حتى الآن ولا منعاهُ بل حسبا انهُ يستحق الامتحان ولا يبعد ان يوافقا عليهِ وتزيد قوة الماسونية وفائدتها بانتظام النساء فيها مع رجالهم.

وقد اخذت المحافل الماسونية تبحث في كثير من المسائل العمومية كأنها اندية علمية ففي لائحة المواضيع التي عُرضت للبحث في ٦ دسمبر الماضي وفي ١٣ منهُ ما يأتي "سبب قلة السكان في فرنسا". "نسبة الماسونية الى الاحزاب السياسية". "واجبات اصحاب المعامل نحو عمالهم". "أتستطيع الماسونية ان تمنع الحروب الاوربيَّة". "العلاقة بين ارتقاء الوطنية وبين حقوق الانسان". واختار بعض محافل باريس جماعة من العلماء لتلاوة الخطب في المواضيع الفلسفية والطبيعيَّة كعلم الدين. والمادة والحركة. وتولُّد العوالم. واصل الحياة. ويهتمُّ رئيس المحفل الاعظم الآن بتقليل نفقات الدعاوى على المتداعين وفي انشاء شركة لضمانة الحياة تكون اقل نفقات من غيرها ونحو ذلك من الاعمال التي تعود بالنفع على جمهور الماسون

وقد اثَّرت الجرائد الفرنسوية في نفوس الماسون في فرنسا بما تنشرهُ من نسبة كل الفضائل الى البوير في هذه الحرب وكل الرذائل الى الانكليز وهم لا يطالعون غير جرائد بلادهم فحُملوا على لوم الانكليز مثل غيرهم من ابناء وطنهم وتظهر خلاصة آرائهم في ما اقرَّ عليهِ احد محافلهم وهو. "من حيث ان الحرب اشد بليَّة تحمَّلها نوع الانسان ولا يزال يتحملها متألّماً منها. ومن حيث انها تثير ادنى اخلاق الانسان تحت رداء الشرف والشجاعة ومحبة الوطن ونحو ذلك من

الاخلاق الكريمة . ومن حيث انهُ يحق لكل الناس ان يعيشوا احراراً اينما كانوا . ومن حيث ان حرية الامم والافراد لا حدَّ لها الاَّ عند حرية الغير . ومن حيث ان حرب الانكليز والبوير تدلُّ الدلائل على انها ستدوم الى ان تنقرض امَّة احترمت حريَّة غيرها ولم تتهدَّد حرية الانكليز لا في اوربا ولا في املاكهم الخارجة عن اوربا . ومن حيث ان الماسونية اخوية عامَّة لا تقدر ان تحصر اميالها الانسانية في امة واحدة او شعب واحد . ومن حيث ان الماسون اكثر عدداً في انكلترا مَّا هم في اية بلاد أُخرى . فهذا المحفل يتوسل الى الماسون الانكليز بحق الانسانية ولمصلحة انكلترا العظمى ان يبذلوا اقصى جهدهم في اقناع حكومتهم بابطال هذه الحرب التي اقفر بها جنوب افريقية والتي ستكون لطخة سوداء على مجد الامَّة العظيمة التي كانت مهد الحرية وبقيت مقرها الوحيد في اوربا سنين كثيرة "

ثم لما شاع ان وفيات اولاد البوير كثرت في الملاجئ الانكليزية اعترض المحفل الاعظم على ذلك وبعث الى محفل سويسرا ليرفع اعتراضهُ الى المحافل الانكليزية فاجابها ملك الانكليز " ان البوير الذين في الملاجئ غير مقيدين بالبقاء فيها ولهم الحرية المطلقة ليذهبوا اين شاؤُوا وقد اضطرَّ الانكليز اضطراراً ان يقيموا هذه الملاجئ لنساء البوير واولادهم لما رأوا ان رجالهم تركوهم لا طعام ولا مأوى ". فلما نُشر هذا الجواب كفَّت الجرائد الفرنسوية عن الانتقاد والتقريع

الاَّ ان الهمَّ الاكبر لماسون فرنسا سياسة بلادهم والفوارق الدينية لا تفرق بينهم فينتظم في سلكهم الكاثوليكي والبروتستانتي واليهوذي والمعطّل على حدٍّ سوى بشرط ان يكون جمهوريًّا واما اذا كان ملكيًّا فلا يقبلونهُ بينهم مهما كان مذهبهُ كان محافلهم اقسام من مجلس النواب من حزب الوسط وحزب الشمال بعضهم جمهوري معتدل وبعضهم جمهوري متطرّف وبعضهم اشتراكي وكلهم خصم للبرنس فكتور نبوليون ولدوق اورليان . ولا يقبلون طالبًا ما لم يثبت لهم انهُ جمهوري ويحسبون انهم والملكيون على طرفي نقيض ويقيمون دليلاً على فساد الحكم الملكي والامبراطوري ما فعلهُ نبوليون الثالث من سَوْق فرنسا الى ميدان الحرب الفرنسوية الالمانية لمطامعهِ الشخصيَّة . اما الجمهورية فلا تستطيع ان تسوق امَّة الى حرب ما لم يكن اكثر نوَّاب الامَّة راضين بذلك فالماسونية الفرنسوية من الوسائط الفعالة لحفظ السلام في اوربا

وتُتهم الماسونية الفرنسوية بانها معادية للدين وهذه التهمة باطلة والحقيقة انها تقاوم الكنيسة الرومانية في انتصارها للملكيَّة لا غير ولكنها لا تقاوم البروتستانت ولا اليهود ولا غيرهم من اصحاب المذاهب الاخرى لانهم لا ينتصرون للملكيَّة . ورئيسها الحالي كان قسًّا في الكنيسة

المصلحة من كنائس البروتستانت . ثم ان البروتستانت الذين فيها على شدَّة تمسكهم بديانتهم لا يمتنعون عن الاجتماع مع المعطلين واللاادريين وذلك دليل قاطع على ان محافل الماسونية في فرنسا صارت مجتمعات سياسية تبحث في المسائل السياسية والاجتماعية لا غير وهمُّها الاكبر الاحتفاظ بالحكومة الجمهورية ولا تتعرَّض للمسائل الدينية مطلقاً

ماذا تود ان تكون

اقترح محرر مجلَّة لندن على بعض المشاهير اقتراحاً غريباً في بابهِ سأَل كلاًّ منهم ماذا تودُّ ان تكون لو لم تكن كما انت . فوردت عليهِ الاجوبة التالية

اجاب السر هنري ارفنغ وهو اشهر الممثلين الآن في البلاد الانكليزية وللتمثيل مقام رفيع عندهم حتى لم يأنف من ذكرهِ اولاً . "اني اود ان اكون محرر مجلَّة لندن واكون مثلهُ قادراً على ابتكار المواضيع الجديدة لتسلية الناس وازالة السآمة من نفوسهم"

وقد عقَّب المحرّر على هذا الجواب قائلاً انهُ اذا حرر السر هنري ارفنغ هذه المجلَّة فاقت مجلات العصر ولكنهُ لو علم مقدار المتاعب والمشاق التي شيَّبت رأس المحرر وغضَّنت جبينهُ لعدل عن هذه الامنيَّة

واجابت مس ايرين فانبرو وهي من الممثلات ايضاً "انني اود ان لا اكون شيئاً"

واجاب المستر لويس وولر وهو من كبار الممثلين "اني اود ان اكون من اصحاب الملايين"

واجاب المستر سسل رالي منشىءُ الروايات التمثيليَّة "اود ان اكون رئيس اساقفة كنتربري او مساعداً لمحرر مجلَّة لندن". وعقَّب المحرر على ذلك قائلاً اما منصب رئيس اساقفة كنتربري فيستحق ان تطمح اليهِ الانظار ويعصب لهُ الريق والمستر رالي يقوم باعبائهِ حتماً واما اذا استبدلَ حرفتهُ بالحرفة الثانية فلا بدَّ لهُ من ان يندم

واجاب المستر كلمنت سكوت منتقد الروايات والتمثيل "اود ان اكون فلاَّحاً امتلك ابعدية لاني مغرم بحب الطبيعة والهواء النقي واحبُّ ان اعبد الله في الفضاء يا لها من عيشة راضية بين الطيور اذ يستريح المرءُ حينما تستريح الطبيعة . اني اعتقد بتقمص الارواح وارجو ان اصير من خدَمة الدين حينما اولد ثانية بعد الوف وملايين من السنين"

واجاب المستر برناند محرر جريدة بنتش الهزلية الانتقادية قائلاً "لا اعلم حقيقةً ماذا اودُّ ان اكون ومع ذلك اود ان اكون واحداً من اصحاب الملايين أياً كان"

واجاب الجنرال غرفث وهو من رجال السيف والقلم المعدودين " لا اريد ان اكون غير ما انا فان حالتي الحاضرة هي غاية ما كنتُ اتمنّاه في صباي وددت ان اصير جنديًّا فصرتُ وان أُعدَّ في مصاف الكتَّاب فعُدِدتُ ولو بدأت الحياة من جديد لتمنيتُ ان اسير في الخطة التي سرت فيها اولاً "

واجاب الجنرال السر افلن وود " لو لم اكن جنرالاً لوددت ان اكون بورجياً "

واجاب السر فرنسيس جون رئيس محكمة الاحوال الشخصية في المحكمة العليا " لو لم اكن قاضياً لوددت ان اكون قاضياً ولكن سؤالكم يقضي على المرء ان يختار حرفةً غير حرفته فان كان الامر كذلك فاودُّ ان اكون موظفاً ملكيًّا في حكومة الهند "

واجاب المحامي المشهور السر ادورد كلارك "ان حرفتي تسرُّني وانا راضٍ بها ولا خبرة لي بغيرها"

واجاب المستر مكس بمبرتن وهو من كبار المحررين " ان اصلاح المسودات يثقل عليَّ احيانًا حتى اود ان اكون واحداً من اصحاب الاملاك الذين يعيشون في الارياف . واني افضل ذلك على ان اكون رئيس اساقفة كنتربري "

واجاب المستر هربرت فثيان " اتمنّى احيانًا ان اكون رئيس اساقفة كنتربري واحيانًا ان اكون رئيس النظار ولو خُيّرت لاخترت ان اكون الاثنين معًا فاجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية وافضّل على ذلك ان اكون ملك مملكة صغيرة مستقلة اهلها على تمام الولاء لملكهم"

واجاب كثيرون من القسوس وخدمة الدين اجوبة متفقة في انهم لا يودون ان يبدلوا حرفتهم بغيرها الاَّ واحداً منهم فانهُ قال لو لم يكن من نصيبي ان اكون قسيساً لوددت ان اكون محامياً

وقال السر روبرت اندرسن رئيس مجلس تحقيق الجنايات " كنت في صباي ميَّالاً الى ان اكون محامياً ولو لم أُغرَ بخدمة الحكومة اغراءً لصرتُ محامياً ومع ذلك فاني افضل الآن خدمة الدين على المحاماة "

وقال المسيو بول بلوه الكاتب المشهور " لو خُيرت لاخترت ان اكون محامياً ولو لم يكن لي والدان علمّاني واعتنيا بي لوددت ان اكون نجّارًا "

وقال السر هري جنستن الرحّالة المشهور مكتشف حيوان الاكابي في قلب افريقية " اني اخترت عملي اختياراً بعد التروي وانعام النظر ولو اعطيتُ نفسي هواها لقضيتُ جانبًا من عمري في التصوير ودرس طبائع الحيوان والنبات "

هؤلاء من الذين رضوا ان تنشر اسماؤهم اما الذين لم يرضوا ان تنشر فمنهم محرر جريدة

اسبوعية ومجلة شهرية قال "لو لم اكن صحافيًّا لوددت ان اكون سمسارًا في البورصة"

ومؤلف كتاب سنوي مشهور قال "اعطني خمسة آلاف جنيه في السنة فاترك لك المدينة ومن فيها واعتزل في بلد من بلاد الارياف واسكن كوخًا صغيرًا بعيدًا عن جلبة الناس"

وقال محرر آخر اميركي "اود ان اكون رحّالة اطوف في المسكونة وادرس طبائع اهلها واخلاقهم"

هذا واماني الانسان الواحد تختلف باختلاف احوالهِ من الراحة والتعب والصحة والمرض والنجاح والفشل فتجده تارةً راضيًا بحرفتهِ قانعًا بها لا يودّ ابدالها بغيرها وتارةً كارهًا لها مفضلاً كل حرفة عليها . فلو طُرح السؤال المتقدم على هؤلاء الناس في اوقات أُخرى لاجابوا عنهُ اجوبة تقرب من اجوبتهم هذه او تبعد عنها حسب الحالة التي يكونون فيها حينما يطرح السؤال عليهم الاَّ تمني الثروة فانهُ دائم ولو لم يجاهر كثيرون بهِ

المرأة الشرقية

وعلة تأخرها

اطلعت في جريدة الديلي ميل الانكليزية على مقالةٍ لسفير الصين في الولايات المتحدة عنوانها "لماذا اعجب بالنساء الاميركيات" وتحت العنوان هذا الجواب "لانهنَّ دائمًا مشغولات" فلخصتها في ما يلي . قال السفير :

"لا اكتم القارئ أنَّ المرأة الاميركية لها عندي منزلة رفيعة أنظرُ اليها بعين الاعجاب والاحترام وقد أسعدني الحظُّ بأن قضيت نحو خمس سنين سفيرًا للصين في وشنطون عاصمة الولايات المتحدة فحضرت اجتماعات عديدةً لقيتُ فيها عددًا كثيرًا من النساء الاميركيات فجالستهنَّ وعاشرتهنَّ وسبرتُ غور احوالهنَّ وعرفتُ كثيرًا من امورهنَّ المنزلية والاجتماعية . ولم يكن اختباري لهنَّ مقصورًا على ما شاهدتهُ منهنَّ في المحافل التي جمعتني بهنَّ في وشنطون لانني جولت كثيرًا في أنحاء اميركا وخطبت خطبًا متعددة في مدارسها الكلية وأنديتها التجارية ومحافلها الادبية وزرت ما لا يحصى من بيوتها ومنازلها حتى احطتُ علمًا بعوائد الشعب واخلاق الامة وجميع احوال السكان

فمما شاقني من المرأة الاميركية اعتمادها على نفسها واستقلالها بالعناية بجميع شؤونها في السفر . فقد صحبت كثيراتٍ منهنَّ في سفراتي الطويلة وكنتُ أُعجب بكلّ منهنَّ حين أراها منصرفةً بنفسها الى قضاء حاجات السفر المتنوعة وتجشم مشاقهِ المختلفة كأنها رجل عبر

اسفار فكانت تبتاع تذكرة سكة الحديد وتعتني بما معها من الاثقال وتهتم بان تجد لنفسها مجلساً في القطار حيث تجلس وتنشر بين يديها جريدة او تفتح كتاباً وتكب على المطالعة براحة واطمئنان ورصانة ووقار كأنها في بيتها او كأنها قضت حياتها في السياحات والاسفار . وكانت بهذا كله تجلي الاستقلال الذاتي ومظهراً لتلك الصفة الشريفة التي يمتاز بها الشعب الاميركي وهي الاعتماد على النفس . ولست مرتاباً في انك لو كلفت المرأة الاميركية ان تقدم في الغد على سياحة حول الارض وتباشرها وحدها غير مصحوبة برفيق او معين لاقدمت عليها في الحال دون توقف ولا امهال

ومن الصفات العقلية التي امتازت بها امرأة العالم الجديد وفاقت بها غيرها من نساء البلدان المتمدنة سرعة الفهم . فقد راقني ما لقيته فيها من توقد الذهن وسرعة الخاطر لانك عند ما تطارحها الحديث بامر تراها في الحال ادركت مغزاه مهما كان عويص المبنى غامض الفحوى . وقد عنيت بالبحث عن علة هذه النباهة الفائقة فلم استطع لها تعليلاً ولا وجدت الى معرفة سببها سبيلاً . وهذه الصفة يمتاز بها الشعب الاميركي عموماً لكنها في المرأة الاميركية بالغة حدها من النماء والارتقاء

وبينها وبين اختها الصينية فرق عظيم جداً من حيث التركيب الطبيعي وللاولى ما ليس للثانية من جمال البنية وقوتها وصحتها . ولا يصعب على الباحث ان يعرف علة هذا الفرق فان المرأة الاميركية مشغوفة بالرياضة في الخلاء ولها على المشي طاقة ليست لغيرها من بنات حواء . وهي قادرة ان تقضي ساعات في ممارسة جميع انواع الرياضة البدنية التي لا تعرفها نساء الشرق وليس لها اسماء في احدى لغاته . وليس في اميركا من عائق او مانع يعوق حركات المرأة . وما يستحيل عليها في البلدان الاجنبية ميسور لها في الولايات المتحدة . فتأتي كل ما تستطيعه اختها الانكليزية وتزيد عليه . وفي انكلترا يضرب المثل بشدة اقتدار النساء على المشي وشيوع ممارستهن لجميع الالعاب البدنية ولذا ترى الفتاة الانكليزية مشهورة بقوتها الجسدية . لكنني وجدت الفتاة الاميركية مثلها في ذلك ان لم اقل اشد منها واقوى . وما اشد احتياج المرأة الشرقية عموماً والصينية خصوصاً الى هذه القوة

ومما لاحظته ايضاً أن قليلات من النساء الاميركيات متعرضات لنتائج البطالة الوخيمة فهن على الدوام مشغولات ولا بد لكل منهن ان تجد عملاً يشغل ذهنها . وبعد ما تفرغ من قضاء اعمالها المنزلية ولا ترى في نفسها ارتياحاً الى الخروج لممارسة بعض الرياضات البدنية تسمو بها همتها وتدفعها الاريحية الى اتيان عمل من الاعمال الخيرية او الاشتغال بشان من

الشؤون الدينية او الاشتراك في امرٍ من الامور الاجتماعية . وليس لدمها مجالٌ لان يقف في عروقها جامداً جمود الماء الآسن في احد المستنقعات . وفي هذا ما فيهِ من الفائدة العظمى لجهاز التنفس والمنفعة الكبرى لصحة الجسد المتوقفة عليها صحة العقل. انظر الى المرأة الاميركية وهي تمشي تَرها جاريةً بخفةٍ ونشاطٍ تقصر عنهما كل امرأةٍ أخرى تحت السماء . ولقد طالما شاهدت الفتيات الاميركيات في ابرد ايام الشتاء رائحات في الشوارع وغاديات وقرس الزمهرير يدمي منهنَّ الخدود وجمر الصقيع يحرق الآذان وهنَّ غير مباليات بهذا ولا بذاك بل سائرات على قدم الارتياح والانتعاش يستنشقنَ الهواء النقي المقوي للابدان

واذا جالستها رأيتَ منها جليساً لا يُملُّ حديثهُ ووجدتها خزانة علوم وذخيرة آداب وفنون لأنها فوق ما تعلَّمتهُ في المدارس البسيطة والكلية لا تكفُّ عن مطالعات الروايات الجديدة والمجلات الشهرية والجرائد اليومية فتحدثك عن المعاهدات السياسية والحوادث المحلية والاخبار الخارجية الواردة من عواصم اوربا ومن جنوب افريقية والشرق الادنى والاقصى وغيرها من مشارق الارض ومغاربها . ولعلَّ ذلك ناتج عن كثرة مخالطتها للرجال ليس في بيتها فقط بل في الولائم والحفلات وغيرها من الاجتماعات العمومية فترى مبلغ الرجال من معرفة هذه الامور وتميل الى مباراتهم ومشاكلتهم وتأنف ان تظهر بينهم بمظهر البلادة والخمول

وقد أراني الاختبار الطويل انها تفوق في الحديث كثيرات من اترابها ومن يحدث فتاةً اميركية يرَ نفسهُ منصرفاً لبحثٍ عقليّ لا لحديثٍ يراد بهِ التسلية والفكاهة اذ يجدها تتكلم عن الحياة بتروٍ وتدبُّرٍ وحذقٍ وذكاءٍ ونباهة شأنٍ وسعة اطلاعٍ شيمة الحكيم الخبير . واذا دار الحديث على الرجال او على الامور المتعلقة بالهيئة الاجتماعية صرَّحت برأيها في ذلك كلهِ بلا لجاجة او التباس . واذا استطاعت وافقتك على افكارك والاَّ جاهرت بافكارها الخاصة على اسلوبٍ شائقٍ فلا يسعك الاَّ الاعجاب بها وان كنت بعض الاحيان لا تراها صحيحة . واذا احتاجت في حديثها الى الجدل والاحتجاج اتت ذلك على احسنِ منوالٍ وفاقت فيهِ ابرع الرجال . فليس عجيباً والحالة هذه أنَّ كثيرات من النساء الاميركيات بلغنَ بواسطة اقلامهنَّ شهرةً مستطيرةً وجمعنَ ثروةً كثيرةً . فانهنَّ يكتبنَ كما يتكلمنَ بسهولةٍ رائقةٍ وفصاحةٍ شائقة وبلاغة فائقة .ومع شدة رغبتها في العلوم والمعارف لا تهمل العناية بملابسها واستكمالها الشروط التي تقتضيها الازياء المستفيضة في العالم الغربي . ولهذا ترى حتى المتوسطة الحال اذا خرجت من بيتها لزيارة او عيادة او تنزهٍ لبست احسن ملبسٍ تجلت فيهِ الكياسة وتمثلت سلامة الذوق وحسن التناول

ويعجبني منها ايضاً إخلاصها وصدق عاطفتها واستقامة مباديها . ولا يغرب عن ذهن المطالع اني في كلامي على المرأة الاميركية لا أُريد بها نوعاً قائماً بنفسهِ بل اقصد جنساً مركباً خليطاً من كل الانواع . فهي آخذة بثبات الفتاة الانكليزية واستقامتها ورشاقة الفرنسوية وانتعاشها وجمال الاسبانية ورخامة صوت الايطالية ورصانة الالمانية . وبالاختصار اقول إنها جامعة لمحاسن جميع النساء الاوربيات . وحاصلة على اجل المزايا واجمل الصفات . اه

ولما فرغت من تعريب ما تقدم عرض لي خاطر كانهُ من بقية تلك "الهواجس او الوساوس" المعلومة ثم تملكت الخاطرَ العارضَ قياد افكاري واوغلت في التأمل والافتكار . واذ قد نقلتُ الى القراء ما ارتآهُ السنير العيني في المرأة الاميركية أحببتُ ايضاً أن اطلعهم على خلاصة ما جال في خاطري غير جاهلٍ اني مخالفٌ فيهِ لرأي الكثيرين منهم ولهذا اعرضهُ على مَن شاء منهم أن يتكرم بانتقادهِ او يود المناظرة فيهِ توصلاً الى الحقيقة فاقول

خطر ببالي حينئذٍ أنَّ كتَّابنا وخطباءنا ملأوا صفحات المجلات واعمدة الصحف والجرائد وأوقروا المسامع والآذان بما كتبوهُ تاليفاً وتعريباً وفاهوا بهِ على المنابر وفي صدور المجالس بخصوص المرأة الغربية الاوربية والاميركية ولا نزال نرى مجال الكلام عليها ذا سعةٍ سواءٌ كان مما تكتبهُ هي نفسها او مما يتسنها بهِ ابن جنسها او يرويهِ عنها الشرقيُّ المستوطن بلادها او السائح في أرضها . وهذا كلهُ على اختلاف مصادرهِ وتنوُّع مواضيعهِ يتلقاهُ المطالعُ او السامع بمزيد الهشاشة والارتياح ويُعجب بتقدم فتاة الغرب كل الإعجاب وقد يدهشهُ الامرُ ويداخلهُ في صحتهِ بعض الشكِّ والارتياب

هذا ما نراهُ كل يومٍ تقريباً لكننا لسوء الحظ لم نرَ احد كتَّابنا او خطبائنا او الاجانب المستوطنين بلادنا او السائحين فيها اتخذ المرأة الشرقية لمقالتهِ او خطبتهِ موضوعاً استمال الابصار والآذان ونال عند قارئيهِ او سامعيهِ ما ينالهُ الكلام على المرأة الغربية من الاعجاب والاستحسان . واكثر ما جاء في كلام كتَّابنا وخطبائنا عليها اما هجاءٌ سداهُ التحامل ولحمتهُ الافتراء يمثل المرأة الشرقية أحطَّ شاناً من كلِّ بنات حواء او مدح حاكهُ التملُّق ونمَّقهُ الرياء . يصوّرُ فتاة الشرق فريدة عقد النساء أو ملكاً هبط من السماء . وكلاهما اضرَّا بها ضرراً بليغاً فلم تَعُد تقبل نصحاً ولا ارشاداً لانها تعوَّدت المدح والاطراء حتى صارت تعدُّ كل كلام يساق اليها وهو خالٍ من تعظيمها وتبجيلها ذماً فاضحاً وهجاء فادحاً

واذا اتَّقى الله كاتبٌ منَّا وأراد أن يغرّر بنفسهِ ويقرّر بعض الحقائق عن المرأة الشرقية وتوخَّى الانصاف والاعتدال في كتابتهِ وتنكَّب التدليس والمجاملة كان نصيبهُ نصيب من تقدمهُ

في هذا الطريق ولقيَ من حملات المرأة نفسها وهجمات اعداء الحقيقة وادعياء الدفاع عن حقوق المرأة صدمات تقلقل الجبال فضلاً عن الرجال

ومما تقدَّم يرى القارئ ان الذين كتبوا منا في المرأة الشرقية هم في نظر المرأة وانصارها فريقان فريق سخَّر يراعهُ لكتابة ما هبط عليهِ من سماءِ ميلها وهواها فأَمِن سخطها وغنم رضاها وفريق تنقَّصها ما شاءَ وحطَّها الى أدنى من منزلتها عند التدرية فكان من المغضوب عليهم . اما الذين لزموا في ما كتبوهُ عنها خطة الاعتدال فهم معدودون في حكمها من الفريق الثاني فلا يطمعون ان يُفيدوها شيئاً بما يكتبونهُ عنها ولا يؤملون ان يرجوا من خدمتهم الادبية لها سوى الوعيد والتهديد

فاقلُّ ضرر اتاهُ الفريقان المتقدم ذكرهما انهما اضاعا مزية الخدمة التي تحرَّى كتابنا المعتدلون ان يقوموا بها وحرما المرأة الانتفاع بما قرَّروهُ عنها من الحقائق المفيدة . اذًا املنا ضعيفٌ جدًّا باستفادة المرأة الشرقية مما تخطّهُ عنها اقلام كتَّابنا ولهذا تراهم الآن منصرفين في توخي فائدتها الى جهةٍ اخرى وهي الكلام على ما بلغت اليهِ معرفتهم من صفات المرأة الغربية واخلاقها وعوائدها وكل ما يتعلَّق بنشأتها الحديثة ونهضتها الجديدة لعلَّ فتاتنا الشرقية ترى في ذلك ما يشوقها الى التمثل بها . ومع استصوابي لهذه الطريقة واعترافي بانها افضل من الطريقة المتقدم ذكرها وتعويلي عليها في هذه المقالة ارى عند زيادة التأمل والافتكار انها لسوء الحظ غير وافية بالمرام ولا ضامنة للغاية المقصودة منها وهذه حقيقة مكدرة كان من الواجب اغفالها والسكوت عنها لولا اننا ابتدأنا بحمد الله نالف تقرير الحقائق المحزنة ولعلَّ هذه احسن خطوةٍ خطوناها في طريق الاصلاح

اما وجه الريب في حصول الفائدة المطلوبة من تشويق المرأة الشرقية الى الاقتداء بالغربية بواسطة اطلاعها على ما نكتبهُ لها عنها فهو ان المحتاجات من نسائنا الى الإصلاح اكثرهنَّ لا يعرفنَّ القراءة فلا يستفدن شيئًا مما يُكتب لهنَّ في هذا الموضوع . واما القليلات منهنَّ اللواتي تعلَّمنَ في المدارس ويستطعن ان يقرأن ويدركن كل ما يراد من الكلام في هذا الشأن فجانبٌ عظيمٌ منهنَّ لا يطالعنَ ما نكتبهُ لهنَّ اما لعدم استطاعتهنَّ التفرغ للمطالعة او لانهنَّ يرين في مطالعة الصحف العربية حطَّةً لشأن تمدنهنَّ الجديد او لانهن لا يجدن انفسهنَّ في حاجةٍ الى زيادة ما تعلمنهُ في المدرسة أو لغير ذلك من الاسباب وبين الباقيات مَن هنَّ بالحقيقة غير محتاجاتٍ كثيرًا الى الوقوف على كلّ ما نكتبهُ لانهنَّ حاصلات على مقدار عظيم من الاستنارة والتهذيب ولا تمكنهنَّ الاحوال من المزيد

وعلى القارئ ان ينظر بعد كل هذا الاسقاط والتجريد والاستثناء ليرى كم يبلغ عدد النساء الشرقيات اللواتي يطالعن ما يكتبهُ لهنَّ كتّابنا ولعلهُ اذا اضاف الى كل ما تقدم من الاعتبارات ما يجنيهِ رجالنا حتى على تلك البقية القليلة من المطالعات لكتبنا ومجلاتنا وجرائدنا لا يلبث ان يعتقد اعتقادي من جهة هذا الامر ويحكم معي بان عدد القارئات المستفيدات قلَّما يتجاوز المئات وقد يعجب المطالع من تعريفي بجناية رجالنا على نسائنا لانهُ لم يخطر بباله ان لرجالنا يداً في تأخُّر نسائنا الحالي . اما انا فاقول لهُ إن رجالنا هم علة تأخر المرأة الشرقية وآفة مجاراتها للمرأة الغربية في طريق التقدم والارتقاء ولا اقصد برجالنا ذلك الفريق الكبير الكثير العدد الباقي نظير اكثر نسائنا على حال الفطرة والسذاجة فان هؤلاء براء من هذا الذنب مع اشتراكهم فيهِ لانهم لا يستطيعون ان يدركوا اهمية حصول المرأة على شيء هم انفسهم لهُ فاقدون . واذا كانوا يعدُّون تعليم الرجل نكرًا فلا بدع ان حسبوا تعليم المرأة ضلالاً وكفرًا وقضوا بان يسدل على نهاها حجاب اكثف من حجاب محياها ولكنَّ الذنب كلَّ الذنب على اخدان النشأة الحديثة واخوان النهضة الجديدة — على الذين تخرَّجوا منا في المدارس الكبرى وارضعوا لبان العلوم والمعارف وجاروا الاوربيين في درس لغاتهم واقتباس شيءٍ كثير من عاداتهم ومصطلحاتهم — على الذين جالوا منا في عواصم البلدان الغربية وامهات مدنها او طالعوا كثيرًا مما كتب عن تمدُّن الافرنج وسرّ ارتقائهم وتقدمهم — عليك انت ايها القارئ وعليَّ انا وعلى كل فرد من فريق الكتّاب وجمهور القراء . نحن علة تأخُّر نسائنا وعلينا تبعة قصور المرأة الشرقية عن مجاراة المرأة الغربية

لا يُنكر ان فريقًا منَّا في مصر والشام بلغوا في سلّم الارتقاء الحديث درجةً رفعتهم عن كثيرين من باقي مواطنيهم ولكن ماذا كان من امر ارتقائهم هذا ؟ هل زاد زيادة تنطبق على ناموس التقدم والارتقاء ؟ هل تكاثر عدد المرتقين منا منذ نحو نصف قرن كما كان ينبغي وكما نرى الحال في تاريخ ارتقاء الامم الغربية ؟ ولماذا رقينا في سلَّم الارتقاء فلم يزدد عددنا كما يجب ولا ارتفعت درجتنا كما ينبغي بل كدنا نكون الآن من حيث درجتنا وعددنا كما كنَّا منذ عشرات من السنين ؟ هذه اسئلة يجيب عليها كل منا بما يحضرهُ من الاجوبة والاسباب . اما أنا فأجيب — ولو خالفت كثيرين من الباحثين — بقولي ان علَّة ذلك كوننا قد خالفنا في ارتقائنا السنَّة التي درج عليها غيرنا من الامم المرتقية لاننا نهضنا للتقدم ونحن اشبه بالمسافر بلا زاد والمحارب بلا سلاح اي اننا اعددنا ارجلنا للعروج في سلم الارتقاء وحدنا — رجالاً بلا نساء . لم نهتمَّ بان نصعد معنا مثل عددنا او مثل نصفهِ على الاقلِّ من فتياتنا بل تركناهنَّ

حيث كنا وصعدنا وحدنا حتى اذا بلغنا الدرجة التي نحن فيها الآن نظرنا الى اسفل — الى الدرجات التي اجتزناها — فاذا هي خالية او غير مزدحمة باقدام غيرنا من ابناء جنسنا المقتدين بنا في الصعود والارتقاء ورأينا عند اسفل السلم على الدرجة الاولى والثانية بعض الفتيان والفتيات واقفين او يحاولون الصعود لكنهم لا يبلغون الدرجة الثالثة والرابعة الاَّ رأيناهم خاروا عزماً وضاقوا ذرعاً وهبطوا الى حيث كانوا او هووا الى اسفل وقليلون منهم الذين استطاعوا الوصول الينا. وما دمنا كنَّا تقريباً رجالاً والنساء اللواتي بيننا لا يتجاوزن الاصابع عداً والذين يأخذون اخذنا قليلون فلا غروَ ان لم يزدد عددنا ولا ارتفعت درجتنا بل ليس عجيباً أن نقص نا بدل الزيادة وهبطنا عوضاً عن الارتفاع

وهذا الخطأُ الذي ارتكبناهُ في البداءة لم نعترف بهِ ونعمد الى اصلاحهِ بل اصررنا على ارتكابهِ الى الآن وبيان ذلك اننا عند ما نلتفت الى المرأة الشرقية ونراها احط من رجالها في سلم الارتقاء لا نشعر بالضرر العظيم الذي اصابنا من جرَّاء ذلك ونطالعها على حقيقة الامر بلسان الرقة ونمد لها يدَ التنشيط والترغيب حتى تقوى على الصعود وتبلغ الدرجة التي وقفنا عندها وتضافرنا على الصعود الى ما بعدها . لم نفعل شيئاً من هذا كلهِ بل انصرف فريق منا نحو لومها على ضعفها وانحطاطها واغفلها فريق آخر عاداً اياها غير اهل لان يعنى بشأنها ولا فائدة من تكلف اصلاحها ولذا لم يعد يروق لهُ غير مسامرة النساء الاوربيات اللواتي هنَّ من درجتهِ في التمدن والارتقاء وادَّعى فريق ثالث ان لا حاجة الى ارتقائها ومجاراتها لنا في سبيل التمدن الحديث عاداً تهذيبها رأياً فائلاً او سيفاً في يد أحمق . ولو جمعتَ احد اصحاب هذه الافكار ببعض السيدات لرأيتَ منهُ ما شئت من المضحكات المبكيات فانهُ اذا رأى انهنَّ من المتعلمات الصاعدات بعض درجات في سلم الارتقاء حكم لهنَّ بانهنَّ ارقى شأناً من الاوربيات وحتم بوجوب تعليم النساء وذمَّ الرجال الذين يعارضون في هذا الامر العظيم الاهمية . واذا حضر مجلساً آخر ضمَّ بعض السيدات الاميات صوَّب رأيهنَّ في تجنُّب العلم واضرارهِ وبالغ في ذمّ العاكفات على تحصيلهِ وتخطئة الرجال الذين يحثون النساء على سلوك سبيلهِ . واذا رام خطبة فتاة غضَّ النظر عن مبلغها من العلم والادب وقصرهُ على ما عندها من المال وعليها من الجمال

واغربُ من هذا وذاك انك اذا قرأتَ لاحدى نسائنا او لاحد انصارهنَّ من الرجال دفاعاً عن المرأة الشرقية رأيتهُ كلهُ على اسلوب واحدٍ لا يتعدى ثلاثة امور الاول هضم الرجال لحقوق المرأة والثاني الاستشهاد على فضل النساء واقتدارهنَّ على مجاراة الرجال بالنساء الغربيات والثالث الاستشهاد باللواتي نبغنَ من نسائنا في العصور الخوالي وهذا الاخير يمثّل دفاعنا عن

قصورنا في جميع الامور التي نحن في اشد الاحتياج اليها في هذه الايام . فاذا اردنا ذوداً او دفاعاً عمّا نُرمى بهِ اليوم من القصور عن مجاراة اهل العالم المتمدن في اللغة والنساء وكرم الاغنياء وبسالة الرجال وعدل الحكام وغير ذلك من معدات الحضارة ومناقب الامم المرتقية أخذنا نطيل ونزمر بمشاهير فصحاء العرب وبلغائهم ونوابغ نسائهم وسخاء حاتمهم وشجاعة عنترهم وحلم معنهم وعدل خلفائهم ولم نستطع لسوء الحظ ان نستشهد باثرٍ حيٍّ يحسن ذكرهُ ويطيب نشرهُ

وعندي أنَّ المرأة الشرقية كاللغة العربية في حاجةٍ شديدةٍ الى الترقية والاصلاح . وتبعة قصور كلٍّ منهما علينا نحن الرجال . وقبلما نحاول رفع الحجاب عن وجه المرأة الشرقية علينا ان نرفعهُ عن هذه الحقيقة المهمة ونعترف باننا نحن مقصرون في ترقية فتاة الشرق ونكف عن لومها وتحقيرها من جهة وعن تملقها ومداهنتها من جهة أُخرى ونصرح لها على رؤُوس الاشهاد اننا نفضل علمها وتهذيبها وادبها وكمالها على زينتها وحلاها ومالها وجمالها . فان فعلنا هذا فتحنا باب الارتقاء والاَّ فامم المشرق صائرة الى الفناء اسعد داغر

السعي والارتزاق

قرأت في كتاب نزهة الناظرين للشيخ تقي الدين عبد الملك البابي خطيب الجامع الاموي الشهير بالشيخ عُبَيْد الضرير فصلاً جمع من الآيات الكتابية والاحاديث النبوية واقوال السلف الصالح ما يجب ان يستظهرهُ كل احد ويعمل بهِ وهاكم بعض هذه الآيات والاحاديث والاقوال

اذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله . آية

لان يحتطب احدكم حزمة على ظهرهِ خيرٌ لهُ من ان يسأل احداً فيعطيهُ او يمنعهُ . حديث رواهُ البخاري ومسلم

ما اكل احد طعاماً قط خيراً من عمل يدهِ . حديث رواهُ البخاري

التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . حديث

مَن طلب الدنيا حلالاً تعففاً عن المسئلة وسعياً على عيالهِ وتعطفاً على جارهِ لقي الله ووجههُ كالقمر ليلة البدر . حديث روي مرفوعاً وموقوفاً على الصحابة

طلبُ الحلال جهادٌ وانَّ الله يحبُّ العبدَ المحترف . حديث

من امسى كالاً من عمل يده امسى مغفوراً له . حديث

كان اصحاب رسول الله يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم والقدوة بهم . قاله ابن عباس

لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . حديث معناه تذهب اول النهار خماصاً ضامرة البطون من الجوع وترجع آخره ممتلئة . قال الامام احمد ليس في هذا الحديث دلالة على التعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وانما اراد والله اعلم لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا ان الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا الا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . وفي الشعب للبيهقي ان عمر رضي الله عنهُ لقي ناساً من اهل اليمن فقال ما انتم قالوا متوكلون فقال كذبتم انتم متاكلون انما المتوكل رجل القى حبهُ في التراب وتوكل على رب الارباب . وقال ابو سليمان الداراني من ائمة الصوفية ليس العبادة عندنا ان تصف قدميك وغيرك يتعب لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد . وروي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقهِ حزمة حطب فقال له الى متى هذا يا ابا اسحق اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانهُ بلغني انهُ من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت لهُ الجنة

لو بسط الله الرزق لعبادهِ لبغوا في الارض . آية . قال شقيق بن ابرهيم في تفسيرها لو ان الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا فتفاسدوا ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد

ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً فيأكل منهُ انسان او طير او بهيم الا كانت لهُ صدقة . حديث

خير تجارتكم البز وخير صنائعكم الخرز (الخياطة) . حديث

لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف . حديث

وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله . اية يعني المسافرين للتجارة

قيل لعبد الرحمن بن عوف الصحابي ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددتُ ربحاً قط ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعهُ ولا بعت بنسيئة (ديناً)

وكان عليٌّ رضي الله عنهُ يدور في سوق الكوفة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيرهُ . انتهى

وقرأتُ في الجامع الصغير للسيوطي

اطيب الكسب عمل الرجل بيدهِ وكل بيع مبرور . رواهُ الامام احمد والطبراني والحاكم

ان الله يحب العبد المحترف . رواهُ الطبراني

البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما اصبتَ خيرًا فاقم . رواهُ الامام احمد

خير الكسب كسبُ يد العامل اذا نصح . رواهُ الامام احمد والنصح اتقان العمل

اطلبوا الرزق من خبايا الارض . رواهُ بن عدي والطبراني والبيهقي

اذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب ارزاقكم . رواهُ الطبراني

خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة الغزل . رواهُ ابن عدي

عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء المغزل

ولقد احسن الوزير خير الدين باشا التونسي في ما ذكرهُ في مقدمة كتابهِ اقوم المسالك في احوال الممالك حيث قال

"ان الباعث الاصلي في تاليف الكتاب امران احدهما اغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الامة الاسلامية وتنمية اسباب تمدنها بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان وتمهيد طرق الثروة من الزراعة والتجارة وترويج سائر الصناعات ونفي اسباب البطالة واساس جميع ذلك حسن الامارة المتولد منهُ الامن المتولد منهُ الامل المتولد منهُ اتقان العمل المشاهد من الممالك الاورباوية بالعيان وليس بعدهُ بيان

ثانيهما تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الاعراض عمَّا يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من ان جميع ما عليهِ غير المسلم من السير والتراتيب ينبغي ان يهجر وتآليفهم في ذلك يجب ان تنبذ ولا تذكر حتى انهم يشددون الانكار على من يستحسن شيئًا منها . وهذا على اطلاقهِ خطأٌ محض فان الامر اذا كان صادرًا من غيرنا وكان صوابًا موافقًا للادلَّة لا سيما اذا كنا عليهِ وأُخذ من ايدينا فلا وجه لانكارهِ واهمالهِ بل الواجب الحرص على استرجاعهِ واستعمالهِ . وكل متمسك بديانة وان كان يرى غيرهُ ضالاًّ في ديانتهِ فذلك لا يمنعهُ من الاقتداء بهِ فيما يستحسن في نفسهِ من اعمالهِ المتعلقة بالمصالح الدينوية كما تفعلهُ الامة الافرنجية فانهم ما زالوا يقتدون بغيرهم في كل ما يرونهُ حسنًا من اعمالهِ حتى بلغوا الى ما هو مشاهد . وشأْن الناقد البصير تمييز الحق بمسبار النظر فليس بالرجال يعرف الحق بل بالحق تعرف الرجال والحكمة ضالة المؤمن

لما اشار سلمان الفارسي رضي الله عنهُ على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بان عادة الفرس ان يطوقوا مدنهم بخندق حين يحاصرهم العدو اتقاء من هجومهِ عليهم اخذ رسول الله صلى الله

عليهِ وسلم برأيهِ وحفر خندقاً للمدينة في غزوة الاحزاب عمل فيهِ بنفسهِ ترغيباً للمسلمين . وقال سيدنا علي كرم الله وجههُ لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال

"واذا ساغ للسلف الصالح اخذ مثل المنطق من غير اهل ملتهم وترجمتهُ من لغة اليونان لما رأوهُ من الآلات النافعة حتى قال الغزالي من لا معرفة لهُ بالمنطق لا يوثق بعلمهِ فاي مانع لنا من اخذ بعض المعارف التي نرى انفسنا محتاجين اليها غاية الاحتياج في دفع المكايد وجلب الفوائد . وفي سنن المهتدين للشيخ المواق المالكي ما نصهُ ان ما نهينا عنهُ من اعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا اما ما فعلوهُ على وفق الندب او الايجاب او الاباحة فانا لا نتركهُ لاجل تعاطيهم اياهُ لان الشرع لم ينهَ عن التشبه بمن يفعل ما اذن الله فيهِ . وفي حاشية العلامة بن عابدين الحنفي ما نصهُ صورة المشابهة فيما تعلق بهِ صلاح العباد لا تضر . على انا اذا تأملنا في حالة هؤلاء المنكرين لما يستحسن من اعمال الافرنج نجدهم يتنعون من مجاراتهم في ما ينفع من التنظيمات ونتائجها ولا يمتنعون منها في ما يضرهم" . الى ان قال

"ومما يحسن سوقهُ هنا قول بعض المؤلفين من الاوروباويين ان الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها في ما يستحدثونهُ من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية توشك ان تكون غنيمة لهم ومما يؤيد ما قرأناهُ قولهُ صلى الله عليهِ وسلم لعاصم بن ثابت من حديث من قاتل فليقاتل كما يقاتَل . ويوضح معناهُ ما تضمنتهُ وصية الصديق لخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنهما حين بعثهُ لقتال المرتدين فقال يا خالد عليك بتقوى الله والرفق بمن معك الى ان قال والخوف عند اهل اليمامة فاذا دخلت بلادهم فالحذر الحذر ثم اذا لاقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك بهِ السهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف . قلت ولو ادرك هذا الزمان لابدل ذلك بمدفع الششخان ومكحلة الابرة والسفينة المدرعة ونحوها من المخترعات التي تتوقف عليها المقاومة

وبناءً على ذلك يقال هنا هل يمكننا اليوم الحصول على الاستعداد المشار اليهِ بدون تقدم في المعارف واسباب العمران المشاهد عند غيرنا وهل يتيسر ذلك التقدم بدون اجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا في التاسس على دعامة العدل والحرية اللذين هما اصلان في جميع الممالك" الى ان قال "وفي الحديث العدل عزُّ الدين وبهِ سلاح السلطان وافاد ما معناهُ لا يمكن الاصلاح الا بالعدل وتقدم المعارف"

فعسى ان يرى قرَّاءُ المقتطف الكرام في هذه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاقوال المأثورة ما يعلي في عيونهم منزلة العمل والكسب والاقتداء بالاوربيين في ما يُعدُّ من اسباب تقدمهم علينا وسبقهم لنا والله الهادي الى الصواب

احد المشتركين

عروسة النيل

الفصل الثالث عشر

ولمّا فرغت باولين من وصف المحاكمة وما اقرّ عليهِ القضاة من اعدام حيرام اخذ الغيظ من الطبيب كل مأخذ وقال لا خير لكِ في البقاء في هذا البيت فهو مغارة لصوص وملجأ شهود الزور. وبينما هو يتكلم افاق رستم المجوسي وطلب ان يرى سيدهُ فقيل لهُ انهُ برح منف الى الفسطاط ولا يعود الى الغد فجلس في سريرهِ واخذ يشتم الطبيب بالفارسية ويلعنهُ بصوت جهوري ردَّدت صداهُ انحاء البيت فدنا فيلبس منهُ يريد تغيير ضماد جرحهِ فامسكهُ رستم بذراعيهِ وحاول جذبهُ الى الارض وهو يزأر كالاسد فنادى فيلبس الممرضة وامرها باستدعاء اثنين من العبيد ثم القى يديهِ على كتفي المريض ودفعهُ عنهُ بعنفٍ فطرحهُ على السرير وقبض على اصابع يديهِ وضغطها شديدًا حتى اعادهُ الى مكانهِ وكانت باولين في خلال ذلك تتأمل الاثنين وهي تعجب بقوة الطبيب وثبات جأشهِ على دمامتهِ ونحولهِ وقلبها يخفق لئلاَّ يتغلب عليهِ ذلك الجبَّار فيصرعهُ فلمَّا انحلَّت عزائمهُ وثاب الى السكينة ناداها فيلبس والتمس منها ان تأتيهُ بحبل او نحوهِ ليشدَّ وثاقهُ فنزعت قناعها وحلَّت نطاقها وعقدتهما ثم اعانت الطبيب على ربط يديهِ. وعادت الممرضة بالعبدين فامرهما فيلبس بملازمتهِ ومنعهِ عن الوثوب من سريرهِ ثم فتح صندوق الادوية واشار الى زجاجة فيهِ فتناولتها باولين وسكبت منها جرعة مزجتها بغيرها بحسب ارشادهِ وسكبتها في فم المريض ولم يلبث الدواء ان فعل فعلهُ حتى قام فيلبس فغسل الجرح وابدل الضماد وافاقت ماندا ني على الجلبة وبدا الخوف والاضطراب في وجهها فاخذت تسأل الممرضة عن الكلب العقور فاسرعت اليها باولين تلاطفها وتسكن مخاوفها الى ان عاودتها السكينة والراحة وسارت تجيب اسئلتهم جواب عاقل فاستدلَّ الطبيب من ذلك على ان الجنون فارقها وكان كلامها عذبًا لطيفًا شجيًّا فنبهت باولين الطبيب اليهِ فقال

— ليس في العالم مكان تتجلى فيهِ طبيعة المرء على اتمها كفراش السقام فقد هجمت هذه الفتاة في ساعة جنونها على ابن المقوقس تريد قتلهُ لكنَّ المرض ازاح اللثام عن رقتها ولطفها الاصليين اما رستم فجبار عنيد لكنهُ شهم صافي النية

— وما دليلك على شهامتهِ وصفاء نيتهِ

— لقد دافع عن نفسهِ دفاع الابطال لكنهُ لم يخدشني ولا حاول عضي كما يفعل الجبناء ولو لم تشدي وثاقهُ لتغلب عليَّ

— لا إخال ذلك ممكناً فانت شديد العضل على نحولك

— لا فضل لاحد في قوتهِ البدنية ومن وُلِد من ابوين سليمين وكان نقيّ الدم سليم العظم كامل البنية وروَّض اعضاءهُ كما فعلتُ في شبابي ولم ينفق قواهُ في المعاصي ظلَّ قويّاً حياتهُ بطولها على انَّ صراعنا الآن اضعف يديَّ وارخى مفاصلي وكأس خمرٍ تنعشني وتردّ قوتي اليَّ. فاسرعت باولين الى الغرفة الملاصقة واتت بزجاجة خمرٍ وملأت كأساً وناولتهُ فشربها دفعةً واحدة ثم سكبت كأساً اخرى وناولتهُ واذا بنفورس داخلة عليهما وذلك انها كانت قائمة على خدمة زوجها فسمعت الجلبة فسألت عن الخبر فقيل لها انَّ باولين والطبيب في غرفة الضيوف فاسرعت اليها وسارت توّاً الى المرضة فسألتها بالايجاز عمّا تعرفهُ ثم عطفت الى غرفة الجلوس فرأت الطبيب والكاس في يدهِ وباولين امامهُ فبدا الغيظ في وجهها وامرت باولين بالانصراف الى غرفتها قائلة يكفيكِ اليوم ما اتيتهِ من الافعال المغايرة للحشمة واللياقة فقد تجاوزنا عنها جميعاً فكان الاجدر بكِ ان تلتمسي العزلة في مخدعكِ وتطلبي الصفح من العزة الالهية عن ذنوبك لا ان تقفي هنا تسقي الخمر لهذا الرجل . فامتقعت باولين وساءها ما اتُّهمت بهِ فاجابت

— لا يخفى عليَّ غرضكِ من طردي فلم يكفكِ ان اوغرتِ صدر زوجكِ عليَّ وهو نسيبي وسندي حتى اتهمتني بافظع التهم الآن فطردي من هذا المكان الخاص بالمرضى بمثابة طردي من بيتكِ الذي اصبح جحيماً لي بفضل دسائسكِ ودسائس ابنك . فصاحت نفورس

— انا وابني اهذا جزاءُ المحسنين فقد اتخذناها لقيطة وآويناها شريدة وعاملناها كابنةٍ لنا وما ادَّخرنا وسعاً في العناية بها وانفقنا عليها المبالغ الطائلة وهي الآن . . . . . فاجابت باولين

— اما الآن فاني اعلن كفتاة في سن الرشد حرة التصرف انني سابرح هذا البيت غداً ولو أدى ذلك بي الى التسوُّل ففيهِ لقيت صنوف الاهانة وفيهِ حكم عليَّ وعلى تابعي ظلماً وفيهِ سيقتل بريءٌ . فقالت نفورس

— وفيهِ لقيت خير المعاملة ولم تنالي العقاب الذي تستحقين بعد ان ادخلتِ لصّاً اليهِ وصرحتِ على رؤُوس الاشهاد ان ابن خالكِ ومضيفكِ وحاميكِ قاضٍ ظالم

— نعم ولا ازال اقول ما قلت فقد تجاوز حدَّهُ في الظلم واغرى تلك الفتاة التي دبرتها عروساً لهُ على شهادة الزور وعندي امور كثيرة تدل على جنايتهِ ولكن اعتباري لزوجكِ يمنعني عن افشائها حفظاً لكرامتكم. فقالت نفورس

— هل سمعتم يا قوم فقد اصبح الجاني شاكياً يمنُّ علينا بالرحمة والعفو ولكني سأرغمكِ على الافصاح عمّا تضمرين

— اذا لم تسكني حدة لهجتك فستضطر حفيدتك الى المجاهرة بالحق على الملإ فضحكت نفورس وقالت

— الم يكفك انك اتخذت غرفة المرضى حانة حتى عملت على ايقاع الاذى والعار باهل هذا البيت الصالح فاذهبي الى حيث تشائين فاذا لقيتك بعد ظهر الغد في البيت طردتك منهُ جبرًا فنفسي تعاف رؤيتك وقد اصبحتِ ينبوع مصايب وشقاء لنا فاذهبي لاني اخاف على ما بقي لنا من الجواهر . اما انت يا فيلبس فزوجي في حاجة شديدة اليك وانت اعلم الناس بسخائهِ فالاجدر بك ان تتروَّى وتتبصر في ما تفعلهُ . فقاطعها الطبيب وقال بترفع

— لقد جهلتِ طبعي او تجاهلتهِ فزوجك عندي في المقام الاسمى ومتى دعاني الى خدمتهِ فاني البي الدعوة لكني لن ادخل غير مدعوّ الى بيت يداس فيهِ الحق وتهان الطهارة. تفرسي فيَّ فقد نجّس ابنك مجالس القضاء ودم جيرام البريء على رأسهِ فاحرصي على زمرّداتك ماشئت فباولين لن تمسها وشهامتها وكرم محتدها يمنعانها عن ان تبوح باسم السارق الذي يجب ان يزج في اعماق السجون فاعلمي الآن ان خطابك هذا قطع جميع ما بيننا من الصداقة وقد صرت منذ الساعة لا اريد ان ارى وجهك الاَّ بجانب سرير زوجك حين يدعوني اليهِ

فنزل كلامهُ عليها كالصاعقة لانها كانت من اشدّ الناس احترامًا لهُ تعلم حسن طويتهِ وسعة معارفهِ فضلاً عن لزومهِ لزوجها وكونهِ انقذ حفيدتها من الموت فشقَّ عليها ان تخسر صداقتهُ لها وخدمتهُ الجزيلة الفائدة لأهل بيتها واحسَّت بما كان يمازج كلامهُ من الاحتقار لها والانتصار لباولين فتنازعها الغيظ والقهر وجرت الدموع من عينيها ثم قالت

— أَفأَنت ايضًا يا فيلبس تولي وجهك عني بعد الذي شهدتهُ من اخلاصي لاهل بيتي وعنايتي بهم زوجة صادقة امينة مقيمة على ولاء زوجها في السرّاء والضراء وامًّا حنونًا لا تشغلها الملاهي والملذات عن واجباتها وسيدة تعتني بعبيدها واتباعها فهل تبدلتُ اليوم الى هذا الحدّ حتى تقول فيَّ ما قلتَ وتضنّ عليَّ بصداقتك لاجل هذه الفتاة فاجاب الطبيب

— ان فيكِ داء عياء وهو هذه البغضاء التي دخلت قلبكِ كاصٍّ وجرت في عروقكِ فافسدت دمكِ ودفعتك الى اساءة هذه المسكينة المثقلة بالاحزان فكنتِ في عملك هذا كمن يلقي المثرات في سبيل اعمى ليوقعهُ فاذا كان لكلامي شيء من التأثير فيكِ فاسأَليها الصفح عما اصابت منكِ من الاضطهاد

وكانت باولين ترقب الطبيب اثناء كلامهِ فلما فرغ وقفت لتدنو من زوجة خالها امَّا هذه فقد كان في صدرها شبه عاصف فشعرت انها اساءت الى باولين مدة اقامتها في بيتهم وخامرها

اريب في سارق الزمردة وادركت انها تسرّ زوجها سروراً عظيماً اذا استطاعت اقناعها بالبقاء عندهم لكنها ذكرت ما نالها وابنها من كبرياء باولين ورأت من الذل ان تنزل نفسها منزلة المخطيء امام فتاة وبينا هي كذلك سمعت رنة الطاس الفضي اشارة الى ان زوجها يدعوها اليهِ فتقدمت الى باولين وقالت بصوت خافت

— هذه يدي وقد كان من الواجب عليَّ ان احسن اليكِ لكنك رفضتِ حبي ويشهد الله انني كنت قد اعتمدت على اتخاذكِ ابنة لي ولكن ما فات فقد فات. فقبضت باولين على يدها قبضة كاره ثم قالت

— سنفترق اذاً على صفاء فائذني لي غداً ان اودع خالي وماري

— علامَ تبغين الذهاب فبقاؤكِ معنا احبّ الامور لديّ الآن ولا اظن خالك يسمح بذهابكِ لما تعلمينهُ من حبهِ لكِ

— لقد كان لي بمثابة اب وبودّي لو استطعتُ ملازمتهُ الى النهاية ولكني قد عزمت على الذهاب

— ولو توسَّل خالك اليكِ كما اتوسل

— لن يغيّر ذلك شيئاً من عزمي

— ولكن اين تجدين منزلاً لائقاً بكِ تنزلينهُ . فاجاب الطبيب

— سأنظر في ذلك وارى ايتها السيدة ان انفصالها عنكم خيرٌ لكم جميعاً لكني لا ازال آمل انها تبقى في منف ولا تصرُّ على مغادرتها

ولمَ لا تبقى في بيتنا فتفتح سفراً جديداً من الحياة. فهزّت باولين رأسها ثم سمعوا رنة الطاس الفضي يقرع ثالثةً فاسرعت نفورس الى زوجها ولما غابت تنفست باولين طويلاً وقالت

— حمداً لله الذي ختم على شفتيّ فلم ابح بفعلة ابنها وارى فيّ الآن نشاطاً جديداً بعد ان عزمت على مفارقتها وترك منف . فقال الطبيب

— اتتركين منف ايضاً

— نعم واذهب الى سورية او بلاد اليونان فابتعد عن هذه المرأة وابنها

— وماذا يحلُّ بصديقكِ هذا

— ساذكر فضلك مدى العمر ولا انساهُ . فضحك وقال

— وهب النبطي عثر على ابيكِ فاين يلقاكِ

فبهتت ولم تحر جواباً فاغتنم فيلبس فرصة ذهولها واخذ يسرد لها الادلة على وجوب بقائها في

منف الى ان قال واول واجب عليك السعي في اطلاق سراح رضيعك ثم رسم لها خطة تجري عليها دلّت على حكمته ودرايته وبعد حديث طويل سلّمت بالبقاء الموقت حتى تنجو المرضع ويعود النبطي . فاخبرها انهُ دبَّر لها مسكناً لائقاً في بيت يوناني صديق لهُ وهو رجل كريم الاصل حسن السمعة ثم ودعها يريد الانصراف فقالت

— غداً تبتدئ حياتي الجديدة وستكون بفضلك خيراً من القديمة ان شاء الله

الفصل الرابع عشر

وفي صباح الغد جلست ماري حفيدة المقوقس ومهذبتها تحت جميزة في البستان التماساً للبرودة وشرعت تكتب على لوحها الوصايا العشر نقلاً عن كتاب يوناني ولم يطل بهما المقام حتى تغلَّب الحرّ واريج الازهار على المهذبة فنعست ونامت وانقطعت ماري عن الكتابة وجرت الدموع من عينيها كالمطر فدارت تارة تحدق في الفضاء وتارة تعمد الى لوحها فتكتب عليهِ اسم باولين وتتبعهُ باحب النعوت اليها وبينما هي كذلك طلعت عليها كاترينا وعلى وجهها امارات الغم وهي تسحب رجليها سحباً فلما دنت من ماري حيَّتها فلم ترد التحية بل احنت رأسها فقالت كاترينا

— سمعتُ ان جدَّك في حالة الخطر

— أَصحيح ما تقولين . قالت هذا وعاودت الكتابة

— نعم واوريون لا يفارقهُ وقد بلغني ان باولين ستتركك يتيمة ايضاً

فأومأَت ماري بالايجاب وعاودت البكاء

— اراكِ تصدين عني كأَني ارتكبت وزراً فاعلمي ما تشائين ولكني لا اصبر على هذه الفظاظة. وحينئذٍ افاقت المهذبة فسمعت قولها فعنفت ماري ووبختها قائلة

— أكذا تعاملين السيدات اللواتي اكرمنك

— واين السيدات

— الا تبصرين فما هذه الغلاظة واين الآداب اليونانية التي تلقيتها فكاترينا سيدة لا طفلة مثالك فاطلبي الصفح منها

— أنا . ثم نهضت من مكانها وقالت لسنا من اليونان فاعلمي انني لا اطيقها ولا ارغب في مكالمتها . فصرخت المهذبة

— المجنونة انتِ ثم ارادت القبض عليها فجرت ماري امامها وجرت كاترينا وراءها حتى ادركتها فامسكت يديها وقالت

— لولا انك ابنة صغيرة لضربتكِ فقالت ماري الاولى بكِ ان تدفني نفسك في التراب نعم ان عمري عشر سنوات لكنني افضل السجن مع حيرام على فعل ما فعلتِ امس . فاصفرَّت كاترينا وقالت

— او تستطيع طفلة مثلك ان تدرك هذه الامور

— تعيرينني بالصغر كأنك نخلة باسقة فبعد سنتين اصير اطول منك

فاستشاطت كاترينا غيظاً ورفعت يدها فلطمتها لطمة عنيفة . اما ماري فوقفت جامدة كالصنم ثم دارت ومشت على مهل نحو الجميزة وكاترينا ترقبها وقد اغرورقت عيناها بالدموع وعلمت ان ماري مصيبة في ما قالتهُ وادركت انها اعتدت عليها فتبعتها من بعيد كما تتبع الجارية سيدتها حتى بلغتا الجميزة فدعتها باسمها فلم تجب فدنت منها ولمست كتفها وقالت باللطف سامحيني فقد اضعتُ رشدي وانت تعلمين ان قصري من الله فاجابت ماري

— لقد غضبت فلطمتني ولو فعلتِ ذلك امس مثلاً لضحكت او لضربتك كما ضربتني اما اليوم فقد شعرتُ كأن عبداً اسود وضع يدهُ على وجهي فلستِ اليوم ما كنتِ قبلاً فقد تغيَّرت مشيتكِ وتبدَّلت هيئة وجهكِ ولم يعد كلامكِ عذباً وفارقكِ الظرف واللطف والسبب انكِ اخطأْت امس خطية كبيرة

— فقالت كاترينا لا تجوري في حكمكِ عليَّ يا حبيبتي فقد يحدث انني لم اصرّح امام القضاة بجميع ما اعرفهُ ولكن اوريون خطيبي هو الذي . . . . .

— اقتادكِ الى الكذب فانظري اليهِ اليوم فقد كان طول عمرهِ فرحاً مسروراً وهو الآن مثالُ غمّاً وكآبة . وحينئذٍ قاطعتها مهذبتها وامرتها ان تعود الى دروسها فامتثلت وبينما هي كذلك دنت منها كاترينا وهمست في اذنها قائلة انَّ اوريون لا يكذب ولست اتذكر تماماً ما اذا كان العقد خلواً من الحجر الكريم او لا . فالتفتت اليها ماري وقالت بالقبطية

— الا تتذكرين الم تري العقد كما رأيتهُ او لم يعلق مكان الزمردة منهُ في ثوبك فقد كذبتِ حين ادَّيتِ شهادتكِ في المجلس تعالي واقرأي الوصايا العشر التي انزلها الله على موسى اقرأي لا تشهد على قريبك شهادة زور وقد قال لي القس ان شهادة الزور خطية مميتة لا تغفر الاَّ بالتوبة ومع انكِ تعلمين ذلك كلهُ فقد تجرأْتِ على شهادة الزور فجررت الويل والنقمة على الابرياء . فصبغ الحياء وجه كاترينا وقالت

— اللوم كل اللوم على اوريون فهو الذي بدَّل اقتناعي ولما رأَيت باولينا اعتراني غيظ شديد حتى اوشكت ان اقتلها

— أنقتلين باولين بعد ان كنتِ تدّعين حبها

— نعم فقد كنت احبها ولكني رأيتها في المجالس مثال الكبرياء والعظمة على انك لا تفهمين هذه الامور

— وعلامَ تتهميني بالبلادة الى هذا الحدّ فانتِ تحبين اوربون ولما خشيت ان تغلبك باولين بجمالها اخذتك الغيرة ولا يخفى عليكِ انني واقفة على اخبار اوربون واعلم ان جميع النساء مفتونات بهِ ولهذا قطعوا اذني ماندالي وقد حدثتني الجواري بحديثهِ في القسطنطينية ولو شاءت باولين ان تستميلهُ اليها لكفّ عن النظر اليك فشهادتك الزور ستؤول الى قتل حيرام والى انفصال باولين عنّا فلا اعود اراها ابداً ابداً ابداً ابداً وهذا ما يكاد يسحق قلبي. قالت ذلك واجهشت بالبكاء والعويل فانحنت كاترينا وطوقتها بذراعيها وقالت وهي تبكي

— سامحيني يا حبيبتي ماري فقد قاسيت عذاباً اليماً من جرّاء عملي على ان شيئاً غريباً غشي بصري امس فاقتادني اوربون الى الاثم وانا اجهل غرضهُ لكنني احبهُ وانا خطيبتهُ اما الآن فساحاول ان اسلوهُ واترهب في احد الاديرة او اطرح نفسي في النيل لكنني لن اتزوجهُ بعد الذي جرى ويشهد الله انني مع ذلك احبهُ حباً شديداً

وبينما هما كذلك جاءت باولين ووراءها نفر من الاتباع يحملون امتعتها فرأت ذلك المنظر المؤثر وسمعت كلام كاترينا فادركت ما جرى بينهما ولمّا لم تشأ ان تسترق السمع نادت ماري باسمها فاسرعت هذه اليها وارتمت عليها وهي تبكي فقبّلت باولين وجهها وشعرها ثم بكت وقالت الوداع يا حبيبتي فقد قضي عليّ ان اغادر هذا البيت فلا يبرح اسمي وحبي من بالك واعلمي انني اشد الناس صداقة لك. فتوسلت ماري اليها ان لا تفارقها وان لا تتخلى عنها وبكت بكاء مرّاً. فعجبت باولين لاخلاصها وشدة حبها ثم حيّت المهذبة ولمّا ارادت ان تودع كاترينا انطرحت هذه عند قدميها واخذت تبكي وتقبل يديها وتطلب اليها ان تتجاوز عن اساءتها ثم اعترفت بذنبها فانهضتها باولين وقبلتها قائلة ليس الذنب ذنبكِ وقد غفرت لكِ. ولما بلغت السفينة اذا باوربون وفي يدهِ باقة من الازهار وكان قد حاول لقاءها مرتين ذلك النهار فلم يفلح فتقدم اليها وقال لا خوف على حيرام فلن يمسّ بسوء ثم طلب اليها ان تأذن لهُ بكلمتين فابت ان تجيبهُ وسارت تريد السفينة فمدّ ذراعهُ ليسندها فتناولت يد الطبيب ونزلت فتبعها الى السفينة وقال لها

— ان تعيساً يطلب منكِ الرحمة فقد اعتراني الجنون امس وانا احبكِ

— لا تزد عليّ فكلامك يسوءني

— ولكنّ ذهابك يحزن ابي وهو كما تعلمين مريض مثقل اليس لكِ كلام انقلهُ اليهِ

— ساجد رسولاً غيرك

— وهب انهُ سألنا عن سبب انفصالك عنَّا

— امك وفيابس يخبرانهِ

— ولكنهُ وصيُّك واموالك في يديهِ

— لا خوف عليها من الضياع

— ولكن قد يحلُّ بهِ المكروه لا سمح الله

— حينئذٍ اطلب اعادة اموالي على يد وصيّ آخر

فاشتدّ باوريون الحنق ورمى بالازهار الى النهر ثم وثب الى الشاطئ فدنت منهُ ماري وقالت لا تحزن يا عمّاه فانا اعلم ما بك

— وما ذاك

— اخطأتَ انت وكاترينا خطأً كبيرًا بشهادتكما امس

— واين كاترينا الآن

— سمعتها تقول انها تحبك كثيرًا ولكنها لا تستطيع مقابلتك اليوم فقد اخذ الحزن منها كل ماخذ

— لكنها في غنى عن تكليف نفسها هذه المشقة وذلك الحزن فالذنب ذنبي وعاقبتهُ عليَّ فعودي يا حبيبتي الى دروسك ثم قبَّلها ومشى في البستان حتى بلغ شجرة كبيرة فاسند ظهرهُ اليها واخذ يعيد في مخيلتهِ حوادث ذينك اليومين فتنازعتهُ الافكار والاحزان واشتدّ بهِ القلق فاسف على خسارة الفتاة التي احبها وندم على ما فرط منهُ مما ادَّى الى انفصالها عنهم الى ان قال في نفسهِ لقد اخطاتُ في تسليمي قيادي لامي وعقد خطبتي على كاترينا وقد عزمت الآن على وضع حدٍّ لهذا الاثم وسانطرح على قدمي باولين واقصُّ عليها قصتي فاعترف بذنبي ومتى اتضح لها صدق طويتي واخلاصي وعلمت بانني فعلتُ ما فعلتُ غير متعمد واني اتهمتها بمشاركة السارق في ساعة ضياع رشدي رضيت عني وعاودها حبي وحينئذٍ تعود اليَّ تلك الصفات التي ورثتها عن اسلافي على اتمها وتصبح حياتي ذات قيمة في عينيَّ ولا تعود حملًا وان مجرَّد تفكري بها يسمو بآمالي ومطالبي فماذا يكون شأني اذا احبتني وقبلتني زوجًا لها

وبعد ان قضى ساعة كذلك سار الى البيت فلقي القهرمان وعلم منهُ بانَّ اباهُ نائم وانَّ علامات الانحلال بادية في وجههِ كما سبق الطبيب فانبأَهم فامرهُ بارسال مركبتهِ واسرع جيادهِ لتاتي بفيابس

الفصل الخامس عشر

وامّا وصلت باولين والطبيب الى مسكنها الجديد واستقرَّ بهما المقام عرَّفها باهل البيت ثم سار بها الى الغرف الخاصة بها لتراها فاعجبتها نظافة المكان وحسن ترتيبهِ ولم يكن الاَّ كلمح البصر حتى جاء رسولان يطلبانهِ وكان احدهما فتًى عربيًا من الفسطاط اتاهُ بكتاب من هاشم ينبئهُ فيهِ بانهُ مسافر الى جدَّة للاعتناء بابنٍ مريض ويوصيهِ خيرًا بالشيخ فانقاذهِ ومع الكتاب صرَّة مملوءَة دنانير اما الرسول الآخر فكان من بيت الوالي يدعوهُ الى الاسراع الى المقوقس فلبى الدعوة وركب المركبة فسارت بهِ الخيل تنهب الارض حتى اذا دخل على العليل ورأى وجههُ علم أنَّ اجلهُ قد دنا وكانت السكتة قد عقدت لسانهُ فانهضهُ وامر الممرّضة بان تضع خرقًا مبلولة بالماء على رأسهِ وعنقهِ ثم فصدهُ وبعد هنيهة افاق وفتح عينيهِ وقال بصوت خافت ناولني حبتين يا فيلبس ففعل وبعد ان بلعهما اغمض عينيهِ ثم عاد ففتحهما وقال يا اوريون لقد جاءت الساعة فادعُ المطران ليزوّدني بالاسرار المقدسة فخرج اوريون الى القاعة وكان المطران ورجال الكهنوت بالانتظار فيها فدخلوا وصلُّوا عليهِ ثم ناولوهُ الخبز فلم يستطع بلعهُ فتناولهُ اوريون بدلاً منهُ فقال المقوقس

— لكن الله معك يا ابني ثم طلب الاسرار ثانية فناولوهُ اياها فجرع الخمر وابتلع شيئًا من الخبز فاخذ المطران يخاطبهُ بكلام التعزية ويستتيبهُ ويسألهُ المغفرة لاعدائهِ فاجاب غفرت لهم جميعًا حتى الملكيين قاتلي ابنيَّ وبطريرك كنيستي

وعاد فيلبس الى عنايتهِ بهِ وبعد ساعةٍ رفع رأسهُ وقال

— انزع خاتمي يا اوريون والبسهُ وادعُ ماري وباولين فاودعهما فاجابت زوجتهُ

—لقد ارسلنا من يأتي بماري اما باولين فقد تركت البيت بعد ما جرى امس وقد كلفتني ان ابلغك سلامها وشكرها لك . فسكت ثم قال كيف اذنتم لها في الانصراف فهي اشرف النساء واجملهنَّ لقد اخطأتم في ما فعلتم . فطلب اوريون الى الطبيب والممرضة ان يتنحيا عنهم فلما خرجا قال

— صدقت يا ابي فباولين اجمل النساء واشرفهنَّ فهل توافق على زواجي بها

— نعم يا ابني فبركتي عليكما ولو سلّمتْ قيادها الى خالها لانقضى الامر على ما شاء . . . . انها دافعت عن تابعها دفاع الابطال . . . لمَ لم تأتوا بها

— ارادت ان تودعك فالفيناك نائمًا ولم نشأ ان نزعجك

ان قضية الزمردة عجلت في ذهابها ولكنها غير ملومة فحيرام فعل ما فعل بدون علمها على أن طيب عنصرها ... وتعلقها بوالدها .... وانتِ يا نفوزس يا رفيقة العمر .... شكرًا لكِ على عنايتك بي وحبك لي .... لا تغيظي باولين بعد .... باركي اقترانهما . فبكت زوجتهُ وقالت

— سأفعل ما تريد ولكن ما نفعل بمعتقدنا وايماننا وكاترينا المسكينة

— كاترينا ... ابني يتزوج حما ... حما ... الماء . ثم جمع قواهُ وقال بصوت ضعيف انا جريج بن المقوقس العظيم واسلافي واولادي كأشجار النخل والجميز فهل نطعّم هذه الاشجار بورق الحنطة اذًا اي انحطاط يحلّ بنسلنا لكن باولين ارزة لبنان ....

— ولكن ما العمل وهي ملكيّة

— نعم نعم حافظوا على معتقدنا ولكن باولين ارزة لبنان .... ثم اعياهُ النطق فالقى رأسهُ على الوسادة ودعوا الطبيب اليهِ فاسرع وسقاهُ شرابًا منعشًا فافاق وقال

— لقد عبقت رائحة المسك في البيت رائحة ملاك الموت . وبعد هنيهة قال كمن يخاطب نفسهُ نعم ان الروم ظلموا شعبي فاضطهدوهم وداسوهم امَّا العرب فاهل عدل واحسان وفضلاً عن ذلك فلم يكن ردُّهم عن البلاد في طاقتي آه لقد بردت رجلاي وانا احبُّ البرد وانت يا اوريون لحافظ على مذهبك ودينك ولا يغرنَّك حب العظمة والمجد على اطراحهِ واعتناق غيرهِ امَّا باولين .... سِرْ في الطريق الذي تختارهُ لنفسك وقد تركتُ لك ثروة طائلة وكنت لك ابًا حنونًا ولأُمك زوجًا امينًا وفوق ذلك كلهِ فقد كنتُ قاضيًا عادلاً ويشهد الله عليَّ انني لم احد عن الحق بحسب ما بلغتهُ مداركي القاصرة فكان الغني والفقير في عينيَّ سواءٌ . ثم انقطع عن الكلام واستلقى على فراشهِ وحينئذٍ ادخلوا ماري حفيدتهُ فركعت امامهُ وقبلت يديهِ وهي تبكي ثم صاحت

— لا تفارقنا يا جدَّاهُ وابقَ معنا

— اوَّاهُ يا حبيبتي لقد كنت اودُّ ذلك من صميم قلبي لاقوم على العناية بكِ ولكن نفذ المقدور وانا الآن على عتبة القبر

— لا لا فانا اصلّي ويستجيب الله صلاتي فيشفيك

— هذا امر الله فهل جئتِ يباولين فقلبي يحدثني انها انفصلت عن بيتنا مغتاظة . فقالت

— انَّ هنالك امرًا يجب ان تطَّلع عليهِ يا جدَّاهُ فباولين لم تكذب لكنها اعترفت بالحق وليس حيرام السارق فان العقد الذي رأيتهُ ورأتهُ كاترينا كان خلوًا من ذلك الحجر الكريم

ولكن كاترينا شهدت شهادة زور وحكم القضاة على حيرام اعتمادًا على شهادتها ولا ادري ما الذي فعلهُ هذا المسكين حتى اغضب اوريون فاصرَّ على معاقبتهِ والذي اعلمهُ ان باولين وحيرام بريئان ممَّا اتهما بهِ

وكان اوريون اثناء كلامها راكعًا بجانب السرير وعباراتها تقع في نفسهِ كطعنات الخناجر فحدثتهُ نفسهُ غير مرَّة ان يدفعها من مكانها ويسدَّ فاها لكن الدهشة والغيظ قيَّدا يديهِ فلما فرغت التفت اليهِ ابوهُ وقال

— فقد حكمت محكمتنا حكمًا جائرًا اذًا فمن سرق الزمردة الملك . . . . القطيفة . . . . الزمرُّدة . وكأنَّ صاعقة انقضَّت على اوريون في تلك الساعة فوقف وقال

— نعم يا ابتاهُ انا فعلتُ وقد جرَّ عليَّ عملي هذا سلسلة من المصايب والاحزان لا اعلم اين تنتهي حلقاتها على انهُ سيكون آخر ذنوبي. وكان يتكلم والبكاء يقطع الفاظهُ فجلس المقوقس وقد عاد اليهِ بعض قوتهِ وصاح

— انت السارق لقد نجست محكمتنا وجلبت العار على سلالتنا فاغرب عني فانت لص وقاض ظالم وشاهد زور . أنسل منا يرتكب وزرًا كهذا . فلو كانت يداي شديدتين آ . . . ثمَّ اشتدَّ بهِ النزع فانطرح على السرير وهو يردّد كلمة " لئيم " وسمعت حشرجة في صدرهِ ثم فاضت روحهُ . فارتعد اوريون من هول ما جرى وحاول ان يوقظهُ ليعترف لهُ بتوبتهِ وينال غفرانهُ ثمَّ دخل الطبيب فوضع يدهُ على قلب المقوقس والتفت الى من حولهُ وقال هوذا رجل بارّ قد فارق ارض الاحياء

فشهق اوريون وانطرح على الارض وجثت امهُ بجانبهِ لتعزيهُ وتنوح معهُ امَّا هو فلم يكن ليتعزَّى

الفصل السادس عشر

كان الطبيب قد سبق فانذر باولين بدنوّ اجل المقوقس فلما جاء الرسول يدعوهُ الى القصر قلقت وخشيت ان تتمّ نبوتهُ لانها كانت تحبُّ خالها حبًّا شديدًا وترجو لهُ طول العمر والسعادة. ورحَّب بها اهل المنزل وقابلوها بالرعاية والاكرام وكانت هيئة البيت تدل على يسار صاحبهِ والبستان على شدة عنايتهِ بالازهار والاشجار وبينما هي تمشي فيهِ وقعت عينها على البستاني فاذا هو احدب ومعهُ نفر من الاولاد يساعدونهُ وكلهم مشوَّه الخلقة ما بين احدب واعرج وكسيح

وكان البيت على مقربة من دير القديسة سيسيليا وهو الدير الوحيد لراهبات الروم الملكيين الذي ابقى عليهِ المصريون بعد غزوة العرب وذلك لان راهباتهِ اشتهرن بحسن عنايتهنَّ بذوي

الاسقام ومهارتهنَّ في التمريض هذا فضلاً عن الضريبة العظيمة التي كان الدير يؤَديها الى مجلس منف ومع شدة كره المقوقس للكيين لم يرَ بدًّا من الاحتفاظ بهِ للاسباب التي اشرنا اليها ولئلاَّ تنتقل املاكهُ وامواله الى العرب اذا أُقفل. وظلَّت الحال على هذا المنوال الى ان تربَّع بنيامين في دست البطريركية الاسكندرية فاراد الايقاع بالراهبات والاستيلاء على الدير وامواله فعارضهُ المقوقس فكان ذلك من اسباب النفور الذي تعاظم بينهما

في ذلك المساء سمعت باولين الراهبات ينشدن ترانيم الجنازة الشجية فظنت ان احداهنَّ انتقلت من دار الفناء الى دار البقاء لكنها ما عتمت ان سمعت النوح على الطريق والجسر (الكبري) ورأَت النساء يسرنَ زرافات نائحات معولات فخطر لها اذ ذاك ان مثل هذه المناحة العامَّة لا تكون الاَّ للمقوقس فارتعدت لهذا الخاطر واغرورقت عيناها بالدموع حزنًا على خالها وادركت ما كان لهُ من المنزلة الرفيعة في قلوب قومهِ حين ابصرت النساء يثرن التراب على وجوههنَّ ورؤُوسهنَّ والرجال يقرعون صدورهم وكأَن الدهشة عرت المدينة فلا ترى سوى وجوه كاسفة وعيون دامعة ولا تسمع سوى عبارات الاسف والرثاء وبعد ساعةٍ عاد الطبيب فاطلعها على الخبر اليقين الى ان قال وقد حدث حادث تبينتُ منهُ ان اوريون هذا ليس كما نظنهُ ففيهِ صفات طيبة

— اذًا لقد خدعك ايضًا

— ذلك يصعب عليهِ ولكن لا يخفى عليك ان غرفة الموت من اقدس الاماكن ففيها تحلُّ الرهبة وتسود الخشية ومن يرَ ملاك الموت ماثلاً امامهُ يخلع عن وجههِ النقاب الذي يحجبهُ عادة فيبدو تحتهُ ما انطوى عليهِ من طيب الاخلاق وخبثها

— وهذا ما بدَّل رأْيك في اوريون فقد رأَيت فيهِ تلك الساعة ما غيَّر ظنك في اللص وشاهد الزور والقاضي الجائر

— لا تركبي مطية المبالغة كما تفعل النساء فلم اقل ان ابن المقوقس ملاك لكنهُ أعرب اليوم عن قلب طيب وشعائر رقيقة وانا اعتبر هذين ولا ريب عندي في انهُ كان محبًّا لابيهِ هذا مع اعترافي بانهُ قد ياتي اكبر المنكرات نقد الفيتهُ بعد موت ابيهِ في اضطراب وجزع لا يحدثان في المرء ولا يبدوان فيهِ الاَّ اذا فقد احبَّ الناس اليهِ . فقالت باولين

— هذا كلهُ تصنُّع . فقال

— وما غرضهُ من التصنع حيث لا يشاهدهُ احد كلاَّ بل هو على كثرة ذنوبهِ مملوءٌ بالحب لابويهِ وهو ما يدفعني الى التصديق بانهُ لا يخلو من الشهامة وطيب الاخلاق. وبينما هما يتحدثان

دخل عليهما احد خدم البيت فاخبر باولين ان بالباب امرأة تطلب مقابلتها واذا بالمرضع داخلة فاسرعت الى باولين وضمتها الى صدرها وقبلتها وهي تبكي من الفرح ثم حدثتها بحديثها فقالت انهم احسنوا معاملتها في سجنها وان اوريون اخرجها منهُ اليوم معززة مكرمة قرأت في وجهه سيماء الحزن وآثار البكاء والكآبة واستملت الكلام الى حيرام فقالت ان اوريون اطلقهُ ايضاً من سجنهِ واجزل لهُ العطية واعادهُ وابنهُ الى دمشق بعد ان اركبهما جوادين كريمين ثم اخبرت سيدتها ان نيلس الخازن اتى معها وانهُ يريد محادثتها فامرتها باولين بدعوتهِ ولما خلا المكان قال فيلبس

— لي كلمة اقولها لكِ فهل تسمعينها

— هات

— ان الحياة ليست مأدبة ادبها القدر لنا لنتلذذ بها لكنها واجب ينبغي ان نقوم بهِ بكل جهدنا وعلى كل واحد ان يمتحن قواهُ ومواهبهُ ويستعملها لنفع الناس فاذا فعل احسَّ بفرح ونشاط يكسبانهِ راحة الضمير فلا يعود يبالي بالموت فاذا ادرك اوريون ذلك ونشط الى القيام بالواجبات التي أُلقيت اليوم على عاتقهِ حق لهُ علينا التوقير والاكرام فقد انكسرت سفينتهُ اليوم كما قال التاجر العربي فانزّ ما يكون من امرهِ . فقالت باولين

— ليت لهُ مرشداً مثلك يعينهُ امَّا انا فقد فصلتهُ اعالهُ السيئة عني فلا سبيل الى مصالحتنا ولا اراني ارثي لهُ بعد الذي رأيتهُ منهُ فشكراً لك على ما بذلتهُ من المساعي في تدبير هذا المنزل حيث القى الراحة والسكينة

وعند ما قالت ذلك تنفس الصعداء وحاول ان يبوح لها بحبهِ فصرفتهُ عن هذا الموضوع قائلة اني اتخذتك صديقاً كريماً والصداقة اثمن من كل شيء واسابقى على صداقتك ما بقيت لي الحياة

وعند ذلك عادت المرضع ومعها نيلس الخازن فوضع بين يديها مبلغاً كبيراً من المال وقال امرني سيدي اوريون ان آتيك بهذا المال عملاً بوصية ابيهِ فتقضي بهِ حاجاتكِ الآن امَّا ما بقي من ثروتكِ وهو الجزء الاوفر فسيعاد اليكِ بالحساب المدقق بعد دفن المقوقس. فذهلت باولين لما سمعت ذلك واستاء الطبيب فقد كان يخالها فقيرة معدمة فسرهُ ان يقوم على العناية بها والاهتمام بامرها فتبين لهُ انها تفوقهُ ثروة وغنى كما تفضلهُ حسباً ونسباً . ولما فرغ نيلس من مهمتهِ حياها وانصرف وتبعهُ فيلبس وبقيت باولين في البيت ومعها مرضعها وقد كادت تطير فرحاً لعودتها الى خدمة سيدتها

ستأتي البقية

الصحيح من الفراسة

امارات الحب

كما ان اللذة والالم القطبان اللذان يدور عليهما شعور الانسان كذلك الحب والبغض هما القطبان اللذان تدور عليهما اهواؤه . وحالما تثور في النفس عاطفة الحب ترى المرء قد مال الى المحبوب ويبتدئ ظهور هذا الميل فيهِ بالالتفات وينتهي بالاقتراب والاتصال واظهار البهجة والسرور . وقد لا ينطق بكلمة ولا يبدي الاَّ اشارات طفيفة لكنها تكون ابلغ من كل كلام كما قيل

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا فنحن سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ

والحب قوَّة في النفس تدفعها الى الخارج وتحملها على الامتزاج بنفس من تحبهُ والتمثل بهِ حتى لقد قال كثيرون انهُ اذا طالت الالفة بين الزوج والزوجة تشابها في شكليهما واخلاقهما . وقيل انهُ كان من عادة فردرك الكبير ملك بروسيا ان يضع امامهُ تمثال يوليوس قيصر وهو يقول ان مجرَّد النظر اليهِ يحرّك فيَّ الميل للتمثُّل بهِ . وهذا التمثُّل فطريٌّ في النفس يظهر فيها من غير تصنُّع ألاَ ترى ان الام تتظاهر بالبكاء امام ولدها فلا يسعهُ الاَّ ان يبكي تمثُّلاً بها من غير ان يرى للبكاء سبباً آخر

وتظهر امارات المحبة في حركات العينين والشفتين واليدين والراس والجسم كلهِ . ومن علاماتها المصافحة والمعانقة والتقبيل والتبسُّم والضحك والبكاء والتمايل والركوع والغناء والترنم وما اشبه

وبعض هذه الامارات غير خاص بالانسان بل يبدو على الحيوان لاظهار محبتهِ فانهُ يدنو من محبوبهِ ويتحسَّسهُ ويشمهُ ويعانقهُ ويلتصق بهِ ويظهر البهجة والمسرَّة

قلنا ان اول امارات المحبة الميل الى المحبوب ثم لمسهُ باليد او بالفم . اما اللمس باليد في المصافحة على انواعها فيكاد يكون شائعاً في كل المسكونة حتى انَّ الذين لا يتصافحون يفهمون معنى المصافحة . واما اللمس بالفم اي التقبيل فغير شائع شيوعاً تاماً خلافاً لما يظنُّ لاوَّل وهلة بل يقال انهُ لم يكن معروفاً عند الفوجيين سكان الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية والموريس سكان زيلندا الجديدة واهالي تهيتي والبابوان والاستراليين والصومال والاسكيمو واليابانيين القدماء . والامم التي تستعملهُ لا تجري فيهِ على وتيرة واحدة فترى الرجال عندنا يحيون بعضهم بعضاً بالمصافحة والمعانقة وبالتقبيل احياناً والنساء يحيي بعضهنَّ بعضاً بالتقبيل دائماً ولكن الرجال

والنساء يتطارحون التحية عن بعد او يتصافحون مصافحة. وكانت العادة في اوربا ان يقبّل الرجال ايدي النساء وفي بلاد الشام ان يقبلوا رؤوسهنَّ وهنَّ يقبلنَ ايدي الرجال . وقد رأينا لثم الفم شائعاً عند الفرنسويين بين الرجال والنساء ولو لم يكونوا اقارب

ومن الغريب ان التحية تكون بالشم عند بعض الناس او بملامسة الانوف قال الاستاذ مونتغزا ان رجلاً من اهالي جاوى جادلهُ في امر التقبيل حاسباً ان مس الانف بالانف ادعى الى اظهار المحبة من مس الشفتين بالشفتين لان الانف يشم نفَس المحبوب فتتزج النفسان معاً. ومن المعروف عندنا ان الامهات لا يكتفين بتقبيل اولادهنَّ بل يشممنهم ويستنشقن رائحتهم عن بعد ويبدين من السرور على اثر ذلك ما يبدية محب الخمرة من شمهِ رائحتها

والمصافحة من ابسط امارات المحبة او الصداقة وهي شائعة في كل البلدان والذين لا يستعملونها يفهمون معناها كالذين يستعملونها . ويتلوها المعانقة وفيها من التودُّد اكثر مما في المصافحة لاتصال المتعانقين معاً في جانب كبير من جسميهما وقد يتوالى العناق على الجانبين فيضع الواحد رأسهُ على الجانب الايمن من عنق صاحبهِ ثم على الجانب الايسر فيصير الاتصال بينهما على اتمهِ. ويتلو المعانقة التقبيل وكأ نهُ اشدُّ منها دلالة على المحبة لان الشفتين جامعتان بين جلد ظاهر الجسم وجلد باطنهِ فضلاً عمَّا فيهما من شدَّة الشعور كانَّ الشعور بهما شامل الشعور الداخلي والخارجي معاً. واللثم اي تقبيل الفم للفم اكثر شيوعاً عند الاوربيين ومن جرى مجراهم من تقبيل الفم لليدين او للوجنتين . والفرق كبير بين اللاثم والملثوم في اظهار المحبة فالاول هو المظهر لها المعرب عنها واما الثاني فقد يشاركهُ في حبهِ وقد لا يشاركهُ بل يكون كالصنم الجميل الذي تلثمهُ وهو لا يشعر بشيء

وقد يكون التقبيل علامة الاحترام والاكرام لا غير كما في تقبيل ايادي الشيوخ والعداب العظماء واستلام الآثار الدينية اي تقبيلها

واذا كان الانسان محبًّا فلا بدَّ من ان يظهر ذلك في وجههِ فتبدو عليهِ امارات السرور والرضى وهذا كل ما يستدلُّ بهِ من ملامح الوجه على خُلق المحبة مع ما ذكر من الاشارات البادية. والناس سواء في ذلك كبار الفم وصغارهُ طوال الانف وقصارهُ واسعو الجبين وضيقوهُ دقاق الحواجب وعراضها وما القول بان فلانة تحبُّ زوجها لانها واسعة الفم او دقيقة الحاجبين وفلانة لا تحبهُ لانها صغيرة الفم او عريضة الحاجبين الاَّ من قبيل الخرافات القديمة المبنية على الحدس والتخمين او على الاستقراء الناقص . وان كان في ذلك شيء صحيح فهو قليل جدًّا ولا تزال اسبابهُ غامضة والاستدلال بهِ والقياس عليهِ لا يخلوان من الخطإِ ولا يحسن اغراء

الناس باتخاذهِ دليلاً في معاملاتهم لئلاَّ يقود الى الخطاء والبغضاء

امارات البغض

البغض نقيض الحب ونسبتهُ اليهِ نسبة اللذة الى الالم وهو امرٌ لا بدَّ منهُ اذا توفَّرت اسبابهُ لان الانسان لا بد من ان يبغض ما يضرهُ ويؤلمهُ

وقد ذكر المتكلمون في الفراسة من الاقدمين اوصافاً كثيرة زعموا انهُ يستدلُّ بها على مَن طبعهُ البغض كما ذكروا اوصافاً أُخرى يُستَدَلُّ بها على مَن طبعهُ الحبُّ فاغفلنا ذكرها كلها لانها غير صحيحة ولا يخلو ذكرها من ضرر ولو ابنّا خطأَها لان الاحكام الفاسدة اعلق بالاذهان من الاحكام الصحيحة . وان كان فيها شيء صحيح فهو غير محدود حتى يسهل الاستدلال عليهِ ودلالتهُ غير مضطردة حتى يصحّ الاخذ بها

واظهر امارات البغض النفور من الشيء المبغوض او الذي يسبب الالم . ويظهر هذا النفور على اساليب شتَّى كدفع الراس الى الوراء ومد اليدين الى الامام بغتةً كمن يدفع شيئاً عنهُ بهما او يتقي ضرراً واغماض العينين ورفع الشفتين الى الاعلى ونغ المنخرين وتقطيب الحاجبين وحملقة العينين والكشر عن الانياب وصرير الاسنان وفتح الفم وقبض الكفين كمن يحاول ان يلكم بهما وتحريك اليدين حركات التهديد ورفس الارض بالقدمين والشخير والنخير والاتجاف والبصق وارتعاد الشفتين وعض الكف واكل الاظافر وضحك التهكُّم واصفرار الوجه او احمرارهُ وانتفاش الشعر وانتفاخ المنخرين

ويختلف الناس في ما يبدو عليهم من امارات البغض باختلاف ما يرونهُ من كراهة الشيء المكروه او المبغوض وباختلاف شعورهم بهِ ومقدرتهم على ضبط انفسهم فيظهرون اولاً الكراهة او الاشمئزاز ثم يتدرجون الى اظهار النفور . والبغض مقصور على العقلاء والكراهة شاملة لهم ولغيرهم فيقال ان الانسان يكره الرائحة الخبيثة ولكن لا يقال انهُ يبغضها بل يقال انهُ يبغض عدوهُ والساعي في مضرتهِ

وقد قضت رسوم الحضارة على الانسان ان يكظم غيظهُ ويخفي دلائل بغضتهِ فتراهُ يقف متألماً لما يرى ما يبغض ويضطر ان يلجم نفسهُ عن اظهار بغضهِ على صورة جلية فيكتفي باظهار الكراهة والاشمئزاز ولو خلسةً . تكون في مجلس فيدخلهُ رجل يكرههُ جمهور كبير من الحضور فترى واحداً منهم يحاول الخروج لكي لا تقع عينهُ عليهِ وآخر يقلب شفتيهِ وآخر ينغض راسهُ واكثرهم يظهر التململ والضجر من دخولهِ بينهم . الم في النفس تحاول اخفاءهُ فيتقطب لهُ الحاجبان كما يتقطبان وقت الشعور بالالم الجسماني وتنقلب لهُ الشفاه انقلابها من الشعور بالالم

الداخلي وتغمض العينان كما تغمضان عند الالم ثم تجحظان اذا اشتد البغض كما تجحظان اذا اشتد الالم. وفي كل ذلك دليل على ان البغض من قبيل الالم كما ان الحب من قبيل اللذة. وقد يطبق الانسان فاهُ اذا رأى ما يكرههُ او يبغضهُ كأَنَّ فاهُ يشارك بقية عضلاته في الانقباض لمقاومة الشيء المكروه ولكن الغالب ان يفتح فاهُ قليلاً ويبدي نابيهِ او نابًا واحدًا منهما كأنهُ مدفوع الى ذلك بخلق موروث فيهِ من حين كان نوع الانسان يدافع عن نفسهِ بانيابهِ ولهذا يلجأ الصغار الى العض دائمًا. وكذلك المتوحشون والمنحطون في سلَّم البشرية يقبضون على خصومهم ويوسعونهم عضًّا

هذا تعليل داروين لاظهار الانسان وقت الغيظ وعلَّلهُ مونتغزا بان المرء يشعر بتغلبهِ على خصمهِ فيتبسَّم لذلك تبسُّم المسرور ولهذا لا يضحك الفضلاء اذا غضبوا لانهم لا يسرُّون بقهر خصومهم واما الاشرار والقساة فيسرون ويضحكون حقيقةً كأنهم يحاولون ان يقنعوا خصمهم انهم اعز جانبًا من ان يخافوهُ. واذا كان البغض مقرونًا بالكراهة بصق الانسان على خصمهِ. والبصق عادة قديمة يأتيها الانسان عفوًا حتى الشمبانزي من انواع القرود يبصق على خصمهِ واللاما وهو حيوان اميركي شبيه بالجمل يبصق على من يغيظهُ

واذا عجز المرء عن الاضرار بمن يبغضهُ انصرفت قوتهُ الى الاضرار بنفسهِ فترى الولد اذا اغتاظ غيظًا شديدًا ولم يستطع ان يظهر غيظهُ في من حولهُ عضَّ شفتيهِ ويديهِ ومزَّق ثيابهُ ونتف شعرهُ او كسَّر ما تصل اليهِ يدهُ من الآنية

والغيظ يؤثر في دورة الدم فيزيد خفقان القلب ويضطرب بهِ التنفس وهذا سبب ما يحدث في الوجه من الاحمرار وتنفس الصعداء. واذا بلغ البغض اشدهُ عاد الدم ففارق الوجه بغتةً وانتفخ المنخران وجحظت العينان وانقبضت الاعضاء كلها كأنها تحاول ان تمزق نفسها حتى لقد يحدث ان الغيظ يقتل صاحبهُ

كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

وهنا يدخل الحسد لانهُ الم وبغض نفسيَّان يخفيهما صاحبهما فلا يستطيعان الاَّ الظهور. ويدخل الاحتقار والازدراء والرعب والقسوة والشراسة. واكثر ما تظهر امارات الشراسة في الوجه حول الفم لان الاولين كانوا يقتلون الحيوان ليأكلوهُ فصارت عضلات الفم تهيج كلما رأى الانسان حيوانًا يُقتَل او يذبح وصار الوجه يدل على القسوة والشراسة كما يدل على اللين والبشاشة ولهذا ترى وجوه بعض الناس وبعض الشعوب فيها سمات البشاشة والهشاسة واللين والدعة او فيها امارات الغيظ والبغض والكراهة والشراسة

الميكروب المنير

يتذكَّر الذين زاروا معرض باريس انهم رأَوا في قصر البصريات قناني مملوءة سائلاً ينير في الظلام من نفسهِ وقد قيل لهم ان في هذا السائل انواعاً من الميكروبات المنيرة . ويتذكر الذين اقاموا بقرب البحر ان مياهه تنير في بعض الليالي ولا سيما اذا ماجت وتنفست امواجها او اذا سار فيها قارب كأَن تحريك مياه البحر يثير شيئاً منيراً فيهِ

والباحثون عمَّا ينير في ماء البحر وعمَّا ينير في القناني التي عُرِضت في معرض باريس يعلمون ان ما ينير هنا هو غير ما ينير هناك . فالذي ينير في ماء البحر حيوانات مائية صغيرة اكثرها من النوع المعروف باسم سراج الليل Noctiluca وهو حيوان كروي الشكل قطرهُ ٥/١ من العقدة لهُ اهداب يحركها فينتقل بها من مكان الى آخر واما الذي ينير في القناني المشار اليها فانواع من الميكروبات الصغيرة جدًّا وهي تختلفة عدوا منها الى الآن نحو خمسة وعشرين نوعاً

ولا يُعلَم كيف يتولَّد النور من هذه الميكروبات ولكن يعلم انهُ لا يتولَّد ما لم يكن للاكسجين اتصال بها وان تولُّده غير مصحوب بحرارة خلافاً لكل الانوار الصناعية . والحيوانات البحرية التي تنير لا يظهر نورها الاَّ اذا تحرَّكت وتهيجت اما الميكروبات المنيرة فلا يُعلَم حتى الآن هل يقتضي اظهار نورها ان تحرَّك وتهيَّج ولكن يعلم انها لا تنير اذا انقطع الاكسجين عنها . وهي تعيش في السوائل المغذية اذا كان فيها شيء من الملح ويظهر نورها على اتمهِ اذا اضيف الى السائل المغذي ٢٫٦ في المئة من ملح الطعام و ٠٫٠٧٥ في المئة من كلوريد المغنيسيوم و ٠٫٣ في المئة كلوريد البوتاسيوم

ولا بدَّ من تجديد الاكسجين في السائل دواماً لانهُ ينفد سريعاً . وهو يجدَّد اما بادخاله الى السائل فيشتدُّ النور حينئذٍ ويبقى شديداً واما بتحريك السائل من وقت الى آخر حتى يمتزج بهِ الهواء

والميكروبات المنيرة التي توجد في الاقاليم الباردة تبقى حيَّة ولو هبطت الحرارة الى الصفر ويبلغ نورها وتكاثرها اشدهما اذا بلغت الحرارة ١٥ درجة فوق الصفر . واما الميكروبات التي توجد في الاقاليم الباردة فتعيش ولو بلغت الحرارة ٣٠ درجة فوق الصفر

واذا حُلِّل نور هذه الميكروبات بالسبكتروسكوب ظهر طيفها ضيقاً جدًّا مالئاً فسحة اللون الازرق والاخضر من الوان طيف الشمس ولكنهُ كافٍ للتأْثير في الواح التصوير الشمسي فتتصور بهِ في الظلام ولا سيما اذا كانت جديدة . واذا عتقت قلَّ نورها كثيراً ولم يعد يظهر جيداً في الصور الفوتوغرافية الاَّ في اطرافها حيث تتصل بالسائل

ولما اكتشفت الميكروبات المنيرة عقدت الآمال بانها ستكون انوار المستقبل فتنير ظلمة الليل دواما من غير نفقة الا النفقات الاولى التي تستحضر بها لكن من يقرأ السطور المتقدمة يجد ان لا بد لها من سائل تغتذي به ومن املاح تضاف اليه ومن اكسجين ينفذ اليها فقد تكون نفقاتها اعظم من نفقات نور الغاز والنور الكهربائي على ضعف نورها ولذلك ستبقى من الغرائب العلمية الى ان تكتشف طريقة اخرى تجعلها عملية

تجارة القطر المصري

صدر تقرير الجمارك المصرية عن العام الماضي وقد انعمنا النظر فيه فلخصنا منه المقالة التالية

بلغت قيمة الصادرات من القطر المصري في العام الماضي ١٥٧٣٠٠٨٨ جنيها مصريا يضاف اليها بضائع صدرت منه بعد ورودها اليه وقيمتها ٢٤٧٣٣٦ جنيها وثمن السكاير التي صدرت منه وهو ٤٢٣٨٧٦

وبلغت قيمة الواردات اليه ١٥٢٤٤٩٣٨ وقيمة البضائع التي وردت اليه مارة الى بلاد أخرى ١٢٢١٥٣٨ جنيها فقيمة الصادرات والوردات كلها ٣٢٨٦٧٧٦٦ اي نحو ٣٣ مليونا من الجنيهات المصرية

ولو كانت هذه التجارة الواسعة في يد ابناء البلاد لحق ان ننظر اليها من باب تجاري لنرى كم ربح القطر منها لكنها ليست في يدهم او ليس في يدهم منها الا جزء صغير فلا نلتفت اليها من باب تجاري بل من باب زراعي وعمراني فنبحث اولا في صادراتنا وثانيا في وارداتنا وثالثا عن البلدان التي نتعامل معها

(١) صادرات القطر المصري

لا يخفى ان اهم صادرات القطر المصري القطن وبزرته فان قيمة الصادر منهما في السنة تبلغ نحو ١٥ مليونا من الجنيهات. وما بقي من الصادرات فدون ذلك كثيرا واوفره قيمة السكر ويصدر منه في السنة ما قيمته نحو نصف مليون من الجنيهات ثم الفول وثمن الصادر منه نحو ربع مليون من الجنيهات ويأتي بعد ذلك البصل والبيض والجلد. وقد زادت قيمة الصادر من الصمغ العربي بعد فتح السودان فبلغت في العام الماضي نحو ربع مليون من الجنيهات. وهاك جدولا ذكرنا فيه قيمة اهم صادرات القطر المصري في العام الماضي ومتوسط الصادر من

سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٨ ومن سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٣ ومن سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٨٨ وذلك بالجنيهات المصرية

	١٩٠١	١٨٩٤ الى ١٨٩٨	١٨٨٩ الى ١٨٩٣	١٨٨٤ الى ١٨٨٨
القطن	١١ ٨٣٣ ٢٧١	٨ ٩٩٩ ١٦٠	٨ ٦٣٤ ٥٥٥	٧ ٤٨٦ ١٦٨
البزرة	٠١ ٩٤٠ ٢٤٠	١ ٣٨٥ ٣٩٩	١ ٦٢٨ ٦٣٣	١ ٣٥٤ ٤٠٦
السكر	٠٠ ٥٤٢ ٢٤٥	٠ ٦٠٩ ١٣٠	٠ ٥٧٤ ٧٤٥	٠ ٤٨٨ ٠٢٣
الفول	٠٠ ٢٦٠ ٥٠٨	٤٥٧ ٢٦٤	٦٦٩ ٣٧٧	٥٧٦ ٣٤٠
الصمغ	٠ ٢٥٤ ٧٨٦	٣ ٩٤٠	٨٤٨	٠٥٠ ٢٨٦
البصل	١٢٩ ٩٢٦	١٥٣ ٨٧٦	٩٧ ١٥٨	٣٣ ٤٠٢
البيض	٨٠ ٩٩٠	٢٣ ٢٧٥	—	—
الارز	٧٤ ٥٦٢	١٠١ ٧٧٤	٩٨ ٤٣٥	١٢٣ ٦٥٥
الجلد الفطير	٦٠ ٠٢٣	٥١ ٩٨٨	٤٥ ٠٠١	٦٣ ١٢٢
الكتان	٣١ ٨٥٨	٥١ ٤٤٠	٤٦ ٧٥٣	٥٩ ٨٩٥
الطماطم	٢٧ ٢٦٣	١٦ ٠٣٣	١٨ ٧٧٠	..
الحناء	٢٥ ٤٥٦	١٤ ٠٠٧	١٥ ٠٢١	١٧ ٠٦٧
ريش النعام	٢٤ ٦٢٢	٠٩ ١٣٨	٠٣ ٠٧٩	٠٧ ٠٠٢
العدس	٢١ ٩٠٩	١٥ ٠٠١	٣٥ ٥٢٢	٣٣ ٨٢٦
الدبيغ	٢١ ٣٠٢	٣٠ ٤٦٤	٤٢ ٥٧٦	٥٢ ٦٥٥

هذه اهم الصادرات الآن وكان يصدر من الحنطة ما قيمتهُ نحو ربع مليون جنيه في السنة والصادر منها الآن قليل جدًّا تقلُّ قيمتهُ عن قيمة الوارد. ويظهر من هذا الجدول باجلى بيان ان كل اعتماد القطر المصري في معاملاتهِ مع غيرهِ من البلدان هو على الحاصلات الزراعية لانهُ لا يصدر منهُ شيء لهُ قيمة صناعية الاَّ السكاير والسكَّر والجلد المدبوغ والقيمة الصناعية فيها لا تزيد على مئتي الف جنيه

وقد يظن لاول وهلة ان القطن اثمن كل حاصلات القطر المصري لا يدانيهِ شيء آخر من الحاصلات كما لا يدانيهِ شيء آخر من الصادرات . وهذا وهم لان العشرة الملايين سكان القطر المصري ياكلون في السنة من القمح والذرة ما يساوي عشرين مليونًا من الجنيهات وهذا المقدار الكبير من القمح والذرة يستغلُّ كلهُ تقريبًا من القطر فالبلاد تكفي نفسها

من حيث الطعام ولا يبقى عليها الاَّ ان تزرع شيئاً تدفع من ثمنهِ الاموال الاميرية وربا الدين المصري وثمن الثياب وبعض الحاجيات والكماليات وهو ما تصدير غلتهُ وتقبض ثمنهُ ويبلغ نحو خمسة عشر مليونًا من الجنيهات.

ويظهر من امعان النظر في الجدول السابق ان قيمة القطن زادت منذ عشر سنوات الى الآن نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات . والظاهر ان هذه الزيادة ثابتة لا يخشى ان تزول لانها مبنيَّة على اتساع زراعة القطن وزيادة الحاصل منهُ اكثر مما هي مبنية على سعرهِ لان كمية القطن نفسها زادت مليونًا ونصف مليون من القناطير وهي تُطلَب كلها الآن فاذا نقصت عن هذا الحد ارتفع السعر ارتفاعًا يوازي النقص او يزيد عليهِ

والسكر يأتي بعد القطن وبزرتهِ ولو كان دونهما كثيرًا . والظاهر ان الصادر منهُ باقٍ على حالة واحدة تقريبًا منذ عشرين سنة الى الآن الوزن نحو خمسين الف طن والثمن نحو خمس مئة الف جنيه

والفول يتلو السكر وقد بلغت قيمة الصادر منهُ في العام الماضي ٣٦٠ الف جنيه وكانت منذ عشر سنوات نحو خمس مئة الف جنيه ولا اعتماد عليهِ لان غلتهُ تختلف سنة بعد سنة في مقدارها فيتناول الفرقُ ما يزيد من غلتهِ على مقطوعية القطر

ويأتي بعدهُ في الجدول المتقدم الصمغ العربي وقد زاد الصادر منهُ في العام الماضي زيادة فاحشة فبلغت قيمتهُ ٢٥٤ الف جنيه ولم تبلغ في العام الذي قبلهُ مئة الف جنيه . وكان الصادر منهُ اقل من ذلك كثيرًا قبل ثورة السودان(١) وقبل استنباط المواد الكيماوية التي تقوم مقامهُ فلا ينتظر ان تبقى تجارتهُ على هذا الحد من الرواج في الاعوام التالية لان السعر الذي هبط اليهِ الآن لم يعد يفي بنفقات جمعهِ ونقلهِ من داخلية بلاد السودان الى مراكز التجارة. وهو ليس من حاصلات القطر المصري

والبصل تجارتهُ حديثة وغير مأمونة لانهُ يتلف اذا طال عليهِ السفر ويباع بثمن بخس اذا تأخر وصولهُ الى انكلترا عن وصول البصل الاسباني . والبيض تجارتهُ آخذة في النمو يصدر منهُ في السنة نحو سبعين مليون بيضة ثمنها نحو ثمانين الف جنيه واذا لم تزد بل اكل الناس بيض دجاجهم فلا خسارة على القطر لان البيض من اكثر الاطعمة غذاء بالنسبة الى ثمنهِ والناس تحتاجون الى الاطعمة المغذية لان قوام العقلية والجسدية متوقفة عليها

(١) يظهر من تقرير الكولونل ستوورت ان الصادر من الصمغ بلغ ١٣٦٦٤٦ قنطارًا سنة ١٨٨٠ و١٥٠٨٦١ قنطارًا سنة ١٨٨١ . وقد بلغ في العام الماضي ١٦٧٠٠٠ قنطار

الواردات

نشرنا في الجدول التالي قيمة اهم الواردات الى القطر المصري في العام الماضي ومتوسطها السنوي من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٨ ومن سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٣ ومن سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٨٨ وذلك بالجنيه المصري

	١٩٠١	١٨٩٤ الى ١٨٩٨	١٨٨٨ الى ١٨٩٣	١٨٨٤ الى ١٨٨٨
المنسوجات القطنية	٢ ٤١٤ ٧٥٩	١ ٥٤٩ ٥٩٠	١ ٤٠٥ ١٠٣	١٤١٩ ٧٨
الفحم الحجري	١ ٠٥٤ ٧٧٧	٤٨٠ ١٩٤	٤٨٥ ٧٢٦	٤٣٠ ٣٠٦
الدقيق	٥٢٢ ٨٩٧	٣٩٢ ٧٢٣	١٠٦ ٨٠٢	١٠٥ ٩١٦
الارز	٣٢٦ ١٩٥	١٢٣ ٠٥٠	١٤١ ٨٤٥	١٢٥ ٥٧٠
المسكرات	٢٥٠ ٨٦٤	٢٠٠ ١١٩	٢٢٧ ٨٠٠	٢١٨ ٢١٦
غزل القطن	٢٤٥ ٩٥٢	١٦٦ ٨٠٠	١٥٨ ٧٣٦	١٣٩ ٥٨٢
النيل	٢٢٥ ٦٩٠	١٨٧ ٢٣٩	٣٠٠ ٠٨٦	٢٣٣ ٧٧٩
البترول	١٩٦ ١٠٠	١٦٢ ١٩٥	١٤٩ ٧٢٠	١٤٤ ١١٤
البن	١٩٣ ٤٢١	٢٤٧ ٦١٢	٢٧٤ ٤٦٧	٢٣٣ ٣٨
اكياس فارغة	١٥١ ٩٣٦	١١٥ ١٣٥	١٢٥ ٩٤١	٨٨ ٣٧٥
الحرير	١٤١ ١٠٧	١٠٨ ٨٠٨	١٣٨ ٣٣٨	١٣٩ ٢٦٧
زيت البزور	١١٥ ٤٥٣	٥٢ ٩٣٥	٦٠ ٥٠٥	٦٣ ٨٢٣
السمنتو	١١٠ ١٦٥	٢٦ ٣١٦	١٧ ٢٣١	—
القمح	١١٠ ٣٧٤	٧١ ١٧٠	١١٤ ٢٥٠	١٠٣ ٠٥٠
الجبن	١٠٧ ٤٨٦	٧١ ١٣٦	٦٤ ٧٤	٦٨ ٤١٣
فحم الحطب	٩٨ ٤٤٨	٧٣ ٧٣٩	٧٤ ٦٦٨	٧٢ ٦٧١
الصابون	٩٧ ٥١٣	٨٩ ٤٤٦	٩٣ ٢٠٩	١١٦ ٩٨٩
زيت الزيتون	٧٨ ٥٩٧	٧٥ ٠٨٦	٨٨ ٤٨٤	٨٢ ٣٧٣
الزبدة	٧٧ ١٩٥	٤٧ ٩ ٨	٤٧ ١٨٧	٦٢ ٣٥٥
السكر	٧٦ ٩٨٠	٢٦ ٦٩٩	٤٧ ٥١٥	٩٥ ٦٦٤
السمسم	٧٠ ٣٥٩	٤٣ ٨٣٤	٢١ ١٤٦	١٥ ٩٧٤

هذه اهم الواردات واكثرها ثمناً وهي اما معدنية او صناعية او زراعية . اما المعدنية

كالفحم الحجري وقد بلغ ثمن الوارد منهُ في العام الماضي اكثر من مليون جنيه والحديد وبلغ ثمن الوارد منهُ في العام الماضي ٧٥٢ الف جنيه وفي العام الذي قبلهُ ٩١٨ الف جنيه والنحاس وثمن الوارد منهُ ١٨٣ الف جنيه مما لاغنى لنا عن جلبهِ من الخارج وقس على ذلك ما يصنع من المعادن كالآلات التجارية ويبلغ ثمنها في السنة نحو خمس مئة الف جنيه . والصناعية بعضها لا بدّ من جلبهِ من الخارج وهو ما ليست موادهُ الاصلية عندنا وما يقتضي قوة رخيصة لعمله . واما ما موادهُ الاصلية عندنا كالمنسوجات القطنية وما يمكن ان تصير موادهُ عندنا كالمنسوجات الحريرية والكتانية والصوفية فلابدّ من بذل الهمة في ادخال صناعتهِ الى القطر . ولا عبرة بما فعلتهُ الحكومة حديثًا وهو ضرب ضريبة على المنسوجات البلدية اذا صُنعت في المعامل توازي رسم الجمرك لان الحكومة لا تستطيع ان تصرّ على عملها هذا اذا تبيّنت منهُ ضررًا للبلاد . ومن هذا القبيل الصابون فان موادهُ الاصلية صارت موجودة في القطر بعد استخراج الزيت من بزر القطن ولا يبعد ان يكثر عمل الصابون فيهِ حتى يكتفي بصابونهِ ويكفي بلاد السودان ايضًا ومن هذا القبيل الجبن والزبدة

اما الواردات الزراعية فقلَّما يوجد منها شيء لا يمكن استغلالهُ في هذا القطر بالسهولة الاَّ النيلة والبن واما الدقيق والحرير والحنطة والسكر والسمسم فيجب ان يزرع منها في القطر ما يفي بحاجة اهلهِ على الاقل

البلدان التي نتعامل معها

نأتي الآن الى البلدان التي نتجر معها اي البلدان التي تشتري صادراتنا ونشتري منها وارداتنا لنعلم مقدار علاقتنا التجارية مع كلّ منها . وننظر اولاً الى الصادرات فاذا قسمناها الى الف قسم حسب ثمنها رأينا الممالك المختلفة التي نتعامل معنا تأخذ منها على النسبة التالية

انكلترا واملاكها	٥١٧	في الالف من الصادر
روسيا	١١١	« « « «
فرنسا والجزائر	٠٨٠	« « « «
اميركا	٠٦٥	« « « «
المانيا	٠٥٠	« « « «
النمسا والمجر	٠٤٠	« « « «
سويسرا	٠٣٧	« « « «
ايطاليا	٠٣٥	« « « «

اسبانيا	٠٢٩	في الالف من الصادر
تركيا	٠٢٠	" " " "
الصين والشرق الاقصى	٠٠٧	" " " "
البلجيك	٠٠٥	" " " "

فانكلترا تشتري منا اكثر من نصف صادراتنا اي ما تزيد قيمتهُ على ثمانية ملايين من الجنيهات . وتتلوها روسيا فتشتري منا نحو عشر صادراتنا او ما قيمتهُ مليون وسبع مئة الف جنيه. ثم فرنسا وتشتري منا ثمانية في المئة من صادراتنا او ما قيمتهُ نحو مليون وثلثمئة الف جنيه وبعدها الولايات المتحدة الاميركية وهي تشتري منا ما قيمتهُ مليون جنيه والمانيا وهي تشتري ما قيمتهُ نحو ثمانية الف جنيه وهلمَّ جرًّا . فالمعاملة الكبرى هي الآن بيننا وبين بلاد الانكليز وقد كانت كذلك قبل الاحتلال الانكليزي بل كانت اكثر مما هي الآن. وهي كذلك من حيث الوارد الى هذا القطر لكنها ليست على نسبة الصادر تماماً كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ ما يرد من كل مملكة من الممالك التالية بالنسبة الى قيمة الواردات كلها

انكلترا واملاكها	٤٣٢	في الالف من الوارد
تركيا	١٤٧	" " " "
فرنسا والجزاير	٩٢	" " " "
النمسا والمجر	٦٩	" " " "
ايطاليا	٥٣	" " " "
روسيا	٤٠	" " " "
المانيا	٣٥	" " " "
بلجكا	٣٤	" " " "
اميركا	٢١	" " " "
اليونان	١٠	" " " "
الصين والشرق الاقصى	٠٩	" " " "
سويسرا	٠٣	" " " "
اسبانيا	٠١	" " " "

فانكلترا تشتري منا اكثر مما نشتري منها وتركيا تشتري منا قدر سبع ما نشتريهِ منها وفرنسا تشتري منا قدر تسعة اعشار ما نشتريهِ منها والنمسا تشتري منا قدر ثلثي ما نشتريهِ

منها وايطاليا تشتري منا قدر ثلثي ما نشتريهِ منها ايضًا. وروسيا تشتري منا نحو ثلاثة اضعاف ما نشتريهِ منها وشلمٌ جرًّا. فعمدتنا الكبرى في بيع صادراتنا وشترى واردتنا على انكلترا واكثر اعتمادنا في تجارتنا وزراعتنا على القطن فمن ثمنهِ ندفع الاموال الاميرية وربا دين الحكومة ولولاهُ ولولا معامل انكلترا لساءت حالنا وتغيَّرت شؤُوننا تغيُّرًا كبيرًا

مخترعات النساء

قال احد الكتبة المشهورين يمكن عقل المرأة ان يصل الى ما وصل اليهِ عقل الرجل ويزيد عليهِ اذا ارادت . وفي عدد المخترعات التي سجلتها النساءُ دليل على صحة هذا القول فانهُ كلها تشهد بان قوة الاستنباط في المرأة مثلما هي في الرجل او هي فيها اشد منها فيهِ. ولما كانت المرأة الاميركية رائدة بنات جنسها في الجهاد في ميدان الحياة كان اكثر اختراعات النساء في اميركا وكان الاميركيون اول من اهتم بحصر عدد ما اخترعهُ نساؤُهم

وقد عرضت منذ بضع سنوات امثلة لمخترعات النساء في معرض اتلنتا وكلها غريبة في بابها ذات فائدة لا تنكر ناطقة بما انطوت عليهِ النساء من المهارة التي لم يكن احد يعتقد بوجودها فيهنَّ قبلاً . وكانت القوانين تمنع النساء من تسجيل اختراعاتهنَّ فلذلك لم يعلم منها قبل سنة ١٨٦٠ الاَّ عشرة اختراعات او اثنا عشر اختراعًا . ثم اذ تيسر لهنَّ الانتفاع بنتاج عقولهنَّ اقبلن على الاختراع ايَّ اقبال فبلغ ما سجّل من مخترعاتهنَّ في العشرين سنة الماضية ما يعد بالمئات

واول اختراع لنساء اميركا كان سنة ١٨٠٥ وهو آلة لنسج القش مع الحرير او القطن اخترعتهُ ماري كيس. والثاني كان سنة ١٨١٥ وهو كورست اخترعتهُ ماري برش . واخترعت امرأة اخرى آلة لعمل الكعك سنة ١٨١٩ واخرى مواد لحفظ الالوان سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٤١ اخترعت امرأة كورستًا جديدًا ولا بدَّ ان ماري برش التي اخترعت الكورست الاول سنة ١٨١٥ اربحت منهُ ارباحًا وافرة اذ بقيت بضاعتها نحوًا من ست وعشرين سنة بلا مناظر. وسنة ١٨٤٥ اخترعت سارة ماثر تلسكوبًا ترى فيهِ المواد تحت الماء . وسنة ١٨٤٩ اخترعت ماري ودورد كرسيًّا يهز وتعلق بهِ مروحة . وسنة ١٨٥٨ اخترعت سوسان تيلر قلمًا للكتابة يوضع الحبر فيهِ . وزادت الاختراعات بعد سنة ١٨٦٠ زيادة عظيمة فاخترعت سارة سمث آلة لحصد القمح وحش الحشيش واستنبطت غيرها اسلوبًا جديدًا لتنقية المعادن من الكبريت

وعجلات لقاطرات السكك الحديدية ولرفع الرماد منها وادوية لاحياء الشعر وآلات لعمل السجاير وتصرَّفت احداهنَّ في استعمال الالعاب النارية واستعملتها للاشارات ليلاً

واكثر مخترعات النساء الحديثة مختص بالاثاث وآلات الكتابة والنسج والالعاب وآلات الموسيقى والآلات الزراعية والادوات البيتية وما اشبه

ومن مخترعات النساء التي عرضت امثلتها في معرض اتلنتا آلات كهربائية وآلات لعمل عرى الازرار في لحظة عين ونوع من القرميد تتداخل الواحدة منهُ بالاخرى فتستغني عن الجير والمونة والبناء بهِ متين كما لو كان بالحديد . وآلة لتقطير المياه

واكثر مخترعات النساء ربحًا هو ما كان متعلقًا بالعاب الاولاد ويظن مهارة عظيمة في اختراع الالعاب وكثير من مخترعاتهنَّ هذه قد سجل باسماء الرجال فلم يبقَ ذكر للمرأة التي كانت اول من اشار بهِ

وقد جاء في المثل الاميركي ان الاختراع غذاءٌ لصاحبهِ فلذلك تراهم يتسابقون اليهِ متشبهين باديسون وبل وغيرهما من الذين جمعوا الملايين بمخترعاتهم وترى المدارس تهتم بتعليم العلوم الطبيعية والكيماوية والميكانيكية وصار التعليم في اميركا آلة للفائدة العملية

وفي فرنسا كثيرات من المخترعات غير ان اكثر ما اخترعنهُ آلات للزينة مما يدل على تفننهنَّ في المسائل التي للذوق علاقة كبيرة بها

فمن اختراعاتهنَّ مشط تنزل منهُ الزيوت العطرية على جلد الراس وغلاف للسجاير من ورق الورد المكبوس ومسواك عطري الطعم مانع للفساد . وزهرية بهيئة فراشة وآلة لمنع سرقة اكياس الدراهم من الجيوب وآلة يكتب بها الانسان وهي في جيبهِ سواء كان ماشيًا او راكبًا في مركبة او على حصان. ولعلَّ النساء اخترعن العاب الاولاد التي تمشي وتصوت وتحرك رؤوسها

وفي فرنسا كثير من المخترعات الميكانيكية سُجّل باسماء صاحبات المعامل التي تُعمَل فيها ولكن المرجح ان الفضل في اختراعها للرجال العاملين في تلك المعامل

ولو ذكر التاريخ اسماء الذين اتقنوا العجن والخبز والطبخ والغزل والنسج والصبغ والغسل من قديم الزمان لوجدنا بينها اسماء كثيرات من النساء لا سيما وان حيلة المرأة كانت في العصور الغابرة عصور السذاجة والهمجية اوسع منها الآن بل كانت اوسع من حيلة الرجل في ما يتعلق بتدبير المنزل ولوازم المعيشة كما ان حيلتهُ كانت اوسع من حيلتها في ما يتعلق بالحرب والجلاد والغزو والنهب

نسيم بر باري

منزلة الشعر من التاريخ

(٣)

نظرة في ديوان حاتم الطائي

اذا تصفحنا ديوان حاتم الطائي وجدناهُ يخاطب الحارث بن عمرو ملك العرب بقوله

فككتَ عدياً كلها من اسارها فأفضل وشفّعني بقيس بن جحدرِ

ابوهُ ابي والامهاتُ امهاتنا فأنعمْ فدتك النفس نفسي ومعشري

ونستخلص من ذلك ان هذا الملك غزا عشائر من قبيلة واحدة وقد ورد حاتم اسيرها كما رأيت وادّعى ان احدى تلك العشائر وهي عشيرة قيس بن جحدر ذات صلة نسبية مع عشيرتهِ اقرب من سواها . فدلنا ذلك على انهُ من عشيرة لم يذكر اسمها في هذا المقام وذلك لان الملك لم يوقع بها فاذا اردنا معرفة اسم عشيرتهِ نجدهُ وارداً في قولهِ

بنو ثُعَلٍ قومي فما انا مدَّعٍ سواهم الى قوم ولا انا مُسنَدُ (١)

ومما يُوجد من اقوال هذا الشاعر حجة تاريخية قولهُ

وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارةٍ بلحيان حتى خفتُ ان اتنصّرا

فانهُ دليل على وجود النصرانية بين العرب وقد ذكر ان القوم المقيمين بين نابٍ ودارة من النصارى . والمشهور عن حاتم انهُ كان نصرانياً ولعلهُ تنصّر بعد ذلك . وسواءٌ ثبت تنصّرهُ او لم يثبت فان لنا من قولهِ دلالة واضحة على انهُ كان اليفاً للنصارى.

واذا تفقّدنا مغازي هذا المضياف الكريم حيث قال

ان كنتِ كارهةً معيشتنا هاتي فحلّي في بني بدرِ

الضاربين لدى اعنّتهم والطاعنين وخيلهم تجري

والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ

نجد في بيتهِ الاول دليلاً على ان العربي كان اذا شكا من عيشهِ شظفاً فارق عشيرتهُ فاقام في ديار غير ديار قومهِ مجاوراً عشيرة غير عشيرتهِ ونستدل من ذلك على ان العرب مع احتفاظهم على العصبية واعتنائهم بحفظ الانساب اتمّ عناية وتوثقهم بوشائج القربى اكرم توثق كان آحادهم يفارقون احياءهم وعشائرهم اذا ضامهم ضيق مرتزق

ونجد في بيتهِ الثاني تمثيل احدى هيئات القتال المعدودة اظهر الدلائل على البأس

(١) المسند الدعي او المدفوع من قوم الى قوم

والبراعة في فن الحرب عند العرب وهي الضرب بالسيوف وقد تزاحمت الفرسان والطعن بالذوابل وقد اوسعوا الكرّ في حومة الميدان . وقد ألمّ زهير بن ابي سلمى بهيئات القتال فذكرها على الترتيب هكذا

يطعنهم ما ارتموا حتّى اذا اطّعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وهذا نصٌّ صريح بان الرماية من معدَّات القتال وان انتشاب الوغى يُبدأُ بترامي السهام والقومان في ابتعاد ثم بالرماح عن قرب ثم بالنصال في المصادمة فبالاعتناق بالايدي وقد تقصّفت الذوابل وتكسّرت المناصل وليس بعد ذلك الاّ ورود كاس الحمام

ولم يكن شأن الرماية بالامر اليسير يدلُّك على ذلك تمرُّنهم عليها منذ الصغر أخذاً عن الحذّاق فيها قال معن بن اوس المزني

اعلّمهُ الرماية كل يوم ٍ فلما اشتدَّ ساعدهُ رماني

ومع كون السهام والرماح من عدد الهيجاء فالمنزلة العلياء للسيوف قال ضرار بن الأزور

عشية لا تغني الرماحُ مكانها ولا النبلُ الاَّ المشرفيُّ المصمَّم(١)

ولنرجع الى بحثنا في شعر حاتم فنقول انَّ قوله

الخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ

يستفادُ منهُ ان العرب (او قبيلة الممدوح) كانوا ينزلون الوضيع منهم وهو المعبَّر عنهُ بالنحيت بمنزلة الرفيع الذي دعاهُ بالنضار . والنحيت ما نُحت وليس بجيد والنضار الاسل تعمل منهُ القداح . وكذلك تتساوى عندهم مرتبة الفقير بمرتبة الغني فلا ميزة بينهما الاَّ بالشجاعة وكرامة النعال وشريف الخلال كما اوضح ذلك عروة بن الورد العبسي بقولهِ

ما بالثراء يسود كلُّ مسوَّدٍ مثرٍ ولكن بالفعال يسودُ

واحتياز الوضيع منزلة الرفيع امرٌ دالٌّ على بلوغ المعدلة من احكامهم مكانة لا يتمتَّع بها الاَّ الشعب السامي المدارك الراقي اعلى ذرى الكرامة فكان نظامُ الأمة العربية في زمنها الجاهلي يفوق نظام الشعوب اليونانية في عهد عظمائها ومشترعيها كليكورغورس الذي كانت شريعتهُ تضع امتيازات عديدة بين طبقات رجالها مخوَّلة ذوي الثروة حقوقاً خاصَّة . وكذلك نجد دستور الامة الرومانية غير منصف فانهُ لم يساوِ بين سوقتها واشرافها في الحقوق العامَّة ولطالما نشبت نيران الخصومة في منتدياتها وبين احزابها لاستئثار الاماثل بحقوق منعوها عن العامة بغياً واعتسافاً عن محجَّة العدالة فنستدلُّ من ذلك على ان الامة العربية كانت تجري

(١) صمم السيف مضى في العظم فقطعهُ فهو سيف مصمّم

سنن الانصاف جريًا لا نظير له في تاريخ الامم الأُخر

ولا خلاف ان الانصاف ناجم الأنفة وعزّة النفس بدليل ما هو معلوم من ان الاميال منصرفة الى الاستبداد فحيثما تكون تلك الاميال مكفوفة العيان لا شكَّ بوجود يدٍ قابضةٍ على زمامها قال المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفّةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ

واذا ثبت لنا القول ان اندفاع الاقبال على الظلم وامتناع القبول بالاضطهاد ناجم عن علةٍ كان لنا ان نقول ان تلك العلة هي انفة عموم القوم من الصغار ورفضهم الانقياد للزعماء على وجه الاستعباد وتفويض امورهم الى ذوي الرأي لا على وجه الاستبداد . والمتحصل من ذلك ان العرب القدماء كانوا في مقدمة الأُمم في عزة النفس ومنعة الجانب

ولربما تراءى القارىء بداءة بدء ان في كلامي تناقضًا وتضاربًا حيث يرى في ما اوردتهُ من شعر عبيد بن الابرص ان ملوك العرب كانوا يحكمون حكمًا استبداديًا وفي ما اوردتهُ من شعر حاتم انهم كانوا غير مستبدين . والجواب ان العرب كانوا قبائل ولكل قبيلة نهج وكما ان الشعوب اليونانية كانت مختلفة الاحكام فحكومة اثينا جمهورية وحكومة سبارته ملكية وكلتا الحكومتين يونانيتان كذلك كانت قبائل العرب ليست في حال واحدة من حيث الانقياد لرؤسائها

وقد كان حاتم الطائي كريم العرب المضروب بهِ الامثال ولهذا يلم بالضيافة في شعره كثيرًا كقولهِ

وابرز قدري بالفضاء قليلها يُرى غير مضنون بها وكثيرُها
وليس على ناري حجاب يكنُّها لمستوبص ليلاً ولكن انيرُها(1)

وكقولهِ

ولا تستري قدري اذا ما طبختها عليَّ اذن ما تطبخين حرامُ
ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي بجزلٍ اذا اوقدتِ لا بضرامِ(2)

علمنا مبلغ الكرم في نفوس جاهلية العرب وعرفنا مقدار ما كانوا يتحفزون لاكرام الضيف حتى انهم كانوا يوقدون النيران لاجل الاهتداء الى منازلهم متخيرين مواقعها في يفاع من الارض كما سبق الشاهد او في رأس جبل كما قال حماس بن ثامل

ومستنبحٍ في لج ليل دعوتهُ بمشبوبةٍ في رأس صمدٍ مقابلِ

واذا اضفنا الى اقوال حاتم السابق ايرادها بعض ما قالهُ عروة بن الورد العبسي في القرى كقولهِ

(1) استوبص من وبص اي لمع (2) الجزل الغليظ من الحطب والضرام دقيق الحطب . وفي القافية اقواء

فراشي فراش الضيف والبيت بيتهُ ولم يُلهني عنهُ غزالٌ مقنّعٌ (١)
احدّثهُ ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انهُ سوف يهجعُ (٢)

استخرجنا من ذلك ان العرب كانوا يعدون محادثة الضيف بالبشاشة من واجبات القرى. وكانوا يجلسون لمسامرة ضيوفهم حتى يرين (٣) على عيونهم الكرى غير متشاغلين عن الضيفان بالانقطاع الى معاشرة العيال . وان الضيف ينزل بيت مضيفهِ آخذاً ملء الحرية كانهُ بيتهُ

وربما تخيّل لبعض المطالعين ان في قول عروة " احدثهُ ان الحديث من القرى " ما يستفاد منهُ ان بعض العرب كانوا يعمدون الى مشاغلة الضيف بحديثهم حتى يغلب عليهِ النعاس فيهجع ولا يقدمون لهُ طعاماً عادّين الحديث معهُ قرى فادفع هذا الوهم بما يقول حاتم

ولا أُزرّف ضيفي ان تأوّبني ولا اراني لهُ ما ليس بالداني (٤)

وزرّف الرجل لضيفهِ اكثر الكلام لهُ فشاغلهُ . وهذا نصٌّ على ان التزريف كان عندهم معيباً وانهم كانوا يسرعون اولاً الى اعداد الطعام ثم بعد ان يتناول الضيف كفايتهُ يأخذون في محادثتهِ . ولا يستقيم لنا فهمُ ذلك الاَّ متى جمعنا بين الاقوال السابقة وتعمّدنا وجهاً نزيل بهِ الاشكال ويتقوّم بهِ كل ما ورد

ونقتصر على هذا القدر في الضيافة ونتطرّق الى ابحاث اخرى من شعر حاتم فقد ورد لهُ من ابيات

ولا يُلطَم ابن العمّ وسط بيوتنا ولا نتصبَّى عرسَهُ حين يغفلُ

وهو دليل ان العرب كانوا يتزوّجون من الاباعد لكي لا تضوي (٥) انسالهم ولتنجب ابناؤهم وان اخوة زوجاتهم واقرباءهن كانوا ينزلون بين مصاهريهم فتكرم وفادتهم وتصان اعراضهم

ولا غرو اذا عددنا التزوّج من الاباعد دليل الملاحظة الدقيقة في حفظ النوع والانتباه التام لتوفير وسائل النموّ والاعتناء في حفظ الصحة وكل ذلك لا يكون الاَّ عند الامم الحائزة على حظ وافر من سموّ المدارك . واقلّ ما يُثنى عليهِ انهُ خير من تمدن بعض الممالك الآخذة في الاضمحلال لاطلاقها عنان الشهوات واغفالها وسائل نموّ الأمة

ولم يتفرّد حاتم بذكر الزواج من الاباعد فانَّ حكمة هذا المبدإ القويم كانت مشهورة عند قبائل عديدة وشواهدها في كلامهم كثيرة فمنها قول عروة بن الورد العبسي

همُ عيّروني ان امي غريبة وهل في كريم ماجدٍ ما يُعيَّرُ

(١) غزال مقنع اي حسناء (٢) يهجع ينام (٣) يغلب (٤) تأوبهُ اتاهُ ليلاً
(٥) ضوى نحف وهزل وفي الحديث اغتربوا ولا تضووا اي تزوجوا في الاجنبيات ولا تتزوجوا في العمومة

وقوله ايضاً

أعيرتموني ان امي تريعة ... وهل ينجبن في القوم غير الترائع

وفي هذا الكلام امران الاول تريعة من الاباعد وقد ذكر عروة ان المنجبات هن الغريبات والثاني تعييرهم عروة بان امهُ غريبة وهذا امرٌ لو حققنا باطنهُ وجدنا وجه الشكوى منهُ منحرفاً عن وجهة الحقيقة وانما عيب لأن امهُ من قبيلة غير محمودة الفعال ونستدلّ على ذلك من قوله

وما بي من عار اخال علمتهُ ... سوى انَّ اخوالي اذا نُسِبوا نهد

اذا ما اردتُ المجد قصَّر مجدهم ... فاعيا عليَّ ان يناسبني المجد

فياليتهم لم يضربوا فيَّ ضربةً ... واني عبدٌ فيهم وابي عبد

ثعالبُ في الحرب العوان فان تبخ ... وتنفرج الجلى فانهم اسد[1]

ونستنتج من ذلك ان العرب كانوا يميزون بين القبائل فيقدمون بعضاً على بعض ويفاضلون بين احسابهم فيجعل شأن الكريم النبعتين على الكريم النبعة الواحدة . وقد ذكر عروة الوجه الذي بنت عليهِ القبائل حكم المفاضلة قائلاً انهُ الشجاعة كما يستخلص ذلك من البيت الرابع .

ويؤيد قول عروة في تكريم الانساب قول عنترة العبسي المشهور

اني امرؤٌ من خير عبس منصباً ... شطري واحمي سائري بالمنصلِ

وكذلك ما صرَّح بهِ يزيد بن الحكم الكلابي في تفضيل الامهات حيث قال

مَسسنا من الآباء شيئاً وكلنا ... الى نسبٍ في قومهِ غير واضع[2]

فلمّا بلغنا الامهات وجدتمُ ... بني عمكم كانوا كرام المضاجعِ

ويتحصل من ذلك ان العرب كانوا يعترفون بصحة نسب المولود من أبٍ شريفٍ وأُمٍّ ليست من فرع شريف وهو انصاف لم يكن بعض الامم القديمة يدركونهُ على تقدمهم في المدنية كالامة الرومانية مثلاً التي نجد البند الخامس من اللوح الثاني عشر من الالواح المسطور عليها شريعتها ينص صريحاً " انهُ لا يجوز للشرفاء ان يتزوَّجوا من العوام " بل ان هذه السنة لم تزل حتى الآن عند بعض امم عصرنا المتمدن وهو امرٌ ظاهر البطلان لأن الناس اجمعهم من اصلٍ واحدٍ فأنَّى نجد بينهم تفاوتاً في النوعية الاَّ من الميزة بالآداب ومحاسن الاخلاق

فاعتراف العرب بان العقود التي تنشأ بين مختلفين مكانةً صحيحة جائزة وبأنَّ ثمرتها نسل شرعي يرفع هذه الأُمة الى اسمى درجات الحكمة

امين ظاهر خير الله

(١) اراد بانهم ثعالب اي رواغون كناية عن الذلة و باخت الحرب خمدت وانطفأت

(٢) يقال مست بك رحم فلان اذا كان بينكما قرابة

وصيَّة سسل رودس

بعد ثلاث سنوات او اربع يصير في مدرسة اكسفرد الجامعة ٢٥٠ تلميذًا من البلدان الانكليزية والولايات الاميركية يدرسون العلوم والفنون معًا كاخوة في بيت واحد يعطى لكلٍّ منهم ثلثمئة جنيه في السنة لينفق منها على نفسهِ وعلى تعليمهِ فجملة ما يعطى لهؤُلاء التلامذة خمسة وسبعون الف جنيه في السنة وهي ربع مليوني جنيه او اكثر اوصى بها سسل رودس لتعليم ابناء اللغة الانكليزية وتهذيبهم . اوصى بها الرجل الذي مضى الى جنوبي افريقية منذ ثلاثين سنة فتًى لا يكاد يملك شيئًا فخدمهُ سعدهُ حتى صار من اصحاب الملايين ورأى فائدة العلم في توسيع نطاق العمل وتعميم مدار الفوائد اذا حازهُ مَن يُولد وبهِ ميل فطري الى قيادة الناس وعمل الاعمال الكبيرة فاراد ان يسير شبان امتهِ في الخطة التي سار فيها واختصر لهم الطريق حتى لا يضطروا ان يسافروا من بلاد الى أخرى سنة بعد سنة لكي يكتسبوا ما يقوم بنفقات تعليمهم كما كان يفعل هو

والأسلوب الذي اشترط ان يُعمَل بهِ في وصيتهِ يدلُّ على انهُ يعلم حق العلم ما هو الاساس الذي يبنى عليهِ عز الممالك وكيف يكون البلوغ اليهِ فقد اشترط ان لا يُقتصر في اختيار التلامذة على النابغين في الدروس منهم بل اوجب ان يكونوا حائزين للاوصاف التالية : اولاً ان يكونوا عارفين علوم الادب ثانيًا ان يكونوا مولعين بالالعاب الرياضية التي تقوي الجسم كلعب الكرة ونحوهِ . ثالثًا ان يكونوا معروفين بكرم الاخلاق كالصدق والشجاعة والاستبسال في قضاء الواجب والرفق بالضعيف والعطف على المسكين . رابعًا ان يكونوا ميَّالين الى القيادة والارشاد لان مَن بدت فيهِ هذه الصفة صغيرًا سهل عليهِ الارتقاء الى المناصب العالية التي يقود فيها غيرهُ

هذه هي الاوصاف التي اشترط وجودها في التلامذة الذين يتعلمون على نفقتهِ اي من ريع الاموال التي اوصى بها لهذه الغاية . وقال انهُ يجب ان لا يُنظَر الى ما بينهم من الفوارق الجنسيَّة والمذهبيَّة فكل شبان الامَّة الانكليزية اهالي انكلترا واخوانهم في اميركا والمستعمرات الانكليزية وكل الذين تجنَّسوا بالجنسيَّة الانكليزية سواءٌ في اختيار التلامذة منهم .

ولسسل رودس صديق حميم بين مشاهير الكتَّاب وهو المستر ستد منشئ مجلَّة المجلات الانكليزية وقد انشأ هذا الكاتب مقالة مسهبة منذ نحو ثلاث سنوات في وصف سسل رودس ومذهبهِ السياسي نشرها في شهر اكتوبر سنة ١٨٩٩ ثم اعاد نشرها الآن قائلاً ان سسل رودس اطَّلع عليها ولم يعترض على شيء مما ذكر فيها لا سرًّا ولا جهرًا فكأنَّهُ اقرَّ على صحتها

فاعاد المستر ستد نشرها الآن وهي مسهبة مفادها ان سسل رودس ينكر الثقة بما جاء في التوراة ولكنهُ يعتقد بوجود الله او بامكان وجوده وكان هذا الامكان عنده في حكم اليقين وبان احوال الخلق تدل على ان خالقهُ قصد بهِ ان يرتقي رويداً رويداً حتى يسود العدل والسلم والحرية وان من يبذل جهدهُ في اعلاء منار العدل والسلم والحرية في هذه الدنيا يكون قد سعى السعي الذي يرضاهُ الخالق ويسرُّ بهِ وان الامة التي تدل الدلائل كلها على انها سائرة في هذا السبيل اي سبيل اعلاء منار العدل والسلم والحرية هي الامة الانكليزية لانها الامة الادبية القادرة. لذلك فيجب على كل احد ان يساعدها في عملها ويسعى في نشر رايتها في الخافقين. وبما ان كبار الماليين من اقدر الناس على ذلك فيجب ان تؤلف عصبة منهم تنفق الاموال الطائلة في هذا السبيل فيرتقي نوع الانسان الارتقاء الذي يقتضيهِ مذهب النشوء ويكون ذلك على مقتضى مشيئة الخالق. وهاك ترجمة ما قالهُ المستر ستد عن لسان سسل رودس "ان كان الله موجوداً وكان لعملي اقل اعتبار في عينيهِ فلا بدَّ من انهُ يريد ان اعمل ما يعملهُ هو. وبحيث ان الدلائل كلها تدل على انهُ يدبّر امر الامة التي تتكلم اللغة الانكليزية كأنهُ قد اختارها لنشر راية العدل والحرية والسلم في الدنيا فالامر واضح انهُ يريد ان ابذل جهدي في مساعدة هذه الامة اي ان اوسع الاملاك البريطانية في افريقية بحسب طاقتي واسعى جهدي في كل مكان الى توثيق عرى الاتحاد بين الشعوب المتكلمة باللغة الانكليزية"

والظاهر ان الذي اثَّر في نفسهِ اعظم تاثير عبارة اطلع عليها وهو في مدرسة اكسفرد من قول ارسطو وهي "الفضيلة اسمى ما تسعى اليهِ النفس التي تطلب الغرض الاسمى في الحياة الكاملة"

وقد شبه المستر ستد سسل رودس بلويولا منشىء الجمعية اليسوعية فقال انهُ وضع نصب عينيهِ حفظ الامة الانكليزية ونشر رايتها في الخافقين كما وضع لويولا نصب عينيهِ حفظ الكنيسة الكاثوليكية ونشر تعاليمها في المسكونة

وقد كتب سسل رودس الى المستر ستد في اواخر سنة ١٨٩٠ كتاباً مسهباً وطلب اليهِ ان ينقحهُ وينشرهُ فنشرهُ الآن على علاّتهِ من غير تنقيح وهاك بعض ما جاء فيهِ

"لا تنسَ ان الآلة التي اصلُ بها الى غرضي كما اتفقنا هي جمعية منشأة على اسلوب جمعية اليسوعيين من حيث نظامها. والاسلوب العملي لاجرائهِ دستور منقول عن دستور الولايات المتحدة الاميركية للاستقلال الاداري الذي اشير بهِ لكل قسم من اقسام البلدان الانكليزية حتى تتوزع ادارتها ولا تبقى محصورة في مجلس النواب لان مجلساً واحداً يعجز عن ادارة خمس المسكونة. وان مسألة العمل والعمّال من المسائل المعضلة التي لا بد من حلها ولكن مسألة

فتح الاسواق لمصنوعات اهم لنا من مسألة العمَّال لان ربح ما يستعملهُ الانكليز من مصنوعاتهم يقوم بمعيشة ستة ملايين فقط منهم فلا يتعيَّش الباقون الاَّ اذا انتشرت مصنوعاتهم في اقطار المسكونة

"وقد اتحدت الممالك كلها واميركا في مقدمتها على مقاطعتنا بضرب الضرائب على مصنوعاتنا فلا بدَّ لنا من ان نكيل لها بالكيل الذي كالت لنا الى ان ترجع عن غيها واخيرًا تنتهي هذه الحرب باتحادنا مع اميركا فيستتب السلام في العالم كلهِ وتوَّلف جمعيَّة مثل جمعية الجزويت اعضاؤها اصحاب الملايين الكثيرة الذين غرضهم ان يعملوا شيئًا كبيرًا في الدنيا وان يخلصوا من الهمّ الذي يتعبهم دوامًا وهو اختيار من يتركون لهُ ثروتهم من اقاربهم الكسالى فيخلصون من هذه المشكلة ويستعملون ثروتهم في ما يسرُّهم ويفيد غيرهم

"هذه هي الامنيَّة التي اتمناها واخاف ان اموت قبل البلوغ اليها كما يخاف مَن اكتشف اكتشافًا ان يموت قبل تسجيلهِ. وقد سُمّيت البلاد الجديدة من الترنسفال الى جنوبي طنجنيكا باسمي لكي ابقى خالدًا بعد موتي فسرَّني ذلك لعلهُ يعرب عن امنيتي التي من شأنها ابطال الحروب كلها في مستقبل الايام ونشر لغة واحدة في كل المسكونة اذ يهتم ارباب الاموال الوافرة وارباب العقول الثاقبة بهذا الغرض

"لو امكننا ان نتحد الآن مع الولايات المتحدة لاستطعنا ان نبطل الحروب من المسكونة ويكون لنا مجلس نواب واحد يجتمع خمس سنوات في وشنطون وخمس سنوات في اميركا ولا يتم هذا الامر الاَّ بجمعية سرية تستولي على موارد الثروة كلها وتستخدمها لهذا الغرض"

والكتاب طويل جدًّا وهو على هذا النسق من بسط الاماني والآراء على صورة مشوشة كأن ذهن كاتبهِ مملوء منها فيعجز عن التعبير عنها لكن غرضهُ ظاهر منها ظهور الشمس من وراء الضباب . وقد توفي كما انبأ من غير ان ينال ما تمنَّى ومن غير ان يرى ما يدل على قرب منالهِ . وكأنهُ ادرك ذلك قبل وفاتهِ فاختار الاسلوب الذي اشار اليهِ في وصيتهِ لكي يعلّم الوفًا من اذكياء العقول وكبار النفوس حتى يحذوا حذوهُ ويسعوا في تحقيق امانيهِ

قال المستر ستد بعد ما نشر هذا الكتاب برمتهِ وعقَّب عليهِ "ان مثَل سسل رودس في وفاتهِ قبلما تتحقق امنيتهُ مثَل النبي داود اذ كان عازمًا ان يبني الهيكل فاعدَّ لهُ المواد اللازمة وترك بناءهُ لابنهِ فعسى ان يقوم بعد رودس من يحذو حذوهُ ويتم العمل الذي شرع فيهِ"

اما نحن فقد نشرنا ما نشرناهُ من ترجمة هذا الرجل وآرائهِ لا لمجرَّد العلم بها بل ليرى ابناء المشرق سرًّا من اسرار تقدُّم الاوربيين علينا وسبقهم لنا في ميدان الحضارة وهو تنافس ارباب الثروة منهم في ما يعلي شأن امهم واوطانهم

المالية المصرية

صدر تقرير اللورد كرومر عن احوال القطر المصري في السنة الماضية وهو يترجم الآن ويطبع في المقتطف وسنطبعهُ على حدة بقطع المقتطف لكي يمكن تجليده معهُ . وادل ما فيهِ على تقدم هذا القطر منذ اثنتي عشرة سنة الى الآن ازدياد ايراد الحكومة المصرية مع تجاوزها عن كثير من الضرائب حتى توفرت لديها الاموال وصارت تقدم على الاعمال العظيمة الكبيرة الفائدة كانشاء الخزان في اصوان واسيوط حتى تأمن البلاد طائلة الشرق والغرق ويتسع نطاق الاراضي الزراعية . وتديين الاموال للفلاحين بالربا القليل حتى ينجوا من يد المرابي الذي كان يمتص دمهم ويبتز ثمرة اتعابهم

والنجاح المالي ليس كل النجاح ولكنهُ اساس لكل نجاح سواء في ادارة الممالك والامم فمتى وفرت الاموال في بلاد استتبَّ الامن فيها واطمأنت الافكار وسهل نشر العلوم والفنون وهذه الحقيقة يعرفها كبار رجال السياسة والباحثون عن دعائم العمران . فلا يستتبُّ الامن في بلاد ولا ترتقي فيها العلوم والفنون الاَّ اذا وفر المال في خزينة حكومتها وبين ايادي اهلها فحينئذٍ تشبع البطون والنفوس وتستخدم فضول المال في الكماليات وفي جملتها انشاء المدارس العلمية والصناعية والزراعية . وهاك ما ذكرهُ اللورد كرومر في خاتمة كلامهِ عن الحالة المالية في هذا القطر

خلاصة الحالة المالية

ان خلاصة القول عن حالة المالية المصرية في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠١ هي كما يأتي

ان الايرادات ومبلغ ٢١٦٠٠٠ جنيه مصري الذي منحهُ صندوق الدين بلغت ١٢١٦٠٠٠٠ ج . م وهذا اعظم ما بلغت اليهِ الايرادات

اما المصروفات فانها بعد بذل ٦٤٠٠٠ ج . م لاستهلاك الدين ودفع ١٤٠٨٠٠ ج . م للمال الاحتياطي العمومي ووفر التحويل بلغت ١١٣٩٦٠٠٠ ج . م وعليهِ كانت زيادة الايرادات على المصروفات ٧٦٧٠٠٠ ج . م

وبلغ المال الاحتياطي العمومي ٣٧٩٥٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠١ من ذلك ٢٨٣٩٠٠٠ ج . م مخصصة للصرف في المستقبل وبلغ المال الاحتياطي الخصوصي في ذلك التاريخ ١٢٨٧٠٠٠ ج . م منها ٥٦٧٠٠٠ ج . م مخصصة للصرف في المستقبل . واما قيمة الوفر الذي نتج من تحويل الدين الممتاز الى ٣١ دسمبر سنة ١٩٠١

فبلغت ٤٤٨٥٠٠٠ ج . م . وبلغ الدين المصري ١٠٣٢٦٥٠٠٠ جنيهاً انكليزياً منها ٨٢٦٥٠٠٠ جنيهاً في يد صندوق الدين والباقي ٩٥٠٠٠٠٠ في ايادي الناس

وتقدَّر ايرادات سنة ١٩٠٢ بمبلغ ١١٠٦٠٠٠٠ ج . م والمصروفات بمبلغ ١٠٨٥٠٠٠٠ ج . م فزيادة الايرادات ٢١٠٠٠٠ ج . م والمرجح انها تكون اكثر من ذلك

وبلغ ما تحملتهُ الخزينة المصرية لينفق على حكومة السودان الملكية والعسكرية في سنة ١٩٠١ ٤١٧٠٠٠ ج . م ويتقدر ما تتحمله سنة ١٩٠٢ بمبلغ ٣٩٠٠٠٠ ج . م

واحسن خصائص المالية المصرية هي (١) ان الايراد يزداد ازدياداً مستمرًّا فيها (٢) ان المصروف يزداد على نسبة هي اقل من ازدياد الايراد . وهاك جدولاً يتضمن بيان الايرادات منذ سنة ١٨٩٠ :—

السنة	ج . م	السنة	ج . م
١٨٩٠	١٠٢٣٧٠٠٠	١٨٩١	١٠٥٣٩٠٠٠
١٨٩٢	١٠٢٩٧٠٠٠	١٨٩٣	١٠٢٤٢٠٠٠
١٨٩٤	١٠١٦١٠٠٠	١٨٩٥	١٠٤٣١٠٠٠
١٨٩٦	١٠٦٩٤٠٠٠	١٨٩٧	١١٠٩٣٠٠٠
١٨٩٨	١١١٣٢٠٠٠	١٨٩٩	١١٢٠٠٠٠٠
١٩٠٠	١١٤٤٧٠٠٠	١٩٠١	١١٩٤٤٠٠٠

وخففت الضرائب في اثناء هذه الاثني عشرة سنة مبلغ ١٤٠٨٠٠٠ ج . م في السنة . وخفض رسم الملح ٤٠ في المئة ورسم البوستة ٥٠ في المئة وكذلك رسم التلغراف وخفضت اجور السكة الحديد كثيراً ولم تزد الرسوم على شيء الأعلى الدخان فقد كان رسم الكيلو منهُ ١٤ غرشاً صاغاً فصار ٢٠ غرشاً صاغاً

ومع ذلك كلهِ زاد الايراد ونما حتى بلغت زيادتهُ في آخر تلك السنين الاثني عشرة ١٧٠٧٠٠٠ ج . م عما كان عليه في اولها . وهذا يقوي الآمال بدوام النجاح في الاستقبال

اما المصروفات فكانت في الاثنتي عشرة سنة المذكورة كما يأتي

السنة	ج . م	السنة	ج . م
١٨٩٠	٩٥٩٠٠٠٠	١٨٩١	٩٦٠٧٠٠٠
١٨٩٢	٩٥٥٢٠٠٠	١٨٩٣	٩٥٥٥٠٠٠
١٨٩٤	٩٤٧٠٠٠٠	١٨٩٥	٩٤٢١٠٠٠
١٨٩٦	٩٦٠٥٠٠٠	١٨٩٧	٩٧٠٩٠٠٠
١٨٩٨	٩٨٠٠٠٠٠	١٨٩٩	٩٩٢٩٠٠٠
١٩٠٠	٩٨٩٥٠٠٠	١٩٠١	٩٩٢٤٠٠٠ (١)

ومن هذا يظهر ان المصروفات التي كانت في السنة الاولى من هذه الاثنتي عشرة سنة ٩٥٩٠٠٠٠ ج . م زادت الى ٩٩٢٤٠٠٠ ج . م في السنة الاخيرة منها فكانت زيادة المصروفات اذاً ٣٣٤٠٠٠ ج . م فقط . وهذه الزيادة اقل من زيادة مصروفات السكة الحديد التي لا بدَّ من ازديادها طبعاً بازدياد ايرادات تلك المصلحة ففي سنة ١٨٩٠ كانت مصروفات السكة الحديد ٦١٠٠٠٠ ج . م وبلغت ١٠٥٧٠٠٠ ج . م في سنة ١٩٠١ فزادت في آخر الاثنتي عشرة سنة ٤٤٧٠٠٠ ج . م وهذا يزيد ١١٣٠٠٠ ج . م عن زيادة مصروفات المصالح كلها كما ذكرنا آنفاً

وقد جرى من التحسين والاصلاح في كل ديوان ومصلحة من دواوين الحكومة ومصالحها ما اقتضى مصروفات عظيمة في أثناء تلك المدة . ثم اقتضى اخيراً ان تتحمل الخزينة المصرية عبئاً ثقيلاً هو مصروفات السودان . ومع هذا تيسر بحسن التدبير انقاص المصروفات بالاقتصاد في جهة بقدر ما تزيد في الاخرى . غير ان حب الاقتصاد في المصروف لم يقلل شيئاً من كفاءة المصالح التي جرى الاقتصاد فيها لادارة الاعمال والاشغال المنوطة بها بل اني أقول انها زادت كفاءة لذلك بسهر نظارة المالية وعدم تساهلها في زيادة المصروفات بالاسراف والتبذير

(١) يخرج من هذا ٦٤٠٠٠ ج . م المدفوع لاستهلاك الدين و ١١٤٣٠٠ ج . م للمال الاحتياطي العمومي و ٢٦٥٠٠٠ ج . م لوفر التحويل

فتح المكسيك

تركنا كورتس في الجزء الماضي وهو يستعد للزحف على عاصمة المكسيك فلما اتم استعداده زحف برجاله وهم اربع مئة من المشاة وخمسة عشر من الفرسان واخذ معهُ سبعة مدافع واعطاهُ امير سمبوالا ١٣٠٠ محارب و ١٠٠٠ حمَّال واخذ اربعين من رؤساء البلاد لكي يرشدوهُ في الطريق ويشيروا على اهالي البلاد بمسالمته. وترك في مدينة فرا كروس رجلاً يعتمد عليهِ من خواصهِ مع حامية من الاسبانيين . وخطب في رجالهِ قبل ان شرعوا في الزحف خطبة بليغة شبههم فيها بالرومانيين القدماء الذين دوّخوا المسكونة وعمّروها حتى اذا اتم خطبتهُ صرخوا قائلين لك علينا الطاعة التامة ونبقى معك في السرَّاء والضرَّاء ولما قالوا ذلك ودَّع امير سمبوالا ورجالهُ وسار وكان ذلك في السادس عشر من اغسطس سنة ١٥١٩

مضى اليوم الاول وهم في ارض التانلاً والكاكو والقرمز ارض الطيوب والافاويه ارض الاثمار والازهار والصيد والقنص حيث ارّج النسيم يعطر الارجاء وتزاويق الطيور توشي الفضاء . وبلغوا مدينة زلَبا في اليوم التالي ومنها العقار الذي سُمّي باسمها (جلَبا) فاطلّوا على بلاد واسعة المدى كثيرة الدساكر والقرى تكتنفها الرياض والغياض وتتخللها الانهار والغدران

وفي اليوم الرابع وصلوا الى مدينة حصينة مبنية على صخر شاهق فاضافهم اهلها ورحَّبوا بهم وقاموا في اليوم التالي وساروا في وادٍ ضيق وعصفت عليهم رياح باردة من الجبال المجاورة معها مطر وثلج فكاد البرد يهرأهم لكن ثيابهم المحشوَّة بالقطن وقتهم منهُ واما الهنود الذين معهم فمات كثيرون منهم من شدَّة البرد وبعد ثلاثة ايام انفسحت امامهم البلاد واعتدل الهواء وكانوا قد علوا سبعة آلاف قدم عن سطح البحر فرأوا حقولاً كثيرة الزرع يحيط بها الصبر وتكثر فيها الذرة ووصلوا بغتةً الى مدينة كبيرة اكبر من سمبوالا واكثر منها سكانًا فيها ثلاثة عشر هيكلاً كبيرًا ولما رأى كورتس اميرها سألهُ هل انت من الخاضعين لمنتزوما فاجابهُ متعجبًا ومَن في الدنيا ليس خاضعًا لهُ . فقال كورتس انا لست من الخاضعين لهُ ثم بيَّن لهُ الغرض الذي جاء لاجلهِ وقال اني خاضع لملك يخضع لهُ ملوك كثيرة كلٌّ منهم مثل منتزوما . فجعل هذا الامير يطنب في عظمة مولاهُ وقال انهُ يخضع لهُ ثلاثون اميرًا عند كل منهم مئة الف مقاتل يؤدون اليهِ الجزية وجنودهُ كثيرة تاسر اكثر من عشرين الف اسير كل سنة ليقدّموا ذبائح لمعبوداتهِ . وعاصمتهُ في بحيرة في وسط وادٍ كبير والبحيرة مملوءة بسفنهِ ويوصل اليها على جسر طولهُ عدة اميال بعضهُ من الخشب يرفع فلا يعود الوصول اليها ممكنًا

وطلب منهُ كورتس ان يعطيهُ شيئاً من الذهب الذي عندهُ ليرسلهُ الى ملك اسبانيا هدية فقال اني لااستطيع ما لم يأمرني منتزوما فان امرني فانا وما املك بين يديك

وعجب الاهالي من خيل الاسبانيين وكلابهم وملابسهم وجعلت مريانا تطنب في بسالتهم ومهارتهم وما نالهم من الاكرام من منتزوما نفسهِ فأثَّر ذلك فيهم واهدى اميرهم الى كورتس بعض الحلى والجواري واراد كورتس ان يقنعهُ ليقلع عن عبادتهِ الوثنية ويعتنق الديانة المسيحية فلم يرَ منهُ اذناً صاغية واراد ان يأمر رجالهُ لكي يفعلوا هنا ما فعلوا في سمبوالا ولو حاول ذلك لاوقع بهم الاهالي لكن القس الذي معهُ ادرك بفطنتهِ ما تؤُول اليهِ هذه الغيرة فنهاهُ عن ان يفعل في هذه المدينة ما فعلهُ في سمبوالا قائلاً ان نحن نصبنا الصليب هنا من غير ان نعلِّم الاهالي عرَّضناهُ للاهانة فنجني قومهُ من الهلكة

وهنا التبس الامر على كورتس لان اهل المدينة اشاروا عليهِ ان يسير في طريق شلولا قائلين ان سكانها اهل دعة ومسالمة . وكان اهل سمبوالا قد اشاروا عليهِ ان لا يسير في بلاد شلولا لان اهاليها خوَنة خدَّاعون بل في طريق تلسكالا الجمهورية المستقلة لان اهاليها كرام الاخلاق يترفَّعون عن الخيانة كما انهم ابطال بواسل . واخيرًا اختار طريق تلسكالا وارسل الى اهاليها وفدًا من اهالي سمبوالا يستميحهم المرور في بلادهم وبعث مع الوفد هدية قلنسوة من الجوخ الاحمر وسيفا وقوسا وكتب اليهم يخبرهم انهُ معجب ببسالتهم ومقاومتهم لملك المكسيك الذي جاء لاذلالهِ وكان يعلم ان الاهالي يعجزون عن قراءة هذه الرسالة ولكنهُ اراد ان يظهر لهم انهُ بالغ من العمران شأْوًا ابعد من شأْوهم واخبر الوفد بمعنى الرسالة حتى لا تفوت فائدتها

وبقي في المكان الذي كان فيهِ ثلاثة ايام بعد ذهاب الوفد ثم سار برجالهِ وراءهُ وهم في انتظام كانهم سائرون الى القتال وهذا كان دأبهم دائماً في الحل والترحال . ولم يجدُّوا السير لانهم كانوا ينتظرون عود الوفد قبل الدخول في بلاد تلسكالا وبينا هم سائرون على هذا النمط وصلوا الى سور منيع ارتفاعهُ عشر اقدام وعرضهُ عشرون قدماً ولهُ مترسة يقف وراءها المقاتلون وليس لهُ الاَّ باب واحد في وسطهِ يدور فيهِ الداخل بين سورين كنصفي دائرة احدهما معطوف على الآخر والطريق بينهما عشر خطوات لا غير والسائر فيهِ يكون تحت رحمة الذين على السور. وطول السور اكثر من ستة اميال ويتصل من طرفيهِ بجبلين شاهقين لا يمكن الارتقاء اليهما وحجارتهُ كبيرة ضخمة محكمة البناء وهو الحد الفاصل بين بلاد تلسكالا وبلاد المكسيك فلما وصلوا اليهِ وقفوا مبهوتين وقالوا في نفوسهم ان وراء السور امةً قوية مثلهُ الاَّ ان الباب كان مفتوحاً ولم يكن هناك احد من الحامية فعبروهُ آمنين ووطئوا ارض الجمهورية

واهالي تلسكالا من قبائل الازتك نزلوا البلاد في اواخر القرن الثاني عشر وجعلوا مقرّهم على السواحل الغربيَّة من بحيرة تزكوكو واشتدت الخصومات بينهم وبين القبائل النازلة حولهم ونشبت الحروب فكان النوز فيها لهم لكنهم ملّوا الاقامة في بلاد لم يروا فيها الا نيران الحرب فرحلوا منها وداروا حول مدينة شلولا ونزلوا في سفح جبال تلسكالا وهم اهل فلاحة وزراعة وحرب وجلاد وهناك اودية خصيبة ومعاقل حصينة فطابت لهم الاقامة فيها فزرعوا الارض وعمّروا المدن وشيّدوا الحصون . واقتسموا بعد حين الى اربعة اقسام لكل قسم امير خاص لكنهم بقوا متحالفين في السلم والحرب واقاموا لهم مجلس شورى مؤلفاً من امرائهم الاربعة والرؤساء الذين تحتهم وظلوا على ذلك الى حين دخل الاسبانيون بلادهم

وكان لهم غرام بالالعاب الرياضيَّة والنعال الحربية فكانوا يجيزون رجال البأس الجوائز الحسان ويسيرون بابطالهم في مواكب عظيمة وينشدون الاناشيد في مدحهم وينصبون لهم الانصاب والتماثيل كانهم اهل رومية القدماء . وكذلك كان اكرامهم لمن نفع بلاده برأي حكيم او بتجارة رابحة

وكانت بلادهم كثيرة الخصب كما تقدّم واسمها يدلُّ عليها لان معنى تلسكالا في لغتهم بلاد الخبز وكانوا يتجرون بخيراتها مع البلدان المجاورة واتقنوا الصنائع المعروفة عندهم كالحياكة والصياغة والبناء وعمل الاسلحة

ولما عظم شأن الازتك ودانت لهم البلاد المجاورة كبُر عليهم ان تبقى جمهورية تلسكالا مستقلة عنهم غير خاضعة لهم فطلبوا من اهاليها دفع الجزية اسوةً بغيرهم من الامم المجاورة فقالوا اننا لم ندفع جزية لاحد لا نحن ولا اسلافنا ولن ندفعها ابد الدهر وسنحتفظ باستقلالنا الذي ورثناهُ من آبائنا كما احتفظوا هم بهِ . فغزاهم ملك المكسيك واستعرت نيران الحرب فكان النوز لهم ومن ثم رسخت العداوة بين هاتين الامتين وكثرت الحروب وصار التلسكاليون يربّون اطفالهم من المهد على بغض المكسيكيين ومقاطعتهم وكانت بلادهم حصينة من كل جهة الا من الجهة الشرقية حيث كان يوصل اليها من وادٍ كبير اتساعهُ ستة اميال فبنوا فيهِ السور المشار اليهِ آنفاً . وانضمّ اليهم شعب آخر كان معادياً لاهالي المكسيك اسمهُ الاتومي فاقاموا منهُ الحامية على ذلك السور

ولما رقي منتزوما الى عرش الملك ودانت لهُ الامم وعاد رجالهُ بالاسرى والغنائم من كل بلاد وطئتها اقدامهم حدثتهُ نفسهُ ان يضرب جمهورية تلسكالا الضربة القاضية فبعث عليها جيشاً ضخماً امَّر عليهِ ابنهُ فالتقوا بهِ وقتلوهُ وانخنوا في جيشهِ ولما بلغ منتزوما ذلك ارغى وازبد

وامر بتعبئة الجيوش من كل الاقاليم وسار بهم على بلاد تلسكالا فانهال عليها كالسيل العرم واضطرَّ التلسكاليون ان يعتصموا في جبالهم ومعاقلهم ورثّت السنون وهم مفصولون عن الساحل وعن كل البلاد المجاورة لهم لا يصل اليهم شيء من الملح والكاكاو حتى فسدت اذواقهم ولم يعودوا يدخلون الملح في طعامهم وهذا كان شانهم حينما دخل الاسبانيون بلادهم

ولما دخل الاسبانيون بلاد المكسيك لم يوجس التلسكاليون شرًّا ولكن لما بعث اليهم كورتس يطلب منهم ان يسمحوا لهُ بالمرور في بلادهم استغربوا طلبهُ وجمعوا مجلس شوراهم واخذوا ينظرون في هذا الطلب فقال بعضهم ان الاسبانيين هم القوم الموعودون الذين يُنتَظر مجيئهم حسبما تشير اليهِ التقاليد القديمة وسواءٌ كانوا كذلك او لم يكونوا فهم اعداءٌ للمكسيكيين وعدو عدونا صديقنا . وقال البعض الآخر ان هؤلاء الغرباء لا يمكن ان يكونوا اصدقاء لنا لان دينهم مخالف لديننا وحيثما مرُّوا كسَّروا الاصنام وخرَّبوا الهياكل ولا دليل على انهم معادون لمنتزوما بل هم مصادقون لهُ على ما يظهر لانهم رحَّبوا برسلهِ وقبلوا هديتهُ وارسلوا اليهِ هدية بدلاً منها

والقول الاخير كان قول امير كبير السن واسع الخبرة من الامراء الاربعة الذين لهم الرئاسة العامة ويقال انهُ كان قد ناهز المئة ولهُ ابن كان قائدًا على جيش كبير من التلسكاليين والاتومي وكان مرابطًا قرب التخوم الشرقية فاشار ابوهُ ان يهاجم الاسبانيين بجيشهِ فان فاز عليهم انتهى الاشكال وان فازوا عليهِ قال مجلس الامَّة ان القائد فعل ما فعل من تلقاء نفسهِ والامَّة غير مطالَبة بفعلهِ . فرضي باقي الامراء بهذا الرأي واشاروا بابقاء الوفد عندهم بحجة مساعدتهِ لهم في اقامة بعض الشعائر الدينية

وفي غضون ذلك وصل الاسبانيون الى السور فلم يجدوا الحامية عندهُ كما تقدَّم فدخلوا بابهُ واوغلوا في البلاد وكورتس في مقدمتهم مع شرذمة من رجالهِ ولم يوغل طويلاً حتى لقيهُ جماعة من التلسكاليين وهم مسلحون بالسيوف والتروس فلما رأوهُ هربوا من وجههِ فناداهم فلم يقفوا بل جدُّوا وراءهم فزادوا عدوًا لكنهم لم يكونوا اسرع من الخيل فادركهم حالاً ولما رأوا منهُ ذلك داروا اليهِ واستلُّوا سيوفهم واخذوا يُدافعون عن انفسهم ببسالة ومهارة ولم يكن الاَّ قليل حتى اقبل الوف من التلسكاليين وهم متوّقون السهام وشاهرون السيوف فرآهم كورتس مقبلين فامر واحدًا من فرسانهِ ان يعود حالاً ويستحث بقية جنودهِ وشاغل التلسكاليين وهم يهجمون عليهِ هجمات صادقات ويحاولون نزع الرماح من ايدي رجالهِ وانزال الفرسان عن خيولهم فانزلوا فارسًا واثخنوهُ بالجراح حتى مات وقتلوا فرسين فكبر ذلك على كورتس لان الخيل عضدهُ الاكبر

وكان معتمدًا على خوف الاسبانيين منها وتوهمهم انها مما لا يمكن مقابلتهُ والتغلُّب عليهِ فاذا علموا ان التلسكاليين قتلوا اثنين منها زالت رهبتها من نفوسهم . واقبل بقية رجال كورتس وانصارهُ حالاً واشتبك القتال وفعلت بنادقهم ومدافعهم فعلاً ذريعًا بالتلسكاليين فذعروا من صوت البارود وخارت عزائمهم لما رأوا القنابل تحصد رجالهم حصدًا وتمزقهم اربًا فجمعوا صفوفهم وارتدوا بنظام حربي وسرَّ الاسبانيون بذلك فلم يسيروا وراءهم بل لمُّوا شعثهم وساروا في طريقهم وبعد قليل التقوا برسولين من قبل الجمهورية ومعهما اثنان من الوفد الذي اوفدهُ كورتس اولاً ودنا الرسولان من كورتس وقالا ان ما حدث من هجوم الجنود على رجالهِ لم يكن برأي رجال الحكومة وانهم آسفون على ما جرى وسيقابلونهُ بالترحاب في عاصمتهم . فتظاهر بانهُ صدَّق قولهم وسار معهم الى ان بلغ نهرًا يجري في وسط مرج نضر فنزل في المرج وانتشر رجالهُ في المزارع المجاورة يفتشون عن الطعام فوجدوا نوعًا من التين فجمعوهُ وحيوانات اليفة كالكلاب فقبضوا عليها وذبحوها واكلوها

وكان الاهالي الذين ساروا مع كورتس لنجدتهِ قد بلغوا ثلاثة آلاف نفس فقام في الصباح واستأنف السير بعد ان امر رجالهُ ان لا ينفصل احد منهم عن رفاقهِ وان لا يتخلوا عن رماحهم بوجه من الوجوه. ولم يسيروا طويلاً حتى عاد الرسولان الآخران من الوفد الاول وقالا انهما فرَّا فرارًا لانهما رأيا التلسكاليين عازمين على الفتك بهما وان جنودهم تجتمع الآن بسرعة لكي تمنع مرور الاسبانيين في البلاد. وبعد قليل التقوا بنحو الف من التلسكاليين وهم بالسلاح الكامل فامر كورتس الترجمان ان يقول لهم انهُ مسالم لهم لم يأتِ لمحاربتهم بل للمرور في بلادهم فاجابوهُ برمي السهام والمزاريق فاغتاظ الاسبانيون من ذلك والهم وقع السهام فهجموا عليهم ونشب القتال بين الفريقين وثبت التلسكاليون في مواقفهم مدة ثم ارتدوا بنظام حربي والاسبانيون وراءهم الى ان بلغوا مضيقًا من الارض كثير الحزون لا يمكن جر المدافع فيهِ فاسرعوا لكي يخلصوا منهُ واذا جانبا المضيق يموجان بجنود التلسكاليين وقدَّر كورتس ان عددهم لا يقل عن مئة الف مقاتل لكن غيرهُ قدَّر عددهم ثلاثين الفًا . ولما وقعت عينهم على الاسبانيين صرخوا صراخ الحرب وطبَّلوا بالطبول وهجموا عليهم كالسيل الجارف . فانضمَّ فرسان الاسبانيين بعضهم الى بعض حتى صاروا كالبناء المرصوص وصرخ فيهم كورتس يحمسهم ويشدد عزائمهم فاندفعوا على التلسكاليين بضرب صادق وطعن خارق والتلسكاليون لا يتوخون قتل الاسبانيين بل اخذهم اسرى ليقربوهم ضحايا الى معبوداتهم ولولا ذلك ما ابقوا على احد منهم فانزلوا فارسًا عن فرسهِ وقطعوا الفرس اربًا وحاولوا اخذ الفارس حيًّا لحاول



البطريرك بطرس الجريجيري

مستعارة من ادارة جريدة الاخلاص

عشرة من رفاقهِ تخليصهُ من يدهم وفازوا بذلك بعد ان اثخنتهم الجراح وهو نفسهُ كان قد جرح جراحًا بالغة فمات منها في اليوم التالي وقطع التلسكاليون حصانهُ اربا كم نقدم وارسلوا قطعهُ الى تلسكالا . وفعل الاهالي الذين كانوا مع كورتس فعال الابطال لانهم قالوا اننا مقتولون على كل حال اذا كان الفوز للتلسكاليين. وظل الاسبانيون يقتحمون غمرات الردى الى ان خرجوا من المضيق فانفسح لهم ولبنادقهم ومدافعهم المجال . ولما سمع التلسكاليون صوت المدافع والبنادق ورأوا الدخان يخرج من افواهها والموت الاحمر يقذف منها ارتاعوا وتشوش نظامهم وزادهم تشويشا اضطرارهم الى حمل كل قتيل وجريح من رجالهم على ما تقتضيهِ شرائع بلادهم . وقُتل ثمانية من كبار قوادهم ولما رأى ذلك قائدهم الاعظم وهو ابن الرئيس الشيخ الذي تقدمت الاشارة اليهِ امر رجالهُ بالرجوع القهقرى فرجعوا رويدًا رويدًا حسب نظامهم الحربي واكتفى كورتس بذلك فلم يجدَّ في اثرهم بل جمع جرحاهُ وسار بهم الهوينا الى ان بلغ اكمة تشرف على ما حولها فنزل فيها . وقد قام في نفسهِ ان التلسكاليين ابطال بواسل لا يصطلى لهم بنار ولا بدَّ لهُ من محالفتهم لانهم يكونون اكبر عضد لهُ في فتح بلاد المكسيك وتقويض دعائم ملكها

البطريرك بطرس الجريجيري

اذا ذُكر رجال المشرق الذين ارتقوا بجدهم حتى بلغوا اعلى منصب بين اقرانهم ووصلوا اليهِ بالانتخاب لا بالصنيعة وافادوا ابناء وطنهم قبل وصولهم اليهِ وبعدهُ فغبطة البطريرك بطرس الجريجيري في مقدمتهم . وقد عرفناهُ قسًّا ومطرانًا وبطريركًا ولنا معهُ احاديث مستفيضة لم يخرج فيها عن مصلحة طائفتهِ كأن لا غرض لهُ من الحياة سواها

ولد في مدينة زحلة بجبل لبنان سنة ١٨٤١ ودرس فيها وفي مدرسة اليسوعيين في غزير وسيم قسًّا سنة ١٨٦٢ وجُعل مدرسًا في المدرسة البطريركية في بيروت سنة ١٨٦٦ ثم أُسندت ادارتها اليهِ سنة ١٨٦٩ فعكف على درس العربية والفرنسوية وزادت رغبتهُ في تلقي العلوم فقصد مدينة بلوى من اعمال فرنسا سنة ١٨٧٤ ودخل مدرستها الكهنوتية الكبرى ودرس فيها الفلسفة واللاهوت ومبادئ اللغة اليونانية واللاتينية واتقن درس الفرنسوية حتى صار يستطيع القاء الخطب فيها فطاف في انحاء فرنسا وكان يعلم ان الحاجة ماسة في بلادهِ الى المدارس والى ما يقوم بنفقاتها فاقنع المحسنين بكلامهِ وخطبهِ حتى مدوا اليهِ يد المساعدة فعاد الى سورية سنة ١٨٧٨ وجعل ينشئ المدارس فيها فانشأ ٤٢ مدرسة للصبيان والبنات كان فيها ٥٦

من المعلمين والمعلمات وثلاثة آلاف من التلامذة والتلميذات وانشأ ايضاً جمعيتين خيريتين لمؤاساة الفقراء وجمعية علمية ادبية لتهذيب الشبان وتعليمهم فن الخطابة

وسنة ١٨٨٦ سيم مطراناً على بانياس ولم يكن في تلك الابرشية حينئذٍ سوى ١٥٠٠ نفس من الروم الكاثوليك فانشأ فيها ثلاثاً وعشرين مدرسة ورمم الكنائس القديمة فاجمع الاهلون على حبهِ واكرامهِ من ابناء طائفتهِ ومن غيرها وقد سمعنا قسوس الروم والبروتستانت يعجبون بهمتهِ ويثنون على تقواهُ

وزار اوربا سنة ١٨٨٧ وقابل قداسة البابا مراراً ومرَّ على تونس والجزائر بدعوة من الكردينال لافيجري ثم عاد الى ابرشيتهِ وبنى في جديدة مرجعون كنيسة كبيرة على نفقة قداسة البابا وبنى بجانبها داراً للاسقفية وانشأ مدرسة زراعيَّة للايتام واشترى لها ارضاً فسيحة غرس فيها انواعاً كثيرة من الاشجار جلبها من فرنسا وغيرها فاثمرت اثماراً نادرة المثال يباع منها للاهالي وينفق ثمنها في سبيل البر وتعليم الايتام والفقراء

ثم عاد الى اوربا سنة ١٨٩٣ ووصل الى انكلترا بدعوة من الكردينال فون الانكليزي وقد سمعناهُ بعد ذلك يثني على هذا الكردينال ويدافع عنهُ دفاع الاصدقاء لمَّا وقع الخلاف بين الكردينال وبين الاستاذ سنت جورج ميفارت على ما انبأنا في الصفحة ٣٧٨ من المجلد الرابع والعشرين من المقتطف لكنهُ لم يكن متطرفاً في دفاعهِ ولا كان متساهلاً للذين ينتقدون معتقدات لا يعلمون اسانيدها

وكان كلما رحل رحلةً الى اوربا يعود منها بهمة جديدة وخيرات وفيرة لنفع ابناء وطنهِ فيبني المدارس والكنائس وهو يرمي الى غرض نبيل كاشفنا بهِ وهو مطران ثم جاهر بهِ مراراً بعد ارتقائهِ الى كرسي البطريركيَّة وهو ان يعيد الاتحاد بين الروم الشرقيين والغربيين

ولما توفي البطريرك غريغوريوس يوسف سنة ١٨٩٧ وقع الاختيار على صاحب الترجمة بطريركاً خلفاً عنهُ بعد مجادلات طويلة وكان ذلك في ٢٤ فبراير سنة ١٨٩٨ وشمل السرور ابناء طائفتهِ وجميع الذين يعرفونهُ . وزار رومية في العام التالي فاستقبلهُ قداسة البابا واقفاً وعانقهُ واجلسهُ على كرسي امامهُ واكرم وفادتهُ واهدى اليهِ حين وداعهِ سلسلة من الذهب وعصاً رعائية مرصعة بالحجارة الكريمة تذكاراً لزيارتهِ . وقدم من ايطاليا الى القطر المصري واقام فيهِ مدةً فرحَّب بهِ ابناء طائفتهِ وغير طائفتهِ واظهروا لهُ من الاكرام ما يفوق الوصف لكثرة ما بلغهم عن فضلهِ وتفانيهِ في مصلحة ابناء وطنهِ

ثم زار الاستانة العلية فوصلها في ٧ مايو سنة ١٨٩٩ ومثل بين يدي الحضرة السلطانية

في ١٩ مايو وخطب خطبة انيقة تليق بالمقام فاجابتهُ الحضرة السلطانية بما ترجمتهُ "اني مسرور من ارتقائك الى هذا المنصب العالي عن استحقاق لاني اتوسم فيك الصلاح والصحة والمقدرة على العمل فاناآمل انك تقوم احسن قيام بالوظيفة الموكولة اليك عن اهلية واستحقاق"

وزار باريس سنة ١٩٠٠ والتقينا بغبطتهِ هناك وكأن الحكومة الفرنسوية كانت عازمة ان تمنع مساعدتها المالية من الطائفة الكاثوليكية وهو يسعى في اقناعها بالعدول عن ذلك . وكان يودُّ التقرُّب من رجال انكلترا خدمة لابناء طائفتهِ في هذا القطر ولو فسح الله لهُ في الاجل ولو كانت الاحوال في بلاد الشام على ما يرام لجنت هذه الديار من ثمار اتعابهِ اضعاف ما جنت

ومنذ بضعة اشهر تواترت الانباءُ البرقية انهُ مصاب بداء عضال انتهى بوفاتهِ فتوفي الى رحمة ربهِ في الرابع والعشرين من شهر ابريل

وكان طويل القامة مهيب الطلعة وقور المجلس اذا ثمَّةَ موضوع زاد تهيج القوة العصبية في دماغهِ فاوقع في نطقهِ شيئًا من التلجلج والاَّ فكلامهُ فصيح وعبارتهُ بليغة . وسيبقى مذكورًا بما انشأهُ من المدارس والكنائس وبسعيهِ المتواصل في خير ابناء طائفتهِ



تلوين النحاس الاصفر

يصقل النحاس الاصفر اولاً ثم يوضع في مزيج من الامزجة التالية فيصير لهُ اللون الخاص بهِ كما ترى

(١) اذب ١٢٠ قمحة من كبريتات النحاس و ٣٠ قمحة من هيبوكلورات الامونيا في رطلين من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيتلوَّن بلون ضارب الى الخضرة

(٢) اذب ١٢٠ قمحة من كلورات البوتاسا و ١٥٠ قمحة من كبريتات النحاس في رطلين من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيصير لونهُ من البرتقالي الى القرفلي

(٣) اذب ٤٣٥ قمحة من كبريتات النحاس و ٣٠٠ قمحة من كبريتيد الصودا و ١٥٠ قمحة من زبدة الطرطير في رطل ماء وغطس النحاس الاصفر فيهِ فيضرب لونهُ اولاً الى الحمرة ثم الى البنفسجية فالزرقة

(٤) او اضف الى المذوب الاخير ٣٠٠ قمحة من مذوب كبريتات الحديد النشادري و ٣٠٠ قمحة من هيبوسلفيت الصودا فيصير لون النحاس برتقاليًّا ثم احمر ثم ازرق حسب طول اقامتهِ . وهذا السائل يلوّن الفضة الوانًا جميلة ايضًا

(٥) اذب ٧٥ قمحة من كلورات البوتاسًا و ٣٠ قمحة من كربونات النكل و ٧٥ قمحة من ملح النكل في عشرة اواقي من الماء وضع النحاس في المذوب واغلهِ على النار فيسمرُّ لونهُ اولاً ثم يصير احمر ناريًّا

(٦) اذب ٧٥ قمحة من كلورات البوتاسا و ١٥٠ قمحة من ملح النكل في عشر اواقي من الماء فيصير لون النحاس اسمر جميلاً

(٧) اذب ٧٥ قمحة من كبريتات الزرنيخ الاصفر و ١٥٠ قمحة من ملح النشادر المتبلور في عشر اواقي من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيحمر اولاً ثم يزرقُّ ثم يبيض

(٨) اذب ٧٥ قمحة من زبدة الطرطير و ٧٥ قمحة من كبريتات النحاس في ١٠ اواقي من الماء وضع النحاس الاصفر في المذوب ثم اضف اليهِ ٢٢٥ قمحة من هيبوسلفيت الصودا مذابة في ٥ اواقي من الماء فينفصل الكبريت من المذوب ويصير سطح النحاس متموجًا كعنق الحمام

الصفيح المبلور

شاع منذ بضع عشرة سنة نوع من الصفيح ملوَّن بالوان مختلفة احمر او اخضر او اصفر او ازرق تحتها اشكال هندسيَّة كأنها سطوح البلورات وهذا الصفيح كثير الاستعمال لتغطية الصناديق . وللاوربيين والاميركيين اساليب مختلفة في عملهِ منها

(١) تنظف الواح الصفيح الجيد بالحامض النيتريك المخفف او الحامض النيترومورياتيك المخفف ثم تغسل بالماء وبعد ذلك تغطَّس في ماء الذهب (مزيج من الحامض النيتريك والحامض الهيدروكلوريك) مخففًا بثلاثة امثالهِ من الماء ومسخَّنًا الى الدرجة ١٨٠ بميزان فارنهيت وتنزع منهُ وتترك برهة وجيزة في الهواء ويصبُّ عليها ماء كثير . ويكرَّر هذا العمل اذا اقتضت الحال حتى يظهر التبلور على الالواح جليًّا وتغسل بعد ذلك بماء سخن وتترك في الهواء حتى تجف وتدهن بعد ذلك بفرنيش اللاك الملوَّن بلون من الالوان اذا اريد تلوينها . وتزيد البلورات ظهورًا باستعمال مذوب التنين سخنًا او مذوَّب الصودا الكاوي

(٢) سخّن الالواح قليلاً وغطسها في الحامض النيترومورياتيك المخفف الجرم منهُ بجرمين من الماء واتركها فيهِ حتى تظهر البلورات الكبيرة عليها وانزعها منهُ حالاً وغطسها في كمية كبيرة

من الماء البارد ثم في ماءٍ غالٍ ومتى خرجت منهُ تنشف حالاً وحينئذٍ تدهن بفرنيش اللاك

(٣) حينما تلبس الواح الحديد بالقصدير تخرج حالاً من مغطس القصدير والقصدير سائل عليها وتعرّض لمجارٍ شديدة من الهواء البارد بضع دقائق فيتبلور القصدير ثم تدهن بفرنيش اللاك او الكوبال

(٤) سخن الواح الصفيح وضعها فوق اناء كبير فيهِ ماء بارد وادهنها باسفنجة مبلولة بسائل مؤلف من اربعة اجزاء من الحامض الكبريتيك وجزئين من الماء المقطر وفيهِ جزء من ملح الطعام او ملح النشادر وحينما تظهر البلورات عليها تغطّس في الماء وتغسل بالريش او بالقطن ويحترس لئلاَّ تنزع البلورات عنها . ثم تجفف على نار خفيفة وتدهن بمذوب اللاك . واذا لم يغطَّس اللوح كلهُ في الماء بل رُشَّ الماء عليهِ رشاً تنوَّعت البلورات عليهِ ويحدث مثل ذلك اذا نُفخ عليهِ الهواء البارد بالانابيب

(٥) امزج اربع اواقي من الحامض الكبريتيك باوقيتين او ثلاث من الماء واوقية وربع من الملح وسخن لوح الصفيح وادهنهُ بالمزيج واغسلهُ جيداً بماءٍ نقي وجففهُ وادهنهُ بفرنيش دمار

(٦) افضل الطرق لعمل هذه الالواح ان يصنع مغطس القصدير من ٢٠٠ جزء من القصدير النقي و ٣ اجزاء من النحاس الاحمر وجزء من الزرنيخ ومتى لبس اللوح قصديراً يعالج بالطرق التالية اولاً يغطَّس في مذوَّب البوتاسا الكاوي ويغسل . ثانياً يغطَّس في ماء الذهب (الحامض النيتروهيدروكلوريك) المخفف ويغسل . ثالثاً يغطَّس في مذوَّب البوتاسا الكاوي ويغسل . رابعاً يجاز في الحامض النيتريك بسرعة ويغسل . خامساً يجاز في مذوب البوتاسا الكاوي ويغسل سادساً يغطس في ماء الذهب ويغسل سابعاً يغطَّس في مذوب البوتاسا الكاوي ويغسل بماءٍ سخن ثم يدهن بفرنيش الكوبال المذاب في السبيرتو .

مطبعة البالوظة

انقع اوقية من الجلاتين في ماءٍ باردٍ كافٍ لغمرها واتركها فيهِ الليل كلهُ الى الصباح فيمتص الجلاتين الماء وينتفخ . وحضّر حماماً من الماء والملح باذابة اوقيتين من الملح في رطل من الماء وضع ست اواقي او سبع من الغليسرين الجيد في الاناء الداخلي من الحمام المائي وهو مثل الاناء الذي يذاب فيهِ الغراء وسخنها في الحمام المائي الى الدرجة ٢٠٠ بميزان فارنهيت وانزع الجلاتين من الماء وضعهُ في الغليسرين وابقهِ على النار في الحمام المائي ساعة من الزمان وانت تحركهُ من وقت الى آخر محترساً من تولُّد فقاقيع الهواء فيهِ . ثم اضف اليهِ عشرين نقطة من زيت كبش

القرنفل لكي يوقى من الانحلال . وتكون قد صنعت اناء واسعاً من التنك فصب المزيج فيهِ وضعهُ افقيّاً في مكان بارد واقياً اياهُ من الغبار واتركهُ فيهِ خمس ساعات على الاقل . وحينما تريد استعمالهُ مرّ على وجههِ اسفنجة مبلولة واتركهُ حتى يجف من نفسهِ قبلما تلصق الورق المكتوب بهِ ولا بدَّ من ان يكون الحبر جافاً على الورق قبل الصاقهِ بالبالوظة

ومتى اكملت طبع النسخ المطلوبة واردت غسل البالوظة مما بقي عليها من الحبر فامسحها باسفنجة مبلولة بالماء البارد هذا اذا اردت استعمالها حالاً واما اذا لم ترد استعمالها حالاً فلا داعي لغسلها لانها تشرب الحبر كلهُ بعد ثلاثة ايام او اربعة فلا يعود يؤثر في ما يطبع عليها . واذا تلف وجه البالوظة من كثرة الاستعمال تسخّن على حمّام مائي حتى تكاد تسيل وتترك حتى تبرد فيرجع سطحها الى استوائهِ

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

جمال الوجه

جمال الوجه واعتدال القوام يكونان بالارث لا بالصناعة فهما امران طبيعيان لا صناعيان ولكن لا شبهة في ان كثيرين من الناس يعيشون عيشة تزيد جمالهم واعتدالهم وتبقيهما الى سن الشيخوخة . وكذلك من يولد ووجههُ غير جميل وقامتهُ غير معتدلة يستطيع ان يعيش عيشة تكسبهُ شيئاً من جمال الوجه واعتدال القوام فيزول ما كان بهِ من قبح المنظر

ومن المحقق ان تسعة اعشار الناس الذين يعيشون عيشة الاعتدال ويقيمون جانباً كبيراً من الوقت في الهواء النقي يصيرون وجوههم جميلاً حسبما يسمح بهِ جلدهم لانهُ اذا كان الجلد سميكاً بالطبع لا يشفّ عما فيهِ من الدم فلا سبيل لاظهار اللون الدموي فيهِ . وبالضد من ذلك الناس الذين يسرفون في قواهم الحيوية ويقيمون جانباً كبيراً من الوقت في اماكن مظلمة فاسدة الهواء فان اللون الدموي يزول من وجوههم ويبدل بلون اصفر ضارب الى الزرقة ولو كان جلدهم رقيقاً

وقد وضع بعضهم النصائح التالية حتى اذا جرى الانسان عليها حُفظ جمال وجهِهِ اذا كان جميلاً او قامت مقامهُ ملامح الصحة والطلاقة فاكسبتهُ جمالاً لا ينقص عن الجمال الطبيعي وهي

اولاً لا تغسل وجهك الاّ بالماء الذي يرغي فيهِ الصابون بسهولة ويحسن ان تضيف الى الماء قليلاً من النخالة (الرضَّة) او دقيق الحنطة

ثانياً لا تغسل وجهك بماء بارد جدًّا ولا بماء حارّ جدًّا . وافضل المياه لغسل الوجه الماء الفاتر الاّ اذا كان في الوجه حبوب الصبا ونحوها فيحسن غسلهُ حينئذٍ بماء حار

ثالثاً اذا كان جلد وجهك رقيقاً وكان شعورهُ شديدًا فلا يحسن ان تغسلهُ بالصابون واذا لم يكن كذلك فاغسلهُ بهِ ولكن يجب ان لا يكون الصابون كثير المادة القلوية اي ان الصابون الذي ينظف الثياب سريعاً لا يصلح لغسل الوجه ولو كان يصلح لغسل اليدين لان جلد اليدين اقوى من جلد الوجه على احتمال المادة القلوية

رابعاً يحسن فرك الوجه وقت غسلهِ بخرقة كبيرة لينة تخاط كالكيس وتدخل الكف فيها لكي ينظف الوجه جيدًا ويتحرك الدم في اوعيتهِ واذا كان فيهِ شيء من حبوب الصبا فالفرك الشديد يجعلها تلتهب وتحمرّ فلا بدَّ من نزع المادة الشحمية منها يوماً بعد يوم بعصرها ويحسن عصر كل جزء من اجزاء الوجه مرةً كل اسبوع بين الابهام والسبَّابة حتى يخرج منهُ ما فيهِ من المواد الدهنية والاّ تكاثرت فيهِ حول الانف والفم والتهبت

وضع النقود في الفم والميكروبات

وضع النقود في الفم عادة سمجة يأتيها الاولاد ولا يُردعون عنها فيعتادونها ومنها ضرر كبير لان النقود التي تتداولها ايدي الناس يعلق بها كثير من ميكروبات الامراض . ومن رأي احد العلماء ان اكثر امراض الحلق التي يصاب بها الاولاد ناتج عن وضع النقود في الفم

وكما تلصق الميكروبات بالنقود المعدنية تلصق ايضاً بعملة الورق التي شاع استعمالها حديثاً في هذه البلاد ولاسيما لكثرة ما تتداولها الايدي قبلما تتلف . وقد امتحن بعضهم ورقة من ورق بنك انكلترا بان غسلها بالماء واضاف قليلاً من هذا الماء الى الجلاتين الذي تربى فيهِ الميكروبات فوجد فيهِ ميكروبات كثيرة تعدُّ بالالوف

ازالة الحبر عن البسط

اللبن يزيل الحبر عن البسط قبل ان يجف فاذا جف فصبَّ عليهِ قليلاً من زيت البتروليوم فيدخل بين الياف البساط ويرفع قشرة الحبر عنهُ فتزول بفرشاة وقليل من الماء والصابون

الثياب الطويلة الاذيال

عاد النساء الى تطويل اذيال ثيابهنَّ فصرن يمشين في الشوارع واذيالهنَّ تجرُّ وراءهنَّ فتجمع كثيرًا من التراب والغبار وما يمازجهُ من ميكروبات الامراض

اخذ احد العلماء عقدة مربعة من ذيل فسطان كان يجرُّ على الارض. ووضعها في ١٥٠ نقطة من الماء النقي المعقَّم ثم وضع نقطة من هذا الماء في الجلاتين المعقَّم الذي تُربَّى فيهِ الميكروبات فتولَّد فيهِ ٥٣٦ مستعمرة من الميكروبات فلو استعمل الماء كلهُ لتولَّد فيهِ ٢٦٨٠٠ مستعمرة وكل مستعمرة تدل على وجود جرثومة حيَّة من جراثيم الميكروبات فقد كان في العقدة المربعة من ذلك الذيل ٢٦٨٠٠ ميكروب . فان كانت مساحة الذيل الذي يكنس الارض اربع مئة عقدة لحق بهِ اكثر من عشرة ملايين ميكروب عدا ما يثور في الغبار وتتنفسهُ المارَّة او يحملهُ الهواء الى مساكن الناس اما الميكروبات التي يتفق ان تعلق باذيال الثياب فاشدها ضررًا ميكروب السل وميكروب الدفتيريا وميكروب ذات الرئة فلا تعجب السيدات اذا دخلت هذه الامراض المعدية بيوتهنَّ ولم يعرفنَ سببًا لدخولها لانهنَّ قد يكنَّ هنَّ السبب

منع الصدإِ وازالتهُ

كثيرًا ما تتعب ربَّة البيت من الصدإِ الذي يعلو ما عندها من الآلات والادوات كالمفاتيح والمقارض وآلات الخياطة وما اشبه . ويكثر تولُّد الصدإِ في الاماكن الرطبة الهواء ولا سيما اذا كانت قريبة من البحر اي في هوائها كثير من ذرات الملح فلا يمنع الصدأ عنها الاَّ بمنع الهواء من الوصول اليها وذلك اما بدهنها بمادة تحجب الهواء عنها ولا تتحد بها كالشمع او زيت الكتان المغلي او مزيج من الشحم والجير واما بلفها لفًّا محكمًا بورق مدهون بالزيت او بالشمع

وينزع الصدأ عن الحديد بفركهِ بغبار السنباذج او بدهنهِ بالزيت وترك الزيت عليهِ ثلاث ساعات ثم فركهِ جيدًا بخرقة ناشفة او بخرقة مغطوطة بالكلس الناعم غير المطفإِ. وغبار السنباذج الناعم وحدهُ او ممزوجًا بالصابون خير من غيرهِ لنزع الصدإِ

علاج الاغماء

اذا أُغمي على احد فضعهُ على ظهرهِ امام شباك او باب مفتوح حتى يهب الهواء على وجههِ فالغالب انهُ يستفيق من نفسهِ من غير واسطة اخرى واذا كان طوقهُ ضيقًا وثيابهُ مزررة فحلَّها لكي يسهل عليهِ التنفس. ويحسن ان ترش وجههُ بالماء البارد وتدهن يديهِ وصدرهُ بهِ وان تشممهُ رائحة الكافور او الامونيا وحالما يصير يستطيع ان يبلع اسقهِ قليلاً من الماء

باب التقريظ والانتقاد

الحضرة الانسيَّة في الرحلة القدسيَّة

هو رحلة امام عصرهِ الشيخ عبد الغني النابلسي كتبها في وصف سياحتهِ من دمشق الى القدس سنة ١١٠١ للهجرة اي منذ نحو مئتين وعشرين سنة وممَّا جاء فيها وصف المدرسة السلطانية في القدس الشريف وهو

"وحين أقبلنا على المدرسة المذكورة. رأينا بابا مرتفعاً عليّاً مصنوعاً من الاحجار المنحوتة الملونة المحفورة. وعليهِ رواق المدرسة مبني بالاعمدة الرخام والاحجار الكبار العظام. والعقد المقبي العالي وكمال الرونق والبهجة كالكوكب المتلألئ. حتى صعدنا نحو خمسين درجة من الدرجات الكبار المبنية بالمنحوت من الاحجار. وهو درج ملفوف مشترك مع دار المنار. وفي اثناء الدرج شبابيك كبار من النحاس مطلات على الحرم ينظر الصاعد فيها الى الناس. ثم دخلنا من فوق ذلك الدرج الى عمارة وذلك على مقدار النصف من درج المنارة. فعبرنا الى مكان واسع الفضا مزخرف الجوانب بالاحجار المنحوتة اذا طلعت عليهِ الشمس اضا. يطل عليهِ اربعة شبابيك من شبابيك المدرسة معقودة من النحاس الاصفر يروق في ذلك المنظر. ثم عبرنا من باب آخر مصنوع من الاحجار المنحوتة. والزخارف والكتابات التي تظل العيون فيها مبهوتة. فوجدنا ممشىً صغيراً مبلطاً بالرخام والدقيق الملوّن من الاحجار العظام. وهناك جهتان مشتملتان على بابين احدهما على اليمين والآخر على الشمال. فالذي على الشمال يتوصل منهُ الى مطبخ وبيت طهارة وما يحتاج اليهِ من الاحوال. فاخذنا من ذلك جهة اليمين. فوجدنا باباً بمصراعين لطيفين. فدخلنا منهُ الى ميدان من الطف الميادين مفروش جميعهُ بالسماقي الملوّن على الالوان. والرخام الابيض والدقي من الحجارة التي تزين المكان. مسقوف بالسقوف العجمية المدهونة التي تحير الاذهان. فاذا هي قاعة متقنة البنيان محكمة الاركان. تشتمل على اربعة ايوانات. وهي مسقوفة بالسقوف العجمية التي في بانواع الدهان والاطلية مزخرفات. وجميع جدرانها من داخلها معمولة بالرخام والحجر السماقي الخام. وانواع الفصوص والاحجار الدقاق فارضها تحاكي حيطانها في زيادة البهجة والاشراق. وارضية الايوانات الاربع مفروشة ايضاً بالسماقي والرخام وانواع الاحجار الملوّنة والفصوص المكوّنة. فايوانان منها كبيران واسعان

متقابلان . احدهما اكبر من الآخر واوسع وهو القبلي وفيهِ المحراب العظيم البنيان المتقن غاية الانقان . وايوانان صغيران متقابلان احدهما اصغر من الآخر . فالصغير منهما لهُ شباكان مطلان على الساحة العلوية التي ذكرناها آنفاً . والايوان الآخر الذي يقابلهُ منفتح الصدر لماع فيهِ عامودان من الرخام الابيض ولهُ شعيرة مبنية من الاحجار الملوَّنة في ارتفاع ذراع . وذلك مطل على الحرم الشريف وصحن الصخرة العالي المنيف . وارتفاع سقوف الايوانات والمدرسة يسامت تلك المنارة وكل ذلك معمر اكمل العمارة. وفي الايوان القبلي من الشرق ثلاثة شبابيك كبار معقودة من النحاس الاصفر نزهة للابصار . مطلات على الحرم وصحن الصخرة. وفي جهتهِ القبلية اربعة شبابيك كبار ايضاً كذلك واحد منها يطل على الحرم الشريف من جهة القبلة . والثلاثة مطلة على دهليز المدرسة وتلك الظلة . وشباكان من الجهة الغربية على تلك الساحة المذكورة السماوية . وفي الايوان الشمالي شباكان كبيران من الجهة الشرقية . مطلان على الحرم وسطح الصخرة وشباكان كذلك . من الجهة الشمالية مطلان على الحرم وهاتيك المسالك . ومن جهة الغرب شباكان ايضاً مطلان على بيت لطيف لصيق المطبخ المذكور فيما تقدم . وعلى الجملة والتفصيل فهي مدرسة عظيمة ذات قدر جليل وهي من بناء السلطان الملك الاشرف قايتباي الشركسي . وقد ذكر الشيخ محمد ابن الشيخ يوسف الباعوني في التاريخ المنظوم الذي ذيلنا عليهِ بذكر الدولة العثمانية . وجرينا على اسلوبهِ المعلوم عند ترجمة السلطان الاشرف قايتباي وذكر مالهُ من الخيرات والعماير . فقال وعمَّر السلطان ايضاً مدرسة في المسجد الاقصى غدت مؤسسة في غاية الانقان والاحكام بزخرف الطرز وبالرخام"

وحبذا لو ذكر الامام عدد تلامذة تلك المدرسة وعدد اساتذتها وانواع العلوم التي يتعلمونها والكتب التي يقرأونها فان ذلك اولى بالذكر من وصف المباني وزخرفتها

وقد عني بطبع هذه الرحلة حضرة الاديب ديمتري افندي نقولا على نفقة حضرة الوجيه ابرهيم افندي عبد المسيح صاحب جريدة الاخلاص

تقويم المؤيد

ظهر تقويم المؤيد عن سنة ١٣٢٠ هجرية لحضرة مؤلفهِ الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود وهو على نسق ما تقدمهُ من التقاويم جامع لكثير من الفوائد العلمية والادبية والتاريخية حتى كأنهُ مجلة علمية . وقد جُلّد تجليداً حسناً موسوماً بماء الفضة

تاريخ

حرب الدولة العثمانيّة مع اليونان

اتحفنا حضرة الكاتب المحقق حقي بك العظم بسفر جليل فصّل فيهِ وقائع حرب الدولة العثمانيّة مع اليونان وقال انهُ اقتطفهُ من خمس كتب تركية وكتاب انكليزي وكتاب فرنسوي وضعت في وصف هذه الحرب . وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة ابان فيها سبب خروج اليونان على الدولة العلية على رأيهِ وهو اختلاف الدين واللغة . ولو كان اختلاف الدين واللغة كل السبب في خروج الخاضعين لدولة عليها ما خضعت امة لدولة تخالفها دينًا ولغةً .ولو كان عدم الاختلاف في الدين واللغة موجبًا لبقاء الدول على كيانها ما تمزّقت دولة من دول العرب القديمة . لكن الباحث في تاريخ العمران يرى لتمزُّق الدول وخروج الرعايا عليها اسبابًا أُخرى اقوى من اختلاف الدين واللغة بيَّنها ابن خلدون الفيلسوف المراني العربي في مقدمتهِ بالاسهاب فلتراجع فيها

ثم ان المؤلف نسب ثورة اليونان الاولى الى مفاسد الاوربيين الذين زرعوا بزور الفتن بين اهل المورة وهذا من الاقوال التي يصعب اثباتها بالدليل وخير من الاعتماد عليها البحث عن الاسباب الحقيقية التي تثير ثائرة السكان لازالتها

لما هاجت الخواطر في القطر المصري منذ بضع سنوات خشي البعض من قيام الثورة فيهِ فخاطب بعضهم جناب اللورد كرومر في ذلك فضحك وقال لا خوف من الثورة الاَّ اذا جاع الناس وفسدت الاحكام وكثرت المظالم اما الآن فالدلائل كلها تدلُّ على ان الناس شباعى والاحكام آخذة في الصلاح والمظالم آخذة في الزوال ولذلك لا يمكن ان تحدث في البلاد ثورة. اسألوا اصحاب الاطيان وارباب الاموال والمتاجر فما دام هؤُلاء آمنين على اموالهم فهم راضون بالحالة الراهنة لا يطلبون تغييرها والاعتماد عليهم لا على سواهم

الاَّ ان الكاتب لا يغضي عن كل مواقع الضعف بل كثيرًا ما يشير اليها اشارة الصديق المخلص لان صديقك مَن صدقك كقولهِ في الكلام على جنود الدولة العلية " والبنادق المسلَّح بها الجيش العثماني هي من طراز هانري مارتيني وموزر السريعة الطلقات ولكن بكل أسف لم نرَ في الحرب التي نحن بصددها الاَّ لواءً واحدًا مسلحًا من بنادق موزر فلماذا اشترت الدولة هذه البنادق وصرفت عليها مئات الالوف من الجنيهات أَلحفظها في مخزن ماجقه الحربي في الاستانة فاذا كانت الدولة لم تستفد في الحرب من تلك البنادق التي هي بالحقيقة اصلح واحسن من بنادق هانري مارتيني ومرماها ابعد فمتى تستفيد منها . وقس على ذلك كلامهُ عن القوة البحرية .

وفصول الكتاب عن الحرب نفسها مسهبة مشحونة بالادلة على بسالة الجنود العثمانية ومهارة قوادها في فنون الحرب فنثني على حضرة مؤلفهِ اطيب ثناء

كتاب القواعد الالمانية

(Hartmann, Kleine deutsche Sprachlehre für Araber.)

اتانا من بيت يوليوس كروس بهيدلبرج Julius Groos, Heidelberg نسخة من هذا الكتاب وقد وضعهُ الدكتور هرتمن ليسهّل على ابناء اللغة العربية تعلُّم اللغة الالمانية . ويقول العارفون باللغة الالمانيَّة والعربيَّة انهُ من احسن الكتب لهذا الغرض فنشير على طلاَّب اللغة الالمانيَّة باقتنائهِ

تأسيس النظار

في المسائل التي اختلف فيها الفقهاء ابو حنيفة ومحمد وابو يوسف ومالك ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر وابن ابي ليلى والشافعي لمؤلفهِ الامام ابي زيد عبدالله بن عمر الدبوسي الحنفي المتوفَّى في بخارى سنة ٤٣٠ للهجرة . ويليهِ رسالة الامام الكرخي في الاصول التي عليها مدار فروع الحنفيَّة مع شواهدها ونظائرها للامام ابي حفص عمر النسفي . وقد طُبع في بيروت على نفقة حضرة مصطفى افندي القباني الدمشقي ومحمد افندي الخانجي الحلبي

تقويم ادارة المساحة

اصدرت ادارة عموم المساحة تقويمًا لسنة ١٣٢٠ الهجرية اثبتت فيهِ تواريخ الايام بالحساب الهجري والافرنجي والقبطي والرومي والعبري واوقات شروق الشمس وغروبها واوجه القمر ومطالع الكواكب لكل شهر من شهور السنة

وفي هذا التقويم فوائد جمَّة غير ما تقدم ممَّا تمسُّ الحاجة الى معرفتهِ كالاوقات التي توزع فيها فوائد الديون المصرية والاوقات التي تحصَّل فيها الاموال الاميرية من مديريات القطر والتي يكون فيها امتحان الطلبة

ويلي ذلك دليل عام عن وكلاء الدول في القطر المصري ومكاتب تلفونات الحكومة والمحاكم المختلفة . واحوال الجو في العام الماضي الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة وثمن النسخة منهُ ٢٥ مليمًا

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) الماسونية ومبرّاتها

مصر . احد المشتركين . كثيرًا ما نسمع عن الجمعيَّة الماسونية ان غايتها الرأفة بالمسكين والارملة واليتيم ولكننا لم نسمع بمدرسة للماسون ولا بمستشفى ولا باجزاخانة فاين المال الذي يجمعونهُ ويدعون انهم يوزعونهُ في طرق البر واين المساعدات الادبيَّة والمادية التي تقوم بها الجمعيَّة الماسونية

ج ان اكثر ما ينفقهُ الماسون هو على فقرائهم فاذا افتقر اخ منهم او توفي ساعدوهُ او ساعدوا عيالهُ على قدر طاقتهم ولهم في بعض البلدان مدارس خيرية ينفقون عليها فالماسون في بلاد الانكليز مثلاً انفقوا في العام الماضي نحو ثلاثين الف جنيه على ملاجئ الارامل والايتام ونحو ٢٦ الف جنيه على مدرسة خيرية للصبيان ونحو ٢٨ الف جنيه على مدرسة خيرية للبنات وهذا متوسط نفقاتهم السنوية على هذه الملاجئ وهاتين المدرستين

والماسونية في القطر المصري تنفق على مثل هذه الاغراض ونفقاتها ليست قليلة بالنسبة الى عدد اعضائها والغرض الاعم من الماسونية ليس التصدُّق على الفقراء لان اعضاءها مشتركون في جمعيات اخرى خيرية تتصدَّق على الفقراء بل مساعدة اعضائها بعضهم لبعض وهذا يفعلهُ كثيرون منهم

(٢) اساس الماسونية

ومنهُ . يقال ان اساس الجمعية الماسونية على هذه الكلمات الثلاث الحرية والمساواة والاخاء لكننا نرى بين اعضائها اناسًا لا يفهمون معنى هذه الكلمات فكيف قبلوا في عضويتها

ج ان كان قولكم صحيحًا فتكون الجمعيَّة قد اخطأَت في قبولهم وهي غير معصومة عن الخطإِ ولو كانت تلام لانها لم تجرِ التحري الواجب في اختيار اعضائها

(٣) كرامة الماسونية

ومنهُ . لماذا نرى خدمة الدين من جميع المذاهب يقاومون هذه الجمعية مع انها اخوية مبنيَّة على المحبة ومساعدة القريب

ج حبذا لو وجهتم سؤالكم هذا الى الذين يقاومون الماسون وسألتموهم عن سبب مقاومتهم لهم ونحن واثقون تمام الثقة ان سبب هذه المقاومة سياسي لا ديني والا فالماسونية اقرب الجمعيات كلها الى معاضدة ائمة الدين وغاية ما نتمناه ان يأتي الزمن الذي ينظر فيه الناس الى الجوهر ويتركون العرض فيبتعدون عن كل اسباب العداء والشحناء

(٤) تحريك الطاولة

مصر . توفيق افندي كلداني . لا بدَّ من ان انكم سمعتم عن الطاولات المتحركة فقد كنت بالامس عند جماعة من الاصدقاء فاحضروا طاولة صغيرة ليس فيها مسامير وبعد ان وضع اربعة من الحاضرين ايديهم عليها بضع دقائق جعلت تتحرك من نفسها فسألها الحاضرون ما شاؤوا فتجاوبهم برفع احدى ارجلها على مرات معدودة مثلاً اذا سألها احد عن راتبهِ تجاوبهُ برفع رجلها مرات بقدر الراتب . وحركة الطاولة طبيعية كما شاهدتها انا وغيري ولا تتحرك الاَّ اذا طُلب منها ذلك فارجوكم ان تفيدونا عن حقيقتها او عن سر هذه الحركة وبماذا تعللونها وما هي العلاقة بين فكر السائل وجواب الطاولة

ج كان بين الذين وضعوا ايديهم عليها رجل حرَّكها كذلك إمَّا عمدًا او عن غير عمد . أما التحريك عمدًا فمعلوم واما التحريك عن غير عمد فكيفيتهُ ان بعض الناس يؤثر فيهم ما يفكرون بهِ تأثيرا يجعلهم يحركون ايديهم وارجلهم ونحو ذلك من اعضائهم حركات تطابق المراد وهم غير قاصدين ذلك ولا شاعرين بهِ . واكثر ما يكون هذا في النساء وصغار السن وعصبيي المزاج فاذا اخفى ولدٌ شيئًا وطلب منك ان تعرف اين اخفاهُ ورآك اخطأت في حزرك فذهبت الى غير المكان الذي اخفاهُ فيهِ فانهُ يشير اليك بوجههِ وعينيهِ وحاجبيهِ اشارات كثيرة تدل على انك مخطئ . واذا رآك اهتديت الى المكان الذي اخفاهُ فيهِ وانت ذاهب اليهِ توًّا اشار ايضاً بوجههِ وعينيهِ وحاجبيهِ اشارات الاصابة كانهُ يكلمك بكلام مسموع انك مخطئ في الاول ومصيب في الثاني وهو يفعل ذلك عن غير قصد ومن غير ان يشعر بهِ

وقد اثبت الاستاذ فراداي بالامتحان ان الذين يضعون ايديهم على الطاولة هم الذين يحركونها فانهُ صنع آلة تدل على حركات ايديهم ولو كانوا غير شاعرين بها

(٥) حادثة ناورين

القاهرة . احمد افندي عبد الرحيم المورالي . كم كان عدد السفن العثمانية والمصرية ورجالها التي غدرت بها اساطيل الدول الثلاث الروس والانكليز والفرنسيس ودمرتها في مياه ناورين في ثغور اليونان سنة ١٨٢٧

ج جاء في تاريخ طمسن ان السفن التركية والمصرية كانت ٧٩ سفينة وكان فيها ٢٢٤٠ مدفعاً . واما السفن المتحدة فكانت ٢٦ سفينة فقط وكان فيها ١٣٢٤ مدفعاً ولكن كان فيها عشر بوارج واما السفن التركية والمصرية فلم يكن فيها سوى ثلاث بوارج وكان اكثر الرجال الذين في هذه غير مدربين على الحروب البحرية واما رجال السفن المتحدة فكانوا مدربين عليها . ويظهر من هذا التاريخ وغيره ان تلك الواقعة لم تحدث غدراً وان السفن العثمانية هي التي ابتدأت باطلاق النار فان فرقاطة انكليزية ارسلت قارباً من قواربها الى القائد العثماني تطلب منه ان يأمر بابعاد ست حراقات كانت واقفة في مدخل المرفإ فاطلقت السفن التركية النار عليهِ خطأ وقتلت الملازم فتزروى وكثيرين من البحارة فظنت بقية السفن العثمانية ان الحرب ابتدأت وجعلت تطلق القنابل على السفن المتحدة وكانت الموسيقى الانكليزية تعزف على ظهر السفينة "اسيا" سفينة امير البحر الانكليزي حينما ابتدأ اطلاق المدافع عليها وكاد يغرقها

(٦) البادئ بها

ومنهُ . من من الدول الثلاث اقترحت امر هذا التدمير

ج ذكرنا في جواب السؤال السابق ان الواقعة ابتدأت خطأ ولكن الفريقين كانا مستعدين لها على ما يظهر وكلٌّ منهما ينتظر ان لا يكون هو البادئ . ويظهر من القرائن ان الروس كانوا اشدَّ رغبة من غيرهم في تدمير العمارة التركية ليخلو لهم الجو في البحر الاسود ولكن الدول الثلاث كانت مرتبطة بمعاهدة لندن وهي لا تجيز لها ذلك ولم ترَ اساطيلها سبيلاً لمنع الاساطيل العثمانية مما كانت تفعلهُ في جزائر اليونان الاَّ بحصرها في خليج ناورين

(٧) مطبعة البالوظة

الاسكندرية . احمد افندي كامل مراد . كيف تعمل مطبعة البالوظة بالتوضيح

ج تجدون ذلك في هذا الجزء في باب الصناعة

---

(٨) اولاد آدم

المراغا . قرياقص افندي ميخائيل . قلتم في جواب سؤالي المدرج في الجزء الثالث ان قايين اراد بقولهِ كل من وجدني يقتلني "اناساً من ابناء آدم وان نسل آدم كان قد كثر حينئذٍ" ولكن جاء في العدد ٢٥ من الاصحاح الرابع من سفر التكوين ان حواء ولدت ابناً دعت اسمهُ شيثاً قائلة ان الله وضع لي نسلاً آخر عوضاً عن هابيل لان قايين كان قد قتلهُ . ومن هنا يعلم انهُ لم يولد لآدم ولد الاَّ بعد قتل هابيل فكيف ذلك

ج ان العبارة التي اجبناكم بها ليست

لنا بل هي لعلماء التفسير كما صرّحنا بذلك . فاذا لم تقنعكم فليس اللوم علينا اما قول حواء ان الله وضع لي نسلاً آخر عوضاً عن هابيل فلا يلزم عنهُ انهُ لم يولد لها اولاد كثيرون قبلما كبر قايين وهابيل . ومن الناس من يظن انهُ كان في الارض اناس آخرون غير آدم ونسلهِ وان هؤلاء هم المشار اليهم بقول التوراة "ورأى ابناء الله بنات الناس انهنَّ حسنات" لكن علماء الديانة لا يقبلون هذا الظن

(٩) انبات شعر الاقرع

ومنهُ . سألناكم في سؤال آخر عمَّا اذا كان يمكن انبات شعر الاقرع وما الطريقة فاجبتم عن الجزء الاول من السؤال ولم تذكروا الطريقة التي يمكن انبات الشعر بها

ج يظهر لنا انكم لم تمعنوا نظركم في الجواب فقد قلنا فيهِ انهُ اذا جرى داء القرع مجراهُ الطبيعي وقع الشعر بهِ وتلفت بصلاتهُ ولم يعد انباتهُ ممكناً فاذا كان انباتهُ غير ممكن فكيف نذكر طريقة يمكن انباتهُ بها . واما اذا عولج داء القرع حال حدوثهِ فانهُ يشفى ثم يعود الشعر فينبت من نفسهِ .

---

(١٠) شركات التأمين

قنا . عبد الحليم افندي حلمي . هل شركات التأمين على الحياة غير قابلة للافلاس كغيرها من الشركات فيكون الانسان آمناً على اموالهِ فيها واذا كنت اريد ان أؤمن حياتي على الف جنيه لمدة ثلاثين سنة فكم يجب ان ادفع كل شهر

ج هي معرَّضة للافلاس مثل غيرها ولكن افلاسها قليل جدًّا في هذا الزمان لقلّة الحروب الاوربية ولذلك اغتنت شركات كثيرة واقتنت عقارات ثابتة الريع وصار الخوف من افلاسها قليلاً جدًّا . واذا خاف المرء من افلاس شركة امَّن على حياتهِ في شركتين . اما المبلغ الذي يجب دفعهُ فيختلف باختلاف سنكم الآن ويحسن بكم ان تستعلموا عن ذلك من وكلاء الشركات التي تعلن في المقطم

(١١) نفقات التلامذة

ومنهُ . ان نفقات التلميذ في بلادنا لا تزيد على ثلاثة جنيهات في الشهر عدا اجرة التدريس في المدرسة فهل اذا أُرسل تلميذ الى اميركا او انكلترا وأُرسل اليهِ هذا المبلغ يمكنهُ ان يعيش بهِ

ج كلاَّ لان المعيشة غالية هناك ولا يكتفي التلميذ باقل من اربعة جنيهات او خمسة في الشهر ولكنهُ اذا كان مدبرًا فقد يستطيع ان يعمل عملاً ما في زمن الدرس وفي زمن الفسحة يكتسب بهِ ما يقوم بنفقاتهِ . وكثيرون من الشبان الاوربيين والاميركيين يفعلون ذلك . نعرف قسيساً فاضلاً يخدم ابنهُ في فسحة الصيف في اللوكندات فيكتسب ما يقوم بنفقاتهِ السنة كلها . واخبرنا احد مشاهير الاطباء الاميركيين انهُ تعلَّم العلوم والطب ولم

يأخذ من ابيهِ درهمًا بل كان ينفق على نفسهِ ويدفع نفقات المدرسة من تعب يديهِ مع ان اباهُ من اغنى الاطباء

---

(١٢) رواية ادبية

البياضية . القس ابرهيم جرجس . نقصد تمثيل رواية ادبيَّة في المدرسة الانجيليَّة بالبياضية وقت الامتحان . وقد مثلنا في السنين السالفة الروايات المؤسسة على الحوادث الكتابيَّة كرواية استير ورواية نبوخذنصَّر . ونقصد ان نمثل الآن رواية تظهر اضرار المسكرات او غير ذلك من المواضيع الادبيَّة فهل تتكرمون بارشادنا الى رواية من هذا النوع تفي بالمراد

ج تجدون ما يفي بمرادكم في رواية الاميرة المصرية التي طبعت في مطبعة المقتطف وفي تاريخ الاسكندر الذي طبعناهُ في المقتطف وفي حادثة الملك المنذر الذي قتل نديميهِ وهو سكران وقد وضع المرحوم الشيخ خليل اليازجي رواية تمثيلية لهذه الحادثة الاخيرة سماها المروَّة والوفاء ولكننا لا نظن انهُ اطال فيها في اظهار مضار السكر فيمكن التصرُّف فيها لاظهار مضارهِ . وفي رواية الاميرة المصرية ورواية قلب الاسد التي ترجمناها وطبعناها في مطبعة المقتطف ورواية الشهامة والعفاف التي طبعناها في المقطم وتلي حدة ورواية امير لستر التي ترجمناها وطبعناها في اللطائف حوادث كثيرة يمكن صوغها في قالب الروايات التمثيليَّة الادبيَّة

(١٣) انتقاد التوراة

ومنهُ . كيف اصطلحتم على ترجمة الكلمات التالية critics, high critics, higher critics, modern criticism

ج اتبعنا الترجمة الحرفية فترجمنا criticism بكلمة انتقاد و critic بكلمة منتقد وكذلك modern بكلمة حديث اما الصفة عالٍ وافعل التفضيل اعلى فكنا نتركهما في ما كتبناهُ او ترجمناهُ عن هذا الانتقاد او نستعيض عنهما بكلمة تمحيص ولم ندقق اكثر من ذلك

(١٤) الانتقاد

ومنهُ . هل كتبتم في السنين الماضية من المقتطف شيئًا عن جماعة الـ Critics هؤلاءِ وهل يمكنكم النظر في شأنهم من جهة علمية

ج انا لم نكتب شيئًا الاَّ عرَضًا ويعسر علينا ان نكتب كتابة مسهبة في هذا الموضوع لاننا عرفنا بالاختبار ان جمهور القراء يسيء فهم ما نكتبهُ فيهِ . ثم ان هذا النوع من الانتقاد لم يقف حتى الآن على اسس ثابتة يمكن الاعتماد عليها والاقتناع بانها لا تتغير قريبًا

---

(١٥) علاج الزهري

ن . م . احد المشتركين . . .

ج يظهر من وصفكم ان داء الزهري لم يزل

كامناً في جسمكم تعاودكم اعراضهُ حيناً بعد آخر وهذا اكبر دليل على ان المعالجة لم تتم فيكم فلا بد لكم من تعاطي الدواء مدة طويلة ربما تمتد الى اكثر من سنة . وتعاطي يودور البوتاس وحدهُ ليس بكافٍ لشفاء هذا الداء ولا بد من الرجوع الى تعاطي الزيبق مع اليودور . اما تعاطيكم الحديد البرافية فلا يخلو من الفائدة لتقوية الجسم تقوية عمومية ولكن الافضل ان تأخذوا الحديد مركباً مع الزيبق كما في حبوب ضد الزهري تركيب معمل اب جون ثلاث حبات من هذه الحبوب كل يوم مدة اسبوعين ثم تنقطعوا عنها في الاسبوع الثالث وتأخذوا فيهِ حبوب يودور البوتاس وتعودوا اليها في الاسبوعين الرابع والخامس وهكذا الى ان يشفى المرض تماماً . ويجب ان تمتنعوا عن الزواج قبل الشفاء التام

اما الدلك بالزيبق فلا يعوَّل عليهِ ولا يستحسن اذا استطاع العليل اخذ الزيبق من الداخل

(١٦) تقوية الدم

ومنهُ . انني استعملت كثيراً من الادوية المقوية للدم وخصوصاً الحديد وحسن التغذية ولكن صحتي لم تزل على غاية الضعف فهل من وسيلة اخرى تقوي جسمي غير الادوية وهل من فائدة للدواء المسمَّى كوردبال

ج لا شبهة في ان الحديد من افضل المقويات الدموية ولكن يفضل ان يعطى مركباً مع ادوية اخرى تزيد فائدتهُ وتقلل ضرر الامساك الناتج عن استعمالهِ وحدهُ فاذا اخذتم حبوب الحديد المركبة مع الصبرين ترون منها نتيجة حسنة جداً وهي مركبة من الحديد وكربونات البوتاس وخلاصة جوز القيء والصبرين والحمض الزرنيخوس ولكل من هذه العقاقير فوائد تضم الى الفائدة العائدة من الحديد وحدهُ فتتم بذلك الفائدة العامَّة المطلوبة ولا بدَّ من الانتباه الشديد الى الرياضة البدنية واستنشاق الهواء النقي وملاحظة الغذاء وجميع الوسائط الهيجينية . اما الدواء المسمى كوردبال فهو نوع من الادوية المجهولة التركيب فلا يشير بهِ طبيب ما لم يعرف تركيبهُ

(١٧) دخول الوباء مصر

كفر طما . احمد افندي محمد زرفت .

قال احد الثقاة عن دخول الوباء الى مصر انهُ يدخلها في كل سنة اولها ثالثة مثلثة فهل لذلك من صحة

ج مقتضى هذا القول ان يدخل الوباء مصر مرة كل عشر سنوات مثلاً ١٢٠٣ و١٢١٣ و١٢٢٣ و١٢٣٣ و١٢٤٣ الخ والواقع ليس كذلك كما لا يخفى . اما سؤالكم عما قيل في كتاب الاغاني فاخبرونا في اي جزء واي صفحة ورد ما تشيرون لكي ننظر فيهِ وكذلك اخبرونا اين قرأتم عن ذكر اعمال هرقل الاثني عشر



هبات اميركية جديدة

وهب المستر جون ركفلر مدرسة شيكاغو الجامعة مليونًا وربع مليون من الريالات في غضون السنة المدرسية الحالية. ووعد مدرسة هارفرد الطبية بمليون ريال اذا وهبها غيره ٧٦٥ الف ريال فلم يمض اسبوعان على وعده هذا حتى وهبها البعض ٨٢١ الف ريال فاستحقت هبة ركفلر حالاً. ووهبت مسز هنتنجتن هذه المدرسة ٢٥٠ الف ريال لتنشئ بها دارًا للبحث الباثولوجي والبكتيريولوجي تذكارًا لزوجها ووهبها المستر ستلمن مئة الف ريال. ووهب المستر ركفلر مدرسة كولمبيا الجامعة ٢٥٠ الف ريال على شرط ان يهبها غيره ٢٥٠ الف ريال أُخرى. واوصى المستر جورج سمث باربعمئة وخمسين الف ريال لمدرسة هارفرد الجامعة واوصى لها المستر بلنجس بمئة الف ريال والمستر هوبلوك بمئة الف ريال وهذا الاخير اوصى بمئة الف ريال لمدرسة كلارك الجامعة. واوصى المستر بلنجس بمئة الف ريال لمدرسة مستشوستس الصناعية وبمئة الف ريال لمتحف بوستن. ووهب المستر كارنجي مدرسة وستر الجامعة مئة الف ريال ووهبها المستر سفرنس خمسين الف ريال .

ولا يكاد يمرُّ اسبوع الاَّ وتنشر جريدة العلم الاميركية خبر هبات جديدة يهبها اغنياء اميركا لمدارسها

حرارة الشمس

بعث الاستاذ تشراس ولسن الى الجمعيَّة العلمية يقول انهُ وجد بالبحث المدقق ان حرارة الشمس تبلغ ٦٢٠٠ درجة بميزان سنتغراد والمرجح ان جو الشمس قد امتص منها نحو اربع مئة درجة فكانت على سطح الشمس ٦٦٠٠ درجة

فكتوريا نيانزا

اتمَّ الانكليز مسح بحيرة فكتوريا نيانزا أو مسح نصفها الخاص بهم بعد ان اشتغلوا بذلك ثلاثة عشر شهرًا فوجدوا فيها كثيرًا من الجزائر الكبيرة والصغيرة وكلها آهلة بالسكان وبعضها مزدحم بهم ازدحامًا وطول القسم الذي للانكليز من الشرق الى الغرب ١٣٥ ميلاً وعرضهُ من الشمال الى الجنوب ٩٠ ميلاً ما عدا الخليج الشرقي وطولهُ اربعون ميلاً. والعواصف شديدة في هذه البحيرة وفي بعض جزائرها سكان متوحشون جدًّا

قطع الصحراء بالبالون

يهتم بعض الفرنسويين الآن بعمل بالون كبير يقطعون بهِ صحراء افريقية من تونس الى النيجر معتمدين على الرياح الشمالية الشرقية ويكون في هذا البالون حوض كبير من الماء يصبُّ بعض الماء منهُ اذا اريد تخفيفهُ ويكون فيهِ حبل طويل من الاسلاك المعدنية يجرُّ وراءهُ حتى يبقى متصلاً بالارض وكأَن الغرض منهُ قطع الصحراء على بعد قليل فوق الارض

الوحوش والموسيقى

امتحن فعل الموسيقى بالوحوش في بستان الحيوانات بالمانيا وكانت الآلة الكمنجة فالاسود خافت من صوتها واشبالها طربت ومالت الى الرقص والضباع اضطربت والقرود استغربت والذئاب سُرَّت وظهرت كأَنها تطلب المزيد والنمور لم تعبأ بشيءٍ

آلة كهربائية شمسية

اشار بعضهم ان تصنع آلة لتوليد الكهربائية بالحرارة على مبدإِ الترمويل اي يكون فيها رصيف من معدنين مختلفين لتولد منها الكهربائية اذا احميت من احد طرفيها وان توضع في مكان تقع عليها فيهِ اشعة الشمس فتسخن وتتولد منها الكهربائية حتى اذا كانت قوة الكهربائية جزئين في المئة من قوة حرارة الشمس تكون كافية لادارة الآلات

محراث غتلنج

اخترع المستر غتلنج مخترع المدفع الكثير الطلقات محراثًا بخاريًّا يقوم مقام ثلاثين زوجًا من المواشي واذا اشعل فيهِ الغازولين لا تزيد نفقاتهُ على ريالين في اليوم ويمكن ان يحرث الارض ويزرعها في وقت واحد وقد أُلِّفت شركة في مدينة سنت لويس باميركا لعمل هذا المحراث

تخدير النبات

استنبط احد علماء الالمان عقارًا اذا حقن بهِ النبات قرب جذورهِ خدر وتوقف نموهُ ولم يعد يتأَثر من حرّ ولا من برد فيبقى حيًّا ولكنهُ لا يكبر بل يبقى على حالهِ. ولم يكشف سرُّ هذا العقار حتى الآن

النفع من النفاية

لما كان المسيو سنتوس ديمون يمتحن بالونهُ السادس في موناكو قام عليهِ اهل البلد وادَّعوا انهُ سمَّم البحر امام مدينتهم بما طرحهُ فيهِ من فضلات المواد الكيماوية التي استخرج الغاز منها ومنعوهُ من طرحها فيهِ ايضًا لئلا تميت السمك وبعد البحث المدقق ظهر ان هذه الفضلات كانت تنحل بماء البحر فيرسب فيهِ منها اكسيد الحديد وهو نافع للسمك ولا ضرر منهُ على الاطلاق ولما ثبت لهم ذلك اباحوا لهُ ان يطرح في البحر ما يشاءُ من هذه النفايات.

سكان مصر الاقدمون

لا تنتهي غرائب هذا القطر فبينا كنا نحسب المكتشفات الجيولوجية التي كشفت في صحراء الفيوم ووصفناها في هذا الجزء اعظم ما يمكن ان يكشف فيهِ علمنا انهُ كشفت في جرجا مقبرة قديمة فيها بقايا اناس سكنوا هذا القطر في ازمان مختلفة مدة ثمانية آلاف سنة على الاقل . وهي اجسام حفظت من البلى بسبب جفاف الهواء ولم يزل الشعر في بعضها والاظافر والعضلات والاعصاب والدماغ ظاهرة كلها وفي جثتين منها بقيت الاعين وعدسيادتها ظاهرة ايضاً يسهل تمييزها ولو كانت قد جفّت جفافاً تاماً. ومن هذه الجثث ما هو قديم جداً كما تقدَّم ومنها ما هو حديث بالنسبة اليهِ من عهد الدول الخمس عشرة الاول من الدول المصرية ومنها ما هو احدث منهُ من عهد البطالسة والرومانيين. اكتشف هذه المقبرة الدكتور ريزنر من مدرسة كليفورنيا الجامعة باميركا وبحث فيها الدكتور اليوت سمث استاذ التشريح في مدرسة قصر العيني الطبيَّة بحثاً تشريحيَّا وسيطبع تقرير مسهب عنها في مطبعة لبسك بالمانيا موضح بالصور الكثيرة فنأتي على خلاصتهِ حين نشرهِ

اقدم كتابة

يقال ان اقدم كتابة عثر عليها الباحثون عن العاديَّات حتى الآن كتابة صورية على قطعة من الخزف وجدت في خرائب مدينة نبور يمتد تاريخها الى سنة ٤٥٠٠ قبل التاريخ المسيحي

حفظ الزبدة بالصمغ العربي

بيَّن المسيو اميل مليستر البلجي ان الصمغ العربي يحفظ الزبدة من الفساد وذلك بان يذاب في الماء ويضاف اليها قليل منهُ وتمزج بهِ جيداً . فاذا شاع استعمال الصمغ العربي لحفظ الاطعمة من الفساد عاد ثمنهُ الى الارتفاع بعد هبوطهِ

اطول خطوط التلفون

باريس مركز خطوط التلفون الطويلة فانها ممتدة منها الى لندن وهمبرج وبرلين وتورين وميلان . وطول الخط من باريس الى برلين ٦٣٥ ميلاً وهو اطولها ومن باريس الى همبرج نحو ذلك ومن باريس الى تورين ٣٧٥ ميلاً ومن باريس الى ميلان ٤٧٠ ميلاً . والخط من برلين الى كولون طولهُ ٣٧٥ ميلاً فاذا اراد احد ان يتكلم من باريس الى كولون تكلم بطريق برلين واتصل الخطان فصار منهما خط واحد طولهُ الف ميل

السبق للمتوحش

استنبط احد الاميركيين اسلوباً للف الحبال حتى تكون كبَّة واحدة اسطوانية لا تنحل من نفسها وسجّل استنباطهُ هذا ثم ظهر ان في دار التحف المجموعة من اقطار المسكونة كبّتين

من الحبال ملفوفتين وهما مما صنعهُ اهالي فيجي ولقوهُ منذ سنين كثيرة وعليهِ فهذا الاستنباط قديم سبق اليهِ اهالي فيجي المتوحشون. وللمادرى ديوان الامتياز بذلك نزع الامتياز من المستنبط الاميركي لان غيره سبقهُ الى هذا الاستنباط

باب الاختراع

قالت السينتفك اميركان ان نفايات المسالخ صارت الآن تساوي ثمن اللحم بعد ان كانت اقذار يُنفَق المال على التخلُّص منها. وان الفضلات الحامضة التي تخرج من زيت البترول وقت تنقيتهِ صارت الآن تفي بكل النفقات اللازمة لتنقيتهِ والفضل في ذلك لاهل الاختراع والاكتشاف. ولا يزال الباب مفتوحاً لاختراعات كثيرة تغني اصحابها مثل اختراع مادة تقوم مقام جلد الاحذية ومادة تقوم مقام الصمغ الهندي وهلمَّ جرًّا

مخترع عيدان الفصفور

ثبت الآن ثبوتاً ينفي الريب ان مخترع عيدان الفصفور صيدلاني انكليزي اسمهُ جون ووكر اخترعها اولاً سنة ١٨٢٧ ولم يسجل اختراعهُ وكان يبيع الصندوق الصغير بسبعة غروش ويصنع مزيج الفصفور بيدهِ

ربح المخترعين

قالت جريدة السينتفك اميركان ان الذي اكتشف طريقة اغلاء السكَّر في الفراغ وقت تنقيتهِ اكتسب من هذا الاكتشاف ما بين اربعين وخمسين الف جنيه كل سنة مدة الامتياز والذين صنعوا الشماسي اولاً ربحوا منها مليونين من الجنيهات. والذي استنبط اللعبة المعروفة باسم جون جلبن ربح منها عشرين الف جنيه كل سنة مدة امتيازهِ والذي خطر لهُ وضع قمع الصمغ الهندي على طرف اقلام الرصاص ربح من ذلك عشرين الف جنيه كل سنة. والذي صنع قطعة النحاس التي توضع على كعوب الاحذية باع منها في سنة واحدة ١٤٣ مليون قطعة ربح منها ٢٣٠ الف جنيه

الخسوف الكلي

خسف القمر خسوفاً كليًّا في ٢٢ ابريل الماضي كما انبأنا في الجزء الرابع فطلع مخسوفاً بالطليل لكنهُ كان مشرقاً على جاري عادتهِ وابتدأ الخسوف الحقيقي اي اول دخول القمر في ظل الارض الساعة السابعة وتم الخسوف الكلي الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة لكن القمر بقي ظاهراً كأنهُ محجوب بالضباب لاغير وطرفهُ الغربي الجنوبي يكاد يكون منيراً وابتدأ الانجلاء الساعة التاسعة والدقيقة ٣٥ وتمَّ الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ اي خرج القمر كلهُ من مخروط ظل الارض. وقد طبَّل بعض العامَّة وجلبوا على جاري عادتهم ولكن يظهر انهم فعلوا ذلك على سبيل اللعب والهزل لا خوفاً على القمر كما كان يفعل اسلافهم

كسوف الشمس

ستكسف الشمس كسوفًا جزئيًا في السابع من هذا الشهر (مايو) لا يظهر في القطر المصري

حروف مطابع الصين

يشكو جامعو الحروف العربية من كثرة اشكالها لانك تجد في الصندوق الواحد من صناديق الحروف اكثر من الف بيت للجنس الواحد من الحروف فان لحرف الميم مثلاً خمسة عشر نوعًا وهي م م م م م ـمـ ـم ـمـ ـم ـمـ ـمـ ـمـ ـمـ ـمـ ولكن شكوانا لا تذكر في جنب شكوى الصينيين فان الصندوق الذي يسع الحروف الصينية يكون فيهِ احد عشر الف بيت لانواع العلامات المختلفة التي تتركب منها الكتابة الصينية واذا عرضت امام مرتب الحروف كلمة ليس لها علامة عندهُ اضطرَّ ان يصنع لها العلامة المناسبة لها فلا عجب اذا كانت كتابة الصينيين من جملة العوائق التي تعيق تقدمهم واقتباسهم العلوم الحديثة

سبك الحديد بالكهربائية

كنا كلما نظرنا في امر مناجم الحديد في جبل لبنان نأسف لانهُ ليس فيهِ فحم حجري صالح لسبك الحديد منها ولا فيهِ وقود كافٍ لذلك مع ان مناجم الحديد التي فيهِ تعدُّ من اغنى المناجم بكثرة حديدها . اما الآن فيظهر لنا ان هذه المسألة يمكن حلّها على اسهل سبيل وذلك ان على مقربة من مناجم الحديد ينابيع غزيرة الماء كنبع صنين ونبع العسل ونبع اللبن ومياهها تنحدر في بعض الاماكن من ارتفاع شاهق فيمكن توليد قوة منها تقدَّر بمئات من الاحصنة والقوة تتحول الى كهربائية بسهولة والكهربائية تستخرج الحديد من مناجمهِ بما يعرف بالاتاتين الكهربائية فقد جاء في جريدة صدى المعادن والتعدين Echo des Mines et de la Métallurgie انهُ اقيمت ثلاثة اتاتين كهربائية في شمالي ايطاليا قوة كلٍّ منها خمس مئة حصان لاستخراج الحديد . وتبلغ نفقات استخراج الطن من الحديد بهذه الاتاتين ١٨ فرنكًا لا غير

البترول بدل الفحم الحجري

استُعمل البترول بدل الفحم الحجري في بعض السفن التجارية منذ بضع سنوات ولكن السفن التي تقطع الاوقيانوس الكبير لم تستعملهُ الا الآن فقد استعملتهُ الباخرة موركس وسارت بهِ من سنقافورة في اقصى المشرق الى مدينة لندن مارّة برأس الرجاء الصالح فقطعت مسافة ١١٨٣٠ ميلاً او نحو اثني عشر الف ميل وكانت تحرق كل يوم نحو ثمانية عشر طنًّا ولو استعملت الفحم الحجري لاضطرَّت ان تحرق كل يوم نحو اربعة وعشرين اوخمسة وعشرين طنًّا من فحم ولش اومن ثلاثين الى اثنين وثلاثين طنًّا من الفحم الياباني . فمن

استعمال البترول اقتصاد كبير في الوزن والحجم فوق الاقتصاد في العمل

الاسيتيلين

لا يزال استعمال الاسيتيلين لانارة البيوت غير خالٍ من الخطر فقد شاهدنا الآن صورة بيتين كبيرين انفجر الاسيتيلين فيهما فخربهما وقتل بعض سكانهما ولكن يقال ان الاسلوب الذي استنبطهُ الخواجات كلود وهس منذ بضع سنوات وهو اذابة الاسيتيلين بالاسيتون يزيل خطرهُ او يقللهُ كثيرًا

سباق الاوتوموبيل

ستتسابق مركبات الاوتوموبيل في اواخر شهر يونيو المقبل بين باريس وفينا فتقوم من باريس في ١٧ يونيو وينتظر ان تصل الى فينا قبل ٢٩ يونيو . ثم تعرض المركبات في فينا وتعطى الجوائز للسوابق منها . وقد دعت حكومة البوسنه والهرسك اصحاب هذه المركبات لزيارتها بعد ما تصل الى فينا

الصناعة الفرنسوية والاميركية

المشهور ان الصناعة الفرنسوية اكثر اتقانًا من كل صناعة غيرها لكن الفرنسويين يعرفون مواقع الضعف في صناعتهم ويعرفون ان الاميركيين سبقوهم في اتقان المصنوعات وترخيص ثمنها ولذلك عزموا ان ينشئوا لهم مدرسة صناعية في قلب اميركا في مدينة فيلادلفيا يذهب شبانهم اليها ويتعلمون فيها الاساليب الاميركية لعمل المصنوعات على انواعها

اوتوموبيل سلطان مراكش

اطلعنا على صورة الاوتوموبيل الذي صنع لسلطان مراكش وصورتهِ جالسًا فيهِ وهو يسير بالغازولين وفيهِ آلة لتبريد الهواء ويقال ان لون دهانهِ اخضر وانهُ مفروش من الداخل بافخر انواع الحرير

صورة المسيح

في كنيسة تورين الكبرى كفن قديم يقال انهُ كفن السيد المسيح نُقل من المشرق الى اوربا في القرن الرابع عشر وعليهِ صورتان يقال انهما صورتا وجه المسيح وظهرهِ وانهما ارتسمتا فيهِ من تجرُّد ذاتهِ بيد . وقد صُوّر هذا الكفن حديثًا تصويرًا فوتوغرافيًّا وظهر الرسمان في صورتهِ ووقعت صورة في يد المسيو ڤنيون فرأى بعد امعان النظر ان الرسمين اللذين في الكفن لا يمكن ان يرسما فيهِ الاَّ بطريقة مثل طريقة التصوير الشمسي ثم جرَّب تجارب كثيرة ليرى ما هي المواد التي اذا دُهن بها النسيج ترسم عليهِ صورة ما يُلَفّ بهِ فوجد انهُ اذا دهن نسيج بالمر كما دهن كفن المسيح فالابخرة التي تصعد من الجسد تؤَثر في المر وتولد فيهِ صورة مثل الصور الفوتوغرافية هذا ومن المقرَّر الآن ان كل جسم اتَّصل بسطح يمكن التأثير فيهِ فوتوغرافيًّا مثل سطح

الواح الجلاتين الحساس اثَّر فيهِ كما يؤثر نور الشمس ولو كانا في الظلام الدامس ومذهب المرّ من هذا القبيل فيمكن ان يتأكد باتصال جسم الميت بهِ وترتسم عليهِ صورتهُ كما ترتسم الصور على الالواح الفوتوغرافية فمن المحتمل علميًّا ان تكون هاتان الصورتان حقيقتين

اتحاد شركات البواخر

اهم الحوادث التي حدثت في الشهر الماضي اتحاد كثير من شركات البواخر التي تسير بين اوربا واميركا وهذا الاتحاد سيغني الذين دبَّروهُ ويقلل نفقات الادارة ولكنهُ يضيف الاموال التي تعطى لمدبريهِ ومديري الشركات الى رأس المال فيقل الربح الذي يوزَّع على المساهمين فاذا كان رأس المال الذي يوزع عليهِ الربح الآن مليونين من الجنيهات واخذ مدبر هذا الاتحاد واصحاب الشركات مليونًا آخر حتى اتموا هذا الاتحاد فلا بدَّ من ان يوزع الربح بعد الآن على ثلاثة ملايين لا على مليونين فيقل ما يصيب السهم الواحد اكثر مما يُقتصد بتوحيد الادارة ولذلك فكبار علماء الاقتصاد لا ينظرون الى هذا الاتحاد بعين الرضى لانهُ يغني اناسًا قليلين على نفقة جمهور كبير من الناس

الاهتمام بداء السرطان

اهتمَّ الانكليز في هذه الاثناء اهتمامًا عظيمًا بداء السرطان ووعد البعض باعطاء مئة الف جنيه لينفق ريعها على البحث عن اسبابهِ وطرق علاجهِ ويحتمل ان هذا المال يزاد كثيرًا ويقسم اقسامًا ينفق قسم منها كل سنة الى ان يوصل البحث الى السبب الحقيقي الذي ينتج عنهُ هذا الداء الخبيث لمنعهِ قبل حدوثهِ والى العلاج الذي يشفيهِ بعد حدوثهِ

احوال الجو في الشهر الماضي

اعلى درجة وصلت اليها الحرارة في القطر المصري في الشهر الماضي (ابريل) ٤٢ في اصوان في ١٧ و ١٨ منهُ واوطأ درجة ٨ في الجيزة في الرابع والخامس والثالث والعشرين واعلى درجة وصلت اليها الحرارة في السودان ٥٩ في الدويم في ٢٤ الشهر واوطأ درجة ١٢ في وادي حلفا في اول الشهر. ومن ١٧ ابريل الى آخر الشهر كان اعلى درجات الحرارة في الدويم من ٥١ الى ٥٣ ثم وقعت الامطار هناك في الثلاثين من الشهر

حديقة الحيوانات في الجيزة

أُضيف الى حديقة الحيوانات في الجيزة في الشهر الماضي ٢٧ حيوانًا من ذلك ذكر من نوع الادكس. وهو من اندر انواع بقر الوحش. ولعلَّهُ الحيوان الوحيد الموجود الآن في حدائق الحيوانات أُتي بهِ من دنقله واهداه البكباشي هدمن. وأُروية من دنقله ايضًا اهداها الميرالاي مكرل بك . وقنفذة ذات قبَّرة من كردفان اهداها البكباشي قيصر الحاج

وقرد سوداني اهداه ُ الدكتور بتر وقرد هندي اهداه ُ المستر الفرد دايل واشترت ادارة الحديقة فهداً ونمراً من السودان وبعض الغزلان والمعزى البرية

العلم والمتفرقعات

مما يذكر بالاسف الشديد ان العلم يستعبد احياناً كثيرة للمصالح الزمنية . ولا يظهر ان هذه الحال تتغير في المستقبل القريب بل قد ظهر من حرب الترنسفال ان الامة الانكليزية التي كان رجالها عموماً وعلماؤها خصوصاً يقبحون الحروب وينادون بوجوب ابطالها صارت تشغل علماءها بالبحث عن المتفرقعات المهلكة وكتم ما يُعرَف عنها ولو كان فيهِ حقائق علمية لكي تستأثر باستعمالها فتزيد حولاً وطولاً . فقد كُتب الى حكومتها من جنوبي افريقية ان الكُرْدَيْت الذي يستعمل الآن في المدافع بدل البارود لانهُ اشد منهُ فعلاً يتلف حديد المدافع ولا يؤمن جانبهُ لانهُ قد يتفرقع على غير انتظار فانتدبت لجنة من اكبر علمائها للبحث عن ذلك وهم اللورد رَيْلي والسر اندرو نوبل والسر وليم كروكس والسر روبرتس اوستن واسماؤُهم كلهم مشهورة عند قرَّاء المقتطف . فبحثت هذه اللجنة بحثاً مدققاً فوجدت ان الكردَيْت يتلف حديد المدافع كما قيل ولا يسهل حفظهُ في اقاليم مختلفة ثم اشارت باستعمال مادة اخرى شديدة الفعل مثلهُ وخالية من عيوبهِ وتركيب هذه المادة سرٌّ مكتوم مثل تركيب الكردَيْت . وسيقر القرار على ابقاء هذه اللجنة للبحث على المتفرقعات فتستبدل خدمة العلم بخدمة الحرب . ولكن يقال انهُ لاشيء يبطل الحرب مثل اتقان آلات الحرب حتى يرى الناس ان لا قبل لهم بمقابلتها فيضطر الضعيف ان يسلم للقوي من غير قتال

ضرر طوابع البريد

اثبتت جريدة اللانست الطبية ان بعض الناس اصيبوا بامراض عضالة كتسمم الدم ونحوهِ من بلهم طوابع البريد بالسنتهم

استئصال الجرذان

رأت ادارة الصحة في المانيا ان لا بدَّ من استئصال الجرذان من البلاد كلها لكي تأمن غائلة الامراض التي تنتشر بواسطتها وقد انتدبت الدكتور كوخ لاستئصال الجرذان من كل الموانئ الشرقية

المستشفى المدرسي

أُنشئ مستشفى في شيكاغو باميركا يعالج فيهِ اولاد الاغنياء الضعاف البنية بالغذاء والرياضة حتى تقوى ابدانهم ويزول ما بهم من الضعف العصبي

المدفع الكهربائي

حاول كثيرون قبل الآن عمل مدفع كهربائي تدفع قنابلهُ بالكهربائية لا بالبارود

فلم يفلحوا ولكن جاء في السينتفك اميركان ان استاذاً نروجياً صنع مدفعاً كهربائياً مغنطيسياً وجربهُ في مدينة كرستيانا عاصمة نروج فوفى بالغرض وكانت قنبلتهُ تندفع منهُ من غير بارود ومن غير صوت ولا يسمع لها صوت الاَّ حينما تصيب الغرض. وكان وزن القنبلة رطلاً فقط والغرض لوح من الخشب فخرقتهُ خرقاً ويقال ان المخترع يستطيع ان يطلق القنبلة التي وزنها الف رطل ويقذفها الى ابعد ما تصل اليهِ بقوة البارود فاذا صحَّ ذلك كان من اقوى المغيرات لاحوال الحروب

اسرع سكك الحديد

يراد انشاء سكة حديدية جديدة بين مدينة ادنبرج ومدينة غلاسكو يقطعها القطار في ٢٩ دقيقة والمسافة ٤٩ ميلاً فتكون سرعتهُ ١١٧ ميلاً في الساعة

بالون سڤرو

يظهر ان البرازيليين سينالون قصب السبق على كل الامم في عمل البالون فقد قام رجل برازيلي آخر في باريس اسمهُ سڤرو وصنع بالوناً اصلح من بالون سنتوس ديمون من كل وجه لان مركبتهُ متصلة بكيسهِ اتصالاً متيناً كأنهما قطعة واحدة وطول البالون ٩٣ قدماً وعرضهُ الاطول ٣٨ قدماً وهو كمثري الشكل يسع سبعين الف قدم مكعبة من الغاز ويستطيع ان يحمل نفسهُ ويحمل ايضاً ٣٥٠٠ رطل ولهُ في وسطهِ ثغرة يستقرُّ فيها الجزء الاعلى من المركبة وطول المركبة ٤٦ قدماً وعرضها ثلاث اقدام وفيها آلتان بخاريتان صغيرتان في طرفيها وتحيط بالكيس والمركبة قدد من نسيج متين تمسكهما معاً. ويملأ كيس هذا البالون بغاز الهيدروجين

اشعة رنتجن والسل

ورد في تلغراف من شيكاغو انهُ قد ثبت بالتجربة ان اشعة رنتجن تقتل الجرثومة الحويصلية في البيضة فلا تفرخ بعد ذلك. وان المجربين يستنتجون ان الشفاء من السل والسرطان بهذه الاشعة يكون دائماً لا وقتياً

الكهربائية ودماغ الانسان

ظهر بالامتحان ان المجاري الكهربائية تؤثر في دقائق الدماغ تأثيراً يسمع لهُ صوت احياناً ويقال ان ذلك هو سبب ما يشعر بهِ البعض من الخفقان وقتما يرون وميض البرق

حجم الراس وقوَّة العقل

بحث الدكتور كارل بيرصن عن النسبة بين حجم الراس وقوة العقل في تلامذة مدرسة كامبردج الجامعة فوجد انهُ لا يمكن الاستدلال على قوة العقل من حجم الراس اي ان اصحاب العقول الكبيرة تكون رؤُوسهم كبيرة او صغيرة على حدٍّ سوى وكذلك اصحاب العقول المعتدلة تكون رؤُوسهم كبيرة او صغيرة

دين حكومات اوربا

اذا قسم دين الحكومات المختلفة على عدد النفوس فيها خصَّ النفس في كلٍ منها ما ترى في هذا الجدول

	جنيه	شلن
في البرتغال	٣١	١٢
« فرنسا	٣٠	١٧
« اسبانيا	٢٠	٦
« هولندا	١٨	١١
« بريطانيا	١٦	١٣
« ايطاليا	١٥	١١
« بلجكا	١٥	١١
« اليونان	١٢	١٧
« المجر	١١	٥
« مصر	٩	١٤
« رومانيا	٩	١٣
« السرب	٦	١٥
« روسيا	٦	٣
« تركيا	٦	١
« اميركا	٥	١٨
« النمسا	٥	١٥
« نروج	٤	١٩
« الدنمارك	٤	١٦
« اسوج	٣	١٣
« البلغار	٢	١٥
« المانيا	٢	٢
في اليابان	١	٣
سويسرا	١	٢

وعليهِ فاثقل دين الحكومة على السكان في بلاد البرتغال وفرنسا واسبانيا واخفهُ في سويسرا واليابان والمانيا ولكن لا بدَّ من اعتبار ثروة السكان ايضاً لان الشعب الكثير الثروة لا يستثقل الدين كالشعب القليل الثروة

بوارج الدول

عند الدول الحربية الآن من البوارج التي من الدرجة الاولى والبوارج التي من الدرجة الثانية والجوالات المدرعة والجوَّالات الكبيرة الموقية ما ترى في هذا الجدول وقد عبَّرنا عن البوارج بحرف ب وعن الجوَّالات المدرعة بحرف جم وعن الجوَّالات الموقية الكبيرة بالحروف جمك

	ب ١	ب ٢	جم	جمك
بريطانيا	٢١	١٢	٦	٢٠
فرنسا	٥	٧	٨	٣
روسيا	٢	١٥	٢	٢
المانيا	٦	٤	٢	٠
اميركا	٥	٤	٠	٤
اليابان	٤	٢	٦	٠
ايطاليا	٠	٣	٧	٢

ويُرَى من ذلك ان عند بريطانيا من البوارج الكبيرة التي من الطبقة الاولى ٢١ بارجة وعند سائر الدول البحرية ٢٢ بارجة .

وعند بريطانيا من الجوّالات الكبيرة الموقية ٢٠ جوّالة وعند سائر الدول ١١ جوّالة . اما البوارج التي من الدرجة الثانية فعند روسيا منها اكثر مما عند انكلترا وكذلك الجوّالات المدرعة عند فرنسا منها اكثر مما عند انكلترا . ثم ان انكلترا تبني الآن ست بوارج من الدرجة الاولى وثماني جوّالات مدرعة

الانتقاد او التحليل

سألنا سائل كريم عن كيف نترجم higher criticism. فاجبناهُ في باب المسائل في هذا الجزء انا جرينا على ترجمة هاتين الكلمة بكلمة الانتقاد او الانتقاد المحص ونرى الآن اننا لو استعملنا كلمة تحليل لهذا المعنى لكانت اقرب الى المراد لان الغرض من هذا الانتقاد البحث عن كتب التوراة من حيث تأليفها وتاريخها وصحة ما جاء فيها وقد غالى علماء الالمان في هذا الموضوع وتابعهم بعض الانكليز والاميركيين . وكتب القس تشين في جزء يناير من مجلة القرن التاسع عشر مقالة مسهبة مبنية على كتاب للعالم ونكلر الالماني قال فيها ان ابرهيم واسحق ويعقوب اسماء معبودات قمرية وضعها الذين كانوا يعبدون القمر وان سارة زوجة ابرهيم هي ابنة القمر ولذلك فهي اخت ابرهيم وان معنى اسم لابان حمي يعقوب القمر ومعنى ليئا وراحيل الهلال والبدر ومعنى دينة ابنة ليئا الزهرة وهي واخوتها الستة اسماء ايام الاسبوع . ويوسف معبود شمسي وكذلك داود وشاول اسمان لمعبود قمري وهلم جرًّا من المزاعم التي يصح ان يطلق عليها اسم التحليل او التضليل

هدايا البابا

تقدَّر قيمة الهدايا التي أُهديت الى قداسة البابا في عيد يوبيلهِ بمليونين من الجنيهات ومنها الماسة الكبيرة التي اهداها اليهِ الرئيس كروجر وثمنها ثمانمئة الف جنيه وهي اكبر ماسة في الدنيا ومنها خاتم من جلالة السلطان ثمنهُ عشرون الف جنيه .

السل والنور الازرق

جاء في احدى الجرائد النمسوية ان ميكروب السل الرئوي يموت بالنور الازرق في نصف ساعة فيجمع النور الكهربائي الساطع بعدسية زرقاء على صدر المسلول فتخرقهُ اشعة النور الازرق حالاً وتمر على ميكروب السل في رئتيهِ وتقتلهُ . ولم يذكر في هذه الجريدة فعل النور الازرق بخلايات الجسم لعلها تقتلها كما تقتل ميكروب السل فيكون ضررها اعظم من نفعها

القطن المصري

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن المصري حتى آخر ابريل ٦٤٤٥٠٩٥ قنطاراً يقابلها في العام الماضي ٥٠٥٩٢٥١ قنطاراً فقد ثبت الآن ان الموسم الاخير بلغ ستة ملايين ونصف مليون من القناطير .

فهرس الجزء الخامس من المجلد السابع والعشرين



مجلّة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة
وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلّد السابع والعشرون

الجزء السادس

يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزيّة تدفع سلفاً

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXVII.

No. 6. June 1902.

Al-Muktataf Printing Office,
Cairo, Egypt.

اعلان

كتاب حفظ الصحة

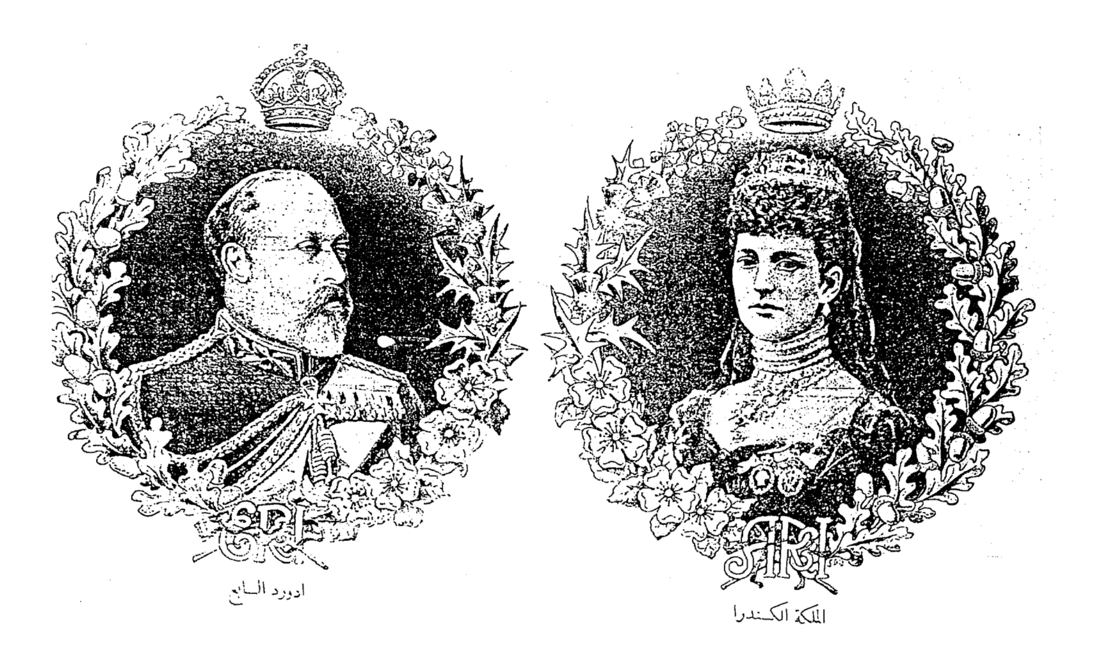
صدر في هذه الاثناء كتاب صغير الحجم كبير الفوائد يليق بكل من يعتبر صحتهُ وراحتهُ وصحة عائلتهِ وراحتها ان يطالعهُ بالامعان ويرتشد بارشادهِ وينتصح بنصحهِ ويتخذ قواعدهُ دليلاً لهُ في مأكلهِ ومشربهِ وملبسهِ ومسكنهِ . وهو كتاب قواعد حفظ الصحة الذي الَّفهُ العالم العامل الدكتور يوحنا ورتبات ففيهِ اثنا عشر فصلاً تبحث في كل المواضيع الصحيَّة ٱلَّتي يجب معرفتها وفيهِ كثير من الرسوم ٱلَّتي تزيد ايضاحهُ ايضاحاً فترى فيهِ فصلاً في الهواء وما يعرض لهُ من الفساد وفصلاً في الماء وفصلاً في الطعام والشراب وفصلاً في النور والحرارة وفصلاً في البيوت وفصلاً في اللباس وهلمَّ جرًّا . وفي آخر كل فصل منهُ مسائل كثيرة لكي يستعمل في المدارس لتدريس الطلبة . وقد طبع طبعاً متقناً في مطبعة المقتطف وثمنهُ مجلدًا ثمانية غروش فقط ويضاف اليهِ غرش واحد اجرة البريد ونرجو ان يكثر اقبال الناس عليهِ. وهو يطلب من ادارة المقتطف ومن كل المكاتب الشهيرة

اعلان

المكتبة الجامعة

ومنتدي الادب

اجابة لطلب زبائننا الكرام فتحنا بحوله تعالى مكتبة في شارع باب الخليل وجمعنا فيها كتباً عربية وانكليزية وافرنسية من علمية وتاريخية وادبية وكتباً فقهية ومصاحف طبع الاستانة ومصر وكتباً دينية وغير دينية وروايات « رومان » فكاهية وغرامية وادبية وقصصاً عربية كحمزة البهلوان وعنترة وفيروز شاه والملك سيف وعلي الزيبق وتغريبة بني هلال وما اشبه ودفاتر واقلاماً اسلامبولية واقلام رصاص وورقاً وريشاً ومغلفات وكارت فزيت الخ وكافة ما يلزم المكاتب والمدارس وكل ذلك باسعار متهاودة جدًّا وعلاوة على ذلك خصصنا محلاً في المكتبة لقراءة الروايات والجرنالات والمجلات العربية والافرنجية وفتحنا باباً للاشتراك عن كل شهر تسعة غروش بناء على طلب الكثيرين من اهل الفضل والمكتبة مستعدة ان تلبي طلب الزبائن وتتكفل لهم بارسال ما يطلب منها الى اي جهة كانت والمخابرة بكل ما ذكر تكون مع صاحب المكتبة في القدس الشريف قسطنطين الخوري



ادورد السابع

الملكة الكسندرا

المقتطف

الجزء السادس من المجلد السابع والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٤ صفر سنة ١٣٢٠

تتويج ملك الانكليز

يصل هذا الجزء الى القراء ومدينة لندن اكبر عواصم الدنيا قائمة قاعدة استعداداً لتتويج ملكها ولا بدَّ من ان تنشر الجرائد اليومية وصف ما يجري من الاحتفال وقت التتويج فرأينا ان نمهد لهُ تمهيداً وجيزاً في هذا الجزء ذاكرين بعض ما تفيد معرفتهُ من هذا القبيل فنقول

ولد الملك ادورد السابع في قصر بكنهام في التاسع من نوفمبر سنة ١٨٤١ فهو كهل الآن في الحادية والستين من عمرهِ ودرس في مدرسة آكسفرد الجامعة وفي مدرسة كمبردج ومدرسة ادنبرج الجامعة ونال من كلّ منها لقب دكتور في الشرائع المدنية وأُعطي هذا اللقب من مدرسة دبلن ومن مدرسة كلكتا . والذين طالعوا خطبهُ في المقتطف في بعض الحفلات العلمية كالحفلة باستلام تمثال هكسلي والحفلة بانشاء التذكار للسرجون لوز رأوا فيها ما يشف عن رغبة صحيحة في العلم وميل طبيعي الى اكرام اهلهِ كأَنهُ ورث ذلك عن المرحوم والدهِ ويقول المحققون ان لهُ مشاركة في كل العلوم والفنون على انواعها

واقترن سنة ١٨٦٣ بالبرنسيس الكسندرا ابنة ملك الدنمارك ولهما الآن ابن وحيد وهو برنس اوف ويلس وثلاث بنات اثنتان منهما متزوجتان وواحدة عزباء

ويتوَّج ملوك الانكليز في كنيسة وستمنستر . وهي من افخم كنائس الانكليز واقدمها بناها الملك ادورد المعترف سنة ١٠٥٠ وكان قد نذر ان يزور قبر بطرس الرسول في رومية ثم منعهُ رجالهُ عن ذلك فبنى هذه الكنيسة غربي لندن بدلاً من زيارة رومية وتمَّ بناؤُها سنة ١٠٦٥ وهي اول كنيسة مصلَّبة في مدينة لندن

وتتويج الملوك حديث في اوربا ابتدأ سنة ٨٠٠ للميلاد حينما توَّج البابا لاون الثالث الملك

تشارلمان واول من توّج من ملوك الانكليز في وستمنستر هو وليم الظافر توج في ٢٥ دسمبر سنة ١٠٦٦ ثم توج فيهِ سائر الملوك الذين جاءُوا بعده كما ترى في هذا الجدول

تتويج وليم الظافر سنة ١٠٦٦	تتويج هنري السابع سنة ١٤٨٥
« وليم روفس « ١٠٨٦	« « الثامن « ١٥٠٩
« هنري الاول « ١١٠٠	« ادورد السادس « ١٥٤٧
« اسطفانوس « ١١٣٥	« ماري « ١٥٥٣
« هنري الثاني « ١١٥٤	« اليصابات « ١٥٥٩
« البرنس هنري « ١١٧٠	« جمس الاول « ١٦٠٣
« ركاردس الاول « ١١٨٩	« تشارلس الاول « ١٦١٦
« يوحنا « ١١٩٩	تعيين كرومول حاميًا « ١٦٥٧
« هنري الثالث « ١٢٢٠	تتويج تشارلس الثاني « ١٦٦١
« ادورد الاول « ١٢٧٤	« جمس الثاني « ١٦٨٥
« « الثاني « ١٢٩٦	« وليم وماري « ١٦٨٩
« « الثالث « ١٣٢٧	« حنة « ١٧٠٢
« رتشرد الثاني « ١٣٧٧	« جورج الاول « ١٧١٤
« هنري الرابع « ١٣٩٩	« جورج الثاني « ١٧٢٧
« هنري الخامس « ١٤١٣	« جورج الثالث « ١٧٦١
« « السادس « ١٤٢٩	« جورج الرابع « ١٨٢١
« ادورد الرابع « ١٤٦١	« وليم الرابع « ١٨٣١
« رتشرد الثالث « ١٤٨٣	« فكتوريا « ١٨٣٨

فقد توّج في هذه الكنيسة كل ملوك الانكليز وملكاتهم من حين انشائها الى الآن وتتوَّج فيها ايضًا نساء ملوكهم من عهد الملك وليم وماري سنة ١٦٨٩ ومن ثمَّ وضعت كرسي للملكة بجانب كرسي الملك

ولا تقتصر هذه الكنيسة على انها الهيكل الذي يتوج فيهِ الملوك بل هي ايضًا المدفن الذي دفن فيهِ ملوك الانكليز وكثيرون من عظمائهم من الوزراء مثل فوكس وبامرستون وغلادستون والعلماء مثل نيوتن وستانهوب وهرشل والشعراء مثل شكسبير وملتون وبوب والاطباء مثل هنتر ودافي وينغ

وهي من اكبر الكنائس كما تقدَّم طولها من الخارج مع ما يتصل بها ٥٣٠ قدمًا وارتفاع البرج الغربي من برجيها ٢٢٥ قدمًا وطول الرواق الاوسط من اروقتها ١٦٦ قدمًا وعرضهُ ٣٠ قدمًا وارتفاعهُ ١٠١

وفي صباح يوم التتويج يسير الملك والملكة بموكب حافل جدًّا الى هذه الكنيسة فيدخلانها والمرتلون يرتلون فصلاً من مزامير داود حيث قيل فرحتُ بالقائلين لي الى بيت الرب نذهب هناك استوت الكراسي للقضاء كراسي بيت داود اسألوا سلامة اورشليم ليسترح محبوكِ ليكن سلام في ابراجكِ راحة في قصوركِ . ويجلسان في كرسيهما ويتقدَّم رئيس اساقفة كنتربري ويلتفت الى الجهات الاربع ويخاطب الجمع قائلاً ايها السادة اني اقدم اليكم الملك ادورد السابع ملك هذه المملكة الذي لا ريب فيهِ فهل تشاؤُون ان تخضعوا لهُ . فينادي الجميع قائلين ليحيَ الملك ادورد ويرتلون الترنيمة الوطنية ويكون احد الاساقفة حاملاً التوراة والكاس والصحفة فيضعها على المذبح ويُبسَط للملك بساط مزركش بالذهب على درج المذبح فيتقدم ويركع عليهِ ويقدم تقدمتهُ الاولى وهي بساط مذهب وشذرة من الذهب وزنها رطل ويصلي رئيس الاساقفة ويعظ اسقف لندن ويقسم الملك يمين الطاعة لدستور المملكة على هذه الصورة

رئيس الاساقفة — أتعِدُ وتقسم ان تحكم شعب الممالك المتحدة بريطانيا العظمى وارلندا والاملاك التابعة لها حسب القوانين التي اقرَّ عليها مجلس النوَّاب وحسب شرائع البلاد وعاداتها

الملك — نعم اعد بذلك

رئيس الاساقفة — اتبذل كل جهدك في اجراء القانون بالعدل والرحمة في كل احكامك

الملك — نعم

ثم يسألهُ رئيس الاساقفة عمَّا اذا كان يبذل جهدهُ في الاحتفاظ بحقوق الكنيسة الانكليزية . ولا ندري هل يطلب منهُ ما طلب من امهِ او يوجز فيهِ حسبما طلب اصحاب الكنائس الاخرى

ثم ينهض عن كرسيهِ ويمشي وسيف المملكة محمول امامهُ حتى يصل الى المذبح فيركع ويضع يدهُ على الانجيل ويقول اني اقوم بما وعدتُ بهِ الآن فليساعدني الله . ويمضي صورة اليمين ويعود الى كرسيهِ ويطلب رئيس الاساقفة من الله قائلاً الهمَّ الابُ القدوس الذي بالمسح بالزيت جعل الملوك والكهنة والانبياء يعلمون شعبك اسرائيل ويحكمونهم بارك وقدس خادمك ادورد الذي سيمسح الآن بالزيت ويكرَّس ملكًا لهذه المملكة . قوّهِ بالروح القدس المعزي وثبّتهُ بروحك الملكي روح الحكمة والولاية روح المشورة والقوة روح المعرفة والصلاح واملاهُ يارب



صورة الملكة ڤكتوريا وهي تقسم على التوراة وقت تتويجها

بروح الخوف الطاهر من الآن والى الابد آمين

ويقوم الملك ويتقدم الى المذبح ثانية محفوفاً باعوانهِ ويلبس حلّة من الارجوان وينتقل من هناك الى كرسي الملك ويجلس عليهِ ويحمل اربعة مظلّة فوق رأسهِ ويصبّ رئيس الاساقفة قليلاً من الزيت المقدس في ملعقة ويمسح بها قمّة رأسهِ وراحتي يديهِ وهو يقول انك تمسح ملكاً كما مُسح الملوك والكهنة والانبياء . وكما مسح صادوق الكاهن وناثان النبي سليمان ملكاً كذلك تمسح انتَ وتبارَك وتكرَّس لهذا الشعب الذي اعطاك الرب امرَ تملّكه

ثم يقدّم لهُ المهازان وسيف المملكة فيرد المهازين الى المذبح ويعطي السيف لمن يضعهُ في الخزانة ويتقدم لهُ سيف آخر فيعطيهِ الى رئيس الاساقفة فيضعهُ هذا على المذبح ويطلب من الله الطلبة الآتية

اسمع طلباتنا يارب واعضد خادمك الملك ادورد لكي لا يتقلّد السيف عبثاً بل يستعملهُ كخادم لله لارهاب عمّال الشر وقصاصهم وحماية عمّال الخير ومساعدتهم . ثم يأخذ السيف من على المذبح ويمشي معهُ الاساقفة فيسلّمهُ للملك قائلاً خُذ هذا السيف الملكي الذي أُتي بهِ اليك من مذبح الله وسلمك اياهُ اساقفة الله وخدّامهُ . فاجرِ بهِ العدل وامنع نمو الشر واحمِ الارامل والايتام وجدد ما حلّ بهِ الخراب واحفظ ما تجدّد واصلح ما اختلّ وثبّت ما هو صالح لكي تتمجّد في كل فضيلة

ويعيد الملك السيف الى المذبح ثم تقدم لهُ الحلة الملكية والكرة ويخاطب هكذا : خذ هذه الحلة وهذه الكرة وليملأك الرب الملك بالمعرفة والحكمة والعظمة والقوة وليلبسك ثوب البر ورداء الخلاص

ثم يلبسهُ رئيس الاساقفة خاتم الملك ويضع في يمنهِ صولجاناً وعلى رأسهِ صليب قائلاً اقبض على صولجان الملك رمز السلطة والعدل . ويضع في يسارهِ صولجاناً آخر على رأسهِ حمامة قائلاً هذا قضيب الانصاف والرحمة والله الذي منهُ كل مشيئة طاهرة وكل مشورة صالحة يرشدك ويعينك في القيام بالمهام المنوطة بك كن رحوماً ولكن لا تكن مبيحاً واعدل ولكن لا تنسَ الرحمة . احكم بالعدل ووبخ بالانصاف ولا تراعِ وجوه الناس . حط المتكبر وارفع المتواضع وقاصّ الشرير واحمِ البار وقُد شعبك في الطريق الذي يجب ان يسيروا فيهِ واقتدِ بمثال من قال عنهُ النبي داود احببتَ البر وابغضت الاثم قضيب استقامة قضيب ملكك .

وحينئذٍ يقف رئيس الاساقفة امام المذبح ويمسك تاج القديس ادورد بيدهِ ويقول اللهمَّ الذي يتوّج عبيدهُ الامناء بالرحمة والمحبة انظر الى عبدك هذا ادورد الملك الذي حتى

رأسهُ امام عظمتك المقدسة وكما تضع على رأسهِ اليوم تاجاً من الذهب الابريز افض نعمتك السموية على قلبهِ وكالهُ بكل الفضائل السامية التي يزدان بها المنصب العالي الذي رفعتهُ اليهِ

ويأتي دين وستمنستر بالتاج فيأخذهُ رئيس الاساقفة منهُ ويضعهُ على رأس الملك . وتركع الملكة امام الملك فيضع تاجاً على رأسها ثم يجلس على عرشهِ وتجلس هي على عرشها بجانبهِ وحينئذٍ يضع امراء المملكة وعظاؤها تيجانهم على رؤُوسهم

ثم يقدم رئيس الاساقفة نسخة من التوراة الى الملك ويطلب منهُ ان يرتشد بارشادها وينصحهُ نصائح أُخرى ويقسم لهُ يمين الطاعة قائلاً انا فلان رئيس اساقفة كنتربري (ويعيد هذا الكلام سائر الاساقفة ذاكراً كلٌّ منهم اسمهُ) اكون اميناً مخلصاً لك ايها الملك ولخلفائك الملوك والملكات . ويتلوهُ وليُّ عهدهِ واخوهُ وسائر الامراء ثم الاعيان من رتبة دوق ومركيز وارل وفيكونت وبارون ويرفعون تيجانهم عن رؤُوسهم حينما يلمسون يدهُ

ويتلو ذلك الاشتراك بالاسرار ثم يخرج الملك والملكة ويعودان الى قصرهما وتاجاهما على رأسيهما ولا يلبسان التاج قبل تتويجهما رسميًّا

واكثر حفلة التتويج ديني كانها حفلة دينية محضة مثل سيامة اسقف او قسيس ويقول كثيرون من الانكليز ان لملكهم صفة دينية يكتسبها بهذا التتويج او التكريس ولهم في ذلك مجادلات كثيرة

والكرسي الذي يجلس عليهِ الملك وقت تتويجهِ قديم من عهد الملك ادورد المعترف تحتهُ حجر يقال انهُ الحجر الذي نام عليهِ يعقوب ابو الاسباط في برية لوز نُقل الى اسبانيا اولاً ثم الى ارلندا وكان ملوك ارلندا يجلسون عليهِ حين تتويجهم. ونقل من ارلندا الى اسكتلندا سنة ٣٣٠ قبل الميلاد ونقلهُ الملك ادورد الاول الى لندن سنة ١٢٩٠ . وقيل بل هذا الحجر من مصر وهو شبيه بالحجر الذي قطع منهُ عمود السواري في الاسكندرية . والكرسي من خشب السنديان قائم على اربعة اسود رابضة واعلى ظهرهِ مثلث فيهِ نتوات بارزة منهُ

ولامراء الانكليز تقاليد قديمة يجرون عليها في هذا الاحتفال فواحد منهم يدعي ان لهُ الحق ان يسقي الملك خمراً في كاس من الذهب ويأخذ الكاس اجرتهُ وواحد يدعي ان بهِ يناط حمل المنديل الذي يمسح بهِ الملك يديهِ قبلما يأكل وواحد انهُ يأتي الملك بصقرين قبل يوم تتويجهِ ونحو ذلك من المزايا التي يتوارثها امراء الانكليز خلفاً عن سلف

اما نظام الموكب في سيرهِ الى كنيسة وستمنستر فعلى ما كان وقت الاحتفال في تتويج الملكة فكتوريا هكذا

فرقة من الحرس الخاص (ليف غاردز). مركبات وكلاء الدول وسفرائهم حسب اقدميتهم. اثنتا عشرة مركبة ملكية يجر كلاًّ منها ستة جياد وفي كل منها اربعة من رجال البلاط . فرقة من الحرس الخاص (ليف غاردز) وفرقة من الفرسان واركان الحرب ثلاثة ثلاثة ثم اركان حرب الملك واناس آخرون من حاشيته وبطانته وستة من جياده يقودها اثنا عشر من السيَّاس ورجال غيرهم من قواد الجيش.

ثم مركبة الملك والملكة يجرها ثمانية من الجياد المطهَّمة ووراءها قواد آخرون وفرق من الحرس وكبار رجال البلاط ورؤساء الاساقفة والامراء اعضاء العائلة المالكة وشم بالارجوان الملكي وتيجانهم محمولة امامهم وكذلك العائلة المالكة وهلمَّ جرًّا الى آخر الموكب

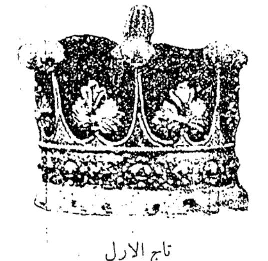
ولبس اعيان الانكليز للتيجان وقت تتويج ملكهم عادة قديمة فان كل واحد من الاعيان رجالاً ونساءً من رتبة دوق الى رتبة بارون (لورد) يلبس تاجًا خاصًا برتبته حينما يوضع التاج على رأس الملك. وحبُّ التحلي قديم في نوع الانسان لان الحلى قبل الحلل كما ابنَّا غير مرة اي ان الناس كانوا يلبسون الحلى قبلما صاروا يلبسون الثياب ولا يخفى ان الرجال قلّلوا من استعمال الحلى الآن ولكن النساء اكثرن من استعمالها ولذلك بقي حبها في نوع الانسان فلا عجب ان اتجهت عناية اعيان الانكليز في هذه الايام الى عمل التيجان الجديدة واصلاح القديمة لا سيما وان تسعة اعشارهم لم يلبسوا تاجًا قط لطول الزمن الذي عاشته ملكتهم ولانهم لا يلبسون التاج الاَّ في تتويج الملوك او اذا رقوا الى درجة الاعيان حديثًا. والنساء منهم وقعنَ في حيرة ولا حيرة الضب لان الزي المتَّبع الآن في عقص الشعر لا يسهل معهُ وضع التاج فوقهُ ولا يسع المكان غلمانًا يوضعون التيجان على رؤوس سيداتهم كما كانوا يفعلون قبلاً فطلبنَ ان يؤذن لهنَّ في وضع تيجانهنَّ قبل المجيء الى حفلة التتويج لان وضعها يقتضي عناية خاصة امام المرآة او يد الماشطات ولا يبعد ان يجاب طلبهنَّ او طلب بعضهنَّ

اما تاريخ تتويج الاعيان فمختلف فيهِ قال بعضهم ان الملك هنري الثالث اول من سمح بلبس التاج للذين في رتبة الارل وهنري الثامن اول من سمح بهِ للذين في رتبة الفيكونت وتشارلس الثاني للذين في رتبة البارون. وقال آخر ان السر روبرت سسل ارل سلسبري اول من لبس التاج وذلك سنة ١٦٠٣ في تتويج الملك جمس الاول وقال غيرهُ بل ان لبس التاج للذين في رتبة الارل سمح بهِ في عهد الملك ادورد الثالث

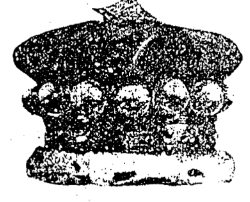
ولما سُمح بلبس التيجان للاعيان كانوا يتأنقون فيها حسبما يشاؤون فيلبس الارل تاجًا مثل تاج الدوق او افخر منهُ اذا شاء لكن الملك تشارلس الثاني ميَّز بين تيجان الاعيان وحدَّد لكل

فريق منهم تاجاً خاصاً بهِ ولم يتغيَّر ما حدَّدهُ بعد ذلك الاَّ تغيرًا طفيفاً فبقيت تيجان الاعيان على حالٍ واحدة منذ نحو ٣٥٠ سنة الى الآن

وقد يُظن لاول وهلة ان التاج من هذه التيجان حلية غالية الثمن لما هو مشهور عن غنى الانكليز . وليست الحال كذلك لان التاج منها قلما يكون ثمنهُ اكثر من عشرين جنيهاً وتاج البارون مثال تاج الدوق من هذا القبيل . والتيجان كلها مصوغة دوائرها من الفضة المذهبة والقبعة التي فيها من المخمل الاحمر مبطنة بالفرو ولا يُسمح بترصيعها باللؤلؤ او بالحجارة الكريمة على الاطلاق . ويفرق بينها هكذا :



تاج الارل



تاج الفيكونت

في تاج البارون ست كرات فضيَّة على دائرهِ . وفي تاج الفيكونت ست عشرة كرة وفي تاج الارل ست كرات عالية بينها ست اوراق ذهبيَّة تماثل ورق التوت النباتي (الستروبري). وفي تاج المركيز اربع كرات واربع اوراق وفي تاج الدوك ثماني اوراق لا غير . اما تاج الملك والملكة فمن الذهب الابريز كثير الجواهر الثمينة وقد كان في تاج الملكة فكتوريا من الحجارة الكريمة ما ثمنهُ ثلاثة عشر الف جنيه

قال احد الكتَّاب في مجلة لندن ان كثيرين من اعيان الانكليز سيلبسون تيجان اسلافهم وقت التتويج وقد جربوها فلم يجدوها صغيرة بل وجدوا اكثرها كبيرًا دلالة على ان رؤوسهم مثل رؤوس اسلافهم او اصغر منها فان كان العقل يكبر بكبر الدماغ ويصغر بصغرهِ فلم تكبر عقول الاعيان بنوع عام بل بقيت على حالها او صغرت لكن الحكم على العقل من جرم الدماغ غير مثبت كما اتضح بالاستقراء على ما ابنَّا في الجزء الماضي

نشأة اوربا المدنية

وما ادراك ما هي نشأة اوربا . هي تلك النهضة العجيبة التي علا في جو التاريخ الحديث منارها فبلغت شأوًا رفيعًا عديم المثال في ما سبق . حتى اصبحت قابضةً على ازمَّة السيادة في عالم السياسة والادب والصناعة والتجارة والدين وفي كل دوائر الاجتماع الانساني مع انها اصغر القارات اتساعًا واوطأها جبالاً واقصرها انهارًا واقلها مواردًا للسعة واحدثها عهدًا في العمران

واذا ارسلنا النظر في صفحات التاريخ المعروف نرى ان الاوليَّة في السيادة والارتقاء كانت لافريقية في وادي نيلها حيث نشأت المدنيَّة وتصدَّرت افريقية في مجالسها نحوًا من الف سنة على ما يقال . وتلاها في عرش السيادة المدنيَّة اسيًا في وادي الفرات حيث نشأت الدول الاشورية فالبابلية فالمادية فالفارسية نحوًا من الف سنة ولكنها مع اتساع دائرة سلطانها لم تبلغ شأو العظمة المصرية في الادبيات وفروعها

وسنة ٣٣٢ قبل التاريخ المسيحي رفعت اوربا اخمصها وداست كبرياء اسيًا وسلبت منها صولجان الرئاسة وذلك في معركة اربيلا التي فيها احرز الاسكندر فوزًا مبينًا على داريوس الفارسي وظلت اوربا الشرقية الجنوبية حامية الميدان في سوق المدنية والآداب نحوًا من الف سنة . ولا نشطُّ عن الصواب اذا قلنا بتفوُّق الامَّة اليونانية في هذه الفترة على الامَّة المصرية وعلى كل الامم السالفة في كل اركان الحضارة والآداب

ثم نشأت في الجنوب الغربي من اسيًا قوَّة جديدة عجيبة هي قوَّة العصبية الاسلامية وهذه ايضًا كان لها دور مهم ونازعت اوربا الرئاسة المدنية والادبية وغلبتها في الاثنتين فنشرت الويتها بسرعة غريبة على شطوط البحر المتوسط الشرقية والجنوبية اعني انها امتلكت غربي اسيًا وشمالي افريقية. وعبرت بوغاز جبل طارق وامتدت في الجنوب الغربي من اوربا المعروف ببلاد اسبانيا. ولا زالت حتى بلغت جبال البرينز الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا . وعبرتها قاصدة امتلاك فرنسا وسائر اوربا ولكنها ارتدت من هنالك راجعة بعد ان اسست في بلاد الاندلس (اسبانيا) ملكًا اثيلاً فدارت حول اوربا وهاجمتها من الجانب الشرقي الجنوبي فافتتحت القسطنطينية ومكدونيا وبلغاريا والفلاخ والسرب والبوسنه والهرسك حتى بلغت اسوار ڤينا عاصمة النمسا ومن هناك ارتدت ايضًا

وحينئذٍ انبلجت انوار النشأة الاوربية وبزغت اشعَّة التاريخ الحديث الذي فيه اصبحت

اوربا مالكة اعنَّة السيادة العمومية من غير منازع . ولا نعلم الى متى يكون هذا الانفراد لها ومن سيخلفها في ميدان السيادة

وليس من غرضي الآن النظر في التمدن الاوربي من حيث هو ولا في اسباب الانحطاط المدني في اسيا. انما اقصد البحث في اسباب النشأة الاوربية الحديثة على قدر ما يمكن من الاختصار وادعو تلك الاسباب اركاناً . وهي حرية بالبحث عنها والتمعن فيها نظراً لما في ذلك من اللذة العقلية والفائدة العملية

والبحث عن العلل من غريزيات الطبع البشري . فانك اذا رأيت شجرة كبيرة الحجم غليظة الساق طويلة الفروع زاهية زاهرة تعلم ان وراء تلك النضارة الخارجية جذوراً عميقة متشعبة قد انبثت في التراب الى اعماق متباينة استمدت منهُ الغذاء وارسلتهُ في قنوات داخلية معينة لهذا العمل حسب حكمة باريء الوجود. وان تلك القوة هي علة ما ترى في الشجرة من العظمة والنضارة

والتمدن الاوربي او المدنية الاوربية تلك الشجرة العظيمة الطويلة الاغصان الناضرة الزاهرة التي يتآوى في اظلالها اكثر من اربعمئة مليون اغصانها القوات السياسية واوراقها القراطيس المالية وازهارها الآداب والفنون واثمارها الحياة المدنية المنتظمة لا بدَّ لها من جذور عميقة منبثة في تربة التاريخ قد استمدت لها القوة للخصب والنماء . وسأتحرى البحث في تربة التاريخ لاكتشاف الاسباب المعدة والمتممة بحسب تفاوتها بعداً عن ظهور النشأة الحديثة وتأثيرها فيها

الركن الاوَّل المدارس

اريد بها المدارس التي أُنشئت في اوربا حسب نظام مخصوص لتكون موارد الآداب والفنون وقد قصدها جماعات الدارسين حيناً بعد حين واستقوا من سواقيها مياه الحياة الادبية الصافية . ولربما تكون المدارس من اعمق الجذور في شجرة النشأة الاوربية واعظمها تأثيراً فيها لانها ضاربة في اعماق التاريخ الى قلب القرون المظلمة . فان مجمع طايطلة المنعقد سنة ٥٨٦ لاغراض دينيَّة قد حثَّ على انشائها . ولكنها لم تبرز الى حيز الوجود او تندرج في سلك الانتظام الى عهد شارلمان امبراطور الدولة الرومانية الغربيَّة التي انقسمت بعد وفاتهِ الى فرنسا وايطاليا والمانيا فلمَّا ابتغى شارلمان ترقية داخلية مملكتهِ عمد الى انشاء المدارس وتعزيز جانبها لانهُ رأى بثاقب رأيهِ انها من خير الوسائل لبلوغ الارب . وذلك يوضح لنا انهُ كان في ذلك الامبراطور عقل واسع وقلب حكيم يعز وجودهما في غيرهِ من العظماء في اجيال التاريخ الماضية وبهذا الاعتبار كان شارلمان الكوكب الساطع في ليل الاجيال المظلمة يشعّ على روابي اوربا انوار المعارف الادبية . وقد ساعد شارلمان في عملهِ المبرور هذا الاسقف الكوين البريطاني

والاسقف اكتينضس الارلاندي لكن نُسِبَ العمل اليهِ وحدهُ لِما لا تخفى على اللبيب معرفتهُ . وفي كل الحوادث التاريخية نقف على حوادث عظيمة نُسبت الى بعض محدثيها دون الذين لهم اليد الطولى في ايجادها . وليس ذلك من اغراض بحثنا هذا

ومع ان شارلمان اسَّس المدارس لم تبلغ في ايامهِ ارقى ذرى مجدها بل بلغت ذلك بالنمو التدريجي الذي هو المنهج الطبيعي في كل ذوات الحياة ولم تبلغ الشأو الرفيع حتى بعد وفاة منشئها بثلاثة قرون وكان عصرها الذهبي القرن الثالث عشر والرابع عشر كما سيجيء

ومات شارلمان وانقسمت دولتهُ وحبط مشروعهُ الثيوكراتيكي (المشروع الثيوكراتيكي عبارة عن انشاء مملكة تعم جميع العالم تحت رئاسة الله) لكن عملهُ لم يمت ومشروعهُ الادبي لم يحبط بل انجح اكثر مما قصد منهُ اذ لم ينحصر فعلهُ في فرنسا وجيرانها بل عمَّ اوربا جمعاء وانتشر منها الى كل العالم ففي سنة ١١٠٩ مسيحية أُنشئت مدرسة كمبردج وسنة ١١١٩ مدرسة بولونيا وسنة ١١٤٩ مدرسة اكسفرد وما زالت المدارس تنشأ واحدة فواحدة حتى بلغت في القرن الرابع عشر نحو ٦٤ مدرسة جامعة في اوربا (انتسب بالجامعة اخذتهُ المدارس سنة ١٢١٥ من البابا انوشنسيوس منها ١٥ في فرنسا و ١١ في ايطاليا و ٥ في المانيا و ١٣ في انكلترا والبقية في بقية اقسام اوربا

وكان فن اللاهوت عمدة العلوم المدرسيَّة كما كان اللاهوتيون عمدة الاساتذة في المدارس والعلوم السبعة التي كانت تعتبر يومئذٍ انها دائرة المعارف وهي النحو والبيان والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى كانت توابع لعلم اللاهوت تدور حولهُ كما تدور السيارات حول الشمس وتستمد منهُ نورها وحرارتها امَّا علم الطب والكيمياء فكانا في حيّز الخفاء وجل مباحثهما خرافيٌّ عقيم

وفي اواخر القرن الثالث عشر اتسعت دائرة العلوم بادخال مبادئ جديدة الى باحات المدارس . ومن ثمَّ انقسم اساتذة المدارس سنة ١٢٨١ الى ثلاثة اقسام هم اللاهوتيون والاطباء والفقهاء . ولا زالت دوائر البحث تتّسع وتتوسَّع معها دائرة العقل الانساني الى ايام باكون الفيلسوف الانكليزي ومن ثم نشأت المبادئ الطبيعية ودخلت المدارس في طور جديد هو طورها الحالي الذي نراها فيهِ

وكل ناقد خبير يستطيع ان يدرك لاول وهلة تأثير المدارس في اعداد اوربا للنهضة الحديثة . فقد انارت العقول والاذهان وشحذتها وثقَّفتها وشحنتها من جوهر الحقائق النفيسة . واحيت الهمم العالية وبثت في صدور البرابرة الالمانيين المبادئ الادبية السامية . فجهَّزت اوربا

برجال العقول — رجال العمل — رجال الحزم — رجال الافكار — الذين لهم اليد الطولى في احياء معالم الفضيلة اذ اوروا زناد الفكرة فاضرموا نيران المعارف الجليلة وشمروا عن ساعد الجد وراء الاعمال الخطيرة ومن اهمها الاكتشافات العلمية والاختراعات . كاسلاك البرق وآلات البخار وما يبنى عليها مما لا يسعنا المقام ذكرهُ من الاعمال المفيدة التي توّجت اوربا بتيجان الفخر والظفر . وكل ذلك او اعظمهُ على الاقل كان من اعمال طلبة المدارس الذين رفعوا اوربا برؤوس اقلامهم السيالة في اعين جميع الامم وقرنوا ذكرها بالفخر والاجلال في سائر الاقطار والامصار واحلوها المحل السامي في كل الدوائر المدنيَّة . فاضحت اوربا القارة الصغيرة مورداً في كل الكرة الارضية يقصدها الظامئون الى مياه العلوم والآداب

ولا ريب في ان المدارس منار الانسانية وعنوان المدنيَّة جامعة اشتات الاذهان وعماد السيادة والارتقاء . قارنة العلم بالعمل . فاينما حلَّت المدارس حلَّت السعود والمفاخر وأيان علا منارها تبرَّع وجه الزمان حتى اننا بكل حقٍّ نقيس مدنيَّة كل قوم بمدارسهم وعلومهم والحال الحاضرة خير شاهد لصدق ما اقول

الركن الثاني السيادة والفروسية

السيادة او النظام الاقطاعي المسمَّى عند الاوربيين بالفيودلازم هي نوع خاص من الهيئة الاجتماعية نشأت في اوربا على اثر انحلال عضد الامبراطورية الشارلمانية . على ان ذلك النظام لم يبلغ شأوهُ الاَّ بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر الذي خُتم بسقوط ذلك النظام سقوطاً قانونيًّا على انهُ استمرَّ في بعض الاقسام الاوربية بعد ذلك طويلاً

وماهية ذلك النظام هي ان الملك كان رئيس البلاد تحت سيادة الباري سبحانهُ . لكنهُ كان ملكًا بالاسم والرسم فقط والملك الحقيقي او الملوك الحقيقيون في البلاد هم السادة الذين كانوا ملاَّك الاراضي وارباب السلطان المطلق عليها وعلى العاملين فيها . وكانوا يقاطعون خدامهم عليها وكان اولئك الخدم ارقاء لاسيادهم يبيعونهم ويشترونهم مع الاراضي كما تباع الابقار والدواب التابعة لها

وحين يدخل اولئك المقاطعون او بالحري الارقاء الفلاَّحون في خدمة سيدهم كانوا يحلفون يمين الطاعة لهُ كما كان يحلف اسيادهم يمين الطاعة للملك متعهدين بالقيام بخدمة سيدهم كل حياتهم والمحاماة عن حياتهِ واملاكهِ الى آخر نقطة من دمهم . فكان السيد يبني قصرهُ في وسط اراضيهِ فيسكن في الطبقة العليا ويترك السفلى وما يحيط بها لسكن العبيد الذين هم الفلاحون مع الابقار والخيول وبقية الحيوانات الداجنة

وبهذا الاعتبار كان الملك يمثل الشمس والسادة حوله كالسيارات والفلاحون حول اسيادهم كالاقمار حول سياراتها

اما الفروسية فهي جمعية فرسان غايتها المحاماة عن حقوق الكنيسة والمظلوم والقاصر ومع ان هذه الجمعية نشأت قبل شارلمان فقد كانت مرتبطة بالنظام الاقطاعي حتى قال احد المؤرخين ان الفيود لازم ام الفروسية وقائدتها فقامت بحياتها وماتت بموتها نظرًا لارتباط المقصد بينهما وتبادل المصلحة كما يتبيَّن ذلك من نظامها وهو على ما يأتي

كان يعد الولد دنيئًا بموجب شرائع الفروسية الى الحادية عشرة من عمره ومنها الى الحادية والعشرين يحسب شريفًا وفي ذلك السن (الحادية والعشرين) يسوغ له ان يدخل طغمة الفرسان على الاسلوب الآتي : في يوم تعينه الطغمة وفي حضرة اعضائها وجمهور غفير يركع طالب الفروسية تحت السيف ويسمع عظة دينية حماسيَّة وبعد استماعها يقسم متعهدًا بتكريس نفسهِ للدفاع عن الكنيسة والضعيف وعندها يأخذ السيف ويقبّلهُ ويلبسهُ فيحسب فارسًا . والامر واضح ان الفرسان كانوا ساعد السيادة وعمادها الذي عليهِ ترتكز وبهِ يُشد ازرها . كما كانت السيادة مورد الخصب والسعة للفرسان ومنها يستمدون قوَّتهم وامجادهم . والخلاصة ان النظامين كانا مرتبطين معًا . وقد نمت السيادة وبنموها نمت الفروسية واتسع نظامها . وكلاهما انتهى بانتهاء الحملات الصليبية واخليا الميدان للملكية التي كانت تنمو على التوالي وحيث نمت ونقوَّت شوكتها كانت تضعف السيادة والفروسية حتى تلاشتا اخيرًا

ومع ان النظام السيادي والفروسية قد زالا باكرًا فلا يسع المنصف ان يتخذ ذلك دليلاً على عدم تعلقهما بالنهضة المدنيَّة الحديثة . بل ارى ان نفس زوالها هو الدليل على علاقتهما بتلك النهضة لانهما بموتهما اعطيا مكانهما وقوتهما لعامل آخر يعمل باسمهما وقوتهما فاحدث النتائج التي تحيا الآن بعدها . وكما ان الجذور لا يُتَّخذ اختفاؤُها دليلاً على عدم علاقتها بالشجرة كذلك نظام السيادة والفروسية لا يحسب انقضاؤُها دليلاً على عدم علاقتهما بالنشأة الاوربية . لانهُ من المؤكد ان هذه النشأة هي نشأة ادبية مدنية فكل ما ساعد على ترقية هاتين النقطتين او احداها فهو من اركان تلك النشأة بلا امتراء . واي خبير في تاريخ اوربا يستطيع ان ينكر المساعدة الكبرى التي امدت بها هاتان الجمعيتان الهيئة الاجتماعية الاوربية . فانهما كانتا حاضنتين للاستقلال الشخصي ومرضعتين روح المروءة والشهامة . فربّتا المؤاساة والايثار . وكل عاقل يستطيع ان يدرك اهميَّة الاستقلال الشخصي في النشأة الاوربية . ذلك المبدإِ السامي — مبدإِ النخوة والحمية — مبدإِ الشرف والشهامة — حياة العمل — حياة الاجتماع —

روح الفضل الذي ما سكن قلباً الاَّ قدَّسهُ واعدهُ لحلول اجلى عرائس المدنية والآداب . فكل بلاد ساد فيها روح الاستقلال الشخصي والمروءة والشهامة لا يقوى عليها مانع يمنعها عن الارتقاء

ولا يخفى على الفطن ان اعتماد الانسان على نفسهِ بعد الله هو اس النجاح الحقيقي وان استعمال القوَّة الشخصية هو حياة المدنيَّة وغذاءُ تلك الحياة . فقد عاشت الهيئة الادبية في ظل السيادة والفروسية فَسلمت بذلك من نوازل الخشونة البربريَّة لان هذا النظام كان حاجزاً حصيناً ضدها . وحفظت مركزها في الهيئة الاجتماعية واضحت وسيلة لاعلاء شأن اوربا في القرون التالية . واذا كنَّا نحسب رفعة المرأة اكبر مساعد بل اكبر العوامل في احداث النشأة الاوربية فالفضل في رفعتها وصيانة حقوقها عائد على نوع ما الى نظام الفروسية الذي كان في القرون الخالية عمادها الوحيد . وعليهِ فقد كانت الفروسية حلقة متوسطة بين الهمجيَّة والمدنية او البرزخ الذي عليهِ مرَّت قبائل اوربا من طور الهمجية الى طور التهذيب ودماثة الاخلاق

الركن الثالث الحروب الصليبيَّة

هي اشهر الحوادث في التاريخ المتوسط واغرب الاعمال في التاريخ العام . وقد شغلت هذه الحوادث اقلام كثيرين من فلاسفة المؤرخين والكتَّاب في القرون الحديثة . فمدحها البعض وذمَّها آخرون على انهُ ليس من غرض هذه المقالة مدحها ولا ذمَّها بل تبيان علاقتها بالنشأة الاوربيَّة الحديثة

الحروب الصليبيَّة نتيجة عوامل عديدة متنوّعة وهي نقطة اجتماع مجارٍ كثيرة من حوادث التاريخ . منها التعصُّب الديني والبغض العميق المتأصّل بين اهل المشرق واهل المغرب الناشئ عن تنازع البقاء فقد انتشرت الديانة المسيحيَّة في العالم ونشرت معها الادعاء بانها صاحبة السيادة الدينيَّة وقد نجحت في دعواها اذ قلبت التمدن الروماني والديانة الوثنيَّة التي كانت مقترنة بهِ وحلَّت محلهما وصارت ديانة اكثر العالم المعروف حينئذٍ اي جنوبي اوربا وغربيها وشمالي افريقية وغربي آسيا والشمال الغربي منها . ولكن بعد ظهورها بنحو ستمئة سنة ظهرت الديانة الاسلامية مدعية السيادة الدينية كالمسيحية ومدعية ايضاً مدَّعى آخر لم تجاهر بهِ المسيحيَّة وهو حق استلام السياسة العامَّة . ومع ان الديانة المسيحيَّة لم يكن قبضها على ازمَّة السياسة من مبادئها الاساسيَّة بل حصلت عليهِ من جملة التوفيقات الملائمة لرفع كلمتها وانتشارها عزَّ عليها ان تتساهل للاسلام بتسليم صولجان الملك . ولما احسَّت انهُ تنازعها السلطة على العالم المتمدن ورأت رأي العين بريق الاسنَّة والنصال تحت راية الاسلام وان بنودهُ واعلامهُ تخفق في بلاد فبلاد حتى حل الجانب الاعظم من العالم المتمدّن اوجست خيفة منهُ وقد زاد الطين بلَّة ان

الدم البربري كان لم يزل حامياً في عروق القبائل الطوطونيّة ونظام الفرسان زاد شبان اوربا عتوًّا وعنفوانًا حتى اذا طرقت مسامعهم الاخبار المكدّرة عن اخوانهم في الشرق من وطنيين وزوّار ودوت في انحاء اوربا اصوات الاستغاثة بالسنة الرهبان والرؤساء الروحيين هاجت اوربا وماجت وشهرت على الشرق والاسلام حربًا عوانًا غرضها الاول استخلاص الارض المقدسة من ايدي المسلمين فجيّشت الجيوش وشنت الغارات وكرّت على المدن السورية من انطاكية الى اورشليم كرات متوالية الواحدة بعد الاخرى تلقتها جنود المسلمين بالهمة العلياء والغيرة الشماء واتجمت بين الفريقين المعارك الدموية زهاء المئتين من الاعوام . وماذا كانت النتيجة ؟ الانفصال التام بين اوربا واسيا على ان تلك النتيجة انما كانت ظاهرية وقتية اما النتائج الكبرى التي فازت بها اوربا فهي اولاً انتقال آثار الآداب والفنون اليها من المشرق . وذلك يتبين من ملاحظة حالي اوربا مدنيًا قبل هذه الحملات وبعدها . فاذا راجعنا اسماء الكتّاب الاوربيين في القرون الثلاثة التاسع والعاشر والحادي عشر يندر ان نجد بينهم من يستحق لقب عالم او فيلسوف في الوقت الذي كان العرش العبّاسي في دار السلام (مدينة بغداد) مكتظًا بحلقات الشعراء والمترجمين ومزدانًا بكواكب الفلاسفة والمؤلفين الذين وجدت العلوم اليونانية ملجأً لها في صدورهم ومغانيهم في زمن فتوّة اوربا وهمجيتها . ولكن بعد الحروب الصليبية زاد عدد المشاهير الذين نبغوا في كل ممالك اوربا فقد عاش فن الشعر والتمثيل في فرنسا وبريطانيا والمانيا . ودخلت مدارسها طورًا جديدًا وبزغت في تلك الاقطار انوار المعارف المنبعثة عن قرائح الفلاسفة . ومن المقرّر ان ذلك لم يحصل بالصدفة العمياء لان الصدفة اسم لا مسمى له في تاريخ الاجتماع البشري . ولم يكن ذلك لمجرّد نموّ بسيط في المدارس الاوربية الشارلمانية . ولم تكن المدارس الاوربية لتبلغ ما بلغته في القرن السادس عشر لولا اتصالها بعالم المعارف الشرقي واطلاع رجال العلم في اوربا على افكار اسلافهم اليونان من جديد . وقد حملهم ذلك على نقلها الى بلادهم ولغاتهم لان روح الشهامة الذي جرى في نفوسهم تجري دمائهم في عروقهم ابى ان يسمح لهم ان يرضوا بالخذلان في عالم الفضل الادبي . فترجموا وبحثوا وقابلوا والّفوا ونقحوا حتى اصلحوا مدارسهم ومعارفهم وابلغوها ارقى الذرى .

ومن المعلوم ان الحملات الصليبية لم تقتصر على جرّ الفوارس الى سواحل اسيا بل كانت مصحوبة بكثيرين من الباحثين والمنتقدين الذين كان جل قصدهم وغاية مناهم الوقوف على اسرار الارتقاء في المشرق . وكان همهم في استلاب تيجان الفخر الادبي من اسيا ليس باقل من رغبة اخوانهم المجتهدين في استخلاص بيت المقدس من ايدي المسلمين . فكان اذًا تماس اوربا

باسيا في تلك الفترة نقطة تمغنط ادبي نقل الى اوربا من اسيا كهربائية الافكار فاهتزت الباب رجالها وجرت في ميدان الحياة الادبية بقوة جديدة

وقد خدمت الحملات الصليبية اوربا من وجه آخر غير ما تقدم وهو انها صدّت عنها غارات الاتراك ريثما تمكّنت من جمع قوتها وتهذيبها ولولا ذلك لنشر لواءهم في فينا وبرلين وباريس ولندن وورومية وكانت حالة تلك المدن الآن اشبه بحالة دمشق وطهران وهرات والقاهرة وتونس قبل الربع الاخير من القرن الماضي وكانت ممالك الرين اشقى حالاً من وادي الفرات والنيجر في هذه الايام. ولكن لما برزت قوّة اوربا التي كانت مستترة عن اعين الفاتحين واندفقت كتائب الفرسان من قلب فرنسا والمانيا الى سواحل اسيا اندفاق السيل العرم ودوت في اسماع مناظريهم في المشرق اصوات الطبول وحمحمة الخيول وقعقة السيوف وخفقت في سهول الاناضول وسورية الاعلام الصليبية وشاهد المشرق من اوربا ما لم يكن منهُ في حسبان اذ رأى كثيرين من الامراء والملوك قد غادروا القصور والعروش تاركين النعيم ليكونوا قواداً ومجاهدين في تلك الحملات اقشعرَّت ابدان ابنائهِ وسكتوا عن الفتح المطلوب واضحى الصلح والتخلص من كرَّات اوربا ضالتهم المنشودة والمغنم الذي يجرون وراءهُ . وبعد ما انقضت تلك الحملات بمدة مئتي سنة لمَّا عاودت الاتراك النخوة وهمّوا بشن الغارة على اوربا كانت استعداداتها قد تكاملت وكلمتها قد توحَّدت واحساساتها قد تمازجت بما احدثتهُ هذه الحملات في اعضائها من التآلف والتواد فاستطاعت ان تصد هجماتهم عن اسوار ڤينا كما ردّت سابقاً الاعراب عن حدود فرنسا

وكان الحين قد حان لنمو الفرع القوطي في اسبانيا وتقويتهِ فتمكَّن من اخراج العرب من الاقطار الاندلسية كافةً وبذلك امنت جبال بيرانيز وسهول بيدامونت شر الغزوات . وتفرَّغت افكار ساكني تلك الاقطار للاكتشافات الجغرافية التي جرَّت لاوربا اسنى المفاخر . وكانت قد امتلأت افكار الاوربيين من التصورات الحديثة فاتسعت عقولهم وسمت مداركهم حتى صار يشار اليهم بالبنان وقبضوا بيد حديدية على زمام الفضل الادبي في القرن الثالث عشر قرن العلوم والغرائب والفرسان والابطال القرن الذي جاء بالنهضة الاوربية الحديثة

(ستأتي البقية) خادم الانسانية

عروسة النيل

الفصل السابع عشر

لجأ اوريون الى مخدعهِ يلتمس العزلة فيهِ ويبتغي السكينة في خلوتهِ لكن سمومهُ لازمتهُ فتنازعتهُ عوامل الاضطراب وتقاذفهُ القلق والجزع وتمثَّل الشقاء لعينيهِ وامتلأ قلبهُ يأساً وكأن لعنة ابيهِ حلَّت عليهِ فلا تتزحزح عنهُ وسدى وحاول النوم فلم تغمض عيناهُ وكيف تغمض عينا من غادرهُ القدر فريسة للهمّ والغمّ غضب الحبيب ولعنة الوالد وفرط الحزن وارتكاب الاثم .

فاخذ يمشي في غرفتهِ ذهاباً واياباً ثم خلع رداءهُ واستلقى على سريرهِ وهو يتنهد من اعماق فؤادهِ تنهد الحزين التعيس وانار القمر الغرفة فستر عينيهِ لئلاً تقعا على ما يكره رؤيتهُ فيزيد عذابهُ واشتدَّ بهِ اليأس فحدثتهُ نفسهُ ان يتناول سيفاً ماضياً ويقتل نفسهُ فيستريح من تعاستهِ ثم انفتح الباب فرأى شبحاً ابيض يدنو منهُ فجمد الدم في عروقهِ لكنهُ لم يلبث ان استعرف القادم فاذا هو ماري ابنة اخيهِ فصاح بها مغتاظاً

— ماذا تطلبين فانتفضت الفتاة وجمدت في مكانها ثم مدَّت ذراعيها كالمستغيث وقالت

— سمعتك تتأوه وعلمت اني علة شقائك فلم استطع النوم فاتيت . . . . .

— فعودي الآن الى غرفتكِ ونامي فلن تسمعي صوتي بعد . اما هي فهزت رأسها وقالت وهي تبكي

— لا اعود حتى تغفر لي ثم اسرعت اليهِ وطوقت عنقهُ بذراعيها وقبلت خديهِ وجبينهُ فاحس بشعور غريب وكأن نفورهُ زال باسرهِ فدمعت عيناهُ وذهل عن حزنهِ وشقائهِ وظلاَّ كذلك بضع دقائق ثم امسك بيدها وقال

— ولكنك محمومة يا ماري والبرد يؤذيكِ . ثم لفَّها بردائهِ والعبرات تجري على خديهِ وقال سكني روعكِ الآن وعودي الى مخدعكِ اما انا فسأتجلد واتمالك نفسي ولست اجهل انك لم تبغي اذيتي فيما فعلتِ ولست بناقم منكِ

— لا استطيع النوم يا عمَّاهُ حتى ابوح لك بجميع ما في نفسي . فاعلم اني فعلت ما فعلت لا لقصد الايقاع بك ولكن انقاذاً للباولين وانت ادرى مني بحب جدي لها وبما كان لها من المنزلة الرفيعة في عينيهِ فشق عليَّ ان يموت وهو يحسبها سارقة كاذبة وخيل لي ان السكوت في مثل تلك الساعة جريمة لا تغتفر ويشهد عليَّ مخلصي ان غايتي الوحيدة كانت تبرئتها ولو سكتُّ لمتُّ

— احسنتِ في ما فعلتِ فعمك غريق فلا يخاف من البلل واما باولين فملاك طاهر فقد ظهر حقها واتضحت براءتها ولما كان حبي لها يفوق الوصف فقد صالحتك عن طيبة نفس وساحبك اضعاف حبي قبل فانا في حاجة الى الاحباء والاَّ باتت حياتي عبئًا ثقيلاً عليَّ فقد كلفتني حماقتي خسارة اعزّ الناس اليَّ فافهمي ما قلت وقبليني وعودي فارقدي. فقالت ماري

— اتحب باولين هذا الحبَّ المفرط وكاترينا

— تجاوزي عنهما واستفيدي من امري حكمة فقد ارتكبت في ساعة طيش اثمًا واردت اخفاءهُ فارتكبت اثمًا آخر وآخر حتى صارت هذه الآثام جبالاً انقلب عليَّ فسحقني وصرت اتعس الناس بعد ان كنت من اسعدهم وتعكر صفاء عيشي وخسرت باولين ولو اقترنت بها يا ماري لكان عمكِ الآن اسعد خلق الله ولكن لا سبيل الى ردّ ما فات فاذهبي الآن ومتى كبرت يسهل عليكِ ادراك هذه الامور

— لقد ادركتها تمامًا فاذا كنت تحب باولين كما تقول فعلامَ لا تميل اليك وانت جميل محبوب وفي طاقتك ان تقوم باعمال عظيمة فباولين تحبك اذًا . . . . اتغضب اذا قلت

— قولي

— لو درت باولين بما تقاسيهِ من الشقاء وايقنت انك طيب السريرة لم ترتكب الاثم سوى مرة واحدة لغفرت لك ذنبك ويلوح لي انا الطفلة الجاهلة ان مثلك مع جدّي مثل الابن الشاطر المذكور في الانجيل فقد افترقتما على غيظ

— ولكنهُ لعنني

— كلاَّ فانا احفظ جميع ما قالهُ فقد اشار الى فعلتك السيئة وفاه بتلك الكلمات المخيفة وامرك بالانصراف من وجههِ

— وما الفرق بين الملعون والمطرود

— بينهما فرق كبير فقد اصاب في غيظهِ واسفهِ لكنَّ الابن الشاطر صار اعزَّ ابني ابيهِ اليهِ فذبح لهُ العجل المسمَّن وغفر لهُ وسيغفر لك جدّي في السماء وتغفر لك باولين فانا اعرف الناس بها وسترى صحة قولي نعم ان كاترينا تحبك ولكنها طفلة مثلي فاذا كلمتها برفق واعطيتها هدية سنية تعزَّت نعم انها تستحق العقاب على شهادة الزور ولكن قصاصها اخف من قصاصك على كل حال

فوقعت كلمات تلك الفتاة الطاهرة في قلب عمها وقوع الندى على العشب اليابس فانعشتهُ وردَّت اليهِ بعض الحياة والعزم ولما انفصلت عنهُ اخذ يردّد اقوالها لنفسهِ ويعجب بها .

الفصل الثامن عشر

كان تحنيط الجثث وحرقها محظورين على اهل ذلك الزمان بامر الملوك ورجال الدين وكان على اهل الميت ان يسرعوا في دفنه الا الشرفاء والاعيان فان جثثهم تطيب وتعرض في احدى الكنائس التي بناها الميت او انفق عليها من ماله وكان المقوقس قد اوصى بدفن جثته في كنيسة ماري يوحنا في الاسكندرية مدفن ابيه لكن حمام الزاجل الذي نقل خبر وفاته الى البطريرك عاد ينقل امره الى المطران بدفن المتوفى في مدفن اسرته في منف لاسباب يصعب معها العمل بوصيته

وبعد وفاته بيومين احتفلت المدينة بدفنه وكان موكب الجنازة مهيبا مشي فيه اهل منف ووفود البلاد كأن على رؤوسهم الطير وجاء عمرو بن العاص واعوانه من الفسطاط فشهدوا الحفلة دلالة على ما كان للفقيد من المنزلة في عيونهم ولما عبروا الجسر ساروا ببطء تحف بهم الهيبة والوقار فاتجهت اليهم الانظار وكان لملابسهم وخوذهم ودروعهم وجيادهم اعظم اثر في الموكب ولما فرغوا من الجنازة استحثوا جيادهم وعادوا من حيث اتوا كانهم السهام اطلقها الرامي وحجبهم الغبار عن ابصار الجمهور فلم يسمع سوى قرقعة حوافر خيولهم وكلهم امراء في مجدهم ومنعتهم لا تستطيع اعظم الممالك على رد غاراتهم

ووقف اوريون الى جانب عمرو فطوقتهما الجماعة ورمقتهما الابصار معجبة بهما هذا بطول قامته وهيبته وسكينته وذاك بجماله وشبابه وحسنه وكان عمرو محدقا الى ما امامه لا يلتفت يسرة ولا يمنة كأنه طود من الرواسي اما اوريون فكان ينظر الى من في الموكب حتى اذا ما وقع نظره على باولين انقشع بعض الهم عن جبينه لكن سمات الغيظ لم تمح ولم تخف علة غيظه على عمرو واهل منف بعد ان رأوا ما رأوا من عدم اكتراث رجال الدين لوفاة ابيه وعميدهم وقلة من شهد الجنازة منهم اذ لم يمش امام مركبة الميت سوى المطران وكاهن واحد ونفر من المرنمين

ولما بلغوا المدفن انزلوا الجثة وفاه المطران بتأبين وجيز وعقبه المرنمون فجاء ترنيمهم ضعيفا خافتا لكنهم لم يكادوا يفرغون حتى ارتفعت اصوات ذلك الحشد الغفير واشتركوا في ترنيم ترنيمة الجنازة حتى دوى السهل باصوات الالوف ولم تسمع مدافن منف في الدهر الغابر رثاء كالذي رثى به المصريون المقوقس ولم يخف على عين عمرو النقادة تقصير رجال الدين فقال بصوت جهوري

—— اراهم يطالبون ان يكفر الميت عما فعله الحي بالاتفاق معنا حبا بمصلحة بلاده وخيرها. فاجاب اوريون

— ذلك امر البطريرك ولكن ورحمة ابي ان يوماً يقفل فيهِ بنيامين ابواب السماء في وجه افضل الخلق ليكوننَّ يوم شؤم عليهِ . فقال عمرو

— اما نحن فمفاتيح الجنة في قبضات سيوفنا فجئني يوم السبت فلي كلام معك وتعال نحو غروب الشمس فاذا لم تجدني فانتظرني ريثما اعود ولمَّا قال ذلك وضع يدهُ على عنق جوادهِ فتقدم اوريون يريد اسعافهُ فسبقهُ عمرو وامتطى صهوة الجواد كأنهُ فتىً ثم اشار الى اتباعهِ بالانصراف

وكانت باولين واقفة مع السيدة نفورس في باب المدفن وهما بحيث تسمعان ما دار بين الرجلين فقرأت في وجه اوريون ما راعها وكان وفاة ابيهِ وما تلاها من الحوادث بدلتهُ تبديلاً فلما فرغوا امسكت بيد نفورس وسارت بها الى المركبة وعادت ومرضعها الى البيت وكانت اثناء الطريق تفكر في جميع ما رأت وسمعت ولم تفارقها صورة اوريون وقد وقف امام المدفن ورفع ذراعهُ الى السماء واطبق يدهُ واقسم قسمهُ وعلمت انهُ رآها ولم تنسَ ما اورثتها تلك النظرة من خفقان القلب فحارت في امرها ولم تهتدِ الى الخطة التي تجري عليها في المستقبل فكانت تارة تقرُّ على الابتعاد عنهُ وطوراً تحنُّ اليهِ وترثو لحالهِ فترى من الواجب عليها ان تأخذ بيدهِ وتدلهُ على السبيل الذي يجب عليهِ سلوكهُ وظلَّت كذلك وهي لاهية عن حديث المرضع حتى وصلت الى البيت فشاقتها سكينتهُ وشعرت بالراحة منذ وطأت عتبتهُ فرأت ان سعادتها لا تتمّ فيهِ ما لم تقطع بيدها جميع ما يربطها باوريون واهل بيتهِ فعزمت ان تنقطع عن التفكير بهِ وان تطرح عنها ما دار في نفسها من الميل اليهِ او عنهُ

وكان البيت الذي اختارتهُ جامعاً لاسباب الراحة وهناء العيش والسكينة تلك السكينة التي طالما اشتهتها ايام إقامتها في بيت خالها وزادها تعلقاً بهِ قربهُ من دير الراهبات وكون رئيسة الدير صديقة لوالديها عرفتهما في القسطنطينية وحافظت على ولائهما طول حياتها فلما لقيت ابنتهما في منفى عنيت بامرها كأنها ابنتها

وكان اهل البيت آية في اللطف وكرم الاخلاق فافرغوا عليها الرعاية والاكرام وكان روفيناس شيخاً وقوراً كلل الشيب هامتهُ لكن ثلج المشيب لم يبلغ صدرهُ ولا بردّ عواطفهُ فظلَّ طروباً رقيق المعشر كريم الفؤاد وديعاً كالطفل جريئاً لا يخشى في الحق لومة لائم وهو على ايسارهِ محب للعمل يكره البطالة وزوجتهُ نحيلة القوام صفراء الوجنتين على وجهها مسحة من جمال شبابها محبة لزوجها قائمة على خدمتهِ تستسهل الصعب في سبيل مرضاتهِ وتنفق قواها في استكمال معدات راحتهِ حتى قال الطبيب انها تبحث عن قشة في طريقهِ فترفعها من مكانها لئلاَّ تعوق سيرهُ

ورزقا ابنة وحيدة اسمها هيلانة مليحة الشكل هيفاء القوام بعينين زرقاوين وشعر طويل ذهبي فهذه اذ رأت امها تبذل جهدها في خدمة ابيها وان لا عمل لها في البيت حسبت وجودها فيه مما لا فائدة منهُ فعزمت على التخلي عن العالم والترهب في الدير المجاور هذا على شدة حبها لابويها واستعدادها لبذل حياتها في مرضاتهما امَّا ابوها فاعترضها في ذلك بقوله ان اجلهُ قريب فلا بدَّ من رفيقة لزوجتهِ تتعهدها بالعناية والحبّ بعد وفاتهِ فلمَّا جاءت باولين الى بيتهم تعلقت بها نفس هيلانة ورأت فيها مثالاً للكمال والجمال واللطف فصارت تقضي معظم وقتها في عشرتها والباقي في مساعدتها على العناية بالجريحين اي رستم والفتاة ماندالي فان الطبيب ارتأى نقلهما من بيت المقوقس بعد وفاتهِ لصعوبة تمريضهما فيهِ فخاطب روفينس بشأنهما وفاوضهُ في تقدير الاجرة ونحوها فاجاب الآخر

— اهلا وسهلاً بهما واذا رغبت باولين في البقاء معنا فلتبقَ على الرحب والسعة على شرط ان تنفصل ساعة تريد ذلك او نريده اذ قد يحدث ان يعسر الاتفاق بين مثلها وامثالنا لتفاوت اقدارنا اما مسألة الاجور فتولَّ تعيينها ولا تبخل فاذا صدق ظني فالسيدة باولين تفضل ان نقوم بدفع نفقاتها على ان يمنّ عليها امثالنا بها وهي على ما تعرف من عزَّة النفس ومتى ادَّى المرء نصيبهُ من نفقات البيت احسَّ انهُ واحد من اهلهِ

فسرَّ الطبيب بكلامهِ ونقلهُ الى باولين فارتاحت اليهِ ولم يطل بها المقام حتى تحققت صحة قول الشيخ

الفصل التاسع عشر

وبعد ان تناولت باولين طعام العشاء في مساء يوم الجنازة نهضت تريد البستان فرافقها روفينس وهيلانة اليهِ وكانت الشمس قد اوشكت ان تغيب وهي ترشق اشعتها على الازهار والاوراق فتزيدها رواء وبهاء فجلسوا الى جانب سافية (ناعورة) يديرها ثور وحمار فينصب ماؤها في صهريج ويجري منهُ في جداول متفرقة في انحاء البستان وفاح اريج الازهار فضوَّع الهواء واستولت السكينة فلم يعد يُسمع سوى ترنيم الراهبات في الدير فدارت هيلانة الى مصدر الصوت واصغت اليهِ فاشار ابوها الى باولين وقال

— هنالك كنزها وقلبها ولعلهُ خير الامور لها ولكنَّ الله لا يشاء ان يتخلى الولد عن والديهِ

— صدقت ولا شيء يمنعني عن الترهب سوى املي بلقيا ابي فان نفسي تتوق الى سكينة الدير كما تتوق نفس هيلانة اليها وقد كنت قبل نزولي في بيتكم تعيسة حزينة فلمَّا اتيتكم خفَّ بعض ما بي من الحزن وسالني هنا ما طابتهُ هنالك واشارت الى بيت الوالي ثم قالت تأملي ابنتك

فهي في موقفها مثال الطهارة تنبعث منهُ التقوى والفضيلة ولولا خشيتي ان ازعجها لشاركتها في صلواتها قالت هذا وسارت الى طرف البستان الآخر وتبعها روفينس حتى بلغا السياج فانصت تشيئًا ثم قال

— اراهم يحاولون ثغر السياج ايضًا فقد فاجأت امس احد العبيد متلبسًا بالفعل فحالت الاشواك دون قبضي عليهِ وأرى اليوم غيره فانظريني ريثما اذهب فآتي بسوطي

ولما غاب عن بصرها سمعت من يناديها باسمها فالتفتت الى السياج وابصرت وجه فتاة مطلاً بين الاغصان المشتبكة فعرفت ان القادمة كاترينا فقالت هذه

اتأذنين لي في الدخول فلي شيء اقولهُ لك فاومأت باولين بالايجاب فانسلّت كاترينا اليها واسرعت لتحييها ثم جمدت مكانها وارخت يديها فدنت منها باولين وقبلتها وقالت

— علامَ لا تدخلين من الباب فهوذا روفينس عائد بسوطهِ ثم دارت الى الشيخ وقالت قف فانّ المعتدي يطلبني ولا يبغيك ولعلّك تعرف هذه الفتاة فهي جارتك

— اتعرفينني يا فتاة

— نعم فقد رايتك مئة مرة

— ولكنكِ تجاهلتني فخرقت سياجي ولم تشائي الدخول من الباب كما يفعل المعارف فسألتها باولين

— افلا تعرفين هيلانة

— طالما وددت مكالمتها ولكنّ امي . . . . فقال روفينس

— وهل ترى امك فينا عيبًا فتحظر عليكِ مكالمتنا

— لاسمح الله ولكن لكل امرئ شأن فهي لا تكاد تعرفك اذ يندر ان تراك في الكنيسة . . . . .

— فحسبت انا من الطغاة الفجرة فقولي لها انها اثمت في ظنها فاذا كنتِ من صديقات باولين وتريدين زيارتها فتعالي من الباب لا من السياج وسترين انا قوم لنا ما يلهينا عن الشر من العطف على الجياوات والبشر ذوي العاهات وخير خدمة يخدم بها المرء باريهُ سعيهُ في تخفيف مصايب مخلوقاتهِ فقولي هذا لامك وتعالي ما شئتِ ثم ضحك وانصرف في طريقهِ فقالت كاترينا

— لقد عرفت هذا الشيخ واهل بيتهِ واعلم كيف يقضون اوقاتهم وطالما راقبتهم من برج بيتنا لكن لا تعرفين طبع امي فاذا ابغضت احدًا فلا سبيل الى ازالة كرهها وليت هيلانة صديقتي

— اذًا لكانت صداقتها من خير الامور لكِ وقد حان لكِ ان تعاشري من هم اكبر من ماري فقالت كاترينا

— بربك لا تقولي فيها سوءًا فهي متفردة في الاستقامة والفهم على صغر سنها ثم تنهدت وبكت بكاء مرًّا واجهشت في العويل حتى لم تستطع النطق فامسكتها باولين وسارت بها الى جميزة فاجلستها الى جانبها وطوقتها بذراعها وهي تلطف حزنها بكلامها العذب وظلتا كذلك نحوًا من الزمن نشرت فيهِ الظلمة جناحيها على الارض فرأت باولين ان تعود الى البيت لكنها لم تشأ ان تتخلى عن تلك التعيسة وتوسلت كاترينا اليها ان تبقى معها وتصغي الى كلامها فاضطرت الى البقاء واندفعت كاترينا تحدثها بما جرى لها فاخبرتها عمَّا كان اوريون يبديهِ من الميل اليها وعن تحوله عن حبها ثم اسهبت في وصف تعلقها بهِ وشدة غيرتها من باولين تلك الغيرة التي اعمت بصيرتها فشهدت شهادة زور حتى نبهتها ماري الى اثمها فتحت عينيها ورأت الهاوية فاغرة فاها امامها الى ان قالت ولما مات المقوقس ذهبت امي الى بيتهم فرافقتها وطلبت ماري فقيل لي انها مريضة فخرجت الى القاعة التمس النسيم البارد فسمعت امي تصخب وتصيح ورأيت من الحكمة ان ابتعد عن مكانها فسرت الى الجزء المشرف على النيل وهناك عثرت باوريون وقد لبس السواد والقى رأسهُ بين يديهِ فلم يحسَّ بقدومي وكان على شدة الحرّ يرتجف كمن اخذتهُ البرداء فرثيت لحالهِ ودنوت منهُ اعزيهِ فهبَّ واقفًا كمن لسعتهُ افعى فرأيت على وجههِ صفرة الموت وفي ملامحهِ امارات اليأس والجزع الشديدين فارتعت وانعقد لساني ثم انتفض ودنا مني فوضع يديهِ على كتفيَّ وحدَّق بي طويلاً فاذا عيناهُ حمراوان كالدم وبعد هنيهة تنهد من اعماق فؤادهِ وقال

— لقد اسأتُ اليكِ يا كاترينا فحملتك على الاشتراك معي في جرمي مستعينًا عليكِ بسلامة قلبكِ وحسن نيتكِ على أنَّ حمل الاثم الذي ارتكبناهُ سقط على عاتقي فكان الجزاء مثل ضعف الجريمة قال هذا وغطى وجههُ بيديهِ وعاد فجلس مكانهُ ثم وقف وصاح قائلاً اغفري لي اذا استطعتِ ذلك فدنوت منهُ اريد تسكينهُ بعض ما بهِ فدفعني عنهُ بلطفٍ وقال لقد حان لنا ان نفسخ خطبتنا فلست احبكِ كما تستحقين ولكني احبُّ فتاة اخرى حبًّا شديدًا وهي اول من احببت وآخر من احبُّ ولقد اتيت امرًا فظيعًا ولكني افضل احتمال غيظك والآلام المبرّحة على المثابرة على خطبتنا فاخدعكِ واخدع نفسي ثم قبَّل جبيني كانهُ ابي وانصرف الى البستان

وحينئذٍ طلعت امي ووجهها احمر كالدم فامسكت بيدي وجرّتني الى المركبة وهي تقول يا للوقاحة والخديعة فمن لي بما يخفف وطأة مصيبتك يا وحيدتي فقد ضحوكِ على مذابح مطامعهم فاجبتها لقد علمت يا اماهُ بالامر ولن يصعب عليَّ احتمالهُ وفي الغد اتانا نيلس خازن بيتهم وفي يدهِ حق من الذهب الابريز المرصع بالفيروز واللآلي كان المقوقس قد اوصى بهِ لي فابت

امي اخذهُ وطلبت اليهِ ان يعيدهُ الى السيدة نفورس وقد سمعتها تقول ان في نيتها مغادرة منف فتقضي بقية عمرها في القسطنطينية او غيرها من مدن الروم وهكذا خسرت صداقة ماري وعشرتها فتصوري تعاستي وشقائي فاذا لم تاخذي بيدي بقيت وحيدة في منف لا صديق لي ولا انيس فلا تتخلي عني

— ساعطف عليكِ فصادقي هيلانة

— حبذا الصداقة صداقتها لو تأذن فيها امي . ثم اخذت تشكو امرها وما لاقتهُ من امها واوريون وظلّت الفتاتان كذلك حتى احسّت باولين بالبرد ورأت القمر قد تكبد السماء فقالت هيَّا بنا فقد كاد الليل ينتصف فهبت كاترينا مذعورة وودعتها قائلة ساعود من حيث اتيت وستؤنبني امي على خروجي

— لن تذهبي من السياج وسآتي بروفينس فنرافقكِ الى بيتكِ ونطلع امكِ على علة تأخركِ

— يربكِ لا تفعلي فهي لا تطيقك ولا تطيقهم وقد حظرت عليَّ زيارتك . قالت ذلك وعادت الى السياج فاخترقتهُ

وعادت باولين الى غرفتها وهي تفكر في حديث كاترينا وكلام اوريون فتحن لرؤيتهِ ثم تنثني فتنفر من ذلك وترى من الذل ان تستند الى اليد التي لطمتها وبينما هي كذلك ران الكرى على اجفانها فنامت ونحو الصبح رأت اوريون في رؤيا رأتهُ يدنو منها راكبًا على جواد ادهم كالليل وقد ارتدى ثياب الحداد وبدا النحول والاصفرار في وجههِ فارادت الفرار منهُ فلم تستطع حراكًا وحينئذٍ مدَّ يدهُ وانتشلها ثم اردفها وراءهُ وتقدم بجوادهِ يريد النهر فاجتاز الضفة وغاص في الماء فاخذت تتوسل اليهِ ان يعود وهو لا يجيب ثم اخذ الماء يعلوهما فطوقت عنقهُ بذراعيها وللحال تبدلت صفرتهُ بالاحمرار هذا والماء يعلو حتى غمرها الى اكتافهما وهما ساكتان فخطر لها ان تسألهُ عما اذا كانت هي "الفتاة الاخرى" التي اشار اليها في حديثهِ مع كاترينا ولكن الامواج دهمتهما وعصفت الريح وهوى الجواد الى الاعماق وسمعت اوريون يقول "انها انتِ" ثم فصلتهما الامواج فشرعت تغرق ومدّت يديها تطلبهُ وحينئذٍ افاقت وجبينها يتفصد عرقًا فاذا بالمرضع واقفة بجانب سريرها فقالت لها

— ماذا دهاكِ الليلة فقد سمعتكِ الساعة تدعين اوريون دعوة الخائف ثم عدتِ فدعوتهِ دعوة المحب المشوق

الفصل العشرون

ونحو الظهيرة دخلت باولين وهيلانة غرفتي الجريحين لتغيير الضمادات كالعادة وكانت باولين

ذاهلة عمّا حولها تتفكر في حلمها وتحسب له الف حساب وعلمت ان اوريون سيأتي لزيارتها فعزمت عزماً اكيدًا على رفض مقابلته وامرت مرضعها بان تنوب عنها ونحو الساعة الثالثة بعد الظهر اشتدَّ بها القلق فاخذت تطوف في انحاء البيت فسمعت وقع حوافر فاطلّت من احدى النوافذ لترى من القادم فابصرت فارساً يعدو بجواده فحسبته من اصدقاء روفينس لكنهُ لم يلبث ان ترجل حتى عرفته انهُ كاتب اوريون فاستشاطت غيظاً ظناً منها بانهُ ارسلهُ بالما وعدت ذلك اهانة لها ثم جاء روفينس وبيده كتاب فقال لم يأتِ اوريون بل ارسل هذا الكتاب اليكِ والرسول ينتظر الرد فاخذت الكتاب واسرعت الى غرفتها وفضتهُ فاذا فيه ما نصهُ

" من اوريون بن جريج المقوقس الى نسيبته ابنة توما الدمشقي سلام

" كتابي هذا اليكِ حاولت كتابتهُ غير مرة فاخفقت وفيه اطلب نعمة واقترح اقتراحاً فاستحلفكِ باسم الرجل الذي احبكِ كابنة وتمناكِ عروساً لابنه ان تقرإي ما يكتبهُ اتعس الناس اليكِ فتهبيني النعمة التي اطلبها باسم ابي

" ولست اخاطبكِ خطاب محبٍّ لحبيبته خطاب رجل لا يهوى سوى امرأة واحدة على الارض اذلها وخاصمها كما يخاصم الدّ اعدائه فاني ساحبكِ ما دام في صدري عرق ينبض ولست بناسٍ اني خسرت ثقتكِ وحسن ظنكِ بي واعلم يقيناً اني عدمت الفرح والسرور وساعدمها الى الابد الاّ اذا قيض الله لي بالنجاة فانَّ احدى معجزاته في قلبكِ فقد استبدل ابي البركة باللعنة فالعن ابنهُ الذي نجّس مجلس القضاء فاخذ بثاركِ وبدد شمل الفرح من قلبي"

ولما انتهت باولين الى هذه العبارة امتقعت وادركت مغزى كلام كاتبنا وفهمت علّة تعاسته وحزنه وعجبت لخالها كيف يلعن ابنهُ على حبه وحنوّه وعطفه وودت لو تقف على تفصيل الامر ثم عاودت القراءة

" وقد اتيت اليكِ الآن كما انا رجل كسير القلب يمنعهُ صغر سنه عن الاستسلام لليأس وتنهض به همتهُ التي ورثها عن اجداده الى طلب المجد تشبهاً بهم فاتوسل اليكِ ان تأذني لي بلقياكِ مرة واحدة فاذا فعلتِ فثقي انني لا افوه بلفظة تشفُّ عمّا في قلبي من الوجد الذي يكاد يقتلني

" اما اموالكِ فمن الواجب اعادتها اليكِ مع ربحها الذي اثمرتهُ بعناية ابي ولا يخفى عليكِ ان العناية بالاموال في هذه الايام محفوفة بالمصاعب لان البلاد في قلق مستمرّ فلا يحسن ان تدفني هذه الاموال كما يفعل بعض القوم كما انهُ لا يحسن ان تبتاعي بها عقارات لأن متاعك في مصر غير مضمون وقد تحتاجين الى هذه الاموال في ساعة يستحيل الحصول عليها بالسرعة

المطلوبة ولا اشير عليك بوضعها في مصارف الاسكندرية فقد ضاعت الثقة المالية بها وهي تفلس الواحد بعد الآخر ولما كانت هذه الاعمال خارجة عن شؤون النساء فانا اقترح ان يوكل النظر فيها الى لجنة مؤلفة من فيلبس وروفينس ونياس خازننا الذي تعرفين امانتهُ وان تجتمع هذه اللجنة غداً في بيت روفينس ولك ان تشهدي الاجتماع بنفسك اذا شئت فاذا اتفقنا على خطةٍ فالتمس ان تمني عليَّ بمقابلتكِ بضع دقائق اعيد فيها اليكِ شيئاً لهُ عندكِ قدر عظيم ثم تمنحينني غفرانكِ فاني في حاجة اليهِ فاذا قرأت هذا الكتاب فجودي بلفظة "نعم" ينقلها كاتبي اليَّ فآتيكِ في الساعة الثانية بعد الظهر والاَّ فنياس يحمل اليكِ اليوم مالكِ وليحفظكِ الله ويلهمكِ الرحمة والعفو"

وكانت باولين اثناء قراءتها تنقبض نفسها مرة فتعمد الى تمزيق الرسالة ثم تحجم وتستطرد القراءة فلما فرغت من تلاوتها شرعت تفكر في رقة التعبير واهتمام اوريون بمالها فوقفت امام النافذة برهة ثم دعت هيلانة واوصتها بالعناية بالجريحين فلحظت هذه اضطرابها وحيرتها فسألتها عن الخبر فقبلتها باولين وتحولت الى غرفتها حيث اعادت قراءة الرسالة فرأت في تضاعيف سطورها بينات حبهِ الصادق وتوبتهِ الخالصة فتحركت عواطفها ورقَّت لهُ وشعرت كأنَّ في قلبها دافعاً يدفعها اليهِ ولكنها ابت ان تدعو ذلك الشعور حبَّاً فقالت في نفسها هذا تأويل حلمي الليلة فلن يأخذني الفارس معهُ الى النهر فنغرق معاً ولكني سارفعهُ الى قمة المجد وادلُّهُ على اشرف خطة في الحياة فيتبعها ثم عمدت الى صندوقها ففتحتهُ وتناولت ادوات الكتابة وجلست تريد ان تكتب اليهِ لكن عواطفها تغلبت عليها فجمدت قريحتها فنزلت الى الدار حيث كان الكاتب نائماً فايقظتهُ وكلفتهُ ان يقول لسيدهِ "نعم" ثم خطر ببالها انها لم تطلع روفينس والطبيب على اقتراح اوريون فعادت ادراجها اليهما واخبرتهما فاجابا بالايجاب

الفصل الحادي والعشرون

وفي العشية جلس روفينس واهل بيتهِ وفيلبس وباولين في البستان ينتشقون الهواء الرطب ويقضون السهرة بالاحاديث والنكات وكان البدر يمطر نورهُ على الاشباح فيكسوها حلَّة من الفضة والنسيم البليل يهب من الشمال فيزيد الليل بهجة والصدور انشراحاً فاقترح روفينس ان يظلوا ساهرين فيرقبوا خسوف القمر تلك الليلة فارتاح الجميع الى اقتراحهِ واخذ الرجلان يبحثان في الخسوف وكلاهما يأسف على ما تفعلهُ الكنيسة من استرسالها الى متابعة العامة في تصديق الخرافات حتى باتت تحسب امثال هذه الظواهر مما يتشاءم بهِ فعمد رجالها الى اتخاذ الحفلات والمواكب ورفع التضرعات الى الله ليدرأ شرها عن البلاد فقال روفينس

— ان تفسير الحوادث الطبيعية التي تحدث طبقاً لنواميس ازلية والتي يمكن تعيين زمان وقوعها بالضبط قبل حلوله واتخاذها دليلاً على غضب الله من باب التجديف كأنما عقاب الانسان وثوابهُ مرتبطان بسير الشمس والقمر فقد نمي اليَّ ان المطران والكهنة سيسيرون في طليعة الموكب مرنمين مبتهلين ليحملوا الشعب بفعلهم هذا على الايقان بان حادثة طبيعية بسيطة لها معنى خارج عنها . فقال الطبيب

— واذا ازداد المذنب الذي اكتشفهُ مربيَّ وضوحاً وجلاءً وانتشر ذنبهُ في الفضاء فهناك الطامَّة الكبرى والمصيبة العظمى فتهلع قلوبهم وتجزع افئدتهم فقد رأيتهم اليوم كالمجانين فقالت هيلانة

— لكنَّ المذنب نذير الحرب والقحط والجوع والوباء وقالت باولين

— وهذا ما كنت اعتقدهُ فاجاب الطبيب

— وهو خطأٌ وعندنا انهُ دليل على فساده ومن الاثم حمل العامَّة على الاعتقاد بهذه الخزعبلات ولا يخفى عليكما ان اضطراب الافكار وانخفاض النيل من اعظم الاسباب العاملة في تفشي الاوبئة وسترى ياروفينس صحة قولي يوم نعدّ مرضانا بالمئات فاجاب الشيخ

— انا رهين اشارتك

ودار الحديث على الامراض والاوبئة وشدَّة اعتناء روفينس بذوي العاهات ثم نهض فيلبس لحيّاهم وانصرف الى احد مرضاهُ وبقي روفينس يحدث بما اتفق لهُ من النكات والطرف والنوادر في اسفاره ثم اشار الى ميلهِ الاصلي الى علم الجراحة فاخبر باولين عمَّا انفق من الوقت في الدرس والبحث بينما كان يشتغل في علم البيان الى ان قال وترك لي عمي ثروة طائلة امنت معها جانب الفقر فتخليت عن صناعتي وعمدت الى التطبيب ثم رافقت جنود الروم الى حرب الفرس كجراح فانكسر حقي وقاسيت ما يقاسيهِ الجرحى من الآلام التي لا تطاق فزاد عزمي ثباتاً على تخفيف مصائب اخواني واسعاف ذوي العاهات بمعرفتي واموالي ولما بدا لي تصوري في الصناعة دخلت المدرسة حيث عرفت فيلبس وهو بعد فتًى وانا رجل وهناك ابتدأت صداقتنا وهو الذي رغَّبني في سكنى منف . ثم اطنب في مدح الطبيب وابدى شدة اعجابهِ بذكائهِ وهمتهِ وقال انهُ على صغر سنهِ يفوق الشيوخ حكمة وتعقلاً

ولما فرغ من حديثهِ قبضت باولين على يدهِ وقالت لو كنت رجلاً لشاركتك في اعمالك ومع ذلك فقد سمعت فيلبس يقول ان في طاقة المرأة الاهتمام بمثل هذه الاعمال وقد لقيت في بيتكم سعادة لم اكن لاحلم بها منذ شهرين فلتكن زوجتك لي اماً وكن انت لي بمقام ابي فتهلل الشيخ فرحاً وقال

— على الرحب والسعة فانتِ ابنتنا فكوني اختاً لهيلانة وعليها ان تقتدي بك ثم قال
— ارفعن ابصاركنَّ الى العلاء فقد ابتدأ الخسوف وهوذا "ستّ" بصورة الدبّ يبتلع عين هورس بحسب زعم المصريين القدماء ألا ترين الظلّ يحجب سطح القمر فقد كان القدماء عند ابتداء الخسوف يقرعون الطبول وينفخون في الزمور ويضجون ويصرخون لعلّهم يطردون الخبيث الذي يبتلع القمر وكان آخر ما جرى من هذا القبيل في مصر منذ اربع مئة سنة لكن المسيحيين اليوم يحطون منزلتهم فيتمثلون بعبدة الاصنام ولست اذكر بلاداً نصرانية دخلتها الاّ رأيتهم يفعلون ما يفعله اصحابنا اليوم نعم ان ديننا نقض اديان الاقدمين لكن خرافاتهم علقت بنا فاندست في ضلالتنا. هلمَّ انظرنَ الموكب فهم يعولون كأنَّ الدب يبتلع القمر فعلاً او كأنَّ العالم سينقضي ففي قلوبهم مرض والذين يلبسونهم لباس الخوف هم في ضلال مبين
(ستأتي البقية)

الصحيح من الفراسة

الكبرياء

ان الاخلاق القديمة المغروسة في طبع الانسان اي التي مارسها اسلافهُ منذ الوف من السنين كالحب والبغض واللذة والالم والتكبُّر والتواضع اظهرُ فيهِ من الاخلاق الحديثة التي تخلَّق بها منذ قرون قليلة كالتديُّن والتشكيك والكرم والبخل ولذلك ترى ملامح الاخلاق الاولى واضحة في الوجه واما الاخلاق الثانية كالكرم والبخل فلا يظهر لها ملامح خاصة بها

والكبرياء من الاخلاق القديمة ومن اكثرها ظهوراً تجدها في الطفل والشيخ والمتمدن والمتوحش وملامحها واضحة لا تخفى على احد ولا تلتبس بغيرها ولذلك فمن اسهل الامور تقليد المتكبر المتعجرف وتمثيل صورتهِ في الحجر والقرطاس

والقدماء من اهل الفراسة استدلوا على الكبرياء كما استدلوا على غيرها من الاخلاق بشكل الاعضاء كاستعلاء العينين وارتفاع الحاجبين واتساع القدمين وحمرة الوجنتين . لكنهم لم يقتصروا على ذلك بل اعتدُّوا ايضاً بالحركات التي عليها المعوَّل الاكبر في الفراسة الصحيحة لان حركات المتكبر لا تخفى على احد ولا يسهل عليهِ اخفاؤُها . وهي على ثلاثة انواع امارات الكبرياء مع الرضى وامارات الكبرياء مع القهر وامارات الكبرياء مع الرياء وهذه الاخيرة هي الامارات التي دمثتها التربية فلم تعد خشونتها ظاهرة . ومن النوع الاول ما يأتي

رفع الحاجبين
رفع الرأس
رفع العنق
نصب القامة
النظر الى الاعلى او الى الافق
ابراز الشفة السفلى
اطباق الفم بشدة
بسط الذراعين
رفعهما فوق الرأس
وضع الكفين على الفخذين ومرفقاها بارزان الى اليمين والى اليسار
مشية الخوزلى او البخترة
تصعيد الانفاس كأنهُ بتعب
التبسم والضحك

هذه امارات الكبرياء مع الرضى اما امارات الكبرياء مع القهر فمنها
خفض الحاجبين
غض الطرف
اطراق الرأس وحنو القامة
اظهار التبرم كمن يذوق شيئًا مرًّا
الميل الى الاختفاء
ومن امارات النوع الثالث
خفض الراس
ابراق العينين
اظهار الاعتذار او الشكر والتوسُّل
البكاء والضحك دواليك
زم الشفتين
اضطراب الصوت

ويراد بهذه الحركات تكبير الجسم وتفخيمهُ في النوع الاول منها وتصغيرهُ وتحقيرهُ في النوعين الثاني والثالث . ومن اوضح الادلَّة على معنى الكبرياء وسائر الالفاظ الواردة بمعناها اشتقاق هذه الالفاظ فالكبرياء والكبَر والكبْر والكبير من اصل واحد والعظَمة والعِظَم والعظيم من اصل واحد . والخيلاء من الخيال والوهم لان صاحبها يوهم غيرهُ . والعُجب من العَجب او السرور بالنفس . والزهو والتيه والبخترة من حركات الانسان المتكبر المعجب بنفسهِ وهلمَّ جرًّا

وتجد المتكبر يبدي هذه الاشارات ويتكلَّم غالبًا بالفاظ مفخَّمة وصوت عالٍ. ولما كان ترفُّعهُ يستدعي خفض غيرهِ فتراهُ يزدري غيرهُ ويتبسم تبسُّم الازدراء . وهذا التبسم واضح تبرز فيهِ الشفة السفلى. ومعلوم ان خلقًا راسخًا في النفس وتدعو الحال الى اظهارهِ دوامًا في الوجه والقامة لا بدَّ ان يبقى اثرهُ فيهما ولذلك لا تخفى هيئة المتكبر ولو لم يُظهر امارات الكبرياء بل يقال ان سيماء وجههِ تظهر كبرياءهُ ولو كان نائمًا

الّا ان الاخلاق المتصلة بالكبرياء ليست كلها من المعايب بل كثير منها من المحامد كالأنفة والشمم والترفُّع عن الدنايا وحبّ السيادة والقيادة. وهذه المناقب تبدو بنوع خاص في كثير من ابناء العظماء الذين ورثوا السيادة كابرًا عن كابر . وقد تظهر في اناس انسابهم

القريبة وضيعة لكنها من قبيل العود الى الاصل اي ان اجداد اجدادهم كانوا من اهل السودد ثم اخنى عليهم الدهر فافقرهم واذلهم لكنهُ لم يقوَ على نزع جراثيم السيادة من عروقهم فنمت فيهم حالما توفرت لها اسباب النماء

ومن اساليب الكبرياء العُجب وهو افتخار الانسان بجمالهِ او بغناهُ او بحسن بزتهِ او بنحو ذلك من المزايا الطبيعية والعادات المكتسبة وقد مثَّل المصورون العجب بالمرآة كأَنَّ المعجب بنفسهِ يضع مرآة امام عينيهِ ليرى فيها صورتهُ دوامًا . ويقترن العجب بالغنج والدلال فتظهر هذه الاوصاف في الحيوان كما تظهر في الانسان

وما برقشة الطيور وهديل الحمام وزقاء الديوك وزمار النعام الاَّ من قبيل الغنج والعُجب والدلال وقد يقترن العُجب بالقحة وينتفي منهُ الظرف واللطف فيصير عجرفة ووقاحة ودعوى عريضة . قال الاستاذ منتغزا لقد لقيت ملوك اوربا وشيوخ بعض القبائل في اميركا فرأَيت من عجرفة هؤلاء وانتفاخهم ما لم ارَ لهُ مثيلاً في قصر من قصور الملوك . والتهذيب الصحيح يضعف دلائل الكبرياء ومعاشرة الناس تدعو الى خفض جناحها لان المتكبر يرى كثيرين مثلهُ ينازعونهُ السيادة والدعوى فيضطر ان يخفض لهم جناحهُ لكي يخفضوا لهُ جناحهم وبذلك تدمَّث الاخلاق رويدًا رويدًا. ثم ان المتكبر مكروه مبتعَد عنهُ فاماَّ ان يغيّر طباعهُ او يبعَد ويقلى فيضعف نسلهُ او ينقرض ولذلك تجد ان العمران قد هتم انياب التوحُّش وقلَّم اظفار الخشونة ودمَّث اخلاق الجمهور

العيون الصناعية

واستنباط بديع فيها

لم تكن العيون الصناعية عند اول ظهورها مثلما هي عليهِ الآن من الاتقان بل كانت غليظة الصنع ثقيلة الوزن بعيدة الوانها عن الوان العيون الطبيعية . غير انها ما زالت تتدرج في الاتقان شيئًا فشيئًا وتنتقل رويدًا رويدًا من حسن الى احسن حتى اصبحت على ما هي عليهِ الآن من دقة الصنعة وخفة الوزن وجمال الالوان التي كادت تحاكي الالوان الطبيعية . ولكن مع كل ما وصلت اليهِ من التحسين لا يزال يعتورها شيء من العيوب ولا تزال في حاجة الى الاصلاح . ومن عيوب العيون الصناعية الحالية عيبان كبيران اولها عدم حركتها متى وضعت في المحجر الخالي من المقلة او ضعف تلك الحركة بالنسبة الى حركة العين الطبيعية السالمة

المجاورة لها مما يشوّه منظر الوجه ويستلفت النظر الذي اعتاد ان يرى العينين الطبيعيتين تتحركان معاً حركةً واحدةً متناسبةً . وثانيهما ما تسببهُ العين الصناعية من الألم والاذى للمحجر الموضوعة فيهِ اذا كان حجمها غير مناسب لذلك المحجر او اذا كان شكل حوافيها التي ترتكز على الملتحمة المبطنة للمحجر لا ينطبق على شكل تعرجات تلك الملتحمة . وهذا العيب الثاني قد يكون احياناً كثيرةً سبباً للعيب الاول اي ان العين الصناعية اذا كان حجمها وشكلها غير مناسبين للمحجر الموضوعة فيهِ حجماً وشكلاً فضلاً عن انها تهيج ذلك المحجر وتؤلمهُ فهي لا تتبع فيهِ حركة العين الطبيعية المجاورة لها كما سنوضح ذلك فيما يلي

العيب الاول : عدم حركة العين الصناعية او ضعف تلك الحركة بالنسبة الى حركة العين الطبيعية المجاورة

لهذا العيب سببان إما عدم صلاحية العين الصناعية للمحجر الموضوعة فيهِ كما ذكرنا وهو سبب مشترك بين هذا العيب والعيب الثاني الذي سنتكلم عليهِ وإما زوال الحركة من الاجزاء الرخوة المبطنة للمحجر بعد استئصال العين . وقد استدرك الجراحون ولا سيما الرمديون منهم هذا السبب منذ استنباط العيون الصناعية وهو عهد غير بعيد وصاروا يقللون ما امكن من استئصال العين ويعوضون عنهُ ببتر جزئها الامامي وابقاء جزئها الخلفي حتى ترتكز عليهِ العضلات وتحركهُ وتحرك العين الصناعية التي توضع عليهِ . وكادت عملية استئصال العين تتلاشى في ايامنا هذه لولا وجود بعض الامراض التي لا يرجى شفاؤُها الاّ بهذه العملية ومن هذه الامراض التهاب العين الفلغموني والاغليكوم المزمن المؤلم والنزفي والاورام الخبيثة الى غير ذلك مما لا حاجة الى الكلام عنهُ هنا . ولم يكتفِ رمديو اليوم بتجنب عملية الاستئصال في غير الامراض الخبيثة التي ذكرنا بعضها بل انهم نوّعوا طريقة الاستئصال متى دعت الحاجة اليهِ . وذلك انهم عوضاً عن استئصال المقلة وجزء كبير من الملتحمة والعضلات المجاورة لها كما كان يفعل الجراحون قبلاً صاروا لا يستأصلون سوى المقلة مجردةً ويحافظون على كل العضلات والاجزاء الرخوة المحيطة بها لكي يتكوّن من هذه الاجزاء بعد التحامها كتلة متحركة ترتكز العين الصناعية عليها وتتحرك معها . فيجب على كل رمدي وجراح اتباع هذه الطريقة في استئصال العين اذا دعتهُ الضرورة اليهِ ما خلا اورام العين الخبيثة الممتدة التي تستلزم حتماً استئصال هذا العضو وكل ما يجاورهُ ويحيط بهِ من العضلات والاجزاء الرخوة مما لا سبيل بعدهُ الى استعمال العين الصناعية إلاّ بكل صعوبة

العيب الثاني : ما ينتج من الألم والاذى عن استعمال العين الصناعية للمحجر الموضوعة فيهِ

والعين الطبيعية السليمة المجاورة

هذا هو العيب الاكبر الذي بنينا عليهِ مقالتنا ونريد استلفات النظر اليهِ بنوع خصوصي . وهو العقدة التي لم يهتدَ الى حلها الاَّ منذ شهور قليلة . ولا يزال الاصلاح الناتج عن هذه العقدة في مهد ظهورهِ ولم ينتشر بعد خبرهُ لان مكتشف هذا الاصلاح وهو الدكتور دوميك (Domek) الرمدي لم ينشر بعد في الجرائد الطبية الاَّ بعض التلميح عن هذا الاستنباط ولكنهُ سيوفيهِ حقهُ من الشرح في المجتمع الرمدي المنعقد الآن في باريس . غير ان هذا الاستنباط رغمًا عن حداثة عهدهِ قد افاد كثيرين من مستعملي العيون الصناعية الذين علموا بهِ واستشاروا مبدعهُ . اما العامل المجتهد الذي اصلح العين الصناعية طبقًا لاستنباط الدكتور دوميك فلا يزال مفردًا وهو صانع عيون زجاجية في باريس يدعى المسيو جيرون (Giron)

استنباط الدكتور دوميك : لا يخفى ان كثيرين من مستعملي العيون الصناعية يشكون دوامًا المًا يلازمهم ما زالت العين الصناعية في المحجر ولا يجدون بعض الراحة الاَّ متى نزعوا تلك العين ليلاً للرقاد . وهذا الالم ناتج عن احتكاك حافات العين الصناعية بالمتحمة وما تحتها من الاجزاء الرخوة الضامرة الباقية من العين المفقودة وسبب هذا الاحتكاك الذي يهيج المتحمة ويلهبها ويؤلمها ويؤذي احيانًا العين السليمة المجاورة هو عدم التناسب بين شكل العين الصناعية والمحجر الموضوعة فيهِ . ومعلوم ان العادة المتبعة حتى الآن في انتقاء العين الصناعية هي ان مستعمل العين الصناعية اذا اراد شراء عين يذهب الى احد بائعي العيون فينتقي لهُ هذا عينًا تقارب عينهُ الطبيعية حجمًا وشكلاً ولونًا ما امكن ويضع لهُ تلك العين في محجرهِ ويقول لهُ اذهب بسلام . هذه هي الطريقة المستعملة في ايامنا حتى في باريس نفسها حيث يوجد الدكتور دوميك والعامل جيرون وذلك لأن العارفين باستنباط دوميك قليلون والقادمين على استشارة هذا الرمدي اقلُّ وقلَّ من مستعملي العيون الصناعية من لا يشكو الألم من استعمال العين التي ينتقيها لهُ البائعون . وذلك لان اشكال طيَّات المتحمة التي ترتكز عليها العين الصناعية تختلف باختلاف المحاجر والاشخاص ولا يخفى ان حافات العيون الصناعية التي ترتكز على المتحمة مستقيمة الشكل كلها على حدٍّ سوى بحيث ان العين الصناعية متى وضعت في المحجر لا تجد المتحمة من حافاتها زوائد تملأ ما فيها من الانخفاضات وانخفاضات تملأ ما فيها من المرتفعات ولذلك قلما تثبت العين الصناعية في المحجر وبسبب ضغط حافاتها على المرتفعات من طيات المتحمة تلتهب هذه وتؤلم صاحبها . ولهذا السبب نفسهِ لا تتبع العين الصناعية حركة المتحمة المرتكزة عليها وهو العيب الاول الذي ذكرناهُ

وليت عدم التناسب بين العين الصناعية والملتحمة التي ترتكز عليها يقتصر على احداث ذينك العيبين وهي عدم الحركة والألم ولكنهُ بسبب الالتهاب الذي يحدثهُ في المحجر قد تتأثر العين السليمة بالمجاورة وربما افضى ذلك الى التهابها وفقدها وهناك الطامة الكبرى والبلية العظمى اذ ليس العمى بالامر السهل كما لا يخفى على كل ذي بصيرة. ولطالما سمع الرمديون شكوى مستعملي العيون الصناعية ولم يهتدِ رمدي منهم الى ايجاد طريقة تخفف الالم وتمنع الاذى عن اولئك المنكودي الحظ حتى قدّر الدكتور دوميك الرمدي أن يستنبط التحسين الذي نحن بصدده وذلك ان هذا الرمدي لما تحقق ان علة التهاب الملتحمة والاضرار الناتجة عنهُ هي عدم التناسب بين العين الصناعية والمحجر الموضوعة فيهِ رأى ان يصنع لكل محجر قالباً تُصنع العين الزجاجية على قدهِ وشكلهِ كما تُصنع قوالب الفم واللثة لعمل الاسنان الصناعية . وقد استعمل مواد كثيرة لصنع قوالب المحجر كالكاوتشوك والشمع وغيرها فلم يفلح غير ان ذلك لم يثن من عزمهِ فما زال يتبع التجربة بالاخرى حتى اهتدى الى مادةٍ تفي بالغرض المقصود وتلك المادة هي البارافين Paraffine

معلوم ان البارافين يكون جامداً في الحرارة الجوية ولكنهُ يسيل اذا أُحمي او وضع في ماء غالٍ ويبقى لخفتهِ عائماً على سطح الماء واذا ترك على هذه الحالة حتى يبرد ينتقل من السيولة الى الجمودة تدريجاً لان الماء الغالي يبرد ببطء كما لا يخفى بحيث انهُ يمكن استعمال البارافين وهو بين بين اي في حالة الليونة . فمتى برد الماء الغالي حتى يصبح البارافين الذي على سطحهِ بحالة الليونة تؤخذ كتلة صغيرة منهُ وتوضع في المحجر وبعد اطباق الجفنين عليها تضغط بالاصابع ضغطاً خفيفاً حتى تتخذ شكل المحجر وتعاريج الملتحمة من ارتفاعات وانخفاضات ثم تترك في المحجر بضع دقائق حتى تجمد لان حرارة الجسم غير كافية لابقائها في حالة الليونة . وعند ما تجمد يمكن اخراجها من المحجر بسهولة فتصير اذ ذاك القالب الذي تصنع العين الزجاجية على شكلهِ وقدهِ

فبعد ان يصنع الدكتور دوميك قالب المحجر على هذه الكيفية يبعث بهِ الى المسيو جيرون وهذا يصنع العين الزجاجية على شكلهِ تماماً ويلونها بالوان تشبه الوان العين الطبيعية تماماً بعد مشاهدة المريض الذي لاجلهِ تصنع العين . فبهذه الطريقة ترتكز العين الصناعية ارتكازاً محكماً على ملتحمة المحجر الذي صنعت لاجلهِ بحيث تبيت تحدبات حوافيها في منخفضات الملتحمة المقابلة لها وتبيت تحدبات الملتحمة في منخفضاتها . وهكذا يزول الاحتكاك المؤلم والالتهاب الذي ينتج عنهُ في الملتحمة وتتبع العين الصناعية حركة تلك الملتحمة وبالتالي حركة العين السليمة بحيث انهُ اذا كان لون العين الصناعية يشبه لون العين الطبيعية تماماً كما يصنعهُ المسيو جيرون

يتعذر احياناً حتى على الرمدي نفسهِ التمييز بين العين الصناعية والعين الطبيعية لاول وهلة

وقد اسعدني الحظ وعرفت صانع العيون المسيو جيرون بواسطة استاذي الدكتور ابادي ولما زرت محل هذا العامل النشيط مع بعض نزلاء باريس من المنقطعين لدرس امراض العين وجدنا هناك خلقاً كثيراً من مستعملي العيون الصناعية وقد ارانا المسيو جيرون طريقة صنع القوالب التي اخذها عن الدكتور دوميك وسمح لكلٍّ منا عمل بعض قوالب لمحاجر المرضى الذين كانوا عندهُ حتى اذا عاد كلٌّ منا الى بلادهِ يمكنهُ عمل قوالب متقنة للمحتاجين الى عيون صناعية متقنة وارسالها الى محل جيرون في باريس لتصنع العيون على قدها وشكلها وتلون بلون يشبه لون العين السليمة اذ يلزم ان ترسل مع كل قالب عين زجاجية يشبه لونها لون العين السليمة ويكون قاعدةً لتلوين العين المطلوبة

وقد ارانا المسيو جيرون عدة عيون زجاجية صنعت على هذه الطريقة الحديثة ووضع امامنا عيوناً لبعض الناس صنعها لهم طبقاً لقوالب محاجرهم والوان عيونهم الطبيعية فالفيت تلك العيون الزجاجية تحاكي العيون الطبيعية لوناً وحجماً وحركةً فاثنينا على ذلك الصانع النشيط وشكرنا لهُ ثم انصرفنا ونحن نقول ما اقدر الانسان

باريس الدكتور

شدودي

معرض شقاء

يا صاحِ ما هذا الذي انا راءِ ... أُدنُ أقتربْ مني وقِفْ بازائي
عيني ترى شيئاً من الاشياء ... أخفاهُ عني حاجبُ الظلماء
حدّق اليهِ معي وقل لي يا تُرى ... ماذا فاني بتُّ فيهِ تحيرا
شيءٌ هنا ملقىً على وجهِ الثرى ... ومن الظلام مدثَّرٌ بغطاءِ
ما لي أراكَ مشرّداً ومروّعاً ... والرشدُ خانك عهدَ ودِّك ما رعى
أَمن الجمادِ تظنُّ ذا متفرعاً ... ام أصلهُ حيٌّ من الاحياء
أنظر معي أفليس ذلك معبداً ... للدين مبنيّاً هنا ومشيدا
ذا بابهُ وامامَهُ هذا غدا ... ملقىً فما هو سرُّ ذا الإلقاء

الليل داجٍ والدجنّة تطبقُ ... والجو يقصف بالرعود ويبرقُ

والارض من وقع الصواعق تقلقُ مهتزَّةٌ من مطابق الارجاء
والريحُ باردةٌ تهب وتعصفُ والزمهرير على الجوانح تقذفُ
ولقرسها الانسان اذ يستهدف يهتز منتفضاً كذي برداء
والودق سحٌّ من السما يتدفقُ حتى تكاد الارض فيهِ تغرقُ
لو أنهُ لمكاننا يتطرق لطغى واغرقنا مسيل الماء
لكنّ موقفنا رصيفٌ مرتفعٌ نوقى بهِ خطر السيول المندفعْ
وبطنفهِ الامطار عنّا تمتنع من فوق بل من سائر الانحاء

انصتْ فما هذا الذي انا أسمعُ صوت كصوتِ الطفل اذ يتوجعُ
ان كان طفلاً فهو نزعاً ينزعُ برداً وجوعاً او من الاعياء
أسرع اليهِ معي نقدمْ بالعَجَل من قبل ان ينتاشهُ منّا الاجلْ
ودع السؤال الآن عنهُ لا تسَلْ أنضيع فرصتنا بالاستقصاء
أمددْ يديك كذي عمًى متلمسا متنسماً متوسماً متوجسا
وانشط اليهِ عساك تدركهُ عسى قبلي فتنقذهُ من البأساء
هوذا يدي لمستهُ قبلك فاقترب واسمعهُ يا اسفي عليهِ ينتحب
وانظرهُ منتفضاً يقف ويضطرب افلا نجود عليهِ بالإدفاء
خذهُ لاخلعَ جبّتي والفهُ فيها فيوق قرس بردٍ شفهُ
حتى اذا ما الدفءُ حالاً حفّهُ أمن الردى متمتعاً ببقاء
واستر محياهُ بمنديل على عجلٍ فلا ينتابهُ مطرٌ ولا
حسناً فعلتَ فبي انطلق مستعجلاً حالاً بلا ريث ولا ابطاء
هيّا تقدّمني وسر بي مدلجا واخبطْ لي تحت الدجنةِ منهجا
وبذاك آمنُ مرطماً اومزلجا والطفل يسلم من اقل إذاء
دُر عن شمالكِ واتخذ ذا الشارعا لك مسلكاً واماميَ اعد مسارعا
وبباب هذا البيتِ قف بي قارعا فيهبَّ من فيه من الاغفاء

فتحت لنا امرأةٌ بقلبٍ مضطربْ اكل الوجى أكلاً عليهِ وقد شرب
خاطبتها في ما لديَّ فلم تجب للخوف واقتصرت على الايماء

قد راعها والليلُ اسحمُ حالكُ والخوفُ فيهِ كل قلبٍ مالكُ
فزعٌ شديدٌ صادع متداركٌ وطروق سار في الظلام لجائي
لكنها لمَّا رأتني مَن انا ودرت لماذا الآن جئت الى هنا
عذرت وقالت طبْ فقل نلتَ المنى فانا لهذا الداء خير دواء
مدَّت ذراعيها ومني سُلّمت طفلاً اليهِ خُطى المنون تقدَّمت
كشفت محياهُ وفيهِ توسمت ما قطُّ لم تنظرهُ مقلةُ راءِ
حُسنٌ تقول غزالة ذا ام قمر وطهارة تقول ما هذا بشر
وملامح دلت على اتلى الخطر ومخايلٌ لنباهةٍ وذكاء
عطفت عليهِ فقبلتهُ اربعا وبكت فابكتني جوًى وتوجُّعا
ثم انصرفتُ الى مبيتي مسرعا وجرى الرفيق معي يسير ورائي

لا يطمع القرَّاء اني باسم من اودعتها ذا الطفل اجهر بالعلن
والطفل ايضاً والمكان مع الزمن مكتومة عن معشر القراء
واهمُّ من هذا واجدر بالخبر ان يدركوا عمَّا جرى بعض الاثر
هل مات ذا المسكين مثل المنتظر ام زارهُ طيف الحياة النائي
ما مات بل خلعت عليهِ يدُ القضا عمرًا ولو كان المخيَّرَ ما ارتضى
بل ودَّ لو أنَّ الفناء تعرَّضا لوجودهِ وكساهُ ثوبَ فناء
والمرء هذا ليس في امكانهِ ابدا ولا المقدور طوع بنانهِ
فليثنِ عنهُ اذًا عنانَ لسانهِ خوفَ الغواية او من الاغواء
مرَّت على الطفل السنون وقد نما مترعرعا متدرجًا متقدما
جاز الصبا وعلى الشبيبة سلَّما متوقعًا فيها اتمَّ هناء
ربَّتهُ تلك المراةُ الفضلى على سنن الفضيلة منَّةً وتفضلا
وامامهُ قد سهَّلت سبل العلى حتى يحلّق في ذرى العلياء
لما رأتهُ مستعدًّا للعمل تحييهِ انفاس الشبيبة والأمل
قالت لهُ سرْ شاعك التوفيق وال اسعاد في الأصباح والأمساء

من بعد اعوام مضيت إمع السحر وحدي لاقفيَ ما على بالي خطر

فاخذتُ أُطلقُ خارج البلد النظر   في كل ما حولي من الاشياء
واذا بقرب النهر اذني تسمعُ   شكوى فتى متظلمًا يتوجعُ
فوقفت حيث سمعت ما يتصدّع   منهُ فؤادُ الصخرة الصماء
يبكي وينحب قائلاً متذمرًا   من ذا يخبرني بذنبي يا تُرى
اني نُبذتُ ولم اجد بين الورى   احدًا اوى في راثيا لبلائي
بل كلهم طرًّا عليّ تألبوا   وتنكّبوا قربي معا وتجنبوا
حتى كأني عقرب او اجربُ   او فيَّ داء الخبثُ الادواء
حيث التفت ارى وجوهًا باسره   عني تشيح وبي افتئاتا ساخره
وارى عيون الكل نحوي ناظره   ابدا تبل الهزء والازراء
شنُّوا عليَّ غارة التحقير ما   رقُّوا لدمع سال من عيني دما
حتى غدا بيَ الازدراء محكَّمًا   وعلى المدى مستعرضًا تاتائي
فاذا مشيتُ رأيتهُ يمشي معي   واذا اضطجعت رأيتهُ في مضجعي
هو مالئ عيني كيف كنتُ ومسمعي   وهو المسبب نغصتي وشقائي
لم اجنِ ذنبًا والبرية تشهدُ   فعلى م أُنبذ كالاثيم واطرد
هل إنَّ ذنبي أنَّني متفردُ   بين الورى بمناقبي الغرّاء

ثم انبرى يبكي ويشكو نحسهُ   وعصى تجلُّدهُ وطاوع يأسهُ
ودنا الى الشاطي ليلقيَ نفسهُ   منهُ ويخلص من بني حواء
فسقطت منقضًا عليه وحطتهُ   وعن ارتكاب الانتحار ثبطتهُ
وبكل ما ادريهِ عنهُ احطتهُ   علمًا بلا كتمٍ ولا إخفاء
حتى فرغتُ فقال لي ظهر السبب   ولذاك لا يبقى محلٌّ للعجب
فاذًا انا . إبنُ لقيط لانسب   لي مثلما لبقيَّة الابناء
لا أُمَّ لي تُدرى ولا ابٌ يُعرَف   ولذا القبتُ باللقيط واُوصفُ
افبعد هذا في البرية منصفُ   كلا وربِّ القبة الزرقاء
ماذا دعاك الى التقاطي يا ترى   اذ كنتُ مطروحًا على وجه الثرى
لو متُّ حينئذٍ لكنتُ بلا مرا   في راحةٍ من هذه البرحاء
والآن عن تغريق نفسي عقتني   والى النجاة من المهالك سقتني

فسقيتني غصص الاسى واذقتني في المرتين مرارة الكأباء

يا أرضُ لي ٱستمعي وانتِ أياسما أصغي فاصرخَ شاكيًا متظلما
اشكو وما شكوايَ من طير السما او من وحوش الغاب والصحراء
شكوايَ من جور ٱبن آدمَ وحدهُ فالظلمُ بات اعزَّ شيءٍ عندهُ
ولقد تجاوز في التحامل حدَّهُ فالكلُ فرعونٌ بلا استثناء
وابي وامي شرُّ مخلوقٍ سلك طرق الغواية مطلقًا تحت الفلك
فكلاهما والليل مشتدُّ الحلك بي طوَّحا وتعمَّدا ايذائي
كم مشبهٍ لهما بهذا الفعل بل كم من لقيط قبلنا لُقطَ ارتحل
ولئن يَعِشْ لخيانةٌ موت فهل بين الورى اشقى من اللقطاء

القاهرة اسعد داغر

اسباب الوراثة

من الاوصاف ما يرثهُ الفرد من والديهِ ويورثهُ لاولادهِ دوامًا ككل مميزات الجنس مثل السلسلة الفقرية واليدين والرجلين والشعر في ذوات الاربع ومثل السلسلة الفقرية والجناحين والرجلين والريش في الطيور . وككل مميزات النوع مثل انتصاب القامة وسائر الاوصاف التي يمتاز بها نوع الانسان عن غيرهِ من انواع الحيوان. ويقارب ذلك مميزات الشعوب كمميزات الزنوج والهنود والصينيين واليهود والعرب

ويوجد عدا هذه الاوصاف التي يرثها الفرد من والديهِ دوامًا ويورثها لاولادهِ اوصاف اخرى قد يرثها من والديهِ وقد لا يرثها وقد يورثها لاولادهِ وقد لا يورثها ككل المزايا التي تمتاز بها العائلة الواحدة عن العائلة الاخرى مثل طول العمر وطول القامة والميل الى السمَن او النحافة والميل الى الصلَع وككثير من الاوصاف العقلية

ثم انهُ يوجد نوع ثالث من الاوصاف التي لا يرثها المرءُ من والديهِ ولكنهُ يكتسبها اكتسابًا في حياتهِ بواسطة التربية او التعليم او التمرُّن او الاقليم . فهذه اختلف العلماء في هل يمكن ان تنتقل بالوراثة او لا . وبعد جدال طويل قرَّ القرار على ان العوارض التي تعرض فجأةً لا تنتقل بالوراثة فاذا قُطعت يد انسان لا يولد اولادهُ مقطوعي الايدي واما الصفات التي تسببها

الاحوال الخارجية بفعل تدريجي فقد تنتقل بالوراثة. حتى قال بعضهم ان ارتقاء الشعوب يتوقف على سن الزواج فالذين يكثر فيهم التزوُّج باكرًا قبلما تبلغ اجسامهم وعقولهم مبلغهامن النمو والارتقاء لا يرتقون مثل الذين لا يتزوجون الاَّ بعد ان تبلغ اجسامهم وعقولهم حدها من الارتقاء فان اولاد هؤُلاء يولدون وقد ورثوا التقدم العقلي والادبي الذي اكتسبهُ اباؤُهم واما اولاد اولئك فيستحيل عليهم ان يرثوا ما اكتسبهُ آباؤُهم بعد ولادتهم من النمو الجسدي والعقلي ولذلك اشار غير واحد من الباحثين بان يؤَخر الزواج الى ان يبلغ الرجال والنساء تمام نموّهم الجسدي والعقلي فيرث اولادهم ذلك منهم ويسرع ارتقاء الامة كلها والاَّ مالت الى الانحطاط

وقد ذكرنا غير مرة ما وجدهُ الشهير غلتون من مقدار ما يرثهُ الفرد من والديهِ واسلافهِ وهو انهُ يرث النصف من والديهِ والربع من اجدادهِ والثمن من آبائهم ونصف الثمن من اجدادهم والباقي وهو نصف الثمن من كل اسلافهم فوق اجدادهم

فالمورث الاول الاب والام . والثاني الجدَّان والجدتان اي ابو الاب وامهُ وابو الام وامها . والمورث الثالث آباء الجدين والجدتين وامهات الجدين والجدتين وهلمَّ جرًّا. فيرث المرء نصف اوصافهِ الطبيعيَّة من والديهِ والنصف الآخر من بقية اسلافهِ . فاذا زاد طول والديهِ عن متوسط طول اسلافهِ عشرة سنتمترات فلا ينتظر ان يرث كل هذه الزيادة منهما بل نصفها فيكون اقصر منهما خمسة سنتمترات واطول من متوسط اسلافهِ خمسة سنتمترات واذا نقص طول والديهِ عن متوسط طول اسلافهِ عشرة سنتيمترات فلا ينتظر ان يرث كل قصرها بل نصفهُ فيكون اطول منهما خمسة سنتيمترات وقس على ذلك الاوصاف العقلية والادبيَّة. فاذا فاق والداهُ اسلافهما علمًا وفضلاً اوجهلاً ونقصاً فلا ينتظر ان يكون مثلهما. وهذا الحكم اجمالي كما لا يخفى لا يتمشَّى على كل احد بل قد يكون لهُ شذوذ كثيرة فقد يولد المرء من والدين فاقا اسلافهما طولاً ثم يزيد طولهُ على طولهما وقد يولد من والدين فاقا اسلافهما عقلاً ثم يزيد عقلهُ على عقلهما لكن هذا قليل والحكم الاول هو الغالب ولولا ذلك لزاد العقلاء عقلاً والجهلاء جهلاً والفضلاء فضلاً والاشرار شرًّا وانقسم البشر انواعاً متباينة. لكن ناموس الوراثة يعدّل ذلك ويمنع ازدياد الفرق بين طوائف الناس

وقد استقصى العلاَّمة غلتون تاريخ مئة من المشاهير بحث عن اسلافهم واولادهم فوجد الشهرة تقل في آبائهم واولادهم على نسبة واحدة تقريباً فانهُ اشتهر ٣١ من آبائهم و ١٧ من اجدادهم و ٣ من آباء اجدادهم . واشتهر ٤٨ من اولادهم و ١٤ من احفادهم و ٣ من اولاد احفادهم

وقد طال بحث العلماء عن كيفية انتقال الصفات من الوالدين الى نسلهما وعن الحامل لها. فالحيوانات والنباتات الدنيا التي تتوالد وتتكاثر بالانقسام يكون كل جزء منها حاويًا صفات الاصل كلهِ كما ان القطعة من الرخام حاوية صفات الحجر الكبير الذي قطعت منهُ . والنباتات العليا التي تزهر وتثمر وتتكاثر ببزرها قد تتكاثر بالانقسام ايضًا فاذا قطعت قضيبًا من الورد وزرعتهُ نبتت منهُ جذور واغصان واوراق وازهار مثل الاصل الذي قُطع منهُ كأنَّ فيهِ دقائق مستعدَّة لتصير جذورًا ودقائق مستعدة لتصير اغصانًا او اوراقًا او ازهارًا . ومن النباتات والحيوانات الدنيا انواع تسبح في الماء يمتزج الذكر والانثى منها معًا ويصيران فردًا واحدًا ثم يكبر وينقسم اقسامًا كثيرة وهذه هي طريقة تكاثرها . واما الحيوانات العليا فلا تتكاثر بالانقسام بل بالتولد من جسمين صغيرين احدهما من الاب والآخر من الام يجتمعان معًا ويتولد منهما الحيوان الجديد . وفي كل جسم من هذين الجسمين الصغيرين دقائق كثيرة بعضها للتغذية وبعضها للانتقال وبعضها لغير ذلك من الافعال اللازمة للحياة والنمو . وقد اختلف العلماء في ما هو الداعي الذي دعا الى تولُّد الفرد الواحد من اثنين من اب وام في اكثر انواع الحيوان وبعض انواع النبات وظهر لهم الآن ان الجرثومة الآتية من الانثى قد تنمو وحدها في بعض الاحوال من غير ان تمتزج بالجرثومة الآتية من الذكر والجرثومة الآتية من الذكر قد تنمو وحدها في بعض الاحوال من غير ان تمتزج بها الجرثومة الآتية من الانثى وثبت الامران بالامتحان اي ثبت تولُّد الحيوان من غير تلقيح

ويتضح من ذلك ان جرثومة الذكر وجرثومة الانثى اي النطفة والبيضة مشاركة في تكوين المولود الجديد وانهُ يرث من ابيهِ ومن امهِ معًا . والذي يرثهُ من كلٍّ منهما يصل اليهِ محمولاً بالجرثومتين اللتين يتولَّد من امتزاجهما

ترى الفيل على ضخامة جسمهِ يتولَّد من جرثومتين صغيرتين الواحدة منهما ترى بالعين كاصغر ما يكون والثانية لا ترى بالعين لصغرها ومع ذلك تكونان حاويتين كل صفات ابيهِ وامهِ . واغرب من ذلك ان هذه الصفات لا تكون في الجرثومة كلها بل في جزء صغير منها فان العالم بوفري اتى ببيض حيوان بحري من النوع المعروف بقنفذ البحر وقطع البيضة منهُ قطعتين ابقى النواة في قطعة منهما ولقَّح الاخرى بلقاح ذكر من نوع آخر من قنفذ البحر فتلقحت ونما منها حيوان نوعهُ مثل نوع الذكر كأنَّ خلوَّها من النواة ازال منها صفات نوعها ولذلك فصفات النوع تكون في النواة . وصفات الاب تنتقل الى نسلهِ بواسطة النواة التي تكون في النطفة وصفات الام تنتقل الى نسلها بواسطة النواة التي تكون في البيضة

ولدى تدقيق البحث يظهر ان الحامل لصفات كل من الوالدين ليس النواة نفسها بل خيوط دقيقة تدخلها من البيضة والنطفة ومتى تمت البيضة وامتزجت نواتها بنواة النطفة تدعو الحال الى خروج جانب من هذه الخيوط من المزيج وبقاء الجانب الآخر فيه فيمتزج معاً وتتكون منه اعضاء الجنين المتولد منها . فجانب منهُ آتٍ من امهِ وجانب آتٍ من ابيهِ. ولعلَّ تولد الذكر والانثى متوقف على ما يتفق بقاؤهُ في النواة من هذه الخيوط فاذا اتفق بقاء جراثيم الاعضاء المميزة للذكر كان المولود ذكرًا واذا اتفق بقاء جراثيم الاعضاء المميزة للانثى كان المولود انثى وقد لا يحدث ذلك اتفاقًا بل يتبع ناموساً مقرَّراً كأن تكثر في النواة خيوط ابلغ الفريقين فاذا كانت النطفة ابلغ من البيضة فالمولود ذكر واذا كانت البيضة ابلغ من النطفة فالمولود انثى

ثم اذا كانت نواة البيضة صغيرة جدًا حتى لا تكاد ترى بالعين لصغرها ونواة النطفة اصغر منها جدًا حتى لا ترى الاَّ بالميكرسكوب الكبير فكيف تحوي كل منهما جراثيم آتية من كل عضوٍ من اعضاء الوالدين وكم يكون مقدار هذه الجراثيم في الصغر . ولا بدَّ من ان تكون كل جرثومة منها مؤلفة من دقائق كثيرة اصغر منها جدًا فالى اي حد تصل . هنا يقف العقل مدهوشا لان وسائط القياس التي ندركها بالنظر واللمس تقصر كثيرا عن الوصول الى حد الدقائق الصغيرة التي تتألف منها الاجسام فقد قسموا المتر الى الف قسم سمَّوا كل قسم منها مليترا وقسموا المليتر الى الف قسم سمَّوا كل قسم منها ميكرونًا ثم قسموا الميكرون الى الف قسم سمَّوا كل قسم منها ميكروملاً حتى يستطيعوا ان يقيسوا الجواهر الصغيرة التي تتألف منها الاجسام وبعد ان وقفوا عند الجوهر الكيماوي وسموهُ بالجوهر الفرد اي الجزء الذي لا يتجزأ لظنهم انهُ اصغر جزء يمكن الوصول اليهِ اكتشفوا الآن انهُ مؤلف من نحو الف جزء سموها الشوارد ions لانها تشرد او تتيه من القطب السلبي فاذا كان في السنتيمتر المكعب من الهيدروجين عشرون مليون مليون مليون من الجواهر الفردة وفي كل جوهر منها الف من هذه الشوارد ففي السنتيمتر المكعب عشرون الف مليون مليون مليون شاردة. والعين لا تتبيَّن الجسم الصغير اذا كان حجمهُ اقل من جزء من عشرين الف جزء من السنتيمتر المكعب فيكون في اصغر جسم تراهُ العين مليون مليون مليون شاردة من الشوارد فلا عجب اذا كان في جسم كل انسان عائش على وجه البسيطة الآن وفي كل دقيقة من دقائق جسمهِ ملايين كثيرة من الجراثيم الواصلة اليهِ من اسلافهِ واسلاف اسلافهم وبذلك تتضح اصول الوراثة الطبيعية وغرائبها

فتح المكسيك

(تابع ما قبله)

ذكرنا في الجزء الماضي ما اصاب كورتس من التلسكاليين قبل ان اضطرَّهم الى الهزيمة وما وقع في نفسهِ منهم. وفي اليوم التالي لمَّ شعث رجالهِ وحاول ان يسترضي التلسكاليين بكل واسطة لينجو من شرهم ويستعين بهم على اهالي المكسيك فبعث اليهم اثنين من اعظم الشيوخ الذين اسرهم في اليوم السابق عارضاً عليهم الصلح وطالباً منهم ان يسمحوا لهُ بالمرور في بلادهم لا غير. وخاف ان يغرَّهم الغرور اذا هو ابدى الضعف فاختار شرذمة من نخبة فرسانهِ وسار بها ضارباً في البلاد غازياً ومخرباً وعاد بالغنائم والاسرى لكنهُ عامل الاسرى بالرفق واقنعهم انهُ اضطرَّ ان يغزو بلادهم اضطراراً لان حكومتهم بادأتهُ بالعدوان . ولما عاد الى معسكرهِ وجد الرسولين قد عادا اليهِ فقالا انهما التقيا بقائدهما الذي هُزم بالامس ومعهُ خمسون الف مقاتل وهو متربص لكورتس ولا بدَّ من ان يوقع بهِ لان جمهورية تلسكالا عزمت عزماً اكيداً ان لا تدعهُ يمر في بلادها

فاسقط في يد الاسبانيين وخافوا خوفاً شديداً وايقنوا بالهلكة فاعترفوا للكاهن على جاري عادة المسيحيين قبل الموت وتناولوا القربان مودعين الحياة.

وعزم كورتس ان لا ينتظر هجوم التلسكاليين عليهِ بل يهجم هو عليهم لكي يبث الشجاعة في نفوس رجالهِ ويوقع الرعب في نفوس رجالهم . فجمع رجالهُ في الصباح وشدد عزائمهم واوصاهم ان يطعنوا التلسكاليين في وجوههم واوصى رجال المدافع والبنادق ان لا يكفوا عن اطلاق النيران وان يبقوا كلهم مجتمعين معاً حتى لا يتمكن العدو من اختراق صفوفهم.

وكان التلسكاليون نازلين في سهل فسيح وقوادهم بالخوذ الذهبية والحلل الريشيَّة وسنان رماحهم وحرابهم من النحاس الصقيل ينعكس عنها نور الشمس فيبهر النظر وفي مقدمتهم ما لا يحصى من الاعلام والبنود وبينها علم اللقلق الابيض شعار القائد العام وفوقهُ علم النسر الذهبي شعار الجمهوريَّة والرؤساء كلهم بالمضرَّبات المحشوة قطناً سمكها اصبعان او ثلاث لكي تقيهم رشق السهام والاغنياء منهم لابسون فوقها دروعاً من الذهب او الفضة وفي ارجلهم احذية من الجلد اطرافها من الذهب وعلى اكتافهم اردية من ريش الطيور منسوجة على اشكال بديعة وعلى رؤوسهم خوذ تشبه رؤوس الضواري فوقها ريش يتمايل في الهواء وفي ايديهم تروس من

الخشب مصفحة بالجلد الصفيق او من القصب مضرَّبة بالقطن عليها دهان صفيق وصور مختلفة حسب قبائلهم ومراتبهم

اما اسلحتهم فالمقلاع والقوس والسهم والحربة والمزراق وكانوا من امهر الناس برمي النبال يرمي الواحد منهم نبلتين او ثلاثاً في وقت واحد. وعندهم حراب مربوطة بحبال يرشقها الرامي ويبقى الحبل في يده وكان معهم بدل السيوف عصي فيها قطع من الصوان الحاد قال واحد انهُ رأى رجلاً منهم ضرب بها فرساً فبرى رقبتهُ برياً

ولما اقبل الاسبانيون عليهم صرخوا صراخ الحرب وبادروهم برشق النبال اما الاسبانيون فظلوا سائرين الى ان صاروا على مرمى الرصاص فوقفوا ونصبوا مدافعهم وبنادقهم وجعلوا يقذفون بها نار الهلاك فتحصد التلسكاليين حصداً . ودهش التلسكاليون في اول الامر ووقفوا مرتاعين من صوت البارود ودخانهِ ومن الفعل الذريع الذي كانت قنابلهُ تفعلهُ بهم ثم صرخوا صراخ الحرب وهجموا على الاسبانيين كالسيل الجارف ودفعوهم امامهم كما تدفع الريح العصافة . وناداهم كورتس يشجعهم ويحثهم على الثبات فضاع صوتهُ بين صرخات الهاجمين وايقن الاسبانيون بالهلاك سواء ثبتوا او هربوا ففضلوا الثبات واعملوا سيوفهم ورماحهم في مقدمة التلسكاليين وبقيت المدافع والبنادق تحصد جناحيهم واتجه التلسكاليون كلهم نحو الاسبانيين فوقع فيهم التشويش لكثرة عددهم وصار بعضهم يتعثَّر ببعض وانقضَّ كورتس عليهم بفرسانهِ فزادهم اضطراباً وتشويشاً . ومع مهارتهم في فن الحروب لم يكونوا يعرفون كيفية توزيع الجيش والتربُّص والهجوم فرقاً فرقاً فلما اشتركوا كلهم في الهجوم صدمت مقدمتهم نعل قلبهم وساقتهم وصار اقل اضطراب يؤثر فيهم كلهم فاصابهم ما اصاب الفرس مع الاسكندر المكدوني

وبينما كان الاسبانيون يحاولون الثبات والدلائل كلها تدلُّ على ان التلسكاليين لا بدَّ ان يفنوهم عن آخرهم ولو قتل بدل الرجل منهم عشرة وقع خلاف بين قائد التلسكاليين واميرٍ من الامراء الذين معهُ فرمى القائد الامير بالجبن ودعاهُ الامير الى المبارزة ولما لم يجبهُ الى طلبهِ خرج الامير برجالهِ وهم عشرة آلاف مقاتل واقنع اميراً آخر ان يحذو حذوهُ . ورأى القائد ان نصف جنودهِ تركوهُ فضعفت عزيمتهُ ولكنهُ لم يفشل بل عاد ونظَّم جنودهُ وبقي يساجل الاسبانيين اربع ساعات ولما وجد انهُ لم ينل منهم قدر ما نالوا منهُ عاد عنهم مخذولاً واكتفى كورتس بذلك فلم يسر وراءهُ واسرع الى جمع قتلاهُ ودفنهم لئلاَّ يراهم التلسكاليون فيعلموا ان الاسبانيين يموتون مثل غيرهم من البشر

وجُرح كثيرون من الاسبانيين لكنهم سرُّوا بفوزهم فطابت نفوسهم وايقنوا انهم وان

كانوا جنة فلن يقف امامهم احد من اهالي تلك البلاد ما دام عندهم مدافع وبنادق وخيول

ورأى كورتس ان قد حانت الفرصة الآن لعرض الصلح على التلسكاليين بعد ان قهر جنودهم فاوفد اليهم بعض الشيوخ في هذا الشان فاجتمع مجلس شوراهم وتشاوروا في الامر وكانت حجة الراغبين في الصلح ما بان لهم من شهامة كورتس في معاملة الاسرى فقالوا هذا رجل تحسن مصادقتهُ لكن حجة الراغبين في الحرب كادت تقوى على حجتهم واخيرًا استدعوا الكهنة وسألوهم عمَّا اذا كان الاسبانيون بشرًا او آلهة. فتشاور الكهنة في ما بينهم ثم قالوا ان الاسبانيين ليسوا آلهة ولكنهم من اولاد الشمس وقوتهم من قوتها فاذا غابت الشمس عنهم ضعف امرهم وسهل تبييتهم . والمظنون ان هؤلاء الكهنة لم يقولوا هذا القول عن سخافة بل عن احتيال لانهم يعلمون فائدة التبييت اي الهجوم على العدو ليلاً . وقرَّ القرار على تبييت الاسبانيين وكتم الخبر لكي لا يأخذوا اهبتهم الاَّ ان الليلة كانت مقمرة وكان الاسبانيون على تمام التيقظ ينامون باسلحتهم وخيولهم مربوطة بجانبهم فنهضوا حالاً وهجموا على العدو وهو آت عليهم خلسةً وكأن ظلمة الليل وضعف نور القمر كثَّرا عدد الاسبانيين وكبَّرا اجسام خيولهم فرآهم التلسكاليون اكثر مما كانوا عددًا واكبر اجسامًا فرشقوا ما بيدهم من النبال واركنوا الى الفرار وتبعهم فرسان الاسبانيين واوقعوا بهم وذبحوا منهم خلقًا كثيرًا

وعاد كورتس في الصباح فارسل الى عاصمة التلسكاليين يدعوهم الى الصلح واعدًا اياهم انهُ ينسى كل ما مضى ويتخذهم اصدقاء واذا لم يجيبوهُ الى طلبهِ دخل عاصمتهم عنوةً وخرَّب كل بيت فيها وقتل كل نفس بحد السيف . وامر الرسل ان يحملوا كتابهُ في اليد الواحدة وسهمًا في اليد الاخرى فرحَّب بهم نوَّاب التلسكاليين هذه المرَّة لانهم اقتنعوا الآن ان لا قبل لهم بمناوأة الاسبانيين واختاروا اربعة من امرائهم وارسلوهم الى كورتس ليقولوا لهُ انهم يرحّبون بهِ في عاصمتهم ويسمحون لهُ بالمرور في بلادهم ولكي يعتذروا لهُ عمَّا مضى ويعاهدوهُ عهد الصداقة وطلبوا منهم ان يروا اولاً بقائد الجيش ويخبروهُ بما قرَّ عليهِ رأي مجلس الشورى فلما قابلوهُ واخبروهُ بانهم آتون لاجلهِ ابي ان يسمع لهم قائلاً ان هؤلاء الناس بشر مثلنا ولا بدَّ لنا من ان نقهرهم اخيرًا .

ولما ارسل كورتس الرسل الى التلسكاليين سار بنفر من رجالهِ يغزو القرى المجاورة فاذا قابلهُ اهل قرية بالمسالمة تركهم وشانهم واذا قاوموهُ اوقع بهم ونهب ما عندهم وعاد في المساء فرأى الفتنة قد استحكمت من رجالهِ فاتوهُ وكلموهُ لا كما يكلم المرؤوس رئيسهُ بل كما يكلم الصديق صديقهُ وشكوا اليهِ ما يلاقونهُ من الشدَّة وقالوا انهُ لم يبقَ احد منا الاَّ اثخنتهُ الجراح

ونحن عائشون عيشة نحسد فيها البهائم لان البهائم تتعب في النهار وتستريح في الليل واما نحن فنتعب نهاراً وليلاً تعباً يفوق الطاقة وان كنا خفنا نحن بهذه الجمهورية الصغيرة فكيف نرجو ان نغلب على مملكة المكسيك الكبيرة

فقال لهم اني اعلم انكم تجشمتم من المشاق ما لم يتجشمه قبلكم اليونان والرومان ولذلك سيكون فوزكم اتجد من فوزهم . ثم اخذ يطري بسالتهم واقدامهم وقال لهم لا تنسوا ان يد الله القدير معنا وهو الذي يحارب حروبنا والنصر منهُ يؤتيهِ من يشاء . وانهُ هو لم يحجم عن حملهم ايذهُ بل قاسمهم المشاق كلها وكان النصر حليفاً لهم دائماً فاذا ارتدوا تخذولين الآن بعد ان قهروا عدوهم فالحجارة نفسها تهزأ بهم وتتهكم عليهم وتعيرهم الضعف والجبن . ورجوعهم لا ينجيهم من التلسكالين فانهم يجدون في اثرهم ويطاردونهم صيداً كما يصطادون الوحوش ويقدمونهم ضحايا لاصنامهم . وينقلب عليهم الذين حالفوهم من التوتناك ارضاءً للمكسيكيين ويجهزون عليهم

فلم يقنعهم هذا الكلام بل قالوا ان واقعة اخرى مثل هذه تقضي عليهم وان وصل احد منهم الى بلاد المكسيك فيكون لكي يُذبح هناك . ولما ضاقت حجة كورتس استشهد بشعر لهُ وقع عظيم في نفوس الاسبانيين معناهُ ان الموت في القتال خير من حياة الذل فردّد قولهُ الحضور وكأنهُ كان طلسماً على نفوس الكثيرين منهم اما زعماؤهم فخرجوا يلعنون الساعة التي رافقوهُ فيها

وفي الصباح التالي اقبل على محلة الاسبانيين نفر من التلسكالين باعلام البيضاء علامة السلم ومعهم شيء من الهدايا من الطعام والحلي وقالوا انهم آتون من قائد التلسكالين فانهُ ملَّ من الحرب ويود ان يصطلح مع كورتس وسيأتي بنفسهِ لهذه الغاية فسرَّ الاسبانيون بهذا الخبر الاَّ مربانا زوجة كورتس فانها اوجست خيفة من هؤلاء الرسل وقالت انهم جواسيس واطلعت كورتس على ما خامر نفسها فقبض على البعض منهم واستنطقهم على انفراد فثبت لهُ انهم من جواسيس القائد ارسلهم ليتجسَّس احوال الاسبانيين قبل الهجوم عليهم وعزم ان يجعلهم عبرة لغيرهم فقطع ايديهم وارسلهم الى معسكر التلسكالين وقال لهم انهُ مستعد ان يفعل كذلك بكل واحد منهم سواء اتوهُ نهاراً او ليلاً فارتاع قائدهم من هذا المنظر وثار رجالهُ قائلين انهم لا يحاربون عدوًّا يعرف اسرارهم وما يخامر نفوسهم فسمح لوفود مجلس الشورى ان يمضوا الى كورتس ويكلموهُ في امر الصلح وتبعهم هو بنفر من رجاله لابسين الاردية البيضاء والصفراء علامة السلم

وكان هذا القائد طويل القامة عريض المنكبين مجدول العضل كبير الراس مهيب الطلعة .

دخل على كورتس وسلَّم سلامهم العادي وهو لمس الارض باليد ورفعها الى الرأس وكان الغلمان بين يديهِ يوقدون الطيب في المباخر وتكلم فقال انني انا اقمت هذه الحرب وانا المسؤول عنها وقد فعلت ذلك لا لسابق عداوة بيني وبينكم بل لانني رأيتكم آتين مع انصار ملك المكسيك وهو عدونا فحسبت انكم ممالئون لهُ علينا فابى حبي لوطني ان يسمح لي بترككم تطأُون بلادي وتعبثون باستقلالها وقد قهرتموني المرَّة بعد الاخرى وهذا يدلني على انكم الرجال الذين تقول تقاليدنا انهم سيأتون من المشرق ويمتلكون البلاد . ثم ودَّ ان يعدلوا ولا يعبثوا بحرية تلك الجمهورية وقال انهُ آتٍ باسم اهل بلادهِ ليقدم طاعتهم للاسبانيين واكَّد انهم يجدونهم صادقين في السلم كما وجدوهم صادقين في الحرب

فسُرَّ كورتس من منظر هذا القائد واعجب بانفتهِ وشجاعتهِ لكنهُ لامهُ لانهُ لم يثق بكلامهِ من اول الامر وقال لهُ انكم ان ثبتم على وعدكم ولم تخفروا لنا ذمةً ولم تنكثوا عهدًا وجدتمونا من اصدق الاصدقاء

ثم قدَّم القائد لكورتس هديةً من الحلى الذهبية والثياب الريشية واعتذر عن قلتها وبخسها بفقر التلسكاليين وقال انهُ لم يقدمها الاَّ علامة لشكرهم واكرامهم فقبل كورتس اعتذارهُ وقال انها عندهُ خير من بيت مملوء ذهبًا

وبينما هم يتكلمون اتى وفود من قبل ملك المكسيك بهدايا نفيسة يحملها مئتان من الغلمان فيها ثلاثة آلاف اوقية من شذور الذهب والحلى الذهبية ومئات من الحلل المطرزة بالريش فانهُ كان يرقب سير كورتس في البلاد بعين الساهر الوجل وكانت رسلهُ تأتيهِ باخبارهِ يوميًّا حتى اذا دخل بلاد تلسكالا حمد الله قائلاً ان منيَّة الاسبانيين قادتهم الى تلك البلاد ثم لما بلغهُ انهم واقعوا التلسكاليين وقهروهم لم يبقَ ريب في نفسهِ انهم الغرباء الذين انبأَت التقاليد عنهم وانهم آتون لنزع الملك من يدهِ فاراد ان يبعدهم عنهُ بكل جهدهِ ولكنهُ ركب في ذلك متن الحماقة وحاول ابعادهم بالواسطة التي تظهر ضعفهُ وتزيد رغبتهم في الذهاب اليهِ وهي الهدايا النفيسة من الذهب ولما اعرب وفودهُ عن رغبتهِ قالوا ان الملك يخشى ان تزوروا بلادهُ فينالكم مكروهٌ من رجالهِ لكثرتهم ولانهُ اذا ثارت ثائرتهم تعذر عليهِ قمعهم فقال كورتس نحن قادرون على حماية انفسنا ولا يستطيع احد ان يوقع بنا ضررًا وما ذهابنا الى عاصمتهِ الاَّ طاعة لامر ملكنا الذي ارسلنا لهذه الغاية . فقال احد الوفود ان ملكنا يدفع الجزية الى ملككم اذا كان ذلك يرضيكم ويفي بمراد ملككم من غير ان تزوروا عاصمتنا فزاد طمع كورتس بذلك وزادت جرأتهُ

ولجَّ التلسكاليون على كورتس حتى مضى الى عاصمتهم وخرجت المدينة كلها لاستقباله رجالاً ونساءً وهم بابهى الحلى وافخر الحلل كأنهم في عيد من اعيادهم وزينوا بيوتهم باكاليل الازهار وقلائد الريحان. ودخل كورتس المدينة ومعهُ البعض من وفود المكسيك وكان قد صرف البعض الآخر ليعودوا ويخبروا الملك بما رأوا وظلَّ سائرًا الى ان وصل الى قصر الرئيس الشيخ ابي القائد الذي حاربهُ وكان كفيف البصر فخرج لاستقباله الى باب قصره ورحَّب بهِ وادخلهُ الى القصر واولم لهُ ولرجاله وليمة فاخرة واعدَّ لهم منازل رحبة ينزلون فيها

وكتب كورتس الى ملك اسبانيا يشبهُ لهُ تلسكالا بغرناطة وقال انها اوسع منها واحصن واكثر سكانًا . والغالب ان كورتس بالغ في وصفهِ لان مباني غرناطة من اجمل مباني الدنيا ولا شيء في تلسكالا يقابل بها ولكن يظهر مما ذكرهُ بعض الكتَّاب الاسبانيين عرضًا ان عمران تلك البلاد كان في درجة عالية فقد ذكروا دكاكين الحلاقين وحمامات البخار وحمامات الماء السخن ونظام الشرطة (البوليس) وذلك كلهُ لا يكون الاَّ في المدن الراقية درجة عالية من العمران

واراد رؤساء المدينة ان يمكِّنوا عرى الاتحاد بينهم وبين الاسبانيين بالزيجة فاشاروا على كورتس ورجاله ان يتزوَّجوا من بناتهم فابى كورتس الاَّ ان يتنصَّر السكان كلهم قبل ذلك واخذ يشرح لهم اصول الديانة المسيحية فقالوا لهُ لا شبهة عندنا ان الحكم اله قوي ونحن نود ان نكرمهُ مع الهتنا اما الهتنا فلا يسوغ لنا تركها بعد ان حمتنا السنين الطوال . واراد كورتس ان يستعمل العنف فنهاهُ الاب اوليدو عن ذلك لانهُ خاف العاقبة وقال لهُ لا نفع من نزع الاصنام من الهيا كل ما لم تنزع من القلوب اولاً . واخيرًا رضي كورتس ان يسمحوا لهُ بنصب الصليب في احد المعابد واقامة الخدمة الدينية فيهِ وتعميد الفتيات اللواتي اختارهنَّ زوجات لرجاله ومنهنَّ ابنة ذلك الرئيس الشيخ تزوج بها القائد الفرادو وسميت دونا لويزا وتزوج اولادها في اشرف عيال قشطالة وكان الفرادو من نخبة الفرسان واجملهم منظرًا ابيض الوجه اشقر الشعر فاحبهُ التلسكاليون ولقبوهُ بالشمس لجمال طلعتهِ

وبينما كان الاسبانيون في مدينة تلسكالا ارسل ملك المكسيك يدعوهم اليهِ وارسل اليهم هدية فاخرة من الذهب وتوسَّل اليهم ان لا يحالفوا التلسكاليين ولا يمروا في بلادهم بل يمروا في بلاد شلولا . واعترض اهالي تلسكالا على ذلك واوجسوا شرًّا ونصحوا لكورتس ان لا يأتمن منتزوما ولا اهل شلولا لانهم اهل غدر فابى ان يبدو عليهِ شيء من الخوف واصرَّ على المسير الى عاصمة المكسيك مارًّا بمدينة شلولا

خرائب الشام

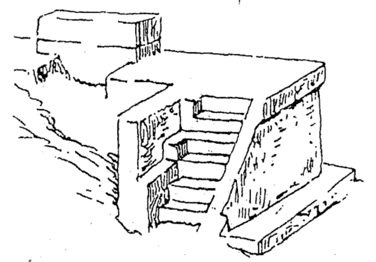
قلعة بعلبك وما كُشف فيها حديثًا

ايهِ آثار بعلبك سلامٌ بعد طول النوى وبعد المزارِ
ووقيتِ العفاء من عرصاتٍ مقويات أو أهلٍ بالفخارِ
خربٌ حارت البرية فيها فتنة السامعين والنظارِ
معجزات من البناء كبارٌ لاناسٍ ملء الزمان كبارِ
زادها الشيب حرمةً وجلالاً توجتها بهِ يد الاعصارِ
معبدٌ للاسرار قام ولكن صنعهُ كان أعظمَ الاسرارِ
مثَّل القومُ كلَّ شيءٍ عجيب فيهِ تمثيلَ حكمةٍ واقتدارِ
صنعوا من جمادهِ ثمرًا يجـ ـنى ولكن بالعقل والابصارِ
وضروبًا من كل زهرٍ أنيق لم تفتها نضارة الازهارِ
وشموسًا مضيئة وشعاعًا باهرات لكنها من حجارِ
وطيورًا ذواهبًا آيباتٍ خالدات الغدوّ والابكارِ
وأسودًا يخشى التحفّز منها ويروع السكوتُ كالتزآرِ
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الانياب غير ضوارِ
في عرانينها دخان مثارٌ وبالحاظها سيول شرارِ
تلك آياتهم وما برحت في كل آنٍ روائع الزوّارِ
ضمها كلها بديع نظام دق حتى كأنها في انتثارِ
في مقام للحسن يعبد بعد الـ ـعقل فيهِ والعقل بعد الباري
أهل فينيقيا سلام عليكم يوم تفنى بقية الادهارِ
لكمُ الارض خالدين عليها بعظيم الاعمال والآثارِ
خضتم البحر يوم كان عصيًّا لم يسخّرهُ القوة من بخارِ
غير صعب تخليد ذكرٍ على الار ض لمن خلدوهُ فوق البحارِ
شيدوها للشمس دار صلاةٍ وأتمَّ الاغريق حلي الدارِ

هذا ما نظمهُ الشاعر العصري خليل افندي المطران من قصيدة عامرة الابيات وصف

فيها تلك الخرائب ابدع وصف وذهب فيها ما ذهب اليهِ غيرهُ من ان الفينيقيين بنوا قلعة بعلبكَّ او الدكة الكبيرة ذات الحجارة الضخمة ثم شاد اليونان الهيكل الكبير فوقها والهيكل الصغير الى جانبهِ . وقد نُقِض هذا المذهب الآن وثبت ان الروم هم الذين بنوا الدكة والهيكلين

واقد رأينا في ما شادهُ الاوربيون في ايطاليا وفرنسا وما بقي من آثار المصريين في هذا القطر ابنية تقارب ابنية بعلبكَّ فخامة وتزيد عليها جمالاً ولكن ليس فيها بناء يملأ العين دهشة والقلب سروراً ثم يحرّك عواطف النفس حتى تذرف الدموع اذوابها مثل اطلال بعلبك[1] . الفخامة في كبر الحجارة والاعمدة واتساع البناء وعظمة كل ما فيهِ والجمال في بداعة النقش وتنسق الاجزاء واحكامها بعضها مع بعض على ما فيها من الفخامة ولكن الذي يحرّك الشجا ويقبض النفس بعد انبساطها ويفيض الدموع من المآقي فعل الدهر وابنائهِ في تخريب تلك المباني



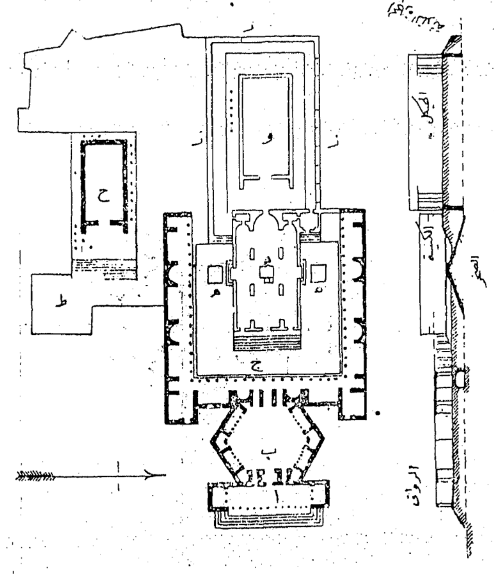
الشكل الاول

وتدميرها . أَوَ يصدّق احد ان الولاة كانوا يكسرون العمود الذي تفتخر دولة من دول الارض بنصب مثلهِ في ساحة عاصمتها لكي يستخرجوا منهُ قطعة من الحديد تربط بين اجزائهِ . هكذا كان حال بعلبك حينما زرناها اولاً منذ خمس وعشرين سنة وقد كتبنا في وصفها حينئذٍ كتابةً لا بأس باعادة بعضها الآن وشفعهِ بما عُلِم بعد ذلك ووصف ما اكتشفهُ الالمانيون حديثاً اتماماً للفائدة فنقول

بَعْلَبَكَّ ويسميها اليونان هليوبوليس اي مدينة الشمس خرائب في الطرف الشمالي من

(1) قال العلامة رو بنصن انها تفوق في اتساعها ودقة صنعها كل بناء في اوربا وافريقية وغربي اسيا فهي مثل مباني اسيا في دقة الصنعة ولكنها تفوقها في الفخامة والاتساع ومثل مباني مصر في الفخامة والاتساع ولكنها تفوقها في دقة الصناعة وجمالها

سهل البقاع عند سفح لبنان الشرقي حيث الارتفاع عن سطح البحر نحو ٤٥٠٠ قدم . قال بعضهم ان معنى اسمها مدينة بعل حاسبين بك مثل با كي المصرية ومعناها مدينة ولعل ذلك سبب تسميتها هليوبوليس اي مدينة الشمس لان المعبود بعل يراد به الشمس . ويرجح البعض ان معناها بعل البقاع فان معنى بقاع بالعبرانية والفينيقية مثل معنى بقاع العربية اي السهل بين جبلين



الشكل الثاني

والظاهر ان سكان سورية الاقدمين رأوا صخرًا مرتفعًا في طرف سهل البقاع يطل على ما حوله من البلاد الخصبة وتجري بقربهِ مياه غزيرة فنحتوا فيهِ مذبحًا للشمس التي كانوا يعبدونها . وقد بقي هذا المذبح الى يومنا هذا وصورتهُ مرسومة في الشكل الاول يصعد إليهِ بدرج منحوت في الصخر . هناك كان يجتمع قدماء السوريين ويذبحون الذبائح للشمس ويشكرونها على الخيرات

الكثيرة التي انتجتها ارضهم بفضل نورها وحرها . وكأنهم علموا ما علمهُ حكماء هذا العصر وهو ان كل قوة في الارض وما عليها لحركة والحياة آتية من نور الشمس وحرارتها لكنهم اخطأوا في شكرهم للشمس نفسها لا لمبدعها

والظاهر ان هذا المعبد والبقعة التي هو فيها راقا الروم الذين فتحوا بلاد الشام وامتلكوها فاقاموا حولهُ دكة كبيرة حتى يتسع لهم المجال لبناء هيكل كبير ثم بنوا هيكلين فتمّوا الصغير منهما وقبلما اتموا الكبير انتشرت الديانة المسيحية واعتنقها قياصرة الروم ومنعوا عبادة الاصنام وبنوا كنيسة في دار الهيكل الكبير وحوّلوا الصغير كنيسة اخرى وجاء العرب بعدهم فجعلوا المكان قلعة وبنوا من انقاضهِ حصنا كما سيجيء



الشكل الثالث

ليلتفت القارئ الى الشكل الثاني فيرى على يمينهِ شكلاً مقطوعاً في وسطهِ رسم الصخر الذي نحت منهُ المذبح الاول وحول هذا الصخر اقيمت الدكة التي بني الهيكل عليها اخيرًا — اقيمت حتى توازي اعلى المذبح وجُعل في اطرافها اقبية كبيرة وثيقة البناء اقيمت جدران الهيكل واعمدتهُ على جدرانها ثم بني حولها سور من الحجارة الضخمة لكي يسندها ويمنع تقوّض اركانها . وفي الجانب الغربي من هذا السور الحجارة الثلاثة المشهورة طول اكبرها ٦٣ قدماً وطول ثانيهِ ٦٢ قدماً و١/٣ قدم وطول الثالث ٦٢ قدماً وعلو كلٍّ منها ١٣ قدماً وقد قطعت على الراجح من محجر يبعد عنها نحو ربع ساعة حيث لا يزال حجر طولهُ ٧١ قدماً وعلوهُ ١٤ قدماً وعرضهُ ١٣ قدماً يسمّى حجر الحبلى وهو المرسوم في الشكل الثالث والى جانبهِ وفوقهُ رجال وجملان وثلاثة حمير ليظهر كبر حجمهِ بالنسبة اليها

وفي الجانب الشمالي من هذا السور تسعة حجارة كبيرة طول كل منها ٣ قدماً وكان

الجانب الجنوبي مطموراً فكشف وفيهِ حجارة كبيرة مثل هذه . وارتفاع الدكة خمسون قدماً وعليها بنى الرومان هيكلهم الكبير ثم بنى المسيحيون كنيستهم في دارهِ ويتضح ذلك جليًّا من النظر الى الشكل الثاني وتتبع ما يلي من الشرح

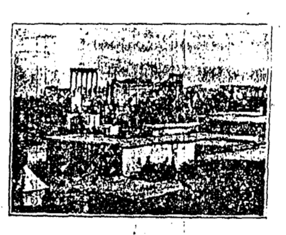
مَن يدخل الهيكل من الجهة الشرقية حيث الحرف ا يجد هناك رواقاً كبيرًا طولهُ ١٨٠ قدماً وعرضهُ ٢٧ قدماً في كل طرف من طرفيهِ برج وكان امام هذا الرواق من الجهة الشرقية درج يصعد بهِ اليهِ لانهُ مرتفع عن سطح الارض التي امامهُ عشرين قدماً ولم يبقَ شيء من هذا الدرج الآن وكان فوق الدرج اثنا عشر عموداً لم يبقَ منها الاَّ قواعدها وعلى قاعدتين منها كتابة لاتينية قرأها السائحان وود ودوكنس منذ مئة وخمسين سنة مفادها ان الهيكل الكبير بناهُ انطونيوس بيوس وجوليا دومنا (في اواسط القرن الثاني) . والبرجان اللذان على طرفي هذا الرواق مبنيان بحجارة كبيرة طول بعضها ٢٤ قدماً وهي مزخرفة بالنقوش من الداخل والخارج وامام كلٍّ منهما باب يوصل منهُ الى الاقبية التي في الدكة

وغربي الرواق البهو المسدَّس المدلول عليهِ بالحرف ب يوصل اليهِ بباب اتساعهُ ١٧ قدماً وعلى جانبيهِ بابان آخران اتساع كل منهما عشر اقدام وعرض المسدَّس من الشرق الى الغرب نحو ١٩٠ قدماً وطولهُ من الزاوية الشمالية الى الزاوية الجنوبية نحو ٢٥٠ قدماً وعلى دائرهِ اربع مقاصير قائمة الزوايا امام كلٍّ منها اربعة اعمدة ومقاصير اخرى بينها . ونقوش هذا المسدَّس وزخارفهُ تدهش الابصار وهي خربة متصدعة فكيف بها وقتما كانت عامرة سالمة

ويوصل من المسدَّس الى دار الهيكل وهي المربع الكبير المدلول عليهِ بالحرف ج . وبين المسدَّس والدار باب كبير عرضهُ خمسون قدماً على جانبيهِ بابان صغيران عرض كلٍّ منهما عشر اقدام وطول الدار من الشرق الى الغرب ٤٤٠ قدماً وعرضها من الشمال الى الجنوب ٣٧٠ قدماً وحولها مقاصير ومحاريب للعبادة ونصب التماثيل وكان على دائرها اعمدة تحيط بها كما ترى في الرسم وفي المقاصير محاريب كثيرة في طبقتين الواحدة فوق الاخرى لنصب التماثيل وبين المحراب والمحراب عمود او اكثر من الشكل الكورنثي البديع الصنعة واشكال المحاريب مختلفة فبعضها مقوَّس وبعضها صدفي وبعضها مقطوع من اعلاهُ والظاهر ان الاعمدة التي كانت امام هذه المقاصير والمحاريب كانت من المرمر السماقي المصري لان بعضها لا يزال مطروحاً هناك وقطر الواحد منها نحو ثلاث اقدام

لما زرنا بعلبك منذ خمس وعشرين سنة كانت هذه الدار مملوءة بالانقاض لا يعرف ما كان قائماً فيها وقد قلنا حينئذٍ " ان في وسطها قطعة مربعة من الارض ارفع من ارضها يسيراً

عليها اثر البناء والظاهر انها كانت هيكلاً او نحوهُ ". وهناك كان اكثر نقب الباحثين من الالمان بامر امبراطور المانيا فوجدوا آثار كنيسة قديمة طولها من الشرق الى الغرب نحو ٢٣٠ قدماً وعرضها من الشمال الى الجنوب ١٢٠ قدماً كما ترى في الشكل الثاني وكان في وسطها حيث الحرف د مذبح كبير طولهُ نحو ٢٨ قدماً والى جانبهِ الشرقي المذبح القديم المنحوت في الصخر والى يمينهِ ويساره حيث الحرفان ه ه حوضان كبيران لغسل الذبائح او للتطهير جوانبهما كثيرة النقوش والزخرفة فيها الاكاليل وقلائد الازهار ورؤُس البشر والثيران والالهة والحيتان والظاهر انهما اقدم من الكنيسة. والكنيسة تشبه في شكلها وبنائها كنيسة الامبراطور قسطنطين في القدس الشريف والظاهر انها بنيت معها في زمن واحد وان العرب هدموها ان لم تكن قد هُدمت بزلزلة وبنوا مكانها حمّاماً



الشكل الرابع

وغربي الكنيسة الهيكل الكبير حيث هيكل الشمس او هيكل جميع الآلهة وهو قائم على الدكة الصناعية المشار اليها آنفاً وفي جدران سورها الحجارة الكبيرة حيث الحرف ر وحجارة اصغر منها حيث الحرفان ز ز وقد كان هذا الهيكل من اكبر هياكل المسكونة واجملها ولكن لم يبقَ منهُ الآن الاّ ستة اعمدة قائمة تناطح السحاب صبرت على نائبات النوازل وعصت على غائلات الزلازل وهي النقط السوداء في الرسم الى الجهة الجنوبية من الهيكل وهي اول ما يظهر من بعلبك عن بعد كما ترى في الشكل الرابع . وكان طول هذا الهيكل ٢٩٠ قدماً وعرضهُ ١٦٠ قدماً يحيط بهِ اربعة وخمسون عموداً لم يبقَ منها قائماً غير هذه الستة علو كلٍّ منها ٦٢ قدماً وفوقهُ افريز ارتفاعهُ ١٤ قدماً ونقوش هذا الافريز وتيجان الاعمدة مما يعجز عن وصفهِ قلم البليغ واعجب من ذلك تحكيم وضعها على ضخامة جرمها وعظيم ثقلها والارتفاع الشاهق الذي رفعت اليهِ

والعمود ثلث قطع متصلة بعضها ببعض اتصالاً متيناً بقطعة او قطعتين من الحديد وهو الذي جنى عليها فكُسرت لكي يؤخذ

هذا من حيث الهيكل الكبير اما الهيكل الصغير فهو المدلول عليهِ بالحرف ح في الشكل الثاني الى الجنوب من الهيكل الكبير ولم يزل قائماً وهو من الطراز الكورنثي مثل الهيكل الكبير طولهُ مع رواق الاعمدة الذي حولهُ ٢٢٥ قدماً وعرضهُ ١٢٠ قدماً وطول البناء من غير الاعمدة ١٦٠ قدماً وعرضهُ ٨٥ قدماً وكان يرقى اليهِ من جهتهِ الشرقية بسلَّم فيها ٣٠ درجة بقيت الى عهد السائح دلاروك الذي زارهُ سنة ١٦٨٨ . والاعمدة التي حولهُ ١٥ من الشمال و١٥ من الجنوب وثمانية من الغرب وكان في الشرق صفان من الاعمدة الداخلي منهما مضلَّع وقطر كل عمود من اعمدته ست اقدام وعقدتان وطولهُ ٤٦ قدماً وقد سقط اكثرها ولم يبقَ منها الآن قائماً الاَّ ما تدلُّ عليهِ النقط في الرسم والعمود الجنوبي منها سقط منذ امد بعيد واستند الى الجدار ولا يزال كذلك حتى الآن ولا تزال الاعمدة الشمالية قائمة وكذلك السقف الذي بينها وبين جدار الهيكل بما فيهِ من نقوش الازهار واوراق الاشجار والتماثيل الجميلة الصورة . وباب هذا الهيكل من عجائب المباني بنقوشهِ وعتبتهُ ثلاثة حجارة كبيرة انقضَّ الاوسط منها حتى كاد يسقط فدعم ببناء قبيح المنظر ازالهُ الباحثون الالمانيون الآن وردُّوا الحجر الى وضعهِ الاول

وعند الحرف ط البناء العربي وهو حسَنٌ في غير هذا المكان لكنهُ قبيح هنا بالنسبة الى ما حولهُ والظاهر ان الباحثين سيزيلونهُ ويزيلون كل بناء جدَّ هناك بعد بناء الرومان

وقد بنيت بعلبك في اوائل التاريخ المسيحي وكانت في القرن الرابع من اعظم معاهد الديانة الوثنيَّة هيكلها الكبير لعبادة الشمس او جميع الالهة وهيكلها الصغير لعبادة المشتري وضربت فيها النقود وعليها صورة الهيكلين . وكان لعبادة الشمس الشان العظيم في سورية ولكهنتها المقام الرفيع حتى ان الامبراطور سبتيموس سفروس تزوج جوليادومنا ابنة كاهن الشمس في حمص ومعلوم ان هليوجبلوس الحمصي كاهن الشمس صار امبراطوراً لرومية وقرن السوريون عبادة الزهرة بعبادة الشمس .وكانوا يأتون بعلبك لهذه الغاية لان فيها هيكلاً صغيراً للزهرة وهو من اجمل المباني القديمة وسنعود الى وصفهِ في وقت آخر ولذلك كان اهالي بعلبك في اشد التحمس الديني حتى انهم قتلوا جلاسينوس الممثل سنة ٢٩٧ للميلاد لانهُ تنصَّر وابى ان يمثل في المشهد

ثم لما قوي شأن النصرانية في عهد الملك قسطنطين خرب هيكل الزهرة في افقا بجبل لبنان وأمرَ ان يقلع اهالي بعلبك عن فظائع الديانة الوثنية لان النساء والبنات كنَّ يعرضنَ للبغاء في عبادة الزهرة وان يرغَّبوا في اعتناق الديانة المسيحية وبني كنيستهُ المشار اليها آنفاً في دار الهيكل

الكبير او حوّل الهيكل كنيسة وسام لها اسقفاً وشمامسة ولكن بقيت عبادة الاصنام في المدينة لانها كانت ارسخ من ان تزول سريعاً

ثم لما قام الامبراطور يوليان المرتد سنة ٣٦١ اعاد الديانة الوثنية الى عزها الاول وفتك اهلها بالمسيحيين فتكاً ذريعاً في بعلبك وقتلوا الراهب كيرلّس الذي كسر اصنامهم وقطعوهُ ارباً واكلوا كبدهُ ونفي المسيحيون من الاسكندرية الى بعلبك حيث لا يجدون مسيحيين غيرهم يهتمون بامرهم

وقام الامبراطور ثيودوسيوس الكبير سنة ٣٧٩ فلم يكتفِ بما فعلهُ قسطنطين من اقفال هيا كل الاصنام بل خرَّبها تخريباً وحوَّل هيكل الشمس في بعلبك الى كنيسة والظاهر ان دعائم الوثنية تقوَّضت من بعلبك من ذلك الحين

ولما فتح ابو عبيدة بن الجراح دمشق وقصد مدينة حمص مرَّ على بعلبك ولما قرب منها التقى بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس معهم البغال والدواب وعليها من انواع التجارات اكثرها من السكّر والفستق والتين فغنمها . وحاصر بعلبك فصالحهُ اهلها على الفي اوقية من الذهب والفي اوقية من الفضَّة والفي ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف وعلى ان يدفعوا خراج الارض تلك السنة ويؤدوا الجزية كل عام لكنهم شرطوا على ابي عبيدة ان لا يدخل عاملهُ المدينة وتم الصلح على ذلك واستعمل ابو عبيدة على المدينة رافع بن عبدالله السهمي وضمَّ اليهِ تسعمائة فارس فاقام خارج المدينة وجعل يغزو البلاد المجاورة و يعود بالغنائم ويبيعها من اهل المدينة فانسوا اليهِ وادخلوهُ مدينتهم فحصَّن هيكلها ومن ثم صار قلعة للمسلمين

وفتح القرامطة بعلبك سنة ٢٩٠ للهجرة وقتلوا اهلها ولم يبقوا منهم الاَّ القليل . ثم تناوبتها الحروب والزلازل والسيول وايدي التدمير والتخريب كما تناوبت غيرها من مدائن الشام فلم تبقِ منها الاَّ آثار عظمتها السالفة

وزارها بلون السائح الفرنسوي سنة ١٥٤٨ فرأى هيكلها الكبير لا يزال قائماً وكانت اعمدتهُ القائمة تسعة ثم وقع منها ثلاثة بالزلزلة التي حدثت سنة ١٧٥٩ وكانت اعمدة الهيكل الصغير القائمة ٢٩ فوقع منها تسعة وتخلخل الحجر الاوسط من عتب بابهِ . والدهر يفجع بعد العين بالأثر

وقد نقلنا الشكل الاوَّل والثاني من اشكال هذه المقالة عن نبذة كتبها الدكتور الفرد باس في نشرة جمعية النقب في فلسطين

أكبر الخادعات

تروي بستاناً وتسمده وتحرثهُ وتزرع فيهِ اجود انواع النبات فينبت معها اعشاب سامّة تزيد عليها نماء وزكاء . وهذا شأن العمران فانهُ لم يتلف بزور الشر مع كل ما استعمل من الوسائل لاتلافها بل زاد العقول استعداداً لنموها ولذلك فاهل الخداع من الاوربيين والاميركيين امهر من كل احد في اكل الحقوق واختلاس الاموال

ولبعض الجرائد الاوربية عناية خاصَّة بكشف اخاديع الخادعين ولا سيما الجريدة الانكليزية المعروفة بالتت بتس والجريدة الفرنسوية المعروفة بالماتن . وقد نشرت هذه الاخيرة الآن خبر خادعة اسمها مدام امبر تواطأت هي وشركاؤها على اختلاس ستين او سبعين مليوناً من الفرنكات وهاك بعض ما نُشر عنها في الجرائد الانكليزية والفرنسوية

كان اسم هذه المرأة قبل ان تزوجت تريز دورنياك ولما كانت في الثامنة عشرة من عمرها كانت مسافرة بسكة الحديد ذات يوم فسمعت انيناً من المركبة الملاصقة لمركبتها فبادرت اليها ورأت فيها شيخاً يئن متألماً ففكت طوق رقبتهِ وبذلت جهدها في تخفيف آلامهِ الى ان بلغ القطار باريس وكان الرجل قد خفَّ ما المَّ بهِ فسألها عن اسمها وقال لها ان اسمهُ روبرت هنري كروفرد ومضى في سبيلهِ وكان ذلك سنة ١٨٧٤ او ١٨٧٥

وسنة ١٨٧٦ تزوجت هذه الفتاة بالمسيو فردرك امبر ابن وزير الحقانية ونائب رئيس مجلس الشيوخ وبلغها في السنة التالية ان روبرت هنري كروفرد المار ذكرهُ مات واوصى لها بمئة مليون فرنك وكتب وصيتهُ في نيس في ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٧ . وبعد بضعة ايام جاءها اخوان قالا انهما ابنا اخ كروفرد المتوفى وانهُ اوصى لهما بمئة مليون فرنك ووصيتهُ مؤرخة في ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٧ لكلٍ منهما الثلث والثلث الثالث لاخت مدام امبر ان تزوجت باحدهما واشترط على الثلاثة ان يدفعوا لمدام امبر ثلاثين الف فرنك كل شهر اي ٣٦٠ الف فرنك في السنة

وقال هذان الشابان لمدام امبر انهما غنيان جدًّا يمتلكان خمس مئة مليون فرنك او عشرين مليوناً من الجنيهات فلا حاجة بهما للمال الذي تركه عمهما وغاية ما يطلبان ان تبقى هذه الاموال لعائلة كروفرد ولذلك طلبا منها ان تبقي الاموال عندها وهي اوراق مالية فتقطع منها كوبونات كل سنة بمقدار المال المقطوع لها وهو ٣٦٠ الف فرنك وتحفظ الاصل

الى ان تكبر اختها وتقترن بواحد منهما فوضعت الاوراق في خزانة حديدية في بيتها ولم تكن تفتحها الاَّ مرةً في الشهر لقطع كوبون بثلاثين الف فرنك

قال مكاتب التيمس ووقع الخلاف بين مدام امبر وبين هذين الشابين على هذه التركة فرُفعت الدعوى الى المحاكم وطال فيها الاخذ والرد وحمي وطيس الدفاع من الطرفين وانبسط مجال المرافعات واشتد نضال المحامين في المحاكم الابتدائية والاستئنافيَّة حتى بلغوا محكمة النقض والابرام ولا يبرحون في كرّ وفرّ واحجام واقدام واظنهم لا ينتهون منها مدى الايام

ولا يسع المقام تفصيل المداعاة وبسط المرافعات التي عرضت في شأنها وقد ناءت بها اعمدة الصحف وضاقت عنها صفحات الجرائد على رحبها ولكنني اشير الى امر يحير الالباب وهو انك لا تجد احداً يقول انهُ رأى في حياتهِ اوعرف الموصي او ابني اخيهِ ولا ترى احداً يعرف وطن الموصي ولا احوال ابني اخيهِ ولا مقتنياتهما ولا وكلاءهما ولا البنوك التي تعاملهما ومع ذلك ترى ذينك المدعيين الوهميين يحرران الصكوك ويوقعان البلاغات والعرائض ويعملان كل ما يعملهُ المدعون ولو كانا مجهولي الحقيقة والعلاقات . ولما فُتش عنهما رسميًّا في نمرة ١٢٠٢ بشارع برود واي في نيويورك تبيَّن ان المكان الذي قيل انهما يسكنانهِ بيت علوي مفروش ومعد للاجرة ولم يسكنهُ احد قط ممن يسمى باسمهما . ولما بحثوا على مسكن الموصي تبين ان المحل الذي ادَّعوهُ لسكناهُ هو حديقة لا بيت فيها

واغمض من هذا وذاك ان مدام امبر الوارثة الاولى ادعت ان في خزانتها الحديديَّة مئة مليون فرنك نقوداً واوراقًا مالية وهي التركة المذكورة وقد اودعت عندها برضى الفريق الآخر الوهمي اعني اختها وابني اخي الموصي على شرط انها لا تمس شيئًا منها ولا تفتحها والاَّ اضاعت كل حقوقها في الدعوى والغريب ان الناس صدقوا ادعاءها واعتمادًا على تصديقهم جعلت تستدين الملايين العديدة بربًا فاحش فوجدت ارباب الاموال فاتحين لها خزائنهم لتأخذ منها ما شاءت فاشترت منزلاً فخيمًا في باريس وقصرًا باذخًا وعملت اعمالاً كثيرة من الاعمال المالية العظيمة واستدانت من نخل جيرار وشركائهِ ستة ملايين ومئتي الف فرنك ومن المسيو لفيفر اربعة ملايين ومئتي الف فرنك ومن البنك العقاري مليونًا وخمسين الف فرنك ومن الجمعيَّة العموميَّة ستة مئة الف فرنك ومن البنك الصناعي كذلك ومن بنك فرنسا مئتي الف فرنك ومن شركات اخرى واصحاب معامل وعقارات اموالاً طائلة حتى بلغ كل ما استدانته ٣٢ مليون فرنك في رواية و٥٢ مليون فرنك في رواية اخرى

ولما تقاضاها الدائنون ما لهم ولم توفهم اشتد الخطب على احدهم جيرار وهو صاحب السهم

الاكبر وافضى به الامر الى الانتحار فرفع مدير حساباته الدعوى عليها فصدر حكم المحكمة عليها بدفع مليونين وخمس مئة الف فرنك وبتسليم ما في خزانة الحديد . على ان مدام امبر اتفقت مع دائنيها على وجه ارضى الفريقين ومنع من فتح الخزانة والتفتيش لكن كيفية الاتفاق ظلت مجهولة ولم يعلم بها احد . ويقال ان المحامي عنها امدها بمليونين وخمس مئة الف فرنك من ماله

ثم ان المسيو دت رئيس محكمة السين المدنية اجاب طلب المسيو مورل احد الدائنين وبالاتفاق مع المحامي عن مدام امبر اوعز الى رئيس قلم التسجيل ان يذهب مع مامور آخر من هذا القلم الساعة ١ بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٩ الجاري ويفتحا الصندوق وينظرا هل فيه مئة مليون الفرنك التي اوصى به كروفورد ام الدعوى كاذبة ومبنية على الغش والخداع

ولم تحن الساعة الاولى بعد ظهر يوم الجمعة الا كان الناس مجتمعين يزحمون بعضهم بعضاً امام منزل مدام امبر ثم جاء المعينون من قبل المحكمة لفتح الخزانة الحديدية . ولما دخلوا المنزل لم يجدوا فيه احداً وظهر بعد البحث ان مدام امبر وزوجها واختها وبقية شركائها اركنوا الى الفرار منذ اسبوع . فجيء بحدادين فكسروا الخزانة ولم يجدوا فيها سوى علبة فارغة وظروف قديمة فكان ذلك خاتمة هذه الحيلة التي بقيت عشرين سنة وربما بقيت سنين عديدة طي الخفاء والكتمان لو لم تهتك سرها جريدة الماتن . ومهما يكن في هذه المسألة من الغرابة فاغرب ما فيها ان قوماً من نخبة اصحاب البنوك وارباب المعامل الكبرى والشركات المشهورة في باريس يؤخذون بمثل هذه الترهات ويقعون في احبولة حيلة تسلبهم خمسين مليون فرنك . وآخر ما علمناه من امر اصحاب تلك الحيلة انهم فروا من منزلهم يوم الخميس في ٨ الجاري قاصدين انكلترا

ثم ان الحكومة الفرنسوية اخذت توالي البحث والتنقيب وتقبض على كل من توجه اليه تهمة او شبهة توصلاً الى الوقوف على سر تلك الخديعة فقبضت في ١٠ الجاري على المسيو دومون احد موظفي قلم التسجيل سابقاً في روان وفتشت منزله بباريز فعثرت فيه على اوراق كثيرة . وقبضت ايضاً على المسيو بارمنتير وكيل هنري وروبرت كروفورد الوهميين ووجدت في خزانة قرينته كثيراً من الاوراق واصدرت الاوامر بالقبض على المسيو امبر وزوجته وشقيقتها ويظن انهم غادروا باريز في ليل ٧ الجاري ومعهم مبلغ عظيم من النقود . وقد ظن في بادئ الامر انهم ركبوا باخرة المانية من شربورج الى اميركا لكن ذلك لم يتحقق

اما سبب القبض على المسيو دومون والمسيو بارمنتير فلانهما شهدا للجمهور بصحة ما ادعته مدام امبر من وجود مئة مليون فرنك في خزانتها فكانا علة انخداع الناس بهذه الحيلة وكان في باريز شركة تدعى "رنت فياجير" (الدين مدى العمر) يديرها اخوة مدام امبرت وتؤيدها

جريدة الكوري المشهورة ويدعي اصحابها ان راس مالها عشرة ملايين فرنك فهذه أُقفلت بامر قضائي . ويظهر ان اصحابها كانوا من اكبر مروّجي تلك الحيلة وقد طلب مديروها فلم يوجد لهم أثر ومما تبين أخيرًا ان هذه الشركة كانت تقبل الودائع المالية وتدفع لاصحابها الربا من اصل راس المال والذين ذهبوا ضحايا خديعتها يعدون بالالوف

وقالت الدايلي مايل ان مدام امبر كانت تسكن قصرًا فاخرًا في شارع الغراندارمه بباريس فيهِ افخر الاثاث والرياش وكان عندها من الصور والحلى ما تقدَّر قيمتهُ بالالوف الكثيرة ويزورها جلَّة القوم وفي جملتهم المرحوم فلكس فور رئيس الجمهورية السابق وكل زعماء الحزب الوطني ويقال ان عندها صورًا فوتوغرافية اذا نشرت اعادت ذكر بناما وفضائحها . ولما بلغت اختها سن الرشد وجازتهُ لانها الآن في الاربعين من عمرها ابت ان تتزوَّج باحد الاخوين وظلت مدام امبر تستدين المال من المغرورين بحيلها مدعية انها لا تستطيع ان تنفق من المئة مليون فرنك التي في خزانتها ما لم تتزوَّج اختها باحد الاخوين او تثبت التركة لها وقد الفت شركة للتأمين على الحياة وجعلت تشتري بالاموال التي يدفعها اليها المؤمنون على حياتهم سندات من سندات الدين الفرنسوي وتقطع الكوبون منها وتصرفهُ فتوهم الناس انها تصرف من كوبون السندات التي في خزانتها واذا طالبها مداين ولجَّ في الطلب وفت دينهُ كلهُ او بعضهُ مما تستدينهُ من غيرهِ

وآخر ما وصلنا من اخبار هذه الحادثة الغريبة ان حكومة باريز قبضت على رجل ثالث لهُ علاقة بها وهو المسيو لنجلوى احد موظفي قلم التسجيل سابقًا وقهرمان مدام امبر . وقد دافع عن نفسهِ بقولهِ انهُ لم يشترك في الخديعة والاحتيال بل كان مغرورًا مخدوعًا وقال ان مدام امبر ارتهُ من كوبونات الرنت الفرنساوي ما تبلغ قيمتهُ مليوني فرنك في السنة فصدقها كما صدقها كثيرون غيرهُ واقتنع بغناها واخذ يقنع الآخرين وقد خسر بسببها مالاً طائلاً . وكان المسيو لنجلوى مديرًا لشركة العقارات والمنقولات العمومية التي هي الآن تحت التصفية وقضى عشر سنين عائشًا عيشة كبار المتمولين في الاسراف والتأنق في المأكل والملبس ويروى عنهُ انهُ باغرائهِ استدانت مدام امبر من رجلين خمسة ملايين فرنك فهو والحالة هذه معدودٌ من جملة شركائها في المخاتلة والمخادعة

وجاء في احدى الجرائد ان المسيو بارمنتيه وكيل هنري وروبرت كروفورد الوهميين كتب بعد ما قُبض عليهِ كتابًا قال فيهِ انهُ بريءٌ من كل ما اتهم بهِ وان التحقيق سوف يظهر ذلك للعيان وان الماكر الكبير " والنصاب " العظيم الذي رسم لارباب هذه الحيلة خطة الخداع هو المسيو امبر الكبير ناظر الحقانية في عهد وزارة المسيو دي فراسينه لجريه ابنهُ وزوجتهُ على

خطابهِ وعملاً بمشورتهِ. ويقال انهُ اول من اختلق خبر هذا الارث وتذرع بهِ الى السلب والنهب فانهُ ذهب يومًا الى تورسان ونزل ضيفًا على طبيب لا يعرفهُ الاَّ قليلاً فرحب بهِ واكرم مثواهُ وفي صباح يوم من الايام جاءتهُ المكاتيب فقرأها مسرورًا واخبر الطبيب ان ابنهُ ورث ميراثًا عظيمًا ثم قصَّ عليهِ خبر الميراث فقال ان غنيًا بورتغاليًا من اصحاب الملايين العديدة مرَّ بتولوز منذ عشرين عامًا فتعرف بحماة ابنهِ واحبها وتبنى ابنتيها واوصى لهما باموال لا تحصى وكتب وصيتهُ بقلم من الرصاص فنازعهما اقاربهُ فيها فعرضت المسألة على المحاكم وهو يحتاج الآن الى مال طائل لينفق على هذه القضيَّة ثم طلب ان يقرضهُ ستين الف فرنك فنقدهُ اياها في الحال وكان ذلك فاتحة الاحتيال

نازلة مرتنيك

مرتنيك جزيرة من جزائر الهند الغربيَّة على مقربة من الطرف الشمالي الشرقي من اميركا الجنوبيَّة مساحتها ٣٨١ ميلاً وعدد سكانها نحو مئتي الف نفس اكتشفها الاسبانيون سنة ١٤٩٣ وضمها الفرنسويون الى مستعمراتهم سنة ١٦٣٥ وحكومتها منتظمة كغيرها من المستعمرات الفرنسوية لها حاكم عام ومجلس ادارة ومجالس بلدية ونائبان في مجلس النواب الفرنسوي ونائب في مجلس الشيوخ . فيها مدينتان كبيرتان سن بير وفوردفرانس كان في الاولى نحو ٢٦ الفًا من السكان عدا من يكون في السفن الراسية في مرفإِها وفي الثانية ١٧ الفًا وفي الجزيرة مدرسة للحقوق وثلاث مدارس ثانوية ومدرسة للمعلمين و ١٥٢ مدرسة ابتدائية و ٧٥ مدرسة خصوصيَّة ويزرع فيها قصب السكر والبن والكاكاو والتبغ والقطن والحبوب على انواعها وتبلغ قيمة الصادرات منها ٢٧ مليون فرنك وقيمة الواردات اليها ٢٥ مليون فرنك فمتوسط تجارتها الخارجية ثلاثة اضعاف متوسط التجارة في القطر المصري بالنسبة الى عدد السكان . وتمر بها البواخر الفرنسوية والانكليزية والاميركية في مواعيد معلومة ويتصل بها سلكان من اسلاك التلغراف البحري تتصل بهما بالمسكونة كلها اي ان سكان هذه الجزيرة كانوا في رغد ونعيم في كل ما يخضع لعقل الانسان ويدهِ. ولكن في الارض قوىً تفوق مقدرة الانسان ولا تخضع لهُ وهي الزلازل والبراكين والزوابع والعواصف واعظمها هولاً واشدها فتكًا القوى البركانية التي تقذف الحمم وذوب المعادن من جوف الارض وتصبها على وجهها فلا تبقي ولا تذر

في هذه الجزيرة بركان قديم اسمهُ بيلي علوهُ ٤٤٢٩ قدمًا تطمئن النفس لرؤيتهِ وترتاح

العين بمشاهدة ما يحيط بهِ من الحراج وما يكلل هامتهُ من السحب بنيت مدينة سن بير عند سفحهِ ويليها جزائر كثيرة منتظمة في شكل هلال . والظاهر ان الحوض الذي تحيط بهِ لم يصل الى حدهِ من الخسوف فزاد خسوفاً في هذه الاثناء وضغط على ما تحتهُ مما في جوف الارض من المواد الحامية لحاولت النفوذ من اقرب منفس اليها والجبال النارية منافس الارض فخرجت من جبل بلي هذا ومن جبل سوفريَر في جزيرة سنت فنسنت

وجزيرة سنت فنسنت للانكليز وعدد سكانها نحو ٤٥ الف نفس اكثرهم من السود عاصمتها كنستون فيها نحو خمسة آلاف نفس و يزرع في الجزيرة قصب السكر والكاكاو والطيوب والاروروط والحبوب المختلفة وحراجها كثيرة الاشجار وفيها بركان سوفريَر ارتفاعهُ اربعة آلاف قدم وهي معرَّضة لنوازل البراكين والزوابع والزلازل حتى بات اهلها افقر رعايا الانكليز حالاً وقد ثارت عليها زوبعة سنة ١٨٩٨ فدمرتها تدميراً وظل المحسنون يجمعون لها الصدقات الى عهد قريب

اما الحوادث الطبيعيَّة المنذرة بهذا الثوران وهذا الدمار فكما يأتي

في التاسع عشر من ابريل حدثت زلزلة في تلك الجهات تدل على حدوث اضطراب في طبقات الارض التي تحتها

في ٢٣ ابريل ابتدأ ظهور الدخان من جبل بلي

في ٣ مايو ظهرت الحمم في كاسهِ وصارت تنير ليلاً

في ٤ مايو قذف الرماد وغطى بهِ البلاد المجاورة

في ٥ مايو جرت منهُ الحمم ممزوجة بالطين ومرَّت في طريقها على معمل سكر فاكتنفتهُ وقتلت من فيهِ وهم ٢٣ نفساً . ولما وصلت الى البحر انحسر ماؤُهُ من وجهها وارتدَّ مسافة مئة متر ثم عاد موجة عظيمة جدًّا

في ٦ مايو نشر مأمور الحكومة الفرنسوية نشرة يقول فيها ان لا خوف من ثوران البركان لكي تطمئن النفوس ولا يبرح السكان الى المهاجرة دفعةً واحدة فاخطأ في ذلك خطأً لم يكن يعلم مقدار عاقبتهِ فقضى هو وعائلتهُ مع من قضى من اهل المدينة .

في ٨ مايو الساعة ٨ صباحاً امطر هذا البركان على سن بير والسفن التي في مرفإِها ناراً وحمماً وحجارة ظلَّت تهطل عليها ربع ساعة فطمرتها وحرقتها واماتت كل من فيها وحرقت السفن التي في مرفإِها ولم ينجُ منها الا سفينة واحدة كما سيجيء وبلغت الحجارة المقذوفة منهُ مدينة فور ده فرانس وهي على ١٢ ميلاً من سن بير وكانت بحجم الجوز

وخمد الثوران في العاشر من الشهر وبعثت شركة روتر من جزيرة سنتا لوسيا (وهي بين

جزيرة مرتنيك وجزيرة سنت فنسنت) تقول

ابتدأ ثوران البركان في ٥ مايو فخرج منهُ نهر من الحمم المشتعلة وجرى في مجرى غدير جاف الى ان بلغ البحر مسافة خمسة اميال في ثلاث دقائق فحُسر ماؤُهُ من امامها ٣٠٠ قدم ثم ارتد بموجة عظيمة غمرت الشاطئ ولكنها لم تضرَّ كثيراً وفي اليوم التالي انقطعت المواصلات التلغرافية بين مرتنيك وسنت فنسنت . وفي الثامن من الشهر وصلت الباخرة رودام الى سنتا لوسيا وهي مغطاة بالرماد وحبالها مقطعة وشراعها ممزق ومحروق وقال قبطانها انهُ وصل سن بير الساعة الثامنة وكان الصباح صافيًا بعد زوبعة ثارت في الليل وجاءهُ وكيل الباخرة في قارب ليكلمهُ فالتفت واذا سحابة كبيرة من الدخان والنار تسرع نحو المدينة والمرفإِ وللحال اكتنفت المدينة بغلالة من النار وجعلت النيران تنصب على السفن الراسية في المرفإِ فوثب الوكيل الى الباخرة وكان البخار لا يزال في آلتها فقطع القبطان مرساتها وادار آلتها هاربًا بها وكان مطر النيران قد بلغها وحرق اكثر بحارتها فبقوا على ظهرها مع الحمم (وكان عددهم اربعين فسلم منهم اثنا عشر) وظلَّت الحمم تنهال على الباخرة وهي هاربة مسافة ستة اميال . واصاب القبطان حروق كثيرة ولكنهُ بقي حيًّا وكذلك الوكيل حرق حروقًا شديدة وهو الشخص الوحيد الذي نجا من اهل المدينة بعد انصباب النيران عليها (ونجا رجل من المجرمين وُجد في السجن حيًّا). واحترقت السفن التي كانت في مرفإِها وغرقت

وارسلت من فور ده فرانس في العاشر من الشهر تقول انهُ في الساعة الثامنة من اليوم الثامن اظلم الجو وحسر ماء البحر من ستين الى تسعين قدمًا وصارت الحجارة تنهال كالمطر وهي بحجم الجوز ودامت كذلك ربع ساعة

ويظهر من الاخبار التي وردت بعد ذلك انهُ قضى بهذه النازلة ثلاثون الفًا على الاقل وهم سكان المدينة والضواحي وبحارة السفن الراسية في مرفإِها ولم ينجُ من هذه السفن الاَّ الباخرة الانكليزية رودام المتقدم ذكرها ولم تفلت من مخالب الموت الاَّ بعد ان احترق ٢٨ من بحارتها وحرق ربانها حروقًا اليمة . وهرع الطراد سوشه الفرنسوي الى محل النازلة فدنا منها الساعة ٢ بعد الظهر وعاد حالاً باخبار الشؤم بعد ان التقط ثلاثين نفسًا من مكان قريب منها مات منهم ١٦ بعد ذلك من حروقهم اما المدينة فلم يمكنهُ دخولها ثم عاد فانقذ كثيرين من اهالي البلاد المجاورة ولا سيما بلدة برشر وهي على خمسة اميال من سن بير وعاونتهُ ثلاث سفن أخرى فانقذت كلها اربعة آلاف نفس . ولما انقطع انهيال الحمم على سن بير ودخلها اهل النجدة ليروا ما حلَّ بها وجدوا ان القضاء باغت سكانها فقتلهم حالاً واكثرهم مكبٌّ على وجههِ او واضع يدهُ على فيهِ

خوف الاختناق او جالس في مكانهِ كأنهُ اصيب بصاعقة. وقد احترقت المدينة كلها وتهدمت مبانيها او تمزقت تمزقاً حتى الاشجار قلعت من الارض وانقلبت اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ولم يسلم الا ساعة المدينة فانها وقفت على الساعة ٧ ١/٢ وبقيت كذلك لتدل على زمن ابتداء النازلة بالتدقيق وحرق بيت التلغراف ورميت بعض آلاته مسافة مئة متر

وكان في اقبية البنك ما قيمتهُ مليونا فرنك من النقود فبقيت سالمة لم يمسها ضرر كأن المال ابقى من الارواح . ولم يوجد من الجثث السليمة التي يمكن دفنها الا القليل الا ناجنة

وجاءنا روتر في ٢٢ مايو عند كتابة هذه السطور بان بركان بيلي ثار ثوراناً جديداً فاق ثوران ٨ مايو في الشدة وقذف الصخور الكبيرة على خرائب سان بير نعفي آثارها والرعب مستحوذ على جزيرة سنت فنسنت ايضاً لان بركانها عاد الى الثوران

وحالة جزيرة سنت فنسنت ليست اصلح من حالة مرتنيك فان بركانها السوفرير ثار ايضاً حينما ابتدأ البركان بيلي بالثوران وبلغت الحجارة المقذوفة منهُ مدينة كنستون وهي على ١٢ ميلاً منهُ وانفغرت فيهِ ثلاث فوهات جديدة في السابع من الشهر جرى منها ستة انهر من الحمم وكأن جوف البركان كان يتمخض ويصعق صعقان تصم الآذان ودام ذلك الى صباح الجمعة (في الثامن من مايو) وارتفعت منهُ سحابة كثيفة مشحونة بالمواد المعدنية الى علو ثمانية اميال فاظلم بها الجو حتى امسى النهار ليلاً حالكاً ولما وقعت الحجارة والحمم تكاثفت الابخرة وهطلت مطراً اسود وكانت البروق تومض من خلال السحب كحراب من نار فاحترقت المزارع وتغطت الارض بالحمم واحترق كل ما فيها من نبات اخضر ومات كل حي هناك وبلغ من قتل بها من الناس حينئذٍ نحو الفي نفس

والمظنون الآن ان السكان يهجرون هاتين الجزيرتين الى ان يخمد بركاناهما وينقطعا عن الثوران سنين كثيرة

ولا مثيل لنازلة سن بير الا نازلة بمباي وهركولانيوم اللتين دمرهما بركان يزوف سنة ٧٩ للميلاد بعد ان كان قد خمد منذ سنين كثيرة وزرع الناس جوانبهُ بالاشجار والكروم وبنوا تينك المدينتين عند سفحهِ . ومن البراكين التي ثارت حديثاً بعد ان خمدت سنين كثيرة بركان كراكاتوى بين جاوى وصومترا فانهُ ثار سنة ١٨٨٣ بعد ان خمد مئتي سنة ورفع ثلثي الجزيرة التي هو فيها من اصولها ومساحتها ١٣ ميلاً مربعاً ورمى بها في الجو فماج البحر موجاً عظيماً غمر شاطئ جاوى وصومترا وخرب ثلثمئة قرية وقتل ستة وثلاثين الف نفس وسمع صوت هذا الانفجار على ثلاثة آلاف ميل وانتشرت المواد المقذوفة من هذا البركان في الجو ودارت حول

الارض كلها وبقيت ثلاث سنوات تمتص نور الشمس فتزيد حمرتهُ عند الغروب

اما بركان بيلي فلم يمضِ عليهِ خامدًا الاَّ خمسون سنة لانهُ ثار آخر مرة سنة ١٨٥١ وقد انذر هذه النوبة بالثوران بما سبق ثورانهُ من الزلازل ولكنَّ الزلازل كثيرة في جزيرة مرتنيك وما يليها من الجزائر فقد حدث فيها منذ ست وعشرين سنة الى الآن ١٤٨ هزة ولذلك الف الناس زلازلها ولم يعودوا يعبأُون بها الى ان فاجأَهم القدر المحتوم

اما هول المصاب في مرتنيك وسنت فنسنت وتأثيرهُ في النفوس فما لا يعبر عنهُ القلم وقد بادر الملوك والعظماء والفضلاء في كل مكان الى مساعدة الاحياء بالمال فتكرَّم جلالة السلطان بعشرين الف فرنك وملك انكلترا بخمسة وعشرين الف فرنك وكذلك امبراطور المانيا ورئيس جمهورية فرنسا وفاقت الحكومة الاميركية غيرها في الكرم

النيران في القطر المصري

كان الشهر الماضي شهر شؤم وبؤس على اماكن كثيرة في هذا القطر كما كان على جزيرة مرتنيك وجزيرة سنت فنسنت ولو لم يذهب فيهِ من النفوس عشر معشار ما ذهب في تينك الجزيرتين ولا تلف من الاموال والمقتنيات ما يقابل بما تلف هناك . الاَّ ان المصيبة كانت فادحة حركت ارق عواطف الشفقة والحنان فتألفت اللجان الخيرية لاغاثة المنكوبين ومساعدة المصابين ولا تزال تتنافس في هذا العمل المبرور . وقد اشبعت الجرائد اليومية المقال في وصف هذه النيران فنجتزي بما يذكر عنها في باب التاريخ فنقول

ميت غمر — شبت فيها النار في ١ مايو فاحرقت ٥٤٨ منزلاً و ٩٧ شادرًا ودكانًا وحانةً وقهوة واماتت ٦١ نفسًا وبلغ عدد المصابين بحروق وجروح اكثر من ١٠٠ وقدرت الخسارة بنحو ٢٥٠ الف جنيه

العزيزية — شبَّت فيها النار بعد ظهر ١ مايو فدمرت ٣٠ منزلاً تدميرًا واحرقت اثاث نحو ١٧٠ منزلاً وبلغ عدد الذين توفوا بها ١٦ نفسًا والجرحى ٦

اشليم بمركز قويسنا — شبَّت فيها النار في ١٠ منهُ فاماتت ١١ نفسًا واصابت ٢٠ نفسًا بحروق ودمرت ١٣٠ بيتًا

بطينة ومحلة زياد — شبَّت النار في بطينة في ١٠ منهُ والتهمت نحو ثلثيها . وفي محلة زياد دمرت عشرة بيوت

نكلا العنب — شبّت فيها النار في ١٠ منهُ ايضاً فاماتت ستة من الكهول والاطفال

عنابر الدائرة السنية في مزلقان خزام في لقصر — شبت فيها النار ليل ٨ من الشهر وبلغت قيمة ما حرقتهُ ٥٠ الف جنيه

ناحية سروه — في ١٤ منهُ دمرت النار كل منازلها واخرج ٧ جثث من تحت الردم

القنايات — في ١٤ منهُ احرقت النار ٢٥٠ مسكناً ولم يمت احد

ظهر شرب (مينا القمح) — في ١٢ منهُ احرقت النار ١١٧ منزلاً وفي شبرا العنب دمرت ٣٥ منزلاً

منية شنتنا عياش — في ١٢ منهُ احرقت ٧٠ بيتاً

السنبلاوين — في ١٢ منهُ احرقت ٤٨٤ منزلاً وحانوتاً وقدرت الخسائر بستين الف جنيه

سرس الليانة (بمركز منوف) — في ١٢ منهُ دمرت النار ٢٤٧ منزلاً واماتت ١٢ نفساً

عنابر بولاق — في ١١ منهُ احرقت ٣٥ مركبة للركاب وقسماً من الورشة وقدرت الخسارة بنحو سبعين الف جنيه

وكان شهر مايو شديد الحر في بعض ايامهِ كثير العواصف فساعد النيران على الشبوب والانتشار ولا يعلم سبب آخر لتعدد النيران الاَّ ان يكون الاهالي قد اخذوا يوقدون المصابيح ليلاً اكثر من ذي قبل ومصابيحهم من البترول ولا زجاج يمنع اتصال لهبها بما حولهُ. او يكون قد شاع في الارياف نوع من الثقاب (عيدان الكبريت) سريع الالتهاب يشتعل لاقل احتكاك والفلاَّح يرمي عيدان الثقاب اينما اتفق وقد قال لنا البعض من اصحاب وابورات الحلج انهم قلَّما حلجوا قطناً ولم يروا فيهِ عيدان الثقاب. فخليق بالحكومة المصرية والحالة هذه ان تبحث عن سبب كثرة النيران وعمَّا اشرنا اليهِ وهو استعمال المصابيح من غير مداخن واستعمال عيدان من الثقاب سريعة الاشتعال فان كان ذلك صحيحاً بذلت جهدها في تلافيهِ حفظاً للارواح والاموال

والشكوى كثيرة من وضع الفلاحين حطبهم على سطوح بيوتهم واكثرهُ من عيدان القطن والذرة وما اشبهُ مما يسهل اشتعالهُ ولا سيما اذا اشتدَّ الحرُّ عليهِ. والظاهر ان الحكومة منعت وضع الحطب على السطوح بقرارات ادارية ولكن صعب عليها تنفيذها. ويظهر لنا ان ترك الحطب في الغيط لا يخلو من الضرر لانهُ يكون ملجأً للحشرات فتختبئ فيهِ وتضرُّ بالزراعة. وسيبقى الخطر من اشتعال النار الى ان يتعلَّم الناس اتقاءها

رجال المال والاعمال



توماس اديصُن

لم نذكر من رجال المال والاعمال مَن يرد اسمهُ في المجلات العلمية اكثر مما يرد اسم اديصُن ولذلك فقرَّاء المقتطف يعرفون كثيرًا من امر هذا الرجل كمخترع كبير وقد لا يعرفون انهُ من الرجال الذين اكتسبوا الاموال الطائلة مما بنوهُ على اسس العلم من الاعمال

ولد اديصُن سنة ١٨٤٧ من والدَين فقيرين وكان نشيطًا من حداثتهِ ولكنهُ لم يكن مغرمًا بالدرس ولما صار عمرهُ اربع عشرة سنة استخدمهُ مدير احدى الجرائد لبيع جريدتهِ في سكة حديدية . ولا يزال يتذكر تلك الايام ويباهي بها ويخبر اصحاب الجرائد عمَّا لاقاهُ فيها . وهو كثير الابتذال من هذا القبيل ولذلك ترى الاحاديث المنقولة عنهُ في الجرائد كثيرة جدًّا يستغرب قارئها كيف يجد هذا الرجل فرصة لمحادثة الناس وهو دائم الاشتغال باكبر المكتشفات والمخترعات . ولا يكتفي بذلك بل هو كثير المزاح زارهُ احد مكاتبي الجرائد حديثًا وحيَّاهُ وشكر الله على جودة صحتهِ فقال لهُ اديصن نعم ان صحتي جيدة وهي اجود مما تظن لان عمري الآن ٩٩٨ سنة وسابلغ الفًا وخمس مئة سنة من العمر قبل اواسط الصيف المقبل من فضل ارباب الجرائد وما نسبوهُ اليَّ من غرائب الاعمال التي لا يعملها المرء الاَّ في المئات الكثيرة من السنين

ولكنك اذا حدثتهُ عن حداثتهِ ترك الهزل واخذ يقص عليك ما كان يلاقيهِ وهو يبيع الجرائد والكتب والفول السوداني وانواع الملبَّس ويسير في القطار من مكان الى آخر لهذا الغرض . ولم يكن يخطر ببالهِ حينئذٍ ولا ببال احد من الناس انهُ يكون مخترعًا في مستقبل

الايام . قال " ان بيع الفول السوداني كان فيهِ من المهارة ما ليس في غيرهِ فاننا كنا نحمل سلّة كبيرة فيها من هذا الفول وكيلة صغيرة نكيل بها للمشتري والمهارة في وضعهِ في الكيلة فاننا كنا نضرب الكيلة في الفول ضربًا فتظهر مملوءة بهِ والحال انهُ يكون نصفها فقط وتحتهُ فارغ . وينشر المشتري منديلهُ فنفرغ لهُ الكيلة بالاعتناء التام كانها مملوءة مهزوزة . ولا انسى اني كنت مرة احاول افراغ الكيلة فهبط الفول فيها وظهر انهُ لا يملأ نصفها فعدت بالخيبة والخجل ولكنني انتقلت الى قطار آخر وبعت كل ما معي حتى السلّة التي كان الفول فيها . ودخلت مرةً أُخرى القطار وكان في مركبة منهُ اثنان تظهر عليهما هيئة الرفاهة والنعيم وكان في سلتي فول سوداني وتفاح وتين وما اشبه فعرضتها عليهما فقالا لا نريد شيئًا من ذلك فقلت لهما اتريدان كتبًا وجرائد لاجلب لكما فقالا لا بل نريد ان نقي غيرنا ايضًا من سوء الهضم الجسدي والعقلي وتناولا السلّة من يدي وطرحا ما فيها من شباك القطار فوقفت مدهوشًا واخذت ازعق باعلى صوتي وهرع مَن في المركبة لمشاهدتي والرجلان يضحكان ويقولان في حنجرتهِ مرض الى ان وصلنا الى المحطة فانزلاني من القطار واعطياني ريالاً حتى سكت"

ولما نشبت الحرب الاهلية في اميركا وراجت الجرائد اقنع محرري جريدة ان يطبعوا لهُ الف نسخة زيادة عمّا يطبعون عادةً لكي يبيعها في قطرات سكة الحديد ثم انشأ جريدة صغيرة لبيعها للركاب واتبعها بجريدة هزلية وجعل ينتقد هذا ويتهكَّم على ذاك والناس يحتملون هزلهُ بالصبر مرةً والضجر اخرى الى ان اغتاظ واحد منهُ ورماهُ في النهر حتى كاد يغرقهُ ومن ثم توالت عليهِ النوائب واخيرًا قلب زجاجة فيها فصفور وكاد يحرق القطار فحُجز على مطبعتهِ وكل ما يمتلك وامسى لا يملك شيئًا

وحدث بعد ذلك انهُ رأى ولدًا يكاد يدوسهُ القطار فاسرع اليهِ وانقذهُ وكان ابو هذا الولد من مستخدمي التلغراف في سكة الحديد فاراد ان يكافئهُ في صنيعهِ فعلَّمهُ كيفية استعمال آلات التلغراف فتعلَّم ذلك حالاً ودرس كل ما وصلت اليهِ يدهُ في علم الكهربائية والتلغراف وخدم في مصلحة التلغراف المتعلقة بسكة الحديد لكنهُ لم يحسن عملاً فكاد يصدم قطرًا بقطر واستدعاهُ المدير وجعل يوبخهُ وقال لهُ لا بدَّ من ارسالك الى السجن وبينما هو يكلمهُ مغتاظًا دخل اثنان من الكبراء فغيَّر صوتهُ ولم يعد يلتفت اليهِ فخرج وهرب ثم مضى الى بوستن ماشيًا فوصلها في اربعة ايام . ولما صار عمرهُ احدى وعشرين سنة اتى مدينة نيويورك وهو لا يملك شيئًا

وكان يمشي ذات يوم في شوارع نيويورك فرأى الناس مجتمعين في مكتب التلغراف وحولهُ فسأل عن سبب اجتماعهم وعلم ان آلة التلغراف وقفت عن العمل فدخل وقال انهُ يصلحها

فاستغرب الحضور امره لكنهُ اثبت قوله بالامتحان واصلح الآلة في بضع دقائق واثبت مهارتهُ في هذا الفن فجُعل كهربائيًّا لمكاتب التلغراف وقطع لهُ راتب ستين جنيهًا في الشهر فذهل عن نفسهِ لانهُ لم يكن ينتظر ان ينال مثل هذا الراتب في حياتهِ وكان شغلهُ قليلاً لا يشغل كل وقتهِ فجعل يبحث ويجرب الى ان استنبط آلة لطبع الاشارات التلغرافية ثم استنبط استنباطات أُخرى اشترتها كلها منهُ شركة التلغراف بثمانية آلاف جنيه . وقد قال في صدد ذلك ما ترجمتهُ

لقد بلغ من ذهولي حينما ذكر لي هذا المبلغ اني لم أُصدق اذني وخطر ببالي ان في الامر حيلة عليَّ ثم امضيت شروط البيع وأُعطيت تحويلاً بالقيمة على بنك فهرعت اليهِ ولم اكن دخلت البنك من قبلُ ولما قدمت الحوالة الى الصراف قطَّب جبينهُ وتكلَّم كلامًا لم افهمهُ لاني كدت اكون اطرش فاعاد الكلام ولما لم افهم منهُ شيئًا قلتُ في نفسي اني مخدوع لا محالة ولو اتاني احد واشترى الحوالة مني حينئذٍ بعشرة جنيهات لبعتهُ اياها . ودرت من هناك وسألت احد الكتبة ما يقول هذا الصراف فصرخ في اذني قائلاً انهُ طلب منك ان تثبت لهُ شخصيتك فتعال معي ثم ادخلني وقال انهُ يعرفني ولما قبضت المبلغ ذهبت من ساعتي واشتريت بهِ كل الادوات اللازمة للبحث والتنقيب في آلات الكهربائية

ومن ثمَّ اخذ يجري سريعًا في ميدان الاختراع والاستنباط وجعلت الثروة تنهال عليهِ جزاء مخترعاتهِ . وبنى دارًا كبيرة للامتحان انفق عليها الاموال الطائلة لان المال يثمر المال اذا اقترن بالحزم والتدبير. اما حزمهُ واجتهادهُ فمما يفوق الوصف. قيل انهُ لما كان يجرب التجارب لعمل القنديل الكهربائي من خيوط الفحم بقي في معملهِ اربعة ايام بلياليها لا ينام ولا يستريح قائلاً إما النجاح وإما الموت لكنهُ نجح وصنع القنديل الكهربائي الذي نكتب في ضوئهِ هذه السطور الآن. ولا تسل عن الشهرة التي حازها بهذا الاستنباط والاموال الطائلة التي ربحها منهُ

ثم استنبط الفونوغراف اتفاقًا فانهُ كان يتكلم بالتلفون فشعر باهتزاز القلم الدقيق المتصل بهِ فادنى منهُ ورقة وهو يلفظ الكلمة "هلو" فاثر فيها واجرى الورقة امام القلم فسمع كلمة "هلو" منهُ. ثم صنع الفونوغراف واتقنهُ كما هو معلوم ولكن بعد تعب يقصر القلم عن وصفهِ

قال بعضهم وقد زار اديصن حديثًا انهُ اذا كان في بيتهِ فهو مجمع اللطف والبشاشة واذا كان في المعمل غاص في الاعمال حتى صار جزءا منها . زرتهُ في معملهِ فادخلت اولاً الى غرفة فسيحة فيها كتبة وهي من اوسع المكاتب العلمية في المسكونة فيها خزائن الكتب وبينها كراسي ومساند حتى يسهل على المطالع الجلوس حيثما شاء وفوق الكتب صور مشاهير رجال العلم والشهادات التي نالها من المعارض المختلفة وصور كثير من الآلات

وبينما كنت انظر في بعض الرسوم فُتح الباب ودخل اديصن وهو ربعة عريض المنكبين شائب الشعر محلوق الوجه يظهر ان عمره من خمسين الى ستين سنة (عمره ٥٤ سنة) فتقدم اليَّ مسرعاً وصافحني وجلس على كرسي امامي وحينما كنت اكلمهُ كان يضع يدهُ وراء اذنهِ ليجمع تموجات الصوت بها وقال لي اني اطرش فانهُ لما كان عمري ١٢ سنة رفعني رجل باذنيَّ فمزَّق طبلتيهما ولكن الطرش لم يضرني ولو امكنني ان اشفى منهُ ما اخترت الشفاء لانهُ ساعدني على حصر افكاري في ما افكر بهِ فمنهُ نفع اكيد . ثم اني لا اخسر كثيرًا بعدم سمعي ما يقولهُ اكثر الناس واني اسمع جيدًا في معامل الآلات وحيثما تكثر الضوضاء وقد صارت الضوضاء من لوازم العمران في هذه الايام ولذلك فانا في الغالب غير اطرش

وهاك بعض ما اجابني بهِ عمّا سألتهُ عنهُ

اني اشرع في العمل قبل الساعة السابعة بعشرين دقيقة فاطالع اولاً جرائد الصباح لاقف على الاخبار الى ان يحين وقت الفطور فافطر مع اولادي وامضي الى المعمل فاصلهُ الساعة الثامنة ويكون لديَّ غالبًا من اربعين الى سبعين من الاشغال التي لا بدَّ لي من ان اهتمَّ بها . وفي كل ليلة اكتب قائمة الاشغال التي يلزمني الاهتمام بها في اليوم التالي مما يتعلق بمخترعاتي المختلفة . وعندي الآن اكثر من مئة وخمسين عاملاً في معملي ولديَّ في كل يوم اربعون او خمسون تجربة من التجارب العلمية العملية في الكيمياء والكهربائية والنور والحرارة وعلم الآلات والمعادن والنور والقوة ولا بدَّ من اجرائها فاوزعها على العمال عندي في ساعتين من الزمان واشتغل باصبعها او بما لهُ عندي الشأن الاكبر منها

فسألتهُ ما هي اصعب مسألة اشتغلت بها . فقال مسألة النور الكهربائي فانني لما شرعت في حلها لم يكن يُعرف شيء عن النور الكهربائي مما تلزم معرفتهُ . ولما حاولت استعمال هذا النور رأيت امامي مصاعب كثيرة يجب التغلب عليها اشدها جعلهُ رخيصاً من باب تجاري . فان تصوُّر الاختراع سهل على نوع ما واخراجهُ من القوة الى الفعل علميًّا قد يكون سهلاً ايضاً ولكن الصعوبة في اخراجهِ من القوة الى الفعل عمليًّا تجاريًّا حتى يشيع استعمالهُ ويربح منهُ عاملهُ . والغرض الذي ارمي اليهِ ان اجعل مخترعاتي رابحة من باب تجاري

وسألتهُ مَن تراهُ احق العلماء بالاعجاب . فاجاب فراداي فانهُ اكبر العلماء المجرّبين وانا نفسي صانع مجرّب وقد قضيت عمري في تطبيق العلم على العمل والغالب ان العلماء يقتصرون على العلم المجرَّد . وممن اعجب بهم ايضاً لورد كلفن فانهُ عالم وعامل معاً

وسألتهُ اي الامور يسليك اكثر من غيره فتبسم وقال اني اتسلى بمطالعة الكتب الكيماوية

والذُّ شيءٍ عندي التجارب الكيماوية

فسألتهُ عمَّا اذا كان يسرُّ بالذهاب الى مشاهد التمثيل . فقال نعم اني احب التمثيل المتقن وتعجبني ساره برنارد وهي عندي امهر الممثلين والممثلات فاني افهم كل ما تقول ولو لم اسمع كلمة منهُ . فسألتهُ عمَّا اذا كان يحب الصيد . فقال اني لا اعبأُ بهِ ولكنني احبُّ ان اضرب في الحراج وافضل ركوب الاتوموبيل على ركوب الخيل

وأُتي حينئذٍ بغدائهِ لانهُ يتغدَّى في المعمل وهو قليل من الخبز واللحم وفنجان من الشاي فأكلهُ في خمس دقائق . ثم قام وطاف في المعمل وتفقَّد الاعمال الجارية فيهِ عملاً عملاً وكأنهُ كان يرى كل ما فيهِ في وقت واحد

والمعمل ثلاث طبقات في السفلى منها المكتبة المشار اليها آنفاً والآلات الثقيلة كالمطارق والمخارط وفي الثانية تمتحن الادوات التي تصنع في المعمل وهناك غرف للفونوغراف وغرف للآلات الموسيقية وغرف للبطريات وغرف للآلات الكهربائية . وفي الثالثة اماكن الرسم وبعض التجارب العلمية . وللتجارب الكيماوية التي منها خطر مكان منفصل عن المعمل تجرَّب فيهِ

وفي المعمل آلة ترشُّ الماء من نفسها لاطفاء النار اذا اشتعلت فيهِ . وقد قال لي ان هذه الآلة وقت معملهُ من الاحتراق مراراً كثيرة . وكان يقف امام كل فرع من فروع الاعمال الجارية فيهِ يصلح آلة او يشير بامر وكأنهُ لا يملُّ ولا يتعب ولا يفوتهُ شيء مما يعمل في معملهِ

وقُبَيل الساعة السادسة جاءت زوجتهُ راكبة اوتوموبيلاً وقالت لهُ حان الوقت للذهاب الى البيت فتبسَّم وقال لي لولاها لبقيت في المعمل نهاراً وليلاً ولكنها تضطرُّني الى الخروج منهُ كل يوم الساعة السادسة غير اني لا اترك الشغل في البيت لانني اقرأُ جرائد المساء واكتب ما يجب عملهُ في اليوم التالي وابقى كذلك الى نصف الليل . ثم ركب المركبة معها وحيَّاني مودعاً " انتهى

هذه صورة مجملة لرجل من اكبر المخترعين في هذا العصر يظهر منها باجلى بيان ان بعض المخترعات يأتي اتفاقاً ولكن اكثرها لا يأتي الاَّ بعد البحث الدقيق والتعب الكثير وكلها لا تصير عمليَّة يربح منها عاملها الاَّ بعد اشد التعب والمشقة . ولا بدَّ من التأهُّب لها بالدرس الكثير والوقوف على المبادئ العلمية التي تبنى عليها . وكل ذلك على كثرتهِ وصعوبتهِ ميسور حتى للولد الذي يبيع الجرائد والفول السوداني في مركبات سكك الحديد

ابتدأت حياة اديصن العلميَّة بتعلُّمهِ استعمال آلات التلغراف ولو كان خاملاً مثل اكثر الذين يكتفون باللقمة لبقي عاملاً في بيت التلغراف الى الآن يأخذ ريالاً او ريالين في اليوم

لكنهُ لم يكن كذلك بل قرأ كل ما وصلت اليهِ يدهُ مما يبحث عن الكهربائية والتلغراف حتى فهم اسرار صناعتهِ تمام الفهم فلما عرضت لهُ آلة مختلَّة اصلحها حالاً واعرب عن علم وفهم في هذا الموضوع وعن مهارة في تركيب الآلات وتفكيكها. والباحثون عن عامل بارع مثلهُ ليستخدموهُ اكثر من العمال البارعين الباحثين عمن يستخدمهم ولذلك رحَّب بهِ اصحاب شركة التلغراف واستخدموهُ باجرة طائلة لم يحلم بها لا برًّا بهِ ولا شفقةً عليهِ بل طلبًا للربح من علمهِ ومهارتهِ . ولو كان مثل اكثر العمال الذين يكتفون بما يملأ بطونهم لا همَّة لهُ ولا مطمع لاكتفى بما نال والتهى عما البحث والتنقيب لكنهُ لم يكن كذلك فاستخدم الراتب الذي نالهُ لابتياع الكتب والادوات اللازمة لزيادة البحث والاستنباط ولما باع مستنبطاتهِ بثمانية آلاف جنيه وقبض المال بعد ان كاد ييأس منهُ لو كان مثل اكثر الناس لتزوَّج واقتنى مركبة ومدَّ رجليهِ على بساط الراحة لكنهُ لم يفعل شيئًا من ذلك بل انشأ بهذه النقود كلها معملاً صناعيًا كيماويًا اي انهُ زرعها في مزرعة العلم والعمل كما يزرع البذار (التقاوي) في الارض لكي تثمر الخيرات الكثيرة او استعملها رأس مال واتجر بها فربح الالوف والملايين واكتسب ثروةً طائلة وشهرة واسعة وافاد نوع الانسان فوائد لا تقدَّر. بائع الجرائد والفول السوداني يشار اليهِ الآن بالبنان ويذكر اسمهُ فوق اسماء الوزراء والملوك . ولا نعلم مقدار ثروتهِ ولكن يقال ان ثمن قصرهِ الذي يسكنهُ اكثر من خمسين الف جنيه ولهُ قصر آخر يمضي اليهِ وقت اشتداد البرد . فليكن ما ذكرناهُ عنهُ مثالاً لشباننا الذين يحسبون انهم اهل النجاح وهم يكتفون بما يملأ بطونهم ويستر عريهم

وقد جاءنا كثيرون من اخواننا الشرقيين مرارًا وهم يظنون انهم اكتشفوا اكتشافات كبيرة النفع او اخترعوا اشياء لم يسبقهم غيرهم اليها وكنا ننظر في ما يحسبون انهم اكتشفوهُ او اخترعوهُ فلا نجد فيهِ ما لهُ اصل علمي صحيح الاَّ نادرًا . وكنا نريهم مواقع الضعف او نشير عليهم بدرس الاصول العلمية التي يبنى عليها ما يطلبونهُ فلا نجد منهم في الغالب الاَّ الملامة لاننا لم نشدد عزائمهم ونشهد لهم بصحة شيءٍ نعتقد خطأهُ . فعسى ان يروا في سيرة اديصن وسير غيره من المخترعين ما يحقق لهم النصيحة التي ننصح لهم بها دوامًا وهي ان يدرسوا مبادئ العلوم التي يبنى عليها ما يظنون انهم اخترعوهُ او اكتشفوهُ والاَّ فنجاحهم بعيد ان لم يكن مستحيلاً

وكان القول الشائع ان طالب علم وطالب مال لا يجتمعان لكن هذا القول لم يعد يقبل على اطلاقهِ بل صار الناس يطلبون العلم بالمال والمال بالعلم وقد نجحوا في ذلك نجاحًا لا شبهة فيهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فنحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الماسونية في فرنسا

اعتراض

حضرة العالمَين الفاضلين منشئي مجلة المقتطف

اثبتما في مقتطف مايو الماضي خلاصة رسالة في هذا الموضوع نشرتها مجلة القرن التاسع عشر وقد عثرت في الجزء التاريخي من ذلك الملخص على مزاعم ليست من الصحة في شيء فرأيت ان احول الانظار اليها وافندها مستنداً الى ما جاء في كتب الثقات من مؤرخي الماسونية

قال كاتب الرسالة: "ان نبوليون الثالث اضطرَّ الماسون الى قبول رئيس اختارهُ لهم وصار رجال البوليس يدخلون المحافل الماسونية ويرون ما يجري فيها من الرسوم كأنها تحت سيطرتهم وانهُ امر بتعيين المرشال مكماهون رئيساً اعظم للشرق الاعظم" اما الاول فصحيح واما الثاني والثالث فخطأ في التحقيق والنقل وتحرير الخبر ان البرنس مورات (ابن مورات مرشال فرنسا وملك نابولي) انتخب رئيساً اعظم ظنًّا من الماسون ان انتخابهُ يعود بالفائدة على الماسونية فسلك سلوكاً مغايراً لسنن العشيرة وانحطت الماسونية ومحافلها في عهدهِ حتى ضاق الماسون ذرعاً بهِ فلما اوشك زمان رئاستهِ ان ينتهي ودنا ميعاد الانتخاب لمسند الرئاسة العظمى رشحوا البرنس جيروم نبوليون ورضي هذا بالترشيح فقامت قيامة مورات واتباعهُ وصاروا ينشرون الدكريتات بحل المحافل وشجب اعضائها وكثر القال والقيل فاصدر الامبراطور امراً عاليًا عيَّن فيهِ المرشال مجنان[1] لا مكماهون رئيساً اعظم وحدث في اثناء المشاحنات التي دارت بين مورات واضدادهِ ان هذا اصدر اوامر بشجب كثيرين من زعماء العشيرة فخنق الماسون من هذا الامر

(١) (المقتطف) الاصل مجنان وليس مكماهون وقد وقع الخطأ في الطبع العربي لا في الاصل الانكليزي

واخذوا يوالون الاجتماعات في دار الشرق الاعظم لمقاومة اوامره وفي احد هذه الاجتماعات دخل عليهم احد انصار مورات وطلب اليهم ان يحلوا الجلسة عملاً بامر الرئيس الاعظم وقال اذا لم تفعلوا استعنت بالبوليس ثم خرج وعاد بجماعة من البوليس فلما درى الماسون بقدومهم خرجوا الى مدخل الدار وانتحوا للبوليس ان يرتدّ عن المكان وبعد مجادلات ومحاورات عاد البوليس من حيث اتى وعاد الماسون الى الدار وكان ذلك في مايو سنة ١٨٦١

وفي اكتوبر من السنة عينها اصدر ناظر البوليس امراً يمنع فيهِ مجالس الاستاذ الاعظم والماسون عامة من الاجتماع لانتخاب رئيس اعظم بحجة ان هذا المنع ضروري لحفظ الامن ويطلب تأجيل الاجتماع الى شهر مايو من السنة التي تليها [٢] وكان ذلك جميعاً قبل تعيين مجنان وفيما سوى هاتين الحادثتين فلم يتعرض البوليس لشؤون الماسونية قط في عهد نابليون الثالث

ثم ان مجنان نال درجات الماسونية في يوم واحد لا في اسبوع من الزمان كما قال الكاتب وكانت ثلاثاً وثلاثين لا ثلاثاً [٣] فقط كما قال الكاتب والذي رقاهُ اليها احد انصار مورات وهو الرجل الذي استنصر البوليس لحلّ جلسة الشرق الاعظم كما تقدم وكان مجنان يجهل الرسوم الماسونية فلما درى بالخطإِ الذي حدث امر بتجريب الفاعل ومحاكمتهِ وحطهِ عن وظيفتهِ ودرجتهِ [٤]

اما قول الكاتب ان الانكليز ادخلوا الماسونية الى فرنسا وتعيينهُ زمان ادخالها اليها بقولهِ انهُ كان سنة ١٧٢١ فامر لم يتحقق بعد والكتّاب على خلاف في تعيين الزمان وهم منقسمون بين ١٧٢١ و ١٧٢٥ و ١٧٢٧ و ١٧٣٦ [٥] واكثرهم على ان دخولها كان في هذه السنة الاخيرة. ولعلَّ الكاتب يستند الى رواية للند [٦] الفلكي الفرنساوي ولولا خشية التطويل لاضفت الى هذا الاعتراض ملخص تلك الرواية واتيت على الادلة التي تثبت فسادها

وانما اقول فيها ما قالهُ فندل المؤرخ الجرماني المشهور ان روايات للند وغيرها من هذا الباب اقاويل متضاربة

خليل ثابت

اسيوط في ٢٤ مايو ١٩٠٢

(٢) فندل صفحة ٤٧١

(٣) (المقتطف) لم يذكر الكاتب عدد الدرجات ولكن المترجم حسب ان الشرق الاعظم يقتصر على الدرجات الثلاث فقال انها ثلاث

(٤) جولد مجلد ٥ صفحة ١٨٨

(٥) جولد وفندل

(٦) Lalande مدير مرصد باريس وُلد سنة ١٧٣٢ وتوفي سنة ١٨٠٧ وهو اول من كتب عن الماسونية في فرنسا على ما يظنُّ وذلك في بضع صفحات من " Encyclopédie "

اختلاف الاديان

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

طالعت في الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين من المقتطف انتقادكم على كتاب فيصل التفرقة للغزالي . ونحن نوافق حضرتكم على عدم استحسان نشر بعض فقرات من هذا الكتاب في هذا العصر الذي تراعى فيهِ حرمة الاديان كما تفضلتم وذلك مثل قولهِ "ان اليهودي والنصراني كافران وكذا البرهمي والدهري" وان كان ذلك نتيجة لازمة لكل دين من الاديان الثلثة. لكننا نخالفكم في توجيهِ اللوم للمسلمين وحدهم فان النصارى ايضاً يصرّحون بتكفير المسلمين بل بتكفير بعضهم البعض في كتبهم الدينية التي تطبع وتنشر بين ظهرانينا ونكتفي هنا بذكر كتاب واحد منها (معتدل اللهجة لخلوهِ من الشتائم واللعنات) وهو الكتاب المعنون بخلاصة اللاهوت الادبي المطبوع في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٨٢ م فقد جاء في المجلد الثاني منهُ صحيفة ٩٧٨ تحت عنوان الدفنة الكنائسية ما نصهُ

س ١ من ينبغي حرمانهم الدفنة الكنائسية

ج ان الناموس العام يوجب حرمان الآتي ذكرهم

١ اي كافر كان سواء كان وثنياً او يهودياً او مسلماً

٢ الخالع الذي يغادر الايمان المسيحي . ويندرج في هذا الحكم كل شرير يكتب صحفاً يقرر بها الاتيسموس (مذهب جحود وجود الله) او الديسموس (مذهب الجاحدين الوحي مع انهم يقرون بوجود الله) او البنتيسموس (مذهب القائلين ان الله انما هو العالم بمعنى جنس كلي شامل كل الموجودات) او ينوه بكلام يدل على جحود الوحي المسيحي

٣ "الهرطوقي" المجاهر بضلالهِ وكذا من يجاهر بالميل الى هرطقة ويحامي عنها الخ

وختم ذلك بقولهِ تنبيه ينبغي عند تكريس المقبرة ان يترك منها قسم متطرف بلا تكريس لتدفن فيهِ الاطفال الذين يموتون بلا عماد والكفرة الذين يسكنون بين المسيحيين وكل من يحرم الدفنة الكنائسية وليس من الضرورة ان يكون هذا القسم مفصولاً عن المقبرة بحائط او سياج او حفرة عميقة بل يكفي فيهِ ان يكون مميزاً بعلامة ما (انتهى)

فحبذا لو نصح الفريقان بالكف عن طبع ونشر مثل هذه الفقرات مراعاةً للزمان والمكان وتوطيداً للحب والوئام اللذين هما اقصى امالنا وغاية مشتهانا والسلام

دمشق احد المشتركين

(المقتطف) لقد اصاب حضرة الامام الفاضل في ما كتب . فان غاية ما يتمناهُ كل راغب في خير ابناء نوعهِ متألم ممَّا اصابهم من التمزيق والتشتيت ان يحسب جميع الناس بعضهم بعضاً اخوة وان يسعوا في ما يزيل اسباب الشقاق ويمكّن عرى الوفاق ونحن نلوم كل الذين يكفرون غيرهم مهما كان مذهبهم



زرع القطن المصري في اميركا

قرأنا منذ مدة ان الاميركيين امتحنوا زرع القطن المصري في بلادهم وان المستر لستر دوي كتب رسالةً في هذا الموضوع . وقد اطلعنا على هذه الرسالة الآن وها نحن موردون خلاصتها هنا افادة للقراء . ولاطمئنان الذين يخشون ان تقاوي القطن المصري تزرع في اميركا فيصير قطنها مثل قطننا ويقوم مقامهُ قال الكاتب :

ان القطن المصري من اهم ما يرد الى الولايات المتحدة الاميركية من ذوات الالياف وشعرتهُ متوسطة في طولها بين القطن الابلند وقطن السي ايلند وهي دقيقة ولكن مزيتها الكبرى في متانتها ومرونتها واستعدادها لتجعُّد فتشتبك الشعرات بعضها ببعض حينما تغزل ويكون منها خيط متين جداً ولو كان دقيقاً جداً . واذا كان القطن المصري في حالة جيدة فلهُ لمعان جميل وملمس زبتي ناعم . والآلات التي تستعمل لتحضير قطن الابلند وغزلهِ لا تصلح لتحضير القطن المصري وغزلهِ . وينسج من القطن المصري منسوجات لا تنسج من القطن الابلند ولا من السي ايلند ولذلك لا يخشى من انهُ يناظر القطن الاميركي رأساً . واكثر ما يستعمل فيهِ الجوارب الدقيقة الغالية الثمن ونحو ذلك ممَّا يحبك حبكاً ويستعمل ايضاً للمزج مع الحرير والصوف ولغزل الخيوط الدقيقة التي تصنع منها الدانتلا

وقد زاد الوارد من القطن المصري الى اميركا من ٢٠٠٠٠٠٠ رطل سنة ١٨٨٤ الى اكثر من ٤٣٠٠٠٠٠٠ رطل سنة ١٨٩٦ ثم هبط قليلاً بسبب قلة المحصول في القطر المصري . وهاك مقدار ما ورد منهُ الى الولايات المتحدة الاميركية في السنوات العشر الماضية مع ثمن الوارد

سنة	قنطار	ريال
١٨٩٠	٢٩٤٧٧	٤٦٠٥٣٥
١٨٩١	١٠١٨٦٣	١٣٧٦٢٥٨
١٨٩٢	١٦٧٦٣٧	١٨٥٦٨٨٥
١٨٩٣	٢٨١٢١٣	٢٩٢٤٧٢٢
١٨٩٤	١٨٣٣٨٩	١٩٣٠٩٨٧
١٨٩٥	٢٩٩٣١٣	٢٧٩٨٢٧٢
١٨٩٦	٤٣٥٧٤٨	٥١٢٩٢٥٦
١٨٩٧	٣٧٣٢٣٢	٤٢٧٧٦١٨
١٨٩٨	٣٨١٦٥١	٣٥٥٥٧٠٨
١٨٩٩	٣٧٥٠٦١	٣٧١٢٢٢٤

وقد ذكر في هذا الجدول القطن الوارد الى اميركا من مصر رأساً وثمنهُ في الاسكندرية ولا شبهة في انهُ يرد ايضاً الى اميركا كثير من القطن المصري آتياً بطريق بلدان أخرى. واسعارهُ في اميركا اغلى من اسعارهِ في الموانئ التي يرد منها[1]. وسيبقى الطلب على القطن المصري كثيراً او يزيد عمَّا هو الآن عليهِ بسبب اتساع صناعة المحبوكات وزيادة الطلب على المنسوجات التي لا بدَّ لها من القطن المصري

والاراضي التي يظن انهُ يمكن زرع القطن المصري فيها في اميركا ضيقة ولا دليل على ان محصول هذا القطن يزيد على مقطوعيتهِ . وهو يزرع في القطر المصري في مساحة لا تزيد على عشرة آلاف ميل مربع او نحوِ ثلث ولاية كارولينا الجنوبيَّة

وقد جُلبت التقاوي من القطن المصري الى اميركا اول مرة سنة ١٨٦٧ لامتحان زراعتها فيها . وفي تقرير ديوان الزراعة لسنة ١٨٦٧ و ١٨٧١ كلام عن اكثر من خمسين تجربة جُرّبت في كل الولايات من كارولينا الجنوبيَّة الى تكساس والاباما ولم ينجح من هذه التجارب الاَّ تجربتان في جنوبي لويزيانا . وظهر ان القطن المصري يحتمل العطش ونوعهُ جيد جدًّا والزمن اللازم لهُ من حين زرعهِ الى ان يبلغ جيدًا اطول ممَّا يسمح به اقليم اميركا الاَّ في اقصى الجنوب . وتكبر شجيراتهُ ولا تسطو عليها الحشرات كما تسطو على القطن الاميركي وجوزهُ قليل

(١) (المقتطف) بلغ الصادر من القطن المصري الى اميركا هذا العام حتى ٢٣ مايو ٢٨٠ ٧٥٠ قنطاراً يقابل ذلك ٢٤٣١١٨ في العام الماضي

صغير واكثره لا يفتح قبلما يشتد البرد وتجلد الارض ولذلك لا تبلغ غلة الفدان منهُ اكثر من ثلث غلة الفدان من القطن الاميركي الابلند

ولما نشر هذا التقرير لم تعد الحكومة تهتم بامتحان زرع القطن المصري في اميركا وظلت على ذلك عشرين سنة . وفي سنة ١٨٩٢ وما بعدها جلب ديوان الزراعة تقاوي ثلاثة انواع من القطن المصري وهي الميت عفيف والباميا والعباسي ووزَّعها على كل دور الامتحان في الجهات التي يزرع القطن فيها وعلى بعض ارباب الزراعة . فدلَّ تقرير الذين زرعوها على الفشل التام حتى ان اكثر الذين زرعوا هذا القطن لم يحفظوا من تقاويهِ الى السنة التالية لما ظهر لهم من قلة محصولهِ فحسبوا ان اعادة التجارب اضاعة للوقت وللنفقات . غير ان الجهات الجنوبية القريبة من خليج المكسيك فصل الصيف فيها طويل فلا يبعد ان يصير محصول القطن المصري جيداً فيها اذا تكرَّر زرعهُ مرتين او ثلاثاً لان التجارب هنا بتقاوي القطن المصري وفي مصر بتقاوي القطن الاميركي تدلُّ على ان تكرير زرع التقاوي الواحدة في البلاد الواحدة حتى تتعود اقليمها يحسّن محصولها . والعلَّة الكبرى لعدم نجاح القطن المصري في اكثر اميركا قصر فصل الصيف فيها . وفي الاماكن الحارَّة الطويلة الصيف عدم تعوُّد هذا القطن على اقليمها فانهُ زرع في مكان من ولاية تكساس ست سنوات متوالية فجاء قطنهُ جيدًا جداً

وسنة ١٨٩٥ زاوج المستر وتورث القطن الميت عفيفي بنوع من القطن الاميركي وزرع التقاوي الناتجة من هذه المزاوجة فوجد قطنها مثل القطن المصري او يفوقهُ لان لوزاته اكبر من لوز الميت عفيف وعددها اكثر ونضجها ابكر

ثم شرح الكاتب انواع القطن المصري الميت عفيف والباميا والعباسي واليانوفتش واستطرد الى ذكر الاشموني والزفيري والحمولي والسي ايلند والقليني والزفتاوي . وبيَّن كيفية زرع القطن في القطر المصري وقابل بين الارض الزراعية في هذا القطر وبينها في اميركا من حيث تركيبهما الكيماوي واظهر ان المواد التي لا تذوب في الماء هي اكثر في الاطيان الاميركية منها في الاطيان المصرية والمواد الجمادية المغذية للنبات اكثر في الاطيان المصرية منها في الاطيان الاميركية ويظهر ذلك بنوع خاص في الجير والصودا والبوتاسا والحامض الفصفوريك . والمواد الآلية اقل في الاطيان الاميركية منها في الاطيان المصرية فتربة القطر المصري اخصب من تربة اميركا ولكن السماد يقوم مقام الخصب الطبيعي

وقابل بعد ذلك بين حرارة القطر المصري وحرارة الاماكن التي يزرع فيها القطن باميركا فوجد انهُ توجد فيها اماكن متوسط حرارتها مثل متوسط حرارة القطر المصري تقريباً . ثم قابل

بين الهواء عندنا وفي اميركا وقال انهُ اجنى في القطر المصري مما هو في اميركا وقد نسب الى جودة امتياز القطن المصري على غيرهِ لكن الكاتب قال ان ذلك لا يخلو من المبالغة . اما الفرق الكبير بين البلادين ففي مقدار المطر فانهُ قلما يقع شيء من المطر في القطر المصري في الوقت الذي يكون القطن نامياً فيهِ . اما الولايات المتحدة ففيها اماكن قليلة المطر ويظهر من التجارب المتقدمة ان كثرة المطر لم تضرّ بالقطن المصري الذي زرع في اميركا

واستخلص من ذلك انهُ اذا اريد زرع القطن المصري في اميركا فلا يرجى نجاحهُ الاَّ في ساحل خليج المكسيك حيث يعسر ريّهُ فيكون معرَّضاً لرحمة المطر او في الجنوب الغربي حيث يسهل ريهُ ولكن يعسر زرعهُ . ففي الاماكن الاولى زراعة القطن شائعة والاجور رخيصة وفي الاماكن الثانية لم يعتد الناس زرع القطن والاجور غالية . فلا سبيل لنجاح القطن المصري في اميركا الاَّ بايجاد نوع جديد منهُ يتحمل تغيُّرات الهواء في سواحل خليج المكسيك حيث لا يسهل ري الارض بل تعتمد على المطر او باستنباط طرق جديدة تقل بها نفقات زراعة القطن حتى يزرع في الاماكن الجنوبية الغربية حيث يمكن الاعتماد على الري وحيث الاجور غالية . ولا بدَّ في الحالين من الاستمرار على انتقاء التقاوي حتى يبقى نوع القطن جيدًا

هذه خلاصة ما كتبهُ الكاتب الاميركي ويظهر منها جيدًا انهُ لا خوف من ان تكثر زراعة القطن المصري في اميركا ولا من ان توجد بلاد تنطبق احوالها الارضية والجوية على احوال القطر المصري حتى يكون قطنها مثل قطنهِ وحسبنا دليلاً قريباً على ذلك ان الوجه القبلي ولا سيما المديريات الوسطى اشبه بالوجه البحري من كل بلاد اخرى بهِ في التربة والري والحرارة والرطوبة ومع ذلك لا يكون قطنهُ مثل قطن الوجه البحري فلا خوف من ان تقوم بلاد اخرى وتناظر القطر المصري في المستقبل القريب

السباخ البلدي

كتب المستر فودن مقالة مسهبة في السباخ البلدي نشرت في مجلة الجمعية الزراعية بيَّن فيها امورا حريَّة بالذكر وهي

اولاً ان زبل الغنم اجود من زبل البقر وزبل الجيل لان فيهِ من النيتروجين والفصفور اكثر مما فيهما كما ترى في هذا الجدول

	نيتروجين	حامض فصفوريك	قلويات
زبل الغنم	٧٥	٦٠	٣٠
زبل البقر	٣٠	٢٥	١٠
زبل الجيل	٥٠	٣٥	٣٠

هذا من حيث المواد البرازية الجامدة اما المواد السائلة اي بول المواشي ففيها من المواد المغذية للنبات اكثر مما في الزبل الجامد كما ترى في هذا الجدول

	نيتروجين	حامض فصفوريك	قلويات
بول الغنم	١٤٠	٥	٢٠٠
« البقر	٨٠	اثر	١٤٠
« الخيل	١٢٠	«	١٥٠

لكن المواشي يختلف مقدار زبلها فالبقر اكثر زبلاً من الخيل والغنم . ويختلف مقدار بولها بحسب شربها للماء فاذا كثر شربها كثر بولها ايضاً وقلّت المواد المغذية فيه . ويظهر من ذلك كله ان زبل الغنم اجود انواع الزبل ويتلوهُ زبل الخيل ثم زبل البقر

ويضاف الى الزبل تراب فرشة للبهائم فيمتص البول حتى لا يضيع شيء منهُ وتكون كومة السباخ مؤلفة من الزبل والبول والتراب الذي يمتص هذا البول . والتبن اجود من التراب فرشةً للمواشي

ثانياً . ان السباخ الذي ينتج من الثور الواحد على مدار السنة يبلغ نحو ٢٢٠ قنطاراً فيها قنطار من النيتروجين

ثالثاً . ان الزبل اذا ترك مكشوفاً للهواء ضاع منهُ جانب كبير من فائدته فالواجب تغطيتهُ بالتراب الذي مزج بمواد نباتية

رابعاً . ان استعمال الزبل حالاً بعد اخراجه من دوّار المواشي خير من تركه حتى يختمر لان الاختمار يتم في الارض كما يتم في كومة السباخ ولا يخسر الزبل شيئاً من فائدته

خامساً . ان الزبل الجديد يسرع النمو فيصلح للذرة والقمح ولا يصلح للقطن ولكن يصلح لهُ السماد القديم لانهُ يحتاج الى النمو التدريجي

سادساً . ان تسبيخ الارض بمقادير قليلة من السباخ دفعات متوالية خير من تسبيخها بمقادير كبيرة دفعةً واحدة

سابعاً . افضل الطرق لتسبيخ الارض ان يوزع السباخ فيها وتحرث حالاً

غلة القطن هذا العام

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية حتى ٢٣ مايو ٦٤٥٨٤٢٩ قنطاراً يقابل ذلك في العام الماضي ٥٢٣٨٣٧١ قنطاراً وبلغ الوارد من البزرة ٣٨٤٧٠٢٠٣ ارادب يقابل ذلك في العام الماضي ٣١٦٨٥٢٩



اسرار البلاغة

في علم البيان

اهدى الينا حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة "المنار الاسلامي" نسخة من كتاب اسرار البلاغة في علم البيان لمؤلفهِ الامام عبد القاهر الجرجاني بعد ان طبعهُ وصححهُ وعلّق حواشيهُ بما عهد في حضرتهِ من الكفاءة

وقد تصفحنا بعض فصولهِ في ما تيسر لنا من الوقت فرأينا اصدق وصف ينطبق عليهِ ما قالهُ احد فضلاء الاساتذة الذين حضروا درسهُ في الازهر الشريف على حضرة العلاَّمة المفضال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وهو "اننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان"

والحق يقال ان الكتاب جامع لجميع اسرار البلاغة على ما عرفها العرب وعرَّفوها بهِ . ففي الفصل الاول بحث مستفيض في التجنيس وانواعهِ ثم الاستعارة وتقسيمها الى مفيدة وغير مفيدة وبيان طرق التشبيه وضروب الاستعارة والتشبيه والتمثيل والفرق بينهما ومما قيل في ذلك :

"اعلم ان التشبيه عام والتمثيل اخص منهُ فكلُّ تمثيل تشبيه وليس كلُّ تشبيه تمثيلاً فانت تقول في قول قيس بن الحطيم

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاَّحية حين نوَّرا

انهُ تشبيه حسن ولا تقول هو تمثيل وكذلك تقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها لانك تعني تشبيههُ المبصرات بعضها ببعض وكل ما لا يوجد التشبيه فيهِ من طريق التأول كقولهِ

كأَن عيون النرجس الغضِّ حولها مداهن دُرٍّ حشوهنَّ عقيقُ

وقولهِ

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيدِ
يتلو الثريا كفاغرٍ شرهٍ يفتح فاهُ لأَكل عنقودِ

وكلُّ ما لا يصح ان يسمى تمثيلاً فلفظ المثل لا يستعمل فيهِ ايضاً فلا يقال : ابن المعتز حسن الامثال تريد بهِ نحو الابيات التي قدمتها وانما يقال صالح بن عبد القدوس كثير الامثال في شعرهِ يراد نحو قولهِ

وان مَن ادبتهُ في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسهِ
حتى تراهُ مورقاً ناضراً بعد الذي ابصرت من يبسهِ"

ويتلو ذلك فصل طويل في الموازنة بين التشبيه والتمثيل جمع فاوعى . ثم فصل في الفرق بين الاستعارة والتمثيل قال فيهِ "ان الاستعارة يجب ان تفيد حكماً زائداً على المراد بالتمثيل اذ لو كان مرادنا بالاستعارة هو المراد بالتمثيل لوجب ان يصح اطلاقها في كل شيء يقال فيهِ انهُ تمثيل ومثل والقول فيها انها دلالة على حكم ثبت للفظ وهو نقلهُ عن الاصل اللغوي واجراؤهُ على ما لم يوضع لهُ...... فالتشبيه ليس هو الاستعارة ولكن الاستعارة كانت من اجل التشبيه وهو كالغرض فيها او كالعلة والسبب في فعلها" ثم فصَّل في الفرق بين التشبيه والاستعارة

وهناك فصل لطيف في الاخذ والسرقة افتتحهُ بقولهِ "اعلم ان الحكم على الشاعر بانهُ اخذ من غيرهِ وسرق واقتدى بمن تقدم وسبق لا يخلو من ان يكون في المعنى صريحاً او في صيغة تتعلق بالعبارة" ثم قسم المعاني الى قسمين عقلي وتخييلي وذكر ما تحتهما من الانواع فقال تحت التخييلي "وكذلك قول من قال "خير الشعر اكذبهُ" فهذا مرادهُ لان الشعر لا يكتسب من حيث هو شعر فضلاً ونقصاً وانحطاطاً وارتفاعاً . فكم جوَّاد بخلهُ الشعر وبخيل سخَّاهُ وشجاع وسمهُ بالجبن وجبان ساوى بهِ الليث . . . . واما من قال في معارضة هذا القول "خير الشعر اصدقهُ" فقد يجوز ان يراد بهِ ان خير الشعر ما دلَّ على حكمة يقبلها العقل وادب يجب بهِ الفضل كما قيل كان زهير لا يمدح الرجل الاَّ بما فيهِ فمن قال خيرهُ اصدقهُ كان تركُ الانحراف والمبالغة والتجوز الى التحقيق والتصحيح احبَّ اليهِ وآثرَ عندهُ ومن قال اكذبهُ ذهب الى ان الصنعة انما يمدُّ باعها وينشر شعاعها ويتسع ميدانها وتتفرع افنانها حيث يعتمد الاتساع التخييل ويدعي الحقيقة فيما اصلهُ التقريب والتمثيل

الى ان يقول "وكيف دار الامر فانهم لم يقولوا خير الشعر اكذبهُ وهم يريدون كلاماً غفلاً ساذجاً يكذب فيهِ صاحبهُ ويفرط نحو ان يصف الحارس بأوصاف الخليفة ويقول للبائس المسكين انك امير العراقين ولكن ما فيهِ صنعة يتعمل لها وتدقيق في المعاني يحتاج معهُ الى فطنة لطيفة وفهم ثاقب وغوص شديد"

ومذهب ناشر هذا الكتاب ان الجرجاني واضع علم البيان وان اسرار البلاغة اول كتاب وضع فيهِ قال "كتب قبل عبد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء كالجاحظ وابن دريد وقدامة الكاتب ولكنهم لم يبلغوا في ما بنوهُ ان جعلوهُ فناً مرفوع القواعد مفتح الابواب كما فعل عبد القاهر بعدهم فهو واضع علم البلاغة كما صرَّح بهِ بعض علمائها وان لم يذكر لهُ هذه المنقبة

المؤرخون الذين رأينا ترجمتهُ في كتبهم" وخالف ابن خلدون في نسبتهِ وضع علم البيان الى السكاكي وقال "ان السكاكي كان عيالاً على عبد القادر تلا تلوهُ واخذ عنهُ مع المخالفة في شيء من الترتيب والتبويب". والكتاب مطبوع طبعاً حسناً بحرف واضح لكنهُ كثير الغلط المطبعي. وهو من المطوَّلات التي يرجع اليها طلبة علم البيان فنثني على حضرة الاستاذ الفاضل الذي تولى طبعهُ ونشرهُ بعد ان صححهُ وعلق حواشيهُ

مجموعة

حقوقيَّة طبيَّة هندسيَّة

ألَّف متخرجو المدرسة الخديوية جمعيَّة علميَّة غايتها "احياء المجتمعات التي بها النجاة من العيشة الافراديَّة السائدة في بلادنا" واصدروا منذ مدة قصيرة المجموعة التي نحن بصددها وهي تتضمن الخطب التي القاها بعض اعضائها في خلال السنة الماضية فلما تصفحناها وجدناها حافلة بالمواضيع الحديثة والمقالات المفيدة. فمنها مقالة مسهبة في التربية والتاريخ لكاتبها الاديب علي افندي ماهر بمدرسة الحقوق الخديويَّة أبان فيها ان التربية الوطنية او السياسية قديمة العهد في التاريخ والحاجة اليها ماسَّة في كل مكان وزمان لان لها اشد العلاقة بالوطن والاستقلال وصور الحكومات والمبادىء القويمة التي اسست عليها من حرية ومساواة واخاء. وتكلم على الوطن فقال "ان ارق شعور واجمل احساس يثير في النفس حمية تحلُّ بالقلب هزة وتنزل بهِ خفقاناً هو حبُّ الوطن" واستطرد الى ذكر الواجبات نحو الوطن والانانية والاستقلال الداخلي والسيادة الاهلية وما تحتهما من الاقسام وصور الحكومات المختلفة والحرية والمساواة والاخاء وانواعها فأجاد وافاد

ومنها مقالة في اشعة رنتجن لحضرة الاديب عبد الرحمن افندي عمر احد طلبة مدرسة الطب أبان فيها اهمية "آخر الاكتشافات العظيمة في القرن التاسع عشر" فبحث اولاً في الكهربائية واستعمالها ثم انتقل الى الكلام على اشعة رنتجن وطريقة اكتشافها واستعمالها في الفوتوغرافيا الحديثة والطب

ويلي ذلك مقالة في التكافل والتضامن لحضرة الاديب محمد حلمي افندي عيسى بمدرسة الحقوق الخديويَّة ذكر فيها اصل التكافل ومنشأهُ واقوال بعض الفلاسفة فيهِ وردّ الآخرين عليهم مثل جان جاك روسو وابن خلدون وغيرهما من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين ثم ذكر اركان التضامن والتكافل وقسمها الى قسمين تكافل عائلي وتكافل اجتماعي

ومقالة في التنويم المغنطيسي واستحضار الارواح لحضرة الاديب محمد افندي شكري بمدرسة الطب اتى فيها على تاريخ التنويم المغنطيسي وطرق المعالجة به وآراء الاطباء فيه

واخرى في لوازم الحياة الاصلية لحضرة الاديب محمود افندي ماهر بمدرسة الطب ذكر منها الهواء النقي والاكل والشرب والحرارة والنظافة والنور والحركة والرياضة البدنية والراحة

وآخرها مقالة عنوانها شهران بسويسرا لحضرة علي افندي ماهر بمدرسة الحقوق الخديوية بعث بها من سويسرا ووصف فيها احوال المعيشة هناك وما شاهد من المناظر الطبيعية البديعة وآثار القرون الوسطى والمجتمعات الحديثة والحكومة وسائر ما يتعلق بالبلاد حتى جاءت رسالة تنيف على اربعين صفحة كلها فوائد واخبار

والخلاصة ان اعضاء الجمعية الكرام لم يكتفوا بحصر فوائدها فيهم بل راموا نشرها بين اخوانهم من المتكلمين بالعربية ففعلوا واحسنوا . وغاية ما نتمناه لهذه الجمعية المفيدة ان تزيد نموًّا وارتقاء لما فيها من الفائدة للوطن

الدنيا في باريس

كثيرون من الناس لا يسرون بالروايات ولا يميلون الى مطالعتها لانهم لا يميلون طبعًا الى الحكايات الخيالية التي لا اساس من الصحة لها ولو كان فيها ما فيها من الفكاهة واسباب اللذة العقلية فيستعيضون منها قراءة القصص والوقائع الحقيقية كالتواريخ والرحلات . ومن الرحلات التي كان لها وقع عظيم عند القراء رحلة الكاتب المحقق عزتلو احمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار الى معرض باريس العام سنة ١٩٠٠ وقد سمَّاها " الدنيا في باريس " وزينها بصور ابنية المعرض ورسوم ما فيه من غرائب المشاهد والمناظر كمنظر سقوط القنطرة المعلقة في الهواء ومنظر عموم المعرض من جهات مختلفة وقنطرة اسكندر الثالث والرصيف المتحرك والقصر العثماني وغير ذلك من القصور

وبينما نحن نطالع ما كتب عن معروضات القصر الالماني استوقف نظرنا ما ورد فيه عن تجارة الكتب في الكلام على احتكار المانيا لطبع الكتب العربية وهذا نصهُ

" ومما امتازت به الطباعة الالمانية انها احتكرت تقريبًا الكتب الشرقية ونحن اعرف الناس بان هؤلاء القوم ينقرون عن آثار اسلافنا التي لا نكاد حتى الآن نسمع بها او نتصور وجودها وهم يطبعونها و يستفيدون منها مالاً وعلمًا وفضلاً . . . نعم فقد طبع الالمان اهم كتب ائمتنا في التاريخ والجغرافية والادب وسائر العلوم ثم تجيء بعض مطابعنا فتسرق عنهم ولا تخجل

من عدم نسبة الفضل اليهم في هذا الباب . ويا ليت اصحاب المطابع في مصر يعادلونهم في صحة الطبع ودقة التصحيح وتقريب التناول وتسهيل المأخذ بل ان الكتاب المطبوع اولاً في المانيا ثم في مصر بعد عشرات من السنين لا يزال يساوي في القيمة حسّاً ومعنًى عشرة امثال تلك المذيلات التي يطبعونها في مصر " ثم ذكر جدولاً يتضمن اسماء اكثر من خمسين كتاباً قال عنها في راس الجدول انها " كتب عربية نفيسة طبعوها ونحن لا نعلم ولا ندري "

ولا تخلو صفحة في هذا الكتاب من فائدة يحسن حفظها او انتقاد يجب الانتباه له ولقد احسنت مجلة طبيب العائلة في اعادة طبعهِ ونشرهِ

الغادة السورية في الديار الاميركية

اسم رواية غرامية ادبية انتقادية اهداها الينا حضرة مؤلفها الاديب قيصر افندي ابرهيم معلوف صاحب جريدة البرازيل ورئيس تحريرها. وهي تبحث في حالة الابنة الشرقية والاحكام العدلية وتصف حالة المهاجر السوري في البرازيل وقد نشرت تباعاً في اعداد جريدة البرازيل ثم في كتاب على حدة فنثني على حضرة صاحبها اطيب الثناء

كنز الجوهر في تاريخ الازهر

كتاب نفيس الّفهُ حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ سليمان رصد الحنفي . وهو يشتمل على تاريخ الجامع الازهر في مقدمة وخمسة مقاصد تكلم فيها على ابتداء الاسلام والدولة التي اسست الازهر والتجديدات التي عرضت عليهِ ومشتملاتهِ ومشيختهِ ومشاهيرهِ في هذا العصر والحوادث التي حدثت فيهِ وعادات اهلهِ . ويلي ذلك خاتمة فيها الاحصائيات من اول جعلهِ مدرسة الى اليوم الحاضر واحصائيات المدرسين والطلبة في عموم القطر المصري . فنشكر لحضرة المؤلف اعتناءهُ في جمع هذا الكتاب ونشرهِ

الامومة عند العرب

رسالة نقلها عن الالمانية الى العربية حضرة العالم المحقق بندلي صليبا الجوزي وطبعها في قازان من اعمال الروس بحروف عربية من الطراز القديم وغرض المؤلف منها ان يثبت الامومة عند العرب اي انتساب الاولاد الى امهاتهم لان ناموس الزواج المتبع الآن لم يكن مرعيّاً عندهم تمام الرعاية بل كان الزواج من نوع المتعة . وظاهر ذلك مخالف لما هو شائع من حفظ العرب لانسابها ولكنهُ موافق من بعض الوجوه لما فصَّلهُ البخاري في صحيحهِ في ذكرهِ انواع الزواج عند العرب



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) سمك الآبار الارتوازية

اتياي البارود . محمود افندي العلواني

بينما كنت اطالع في مجموعة قديمة من الجرائد وقع نظري على مقالة في جريدة الاهرام الصادرة في ١٥ تموز سنة ١٨٨٠ عنوانها صحراء افريقية والآبار الارتوازية وفيها ان اسماكاً حيَّة تامَّة الخلقة كانت تخرج من مياهها المنفجرة من اغوار عميقة وكانت درجة حرارة الماء ٧٦ فارنهيت فما سبب وجودها وكيف يمكن ان تعيش هناك من غير هواء ولا اكسجين

ج ان صحَّ ذلك فيكون في واحة من الواحات العالية بركة فيها سمك وهي متصلة بالمكان الذي حُفِرَت فيهِ البئر الارتوازية فلما حفرت خرج الماء بسمكهِ منها . وقد يوجد السمك في الكهوف الغائرة في جوف الارض اذا كان فيها برك ماء لان ماء هذه البرك يكون متصلاً بنهر او غدير والسمك يصعد في الماء الى منبعهِ ولا سيما اذا كان في منبعهِ بحيرة فيبيض فيها ويولد ثم ينزل مع الماء الى حيث يصبُّ في بحر او بحيرة

(٢) مطر الفيران

ومنهُ . نظرت في العدد ١٤٢٩ من جريدة البصير الصادرة في ٢٦ مايو ان السماء امطرت قسطنطينية وضواحيها فيراناً وجرذاناً غطت وجه الارض فكيف يكون ذلك

ج اذا هبَّت الريح اعصاراً ومرَّ الاعصار على ارض مُنيت بالفيران والجرذان حملها عن الارض ثم لا يلبث ان يقع منهُ مطر غزير في مكان آخر فيقع معهُ ما حملهُ من الفيران والجرذان . وقد يمرُّ الاعصار على بحيرة فيحمل جانباً من مائها وسمكها ويلقيهما في مكان آخر فيظهر كأَن السماء امطرت سمكاً

(٣) زيت الزيتون والبترول

القاهرة . الخواجه نقولا غبريل . امتزج زيت الزيتون بزيت البترول فما هي الواسطة لتفريقهما وتنقية زيت الزيتون من البترول

ج البترول طيار وزيت الزيتون ثابت فضعوا المزيج على نار خفيفة جدًّا او فوق حمام مائي زمناً طويلاً فالراجح عندنا ان البترول

يطير كلهُ . ويحسن ان يضاف الى المزيج ماءٌ في الاناء الذي يسخَّن فيهِ حتى يبقى الماءُ في الاسفل ولا ترتفع درجة الحرارة عن درجة الغليان اما فصل الزيت عن الماء اخيرًا فسهل بـبزل يوضع بين الزيت والماء واذا لم يفصل البترول عن الزيت فلا يتلف الزيت لانهُ يستعمل لتزييت الآلات

---

(٤) مشتركو التيمس

باهيا بالبرازيل. الخواجه الياس مارون. اختلفت انا واحد الاصحاب في عدد مشتركي جريدة التيمس الانكليزية فقال ان مشتركيها لا يزيدون على عشرين الفًا وقلت بل انهم يزيدون كثيرًا نظرًا لاهميتها فما رأيكم في ذلك

ج وضع عدد مشتركي التيمس في قاموس الجرائد الذي نشرهُ هبرد سنة ١٨٨٢ مئة الف ومن المحتمل انهم لم يزيدوا كثيرًا منذ عشرين سنة الى الآن لانهُ أُنشئت جرائد كثيرة يومية ارخص من التيمس كثيرًا ولكن لا يحتمل انهم نقصوا كثيرًا لانهُ لا يزال للتيمس المقام الاول بين جرائد الدنيا اليومية . وعدد القادرين على الاشتراك فيها من الانكليز يزيد عامًا بعد عام

(٥) العقدة

ومنها انا مع انكارنا صحَّة السحر نرى البعض يستعملون العقدة وينجحون فكيف ذلك

ج ان الروايات التي من هذا القبيل ليست مما يمكن البحث فيهِ بحثًا علميًا ولذلك تبقى في معرض الشك . ولما كانت الامور المنسوبة الى السحر التي يمكن البحث فيها بحثًا علميًا قد ثبت فسادها فنحكم قياسًا عليها بفساد ما يروى عن العقدة ايضًا ونفتش عن سبب آخر لها فنجدهُ طبيعيًا . غير انهُ اذا تغلَّب الوهم على انسان واعتقد انهُ معقود فقد يغلبهُ وهمهُ ويُعقد حقيقةً

(٦) الخمر والماء

ومنهُ . يقال ان لا شيء انفع للشرب من الماء الزلال وان الخمرة تجلب المضرَّة فما رأيكم في ذلك اوَ لا يجوز استعمال الخمر عند مناولة الطعام

ج اذا اريد الشرب لارواء العطش وتذويب الطعام فالماءُ خير ما يشرب ولا داعي لشرب الخمر الاَّ اذا اشار بها الطبيب دواءً

---

(٧) تلغراف مركوني في الحرب

القناطر الخيرية . نسيم افندي فهمي . ايقوم تلغراف مركوني مقام حمام الزاجل اثناء الحصار

ج نعم اذا كانت آلاتهُ موجودة عند الذين يريدون ان يتخاطبوا بهِ

(٨) تكبير المقتطف

ومنهُ . لقد تكرمت الحكومة فاجابت طلب صاحب السعادة سابا باشا وجعلت اجرة

نقل المجلات مليمًا واحدًا مهما كبر حجمها فعلى م لم تكبروا لنا حجم المقتطف

ج لقد كبرناهُ على اثر ذلك فجعلناهُ ١٣ ملزمة وكان في العام الماضي ١٢ ملزمة. وتكبير حجم المقتطف يتوقف على زيادة عدد المشتركين فاذا كنتم انتم وغيركم تجتهدون حتى يتضاعف عدد المشتركين فنحن نضاعف حجم المقتطف. اما ملخص تاريخ العام الماضي شهرًا شهرًا فلم نهملهُ ولكننا لم نجد حتى الآن وقتًا كافيًا لجمعهِ

(٩) عمل الشيطان

ميخائيل افندي حنا باشكاتب محطة كفر الزيات. كيف تعللون تأثير روح الشيطان في الانسان اليس عملهُ الشيطاني ناتجًا عن قوة طبيعية في النفس او عن مؤثر خارجي

ج ان الناس الذين قيل ان بهم مسًّا من الشيطان وبحث في امرهم علماء هذا العصر وجدوا فيهم مرضًا عصبيًا في ادمغتهم ومن ثمَّ صار الجنون يعدُّ الآن من الامراض العصبية التي لها اسباب طبيعية. والذين يأخذون بقياس التمثيل يقولون ان كل المجانين من هذا القبيل والذين لا يأخذون بهِ يقولون اننا ولو بحثنا في احوال مئة الف مجنون ووجدنا جنونهم مرضًا عصبيًا طبيعيًا يشفى بالعلاج احيانًا كثيرة فلا يؤخذ ذلك دليلاً على ان المجانين الذين جُنوا منذ الف سنة او الفي سنة لم يكن جنونهم ناتجًا عن فعل الشيطان بهم. لاسيما وان لدينا نصوصًا كتابية صريحة على فعل الشيطان. والذين يقولون هذا القول لا سبيل لنفي قولهم ولكن يظهر لنا ان الاعتقاد بفعل الشياطين آخذ في الضعف حتى بين علماء الاديان

(١٠) احضار الارواح

ومنهُ. اوضحوا لنا حقيقة احضار الارواح

ج لا يمكننا ان نوضح لكم حقيقة شيء لا صحة لهُ فقد ادَّعى كثيرون انهم يحضرون الارواح وحاولوا احضارها امامنا حتى في مدينة باريس فلم يحضروا شيئًا وكنا نضحك عليهم احيانًا فننقر على ارجل المائدة باقدامنا فيزعمون ان الارواح حضرت واجابت طلبهم. وهؤلاء غير خادعين في الغالب بل مخدوعون يتوهمون امورًا ويصدقون وهمهم كأنهُ حقيقة

(١١) حقيقة السحر

ومنهُ. هل السحر حقيقي وهل يوجد سحرة صادقون

ج لقد كتبنا فصولاً مسهبة في فساد السحر اي في فساد ما يدعيهِ بعض الناس من انهم يستخدمون الشيطان لقضاء بعض الاغراض او انهم يؤثرون في الناس تأثيرًا طبيعيًا من غير ان يوصلوا اليهم التأثير بواسطة من الوسائط التي تنتقل بها القوى الطبيعية. ونعني بذلك انهُ لا دليل على ان الانسان يستطيع ان يجلس في بيتهِ مثلاً ويستدعي الشيطان

ويقول لهُ اذهب واقلع قطن فلان او احرق مخزن فلان او اكشف لنا السارق الذي سرق البيت الفلاني . ولو وُجد انسان يستطيع ان يفعل هذا الفعل لاستاجرهُ الناس بالالوف من الجنيهات لكي يرشدهم الى الجناة او لأمر الشيطان ان يرشدهُ الى مناجم الذهب والماس فيصير من اغنى اهل الارض بدلاً من ان يتضوَّر جوعاً كما يتضوَّر اكثر السحرة

اما التأثير في الناس من غير واسطة توصلهُ اليهم فمثل ان يدعي انسان انهُ يكتب ورقة لزيد فتؤثر الكتابة فيهِ حتى يحب فلانة او يبغض فلانة فانهُ لو كانت الكتابات تقضي الاغراض لاعتمد عليها الناس دون سواها من الوسائل فيكتبون ورقة تجعل كارنجي يوزع عليهم ثروتهُ وركفلر يعطيهم امواله وسسل رودس يوصي لهم بما يمتلك بدلاً من ان يتعبوا ويشقوا في طلب الرزق. واغرب من شيوع هذه الاوهام تصديق الناس لها وهم يرون ان الخبز لا يؤكل الاَّ بعرق الجبين والاعمال لا تعمل الاَّ بالجهد والتعب

الاَّ ان المؤثرات لا تكون كلها مادية ظاهرة بل منها ما تكون ماديتهُ خفيَّة فقد يسمع المرء كلمة فيبكي ويتحجب او يقع مغمى عليهِ كما اذا قلت لهُ قُتِل ابوك او قتل ابنك فان الصوت الذي تتلفظ بهِ لا يكفي لتحريك ريشة ولكن المعنى الذي يتضمنهُ يدخل تخادع النفس ويحرك اعصابها فتظهر افعالها المخزونة فيها كما يظهر فعل البارود من وقوع الشرارة عليهِ . فاذا رأى الناس اموراً غريبة لم يروا اسبابها فليس بمستبعد ان ينسبوها الى قوة سحرية اذا لم يكونوا من المطلعين على مباحث رجال العلم في هذه المواضيع او اذا كان لهم بضاعة تروج باثبات السحر

(١٣) الاختيار والاضطرار

ومنهُ . يقال ان الانسان مسيَّر لا مخيَّر فهل الله تعالى يقدّر على السارق السرقة وعلى القاتل القتل او الانسان مخيَّر في مثل هذه الاعمال

ج يقول قوم ان الانسان حرُّ الارادة في اعماله كما ابنا في مقالة مسهبة موضوعها هل الانسان حرُّ الارادة وفي مقالة اخرى موضوعها الاختيار والاضطرار ولذلك يحق عليهِ العقاب اذا اخطأ ويقول قوم انهُ مضطر غير مخير وهم يعنون بذلك ان الاعمال كلها سلسلة من المقدمات والنتائج مرتبطة بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول فاذا قتل قاتل فالاحوال التي كان فيها من حيث بنية جسمهِ وتركيب عقلهِ واحوال المكان والزمان وكل الملابسات الاخرى تضطر القاتل الى القتل ولا يستطيع ان يمنع ذلك. وقد رجحنا مذهب الاختيار على الاضطرار كما يظهر لكم بالمراجعة

---

(١٤) علاج القرع

المراغا . قرياقص افندي ميخائيل . ما

هو العلاج الذي يشفي من القرع اذا عولج به باكرًا

ج تنقع القشرة التي تتكون على الراس بزيت الزيتون ونخ بزر الكتان حتى تصير تنفصل بسهولة ثم يغسل الراس بالصابون وينظف منهُ بالماء وينزع الشعر المريض بملقط شعرة شعرة ويحترس لكي ينزع الشعر كلهُ من بصلاتهِ ويدهن الراس بعد ذلك بمادة تميت الاحياء الصغيرة لان القرع مسبب عن مادة فطرية حية ومن احسن المواد لذلك الحامض الكربوليك تمزج ثلاثة دراهم منهُ بثلاثة دراهم من الغليسرين وثلاثة دراهم من الماء النقي ويدهن الرأس بهذا المزيج مرة كل يوم .

ومن المواد التي تميت هذه الفطر مرهم السليماني هكذا

سليماني من عشر قمحات الى عشرين .

مرهم بسيط اوقية

وهذا العلاج يستعمل في اول المعالجة وهو سام فيجب الحذر منهُ

ومتى ماتت المواد الفطرية يستعمل دهون خفيف الفعل وتزداد خفتهُ رويدًا رويدًا حتى يكتفي بالزيت كواقٍ لجلد الراس من الهواء . ولا بدَّ من تغذية جسم المصاب بالاطعمة المغذية كاللبن والزبدة والمخاخ والادوية المقوية كالحديد وزيت السمك . ومعالجة القرع معروفة عند كل الاطباء فيجب ان تعتمدوا عليهم

(١٤) خط العلماء

ومنهُ يزعم بعضهم ان كل مَن كان عالمًا فخطهُ من الكتابة رديء فهل في ذلك شيء من الصحة

ج اذا اريد بالعالم مَن يقتصر على درس كتب اللغة والدين فهذا القول صحيح غالبًا لان هذه العلوم لا تكفي للكسب واذا اريد بالعالم مَن يتعلَّم هذه العلوم وغيرها وتكون علومهُ وسيلة يتدرَّج بها الى ما هو عملي لا غاية يقف عندها فالقول غير صحيح والمتعلِّم اقدر من غير المتعلم على الكسب اذا تساوت وسائطهما الاخرى ولولا ذلك ما زادت رغبة الناس في التعلُّم والتعليم

---

(١٥) اتلاف الخلد

اسكلة طرابلس. اسعد افندي بوج (؟) عندنا كثير من حيوان الخلد وهو يتلف المزروعات فما هي الطريقة لابادتهِ

ج ان طعام الخلد من المواد الحيوانية كالديدان والحلازين والفيران لا من المواد النباتية فلا ندري كيف تقولون انهُ يتلف المزروعات . والحقيقة انهُ يفيد المزروعات لانهُ يأكل الحشرات التي تتلفها فلا تفتشوا عن واسطة لقتلهِ

(١٦) تفضيض البلور

ومنهُ . ما هي الواسطة التي يتفضض بها البلور فيصير مرايا

ج كانت المرايا تصنع من القصدير والزيبق . يبسط ورق القصدير على مائدة مستوية ويذرّ عليهِ الزيبق حتى يغطيهُ فيصير الزيبق والقصدير ملغمًا ثم يوضع لوح الزجاج على لوح القصدير رويدًا رويدًا ويضغط عليهِ حتى يلصق بهِ فيصير مرآة . اما الآن فتصنع بترسيب الفضة عليها هكذا : يذاب درهم من نيترات الفضة في مئة درهم من الماء النقي ثم يضاف اليهِ قدر درهم من ماء النشادر وبعدهُ درهم من مذوب حامض الطرطير ويهز جيدًا وينظف لوح الزجاج ويوضع على الرمل افقيًّا ويصب عليهِ هذا المزيج فيرسب منهُ قشرة من الفضة على لوح الزجاج وتغسل جيدًا بوضعها في الماء من غير ان تمس باليد ثم يصب عليها ڤرنيش. وقد نشرنا نبذًا كثيرة عن عمل المرايا في المجلدات الماضية وبعضها وصف ما عملناه بيدنا



باب الاخبار العلمية

فوائد البراكين

مصائب قوم عند قوم فوائدُ

مهما المَّ بهذا الكون من الملمات والكوارث ومهما نزل بهِ من النوازل والحوادث فجماعة العلماء يحوّلونهُ الى منافع وفوائد جارين في ذلك مجرى من قال ان المصائب بركات متنكرة . فقد كتب العالم وليم لُكير رسالة الى جريدة ناتشر الانكليزية موضوعها ثوران جبل بيلي والغبار قال فيها ان هبوب عواصف الغبار الذي يرافق ثوران البراكين مهمٌ جدًّا في علم الظواهر الجوية لانهُ يدلنا على حركات المجاري الهوائية في اعالي الجوّ وعلى سطح الارض . فقد ظهر من بعض التقارير التي كتبت عن ثوران بركان بيلي في ٨ مايو ان الغبار الذي قذفهُ البركان ملأ ظهر الباخرة الانكليزية اسك وهي على بعد خمسة اميال عن البرّ وتكاثف حتى احلولك الظلام فلم يعد ركاب السفينة يرون شيئًا مما حولهم

واذا كان ثوران البركان شديدًا حتى يقذف بالغبار الى علوّ عظيم ويصل الى مجاري الهواء العلوية فقد يدور مع المجاري حول الارض من الشرق الى الغرب فيشعر بهِ في كل مكان يمرُّ بهِ كما جرى عند ثوران بركان كراكاتوي

انفجار بالون سفرو

ذكرت التلغرافات اليومية خبر انفجار البالون الذي ذكرناهُ في الجزء الماضي وكان سفرو راكبًا فيهِ هو ورجل آخر فقتلا . وقد

فصلت الجرائد العلمية ذلك فقالت ان موتهما نشأ عن سقوطهما من علو اكثر من الف قدم ولكنها اختلفت في سبب الانفجار فقالت انهُ لا يعرف ما اذا كان الانفجار قد نشأ عن احتراق غاز الهيدروجين الذي يملأ البلون بواسطة الآلة التي تدير البلون وتتصل به من الاسفل او بان قسماً من الآلة حمي فاشعل غلاف الغاز. وهي ترجح السبب الاول بدليل ان البلون صعد في الهواء بسرعة عظيمة فادى ذلك الى افلات بعض الغاز بسبب قلة ضغط الهواء ثم الى احتراقه وحدوث الانفجار لاسيما وان الآلة التي تدير البلون كانت على بعد متر فقط من الغلاف

الزلازل

قال الدكتور كنكاني الايطالي في اجتماع جمعية الزلازل الايطالية ان المدة التي تمرُّ بين زلزلة كبيرة واخرى تختلف بين ٩٣ و ٢/١ ١١٤ سنة فيكون المتوسط ٩ ,١٠١ من السنة وانهُ قد حدث في ايطاليا في العشر السنوات الاخيرة نحو ٣٣٦١ هزة ما عدا الهزات التي لم يشعر بها بل دلت آلات قياس الزلازل عليها. وان معظمها وقع في شهري يناير ومارس في الخمس السنوات الاخيرة اما الساعات التي يكون فيها وقوع الزلازل على اقله فمن الساعة الخامسة الى الثامنة بعد الظهر وعلى اكثره في الساعة الاولى بعد نصف الليل. ويقال بالاجمال ان نسبة الزلازل التي تحدث ليلاً الى التي تحدث نهاراً كنسبة ١,٥ الى ١

البالون لقياس الحرارة

طيّرت البلونات من اماكن مختلفة في اوربا صباح السادس من فبراير الماضي لقياس درجة الحرارة في الاعالي ومعرفة نسبتها الى حرارة سطح الارض فكانت كما يأتي

ستراسبرج. كانت درجة الحرارة على سطح الارض ٠,٩ تحت الصفر فبلغت ٣٩,٧ على علو ٨٢٩ متراً. ولما اخذ البلون بالصعود كانت ١,٠ فصارت ٦,٨ على علو ٣٦٠٠ متر.

برلين. كانت ٤,٤° على سطح الارض فبلغت ١٢,٩ على علو ٣٦٣٥ متراً

فينا. كانت ٨,٦ على سطح الارض فصارت ١٢,٠ على علو ٣٧٦٠

وطيَّر المستر روتش طيارة من مرصد بلوهل في الولايات المتحدة فوجد اقل الحرارة ١٦,٠٠ درجة على علو ١٢٤٢

تركة سسل رودس

يذكر القراء ان سسل رودس اوصى بقسم من تركته لينفق على تعليم بعض اولاد المستعمرات الانكليزية في انكلترا. وقد اعلن السر الفرد جونس مدير احدى الشركات البحرية العظيمة انهُ لسمح للتلاميذ الذين يسافرون من جاميكا وكندا الى انكلترا

ركوب بواخر شركتهِ مجاناً ذهاباً واياباً مدة سني دروسهم وقال في ختام اعلانهِ "ولي الامل ان مديري شركات البواخر التي تمخر بين انكلترا والمستعمرات الاخرى يحذون حذوي حتى تعمَّ هذه المساعدة ويصبح تلامذة المستعمرات كلها متساوين في هذا الامر"

الكساڤا

الكساڤا نبات لهُ جذور غليظة تستخرج منها التبيوكا وقد يبلغ وزن الجذر او الثؤلول ثلاثين رطلاً وهو يجود في الاقاليم الحارَّة والفدان المزروع كساڤا يستخرج منهُ من المادة النشوية اكثر مما يستخرج منهُ لو زرع باي نبات آخر فان غلة الفدان منهُ تبلغ نحو مئة وثمانين قنطاراً مصرياً واذا زرع علفاً للمواشي فمنهُ نفع كبير وربح كثير

اوجه القمر والعواصف

كان القدماء يعتقدون ان للاجرام السموية علاقة شديدة باحوال الارض الطبيعية وحركات ما عليها من حيوان ونبات حتى انهم كانوا ينسبون كلَّ ما يطرأُ على الارض والبشر من التغيرات الى حركات الاجرام في افلاكها . فاذا ظهر نجم مذنب انبأُوا بوقوع البلايا والمحن كالحروب والمجاعات وغالوا في ذلك حتى اعتقدوا ان لكلّ انسان نجماً يدير حركاتهِ وسكناتهِ وبقي ذلك شائعاً الى القرن الماضي . على ان علم الفلك الحديث دحض كل هذه الخزعبلات واثبت ان لا علاقة للارض الاَّ بالشمس والقمر فانها تستمدُّ من الشمس نورها وحرَّها وهي احدى السيارات التي تدور حولها . واما القمر فانهُ يدور حول الارض في دورانها حول الشمس وهو الجرم الوحيد الذي لهُ بعض العلاقة بما يطرأُ على الارض من التغيرات الطبيعيَّة كالمدّ والجزر وتقلبات الهواء وحدوث العواصف والزوابع كما ثبت لكثيرين من مديري المراصد. فقد كتب المستر مكدوول الى جريدة ناتشر الانكليزية يقول انهُ ظهر من الارصاد الفلكية في مرصد جرينوتش مدة الثلاث عشرة سنة الاخيرة ان للزوابع والعواصف علاقة بتغير اوجه القمر وثبت من تقارير بعض المراصد عن الظواهر الجوية ان الزوابع والعواصف تكون اكثر عدداً عند ما يكون القمر هلالاً مما هي عليهِ عند ما يكون بدراً . وكتب المسيو فنتوسا من مدريد يقول ان نتيجة ارصادهِ من سنة ١٨٨٢ الى ١٩٠١ تؤيد الحقيقة المتقدمة فان العواصف تكون في الهلال ١٣٢ وفي الربع الاول ١٠٤ وفي البدر ٩٩ وفي الربع الاخير ١٢٠

مهلك الغوَّاصات

لم تكد الغوَّاصات تنزل في البحر حتى اهتمت مدرسة البحرية في بلاد الانكليز بايجاد طريقة لاتلافها دفعاً لشرها عن المدرعات

فاستنبطت قاربًا يمتد منهُ عمود طويل جدًّا يعلق في طرفهِ طربيد ويطلق منهُ فيتلف الغوَّاصة على عشرة امتار منهُ ولا يصاب هو ولا عمودهُ باذًى

عائشة تيمور

توفيت هذه السيدة الفاضلة والشاعرة المشهورة صاحبة ديوان حلية الطراز في ٢٥ مايو وشيعت جنازتها بعد ظهر ذلك اليوم وسننشر ترجمتها بقلم احدى السيدات العارفات بها

سير الماء وتطهير الترع

كتب بعضهم رسالة بيَّن فيها ان الماء الجاري في مجرًى غير مستقيم الجانبين يميل الى النحر في الجانب المقعَّر وترسيب المواد التي يأكلها على الجانب المحدَّب فاذا جُعل جانباهُ مستقيمين متوازيين لم يعد يأكل من احدهما ويرسب المواد في الآخر فتقل نفقات التطهير وتزول الخسارة من جرف الارض من الجانب المقعَّر

اصلاح عدسية العين

كثيرًا ما يطرأ على عدسيات آلات التصوير الشمسي خللٌ كالانحراف الكروي مثلاً او تكون الفتحة التي تدخلها اشعة النور واسعة فلا ترتسم صور الاشباح واضحة على لوح الزجاج فيصلح المصورون ذلك الخلل بتضييق الفتحة المذكورة فترتسم صورة الشبح المراد تصويرهُ واضحة

وما يقال عن آلات التصوير هذه يقال عن العيون البشرية ايضًا فان العدسية البلورية يقلُّ تحدبها كلما تقدم الانسان في العمر فلا تعود صور المرئيات ترتسم على الشبكية بل خلفها فلا تظهر الاشباح جلية . وعليهِ فما يصح على آلة التصوير يلزم ان يصح ايضًا على العين فاذا ضُيقت عين مَن ضعف بصرهُ بسبب التقدم في السن وجب ان يتحسن بصرهُ وقد ايدت التجارب هذا الاستنتاج وذلك بان تؤخذ صفيحة رقيقة من المعدن وتثقب ثقبًا دقيقًا قطرهُ ٥٠/١ من العقدة وتقرب من العين . وقد جرَّب بعضهم هذه الطريقة وهو من الذين يستعملون النظارات المحدبة للقراءة فقال انهُ جرَّب الصفيحة المذكورة فاستطاع قراءة الحروف الصغيرة بسهولة وهي على بعد اربع عقد عن عينيهِ وجرَّبها ايضًا في عدة شيوخ فنجحت فيهم كلهم

ربح الصناعة الاميركية

لما انضمت شركات عمل الفولاذ (الصلب) في اميركا الى شركة واحدة وزيد رأس مالها حتى بلغ ٢٢٩ مليون جنيه حسب كثيرون ان ربحها سيقلُّ كثيرًا بسبب ما زيد على رأس المال لكن ظهر من حسابها عن العام الماضي انها صنعت من الصلب ما قيمتهُ ٤٥٩ مليون ريال تطرح منها نفقات العمل والعمال وهي ٣٤٣ مليون ريال فيبقى ١١٦ مليون

ريال يحفظ منها نحو ٢٤ مليون ريال مقابل "هرش" العدد فالباقي ٩٢ مليون ريال يوزع ربحًا ومعلوم ان رأس المال ٢٢٩ مليون جنيه او نحو ١١١١ مليون ريال فيكون الربح اكثر من ٨ في المئة . ولا خوف من ان يقل العمل في هذه المعامل لان عندها من الطلبات الآن ما لا تستطيع اتمامهُ في سنة كاملة . هكذا تكون المعامل وهكذا تكون همم الرجال

اسرع قطار

اسرع قطار عرف الى الآن قطار يسير في الولايات المتحدة الاميركية فانهُ قطع مسافة ١٤٫٨ الميل في تسع دقائق فيكون متوسط سرعتهِ اكثر من ٩٨ ميلاً في الساعة

زلزلة جواتمالا

زلزلت الارض زلزالاً شديدًا في جواتمالا باميركا الجنوبية خربت بها جميع المدن والقرى والزراعات التي في القسم المخصب من البلاد ولكن لم تفقد بها نفوس كثيرة . وسبب الزلزلة ثوران بركان في تلك الجهات اسمهُ بركان تشنجو

استعمال البترول للوقود

يرى بعض الخبيرين من الانكليز انهُ لا يمضي زمن طويل حتى يحلَّ زيت البترول محلَّ الفحم الحجري . والذي يعجّل في ذلك غلاء اسعار الفحم واكتشاف آبار كثيرة لزيت البترول فقد اكتشفت بئر منهُ في بورنيو بلغ ما اصدر منها الى الخارج مئة الف طنٍ او اكثر

وزيت البترول مستعمل للوقود الآن عند اعظم الشركات البحرية فان شركة البواخر الالمانية تستعملهُ في بواخرها وشركة همبرغ واميركا بنت اربع بواخر جديدة واستعملتهُ فيها بدلاً من الفحم فنجحت نجاحًا يذكر . وشركة لويد الالمانية الشمالية وغيرها من الشركات العظيمة حذت حذوها ايضًا

اما مزايا زيت البترول على الفحم فهي

اولاً . الاقتصاد في العمل فانهُ حيث يحرق الفحم يضطرون من حين الى آخر ان ينزعوا ما اجتمع من الرماد ويلقونهُ في البحر وذلك يقتضي وقتًا . ثم ان استعمال الزيت يغنيهم عن الوقادين ولا يحتاج معهُ الاَّ الى رجل يراقب الماء في المراجل لان تقديم الزيت للوقود يتمُّ بواسطة آلة تتحرك من نفسها

ثانيًا . الاقتصاد في العمَّال اذ يستغنى بهِ عن الذين يستخدمون لتنظيف البواخر من الفحم وآثارهِ

ثالثًا . لا يذهب شيء سدًى عند احتراق الزيت كالدخان الذي يحدث من احتراق الفحم بل ان كلَّ دقيقة من دقائقهِ تحترق وتساعد على توليد البخار

رابعًا . الاقتصاد في المكان اذ يمكن في البواخر ان يخزن الزيت في اماكن لا تصلح لخزن الفحم ولا لشيء آخر فيستعمل المكان المعد لخزن الفحم في البواخر الآن لوضع الشحن والبضائع . وحيث يخزن الزيت لا يتكون

صداً . ثم ان طن الزيت يقتضي فسحة ٣٥ قدماً وطن الفحم ٤٤ قدماً . وقد ظهر من التجارب ان رطل الزيت يبخّر نحو ١٩ رطلاً من الماء على حين ان طن الفحم يبخر ١٥ رطلاً فقط

خامساً . ان الزيت اصلح للوقود في المعامل من الفحم لانهُ اجمع للحرارة منهُ

وهناك مزايا اخرى للزيت منها انهُ احفظ للمراجل من العطب ولا يتصاعد منهُ دخان يعمي الابصار مثل دخان الفحم ولا شرار يتعرض بهِ الشحن لخطر الاحتراق ولا غبار يسوِّد ما على ظهر البواخر من البضاعة

سرعة التلغراف

اخترع احد العلماء آلة لتلغراف مركوني يمكن ارسال خمس مئة كلمة بها في الدقيقة ولا ينفق من القوة على ذلك اكثر من ٢٥ في المئة زيادة عن الآلات العادية

اكبر السراطين

أُتي الى معرض التاريخ الطبيعي في اميركا بسرطان عنكبوتي ياباني طولهُ اذا بسط ساعديهِ ١٢ قدماً وهو اكبر سرطان رُئي حتى الآن . ومن غرائب هذا السرطان انهُ يقتلع من البحر نتفاً من الاسفنج ونباتاً بالعابهِ وهو غروي ويلصقها ببدنهِ فيتغيَّر شكلهُ ويتعذر تمييزهُ عمّا حولهُ وهو يفعل ذلك تنكُّراً !

وأُتي الى هذا المعرض ايضاً بكركند يقال انهُ اكبر ما وُجد من نوعهِ حتى الآن طولهُ نحو متر وثقلهُ ٣٤ رطلاً

نقل القوة بالكهربائية

شاع الآن تحويل القوة المائية الميكانيكية الى كهربائية ونقلها الى اماكن بعيدة وردها الى قوة ميكانيكية ففي اسبانيا آلتان قوة احداها ٤٠٠٠ حصان وقوة الاخرى ٦٠٠٠ حصان نقلت الاولى مسافة ٢٨ ميلاً والثانية مسافة ٥٠ ميلاً وفي فرنسا آلة قوتها ٧٠٠٠ حصان تنقل مسافة ٣٢ ميلاً ويراد الآن اقامة آلة على نهر سلينا في شمالي ايطاليا قوتها ١٣٠٠٠ حصان ونقلها مسافة ٥٦ ميلاً

كتب البابليين القديمة

كشفت اربع مئة صفيحة من صفائح الاجر البابلية في مكان اسمهُ تشان الاسود يظهر مما هو مكتوب فيها انها كانت كتباً للتعليم بعضها قاموس في اللغة البابلية وبعضها نشيد ينشد في احتفال المعبود ماردك

اكبر بالون حربي

عزمت نظارة الحربيَّة الانكليزية على عمل بالون حربي طولهُ ١٨٠ قدماً وقطرهُ الاطول ٧٢ قدماً ويكون فيهِ آلة بخارية قوتها ١٣٥ حصاناً وهو يسع ١٥٦ الف قدم مكعبة من غاز الهيدروجين فقوتهُ الرافعة تساوي مئة قنطار مصري ويتصل بهِ سطح بمقام جناح الطائر طولهُ ١٢ قدماً والمظنون ان هذا

البالون يسير في الهواء بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة

آلة لحلب البقر

استنبط بعضهم آلة صغيرة لحلب البقر بقرة بقرة وهي اناء فيهِ مفرغة للهواء يتصل بها انبوب كاوتشوك لهُ اربعة كؤوس توضع على حلمات ضرع البقرة. والآلة مصنوعة على اسلوب حتى تمتص اللبن من الضرع ولا تضرُّ بهِ ولا بالحلمات

اسود الاسيتيلين

اسود الاسيتيلين مادة سوداء كالهباب الذي يستعمل في عمل الدهان الاسود والحبر الاسود وتفضل عليهِ لان ليس فيها مادة دهنية ولكن طريقة عملها تجعلها غالية الثمن فاذا وجدت طريقة تقل بها نفقات استحضارها قامت مقام الهباب

وصية سسل رودس

اثبت المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية ان سسل رودس جعله اوَّلاً وصيًّا على كل امواله يتصرَّف فيها كيف شاء لانهُ رآهُ الرجل الذي يفهم مقاصدهُ ويستطيع ان يعمل بها بعدهُ . ثم غيَّر وصيتهُ واشرك مع ستد آخرين . ولما حمل ستد حملاتهِ المنكرة على الذين حسب انهم اضرموا نار حرب الترنسفال غيَّر رودس وصيتهُ واخرج اسم ستد من عداد الاوصياء لاعتقادهِ انهُ لا يتفق معهم لكنهُ بقي حتى مماتهِ يعد نفسهُ واللورد ملنر من تلامذة ستد

جرأة سسل رودس

مُلئت جرائد الانكليز ومجلاتهم في الشهر الماضي من الكلام على سسل رودس ومما ذكرتهُ بعضها انهُ لما زار امبراطور المانيا منذ مدة قال لهُ " اني اشكرك على التلغراف الذي بعثت بهِ الى كروجر فاني كنت آتيًا الى انكلترا وانا احسب انهم سيجلدونني كولد مذنب ولكن لما تكرَّمت بارسال التلغراف الى كروجر جلدوك انت بدلاً مني "

وروت ايضًا انهُ لما وضع امبراطور المانيا شروط سكة الحديد التي يراد مدها في جنوبي افريقية لتتصل بالسكة المصرية . قرأها على رودس وقال لهُ اظنك راضٍ بهذه الشروط فقال رودس كلاَّ الاَّ اذا كنت اود ان أعلن افلاسي فاستغرب الامبراطور ذلك وقال لهُ ماذا تعني فقال انكم وضعتم في الشروط شرطًا مؤَداهُ انهُ اذا اعتدى احد على الخط فحكومتكم تدافع عنهُ وانا ادفع النفقات فهب انكم ارسلتم جيشًا عرمرمًا الى هناك واضطررتموني الى دفع نفقاتهِ فاني اضطر ان اعلن افلاسي حالاً . فضحك الامبراطور وحدَّد النفقات التي يلتزم رودس بها باربعين الف جنيه على الاكثر فرضي رودس بذلك

وقال لهُ الامبراطور اني ارجو ان يتم

انشاء الخط في سنتين او ثلاث فقال رودس اما انا فلا اظن ذلك ممكناً لان الالمان الذين في افريقية من اكسل الناس واضعفهم همةً وانا متأكد انهم لا يتمون هذا الخط في سنين كثيرة

فان كانت هذه الروايات صحيحة فاما ان يكون رودس من نوادر الرجال في حرية اللسان او يكون ماله الكثير جرّأه على هذا الكلام وانطقه بهذه الصراحة

اخلاق سسل رودس

يظهر مما قرأناه عن هذا الرجل باقلام اصدقائهِ وغيرهم وما رووه عنهُ من النوادر وما اقتبسوه من اقوالهِ وخطبهِ وكتبهِ انهُ كان شغوفاً على ابناء نوعهِ بحسب التديُّن الحقيقي المقبول عند الله السعي في اصلاح شأن الناس وكان يكرم خدمة الدين ويحابهم كثيراً اذا رأى انهم اختاروا هذا السبيل لكي يبذلوا كل قواهم لافادة نوع الانسان. وانهُ انما ربط المال الطائل للتلامذة الذين يتعلمون على نفقتهِ لكي يستطيعوا ان يعاشروا الناس الذين من الطبقات العليا وهم يتعلمون حتى لا تفوتهم فائدة

ولما صارت ادارة مناجم الماس الى يدهِ غرس الحدائق والبساتين لاجل نزهة العمال وبنى لهم البيوت وانشأ المكاتب والاندية العلمية والادبية لكي تصلح حالهم ويجدوا لذة في الحياة واشترى اثمن الجياد واجود انواع المعزى ورباها في جنوبي افريقية لكي يكثر نسلها فيها وانفق الاموال الطائلة على اعمال الري وكانت يدهُ مفتوحة دائماً لاصدقائهِ وغيرهم ينفق بسخاء حاتمي . قال احد الكتّاب وانا نفسي اعرف مئات بل الوفاً من الشبان ابتدأوا في الحياة وهم لا يملكون شيئاً فساعدهم بمالهِ حتى نجحوا . واعرف مئات من النساء ساعدهنَّ بسخائهِ . ولما عاد من بلاد المتابيل وكان في ضيقة مالية على نوع ما انفق في ثلاثة ايام سبعة عشر الف جنيه لمساعدة المعوزين

وكان يقوم باكرًا الساعة السادسة صباحاً ويركب في مزارعهِ الى الساعة التاسعة ويعود ويفطر ويشتغل الى وقت الغداء فيأكل قليلاً ويعود الى الشغل حتى العشاء ويقضي الوقت بعد العشاء في الكلام مع زوارهِ في مهام الامور

وكانت نفقاتهُ على نفسهِ قليلة جدًّا لا تكاد تكون شيئاً مذكورًا واذا كان مسافرًا دعا كل من يجدهُ في طريقهِ للاكل معهُ . وكان يكرم كل انسان الاَّ الكسلان المعتمد على غيرهِ لانهُ كان يقول يجب على كل انسان ان يتعب ويكدح . وقد خسر معادن الذهب كلها اهتماماً منهُ باحد اصدقائهِ فانها عُرضت عليهِ بثمن بخس جدًّا وخُيّر في ابتياعها ولو ابتاعها لكانت ثروتهُ تقدَّر الآن بمئات الملايين من الجنيهات لكن بلغهُ حينئذٍ ان واحدًا من اصدقائهِ مريض

في كمبرلي فقام لساعتهِ وركب ليذهب اليهِ فقال لهُ وكيلهُ لا يمكن ان تذهب الآن قبلما ننتهي من مسألة المعادن فقال لا بدَّ لي من الذهاب الى صديقي فارسل اليَّ تلغرافًا الى كمبرلي . وسار لساعتهِ راكبًا ثانمئة ميل وارسل اليهِ وكيلهُ تلغرافات كثيرة فلم يعبأ بها لانهُ كان جالسًا امام سرير صديقهِ والمرجح انهُ لم يفتحها ولو فتحها واجاب بالايجاب لمات عن ثروة لا مثيل لها في المسكونة

تهوية المنازل

اثبت احد العلماء سنة ١٨٧٨ ان الهواء ينفذ جدران غرفة مقفلة بسرعة تتوقف غالبًا على ما بين الهواء الداخلي والخارجي من الفرق في الحرارة بشرط ان يكون الهواء الخارجيُّ اوطأ حرارة . ووجد ايضًا انهُ اذا كان ثخن الجدران اعتياديًّا وكانت حرارة الهواء الخارجي اوطأ من حرارة هواء الغرفة باربع عشرة درجة بمقياس سنتغراد تغير ١٤/١ من هواء الغرفة عن كل درجة في الساعة وبعبارة اخرى تغيّر هواء الغرفة كلّهُ في مدة ساعة بمرور الهواء داخل في الجدران

وابان غيرهُ من عهد قريب انهُ اذا كانت سعة الغرفة ٦٠ يردًا مكعبًا وكانت جدرانها من الحجر ولكنها مغطاة بالورق من الداخل تغير الهواء بمعدل ٤٠/١ من حجمهِ عن كل درجة في الساعة . واذا كان الورق مدهونًا بالزيت والفرنيش قلَّ اختراق الهواء للجدران وبعكس ذلك اذا لم يلصق على الجدران ورق ولا غيرهُ فان الهواء يتخللها بسهولة . وعليهِ فكلما كانت جدران المنزل ساذجة سهل نفوذ الهواء فيها . وكلما زاد الفرق بين حرارة الهواء الخارجي والداخلي اسرعت تهوية المنزل على هذه الطريقة

لا بدَّ من سيد

كتب مارك توين الكاتب الشهير في مجلة اميركا الشمالية يقول انه لا بدَّ للناس من سيد يكرمونهُ (وذلك على اثر زيارة البرنس هنري البروسي للولايات المتحدة الاميركية وما لقيهُ فيها من التجلة والاكرام) وكلهم من الامير الكبير الى الصعلوك الحقير متساوون في حب الامتياز والتباهي ولذلك يودون التقرُّب من الملوك والعظماء لان فيهِ امتيازًا لهم على غيرهم بل هم يرغبون في الامتياز ولو كان باكرام الحيوانات البكماء لهم . والتفت الى الاميركيين وقال انهم يدَّعون انهُ لا يهمهم التقرُّب من الملوك والعظماء ولكن الذي لا يود ان تصوَّر صورتهُ مع البرنس هنري مثلاً لم يولد حتى الآن

المرأة التركية

انشأت السيدة ماري بترك رئيسة مدرسة النساء الاميركية في الاستانة مقالة في مجلة اميركا الجنوبية عن نساء الاتراك قالت فيها انهنَّ جارين النهضة العلمية الحديثة مجاراة حقيقية

والمرأة التي تراها في السوق والبشمك على وجهها والاغا ماشٍ وراءها قد يكون عقلها مشتغلاً بموضوع علمي تكتب فيه مقالة لاحدى الجرائد او بموضوع سياسي او اجتماعي . وكثيرات من نساء الاتراك جعلنَ يتعاطين الاعمال المختلفة ومنهنَّ من ترافع عن نفسها في مجالس القضاء . ومنذ سنوات قليلة انشأ رجل مجلة للنساء كانت مكتوبة باقلامهنَّ . وقد انشأت امرأة مقالات علمية متتابعة في احدى الجرائد اليومية منذ عهد قريب والفت امرأة اخرى كتاباً في علم التعليم وشرعت امرأة ثالثة في كتابة تفسير للقرآن. وبعض هؤلاء النساء شرعنَ يتعلمن بعد ان تزوجنَ . وللنساء التركيات ميل الى درس اللغات الاجنبية فيتعلمنَ لغتهنَّ ولغتين او ثلاثاً من اللغات الاوربية

ماس غربي افريقية

صدر من الماس من مدينة الراس في العام الماضي ما ثمنهُ ٤٩٣٠١٠٤ جنيهات اي نحو خمسة ملايين من الجنيهات

ما تعلّمهُ حرب البوير

نشرت مجلة ادنبرج مقالة موضوعها ما تعلّمهُ الحرب بيّنت فيها ان حرب البوير الحالية اثبتت الحقائق التالية وهي

اولاً فائدة البنادق البعيدة المرمى في صد العدو المهاجم

ثانياً فائدة الخنادق في الدفاع

ثالثاً عدم نفع الهجوم على عدو متحصن في الخنادق

رابعاً عدم نفع المدافع اذا أُطلقت على عدو متحصن في الخنادق

خامساً فائدة الواقيات التي تستعمل لوقاية الجيش وهو هاجم على عدو مسلَّح ببنادق بعيدة المرمى

سادساً ترجيح فائدة الخنادق في الهجوم ايضاً

ضرر الحشرات

كتب بعضهم في مجلة المعاصر ان الحشرات تتلف من زارعة حشيشة الدينار في بلاد الهند ما قيمتهُ ٩١ مليون جنيه في السنة وان داء اوراق البن يتلف في جزيرة سيلان في السنة ما قيمتهُ ١٥ مليون جنيه وداء العفن يتلف من الحنطة في استراليا ما قيمتهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات . الاَّ ان الحكومات المتمدنة باذلة جهدها في مقاومة فعل الحشرات ونحوها ممَّا يضرُّ بالزراعة وتقوية ما يفيدها والحكومة الاميركية في مقدّمتهنَّ لانها تنفق ستمئة الف جنيه في السنة في هذا السبيل

تغيُّر الثقل

من المسلمات ان ثقل الاجسام لا يتغير ما دامت في مكان واحد بالنسبة الى الارض

لكن احد العلماء بيَّن انهُ اذا اذيب كبريتات النحاس في الماء تغيَّر وزنهُ قليلاً. وقد اعترض اللورد ريلي على ذلك وحاول اثبات فسادهِ بادلة علمية. فردَّ عليهِ احد العلماء قائلاً انهُ اذا اثبتت التجارب تغيُّر الوزن فالادلة العلمية او القواعد العلمية التي تنفي ذلك تصير من المسلمات التي يعتقد الناس صحتها اعتقاداً ولو لم تنطبق على الواقع. والظاهر ان بقاء الوزن على حالهِ وبقاء القوة على حالها لا يؤْخذان على اطلاقهما بل هما تقريبيَّان يصدقان الى حد محدود لا يبلغ جزءًا من مليون جزء من الوزن والقوة

نازلة مرتنيك

وصفنا هذه النازلة في مقالة خاصَّة في هذا الجزء وجاءتنا المجلات العلميَّة بعد كتابة ما كتبناهُ بذكر ما حدث بعد ذلك وهو

في ١٨ مايو ثار بركان السوفرير في سنت ڤنسنت بين الساعة ٣ ١/٢ ٨ مساءً ونصف الليل وخرجت منهُ اصوات كالرعد القاصف وكانت البروق متصلة فوق قمتهِ

١٩ مايو ثار بركان بيلي ثوراناً عظيماً وخرجت منهُ حمم اكثر ممَّا خرج منهُ في ٨ مايو لما طمر مدينة سن بير وجرت الحمم منهُ في النهر الكبير وخرَّبت المباني والمزارع التي لم تخربها قبلاً

٢٠ مايو قذف هذا البركان طيناً وحجارة حامية غطَّى بها اكثر جزيرة مرتنيك وانتشر القتام فوق مدينة فور ده فرانس وكانت البروق تتراسل فيهِ

٢١ مايو عاد بركان بيلي الى الثوران

٢٢ „ جرت الحمم من الفوهة الجديدة في شماليهِ نهراً واسعاً حتى بلغت البحر

٢٤ عادت الحمم والطين تجري منهُ في الجهة الشمالية فجرفت ما بقي من مدينة باس بوانت وانثغر في جانبهِ ثغرة جديدة. وكانت الحمم لا تزال تجري من السوفرير. وامطرت السماء مطراً دمويًّا في مدينة همبرج وما حولها باوربا وثبت ان احمرارهُ ناتج عن وجود حشرات صغيرة فيهِ والمظنون ان الغبار البركاني المقذوف من بركان مرتنيك دفعها امامهُ فامتزج بها ماء المطر

٢٥ مايو خمد بركان بيلي قليلاً ولم يعد يقذف الاَّ الرماد وقد غطى بهِ الجزيرة في اقصى الشمال. ووقع ثلج رمادي اللون في سويسرا ظهر ان فيهِ رماداً

٢٧ مايو عاد ثوران بيلي فاشتدَّ وامطر رماداً وحجارةً على شمالي الجزيرة واطبق الجو بالسحب الكهربائية

والمرجح الآن ان سكان سن بير مات اكثرهم اختناقاً بغاز الحامض الهيدروكلوريك الناتج من انحلال ملح ماء البحر فان ماء البحر يغور في الارض فيصل الى اماكن شديدة الحمو فيسخن ويتبخر وينحل ويسبّب ثوران

البراكين. والذين قتلهم بركان السوفريير قتلهم برمادهِ الحامي او بالصواعق التي كانت تتردَّد في ابخرتهِ. اما النار التي اكتنفت مدينة سن بير في الثامن من الشهر فسببها ان ماء البحيرة التي كانت في جبل بيلي غار في جوف البركان وقتما انفجر فانحلّ من شدة الحرارة الى غازيهِ واشتعل وانقذف لهبهُ مع ما انقذف من البركان فغمر المدينة

والظاهر ان الحيوانات ادركت اقتراب الثوران قبل حدوثهِ فغادرت الجبل كلها لانها شعرت باضطراب الارض ولو كان ضعيفًا وسمعت الاصوات التي في باطن الجبل

وقد اتضح الآن ما ظنناهُ من سبب هذا الثوران وهو ان ارض الحوض الذي تحيط بهِ سلسلة الجزائر التي منها مرتنيك وسنت فنسنت خسفت وبلغ انخسافها نحو ٦٠٠ قدم في بعض الاماكن ومعلوم ان الضغط الناتج من ذلك يدفع المواد الحارة التي في باطن الارض فتطلب لها منفذًا ما. والجبال كلها منافذ لانها تكونت بفعل بركاني فنفذت من جبل بيلي والسوفريير وساعدها على ذلك ان ماء البحر دخل باطن الارض لما انخسفت فمددتهُ الحرارة وصعد مع المواد التي اندفعت منها. والظاهر ان هذا الانخساف مرتبط بالزلزلة التي حدثت في التاسع عشر من ابريل واماتت خلقًا كثيرًا في تلك الجهات

ويقدَّر الآن عدد الذين اماتهم ثوران بيلي باربعين الفًا وعدد الذين اماتهم ثوران السوفريير بالفين فقط

مقام سسل رودس

كتبت مجلة العلم العام الاميركية فصلاً وجيزًا عن وصية سسل رودس فضلتهُ فيهِ على نبوليون وبسمارك فقالت انهُ يشبه نبوليون وبسمارك في انهُ جمع في شخصهِ الصفات التي يسود بها المرء على غيرهِ وانهُ كان مثلهما يسير في وجهتهِ غير مكترث لشيء ولكن نبوليون ضحى كل شيء لاجل مطامعهِ الذاتية وبسمارك قصر اهتمامهُ على ما يعظم بهِ شأن مولاهُ واما رودس فبذل النفس والنفيس في انشاء مملكة قاصرًا همَّهُ على المملكة البريطانية ثم على شعب الانجلوسكسون ثم على الامم الالمانية ثم على العالم. ولقد كان من اهل الاماني ولكنهُ اثبت للملإِ ان امانيهُ تصير حقائق ومن المرجح ان تتحقق كل الامور التي اوقف ثروتهُ لها

قانون الاستحقاق

يظهر لمن يطالع وصية سسل رودس الاخيرة انهُ جعل قانون الاستحقاق لنيل المال الذي اوصى بهِ لتعليم التلامذة في مدرسة اكسفرد غير ما تجري عليهِ المدارس الآن فانهُ بنى استحقاق التلميذ اولاً على معارفهِ العلمية والادبية

وثانيًا على مهارتهِ في الالعاب الرياضية او محبتهِ لها

وثالثاً . على اخلاقهِ الادبية كالصدق والشجاعة والقيام بالواجب والرفق بالضعيف وايثار الغير على النفس

ورابعاً . ظهور صفات فيهِ تدل على انهُ مخلوق ليقود غيره ُ ويهتم بامر اخوانهِ التلامذة . واذا كانت العلامات التي تعطى لهُ مئة فيعطى على الشرط الاول ٣٠ وعلى الثاني ٢٠ وعلى الثالث ٣٠ وعلى الرابع ٢٠ . وعلامات الشرط الاول تكون بالامتحان والشرط الثاني باقتراع اخوانهِ التلامذة والثالث باقتراع المرشحين معهُ للانتخاب والرابع باقتراع اساتذتهِ فجعل حق التلامذة مثل حق الاساتذة في اختيارهِ

رخص المعيشة في الصين

كتب بعضهم في مجلة كاسير عن احوال الصين والصينيين قال ان العامل الفقير في بلاد الصين يأكل في السنة كلها ما يساوي ١١ شلناً او اقل من ٥٤ غرشاً بسبب رخص المعيشة هناك وان العامل منهم يكتفي بغرش واحد في النهار. ولذلك نستغرب كيف تروج عندهم البضائع الاوربية وكيف لا يناظرون الاوربيين في ميدان الصناعة . ومن رأي كاتب هذه المقالة انهُ يستحيل على دول اوربا ان تمتلك بلاد الصين او تقتسمها وعلى الشركات الاوربية ان تنجح فيها وتربح منها لان الصينيين لا يسلمون بذلك وليس من السهل ابتزاز شيء منهم

رئيس ولايات اميركا

يرد على رئيس ولايات اميركا ١٢٠٠ رسالة كل يوم . وهو يقابل كل من يطلب مقابلتهُ عن يد احد اعضاء مجلس الشيوخ او احد النواب في اربعة ايام من الاسبوع من الساعة العاشرة صباحاً الى الثانية بعد الظهر . ويقال ان ذلك يشغل جانباً كبيراً من وقتهِ ويصرفهُ عن مهام البلاد ولا بدَّ من سن قانون يعفيهِ من هذه المقابلات

الاستاذ كورني

الاستاذ كورني استاذ الطبيعيات في مدرسة البوليتكنيك بفرنسا من اشهر اساتذة العلوم الطبيعيَّة ولد سنة ١٨٤١ ودرس في هذه المدرسة واختير استاذاً فيها سنة ١٨٦٧ وعمره ُ ٢٦ سنة فبقي في هذا المنصب الى حين وفاتهِ وقد اشتغل اولاً بقياس سرعة النور فقاس سرعتهُ بالتدقيق ومنح جائزة لاكاز وجُعل عضواً في اكادمية العلوم ثم جعل يشتغل بالحل الطيفي وقاس طول امواج اشعة الهيدروجين ومقدار امتصاص الهواء لاشعة النور ولما كثر احمرار الشفق والفجر في اواخر سنة ١٨٨٣ اثبت ان ذلك حادث من تشرُّف النور بدقائق الغبار المنتشرة في الهواء آتية من ثوران بركان كراكاتوى

واشتغل بالسمعيات كما اشتغل بالبصريَّات ثم بالكهربائية ونقل القوة بها. وكان الانكليز

بكرمونهُ كما يكرمهُ الفرنسويون واستدعوهُ لتقديم الخطبة المعروفة بخطبة ريد في مدرسة كمبردج وقد ترجمنا هذه الخطبة ونشرنا في الجزء التاسع من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف الصادر في غرة ابريل سنة ١٨٩٩ . وكانت وفاتهُ في اواسط شهر ابريل الماضي

بطرية اديصن

قال المستر اديصن انهُ تمكن من عمل بطرية للمركبات التي تسير بها مسافات طويلة . وقد جربت مركبة منها فسارت ٦٢ ميلاً في طريق وعرة . وجربت مرة أُخرى فسارت ٨٥ ميلاً في طريق اعتيادية

اما البطرية فقد وصفها لاحد زائريهِ فقال ان في معظم البطريات المستعملة الآن ثقيل جدًّا . والواحدة منها لا تسير اكثر من خمسين ميلاً بلا تجديد قوتها وهذا يقتضي عدة ساعات اما بطريتي فمؤلفة من الواح صغيرة مصنوعة من النكل والصلب (الفولاذ) مغموسة في محلول قلويّ . وعلوُّها ١٢ عقدة وطولها ٦ عقد وعرضها ٤ تقرب من حجم البطريات المستعملة الآن غير ان خفة الواحها تمكنني من ان استخرج قوة حصان واحد من ثقل ٥٣ رطلاً . وهي تسيّر المركبة مئة ميل بلا تجديد قوتها . ثم اذا اريد تجديدها اقتضى ذلك وقتًا قصيرًا . وتُفني عدة مركبات قبلما تفنى

معادن اميركا

بلغت قيمة الذهب الذي استخرج من الولايات المتحدة الاميركية في العام الماضي ٨٠٢١٨٨٠٠ ريال اي اكثر من ١٦ مليون جنيه وقيمة الفضة ٣٥٧٩٢٢٠٠ اي اكثر من سبعة ملايين من الجنيهات وبلغ مقدار الحديد الذي استخرج منها نحو ١٧ مليون طن

عاقبة الثوران

ظنَّ البعض ان جزيرة مرتنيك ستغور في قاع البحر على اثر ثوران بركانها لكن الدلائل كلها تدل على انها ستزيد ارتفاعًا واتساعًا واذا خمد بركانها ومرَّت عليهِ السنون خامدًا فلا يبعد ان يعود اليها الناس ويسكنونها كما سكنوها قبلاً

تأْثير الثوران البعيد

لما ثار بركان يلي اثر ثورانهُ في اماكن كثيرة بعيدة عن مرتنيك ففي جزيرة دومينيكا شمالي مرتنيك كانت بحيرة ماؤُها يغلي في درجة الغليان طولها ٣٠٠ قدم وعرضها ٢٠٠ قدم فغارت مياهها في ١٠ مايو ولم يبقَ لها اثر وفي اليوم التالي اشتدت حرارة الينابيع الحارَّة في جزيرة جمايكا . وبدت من بركان كوليما في بلاد المكسيك علامات الثوران في ١٢ مايو وزلزلت الارض في كليفورنيا في ١٨ منهُ

فهرس الجزء السادس من المجلد السابع والعشرين

